مآثر الإنافة في معالم الخلافة

أحمد بن عبد الله القلقشندي

٧٥٦ – ٨٢٠ هـ

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

عالم الكتب

عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان

ص.ب: ٨٧٢٣ ـ ١١، برقياً: نابعلبكي
تلفون: ٣١٥١٤٢ ـ ٨١٩٦٨٤ (٠١)
خليوي: ٠٣/٣٨١٨٣١
فاكس ٣١٥١٤٢ (٩٦١١)

WORLD OF BOOKS
FOR PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION
BEIRUT - LEBANON
P.O BOX: 11-8723, CABLE: NABAALBAKI
TEL.: 01-819684 / 315142
CELL. 03-381831, FAX. (9611) 315142
E mail: alamko @ dm.net.lb

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

مآثر الإنافة
في معالم الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب
للأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

هذا كتاب جديد نفيس تقدمه سلسلة التراث العربي إلى العلماء والمثقفين. ونفاسة الكتاب آية عن الموضوع الذي يدور عليه. ذلك لأن الخلافة في الإسلام كانت أعظم مؤسسة سياسية - دينية -، حددت نظام الحكم ووضعت أسُسَه وطُرُقه. ولم يؤلَّف كتابٌ واحدٌ يشتمل على ما يتعلّق بالخلافة، وإنما هي شذرات نجدُها متفرقةً في التواريخ وكتب الحديث والفقة والإدارة، فجاء القلقشندي فجمع أخبارها، منذ نشأتها إلى أيامه، مفصّلة مبوبة، حتى غدا هذا الكتاب أول مرجع يرجع إليه الباحث في هذا الموضوع.

وكنا اقترحنا على وزارة الإرشاد و الأنباء تحقيق هذا الكتاب لشأنه الذي بيّنا، واقترحنا أن يقوم على تحقيقه العالم المجتهد عبد الستار فرّاج، فقبلت مشكورة اقتراحنا. وها هو ذا الكتاب يصدر للناس.

والمعنيّون بالتراث العربي يعرفون ما حققه وأصدره الأستاذ عبد الستار من قبل، من عيون المخطوطات القديمة النادرة، وليس من سبيل إلى تعدادها كلها، ويكفي أن نذكر أنه أخرج كتاب الورقة لابن الجراح، وطبقات الشعراء لابن المعتز، والوزراء للصابي، معجم الشعراء للمرزباني، والمؤتلف والمختلف للآمدي، وأخبار أبي نواس للأبي هِفّان، وشرح أشعار الهذليين للسكّري، وأخرج تسعة أجزاء من كتاب الأغاني لأبي الفرج أتمّ بها ما صدر عن دار الكتب المصرية. وهذا كله نتاج غزير، أوتيَّ صاحبه عليه الكثير من الثناء والتقدير.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب «**مآثر الإنافة في معالم الخلافة**» من الكتب النادرة التي لم تطبع من قبل، ألّفه القلقشندي صاحب كتاب «**صبح الأعشى في كتابه الإنشا**»، والذي يرى كتابه «صبح الأعشى» يدرك مقدار ما للمؤلف من سعة اطِّلاع وكثرة معلومات، ويعرف أن تراثنا حافل بالمثمر المفيد.

وكتاب «مآثر الإنافة» تجري فيه المعلومات بطريقة مرتبة، في دقة ونظام بديع، وتتوالى الحوادث والتواريخ بأسلوب سهل ممتنع، بحيث ينطلق وراءها القارىء في غير ملل ولا سأم، ثم تجيء بعد ذلك أنواع العهود والعقود والمخاطبات، فيلمس القارىء ما بين العصور من تفاوت، في الإنشاء والبيان، من أسلوب جميل، إلى سجع متكلف، هذا إلى جانب ما ساقه المؤلف من طرائف وأوائل وتنبيهات تمتع القارىء وتزيد معلوماته ومعارفه.

وإن الشكر ليوجّه «إلى وزارة الإرشاد والأنباء» في الكويت، التي أفسحت صدرها لنشر تراثنا العربي في أحسن ثواب.

والقلقشندي أحمد بن عبد الله، ولد سنة ست وخمسين وسبعمائة واشتغل بالفقه وغيره، وسمع على علماء عصره، وبرع في العربية نظماً ونثراً وكتب في الإنشاء، وناب في الحكم، يجمع إلى كل ذلك تواضعاً ومروءةً وخيراً، توفي يوم السبت عاشر جمادي الآخرة سنة ٨٢١هـ - وله خمس وستون سنة.

ترجم له السخاوي في الضوء اللامع باسم أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال أبي اليمن الفزاري القلقشندي ثم القاهري. وترجم له صاحب شذرات الذهب في وفيات سنة ٨٢١هـ- فذكره أيضاً باسم أحمد بن علي[١] لكن النسخة المخطوطة التي حققتها من «مآثر الإنافة» كتب عليها ما يأتي:

«**كتاب مآثر الإنافة في معالم الخلافة مما قصد بتأليفه الديوان العزيزيّ العالي**

(١) وجاء أيضاً في الأعلام الزركلي باسم أحمد بن علي، عن الضوء اللامع وبعض المراجع الحديثة.

المولويّ السيديّ النبويّ الإماميّ الأعظمي المعتضديّ. أعزّ الله به تعالى الدين تاليف الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عبد الله القلقشندي الشافعي قرن الله مقاصده بالقبول».

وقال السخاوي في الضوء اللامع: إن العيني والمقريزي ترجما للقلقشندي، وذكرا أن والدهُ اسمه عبد الله. ثم عقب على ذلك بقوله: وهو وَهَمٌ.

إلا أن المثبت على مخطوطة «مآثر الإنافة» ينفي هذا الوهم، وبخاصة أن النسخة خزائنية جميلة الخط، مُحَلاَة الغلاف، وإن كان لم يثبت تاريخ نسخها، ولولا ما فيها من بعض الأخطاء لقلت إنها بخط المؤلف نفسه[1].

وقد صورت نسخة هذا الكتاب من مكتبة حميد الله.

وهذا الكتاب ألفه القلقشندي بعد كتابه «صبح الأعشى» وكتابه «نهاية الأرب في أنساب العرب»، فقد أشار إليهما في «مآثر الإنافة» وبخاصة «صبح الأعشى» الذي أكثر من ذكره عند ذكر العهود والمكاتبات. ويلاحظ أن النصوص التي في «مآثر الإنافة» و«صبح الأعشى» تتفق في نقص بعض الجُمَلِ التي أدخلها محققو صبح الأعشى، وأن الكتابين يصحح كل منهما الآخر فيما دخلهما من تصحيف.

ويبدو أن «مآثر الإنافة» آخر ما ألفه، لم يُذْكَر هذا الكتاب في الضوء اللامع ولا شذرات الذهب وخفي اسمه على المحدثين ويقول القلقشندي في كتابه مآثر الإنافة الجزء الثاني صفحة٢١١ ما يأتي: «إلى حين تأليف هذا الكتاب في مبادىء سنة تسع عشرة وثمانمائة». وفي صفحة ٢٥٥ «وهو القائم» بها إلى زماننا في سنة ثمان عشرة وثمانمائة».

ومعلوم أن القلقشندي توفي في منتصف عام ٨٢١ هجرية. وما في هذا الكتاب وطريقته يُغْنيان عن أدلة تثبت أن صاحبه هُوْ القلقشندي. والقلقشندي نسبة إلى «قَلْقَشَنْدَة» بلدة من أعمال القليوبية بمصر. وهو أيضاً أصيل من قبيلة فزارة من ذبيان من غطفان، وقد نص على ذلك في كتابه صبح الأعشى ج١ ص ٣٤٥ قال:

«ومن فزارة بنو مازن وبنو بدر، فأما بنو مازن فهم بنو مازن بن فزارة. وأما بنو بدر فهم بنو بدر بن عَديٍّ بن فزارة، قال في العبر: وفيهم كانت رياسة بني فزارة في الجاهلية، يرأسون جميع غطفان، وتدَين لهم قيس وإخوانهم بنو ثعلبة بن عَديٍّ، ومنهم كان حذيفة بن بدر صاحب الفرس المعروفة بالغبراء المقدم ذكرها «صفحة ٣٤٤» ومن بني بدر هؤلاء وبني عمهم بني مازن جماعةٌ بالقليوبية من الديار المصرية. قلت: وبنو بَدْرٍ هم قبيلتنا التي إليها

---

(١) انظر عن القلقشندي أيضاً ما نشره الدكتور عبد اللطيف حمزة في سلسلة أعلام العرب. وما كتبه الأستاذ إبراهيم الأبياري في مقدمة كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.

نَغْتزِي، وفيها ننتسب، وأهل بلدتنا قَلْقَشَنْدَة نصفهم من بني بدر ونصفهم من بني مازن».

فلا عجب إذن أن يجد الكتاب قبولاً لدى دولة عربية كريمة هي الكويت، فتنشره ضمن سلسلة «التراث العربي» التي نرجو الله أن يجعلها متصلة الحلقات، جامعة لِما يفخر به العرب في كل مكان وزمان.

عبد الستار أحمد فراج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت»

الحمد لله الذي جعل الخلافة الدّاوودية بإمامها الأعظم ثابتةَ القواعد، ومدّ رِوَاقها المُعْتَضديَّ على كافَّة الأمة فأروى بصَوْب عِهاده المعاهد، وصيّر بيتها المعمور كعبةً للقُصَّاد ومحرابَها الإماميَّ وِجْهةً للمقاصد، وجمع لها نعوت الفضل في قَرَنٍ[1] فناصرُها المنصور وطالعها الرشيد ومُسترشِدها المهتدى إلى أرشد المراشد، أحمده على أن رفع قدر الديار المصرية بنقل الخلافة المقدسة إليها، وقدّمها على سائر الممالك فأمستْ ومدَارُها في المهمات عليها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يتجاوز فضلها الحدّ، ويتوارثها الخلف عن السلف، فيرويها الابنُ عن الأب عن الجَدّ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أفضل نبي عمّت دعوته أقاصِيَ الكون على بُعْد المسافة، وبقيت معجزتُه على مرّ الزمانُ حيث بشَّر عمَّه العباسَ أن ببنيه تُختم الخِلافة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين قُلِّدوا أمور المِلّة فحَمَوْا سَرْحَها[2] وصانوا، وحملوا أعباء الشريعة فما ضَعُفوا عن حملها وما استكانوا، صلاةً يدوم في الوجود حُكْمُها، ولا ينقطع على تعاقب الأيّام رَسْمُها.

وبعد، فلما كانت الخلافة هي حَظيرةَ الإسلام ومُحيط دائرته، ومَرْبَع رعاياه ومَرْتع سائمته، بها يُحفظ الدِّينُ ويُحمَى، وتصان بَيْضة الإسلام وتَسكُن الدَّهْمَا، وتُقام الحدود فتُمْنَعُ المحارمُ عن الانتهاك، وتحفظ الفروجُ فنصان الأنساب عن الاختلاط والاشتباك، وتُحَصَّن الثغورُ فلا تُطرَق، ويذاد عن الحُرَم فلا تُقْرَع جُنَّةُ جَماها[3] ولا تُرْشق، لاسيما

---

(١) القرن: جبل يقرن به البعيران.

(٢) السرح: فناء الدار وكل شجر طال.

(٣) الجمي: ظهر كل شيء، وشخصه.

الخلافةُ العباسية التي هي واسطة عقْدِها،(٢ب) وخُلاصة سَبْكِها وخالص نقدِها، وغاية طلبها وضالَّة نَشْدِها، وكانت قد فَوّضت إلى الديار المصرية خيامها فاستغنت بها عن السِّوَى. وحطّت بفنائها الأنيق رَحْلَها فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوى، وتفيّأتْ ظلالَها فجعلتها دار الإمامة وقُبّة الإسلام، وعلمت أنها خيرٌ مُستقرًا فاستغنَت بها عن دار السلام[1]، فكان لها بالبيت الحاكِميّ أحمدُ عُقْبى، واستأثرت من بَقاياه بخير أئمة فجَرَّت أذيالها تِيهاً وماسَتْ بأعطافها عُجْبا، ثم لم تزل تحُثُّ مَطِيَّتَها، وتُعْمِل رَوِيَّتها، إلى أن أناخت بفناء الإمام الأعظمْ، والخليفة الذي إن كان في الزمان متأخراً فهو في الحقيقة مُقَدَّم، والسيّد الذي هو من آبائه الخلفاء الراشدين خيرُ خَلف، فمن وَلَدِ المستكفى الأكفاءِ ومن عَقب الحاكم الأحكم، الإمام المعتضد بالله أبي الفتح داودَ أميرِ المؤمنين بنِ الإمام المتوكل[2] على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أي بكر، أيّد الله تعالى به الدّين، وأعزّ بأعلامه المنصورة عِصابةَ المسلمين، فَأنسَتْ مآثره المُعتضديّة ما عُرِف للمعتضد الأوّل من المآثر، وأَرْبَتْ على الأوائل مناقبه الجليلةُ حتى قيل: كم ترك الأولُ للآخر، وأشْعَرَتْ بالفَتْح كُنْيَتُه الشريفة فخَفَقتْ بالنصر راياتُه السُّود، وآذنت بالفضل خلافتُه المعظَّمة ولا يُنكَر فَضْلُ الخلافة لداود.

أحببت أن أخدم خِزانته العالية بتأليفٍ في معالم الخلافة يَشتمل على دقائق حقائقها، ويتكفَّل بذكر لوازمها المستظرَفةِ ولواحِقها، مُحَلِّياً له من جواهر المناقب المعتضدية بما يعلو به قدره، وتغلو به قيمته ويرتفع به ذكْره، ليسير هذا التأليف (٣ ا) بانتسابه إليه في الآفاق سَير المَثَل، ويُخَلِّدَ بذِكْر مناقبه الشريفةِ ذِكْرُه على مرّ الدهورِ وتعاقُب الدُّوَل، وسمّيته «مآثر الإنافة في معالم الخلافة». على أني أعتذر مما أتيت، وأستغفر مما لمثله تصدَّيت، إذا لم أكن من قبيل هذا الشّأن، ولا من فُرسان هذا الميدان، بل أميرُ المؤمنين أمتع الله الوجودَ بوجوده بذلك أدْرَى، وبمعرفته أجدرُ وأَحْرى، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هَجَر،[3] والمقابل بِبُلالة الرَّشْح زاخرَ البحر وَهامِعَ المطر، وإنما قصدت بذلك التقرُّبَ إلى خاطره الشريف، والشكرَ لما أسلف من بِرّه التالِدِ ونَوَاله الطّريف، والله تعالى يَقْرِنه بالقَبول، ويَبسُط بالمَمَادح المعتضديّة لسانَ مُؤلّفه فيقول ويطول.

---

(١) دار السلام: بغداد.

(٢) في الأصل «الامام الأعظم بن المتوكل على الله» وعلى كلمة الأعظم علامة الإضراب عنها وانظر آخر الكتاب ج ٣ ص ٣٧٥ فنسبه كما هو مثبت.

(٣) في مجمع الأمثال في الباب الثاني والعشرين «كمستبضع التمر إلى هجر» قال أبو عبيد: هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها، وذلك أن هجر معدن التمر والمستبضع إليه مخطىء.

وقد رتبته على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة.

المقدمة

في معنى الخلافة، ومن ينطلق عليه اسم الخليفة، ومن تكون عنه الخلافة، وكيفية النسبة إلى الخليفة، وما يقع عليه من الكُنية والألقاب.

الباب الأول

في وجوب عَقْد الإمامة لمن يَقوم بها، وبيان شروط الإمامة التي لا تصح بدونها، والطرق التي تنعقد بها، وما يلزم الخليفة للرعية، وما يلزم الرعيةَ للخليفة، وما ينعزل به الخليفة ويخرج به عن الإمامة.

الباب الثاني

في ذكر من وَلِيَ الخلافة من صدر الإسلام وهَلُمَّ جرّا إلى زماننا (٣ ب) وتفصيلِ حال كلّ خليفة منهم وولاة أقطار الإسلام شرقاً وغرباً في زمانه، والحوادث والمَاجَرياتِ الواقعة في أيامه، وبيان مَقَرّات الخلافة وما أنطوَتْ عليه من الأقاليم، وترتيبِ الخلافة على ما كانت عليه في الزمن القديم، وذكر المشاهير من ادَّعى الخلافةَ في بعض الأقاليم وبطلان شُبْهة دَعَاوِيهم.

الباب الثالث

في ذكر ما يُكتب للخلفاء من البيعات والعهود في القديم والحديث.

الباب الرابع

فيما كان يُكتب عن الخلفاء من ولايات ملوك الأقاليم وأُمرائها، وولايات الوزراء والقضاة، والولاية على الصلوات، ونقابةَ ذوي الأنساب، وغير ذلك من سائر الولايات الدينية والديوانية، وما يكتب عنهم الآن.

الباب الخامس

فيما كان يكتب عن الخلفاء في الإقطاعات وتحويل السنين، وإلزام أهل الذِّمة الشرائط اللازمةَ لهم.

الباب السادس

في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد بالخلافة، والكتبِ الصادرة عن الملوك والوزراء ونحوهم إليهم.

❐ الباب السابع

في ذِكر أوائل منسوبةٍ إلى الخلفاء وغرائبَ ومُلَحٍ وأعاجيبَ تتعَّلق بهم.

❐ الخاتمة

(١٤) في ذكر طرف من مناقب الإمام الأعظم المعتضدِ بالله خليفةِ العصر الموضوع له هذا الكتاب.

وهذا بسط هذه الترجمة وتفصيلها.

مقدمـــة

في معنى الخلافةِ، ومن ينطلق عليه اسم الخليفة، ومن تكون عنه الخلافة، وكيفية النسبة إلى الخليفة، وما يقع عليه من الكُنية والألْقاب، وفيه فصلان:

الفصل الأول

في معنى الخلافة، ومن ينطلق عليه اسم الخليفة، ومن تكون عنه الخلافة، وكيفية النسبة إلى الخليفة.

أما الخلافة فهي في الأصل مصدر خَلَف، يقال: خلَفَه في قومه يخلُفه خِلافة فهو خَلِيفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف: الآية ١٤٢]، ثم أُطلقت في العُرْف العامّ على الزَّعامة العُظمَى، وهي الوِلاية العامّة على كافّة الأمّة، والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها. والخِلِّيفَى - بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة - لغةٌ في الخلافة حكاها الجوهريُّ وغيره، قال ابنُ الأثير[1] في «نهايته في غريب الحديث»: وهو من المصادر الدالّة على معنى الكثرة، ومنه قولُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أطيق الأذان مع الخِلِّيفَى لأذَّنت. يريد أنه مشتغل عن الأذان بكثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنَّته.[2] وقد (٤ ب) اختُلف في لفظ الخليفة.

فقيل: هو فَعِيلٌ بمعنى مَفعول، كجَريح بمعنى مجروح، وقتيل بمعنى مقتول، ويكون المعنى أنه يَخلفه مَنْ بعده، وعليه حُمِلَ قولُه تعالى في حق آدم عليه السلام ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: الآية ٣٠] على قول من قال: إن آدمَ أوّلُ من عَمَرَ الأرضَ وخلفه فيها بنوه بعده.

---

(١) ابن الأثير هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب مجد الدين ولد سنة٥٤٤ هـ توفي سنة ٦٠٦ انظر ترجمته في ابن خلكان.

(٢) في النهاية لابن الأثير مادة خلف ج ١ ص ٢١٥ المطبعة العثمانية سنة: ١٣١١: وفي حديث عمر: «لو أطقت الأذان مع الخليفي لأذنت». الخليفي بالكسرة والتشديد والقصر الخلافة وهو وأمثاله: من الابنية كالرِّميا والذليلا مصدر يدر على معنى الكثرة يريد به كثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنتها.

وقيل: هو فَعيل بمعنى فاعل، كعليم بمعنى عالم، وقدير بمعنى قادر، ويكون المعنى فيه أنه يَخْلُف من بعده[1]، وعليه حَمَلَ الآيةَ السابقة ـ وهي قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: الآية ٣٠] ـ من قال: إنه كان قبل آدمَ عليه في الأرضِ الجنُّ أو الملائكةُ وإنه خلفهم فيها. واختاره أبو جعفر النحاسُ[2] في كتابه «صناعة الكُتَّاب» وعليه اقتصر الماوردي[3] في «الأحكام السلطانية»[4] قال النحاس: وعليه خوطب أبو بكر رضي الله عنه بخليفة رسول الله، وعلى ذلك ينطبق كلام البَغَويّ[5] في «شرح السنّة» حيث سُمِّيَ خليفة لأنه خلف الماضي قبله، ثم قال النحاس: وإطلاق الخليفة على أمير المؤمنين يحتمل الوجهين جميعاً.

واختلف في الهاء في آخره، فقيل: أدخلت فيه للمبالغة، كما أدخلت في رجل داهية للكثير الدهاء، وراوية للكثير الرواية، وعلاَّمة للكثير العلم. وهو قول الفَرَّاء[6] واستحسنه النحاس ناقلاً له عن أكثر النحويين، ونُقِلَ عن علي بن سليمان[7] تَخْطئته احتجاجاً بأنه لو كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقيًّا، وليس كذلك، وقيل: الهاء فيه لتأنيث الصيغة، قال النحاس: وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه فقالوا، فلانٌ خليفُ فلانٍ، يعنون خليفته.

ثم الأصل فيه التذكير نظراً للمعنى، لأن المراد بالخليفة رجلٌ وهو يُذَكّر فتقول: أمر الخليفة بكذا، على التذكير، وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على اللفظ (٥ ا) فيقال أمَرَتِ الخليفةُ بكذا. وأنشد الفراء[8]:

أَبــوك خـلـيـفـةٌ ولـدَتْـه أُخـرى   وأَنــت خـلـيـفـةٌ ذاك الـكـمـالُ

.ومنع البصريّون ذلك محتجّين بأنه لو جاز ذلك لجاز: قالت طلحةُ، في رجل اسمه طلحةُ، وهو ممتنع، قال النحاس: فإن ظهر اسمُ الخليفة تعيَّن التذكير باتّفاق، فتقول: قال الراضي الخليفةُ، ونحو ذلك.

---

(١) كذا في الأصل ولعلها «قبله».

(٢) أبو جعفر النحاس هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري توفي بمصر سنة ٣٣٨هـ- انظر ترجمته في ابن خلكان وفي إنباه الرواة ومصادره فيه.

(٣) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري توفي سنة ٤٥٠ وعمره ٨٦ سنة انظر ترجمته في ابن خلكان.

(٤) في الأحكام السلطانية ص ١٢ مطبعة السعادة سنة ١٩٠٩ ويسمى خليفة لأنه خلف رسول الله ﷺ في أمته.

(٥) البغوي: هو الحسن بن مسعود توفي سنة ٥١٠ أو سنة ٥١٦ انظر شذرات الذهب ج٤ ص ٤٨ وابن خلكان ترجمته.

(٦) الفراء هو يحيى بن زياد ولد سنة ١٤٤هـ- مات سنة ٢٠٥ انظر ترجمته في بن خلكان.

(٧) علي بن سليمان هو الأخفش الأصغر النحوي توفي سنة ٣١٥هـ- انظر بن خلكان ترجمته.

(٨) انظر البيت في اللسان مادة خلف.

ويجمع الخليفةُ على خلفاء، على معنى التذكير دون اللفظ، كما في جمع كريم على كُرماء، وظريف على ظُرفاء. وعليه ورد قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: الآية ٦٩] ، ويجمع أيضاً على خلائف حملا على تأنيث اللفظ، كما تجمع صحيفة على صحائف، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٥] ، قال النحاس: ويجوز أن يُجمع على خِلافٍ، ككريم وكِرام، لأن الهاء زائدة.

وأما من ينطلق عليه اسم الخليفة. فقد ذهب جماعة من أئمة السلف منهم أحمد بن حنبل رحمه الله إلى كراهة إطلاق اسم الخليفة على من بعد الحسن بن علي رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره، محتجين بما رواه أبو داودَ والتِّرمذِي[1] من حديث سَفِينةَ: أن رسول الله ﷺ قال: **الخلافة في أُمتي ثلاثون سنة ثم مُلْك بعد ذلك**. قال سعيد بن جَهْمان ثم قال [لي سفينةُ]: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ثم قال: أمسك خلافة عليّ وخلافة الحسن، فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد: فقلت له: إنّ بني أُمية يزعمون أن الخلافة فيهم. قال: كذب بنو الزَّرْقَاء، هم ملوك من شرّ الملوك.

والذي عليه العُرْف المشاع من صدر الإسلام وهلم جرّا إطلاق اسم الخليفة على كل (٥ ب) من قام بأمر المسلمين القيامَ العامّ على ما تقدم، إما ببيعة من أهل الحل والعقد، وإما بعَهْد ممن قَبْله على ما سيأتي ذكره إن شاءَ الله تعالى. إلاّ أن بعض السلف قد خصص ذلك بما إذا كان الإمام جارياً على منهاج العدل وطريق الحق. فقد رُوي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل طلحة والزبير وكَعْباً وسلمان عن الفرق بين الخليفة والمَلِك، فقال طلحة والزبير: لا ندري، فقال سَلْمَان الخليفة: الذي يَعْدِل في الرعية ويَقسم بينهم بالسَّوِيَّة، ويُشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، والوالد على ولده، ويقضي بينهم بكتاب الله تعالى. فقال كعب: ما كنت أحسب أن في هذا المجلس من يُفَرِّق بين الخليفة والمَلِك. ولكنّ الله تعالى أَلْهَم سلمانَ حُكْماً وعِلْماً. وعلى ذلك يُحْمل ما رُوى أن أعرابياً قال لأبي بكر رضي الله عنه: أنت خليفة رسول الله ﷺ. قال لا، قال: فما أنت؟ قال: أنا الخالِفة بعده. قال ابن الأثير[2]: قال ذلك تواضعاً وهَضْماً من نفسه حين قال له أنت خليفة رسول الله ﷺ، أي أن الخليفة هو الذي يقوم مَقام الذاهب ويسدُّ مَسدَّه، والخالفة هو الذي لا غناء عنده ولا خير فيه. على أن البغوي قال في «شرح السنّة»: إنه يسمى خليفة، وإن كان مخالفاً لسيرة أهل العدل.

وأما من تكون عنه الخلافة فللعلماء فيه ثلاثة مذاهب:

---

(١) الترمذي ج٩ ص ٧١ وأبو داود ج٢ ص ١٧١.

(٢) النهاية لابن الأثير ج١ ص ٣١٥ مادة خلف.

المذهب الأول: أن الخلافة تكون عن الله تعالى فيقال في الخليفة: خليفةُ الله. وهو ما حكاه الماوردي في «الأحكام السلطانية» عن بعضهم لقيامه بحقوقه تعالى في خلقه احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٥] ثم قال: وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك ونسبوا قائله إلى التجوز محتجّين بأنه إنما (١٦) يَسْتخلِف من يغيب أو يموت، والله تعالى باقٍ موجود على الأبد لا يغيب ولا يموت. وذكر الشيخ محيي الدين النووي[1] رحمه الله في كتابه «الأذكار» نحوه، وقال: ينبغي أن لا يقال للقائم بأمر المسلمين: خليفةُ الله. ويؤيد ذلك ما حُكي أنه قيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: يا خليفة الله، فقال: لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: يا خليفة الله. فقال: ويلك لقد تناولتَ مُتناولاً بَعيداً، إن أُمي سمتني عُمر، فلو دعوتَني بهذا الاسم قبلتُ، ثم كبرت فَكُنّيت أبا حَفْص، فلو دعوتني به قبلتُ، ثم ولّيتموني أُمورَكم فسميتموني أمير المؤمنين، فلو دعوتني بذلك كفاك. وأجاز البغوي ذلك في حق آدم وداود عليهما السلام دون غيرهما، محتجًّا بقوله تعالى في حقّ آدم: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: الآية ٣٠] وبقوله في حقّ داود ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: الآية ٢٦] قال: ولا يسمى أحد خليفةَ الله بعدهما.

وأجاز الزمخشري[2] في «تفسيره» ذلك في سائر الأنبياء عليهم السلام.

المذهب الثاني: أن الخلافة تكون عن رسول الله ﷺ، فيقال فيه: خليفة رسول الله ﷺ لأنه خلفه في أُمته، وعليه ينطبق كلام الماوردي في «الأحكام السلطانية» والنحاس في «صناعة الكتاب» وعلى ذلك خوطب أبو بكر رضي الله عنه بخليفة رسول الله ﷺ، وقد تقدم في المذهب الأول أنه لما قيل له: يا خليفة الله، قال: لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ. وعلى ذلك ينطبق كلام البغوي في «شرح السنّة» حيث قال: الخليفة وخليفة رسول الله. وتبعه النووي على ذلك في «الروضة».

المذهب الثالث أن الخلافة قد تكون عن الخليفة قبل ذلك الخليفةِ، فيقال: فلان خليفة فلان، واحداً بعد واحد، حتى ينتهي إلى أبي بكر رضي الله عنه (٦ ب) فيقال فيه: خليفة رسول الله ﷺ. وعلى ذلك خُوطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول أمره بخليفة [خليفة] رسول الله.

وأما كيفية النسبة إلى الخليفة

---

(١) هو يحيى بن شرف توفي سنة ٦٧٦، شذرات الذهب، ج٥ ص ٣٥٤.

(٢) هو محمود بن عمر توفي سنة ٥٣٨، شذرات الذهب ج ٤ ص ١١٨ وابن خلكان ترجمته وانظر تفسيره ج١ ص ٢٠٩ «إني جاعل في الأرض خليفة» لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي.

فإنه يقال خَلَفِيٌّ بفتح الخاء واللام، كما ينسب إلى حنيفة حَنَفِيٌ. وقول العامة: درهم خَلِيفَتِيٌّ ونحوُه خطأ، إذ قاعدة النسب أن يُحذف من المنسوب إليه الياء وتاء التأنيث على ما هو مقرر في كتب النحو.

الفصل الثاني

فيما يقع على الخليفة من الكُنية والألقاب.

أما ما يقع على الخليفة من الكنية، فلم تزل الكُنى جارية على الخلفاء من بدء الخلافة وهلم جرّا، جرياً في ذلك على عادة العرب في الاهتمام بشأن الكنية، والاعتناء بأمرها، والتعظيم بوصفها، فكانت كنيةُ الصدّيق رضي الله عنه أبا بكر، وكنية عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا حَفْص، وكنية عثمان رضي الله عنه أبا عَمْرٍو، وكنية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الحسن. واستمر الأمر فيهم على ذلك إلى زماننا. بل ربما لزمت الكنيةُ أحدَهم حتى لم تكد تفارقه، كأبي العباس السَّفاح، وأبي جعفرِ المنصورِ، وغيرهما. وقد قال النووي في «الأذكار»: والأدبُ أن يخاطب أهلُ الفضل ومن قاربهم بالكنية، وكذلك إن كُتِب إلى أحد منهم رسالة أو رُوي عنه رواية. وقد كان الأوَلُ أكثر ما يعظم بعضهم بعضاً في المخاطبات والمكاتبات ونحوها بالكنى، وَيَرَوْن ذلك في غاية الرفعة ونهاية التعظيم. ومما يجب التنبيه عليه هنا أنه كان (١٧) للرجل ولد واحد كني به بلا نزاع، فإن كان له ولدان فأكثر كني بأكبرهم. فقد كان النبي ﷺ يُكنى أبا القاسم، وكان القاسم أكبر بنيه.

وفي سنن أبي داود والنَّسائي[(١)]، عن شُريح الحارثي [عن أبيه] [(٢)] أنه وفد على رسول الله ﷺ مع قومه، فسمعهم رسولُ الله ﷺ يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: **إن الله هو الحكم، فَلِمَ تكنى أَبا الحكم:** فقال: إن قومي اختلفوا في شيء فأتوني فحكمت[(٣)] بينهم: فرضي كِلا الفريقين. فقال رسول الله ﷺ: **ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟** قال: شُريح ومسلم وعبد الله. قال: **فمن أكبرهم؟** قال شريح، قال: **أنت أبو شريح**.

قال النووي: فلو تكنى بغير أولاده فلا بأس، فلو لم يكن له ولد أصلا بأن يولد له فإنه يجوز تكنيته، حتى الصغير، قال: وقد كان تَكَنَّى جماعةٌ من الصحابة رضوان الله عليهم قبل أن يولد لهم، كأبي هريرة، وخلائقَ لا يُحصون من التابعين. قال: ولا كراهية فيه، بل هو محبوب بشرطه. ثم قد يكون للرجل كنيتان فأكثر، فقد كان لأمير المؤمنين

---

(١) أبو داود ج٢ ص ١٩٩. والنسائي ج٨ ص ٢٢٦.

(٢) اسمه هانىء بن يزيد بن نهيك انظر الإصابة حرف الهاء القسم الأول.

(٣) في الإصابة: قال لأن قومي إذا اختلفوا في شي أتوني فحكمت بينهم...

عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلاثُ كنى: أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو لَيْلى.

وأما ما يقع على الخليفة من الألقاب فأربعة ألقاب:

اللقب الأول عبدُ الله. وأول من تلقب بذلك من الخلفاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان يكتب في كتبه الصادرة عنه: من عبد الله عمرَ أميرِ المؤمنين. وتبعه مَنْ بعده من الخلفاء على ذلك ولزموه، حتى أن المأمون كان اسمه عبدُ الله، فكان يكرِّر في كتبه وعهوده لفظ عبد الله مرتين، الأولى منهما اللقب والثانية الاسم الخاص، فكان يكتب في كتبه: من عبدِ الله عبدِ الله بن هارون. وفي العهود: هذا ما عهد (٧ ب) عبدُ الله عبدُ الله[(١)] بن هارون.

قلت: ثم أحدث الخلفاء الفاطميّون بالديار المصرية أيام قيامهم بها بعد ذلك: وَوَلِيّه. فكان يُكتَب في كتب خلفائهم: من عبد الله وَوَلِيِّه فلان أميرِ المؤمنين. حتى كان العاضدُ آخرُ خلفائهم بها. وكان اسمه عبدَ الله، فكان يُكْتَب عنه: من عبدِ الله ووليِّه عبدِ الله. إلى آخره. ثم تبعهم على ذلك خلفاء بني العباس بالديار المصرية أيضاً بعد تحول الخلافة من بغداد إلى مصر، والأمرُ باقٍ على ذلك إلى الآن.

اللقب الثاني الإمام. وهو من الألقاب المُسْتجَدَّة للخليفة في أثناء الدولة العباسية بالعراق. والأصل في ذلك أن الشّيعة كانوا يُعبِّرون عمن يقوم بأمرهم بالإمام، من حيث إن الإمام في اللغة هو الذي يُقتدى به. وهم بأئمتهم مُقتدون، وعند أقوالهم وأفعالهم واقفون، لاعتقادهم فيهم العِصْمة. وكان إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قد تلقب حين أُخذت له البيعة بالخلافة بالإمام، نسْجاً على هذا المنوال، وبقي في خلفاء بني العباس إلى الآن.

اللقب الثالث لقب الخلافة الخاص بها. كالمنصور والهادي، والرشيد، والمأمون، والمعتصم بالله، والمتوكل على الله، ونحوِ ذلك، على ما سيأتي ذكره في تراجمهم إن شاء الله تعالى. وقد كان الخلفاء الراشدون من الصحابة رضي الله عنهم بمَعْزِلٍ عن هذه الألقاب. واختُلِف في بني أمية، هل كان لهم ألقاب نحوُ ذلك؟ فذكر القُضَاعيُّ في «عيون المعارف في أخبار الخلائف» أن خلفاء بني أمية لم يتلقّب أحدٌ منهم بألقاب الخلافة، وإنما ابتُدِىء ذلك في الدولة العباسية، وحكى ابنُ حَزْم في بعض مُصنّفاته أن خلفاء بني أمية تلقَّب منهم جماعة بألقاب الخلافة، وأن أوّل من تلقّب منهم بألقاب الخلافة معاوية بن أبي سفيان، (٨ ا) وأن لقبه كان الناصرَ لحقّ الله، ثم تبعه باقي خلفاء بني أمية على

(١) في الأصل: «عبد الله بن عبد الله بن هارون» وهو لا شك سهو.

التلقيب، على ما سيأتي في تراجمهم إن شاء الله تعالى. قال ابن حزم: وليس بصحيح.

أما خلفاء بني العباس فلا نزاع في جَريان ألقاب الخلافة عليهم من بدء أمرهم وإلى آخر وقت، وقد اختُلِف في لقب أبي العباس السّفّاح أولِ خلفائهم فقِيل: القائم، وقيل: المهدي، وقيل: المُرْتضَى، ثم تلقب أخوه أبو جعفرٍ بعده بالمنصور، واستمرّت الألقاب جارية على خلفائهم كذلك، إلى أن ولي الخلافة أبو إسحاق محمد[1] ابن الرشيد بعد أخيه المأمون، فتلقب المعتصمَ بالله، فكان أول من أُضيف في لقبه اسمُ الله تعالى. وجرى الأمر على ذلك فيمن بعده من الخلفاء، كالواثق بالله، والمتوكل على الله، والطائع لله، والقائم بأمر الله، والناصر لدين الله، وما أشبه ذلك.

قلت: وكان من عادتهم أنه لا يتلقب خليفةٌ بلقب خليفة قبله، بل يُقْتَضَبُ[2] لكل خليفة لقبٌ يخصّه، إلى أن صارت الخلافة إلى الديار المصرية، بعد انقراضها من بغداد بقتل التَّتر المستعصمَ، على ما سيأتي ذكره إن شاءَ الله تعالى، فترادفوا على الألقاب السابقة متواردين على ألقاب من سلف من الخلفاء، فتلقب أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله أولُ خلفائهم بها بالمستنصر بالله، وهو لقب أخيه المستنصر بالله بن الظاهر من خلفاء العراق. وتلقب بعده أبو العباس أحمد بن حسين ثاني خلفائهم بالحاكم بأمر الله، وهو لقب أبي عليٍّ المنصور بن العزيز ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية، ثم لم يزالوا على اقتفاء آثار الخلفاء قبلهم إلى الإمام الأعظم المعتضد بالله أبي الفتح داود خليفةِ العصرِ، فتوارد لقبه مع لقب خليفتين قبله، وهما المعتضد بالله أبو العباس أحمد ابن المُوفق طلحة بن المتوكل على الله (٨ ب) جعفر السابع عشر من خلفائهم بالعراق. والمعتضدُ بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى بالله أبي الربيع سُليمان من خلفائهم بمصر، وهو جدّ الإمام المعتضد بالله لأبيه، ولم يتوارد أحدٌ من الخلفاء قبله مع غيره من الخلفاء العباسيين على لقبٍ ثلاث مرات سواه.

واعلم أن كثيراً ممن ادّعى الخلافة في بعض الأقاليم، كالخلفاء الفاطميين بالمغرب وبالديار المصرية، وخلفاء بني أُمية بالأندلس، قد مَشَوْا على نهج خلفاء بني العباس في الألقاب، فتلقب أبو محمد عبيد الله أولُ خلفاء الفاطميين بالمغرب المهديَّ، ثم تلقب بنوه من بعده بالمغرب والديار المصرية بألقاب الخلافة المضاف فيها اسمُ الله، كالقائم بأمر الله، والمنصور بالله، إلى أن كان آخرهم العاضد لدين الله.

---

(١) في الأصل: «أبو إسحاق إبراهيم بن الرشيد» وهو خطأ سيأتي صوابه في ترجمته وكما ذكر أيضاً صواباً في كتابه صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٥٩.

(٢) يقتضب هنا معناها يرتجل. يقال: اقتضب الكلام إذا ارتجله.

وجرى خلفاء بني أمية بالأندلس في أول أمرهم على قاعدة خلافتهم الأولى، من عدم التقليب من لَدُن أوّلهم عبدِ الرحمن الداخل إلى أن ولي منهم عبدُ الرحمن بنُ محمد المعروفُ بالمقتول، وهو الثالثَ عشرَ من خلفائهم بالأندلس، فتلقب بالناصر، بعد أن مَضَى في خلافته تسعٌ وعشرون سنةً، وتبعه مَنْ بعدَه منهم على ذلك، إلى أن ولي عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ عبد الملك بن الناصرِ عبدِ الرحمن المقدَّم ذكرُه فتلقب بالمرتضى بالله، وهو أول من أضيف في لقبه منهم اسم الله تعالى، مضاهاةً لخلفاء بني العباس في ذلك، وجرى مَنْ بعده من خلفائهم على مثل ذلك، إلى أن كان آخرهم هشام بن محمد، فتلقب بالمعتد بالله.

وبزواله في سنة ثمانٍ وعشرين وأربع مائةٍ انقرضت خلافتهم من الأندلس. ثم تبعهم على ذلك ملوكُ الطوائف من بني هُودٍ وغيرِهم، فتلقبوا بألقاب الخلفاء، وكذلك المُوَحِّدون ببلاد المغرِب، فتلقب إمامهم محمد بن تُومَرْتَ بالمهديّ، وتبعه أتباعه على ذلك (٩ ا) فتلقبوا بألقاب الخلفاء، إلى أن كان الأمر منهم في عَقِبِ أبي حَفْصٍ أحدِ العشرة أصحاب ابن تُومُرتَ المذكور، فنسجوا على منوالهم في ذلك،إلى أن كان منهم أبو عبد الله محمدُ بنُ أبي زكريا يحيى، فتلقب بالمستنصر بالله، فكان أوّلَ من أُضيف في لقبه اسمُ الله منهم، وتبعه مَنْ بعده على ذلك إلى زماننا.

قلت: وهؤلاء جميعهم على منوال بني العباس ناسجون، وعلى آثارهم مُقتفون.

*** وأين الثُّريَّا من يدِ المتناوِل ***

اللقب الرابع أمير المؤمنين. وأول من لُقِّب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أثناء خلافته، وكانوا قبل ذلك يَدْعُون أبا بكر رضي الله عنه في خلافته بخليفة رسول الله ﷺ، ثم دعوا عمر بعده في أول خلافته بخليفة خليفة رسول الله.

واختلف في أصل تلقيبه بذلك، فروى أبو جعفر النحاس في كتابه «صناعة الكتاب بسنده إلى أبي وَبْرة[1] أن أبا بكر رضي الله عنه كان يَجْلِد في الشراب أربعين، فجئتُ عمرَ رَضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين، إن خالداً بعثني إليك. قال: فيمَ، قلت: إن الناس قد تَخَافُّوا العقوبةَ. وانهمكوا في الخمر. فما ترى في ذلك؟ فقال عمرُ لمن حوله: ما ترون؟ فقال عليٌّ: نرى يا أمير المؤمنين ثمانين جلدةً، فقبِلَ ذلك عمرُ، فكان أبو وَبْرة ثم عليُّ بن أبي طالب أوّلَ من لقبه بذلك. وذكر أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل»أن أصل ذلك أن عمر رضي الله عنه بعث إلى عامله بالعراق أن يبعث إليه رجلَيْن عارِفَيْن بأمور

---

(١) في الأصل «إلى ابن أبي وبرة» والتصويب من صبح الأعشى ج٥ ص ٤٧٥ وقد جاء بعد ذلك صحيحاً.

العراق يسألهما عما يريد، فأنفذ إليه لبيدَ بنَ ربيعةَ وَعدِيَّ بن حاتم، فلما وصلا المدينة دخلا المسجد. فوجدا عَمْرو بنَ العاص، فقالا له: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقال لهما عمرٌو: أنتما والله أصبتما اسمَه. ثم دخل (٩ ب) على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: ما بَدَا لَك يابن العاص؟ لتخرُجَنَّ من هذا القول، فقص عليه القصةَ فأقره على ذلك، فكان ذلك أوّل تلقيبه بأمير المؤمنين.

قلت: ولزم هذا اللقبُ مَن ولي الخلافة بعده إلى الآن، خلا خلفاء بني أُمية بالأندلس، فإنهم كانوا يُخاطبُون بالإمارة فقط، إلى أن ولي منهم عبدُ الرحمن بن محمد المعروف بالمقتول المقدّمُ ذكرُه، فتلقب بأمير المؤمنين، واستمر ذلك فيهم إلى حين انقراضهم، وملوكُ الحَفْصِيِّينَ من بقايا المُوَحِّدين بإفريقية يُخاطبون في بلادهم بأمير المؤمنين إلى الآن، وتَرِدُ كتبهم على ملوك الديار المصرية متضمِّنةً لذلك.

أما ملوك الغرب الأقصى الآن من بني مَرِين فإنهم يُخاطبون بأمير المسلمين، جرياً على ما استقر عليه أمرُ تلك البلاد من التلقيب بذلك، من حينِ أحدثَ هذا اللقبَ أميرُ المسلمين يوسفُ بنُ تاشفين في دولة المُلَثَّمين من لَمْتُونة من البربر.

الباب الأَول

بعد المقدمة، في وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها، وبيان شروط الإمامة التي لا تصح دونها. والطرق التي تنعقد بها. وما يلزم الخليفَةَ للرعية، وما يلزم الرعيةَ للخليفة، وما ينعزل به الخليفةُ ويخرج به عن الإمامة، وفيه ستة فصول:

الفصل الأَول

في وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها. قال الماوردي: وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع وإن شذ عنه الأصمُّ[(١)]. يعني حيث لم يَقُلْ (١٠ ا) بوجوب ذلك، مشيراً بذلك، إلى أنه لو ندَر المخالفُ مع كثرة المُجمعين لم تنقطع حجِّيَّةُ الإجماع، كما هو الراجح في كتب أصول الفقه.

وقد[(٢)] اختُلف في أصل وجُوبها، فذهب قوم إلى أن وجوبها ثابت بالعقل، لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم عند التنازع، ولولا ذلك لكانوا فوضى مهملين، وقد قال الأفوه الأوْدي وهو شاعر جاهلي[(٣)]

لا يَصلح الناسُ فوضى لا سَراة لهم ولا سراة إذا جُهالُهُمْ سادُوا

وذهب آخرون إلى أنها إنما وجبت بالشرع ولا أثر للعقل في ذلك، لأن الإمام يقوم بأمورٍ شرعية كان يجوز في العقل أن لا يرد التعبد بها، فلم يكن العقل موجباً لها[(٤)]. واحتجّ لذلك بأنه لابد للأمة من إمام يقيم الدين، وينصر السنّة، ويُنصف المظلومين من الظالمين، ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها، قال الماوردي: ولا خلاف بين أهل العلم أنها فرض كفاية كالجهاد ونحوه إذا قام بها من هو أهل لها سقط فرضُها عن كافة الناس، وإن لم يقم بها أحدٌ أثِم من الناس فريقان: أحدُهما أهلُ الحلّ والعقد حتى يختاروا للأُمة إماماً يقوم بأمرهم. والثاني أهل الإمامة حتى ينتصب للإمامة أحدهم. قال: ولا إثم ولا

---

(١) الأحكام السلطانية ص٣: وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع.....

(٢) الأحكام السلطانية ص٣.

(٣) ديوان الأفوه: الطرائف الأدبية ص١٢ وانظر فيه مراجع الشعر.

(٤) الأحكام السلطانية ص٣.

حرج على مَنْ عَدَا هذين الفريقين من سائر الأمة في تأخير إقامة الامام[1] قال النووي في «روضته» فإن لم يكن من يصلح إلا واحد تعيّنت عليه ولزمه طلبها إن لم يَبْتَدُوه.

الفصل الثاني

في شروط الإمامة، وقد اعتبر أصحابنا الشافعية رضي الله عنهم (١٠ب) لصحة عقدها أربعة عشر شرطاً في الإمام.

الأول الذُكورة، فلا تنعقد إمامة المرأة. واحتجَّ له بما رواه البخاري[2] من حديث أبي بَكْر رضي الله عنه أنه قال: نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجَمَل بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأُقاتل معهم. قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ أن أهل فارس ملَّكوا بنت كسرى قال: **لن يُفلح قومٌ وَلَّوْا أمرهم امرأةً**. زاد الترمذي والنَّسائي[3]: فلما قدمت عائشة البصرةَ ذكرتُ قولَ رسول الله ﷺ فَعصَمني الله تعالى به.

والمعنى في ذلك أن الإمام لا يستغني عن الاختلاط بالرجال؛ والمشاورة معهم في الأمور، والمرأةُ ممنوعة من ذلك، ولأنَّ المرأةَ ناقصةٌ في أمر نفسها حتى لا تملك النكاح، فلا تُجْعل إليها الولاية على غيرها.

الثاني البلوغ، فلا تنعقد إمامة الصبى لأنه مُوَلَّى عليه، والنظر في أُموره إلى غيره، فكيف يجوز أن يكون ناظراً في أُمور الأمة؟ على أنه ربما أخل بالأُمور قَصْداً لعلمه بعدم التكليف.

الثالث العقل، فلا تنعقد إمامةُ ذاهب العقل بجنون أو غيره، لأن العقل آلة التدبير، فإذا فات العقل فات التدبيرُ. وقد قسم الماورديّ[4] زوالَ العقل إلى ما لا يرجى زواله وما يرجى زواله:

فأمَّا ما لا يرجى زواله كالجنون والخَبل فَيمنع من عقد الإمامة، سواء كان مُطْبِقاً لا يتخلله إفاقة أو تخلله إفاقة، وسواء كان زمنُ الجنون أكثرَ من زمن الإفاقة أو زمنُ الإفاقة أكثر من زمن الجنون.

وأما ما يرجى زوالهُ كالإغماء فلا يمنع من انعقاد الإمامة، لأنه مَرض قليلُ اللُّبْثِ سريعُ الزوال.

---

(١) الأحكام السلطانية ص٣ مع اختلاف يسير في التعبير.
(٢) البخاري ج٩ ص٥٥.
(٣) الترمذي ج٩ ص١١٩ والنسائي ج٨ ص٢٢٧.
(٤) الأحكام السلطانية ص١٤.

الرابع البصر، فلا تنعقد إمامة الأعمى، لأنه إذا مُنع عقدَ ولاية القضاء (١١ أ) وجواز الشهادة فمنعه صحّةَ الإمامة أولى.

أما عَشَاءُ العين ـ وهو أن لا يبصر معه ليلاً ـ فإنه لا يمنع صحة عقدها، لأنه مَرضٌ في زمان الدعة يرجى زواله.

وأما ضعف البصر فقد قال الماوردي[١] إنه إن كان يمنع معه معرفة الأشخاص إذا رآها فإنه يمنع من الانعقاد، وإن كان لا يمنع معرفة الأشخاص عند رؤيتها لم يمنع من الانعقاد.

الخامس السمع، فلا تنعقد إمامة الأصم، وهو الذي لا يسمع البتةَ، لأنه يتعذّر عليه بذلك سماعُ مصالح المسلمين، ولأن ذلك يمنع ولاية القضاء، فَلأن يُمنع ولاية الإمامة أولى.

أما ثقل السمع وهو الذي يدرك معه الصوت العالي فقد قيل: إنه يمنع عقد الإمامة، وقيل: لا يمنع.

السادس النطق، فلا تنعقد. إمامة الأخرس، لما في ذلك من فوات مصالح الأُمة بعدم القدرة على النطق عند الخطاب. واختُلف في تتمة اللسان ونحوها، فقيل: يمنع انعقاد الإمامة وقيل: لا يمنع.

السابع سلامة الأعضاء من نقصٍ يمنع استيفاء الحركة وسرعةَ النهوض، فلا تنعقد إمامة من ذهبت يداه أو رجلاه لعجزه عما يلحقه من حقوق الأُمة.

أما ما يمنع بعضَ العمل أو فقد به بعض النهوض، كذهاب بعض اليدين أو إحدى الرِّجلين، فالذي ذهب إليه الماوردي[٢] وصححه الرافعي[٣] من أئمة أصحابنا الشافعية أنه لا تنعقد معه الإمامة، وخالف أبو سعد المُتَوَلّي[٤] من أصحابنا الشافعية في ذلك، فذهب إلى انعقادها. ولا أثر لما لا يؤثر فقده من الإعضاءِ في رأي ولا عمل ولا نهوض، كقطع الذكر والأُنثيين ونحو ذلك.

قلت: وقد رأيت في «مناهج الفكر ومباهج العبر» أن الخَصِيَّ إن خُصِيَ قبل التِّسع حُفِظت عليه صفات الطُّفولية حتى إذا غضب بكى كالطفل إذا غضب، وإن خُصي لما بعد ثماني عشرة سنة حُفِظت عليه صفات الرُّجُوليَّة. (١١ ب) وإن خصي لما بين ذلك فأي

---

(١) الأحكام السلطانية ص١٥.

(٢) الأحكام السلطانية ص١٥.

(٣) الرافعي هو عبد الكريم بن محمد توفي نة ٦٢٣ فوات الوفيات ترجمته وشذرات الذهب ج٥ ص ١٠٨.

(٤) المتولي هو عبد الرحمن بن مأمون توفي سنة ٤٧٨ ابن خلكان ترجمته وشذرات الذهب ٢ ـ ٣٥٨ وفي الأصل كتب أبو سعيد.

الأمرين كان إليه أقرب فهو إلى طبعه أميل، فإن صح ذلك فينبغي أن يراعى مثله في قطع الذكر والأنثيين.

الثامن الحُرِّية، فلا تنعقد إمامة من فيه رق في الجملة سواء القِنُّ[1] والمُبعَّض، والمُكاتَب والمُدَبَّر، والمُعَلَّق عِتْقُه بصفة، لأن الرقيق محجورٌ للسيِّد. فأموره تصدر عن رأي غيره. فكيف يصلح لولاية أمور الأمة؟

التاسع الإسلام، فلا تنعقد إمامة الكافر على أي أنواع الكفر أصليًا كان أو مرتدًا[2] لأن المقصود من الإمام مراعاة أمور المسلمين والقيام بنصرة الدين، ومن لا يكون مسلماً لا يراعى مصلحة الإسلام والمسلمين.

العاشر العَدَالة، فلا تنعقد إمامة الفاسق، وهو التابع لشهوته، المُؤثر لهواه، من ارتكاب المحظورات، والإقدام على المنكرات، لأن، المراد من الإمام مراعاةُ النظر للمسلمين، والفاسقُ لم ينظر لنفسه في أمر دينه. فكيف ينظر في مصلحة غيره؟

أما ما يتعلق بالاعتقاد لعروض شبهة ففي انعقاد إمامته معه خلاف، وظاهر كلام الماوردي[3] أنه لا يمنع كما لا يمنع من ولاية القضاء وقبول الشهادة.

الحادي عشر الشجاعة والنجدة، فلا تنعقد إمامة الجبان، لأنه محتاج إلى الشجاعة ليتوصل بذلك إلى حماية البَيضة وجهاد العدوّ اللذين هما جُلُّ المطلوب من نَصْب الإمام. لأنه يحتاج إلى تجهيز الجيوش، وفتح البلاد والحصون، وقتل الأعداء، فإذا لم يكن شجاعاً لم يستطع ذلك.

الثاني عشر العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، فلا تنعقد إمامة غير العالم بذلك، لأنه محتاج لأن يُصَرِّف الأمور على النهج القويم، ويُجريهَا على الصراط المستقيم، ولأنْ يعلمَ الحدود ويستوفي الحقوق ويفصل (١٢ ا) الخصومات بين الناس، وإذا لم يكن عالماً مجتهداً لم يقدر على ذلك.

الثالث عشر صحّة الرأي والتديُّن، فلا تنعقد إمامة ضعيف الرأي، لأن الحوادث التي تكون في دار الإسلام تُرْفَع إليه. ولا يتبين له طريقُ المصلحة إلا إذا كان ذا رأي صحيح وتدبير سائغ، وناهيك أن أبا الطيب [المتنبي][4] قد رجّح الرأي على الشجاعة في شعره فقال:

---

(١) القن الكامل العبودية والمبعض من فيه جزء حر وجزء رقيق. والمكاتب: من يفرض عليه مال إن أداه أعتق. والمدبر: من شرط عتقه بعد موت سيده، والمعلق عتقه بصفة من يتوقف عتقه على حدوث أمر أو فعل أي صفة تحدث يتعلق بحدوثها عتقه.

(٢) في الأصل أي أنواع الكفر كان أصلياً كان أو مرتداً.

(٣) انظر الأحكام السلطانية ص ١٤.

(٤) في الأصل: «إن أبا تمام» وهو خطأ فلا يوجد في ديوانه وهو في ديوان المتنبي ص ٤١٢.

الـرأيُ قـبـلَ شـجـاعـةِ الـشُّـجْـعـانِ   هـو أوّل وهـي الـمـحـلُّ الـثـانـي

الرابع عشر النسب، فلا تنعقد الإمامة بدونه، والمراد أن يكون من قريش، وهم بنو النضر بن كنانة، ففي الصحيحين[1] من رواية ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)**. وقد احتجّ الصديق رضي الله عنه على الأنصار يوم السقيفة ـ حين اجتمعوا على سعد بن عبادة[2] وقالوا: منا أمير ومنكم أمير ـ بقول النبي ﷺ: **(الأئمة من قريش)**. فرجعوا إليه في ذلك وأذعنوا لقوله. وقد ادّعى الماوردي[3] الإجماع على اعتبار هذا الشرط مع ورود النص به ثم قال: ولا عِبرة بِضِرارٍ حين شذَّ فَجَوَّزها[4] في جميع الناس. قال الرافعي من أئمة أصحابنا الشافعية: فإن لم يوجد قُرشي مستجمع للشروط فكنانيّ، فإن لم يوجد كنانيٌّ فرجل من ولد إسماعيل عليه السلام، فإن لم يكن فيهم رجل مستجمع للشرائط، ففي «تهذيب البغوي» أنه يُوَلَّى رجلٌ من العجم. وفي «التتمة» للمتولي أنه يُوَلَّى جُرْهُميٌّ.

قلت: وجُرْهم أصل العرب المستعربة الذين هم ولد إسماعيل عليه السلام، وهم الذين نزلوا على إسماعيل وأُمّه بمكة حين أنزلهما بها الخليل عليه السلام، فنشأ إسماعيل بينهم، وتعلم لغتهم، وتزوج منهم، وهم بنو جُرهم بن قَحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، وقد (١٢ ب) أوضحت الكلام على ذلك مبسوطاً في كتابي «نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب».

قال الرافعي: ولا يشترط في الإمام كونه هاشميًا، لأن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ليسوا من بني هاشم، وهم أُصول الخلافة وأئمة الإسلام.

الفصل الثالث

في بيان الطرق التي تنعقد بها الخلافة، ولها ثلاث طرق، تترتب على كل طريق منها جملة من الأحكام.

الطريق الأول، البيعة: وهي أن يجتمع أهل الحَلِّ والعقد الآتي ذكرهم ويعقدون الإمامة لمن يستجمع شرائطها، ويتأتّى ذلك في موضعين:

أحدهما، أن يموت الخليفة الذي كان منتصباً عن غير عهد إلى أحد بعده.

---

(١) البخاري ج ٩ ص ٦٢.

(٢) في الأصل: «سعد بن معاذ» وهو خطأ سيأتي صوابه. وسعد بن معاذ مات في حياة الرسول سنة ٥ من الهجرة وانظر الأحكام السلطانية ص ٤.

(٣) الأحكام السلطانية ص ٤.

(٤) في الأصل «فجورها» والتصويب من الأحكام السلطانية والسياق.

والثاني، أن يخْلع الخليفة نفسه من الخلافة أو يخلعه أهلُ الحلِّ والعقد، لموجب اقتضى خَلْعَه نفسَه أو خلع أهل الحل والعقد له، ولذلك حالتان:

الحالة الأُولى: أن يتعدَّد من اجتمع فيه شروط الإمامة، فيختار أهل الحلّ والعقد واحداً منهم يقوم بأمر الإمامة وينهض بأعبائها، وعلى ذلك كانت خلافة الصدّيق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ، وذلك أنه لما تُوفّي النبيُّ ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، وقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت إلاَّ أني هيَّأت كلاماً أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس. فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال (١٣ ا) حُبَاب بن المُنذر، لا والله لا نفعل. منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء. فبايعوا عمرَ أو أبا عبيدة. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيِّدُنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، أخرجه البخاري[١] والنسائي.

واعلم أن لصحة عقد البيعة خمسةَ شروط:

الأول: أن يجتمع في المأخوذ له البيعة شروط الإمامة المتقدمة الذِّكْر، فلا تنعقد مع فوات واحد منها[٢] إلاّ مع الشوكة والقهر، على ما سيأتي، فلو جمع شروط الإمامة اثنان فأكثر قال الماوردي:[٣] استحب لأهل الحل والعقد أن يعقدوها لأسنهما، فإن عقدوها للآخر جاز، فإن كان أحدهما أعلم والآخر أشجع روعي في الاختيار ما يوجبه حكم الوقت، فإن دعت الحاجة إلى رعاية الشجاعة ـ كظهور البُغاة وأهل الفساد ـ كان الأشجع أحقّ، وإن دعت إلى زيادة العلم ـ كسكون الفتن وظهور البدع ـ كان الأعلم أحق، ولو تنازع اثنان مستجمعان للأهلية في الإمامة، فقد ذهب بعض العلماء إلى أن ذلك يَقْدَح فيهما جميعاً حتى يُعْدَل عنهما إلى غيرهما. والذي عليه الجمهور أن ذلك لا يقدح، لأن طلب الخلافة ليس مكروهاً، وهل يُقْرَع بينهما عند التساوي أو يقدِّم أهلُ الحل والعقد من شاءوا منهما؟ فيه خلاف.

الثاني: أن يكون المتولي لعقد البيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس، وفيمن تنعقد به البيعة منهم سبعة مذاهب:

---

(١) البخاري ج ٥ ص ٧ ولم أعثر عليه في النسائي، وفي مسند أحمد ج ١ ص ٥ نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

(٢) في الأصل منهما.

(٣) الأحكام السلطانية ص ٥.

أحدهما: أنهما لا تنعقد إلا بأهل الحل والعقد من كل بلد، ليكون الرضى عامًا، والتسليمُ لإمامته إجماعاً، قال الماوردي[1]: وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر رضي الله عنه باختيار من حضرها (١٣ ب) من غير انتظار قدوم غائب عنها.

والثاني: أن أقل من تنعقد به أربعون لا دُونَهم، لأن عقد الإمامة فوق عقد الجمعة، ولا تنعقد بأقل من أربعين.

والثالث: أقل من تنعقد به خمسة يجتمعون على عقدها. أو يعقدها أحدهم برضى الأربعة، لأن بيعة أبي بكر رضي الله عنه انعقدت بخمسة، وهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وأُسَيد بن حُضَير وبشير[2] بن سعد، وسالم مولى أبي حُذيفة، ثم تابعهم الناس على ذلك. وقد جعلها عمر رضي الله عنه شورى في ستة نفر، تنعقد لأحدهم برضى الخمسة، قال الماوردي[3]: وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة.

والرابع: تنعقد بأربعة. لأن الشهادة في الزنا تقوم بأربعة. فكذلك الإمامة.

والخامس: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضى الاثنين الآخرين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد بوليٍّ وشاهدَيْن.

والسادس: تنعقد باثنين، لأن رتبة الخلافة لا تنقص عن رتبة الحكومات، والحاكم لا يُلزِم أحدَ الخَصْمين حقَّ صاحبه إلاَّ بشهادة عَدْلَين، فكذلك لا يَلزم الناسَ الانقيادُ لقول الإمام إلا بعدْلَين.

والسابع: تنعقد بواحد، لما روى أن العباس رضي الله عنه قال لعلي كرم الله وجهه: أمدد يدك أبايعك فيقول الناس عمُّ رسول الله ﷺ بايع ابنَ أخيه فلا يختلف فيه اثنان. وقد قيل: إن بيعة الصدّيق رضي الله عنه انعقدت ببيعة عمر وحده، ولأنه حُكْمٌ وحكم الواحد نافذ.

والثامن: وهو الأصح عند أصحابنا الشافعية رضي الله عنهم أنها تنعقد بمن تَيَسَّر حُضورُه وقت المبايعة في ذلك الموضع من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس المتصفين بصفات(١٤أ) الشهود، حتى لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفى، لأن الأمر إذا لم يكن صادراً عن رأي من له تقدم في الوضع وقول مقبول لم تُؤمن إثارة فتنة، ولا التفات إلى

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٤.

(٢) في الأصل «بشر» وكذلك في الأحكام السلطانية. والتصويب من الإصابة. فبشير بن سعد والد النعمان بن بشير يقال أنه أول من بايع أبا بكر من الأنصار.

(٣) الأحكام السلطانية ص ٤.

أهل البلاد النائية، بل إذا بلغهم خبر البيعة وجب عليهم الموافقة والمتابعة، وقد شرط في «الأحكام السلطانية»[١] في أهل الحل والعقد أن يجتمع فيهم ثلاث صفات، وهي العدالة، والعلم، والرأي، ووافقه على ذلك النووي في «روضته». وقال الرافعي: لابد فيهم مجتهد، فإن عقدت بواحد اعتبر فيه الاجتهاد، وإن عقدت بأكثر من واحد اعتبر أن يكون فيهم مجتهد.

الثالث: أن يُجيبَ المبايَعُ إلى البيعة، حتى لو امتنع لم تنعقد إمامته ولم يُجبر عليها. قال النووي في «الروضة» إلا أن يكون من لا يصلح للإمامة إلا واحد فيجبر بلا خلاف.

الرابع: الإشهاد على المبايعة فيما إذا كان العاقد واحداً، أما إذا كان العاقد للبيعة جمعاً فإنه لا يُشترط الإشهاد.

الخامس: أن يتحد[٢] المعقود له، بأن لا تعقد البيعة لأكثر من واحد، واحتُجَّ له بما رواه مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**إذا بُويع لخليفتين فاقتلوا الآخَرَ منهما**»، وفي رواية[٤] له من حديث عَرْفَجة بن شريح[٥] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجل واحد يريد أن يَشُقَّ عصاكم أو يفرِّق جماعتكم فاقتلوه**».

فلو عُقِدَت البيعةُ لاثنين معاً لم تنعقد لواحد منهما، فلو كان في إقليمين متباعدين ففيه وجهان لأصحابنا الشافعية: أصحهما ما عليه الجمهور بطلانُ بيعتهما، والثاني ما ذهب إليه (١٤ب) الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، واختاره إمام الحرمين: صحةُ بيعتهما جميعاً، لأنه قد تدعو الحاجة إلى ذلك، وعلى ذلك كانت الخلافة الأموية بالأندلس، والخلافة الفاطمية ببلاد المغرب والديار المصرية، مع قيام الخلافة العباسية بالعراق وانسحابها على سائر الأقطار والبلدان. ونسبه الماوردي في «الأحكام السلطانية» إلى الشذوذ[٦] وإن وقع العقد لهما على الترتيب فالأولى صحيحة والثانية باطلة، ولو سبق أحدهما وتعيَّن ثم اشتُبه

---

(١) الأحكام السلطانية ٣ ونصه أحدها العدالة الجامعة لشروطها والثاني العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها والثالث الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف.

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وجاءت بعد ذلك صحيحة في ص ٤٨ الحالة الأولى أن يتحد المعهود إليه بأن يعهد.....

(٣) صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٤٢ وانظر أيضاً فيه ج ١٢ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٤) صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٤٢ والإصابة ترجمة عرفجة بن شريح.

(٥) في الإصابة عرفجة بن شريح وقيل ابن صريح بالصاد المهملة أو المعجمة وقيل ابن شريك وقيل ابن شراحيل وقيل بن ذريح الأشجعي.

(٦) الأحكام السلطانية ص ٦.

وقف الأمر حتى يظهر، فإن طالت المدة ولم يمكن الانتظار فقد قال الماوردي:[1] إنه تبطل البيعتان وتستأنف لأحدهما بيعة جَديدة. وفي جواز العدول إلى غيرهما خلاف قال النووي: الأصح أنه لا يجوز.

الحالة الثانية: أن يتحد من اجتمع فيه شروط الإمامة، وقد اختلف العلماء فيها إذا انفرد واحد بشروط الإمامة. هل تثبت إمامته بمجرد تفرده بها من غير عقد بيعة؟ على مذهبين:

أحدهما انعقاد إمامته بذلك وإن لم يعقدها له أهل الحل والعقد، لأن المقصود من الاختيار تمييز من يستحق الولاية، وقد تميز هذا بصفته، وهو ما نقله الماوردي[2] عن بعض علماء العراق.

والثاني أنها لا تنعقد إلا بعقد أهل الحل والعقد، لأن الإمامة عقد فلا يصح إلا بعاقد، كما لو انفرد واحد باستجماع شرائط القضاء، فإنه لا يصير قاضياً حتى يُوَلَّى، وهو ما عليه جمهور الفقهاء، وعليه اقتصر الرافعي والنووي المعتمد على ترجيحهما.

الطريق الثاني، من الطرق التي تنعقد بها الإمامة: العهدُ وهو أن يعهد الخليفة المستقر إلى غيره فمن استجمع شرائط الخلافة بالخلافة بعده، فإذا مات العاهد (١٥ ا) انتقلت الخلافة بعد موته إلى المعهود إليه، ولا يحتاج مع ذلك إلى تجديد بيعة من أهل الحل والعقد، ولذلك حالتان:

الحالة الأولى: أن يتحد المعهود إليه بأن يعهد الخلافة بعده إلى واحد فقط، فيجب الاقتصار عليه، والأصل في ذلك ما روى أنه لما مرِض أبو بكر الصديق رضي الله عنه مَرَضه الذي مات فيه دعا عثمان بن عفان وهو يومئذ كاتبه، فقال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب: هذا ما عهد أبو بكر خليفةُ رسول الله ﷺ آخِرَ عهده بالدنيا وأوّلَ عهده بالآخرة أني استخلفت عليكم. ثم رهِقَتْه عينُه فنام. فكتب: عمر بن الخطاب. ثم استيقظ أبو بكر فقال: هل كتبت شيئاً؟ قلت: نعم، كتبتُ عمر بن الخطاب. فقال: أما إنك لو كتبتَ نفسك لكنتَ لها أهلاً، ولكن اكتب: استخلفت عليكم عمرَ بن الخطاب، فإن برَّ وعدل فذلك ظني به، وإن بدَّل أو غيرَّ فلا علم لي بالغيب، والخيرَ أردت بكم، ولكلِّ امرىءٍ ما اكتسب من الإثم ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: الآية ٢٢٧][3] ثم دخل عليه عمرُ فعرَّفه ذلك، فأبى أن يقبل، فتهدده أبو بكر رضي الله عنه وقال: هاتوا

---

(١) المصدر السابق ص ٧.

(٢) المصدر السابق ص ٦: فذهب بعض فقهاء العراق إلى ثبوت ولايته.......

(٣) أما الجملة قبلها فهي مختصرة من الآية ١١ سورة النور «لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم».

سيفي. فقبِل، ثم خرج عمر من عنده فدخل عليه طلحة، فبكى ولامه على توليته عمر، فانتهره أبو بكر وقال: والله إن عمر لخير لكم. وأنتم شرٌّ له. أتيتَني وقد وَكَفَتْ عينُك تريد أن تصدّني عن ديني، وتردّني عن رأيي. قُمْ لا أقام الله رجِلك.

واعلم أنه لابد لصحة الإمامة بالعهد ـ والحالةُ هذه ـ من شرطين:

أحدهما أن يكون المعهود إليه مستجمعاً لشرائط الإمامة من وقت العهد، حتى لو كان المعهود إليه صغيراً أو فاسقاً عند العهد، بالغاً عدلاً عند موت العاهد، لم يصر بذلك العهد (١٥ ب) إماماً، بل لا بد من مبايعة أهل الحل والعقد له بالخلافة، كما صرح به النووي في «الروضة» وصوَّب الجزم به، وإن توقّف فيه الرافعي.

الثاني أن يقبل المعهود، إليه العهدَ، قال المتولّي من أصحابنا: فلو امتنع المعهود، إليه من القبولِ بُويع غيره وكأنه لا عهد.

واختلف في وقت قبوله، فقيل: بعد موت العاهد، كما يقبل الوصي الوصية بعد موت المُوصي، والأصح أن وقته ما بين عهد الخليفة وموته لتنتقل الإمامة عن العاهد إلى المعهود إليه مستقرّة بالقبول، فلو أراد وليُّ العهد أن يعهد بالخلافة إلى أحد قبل موت الخليفة العاهد لم يجز، لأن الخلافة لا تستقر إلا بعد موت المستخلف، وفي معنى ذلك ما لو قال. جعلته وليَّ عهدي إذا أفضت الخلافة إليَّ، لأنه في الحال ليس بخليفة، فلم يصح عهده، فلو عهد لاثنين فإن كان العهد قد وقع لهما معاً فهو باطل، وإن وقع الترتيب فالحق للأسبق، كما تقدم في البيعة.

قلت: ولو قيل باعتبار الإشهاد على العهد لكان له وجه، وقد أشهد المأمون على عهده لَعليٍّ الرِّضى، عَلَى ما ستقف عليه في نسخة عهده في الكلام على عهود الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم اعلم أن المعهود إليهم على ثلاثة أضرب:

الضرب الأوَل أن يكون المعهود إليه ولداً أو والداً، وقد اختلف العلماء في جواز انفراده بالعهد لولده أو والده على ثلاثة مذاهب:

أحدها: أنه ليس له الانفراد بذلك لواحد منهما، بل لابد أن يوافقه أهل الحل والعقد على صلاحية المعهود إليه لذلك، لأن ذلك منه بمثابة التزكية ليجري مجَرى الشهادة. وتقليدُه على الأمة مَجرى الحُكم، وهو لا يجوز أن يحكم لوالد ولا ولد.

والثاني: له الانفراد (١٦ أ) بذلك لكل واحد منهما، لأنه أمير الأمة، نافذ الأمر لهم وعليهم، فغلب حكم المنصب على حكم النسب. ولم يجعل للتهمة عليه في ذلك طريقاً.

والثالث: أن له الانفراد بذلك للوالد دون الولد، لأن الطبع إلى الولد أميل منه إلى الوالد. ولذلك كان ما يقتنيه في الأغلب مذخوراً لولده دون والده.

الضرب الثاني: أن يكون المعهود إليه ليس بولد ولا والد، بأن يكون أخا، أو ابن أخ. أو عمّا. أو ابن عم، أو أجنبيًا، فيجوز العهد بالخلافة إليه من غير استشارة أحد من أهل الحل والعقد في ذلك. واختلف في أنه هل يشترط في لزوم ذلك للأمة ظهور الرّضى منهم بذلك أم لا؟ على مذهبين:

أحدهما الاشتراط، لأن الإمامة حق يتعلق بالأمة، فلم تلزمهم إلا برضى أهل الحل والعقد منهم.

والثاني وهو الأصح: عدم الاشتراطِ، لأن الإمام أحَق بها، فكان اختياره فيها أمضى وأنفذ، ولذلك لم يتوقف عهد الصدّيق لعمرَ رضي الله عنهما عَلى رضى بقية الصحابة.

الضرب الثالث: أن يكون المعهود إليه غائباً. ويختلف الحال فيه، فإن كان مجهولَ الحياة لم يصحّ العهدُ إليه، وإن كان معلوم الحياة صحّ وكان موقوفاً على قدومه، فإن مات العاهدُ ووليُّ العهد على غيبته استقدمه أهل الحل والعقد، فإن طالت غيبته، وتأخر المسلمون بتأخير النظر في أمورهم، استناب أهلُ الحل والعقد عنه نائباً يبايعونه بالنيابة دون الخلافة، ويَمضي أمرُه فيما يمضي فيه أمرُ الخليفة أن لو كان حاضراً، فإذا قدم الخليفة الغائب انعزل المستخلَف وكان نظره بعد قدومه مردوداً.

الحالة الثانية: أن يتعدد (١٦ب) المعهود إليه بأن يكون اثنين فأكثر من أهل الإمامة، وهو على ضربين:

الضرب الأول: أن يجعلها الخليفة شُورى بينهم، لم يقدم فيها أحداً منهم على الآخر، فيختار أهل الحل والعقد بعد موت العاهد واحداً من المعهود إليهم أو يُخرج الجميعُ أنفسَهم من العهد ويبقى واحد منهم، والأصل في ذلك ما رواه البخاريُّ[١] في صحيحه من رواية عمرو بن ميمون الأودي. أنه لما طُعِنَ أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلفْ، قال: ما أرى أحداً[٢] أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء الرَّهْط الذين تُوُفّي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راض، فعَدّ[٣] عليّاً وعثمانَ والزُّبيرَ وطلحة وسَعْداً وعبدَ الرحمن. وأنه لما قُبِض وفُرغ من دفنه اجتمع الرهطُ. فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى عليّ،

(١) البخاري ج ٥ ص ١٧.

(٢) في البخاري «ما أجد أحق» وفي رواية ما أجد أحق.

(٣) في البخاري: فسمي علياً.

وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن. فقال عبد الرحمن بن عوف: أيكما تَبَرَّأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلامُ لينظرَنَّ أفضَلهم في نفسه، فأسكتَ الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ، والله على أن لا آلُوَ عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما وقال: لك من قرابة[1] رسول الله ﷺ والقِدم في الإسلام ما قد علمت، والله عليك لئن أمَّرتك لتعدِلَنَّ، ولئن أمَّرتُ عثمان لتسمعنَّ وتطيعنَّ، ثم خلا بالآخر فقال له مثلَ ذلك. فلما أخذ الميثاقَ قالَ: ارفع يديك يا عثمان، فبايَعَه وبايع له عليٌّ، وولج أهلُ الدار فبايعوه.

واعلم أنه إذا عهد لاثنين فأكثر لم يجز لأهل الحل والعقد (١٧ أ) أن يختاروا واحداً منهم في حياته إلا بإذنه، لأنه بالإمامة أحق، فامتنعت مشاركته فيها ما دام رأيه صحيحاً، ولو مات لم يجز لأهل الحل والعقد أن يختاروا واحداً غيرهم، بل لو نَصَّ على أهل الاختيار لم يصح الاختيار من غير مَنْ نصَّ عليه، لأن ذلك من حقوق خلافته، وإذا تعيَّنت الخلافة بالاختيار في أحد المعهود إليهم جاز له أن يعهد بها إلى غيره.

الضرب الثاني: أن يعهد إلى اثنين فأكثر ويرتِّب الخلافة فيهم بأن يقول: الخليفة بعدي فلان، فإذا مات فالخليفة بعده فلان، فتنتقل الخلافة بعده على الترتيب الذي رتبه. واحتج لذلك بما ثبت في «صحيح البخاري»[2] من رواية ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمَّر على جيش مُؤْتَةَ زيدَ بنَ حارثة وقال: «**إنْ قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإنْ قُتِل فعبدُ الله بن رَوَاحة**، وفي رواية **فإنْ قُتِل فليرتض المسلمون رجلاً**». فتقدم زيد فقُتل، فأخذ الرايةَ جعفرٌ، وتقدَّم فقتل، فأخذ الرايةَ عبدُ الله بن رواحة، وتقدم فقتل، فاختار المسلمون بعده خالدَ بنَ الوليد.

قال الماوردي[3]: وإذا فعل النبي ﷺ ذلك في الإمارة جاز مثله في الخلافة. قال: وقد عمل بذلك في الدولتين من لم ينكر عليه أحد من علماء العصر، وقد عهد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز بعده ثم إلى يزيد بن عبد الملك. قال: وفِعْلُ سليمانَ وإن لم يكن حجة فإقرار من عاصره من الناس ومن لا يأخذه في الله لومة لائم هو الحُجَّة. وكذلك رتبها الرشيد في ثلاثة من بنيه، في الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن، على كثرة من عاصره من فضلاء العلماء.

إذا علمت ذلك فلا نزاع في أن الخليفة العاهد باق على خلافته ما دام حياً (١٧ ب) أما بعد موته فله ثلاثة أحوال:

---

(١) في البخاري: لك قرابة....

(٢) البخاري ج ٥ ص ١٤٣.

(٣) الأحكام السلطانية ص ٤٠ وإذ فعل......

الحال الأول: أن يموت الأول من المعهود إليهم في حياة العاهد، فتكون الخلافة بعده للثاني منهم.

الحال الثاني: أن يموت الأول والثاني من المعهود إليهم في حياة العاهد، فتكون الخلافة بعدهما للثالث.

الحال الثالث: أن يموت العاهد، والثلاثة المعهود إليهم أحياء، فالخلافة بعد موته للأول منهم، فلو أراد الأول الذي أفضت الخلافة إليه أن يعهد بها إلى غير الاثنين الباقيين من المعهود إليهم ممن يختاره لها ففيه مذهبان للعلماء.

أحدهما: أنه لا يجوز له ذلك إلا أن يستنزل عنها مُستحِقَّها من المعهود إليهم طوعاً، حملاً على حكم الترتيب السابق، فقد عهد السفاح إلى أخيه المنصور، وجعل العهد بعده لعيسى بن موسى، فأراد المنصور تقديم ابنه المهديّ على عيسى، فاستنزله عن العهد، لحَقِّه فيه، وفقهاءُ العصر حينئذ ـ على توفير وكثرة ـ لم يروا (له) فسحة في صرفه عن ولاية العهد قهراً[1].

قال الماوردي[2] وظاهر مذهب الشافعي وعليه جمهور الفقهاء أنه يجوز أن يعهد بها إلى من يشاء، ويصرفها عمن كان معه مرتباً في العهد، لأنه قد صار بإفضائها إليه عامَّ الولاية نافذ الأمر، فكان حقه فيها أقوى، وإنما استطاب المنصور نفس عيسى تألُّفاً لأهله، لأنه كان في صدر الدولة، فعل ذلك سياسة، وإن كان الحكم في نفس الأمر سائغاً.

الطريق الثالث، من الطرق التي تنعقد بها الإمامة: القهر والاستيلاء، فإذا مات الخليفة فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير عهدٍ إليه من الخليفة المتقدم، ولا بيعة من أهل الحل والعقد، انعقدت إمامته، لينتظم شمل الأمة وتتفق (١٨ أ) كلمتهم، وإن لم يكن جامعاً لشرائط الخلافة بأن كان فاسقاً أو جاهلاً فوجهان لأصحابنا الشافعية، أصحهما: انعقاد إمامته أيضاً، لأنا لو قلنا لا تنعقد إمامته لم تنعقد أحكامه، ويلزم من ذلك الإضرار بالناس، من حيث إن من يلي بعده يحتاج أن يقيم الحدود ثانياً، ويستوفي الزكاة ثانياً، ويأخذ الجزية ثانياً.

والثاني: لا تنعقد إمامته، لأنه لا تنعقد له الإمامة بالبيعة إلا باستكمال الشروط، فكذا بالقهر.

---

(١) في الأحكام السلطانية ص ١١ قسراً.

(٢) الأحكام السلطانية ١١.

الفصل الرابع

فيما يلزم الخليفةَ للرعية.

وقد ذكر الماوردي[1] أنه يلزمه لهم عشرة أشياء:

أحدهما: حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن ظهر مبتدع، أو زاغ ذو شبهة، أوضح له الحُجَّة، وبيَّن له الصواب، وكفَّه عن ذلك بما يستحقه من الرجز، ليكون الدين محروساً، وحال الأمة فيه مضبوطاً.

الثاني: حماية بيضة الإسلام والذبُّ عن الحُرَم، ليتصرف الناس في معايشهم، وينتشروا في أسفارهم، آمنين على أنفسهم وأموالهم.

الثالث: تحصين الثغور بالعُدَدِ ووفور العَدَدِ، حتى لا يظفر العدو بِغِرَّة فينتهك فيها مَحرماً، أو يسفك فيها دم مسلم أو معاهَدِ.

الرابع: جهاد الكفرة المعاندين للإسلام حتى يُسْلموا أو يدخلوا في ذمة المسلمين، قياماً بحق الله تعالى في ظهور دينه على الدين كلِّه.

الخامس: تنفيذ الأحكام، وقطع الخصومات، حتى لا يتعدّى ظالم ولا يضعف مظلوم.

السادس: إقامة الحدود (١٨ ب) لِتُتَوَقَّى المحارم وتُصان الأنفس والأموال.

السابع: اختيار الأمناء والأكْفَاء وتقليد الولايات للثِّقات النُّصحاء، لتنضبط الأعمال بالكُفاة، وتُحفظ الأموال بالأمناء.

الثامن: جباية أموال الفَيْء والصدقات والخراج، على ما أوجبه الشرع نصًا أو اجتهاداً، من غير حَيْف ولا عَسْف.

التاسع: تقدير العطاء، وما يستحقه كل واحد في بيت المال، من غير سَرَفٍ ولا تقتير، ودفعه إليهم في وقت معلوم لا تأخير فيه ولا تقديم.

العاشر: مشارفة الأُمور العامة بنفسه، غير معتمد على وُلاته وعماله، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: الآية ٢٦] ، وفي الصحيحين[2] من رواية ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّكُمْ رَاع وكُلكُم مسؤول عن رعيته. فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ ومسؤول عن رعيته، والمرأة في**

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٢ ـ١٣.

(٢) البخاري ج ٩ ص ٦٢ ومسلم ح ١٢ ص ٢١٣.

بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته». قال: فسمعت هذا من رسول الله ﷺ وأحسبه قال: «**والرجل في مال أبيه راع ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

وأخرج الترمذي[1] من حديث عمرو بن مرة الجهني قال لمعاوية: سمعت النبي ﷺ يقول: (**ما من إمام يُغلق بابه دون ذوي الحاجات والمَسْكَنة إلا أغلق الله أبوابَ السماء دون خَلَّته[2] وحاجته ومسكنته**). فجعل معاويةُ رجلاً على مصالح الناس، ولله (محمد بن) يزداد وزيرَ المأمون حيث يقول مخاطباً له:

مَن كان حارِسَ دُنْيا إنه قَمِنٌ ... أنْ لا ينامَ وكلُّ الناس نُوَّامُ

(١٩ أ) وكيف تَرْقُد عَيْنَا من تضيَّفه[3] ... هَمَّان من أمره نَقْضٌ وإبرامُ

الفصل الخامس

فيما يلزم الرعية للخليفة، وهو أمران:

الأول: الطاعة، قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: الآية ٥٩][4] فأمرَ بطاعة أولي الأمر، وهم ولاة الأمور، على ما ذهب إليه كثير من المفسرين، والإمامُ هو أعظم ولاة الأمور، لعموم ولايته، فهو أحق بالطاعة، وأجدر بالانقياد لأوامره ونواهيه، ما لم يخالف أمر الشرع، سواء كان عادلاً أو جائراً، ففي «الصحيحين»[5] من رواية ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**على المرءِ المسلمِ السمع والطاعة فيما أَحَبَّ أو كره إلاّ أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**». وفي «صحيح مسلم»[6] من رواية وائل بن حُجْر[7] قال: سأل سلمة بن يزيد الجُعفيُّ رسولَ الله ﷺ قال: يا نبيَّ الله، أرأيت إن قامت علينا أمراءُ يسألونَّا حقَّهم ويمنعونَّا حقَّنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعثُ بنُ قَيْس وقال: اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلُوا وعليكم ما حُمِّلْتم.

الثاني: المعاضدة والمناصرة في أمور الدين وجهاد العدو. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى

---

(١) الترمذي ج ٦ ص ٧٣.

(٢) الخلة الحاجة والفقر.

(٣) في الأصل: تضيقه. والتصويب من الأحكام السلطانية ص ١٣ والمعنى يقتضيه. فتضيفه: أتاه ضيفاً.

(٤) سورة النساء الآية ٥٩ وفي الأصل وأطيعوا الله....

(٥) البخاري ج ٩ ص ٦٣ ومسلم ج ١٢ ص ٢٢٦.

(٦) مسلم ج ١٢ ص ٢٣٦ والترمذي ج ٥ ص ٥١ ـ ٥٢.

(٧) الذي في صحيح مسلم عن علقمة بن وائل عن أبيه قال سأل سلمة بن يزيد الجعفي...... أما في الترمذي فإنه وائل بن حجر فيكون علقمة عن أبيه وائل بن حجر.

﴿ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: الآية ٢] ولا أعلى من معاونة الإمام على إقامة الدين ونُصرته. وفي «صحيح مسلم»[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«من خرج من الطاعة، أو [2] فارق الجماعة، مات ميتَةً جاهليَّة، ومن قاتل تحت رايةٍ عُمِّيَّةٍ: يغضب بعصبيَّة، أو ينصر عصبية[3]، فقُتل (١٩ ب) فقتْلةٌ [4] جاهليّة»**. فذمَّ الخارج تحت رايةٍ عُمِّيَّة والداعيَ إلى العصبية. وهو مستلزم لنصرة الدين دون النصرة عليه.

الفصل السادس

فيما ينعزل به الخليفة من الخلافة أو ولي العهد من ولاية عهده، وفيه مَهْيَعَان:

المَهيع الأول: فيما ينعزل به الخليفة، وهو على ستة أضرب:

الضرب الأول: الخلع، وله حالتان:

الحالة الأولى: أن يخلع الخليفة نفسه من الخلافة لعجز من القيام بأمور الناس، من هَرَم أو مرض ونحوهما، فإذا خلع نفسه لذلك انخلع، لأن العزل[5] إذا تحقَّق وجب زوالُ ولايته لفوات المقصود منهما[6].

أما إذا عزل نفسه لغير عجز ولا ضعف، بل آثر التَّرْك طلباً للتخفيف حتى لا تكثر أشغالُه في الدنيا ويتّسع حسابُه في الآخرة، ففيه لأصحابنا الشافعية وجهان، في «التتمة».

أحدهما: الانعزال، لأنه كما لم تلزم الإجابة إلى المبايعة لا يلزمه الثبات.

والثاني: لا ينعزل، لأن الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: أقيلُوني. ولو كان عزلُ نفسه مُؤَثِّراً لما طلب منهم الإقالة. ولو عهد الخليفةُ العاجز عن القيام بأمور الخلافة ـ لمرض أو هَرَم ـ إلى غيره قبل عزل نفسه صحَّ عهده إليه، وانعقدت ولاية المعهود إليه، ولو مضى على ما هو عليه من العجز، فلم يعزل نفسه، ولم يَعْهد إلى غيره، بايع أَهْلُ الحلّ والعقد غيرَه ليقوم بأمور المسلمين.

ولو عزل نفسه من غير عُذر من عجز أو طلب تخفيف ففيه ثلاثة أوجه:

أصحها: أنه لا ينعزل، لأن الحق في ذلك للمسلمين لا له.

---

(١) مسلم ج ١٢ ص ٢٣٨.

(٢) في مسلم: وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية.

(٣) في مسلم: يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة.

(٤) كذلك أيضاً في مسلم أما في النهاية لابن الأثير مادة عما ج ٣ ص ١٣ فهي «فقلته».

(٥) لعلها «العجز».

(٦) لعلها «منها».

والثاني: ينعزل، لأن إلزامه الاستمرار قد يَضُرُّ به في آخرته ودنياه.

والثالث: (٢٠ أ) إن لم يُوَلِّ غيره أو وَلَّى من هو دونه لم ينعزل، وإن ولَّى أفضل منه ففي الانعزال وجهان.

الحالة الثانية: أن يخلعه أهل الحل والعقد.

قال المتولي: إن كان قد حدث في حاله خلل فلهم عزله، وإن كان مستقيم الحال فليس لهم ذلك، لأنا لو جوَّزنا ذلك لأدَّى إلى الفساد، لأن الآدَميَّ ذُو بَدَرَاتٍ، فلا بدَّ من تغير الأحوال في كل وقت، فيعزلون واحداً ويُولُّون آخر، وفي كثرة العزل والتولية، زوالُ الهيبة وفَواتُ الغرض من انتظام الأمر.

الضرب الثاني: زوال العقل، فينعزل بالجنون المُطبق، وهو الدائم الذي لا ينفكُّ، لأن الجنون يمتد في العادة، فلو لم يَنْصُبوا إماماً آخر لأدَّى ذلك إلى اختلال الأُمور، ولأن المجنون يجب ثُبوتُ الولاية عليه، فكيف يكون وَلِيًّا لكافَّة الأُمَّة.

قال النووي: فلو جُنَّ فبايعوا غيره ثم أفاق لم تَعُدْ ولايته، بل يبقى الثاني على ولايته، لأن مبايعته صحيحة، فلا يجوز أن يبطل بأمرٍ يَحدث في غيره، ولو استُخلف خليفةً ثم جُنَّ بعد استخلافه انتقلت الخلافة إلى خليفته، لأنه إذا استخلف ثم مات انتقلت من الميت[١] ففي الجنون أَوْلى، ولو أفاق بعد ذلك لم ينعزل خليفته، ولم يعُدْ هو إلى الخلافة، لأنه لو جُنَّ ثم أفاق لم تعد الإمامة إليه إلاَّ بمبايعة ثانية.

الضرب الثالث: ذهاب الحواسِّ المؤثرة في الرأي أو العمل، ويتعلق الأمر من ذلك بثلاث نقائص.

الأولى: العمى، فإذا طرأ على الإمام أبطل إمامته كما تبطل به ولاية القضاء وتُرَدُّ به الشهادة، أما ضعف البصر. فقال الماوردي:[٢] إن كان يعرف معه الأشخاص التي يراها لم تبطل إمامته، وإن لم يعرف معه الأشخاص بطلت إمامته. واعلمْ أنه قد تقدّم عن الماوردي[٣] (٢٠ ب) أن العَشَا وهو عدم الإبصار ليلاً لا يقدح في ولاية الإمامة ابتداءً: فَلأن لا يقدح في استدامتها أَوْلَى.

الثاني: الصمم، وفي انعزاله بطُرُوته عليه ثلاثة مذاهب حكاها الماوردي[٤] أصحها ـ

---

(١) في الأصل إلى الميت. والسياق يقتضي ما أثبته.

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٥.

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٥.

(٤) الأحكام السلطانية ص ١٥.

وعليه اقتصر الرافعيُّ والنَّوَوي ـ أنه ينعزل بذلك كما ينعزل بالعمى، لتأثيره في التدبير والعمل.

والثاني لا ينعزل، لقيام الإشارة مقام السمع، والخروج من الإمامة لا يكون إلا بنقص كامل.

والثالث: إن كان يُحسن الكتابَة لم ينعزل، وإن كان لا يحسنها انعزل، لأن الكتابة مفهومة، والإشارة موهومة.

أما ثقل السمع وهو الذي يُدْرِكُ معه الصوتُ العالي دون غيره فإنه لا ينعزل به.

الثالث: الخرس، وحكمه حكم الصممِ المتقدّمِ الذِّكر في إجراء الخلاف فيه، وكون الأصح الانعزال.

أمّا ما لا يؤثر ذهابه في الرأي والعمل كالخَشَم في الأنف الذي يمنع إدراك الروائح، وفقد الذوق الذي يعرف به الطعوم، فإنهما لا يوجبان العزل، بلا خلاف. وكذلك لا ينعزل بتمتمة اللسان ونحوها.

الضرب الرابع: فقدُ الأعضاء المُخلّ فقدُها بالعمل أو النهوض، كذهاب اليدين أو الرجلين، فإذا طرأ عليه شيء من ذلك انعزل من الإمامة، لعجزه عن كمال القيام بحقوق الأمة.

أما ما يؤثر في بعض العمل أو النهوض دون بعض، كذهاب إحدى اليدين أو إحدى الرجلين ففيه وجهان:

أصحهما: أنه لا يؤثر، وإن كان ذلك يمنع عقد الإمامة ابتداءً، لأن المعتبر في عقدها كمالُ السلامة، فيُعتبر في الخروج منها كمال النقص.

والثاني: يؤثر، لنقص الحركة. فلو كان ذلك لا يُؤثر فقده في عمل ولا نهوض، كقطع الذَّكَر والأنثيين، وجدْع الأنف، وسَمْل إحدى العينين، فإنه لا يؤثر.

الضرب الخامس: بطلان تصرف الإمام(٢١ أ) للإستيلاء عليه وحجره، ويدخل تحت ذلك صور:

إحداها: أن يأسر الكُفَّارُ الإمامَ ويقعَ اليأسُ بذلك من خلاصه من أيديهم، فيخرج عن الإمامة، و يستأنف أهل الحل والعقد ببيعة غيره، فلو عهد بها في حال الأسر إلى غيره كان عهده باطلاً، لأنه عَهِد بها بعد خروجه من الإمامة.

الثانية: أن يأسره أهل البَغْي حيث كانوا قد أقاموا لهم إماماً ووقع اليأس من خلاصه منهم، فيخرج بذلك من الإمامة، لأنهم قد انحازوا بدارٍ انفرَدَ حُكْمُها، وخرجوا بها عن

الطاعة، فلم يبق لأهل العدل بهم نُصْرة. أما لو كان مَرْجُوَّ الخلاصِ من أيدي الكفار، أو أيدي أهل البغى[1] فإنه يكون باقياً على إمامته، وعلى كافة الأُمة استنقاذه من أيديهم.

الثالثة: أن تكون الإمامة قد ثبتت له بالقهر والاستيلاء فيجيء آخر ويقهره ويستولي على الأمر، فينعزل الأول ويصير الإمام هو الثاني، حفظاً لنظام الشريعة، وتنفيذاً لأحكامها، كما صرح به الرافعي والنووي وغيرهما من أئمة أصحابنا الشافعية.

قلت: وبمقتضى ذلك وقع الفقهاء في زماننا هذا مع الملوك في الأمر الخطر، حيث لم يفهموا عنهم مقاصد الشريعة، وذلك أنهم إذا أثبتوا ولاية الأول بالاستيلاء بالقهر دعاهم ذلك إلى أن يقولوا إن الخارج عليه باغٍ واجبُ القتالِ، فإذا غلب الثاني حكموا ببطلان ولاية الأول وصحة ولاية الثاني، ودعاهم ذلك إلى عكس القضية الأولى، فقالوا: إن الخارج عليه باغ واجبُ القتال، فيظن أولئك أن حكمهم بذلك إنما هو محاباة لصاحب الوقت القائم بالأمر، من غير فهم المقصد الذي ألجأهم لذلك.

تنبيه: لو حُجِرَ الإمامُ بغيره، بأن يستولى عليه من أعوانه مَنْ يَستبدُّ بالتصرف في الأمور من غير تظاهر بمعصية ولا خروج (٢١ ب) عن طاعة، فقد ذكر الماوردي[2] أن ذلك لا يمنع إمامته، ولا يقدح في صحة ولايته، وتكون الأحكام الشرعية نافذة من المستبِدِّ بالأمر، كما لو استولى على نفس الإمامة بالقهر، جمعاً لشمل المسلمين وتنفيذاً لأحكامهم.

الضرب السادس: الفسق، وقد اختلف أصحابنا الشافعية في انعزال الإمام به على وجهين:

أصحهما عند الرافعي والنووي أنه لا ينعزل به، لما في عزله من إثارة الفتنة، بخلاف غيره من سائر الولاة فإنهم ينعزلون به.

والثاني ـ وبه جزم الماوردي[3] في «الأحكام السلطانية» ـ أنه ينعزل به، كما لا يصح عقد إمامته مع الفسق ابتداءً حتى لو عادت عدالتُه لم يَعُد إلى الإمامة إلا بعقد جديد.

قال الماوردي: وذهب بعض المتكلمين إلى جواز إمامته وعود عدالته، لِلخوف والمشقة في استئناف بيعته مع عموم ولايته.

المهيع الثاني: فيما ينعزل به ولى العهد من ولاية عهده، وهو على ضربين:

---

(١) في الأصل: العدل. وهو سهو، وانظر الأحكام السلطانية ص ١٦ ـ ١٧

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٦.

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٤.

الضرب الأوّل: العزل الصادر عن جهة العَاهِد، وقد اختلف في أنه هل يجوز للإمام عزل ولي عهده على وجهين:

أحدهما: ما ذهب إليه المتولي من أصحابنا، الجواز.

والثاني ما ذهب إليه الماوردي: وصححه النووي، أنه لا يجوز له عزله ما دام متصفاً بصفات الإمامة. وإن جاز له عزل سائر نوابه في غير من الأمور، لأنه مُستخلفٌ لولي العهد في حق المسلمين، فلا يكون له عزله، كما ليس لأهل الحل والعقد عزل من بايعوه، بخلاف غيره من سائر نُوَّابه فإنه يستخلفه لهم في حقِّ نفسه، فجاز له عزله، فلو عزل العاهدُ وليَّ العهد، وعَهد إلى ثانٍ لم يصحّ عهد الثاني، ويبقى الأول على عهده، ولو خلع الأول نفسه بعد العهد إلى الثاني فلا بد من استئناف العهد إليه. (٢٢ ا).

الضرب الثاني: العزل الصادر من جهة وليّ العهد، وقد صرح أصحابنا الشافعية بأنه لا يجوز لولي العهد أن يستبد بعزل نفسه، فلو استَعْفَى من عهده لم يَبْطُل عهده بمجرد الاستعفاء، فلو أعفاه الإمام نُظِر فإن وُجدَ غيره ممن يقوم مَقامه صحَّ إعفاؤه حينئذ، وإن لم يوجَدْ غيره لم يصحّ إعفاؤه.

الفصل السابع

في ذكر الوظائف التي كانت تصدر عن الخليفة في الزمن المتقدم، وما يصدر عنه الآن من تفويض السلطنة إلى السلطان، ويرجع المقصود من ذلك إلى عشر[1] وظائف.

الوظيفة الأُولى: الوزارة، وهي على ضربين:

الضرب الأوّل: وزارة التفويض، وهي أن يستوزر الإمام من يُفَوِّض إليه تدبيرَ الأُمور برأيه وإمضائه على اجتهاده، وهي أجلُّ الولايات بعد الخلافة، قال الماوردي[2]: فهو ينظر في كل ما ينظر فيه الخليفة.

الضرب الثاني: وزارة التنفيذ، والنظر فيها مقصور على رأي الإمامِ وتدبيره، والوزير فيها واسطة بينه وبين الرعايا والولاة، يُؤدّي عنه ما أمر، وينفذ ما ذكر، ويُمضي ما حكم، ويُجيز تقليد[3] الولاة، وتَجْهيز الجيوش ونحو ذلك، وربما عبر عن هذا الوزير بالوساطة. وقد أجاز الماوردي في هذا الوزير أن يكون ذميًا[4] وأنكره عليه إمام الحَرَمين[5] إنكاراً شديداً.

---

(١) في الأصل: عشرة وظائف.

(٢) انظر الأحكام السلطانية ص ١٨ ـ ٢١.

(٣) في الأحكام السلطانية ص ٢١ ويخبر بتقليد الولاة.

(٤) الأحكام السلطانية ص ٢٢.

(٥) إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ) بن خلكان ترجمته.

الوظيفة الثانية: الإمارة، وهي أيضاً على ضربين:

الضرب الأول: إمارة الاستكفاء، وهي التي تنعقد على[1] اختيار من الإمام، وتشتمل على عمل محدود، ونظر معهود، بأن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم. ويوليه (٢٢ ب) على جميع أهله. ويجعل إليه النظر في المعهود من أعماله.

الضرب الثاني: إمارة الاستيلاء، وهي التي تنعقد على[2] اضطرار، بأن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها، ويفوض إليه تدبيرها، فيكون باستيلائه مستبدًا بالتدبير والسياسة، والخليفةُ بإذنه في الأمور منفذاً[3] لأحكام الدين، ليخرج من الفساد إلى الصحة.

الوظيفة الثالثة: الإمارة على القتال، وهي على أربعة أضرب:

الضرب الأول: الإمارة على قتال المشركين، وهي تارة تكون مقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب، وتارة يُفَوَّض إليه جميع أحكامه، من تدبير الجيش، وسياسة الحرب وقسمة الغنائم وعقد الصلح، وغير ذلك، حتى لا يخرج عنه شيء من أمرها.

الضرب الثاني: الإمارة على قتال أهل الردّة بأن يرتدّ قوم حُكم بإسلامهم إما بولادتهم على الإسلام وإما بإسلامهم عن كفر، فيجهزّ إليهم الإمام من يقاتلهم، كما فعل أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه حين ارتدت العرب بعد وفاة النبي ﷺ.

الضرب الثالث: الإمارة على قتال أهل البغي، وهي أن تبغى طائفة من المسلمين، ويخالفوا رأي الجماعة، ويخرجوا عن طاعة الإمام بتأويل باطل، فيجهز إليهم الإمام من يقاتلهم.

الضرب الرابع: الإمارة على قتال المحاربين، وهم قُطّاع الطريق، بأن يجتمع طائفة من أهل الفساد على شَهْرِ السلاح وقطع الطريق وأخذ الأموال وقتل الأنفس ومنع السائل، فيجهز إليهم الإمام من يقاتلهم حتى يرجعوا عن ذلك.

الوظيفة الرابعة: القضاء، وهي القيام بالأحكام الشرعية وتنفيذها على أوامر الشرع وقطع المنازعات، وقد كان (٢٣ أ) القضاء في الزمن المتقدم قاصراً على قاض واحد من أي مذهب كان، ببغداد التي هي قاعدة الخلافة حينئذ، ويَنْصُب، هو من يختاره من النُوَّاب من أهل مذهبه أو غيرهم، وربما جَعَل بالجانب الشرقي من بغداد قاضياً، وبالجانب الغربي منها قاضياً، وربما وُلِّي القاضي بالبلاد والنواحي من تحت يده، وربما كان للناحية الواحدة قاض مستقل.

قلت: وعلى هذا النهج في انفراد قاض كانت الديار المصرية في الدولة الفاطمية، حتى رأيت عهداً مكتوباً لابن النعمان في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي قد كُتِبَ له

---

(١) في الأحكام السلطانية ص ٢٤ عن اختيار.

(٢) في الأحكام السلطانية ص ٢٤: عن اضطرار.

(٣) في الأحكام السلطانية ص ٢٧ «والخليفة بإذنه منفذاً لأحكام الدين» وفي الأصل: بأذنه.

بالديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب، مضافاً إلى ذلك النظر في الصلاة وذُور الضَّرْبِ، ولم يزل الأمر جارياً بالديار المصرية على قاض واحد من لدن ذلك وإلى الدولة الظاهرية: بيبرس البندقداري في سلطنته، والقاضي بها يومئذ القاضي تاج الدين بن بنت الأعز الشافعي، فحدث في أيامه ما أوجب نَصْبَ السلطان أربعةَ قضاةٍ، من كل مذهب من المذاهب الأربعة قاض. والأمر على ذلك بالديار المصرية إلى الآن.

الوظيفة الخامسة: ولاية المظالم، وهي قَوْدُ المتظالِمين[1] إلى التناصُف بالرهبة، وزجْرُ المتنازعين عن التجاحد بالهيبة، وهي ولاية دائرة بين سطوة الولاة وتثبت القضاة[2] وهي في معنى حكم نائب السلطنة الآن بين الخصوم بأحكام السياسة.

الوظيفة السادسة: النقابة على ذوي الأنساب، كنقابة الطالبيين ومن في معناهم، على معنى نقابة الأشراف في زماننا.

الوظيفة السابعة: النظر على إقامة الصلوات الخمس والجمعة، والصلوات المندوبة كالتراويح ونحوها، وقد كانت هذه الوظيفة في الزمن المتقدم وظيفة جليلة لا يليها إلاَّ جليل القدر من أهل الدِّيانة.

الوظيفة الثامنة: الإمارة على الحج، من تسيير الحَجِيج وتدبير أمرهم، وإقامة الحج والقيام بمناسكه (٢٣ ب) وأحكامه.

الوظيفة التاسعة: جِباية الصدقات. وهي الزَّكَوات الواجبة في المواشي والنقود والزروع، وتحصيلها من أربابها، وحملها إلى بيت المال.

الوظيفة العاشرة: النظر في الحسبة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما في معنى ذلك مما ينخرط في هذا السِّلك.

قلت: وقد كان في الزمن المتقدم يُكتَب بكل ولاية من هذه الولايات عهد عن الخليفة بما يقع به التولية، وتشملها علامة الخليفة على عادة الولايات في ذلك، ولم يزل ذلك مستمرًا إلى حين انقراض الخلافة من بغداد. أما بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية فقد صارت علامة الخليفة مقصورة على عهد السلطان بتفويض الأمور العامة إليه، وتفاصيل الأمور يشملها خطُّ السلطان بحكم تفويض الخليفة ذلك إليه.

---

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ٢٩.

(٢) انظر الأحكام السلطانية ص ٦٤.

(٣) في الأحكام السلطانية ص ١٤: سطوة الحماة وثبت القضاة.

الباب الثاني

في ذكر من وُلي الخلافة من أول الإسلام وهلمَّ جرا إلى زماننا، وتفصيل حال كل خليفة، وترتيب أمور الخلافة على ما كانت عليه في الزمن القديم، وذكر المشاهير ممن ادعى الخلافة في بعض الأقاليم وبطلان شبهة دعاويهم، وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأوّل

فيمن ولي الخلافة من صدر الإسلام وهلم جرا إلى زماننا وهم على أربع طبقات:

الطبقة الأولى الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وهم خمسة خلفاء:

الأول من الخلفاء الراشدين
أبو بكر رضي الله عنه

استلم الخلافة بعد النبي ﷺ، وهو أبو بكر بن أبي قُحافة (١٢٤) عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تَيْم بن مُرَّة جدِّ النبي ﷺ، وهو والنبي ﷺ في عدد الآباء إلى مرّة سواء، بين كلٍّ منهما وبينه ستة آباء، ويقال: إنه كان اسمه في الجاهلية عبدَ الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبدَ الله، ولَقّبُه عَتِيق، واختُلف في سبب تلقيبه بذلك، فقيل: لأن رسول الله ﷺ قال له: «**أنت عتيق من النار**». وقد جاء ذلك مُصرَّحاً به في «جامع الترمذي» من حديث عائشة رضي الله عنها. وقيل: تلقب بذلك لجمال وجهه. ولُقّب بالصدِّيق لتصديقه خبر الإسراء حين أنكره المشركون[1] وأمه سَلْمى، وتكنى أُمَّ الخَيْر بنت صَخْر، وهي بنت عم أبيه.

وكان رضي الله عنه آدم اللونِ طويلاً خفيف العارضين غائر العينين ناتيء الجبهة أَجْنَأ عاري الأشاجع يخضب بالحناء والكَتَم[2].

---

(١) بهامش الأصل: فيه وجه آخر أحسن منه مذكور في كتب العقائد في وجه تلقيب أبي بكر رضي الله تعالى عنه تصديقه النبي عليه السلام في النبوة من غير تلعثم. نعم عدم تردده في المعراج (تصديق) آخر، وحسن ما ذكرنا غير خفي فافهم.

(٢) الأجنأ: الذي يشرف كاهله على صدره، والأشاجع، هي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر =

بويع له بالخلافة بالمدينة في اليوم الذي تُوُفِّيَ فيه رسول الله ﷺ، وهو يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وكان في كفه خاتَمُ رسول الله ﷺ، وقد ثبت أنه كان نقشه: محمد رسول الله محمدٌ سطرٌ، ورسولٌ سطرٌ، والله سطرٌ، وبقي حتى توفي في ليلة الثلاثاء. وقيل يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جُمادى الآخرة. سنة ثلاثَ عشرة من الهجرة، واختُلف في سبب موته، فقيل سمَّته اليهود فمات بعد سنة، وقيل اغتسل في يوم بارد فحُمَّ ومات بعد خمسةَ عشرَ يوماً، وقيل مات بالسُّلِّ، وعمره يومئذ ثلاث وستون سنة، وغسلته زوجته أسماء بنت عُمَيس، وحمل على سرير رسول الله ﷺ، وهو سرير عائشة، وصلّى عليه عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه، ودُفن في حجرة عائشة عند النبي ﷺ، ورأسه قُبَالَةَ كَتِفَي رسول الله ﷺ (٢٤ ب) وكان له من الولد ثلاثة ذكور وهم: عبد الله، من قُتَيْلَة، توفّي في حياته. وعبد الرحمن، من أم رُومَان. ومحمد، من أسماء بنت عُمَيس. وبنتان، وهما: عائشة زوج النبي ﷺ، وهي شقيقة عبد الرحمن وأسماءُ وهي شقيقة عبد الله.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بويع له بالخلافة كان أُسامة بن زيد مُبْرِزاً في جيش أَمَّره عليه رسول الله ﷺ، من جملتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان أول أمر نفَّذه في خلافته أن خرج لتشييع أُسامة ماشياً، فهمَّ أُسامة بالنزول، فمنعه أبو بكر رضي الله عنه، واستأذنه في إقامة عمر رضي الله عنه ليُعينه في أمور المسلمين، فأذن له في ذلك. وكانت قبائل العرب خلا قريشٍ وثقيفٍ قد ارتدّت عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، فجهز إليهم الجيوش وقاتلهم حتى عادوا إلى الإسلام.

قال الطبري: وفي أول خلافته أتى الخبر بقتل الأسود العَنْسي الذي كان قد تنبَّأَ بصَنْعَاءَ، وكان النبي ﷺ قد أتاه الوحي بقتله قبل وفاته، وأخبر النبيُّ ﷺ بذلك أصحابَه، وقيل: إنما قُتل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

وفي أيامه قُتل مُسَلَمَةُ الكذَّاب، وكان قد تنبأ باليَمامة وتبعه خلق كثير، فقتله وَحْشيٌّ قاتلُ حمزةَ عمِّ النبي ﷺ.

وفي أيامه سار خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد قتل مُسيلمة إلى العراق، فصالحه

= الكف وهي عروق ظاهر الكف. واحدها أشجع. والكتم نبت يخضب به الشعر ويصنع منه مداد للكتابة. وفي الأصل: أجنى عاري الأشاجع يخضب بالجنى.

أهل الحِيرة على جزْية حَمَلها إلى المدينة، فكانت أوّلَ جزية حُملت إليها.

وفي أيامه فتح خالدُ بن الوليد الأنباءَ وعَيْنَ التَّمر من العراق، وبعث السَّبْيَ إلى المدينة، وتوجه إلى دُومة الجندل فقتل ملكها أُكَيْدرَ الجَنْدَلِ وسبى ابنته[١].

وفي أيامه فُتحت بُصْرى من الشام، وهي أول مدينة فتحت بالشام.

وحج بالناس في السنة الثانية من خلافته.

وهو أول (٢٥ ا) من جمع القرآن بين دَفَّتي المصحف حين أُصيب المسلمون باليمامة في وقعة مُسيلمة، والقرآنُ حينئذ في صدور الرجال وفي الرقاع والعُسُب[٢] فجمعه وسماه مصحفاً، فكان عنده إلى أن تُوفي، فبقي عند حفصة أمّ المؤمنين زوج النبي ﷺ، ومنه كُتبت المصاحف في خلافة عثمان رضي الله عنه، وسُيِّرَت إلى الأمصار، على ما سيأتي ذكره في خلافة عثمان رضي الله عنه.

وكان رضي الله عنه يأخذ من بيت المال في كل يوم ثلاثة دراهم أجْرَه، فلما حضرته الوفاةُ قال لعائشة رضي الله عنها: انظروا ما زاد في مال أبي بكر مُذْ وَلِيَ الخلافة فَرُدِّيه على المسلمين، فنظرت، فإذا بَكْرٌ، وَمَحَسَّةٌ، وقَطيفةٌ لا تساوي خمسة دراهم، فلما جاء ذلك عُمَرَ قال: رحم الله أبا بكر، لقد كلَّف من بعده تَعَباً.

ولايات الأمصار في خلافته

كان في زمن النبي ﷺ على مكة عَتَّاب ابن أَسِيد[٣] فأقره أبو بكر وعلى صنعاءِ اليمنِ قيسُ بن عبد يغوث المرادي[٤] ولاه النبي ﷺ عليها، فولى أبو بكر رضي الله عنه مكانه فيروز الديلمي، ثم ولَّى المهاجر بن أبي أمية وعكرمة بن أبي جهل على قتال أهل الردة. [ثم استقر اليمن في ولاية يعلى بن مُنْيَة].

---

(١) في الأصل: دومة الجبل فقتل ملكها أكيدر الجندل وسبى ابنه.

(٢) العسب جمع عسيب وهو جريدة من النخل كشط خوصها.

(٣) في الأصل «عثمان بن أسيد» وكذلك في صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٥ وضبط أسيد بالتصغير وليس في الصحابة عثمان بن أسيد ويوجد عثمان بن أبي العاصي بن بشير الثقفي استعمله النبي على الطائف وأقره أبو بكر أما عتاب بن أسيد فهو الذي استعمله النبي على مكة لما سار إلى حنين واستمر وأقره أبو بكر على مكة.

(٤) قيس بن عبد يغوث المرادي هو قيس بن مكشوح انظر ترجمته في الإصابة حرف القاف القسم الثالث.

الثاني من الخلفاء الراشدين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن عبد العُزَّى بن قَرْط بن رزاح بن عَديّ بن كعب جدِّ النبي ﷺ، وبينه وبين كعب ثمانية آباء، ولُقِّب بالفاروق لِفَرقِه بين الحق والباطل حين أعلن بالإسلام. واختُلف في أول من لقبه بذلك، فقيل: رسول الله ﷺ وقيل: أهلُ الكتاب. وقد جاء أن اليهود قالوا له: إنا نجد في كتبنا أنك قرن قال: قَرْنُ مَهْ[1]، قالوا: قرنٌ من حديد، وأمه حَنْتمة[2] بنت هشام[3] المخزومي.

كان رضي الله عنه أبيض أَمْهَق[4] طُوَالاً كأنه راكب (٢٥ ب) جمل، أصلعَ الرأس.

وليَ الخلافة بعهد من أبي بكر رضي الله عنه، على ما تقدم ذكره في الباب الأول في الكلام على عهود الخلفاء، وبويع له بها بالمدينة يوم مات أبو بكر رضي الله عنه، لِتسعْ بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

قال ابن حزم[5] في «نقط العروس» وكان سنه حين وليَ الخلافة دون الستين سنة، وكان في كفه خاتم رسول الله ﷺ، تلقاه عن أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاته، وقد تقدم ذكْر نقشه، وبقي حتى توفِّي لأربع بقين من ذي الحجة، وقيل: لليلتين بقيتا منه. سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، طعنه أبو لُؤلؤة الفارسيُّ غلامُ المُغيرة بن شُعبة ـ وكان مجوسياً وقيل نصرانياً ـ ثلاث طعنات، إحداهن تحت سُرَّته، فبقي ثلاثاً ثم مات، وصلَّى عليه صُهَيْبٌ الروميُّ، ودُفن بحجرة عائشة رضي الله عنها، عند صاحبيه النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، ووجهه قُبالة كَتِفَيْ أبي بكر، وعمره خمس وخمسون سنة[6]. ومدة خلافته عشر سنين.

وكان له خمسة أولاد ذكور، وهم: عبد الله من زوجته زينب، وعبد الله من زوجته مُلَيْكة، وزيد من أُم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن وكنيته أبو شَحْمة.

---

(١) «مه» هنا هي ما وهاء السكت والمعنى: قرن أي شيء.

(٢) كذا في الأصل. وفي الأصابة ترجمة عمر: حنتمة وكذلك نسب قريش ص ٣٤٧.

(٣) في نسب قريش: هاشم بن المغيرة وفي الإصابة بنت هاشم.... ومن طريق ابن إسحاق أنها بنت هشام أخت أبي جهل.

(٤) الأمهق: الشديد البياض وليس لامعاً.

(٥) ابن حزم هو علي بن أحمد توفي سنة ٤٥٦ انظر شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٩.

(٦) كذا في الأصل ولعلها خمس وستون سنة.

وبنتان، وهما: حفصة زوج النبي ﷺ، وهي شقيقة عبد الله، وفاطمة[١] وهي شقيقة زيد[٢].

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة استكتب زيدَ بنَ ثابت وعبدَ الله بن خَلف الخُزاعي. وجعل على بيت المال زيدَ بن أرقم. واستقصى شُريح بن الحارث، قال الدولابي[٣]: وبقي في القضاء بعد ذلك ستين سنة حتى مات سنة سبع وثمانين في خلافة الوليد بن عبد الملك، عن مائة وعشرين سنة، وقيل: إنما بقي خمسا وسبعين سنة، تعطل منها ثلاث سنين (٢٦ ا) في فتنة ابن الزبير.

وفي أيامه كانت فتوح الأمصار.

ففتح من بلاد الشام دِمشقُ صلحاً على يد أبي عُبيدة بن الجرَّاح وخالد بن الوليد، وفُتحت بَيْسان وَطَبَرِيَّة وقَيْسَارِيَّة وفلَسْطين وَعسْقَلان، وسار بنفسه ففتح بيت المَقْدِس صُلْحاً. ثم فتح بعد ذلك بَعْلَبَكّ وحمْص وحَلَب وقِنَّسْرين وأنْطاكيَة والرَّقة وحَرَّان والمَوْصِل والجَزيرة ونَصيبين وآمِد والرُّها.

وفتح من العراق القادِسيَّة والمدائن على يد سعد بن أبي وقاص، وانهزم ملك الفرس إلى فَرْغَانَة وبلاد التُّرك.

وفتحت كُوَرُ دجلة والأُبلة على يد عتبة بن غزوان.

وفُتحت كُوَرُ الأهواز على يد أبي موسى الأشعري.

وفتحت نَهاوند وإصْطَخر وأصبهان وتُسْتَر والسُّوس وأذْرَبيجان وبعض أعمال خراسان.

وفي أيامه سُدَّت فروج الشام ورتِّبت دُرُوبها.

وفي أيامه غزا معاويةُ الروم حَتى بلغَ عمُّوريَة.

وفي خلافته بُنيت البصرة والكوفة.

وفي خلافته في ثمان عشرةَ كان عام الرَّمادة بالحجاز. وهو الغلاء الشديد، فاستسقى عمر رضي الله عنه بالعباس عم النبي ﷺ فسقُوا، وكتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو

---

(١) في نسب قريش اسمها رقية.

(٢) انظر نسب قريش ٣٤٨ ـ ٣٤٩ فأن له من الذرية أكثر مما عد هنا وهم عبد الله وحفصة أمهما زينب بنت مظعون. وزيد ورقية وأمهما أم كلثوم بنت علي. وزيد الأصغر وعبيد الله أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك، وعاصم بن عمر أمه جميلة بنت ثابت وعبد الرحمن الاوسط أبو شحمة وعائشة أمهما أم ولد اسمها لهية وعبد الرحمن الأصغر أبو المجبر وزينب أمهما أم ولد وعياض أمه عاتكة بنت زيد بن عمرو وفاطمة أمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام وعبد الله الأصغر أمه سعيدة بنت رافع.

(٣) في شرح القاموس مادة دلب يوجد محمد بن الصباح الدولابي محدث.

أمير مصر يومئذ يشكو قحط الحجاز وما المسلمون فيه من الشدة، فكتب إليه عمرو: لأمدَّنَّك بعِير طعامٍ أوّله عندي وآخره عندك. ثم أخذ في حفر خليج القاهرة الذي فمه عند موردة الخلفاء بمصر، فوصل به إلى بلْبيس ثم إلى السويس ساحل بحر القُلْزُم في ثمانية أشهر، وجرى فيه ماء النيل، وحُملت الغلال فيه إلى السُّوَيس، ثم من السويس إلى الحجاز، في عامِه.

وفي أيامه في سنة ثمان عشرة كان طاعون عَمْوَاس. وهي بلدة بالشام نُسب الطاعون إليها. مات فيه خمسة وعشرون ألفاً، منهم أبو عبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جَبَل.

وقد تقدم في ألقاب الخلفاء أنه أول من لُقّب بأمير المؤمنين.

وهو أول من أرخ بالهجرة، وأول من ختم الكتب بعد (٢٦ ب) النبي ﷺ، وأول من جمع الناسَ على إمام واحد في صلاة التراويح في رمضان، وأول من اتخذ الدِّرَّة ليُعَزِّز[١] بها الجناةَ، فكان لها عندهم من الهيبة ما لا فوقه، حتى قال الشَّعبي: إن دِرَّة عمر لأهيب من سيف الحجاج. على ما سيأتي بيانه في الباب السابع إن شاء الله تعالى.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر حين فتحها في أيامه عمرُو بن العاص رضي الله عنه بتولية منه، وهو أول من وليها في الإسلام، وهو الذي اختطَّ مدينة الفُسطاط على القُرب من قصر الشمع الذي كانت الفرس قد بنته حال ملكهم الديارَ المصرية، وبنى الجامع العَتيق: ويقال: إنه وقف على إقامة محرابه ثمانون رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم.

وكان على الشام أبو عبيدة بن الجراح بولاية منه أيضاً حين الفتح، ثم صرفه عنه وولى مكانه معاوية بن أبي سفيان.

الثالث من الخلفاء الراشدين
عثمان بن عفان رضي الله عنه

وهو أبو عبد الله وقيل أبو عمرو[٢] وقيل أبو ليلى عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف جد النبي ﷺ، وكنيته ذو النُّورين. لأنه تزوج ابنتي رسول الله ﷺ رُقَيَّة وأم كلثوم.

---

(١) عزره أدبّه. ضربه أشد الضرب.

(٢) في نسب قريش ص ١٠٥ وكان عثمان يكنى أبا عبد الله ويكنى أبا عامر (كذا وصوابه أبو عمرو) فعمرو أكبر أولاده الذين أعقبوا وجاء ذلك في شعر لنائلة بنت الفرافصة:

ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي … وقد ذهبت عنا فضول أبي عمرو

وأمه أروى بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف.

كان رضي الله عنه أسمر اللون معتدل القامة، وقيل طُوَالاً، حسن الوجه، بوجهه أثر جدري، عظيم اللُّحية، أصلع، يُصفّر لحيته، وقيل: إنه كان يَشُبك أسنانه بالذهب.

بويع الخلافة بعد موت عمر رضي الله عنه غرَّة المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة، وقد تقدم أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه تركها شورى في الستة المذكورين في الباب الأول، وهم عثمان وعليّ وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص [وطلحة]، فآل (٢٧ أ) الأمر منهم إلى عثمان، على ما تقدم ذكره هناك.

قال في «نقط العروس» واختلف في سنّه حين وليها، فقيل: إنه ولي وله ما بين ثمان وخمسين إلى إحدى وخمسين[(١)] سنة وقيل أقل من ذلك، قال: والحق الذي لا شك فيه أنه لم يكن بلغ ستين سنة. وكان في كفه خاتم رسول الله ﷺ، وقد تقدم ذكر نقشه، فبقي في يده نحواً من ست سنين من خلافته، حتى سقط منه في بئر أريس من بئار المدينة، فما قُدِر عليه، فاتخذ عثمان رضي الله عنه مكانه خاتماً من فضة، ونقش عليه فيما يقال: آمنت بالله الذي خلق فَسَوَّى، وقيل: نقش عليه: لَتَصْبِرَنَّ أو لَتَنْدَمَنَّ. وبقي حتى قُتل بداره يوم السبت، وقيل يوم الجمعة، لثمان بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وقيل يوم الأضحى من السنة المذكورة، وسنه يومئذ اثنتان وثمانون سنة، وقيل تسع وثمانون، وقيل تسعون. ودفن يوم السبت، وقيل الظهر، وقيل دفن ليلاً. وقبره بالبقيع خارج المدينة بأرض يقال لها حَشّ كَوْكب كان عثمان اشتراها وزادها فيه،[(٢)] والحش: النبات.

وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً[(٣)] وقيل إلا ثمانية أيام. وكان له من الأولاد الذكور: عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر، كلاهما[(٤)] من رقية بنت رسول الله ﷺ ماتا طفلين (وعَمْرٌو) وعُمَرُ وأبان وخالد وسعيد والمغيرة[(٥)]، ومن الإناث أم سعيد وأُم أبَان وعائشة وأم عَمْرو وغير هؤلاء.

الحوادث والماجريات في خلافته

في أيامه فتحت كرمان وسجستان ونيسابور وفارس وطبرستان وَهراة وباقي خراسان، وفُتِحت أيضاً أرمينية، وفُتِحت إفريقية وقبرص.

---

(١) لعلها ثمان وستين إلى إحدى وسبعين فقد قيل قتل وسنه اثنتان وثمانون سنة فيكون تولى الخلافة وسنه تسع وستون سنة وسيأتي ذلك فانظر إلى ما قيل في نقط العروس. ولعل النص: «فقيل إنه ولي وله ما بين ثمان وستين إلى إحدى وسبعين سنة وقيل... إنه لم يكن بلغ سبعين سنة».

(٢) في نسب قريش ١٠٢ والإصابة ترجمة عثمان: «كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع».

(٣) في الأصل إلا اثنتا عشر يوماً.

(٤) في نسب قريش ١٠٤ عبد الله الأصغر أمه فاختة بنت غزوان.

(٥) انظر نسب قريش ص ١٠٤ فلا يوجد المغيرة من أبنائه على كثرتهم.

وقُتل يَزْدجِرد ملك الفرس بعد أن كان هرب إلى فرغانة وبلاد الترك.

وغزا معاوية القسطنطينية سنة (٢٧ ب) ثلاثين.

وفي أيامه توفي العباس عم النبي ﷺ عن ثمان وثمانين سنة، وكان من شأنه أنه مرَّ به عُمَر وعثمان في خلافتهما وهما راكبان ترجَّلا له إجلالاً وتعظيماً.

وتوفي أيضاً عبد الرحمن بن عوف عن خمس وسبعين سنة، وكان من أكثر الصحابة ثروة، وأوصى لكلّ رجل من أهل بدر بأربع مائة دينار، وهم حينئذ مائة رجل، وقسمت تركته على ستة عشر سَهْماً كلّ سهم مائة ألف دينار.

وفي أيامه وقع الاختلاف في القراءات، وقدِمَ حذيفةُ من غَزوة أرمينية فقال لعثمان: أدرك الناس لِئلا يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى في كتابَيْهم، قال: ولم ذاك، قال: حضرت غزوة أرمينية، فحضر أهل العراق وأهل الشام، فكان كل فرقة منهم تُكَفِّر الأخرى في قراءتها. فأمر زيداً فكتب مصحفاً، وعارضه بالمصحف الذي كان عند حفصة، وهو الذي أُجمِع عليه في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وأمر بكَتْب مصاحف على ذلك وأنفذها إلى الأمصار، وحرق ما عداها من المصاحف، وذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم.

ولايات الأَمصار في خلافته(١)

كان على مصر عمرو بن العاص فولاّها عثمانُ أخاه من الرضاعة عبدَ الله بنَ أبي

(١) يذكر المؤلف في بعض الأحيان أنه لم يعرف بعض ولاة البلدان ولهذا يراجع الولاة في كتاب «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة» كما يأتي:

الولاية	صفحة	الولاية	صفحة
١آمد	١٥٤.	١٤ الري	٧٠.
٢ إفريقية ويراد بها غرب مصر إلى ساحل المحيط الأطلسي صفحة	٧٥.	١٥ سبيبة	١٥٤.
٣ الأندلس	٨٥.	١٦ سنجار	١٥٢.
٤ بانياس	١٥٤.	١٧ فارس	٧٤.
٥ البصرة	٦٢.	١٨ الكرك	١٥٣.
٦ بصرى	١٥٥.	١٩ الكوفة	٦٧.
٧ بعلبك	١٥٢.	٢٠ المدينة	٣٥.
٨ بغداد (بعد الخلفاء العباسيين بها)	٦١.	٢١ مصر	٣٨، ١٤٣، ١٦٢، ١٦٣.
٩ حصن كيفا	١٥٤.	٢٢ مكة	٢٧.
١٠ حلب	٤٩، ١٥١.	٢٣ الموصل	٥٥.
١١ حماة	١٥٢.	٢٤ ميافارقين	١٥٢.
١٢ حمص	١٥٣.	٢٥ نيسابور	٧٥.
١٣ دمشق	٤٣، ١٥١.	٢٦ اليمن	١٥٢، ١٧٥.

سَرْح، ثم حضر إلى عثمان في آخر سنة خمس وثلاثين واستخلف عليها عُقبة بن عامر الجُهَني، فوثب عليه محمدُ بن أبي حذيفة في شوال منها، فأخرجه منها وخلع طاعة عثمان، وتأمَّر على مصر، ثم عاد إليها ابن أبي سرح، فلم يمكنه من الدخول إليها، فرجع إلى عسقلان ومات بها، ولم يزل ابنُ أبي حذيفة متأمِّراً عليها حتى قُتِل عثمان، ولم يزل على ذلك حتى قدم معاوية مصر، ويقال: إن عثمان ولّى عليها أبَا يحيى[1] العامريَّ.

وكان على الشام معاوية بن أبي سفيان، فأمَّره عليها. وكان على اليمن يعلى بن (١٢٨أ) مُنْيَةَ[2].

وكان على إفريقية وما معها من بلاد المغرب عبدُ الله بن أبي سَرْح من حين فَتْحِها عَلَى يده، على ما سيأتي ذكره.

الرابع من الخلفاء الراشدين
عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه

وهو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب، اسمه عبد مناف، ابن عبد المطلب جدّ النبي ﷺ

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، أسلمت وهاجرت.

ولقبه حَيْدَرَة، وهو أول خليفة ـ وَلِي ـ أبواه هاشميان.

كان رضي الله عنه شديد الأدمة حسن الوجه عظيم العينين بَطِينا أصلع عظيم اللّحية كثير شعر الصدر، مائلاً إلى القِصر، كثير التبسُّم، بويع له بالخلافة بالمدينة بعد قتل عثمان، لثمان بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين؛ وتأخر قوم عن مبايعته.

قال في «نقط العروس» وكان عمره يومئذ دون الستين، وكان نقش خاتمه: المُلْك لله الواحد القهار. وبقي حتى ضربه عبد الرحمن بن مُلْجِم المُرادي ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة، فمات بعد ثلاث، وعمره ستون سنة. وقيل: سبع وخمسون، وقيل ثمان وخمسون، وصلى عليه ابنهُ الحسن. ودُفن بالكوفة عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة. وغُيِّب قبره.

وقال الواقدي: دُفن ليلاً، ومدة خلافته خمسُ سنين إلا ثلاثة أشهر.

---

(١) في الأصل أبو يحيى. وهذا جائز فيمن يلزم الكنية الواو إذا اشتهر بها صاحبهما مثل أبو طالب. لكن المؤلف جرى على إعرابها بالأحرف.

(٢) يعلى بن منية هو يعلى بن أمية التميمي الحنظلي ومُنية أمه «بضم الميم وسكون النون» وقيل هي أم أبيه ترجمته في الإصابة. وفي الأصل: منبه.

وكان له من الولد[1] أربعة عشر ذكراً منهم: الحسن والحسين ومحسن من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، والعباس وجعفر وعبد الله وعثمان من أم البنين الكلابية، وعبد الله وأبو بكر ومحمد الأصغر ويحيى من أسماء بنت عُميس، وعمر من الصهباء بنت ربيعة، ومحمد الأوسط من أُمامة بنت أبي العاص من زينب[2] بنت رسول الله ﷺ، ومحمد بن الحنفية من خَوْلة بنت جعفر من بني حنيفة، وثماني عشرة إمرأة، النسل منهم (في) خمسة، وهم الحسن والحسين من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ومحمد بن الحنفية وعُمَر والعباس. والشرف (٢٨ ب) منهم للحسن والحسين لانتسابهما إلى النبي ﷺ، من حيث إن من خصائصه ﷺ أن ينسب إليه أولاد بناته، بخلاف غيره من الأمة.

وكان نقش خاتمه: الملك لله الواحد القهار.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بويع بالخلافة أقام بالمدينة أربعة أشهر، إلى أن اجتمع على عائشة أُمّ المؤمنين رضي الله عنها طلحةُ والزبير وغيرهما، وحملوها على جمل يقال له عسكر، وساروا بها إلى البصرة من العراق لطلب ثأر عثمان، فخرج عليٌ في طلبهم في سنة ست وثلاثين، وانضم إليه أهلُ الكُوفة، فكان بينهم وقعة الجمل المشهورة، قُتل فيها من أصحاب عائشة ثمانية آلاف، فيهم طلحة، وفر الزبير فقتل بوادي السِّباع.

قال القضاعي: ويقال: إنه قتل منهم سبعة عشر ألفاً، ويقال: إنه قُطِع على خِطام جملِ عائشة مِمن يقوده إلى الحرب سبعون يداً، كلهم من بني ضَبَّة، كلَّما قُطعت يدُ رجل تقدَّم آخر، مكانه، وقُتِل من أصحاب عليٍّ على نحو ألف. ثم في سنة سبع وثلاثين دعا معاويةُ بن أبي سفيان بالأمر لنفسه بالشام، وسار في الشام، إلى عليٍّ بالعراق، وسار إليه عليٌّ، فالتقيا بصِفّين على الفرات، وكان عليٌّ في تسعين ألفاً، ومعاوية في مائة ألف، فقُتل من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، منهم خمسة وعشرون بدْريًا وكان في جُملة من قُتل منهم عَمَّارُ بنُ ياسر، الذي قال له النبي ﷺ[3]: **«تَقْتُلك الفئة الباغية»**. وقتل من عسكر معاوية خمسة وأربعون ألفا. ثم تداعيا إلى الحُكومة، فحكَّم عليٌّ وأهلُ الكوفة أبا موسى الأشعريَّ، وحكَّم معاوية وأهلُ الشام عَمْرَو بنَ العاص، واجتمع الحَكَمان بدُومَة الجَنْدل، واتفقا على أن يخلعا عليًا ومعاوية ويختارا للمسلمين خليفةً يرضونه، لمكيدة كادها عمرو (٢٩ ا) ثم تقدما إلى الناس، فبدأ أبو موسى فخلع عليًا، فقال عمر: وأنا قد أثبت معاوية

(١) انظر نسب قريش ص ٤٠ ـ ٤٦.

(٢) أمامة بنت أبي العاص بن الربيع أمها زينب. انظر ترجمتها في الإصابة وقيل إن أمامة لم تلد لعلي أحداً.

(٣) انظر صحيح مسلم ج ١٨ ص ٤٠،٤١.

على الخلافة. فرضي أهل الشام، وامتنع أهل العراق، وخرجوا على عَليٍّ فسُمُّوا الخوارج، ثم عاد عليٌّ لقتالهم في سنة تسع وثلاثين، ثم لم يزل معهم في حرب إلى أن قتله ابنُ ملجم، على ما تقدّم ذكره، ولم يَحُجَّ عليٌّ رضي الله عنه في شيء. من خلافته، لاشتغاله بالحرب.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر أبو يحيى العامري، فتوفي سنة ست وثلاثين، فولى مكانه قيس بن سعد بن عُبادة الخزرجيّ، ثم عزله وولى مالك بن الحارث الأشتر، وكتب له بذلك عهداً، فسار حتى بلغ القُلْزم، فسُمَّ في عسل شَربه فمات، فولاها من بعده محمدَ بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، فوَلّى عليها سَهْلَ بن حُنَيف[1].

وكان معاوية مستولياً على الشام.

ولم أقف على من كان بمكّة والمدينة[2].

وولّى على اليمن عبيد الله[3] بن عباس ثم أخاه عبد الله.

وولّى على البصرة عثمانَ بن حُنَيف.

وولى على الكوفة دار إقامته عمارَ بنَ حسان.

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الله بن أبي سَرْح.

الخامس من الخلفاء الراشدين

الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما

وهو أبو محمد الحسن بن عليّ بن أبي طالب المقدم ذكره.

وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

---

(١) كذا في الأصل، ولم يذكر ذلك في صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٢٣ وإنما الذي ذكر أن محمد بن أبي بكر وليّ مصر سنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة. ثم وليها عن معاوية عمرو بن العاص. ولم يذكر سهل بن حنيف في معجم الأنساب والأسرات ص ٣٨. لكن الأصل في ذكره لولاة الحسن ذكر أيضاً سهل بن حنيف كما سيأتي كما ذكره في الولايات في أيام معاوية.

(٢) في معجم الأنساب ص ٣٥ أن ولاة المدينة سهل بن حنيف وأبو أيوب وولاة مكة ص ٢٧ أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري وقثم بن العباس بن عبد المطلب وانظر ابن الأثير ج ٣ ص ١٦٤.

(٣) في الأصل عبد الله هذا وفي كتاب معجم الإنسان ص ١٧٥ عن ابن الأثير ج ٣ ص٧٢ وليَّ أيضاً على اليمن جارية بن قدامة السعدي.

كان رضي الله عنه أشبه الناس برسول الله ﷺ من رأسه إلى سرته، والحسين رضي الله عنه أشبه به من سرته إلى قدمه، وهو أكبر من الحسين بسنة واحدة، وكان رضي الله عنه مِطْلاقاً، تزوَّج كثيراً من النساء، فصعدَ عليٌّ كرَّم الله وجهه (٢٩ ب) المنبرَ وقال: أيها الناس ألاَ لا يُزَوِّجَنَّ أحدٌ منكم الحسنَ بنَ عليٍّ فإنه مِطلاقٌ، فنهض رجل من هَمْدان قبيلةٍ من اليمن وقال: والله لَنُزَوِّجَنَّه إنْ أَمْهرَ أمهر كَثيفاً، وإن أولد أولدَ شريفاً. فقال عليٌّ رضي الله عنه عند ذلك:

[و] لو كنتُ بوّاباً على باب جَنَّةٍ ... لقلت لهمدانَ ادْخُلي بسَلام

بُويع بالخلافة يوم موت أبيه عليٍّ رضي الله عنه، لسبع عشر ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة. وأوَّل من بايعه سعدُ بن عُبادة الأنصاري، وكانت يده شلاَّءُ، فقيل: لا يتمُّ هذا الأمر.

قال في «نقط العروس» وكان عمره حينئذ ما بين ثلاثين سنة إلى الأربعين.

وكان نقش خاتمه لا إله إلاَّ الله الملك الحق المبين.

وبقي إلى أن خَلَع نفسَه من الولاية وسلَّم الأمرَ لمعاوية ابن أبي سفيان، كَفًّا للفتنة بين المسلمين، في ربيع الأول، وقيل في جُمادى الأولى، سنة إحدى وأربعين، فكانت خلافته على القوم الأول خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وعلى الثاني خمسة أشهر وكسرا، وعلى الثالث سبعة أشهر وكسرا.

وتوفي بعد خلعه بالمدينة في ربيع الأول سنة تسع وأربعين من الهجرة، وقيل: توفي لثمان خلون من المحرم سنة خمسين، وصلَّى عليه سعيدُ بن العاص، ويقال: إن معاوية لما بلغه موته سجد شكراً.

وقد قيل: إن زوجته جَعْدَةَ بنتَ الأشعث سمَّته فمات، من حيث إن يزيد بن معاوية وعدها أن يتزوجها إن سمَّتْه، ففعلت، ولم يُوف لها.

ودفن بالبقيع على القرب من قبر العباس بن عبد المطلب، وقد بُني عليهما قُبَّةٌ عظيمة تُرى من خارج المدينة على بُعد.

وكان له من الولد[1] حسن الأصغر وزيد (٣٠ ا) وعمرو[2] والحسين الأثرم. والقاسم وأبو بكر وطلحة وعبد الله وعبد الرحمن.

---

(١) انظر نسب قريش ص ٤٦.

(٢) في الأصل «عمر» والتصويب من نسب قريش ص ٥٠.

والعقب منهم لحسن وزيد دون سواهما، والقاسم وأبو بكر قتلا مع عمهما الحسين، وعبد الله قتل بالطَّفّ.

وكان له بنات أيضاً.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بويع بالخلافة أقام بالكوفة إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وقتل عبدَ الرحمن بنَ مُلْجم قاتلَ أبيه، يقال إنه ضربه بالسيف فاتقاه بيده فندَرَت[1] ثم قتله بعد ذلك. وكان عليٌّ رضي الله عنه قد جهَّز قبل موته أربعين ألفاً لحرب معاوية، فتجهز الحسن بعد مبايعته للخروج بذلك الجيش، وسار من الكوفة للقاء معاوية، واشترط عليه شروطاً وقال: إن أنت أجبت إليها فأنا سامع مطيع، وكان مشروطه عليه أن لا يَسُبَّ عليًّا، وأن يُعطيه ما ببيت مال الكوفة. فأجابه معاوية إلى ذلك. وسلَّم الأمرَ إليه على ذلك، ورجع إلى المدينة، فبقي بها إلى أن تُوفِّي، على ما تقدم ذكره، وكان في خلَعْه نفسه وتسليمِ الأمر لمعاوية ظهورُ مُعجزتين للنبي ﷺ.

إحداهما أن النبي ﷺ قال في حقه: «**ابنْي هذا سَيِّدٌ وسيُصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**». فكان الأمر كذلك.

والثانية أنه حسب يوم تَسْلِيمه فكان تمام ثلاثين سنة، وقد تقدم أنه ﷺ قال: «**الخلافةُ بعدي ثلاثون سنة ثم تكون مُلْكاً**».

ولايات الأمصار في خلافته

كانت عماله على الأمصار عمال أبيه المقدّم ذكرهم، إذا لم يمض له من الزمن ما يسع فيه تغيير العمال مع اشتغاله بحرب معاوية.

فكان على مصر سَهْل بن حُنَيْف.

والشام بيد معاوية. وعلى اليمن عبد الله بن (٣٠ ب) عباس. وعلى البصرة عثمان بن حُنَيف. وعلى الكوفة عمّار بن حسَّان. وعلىْ إفريقية عبد الله بن أبي سَرْح.

---

(١) ندر الشي من موضعه: زال. وندر الشيء أيضاً: سقط من جوف شيء فظهر.

الطبقة الثانية من الخلفاء

خلفاء بني أُمية

وهم أربعة عشر خليفة، وكانت مَقَرَّتُهم بالشام، ومدة خلافتهم نيّف وتسعون سنة.

الأول من خلفاء بني أمية
معاوية بن أبي سفيان

وهو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان واسمه صَخْر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن مناف جدّ النبي ﷺ.

وقد قيل إنه كان لخلفاء بني أُمية هؤلاء ألقاب تخصهم كألقاب بني العباس. وإن لقب معاوية كان الناصر لحق الله.

وأُمه هند بنت عُتبة بن رَبيعة بن عبد شمس.

أسلم هو وأبوه يوم الفتح، وذهبت إحدى عيني أبيه يوم الطائف، وذهبت الأُخرى يوم اليرموك.

وكان أبيض طويلاً، إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وكان يَخضب بالحناء والكَتَم.

بويع بالخلافة البيعةَ العامّة حين سلّم إليه الحسنُ الأمرَ بالكوفة، في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وقال الدُّولابي: في ذي الحجة ببيت المقدس سنة أربعين، وكان قد بويع قبل ذلك يوم اجتماع الحَكَمَيْن بصِفّين.

قال في «نقط العروس»: وكان سنه يومئذ دون الستين سنة، وكان نقش خاتمه: لكل عمل ثواب. وقيل: كان نقشه: لا قوة إلا بالله.

وهو أول من رتّب الخلافة وأقام أُبّهتَها وأجراها على قاعدة المُلْك، وهو أول من عمل المقصورة في الجامع من الخلفاء ليُصلِّيَ فيها يوم الجمعة. وأول من رتَّب البريد في الإسلام. على ما سيأتي ذكره في الباب السابع، إن شاء الله تعالى، وبقي حتى توفي بدمشق في مستهل شهر رجب سنة ستين من الهجرة، وقيل في النصف من (٢١ أ) رجب، وعمره ثمان وسبعون سنة، وقيل خمس وسبعون، وقيل سبعون.

واختلف فيمن صلّى عليه، فقيل: ابنه يزيد، وقيل إن يزيد كان غائباً وإن الذي صلى عليه الضحَّاك بن قيس، ودُفن بدمشق، ومدة خلافته منذ اجتمع له الأمر بتسليم الحسن إليه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهرٍ وسبعةٌ وعشرون يوماً، وقيل: وخمسة أيام بين باب الجابية وباب الصغير.

قال الدولابي: وأقام على الشام أربعين سنة والياً عليها، في خلافة عمر أربع سنين،

وفي خلافة عثمان اثنتا عشرة سنة كذلك، وخمس سنين يقاتل عليّا، ومنذ خلص له الأمر إلى أن مات تسع عشرة سنة، ولما مرض دخل عليه أصحابه ليعودوه فأنشد[١]:

وتَجَلُّدي للشامتين أُريهِمُ أنّي لِرَيْبِ الدهرِ لا أتضعضعُ
وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها أَلفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

وكان له ثلاثة أولاد ذكور، وهم: عبد الرحمن ويزيد وعبد الملك، وأربع إناث هِند ورَمْلة وصَفيَّة وعائشة.

الحوادث والماجريات في خلافته

استلحق زياداً وادّعى أُخُوَّته في سنة أربع وأربعين، فكان عَوْناً له في خلافته لِحذقه ودهائه، والناس لا يُثْبِتون نسبه من أبي سفيان، فتارة يقولون زيادُ[٢] بن أبيه، وتارة يقولون زيادُ بن أمه[٣]، وفي أيامه في سنة ثمان وأربعين غزا ابنهُ يزيدُ القُسطنطينيةَ في جمع من الصحابة رضي الله عنهم، منهم أبو أيوبَ الأنصاري، فتوفي أبو أيوبَ في هذه الغَزاةِ في سنة اثنتين وخمسين، ودفن في أصل سور القسطنطينية، فلما دفن قالت الروم: لقد مات (٣١ ب) منكم عظيم، فقال يزيد: قولوا: هذا رجل من أصحاب محمد ﷺ من أقدمهم إسلاماً، وقد قبرناه حيث رأيتم، والله لئن نُبِش لا يُضْرَب ناقوسٌ بأرض العرب ما كانت لنا مملكة، فكانوا إذا أمحلوا كَشَفوا عن قبره فسُقُوا، وبَنَى الرومُ على قبره بِنَاءً وعلَّقوا عليه أربعة قناديل سُرُجاً.

وفي سنة أربع وخمسين عبر سعيد بن عثمان بن عفان نَهْرَ جَيْحون إلى سَمَرْقند والصُغْد وهزم الكفار، وقُتل في هذه الغزاة قُثَم بن العباس، ودفن بسمرقند، ومات بقية إخوته بأقطار متباعدة، فمات أخوه عبد الله بالطائف، وأخوه الفضل بالشام، وأخوه سعيد بإفريقية، فيقال إنه لم يُرَ، قُبورُ إخوةٍ أكثرَ تباعداً منهم.

وفي خلافته توفي سعيدُ بن زيد، أحدُ العشرة المقطوع لهم بالجنة، من أصحاب رسول الله ﷺ، في سنة إحدى وخمسين.

وتوفي زيادُ بن أبيه في سنة اثنتين وخمسين.

وتوفيت أُمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في سنة سبع وخمسين.

---

(١) الشعر لأبي ذؤيب الهذلي انظر كتاب شرح أشعار الهذليين تحقيقي ج ١ ص ١٠٢٨.

(٢) في نسب قريش. يزيد وعبد الله وهند ورملة وعائشة انظر ص ١٢٧، ١٢٨.

(٣) يقال له وهو مشهور زياد بن سمية.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر سهل بن حُنَيف، فولَّى عليها عمرو بن العاص، وهي ولايته الثانية، وبقي حتى تُوفِّي ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين، ثم وليها عن أخوه عُتبة بن أبي سفيان إلى أن مات، ثم وليها بعده عُقبة بن عامر الجُهَني، فبقي حتى صرَفه، وولَّى عليها مَسلمةَ بنَ مُخَلَّدٍ ـ بضم الميم وتشديد اللام ـ الخزرجيَّ سنة سبع وأربعين، فمكث بها خمس عشرة سنة.

وولي على مكة خالدَ بن العاص بن هشَام.

وعلى المدينة مروان بن الحكم، ثم عزله سنة أربع وخمسين وولى مكانه سعيد بن العاص. (١٣٢) وجمع له بين مكة والمدينة، ثم ولاهما مروان بن الحكم، ثم عزله سنة تسع وخمسين، وولى مكانه الوليدَ بنَ عُتبة بن أبي سفيان.

وولَّى على صنعاءِ اليمن فيروزَ الديلميَّ، فبقي حتى مات سنة ثلاث وخمسين، وولى على إفريقية وما يليها من بلاد المغرب معاويةَ بن حُدَيج ـ بالحاء المهملة المضمومة ـ السَّكُونيَّ، سنة أربع وثلاثين، ثم ولَّي عليها عُقبةَ بنَ نافع[١] بن عبد قيس الفِهري، سنة خمس وأربعين، فبقي عقبة بالقَيْرَوان، وجعلها منزلاً للجند، وهي أولُ مدينة بنيت بإفريقية في الإسلام، ثم استعمل على مصر وإفريقية مسلمةَ بن مُخَلد فعزلَ مسلمةُ عقبةَ عن إفريقية، وولَّى عليها مولاه أبا المهاجر ديناراً، سنة خمس وخمسين، فغزا الغرب، وبلغ تِلِمْسَان، وهي الغربُ الأوسط، وكان الغرب الأقصى والأندلسُ بعدُ لم يفتحا.

الثاني من خلفاء بني أُمية
يزَيدُ بن معاوية بن أبي سفيان

وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن معاوية بن أبي سفيان، ويقال إنه كان تلقب: المستنصر على أهلِ الزَّيغ، وأُمه مَيْسون بنت بَحْدلٍ الكلبيَّةُ، وكان آدم اللونِ طويلاً، جَعْدَ الشعر أحور العينين، بوجهه آثار جُدَريّ، حسنَ اللِّحية خفيفَها، وكان قد أقام مع أُمه ميسون في قومها بني كلب بالبادية، فتعلم منهم الفصاحة، وقال الشِّعر، وكان السببُ في ذلك أن معاوية يوماً سمع أمَّه وهي تنشد أبياتاً، ظَهَر له بها رغبتُها عنه، آخرُها:

وخِرْقٌ من بني عمي فقيرٌ ... أَحبُّ إليَّ من عِلْجٍ عَلُوف[٢]

---

(١) في الأصل: مانع. والتصويب من كتب التاريخ ومما سيأتي بعد ذلك.

(٢) الخرق: الكريم. والعلج: الضخم القوي، ويطلق على الأعاجم.

فقال: ما كفاك حتى جعلتني علجاً علوفاً؟ الْحَقِي بأهلك، فمضت إليهم ويزيدُ معها، فكان من أمره ما تقدم.

وَلِيَ الخلافةَ بعهد من أبيه معاوية، وبُويع له بها بعد موت أبيه في مُستهلّ صفر سنة ستين، وقيل: في النصف منه، وامتنع عن مبايعته عبد الله بن (٣٢ ب) الزُّبير، والحسينُ بن علي رضي الله عنهما، وقال ابن عمر رضي الله عنه: إن أجمع الناس على بيعته بايعتهُ. ومقتضى كلام ابن حزم في «نقط العروس» أنه وَلي وعمره ما بين العشرين والثلاثين سنة، وكان نقشُ خاتمه: ربُّنا الله. وبقي حتى تُوفّي بحوارين من عمل حمص، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين، وهو ابنُ ثمان وثلاثين سنة، وقيل: تسع وثلاثين، وحمل إلى دمشق، ودفن في مقبرة الباب الصغير، وصلّى عليه ابنهُ معاوية بن يزيد، وكانت مدة خلافته ثلاثَ سنين وتسعة أشهر، وقيل: وستة أشهر، وكان له من الأولاد الذكور مُعاوية وخالد وأبو سفيان وعبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وعمر وعبد الرحمن وعتبة الأعور ويزيد ومحمد وأبو بكر وحرب والربيع وعبد الله الملقب أصغر الأصاغر وبنات[1].

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بويع بالخلافة سار الحسينُ بن عليّ رضي الله عنهما، بعد ذلك بقليل، إلى الكوفة، ونزل بمكان يقال له كَرْبَلاء، ووقع الحرب بها بينه وبين جيش يزيد، فوقعت الكَسرة على الحسين رضي الله عنه، فقُتل في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وعمرُه تسع وخمسون سنة، وقيل: خمس وخمسون، وقيل: ست وخمسون، وقُتل معه من إخوته العباسُ وجعفرٌ وعبدُ الله وعثمانُ وعبيدُ الله وأبو بكر، وقتل معه أيضاً القاسم وأبو بكر وَلَدَا أخيه الحسن وعدةٌ من أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأولاد عَقيل بن أبي طالب، واحْتُزَّت رأسُ الحسين رضي الله عنه وحُملت إلى عبيد الله[2] بن زياد، فجعل يقرع فم الحسين بقضيب، فقال له زيد بن أرقم: ارفعْ هذا القضيبَ، فوالذي لا إله غيرُه لقد رأيت شفتيْ رسول الله (٣٣ أ) ﷺ على هاتين الشفتين.

ثم حُملت الرأس إلى يزيد بن معاوية، فجهزها إلى المدينة النبوية مع نسائهم وأطفالهم، فتلقاهم نساء بني هاشم حاسرات، وابنةُ عَقيل[3] بن أبي طالب تُنشد:

---

(١) لم يذكر في كتاب نسب قريش من أولاده عمر وحرب والربيع وعبد الله وعبد الله، وذكر واحداً منهم فقط ويقال له: الأسوار. وذكر ولداً آخر اسمه عثمان. وانظر في نسب قريش أسماء بعض بناته ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) في الأصل: عبد الله بن زياد وهو سهو.

(٣) في أنساب الأشراف: زينب بنت عقيل ترثي قتلى أهل الطف وخرجت تنوح بالبقيع. وانظر عيون الأخبار ج١ ص ٢١٢.

مـاذا تـقـولـون إنْ قـال الـنـبـيُّ لـكـم ... مـاذا فـعـلـتـمْ وأنـتـم آخـرُ الأُمـم
بـعِـتْـرَتِـي وبـأهـلـي بـعـد مُـفْـتَـقـدِي ... مـنـهـم أُسـارى وصـرعى ضُـرِّجُوا بِـدَمِ[1]
مـا كـان هـذا جـزائـي إذ نـصـحـت لـكـم ... أَن تَـخـلـفـونـي بـسُـوءٍ فـي ذَوِي رَحَـمِـي

وقد حكى صاحب «درر السمط في خبر السبط» أنه وُجد على حجر مكتوبٍ تاريخهُ قبل البعث بألف سنة هذا البيت[2]:

أتـرجـو أُمَّـة قـتـلـت حُـسـيـنـا ... شـفـاعـة جَـدِّه يـوم الـحِـسـاب

وقد اختُلف في الموضع الذي دُفنت فيه هذه الرأس[3]، فقيل: بالمدينة عند أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقيل دفنت بباب الفراديس بدمشق، وقيل: دفنت بِعَسقلان.

وقد حكي القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في «خطط القاهرة» أن الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز الفاطمي بنى جامعه خارج بابي زويلة لتنقل إليه هذه الرأس فيدفنها به، ويجعله مَشهداً لها، فبلغ ذلك الفائزَ أحدَ خلفاء الفاطميين فقال: الأحقُّ أنْ تكون هذه الرأس عندنا داخل القصر، فأخلي لها قاعة من قاعات القصر ودفنها فيها وجعلها مشهداً، وهو المشهد المعروف الآن بمشهد الحسين. ومما يؤيد صحة ذلك ما حكاه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر أيضاً: أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين استولى على قصر الفاطميين أمسك خادماً من خدام القصر، وعذبه بأن حلق رأسه وأكفأ عليها طاسا، وجعل فيه خنافس (٣٣ ب) فأقام ثلاثة أيام لم يتأثر بذلك، فدعاه السلطان وسأله عن شأنه، وهل معه طِلَّسْم وَقَاهُ ذلك: فقال: لا أعلم شيئاً، غير أني حملت رأس الحسين على رأسي حين أتى بها إلى المشهد. فخلَّى سبيله وأحسن إليه.

ولم يَحجَّ يزيدُ في مدة خلافته.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر مسلمة بن مُخَلَّد، فولَّى عليها مكانه سعيدَ بنَ يزيدَ الأَزْديَّ[4] في سنة اثنين وستين [ثم وليها عبد الرحمن الفهري] فبقي بها إلى ما بعد خلافة يزيد.

وكان على مكة والمدينة الوليدُ بن عُتبة[5] فولى مكانه عَمْرَو بنَ سعيد الأشدق، ثم

---

(١) في انساب الأشراف:
ذريـتـي وبـنـو عـمـي بـمـضـيـعـة ... مـنـهـم أسـارى وقـتـلـى ضـرجـوا بـدم
(٢) في الاستيعاب على هامش الإصابة ج١ ص ٣٨١ في ترجمة الحسين: وهذا البيت زعموا قديماً لا يدري قائله.
(٣) في الأصل: هذا الرأس.
(٤) في الأصل: «الأودي» والتصويب من صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٢٤ ومعجم الأنساب ص ٣٨.
(٥) هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

عزله سنة إحدى وستين، وأعاد الوليد بن عتبة، ورجَعَ عقبةَ بن نافع إلى إفريقية وما معها من بلاد المغرب، فاستولى على ذلك بعد أبي المهاجر دينارٍ.

الثالث من خلفاء بني أُمية
معاوية بن يزيد

وهو أبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حَرْب، ويقال: إنه كان يُلَقَّب الراجعَ إلى الله. وأمه أمُّ هاشم، ويقال: أم خالد بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. كان شابا دَيِّناً، ولم أقف على شيء من حِلْيَتِه[(١)].

بويع بالخلافة في رابع عشرّ ربيع الأول سنة أربع وستين حين وفاة أبيه، وقيل: في النصف من ربيعٍ الآخر منها، ومقتضى كلام ابن حزم أنه ولى الخلافة وسنُّه ما بين العشرين والثلاثين سنة، وكان نقش خاتمه: الدنيا غَرورة. وبقي حتى توفي بعد ثلاثة أشهر من خلافته، وقيل: بعد أربعين يوماً، وقيل: بعد عشرين يوماً، وعمره إحدى وعشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون سنة، وقيل: سبعَ عشرةَ سنة، وصلى عليه أخوه خالد، وقيل(١٣٤) صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فكبَّر عليه تكبيرتين، ومات قبل أن يقضي صلاته، فصلّى عليه مروانُ بن الحكم. ودُفن بجنب قبر معاوية بن يزيد المذكور، ولم أقف له على عقب[(٢)]، غير أنه كان يُكنى أبا ليلى، فيحتمل أنه كان له بنت اسمها ليلى كنى بها، ويحتمل أنه كنى بذلك من غير ولادة.

الحوادث والماجريات في خلافته

في خلال خلافته بويع لعبد الله بن الزبير[(٣)] رضي الله عنهما بالخلافة بمكة، في رجب سنة أربع وستين، واستولى على مكة والمدينة، ودان له أهل الحجاز واليمن والعراق، وبويع له أيضاً بحمص وقِنَّسرين من الشام، وكاد أن يتم له الأمرُ بِجُملته.

---

(١) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتي:
يدل على صلاح حاله وفلاح أحواله ما قاله:
يا ليت ما كان لي معاوية أباً ولا الخبيث يزيد

(٢) ولم يذكر له أيضاً عقب في نسب قريش.

(٣) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتي: «وقال الشيخ الإمام ختم «خاتم» المجتهدين السيوطي إن عبد الله بن الزبير من خلفاء «الخلفاء» الراشدين. فإن قلت: الخلفاء الراشدين «الراشدون» كم هم! قلت: سبعة أولهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعمر بن عبد العزيز.

قال ابن حزم: وسنّه حين بويع ما يزيد على ستين سنة، وبايعه أهل العراق أيضاً، وهدم الكعبة وأدخل فيها الحِجْر وجعل لها بابين مع الأرض، يُدْخَل من أحدهما ويُخْرَج من الآخر، معتمداً في ذلك على حديث. بلغه عن النبي ﷺ. وخَلَّق[1] الكعبة داخلها وخارجها، وهو أول من خَلَّقها، وكساها القَبَاطِيَّ، وهي ثياب بِيض من عمل مصر، ولم يزل يُقيم الحج للناس من سنة أربع وستين إلى سنة اثنين وسبعين.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر عبد الرحمن الفِهْري فأقرّه عليها فمكث فيها اثنتين وعشرين سنة، ويقال إن ابن الزبير ولَّى عليها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم.

وكانت مكة بيد عبد الله بن الزبير، وكان على المدينة من جهة عبد الله بن الزبير أخوه مصعب بن الزبير، ولاه عليها سنة خمس وستين، ثم نقله إلى البَصرة، وولى مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزُّهري، ثم ولِّي مكانه على المدينة طَلْحَة(٣٤ ب) بن عبد الله بن عوف، وولي عبدَ الله بن مُطيع الكوفةَ. وكان على إفريقية وما معها من المغرب عقبة بن نافع، فأقره عليها.

الرابع من خلفاء بني أُمية
مروان بن الحَكَم

وهو أبو الحكم، وقيل: أبو عبد الملك، مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس، ويقال: إنه كان يلقب المُؤتمن بالله، وأمه أُميّة بنتُ عَلقمة بن صفوان، كان قصيراً أَوْقَص[2]، بويع له بالخلافة بالجابية من الشام، في رجب سنة أربع وستين، ثم جُدِّدت له البيعة في ذي القعدة من هذه السنة.

قال ابن حزم في «نقط العروس» وكان سنه يوم ولي الخلافة إحدى وستين[3] سنة، وكان نقش خاتمه: الله ثقتي ورجائي، وبقي حتى تُوفِّي بالطاعون، لثلاث خلوْنَ من رمضان سنة خمس وستين، وعمره ثلاث وستون سنة، ويقال: إن زوجته أُمَّ خالدِ بن يزيد بن معاوية خنقتْه ثم صاحت وقالت: مات فجأة، ودُفن بمقبرة دمشق، وكانت مدة خلافته سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً، وكان له من الأولاد: عبد الملك، ومعاوية، وعبيد الله وعبد الله

---

(١) خلق الكعبة: طيّبها بالخلوق، وهو الطيب.

(٢) الأوقص: القصير العنق خلقة.

(٣) في الأصل: إحدى وستون.

وأبان وداود وعبد العزيز وعبد الرحمن وبشر ومحمد وبنات[1].

الحوادث والماجريات في خلافته

كان سلطانه بالشام خاصّة، وباقي الأمصار في طاعة عبد الله بن الزبير، والضحّاك بن قيس بالشام في جماعة يحاربون لمبايعة ابن الزبير، ثم كانت الوقعة بين الفريقين بمرْج راهِط بغُوطة دمشق، فقُتِل الضحاكُ وانهزم من معه، ثم سار مروان إلى مصر في سنة خمس وستين فبايعه أهلها.

ولايات الأَمصار في خلافته

(٣٥ أ) كان على مصر من جهة ابن الزبير عبد الرحمن ابن جَحدم، فطرده مروان عنها وولى مكانه ابنه عبد العزيز.

وكان على المدينة واليمن والعراق عمار ابن الزبير، على ما تقدم ذكره في ترجمة معاوية بن يزيد.

الخامس من خلفاء بني أُمية
عبد الملك بن مروان

وهو أبو الحكم، وقيل أبو مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس، وهو أول من سُمّي عبد الملك في الإسلام، ويقال: إنه كان يلقب المُوثّق لأمر الله، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، كان أفوه مفتوح الفم، مُشبَّك الأسنان بالذهب، حازماً في أمره، لا يَكل أَمَره إلى غيره، ويقال: إنه كان فقيهاً عالماً، فلما ولي الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك.

ومما يحكى أنه لما أتته الخلافة كان قاعداً يقرأ في المصحف، فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك، وكان في غايةٍ من الشُّحّ، حتى كان يقال له: رَشْحُ الحَجَر، لبخله، لأن الحجر لا يرشح الماءَ إلاَّ نادرً.

يقال إن بعض أخصَّائه سمعه يقول: أَجِعْ كَلبك يَتْبَعْك. فقال له: يا أمير المؤمنين، أمَا تخشى أن يُلوِّح له غيرُك بِكِسْرة فيتركَكَ ويتبعَه؟

وكان مع شحه أَبْخَر ظاهرَ البَخَر، وكان إذا مرَّ الذباب على فمه سقط لشدَّة بَخَره، ومن أجل ذلك كان يلقب أبا ذُباب.

(١) ذكر في نسب قريش من أولاده أيضاً أيوب وعثمان وعمر. ولم يذكر عبد الرحمن وانظر بناته في نسب قريش ص ١٦٠ ـ ١٦١.

بويع بالخلافة بعد موت أبيه مروان في ثالث رمضان سنة خمس وستين، واستقرّ له الأمر بمصر والشام خاصّة. والعراق والحجاز واليمن مع ابن الزبير.

قال ابن حزم: وكان عمره حين ولي الخلافة ما بين الثلاثين سنة والأربعين سنة، وكان نقش خاتمه: آمنت بالله مُخلصاً. وبقي حتى توفي في النصف من شوال سنة(٣٥ ب) ست وثمانين، وعمره ستون سنة، ودفن بدمشق، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً، منها سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة عشر يوماً قبل قتل ابن الزبير، وباقيها بعد قتله.

وكان له ومن الأولاد: الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر، ويزيد، ومروان الأصغر، ومعاوية، وهشام، وبكار، والحكم، وعبد الله، ومسلمة، والمنذر، وعنبسة، ومحمد، وسعيد، والحجاج[١]، ويقال إن عبد الملك رأى في منامه كأنه بال من المحراب أربعَ مرات، فغمَّه ذلك، فوجَّه إلى سعيد بن المسيَّب من سأله عن ذلك فقال: يملك من ولده لصلبه أربعة. فكان كذلك، فولي منهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة منع الناس من الحج من حيث إن ابن الزبير كان يأُخذ البيعة لنفسه على الناس في الموسم، فضجَّ الناس من منع الحج، فبنى عبد الملك قُبَّة الصخرة ببيت المقدس، وكان الناس يحضرونها يوم عرفة ويقفون عندها، فيقال: إن ذلك سبب التعريف[٢] ببيت المقدس ومساجِدِ الأمصار.

وذكر الجاحظ في كتاب «نظم القرآن» أن أوَّلَ من سنَّ التعريف في مساجد الأمصار عبدُ الله بن عباس، وأنكر العلماءُ عليه هذا النقل، وذكر أبو عمر الكندي أن عبد العزيز بن مروان أول من سنَّ التعريف بالمسجد الجامع بمصر بعد العصر.

قال أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل»: وعبد الملك أول من ضرب الدراهم في الإسلام، وفي سنة تسع وستين سار عبد الملك بنفسه إلى العراق، فلقيه مصعب ابن الزبير في جيش، فقُتل مصعبُ، فدخل عبد الملك الكوفةَ بعد مقتل مصعب فبايعه(٣٦ ا) الناس، وفي سنة ثلاث وسبعين ولَّى الحجاجَ بنَ يوسف الثقفيَّ على مكة، فسار الحجاجُ إلى مكة، وحارب ابنَ الزبير، وقبض عليه بعد حصار طويل، وقتله وصلبه لثلاث عشرة ليلة بقيت من جُمادى الأُولى، سنة ثلاث وسبعين، وقيل: في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين. وفي سنة أربع وسبعين هدم الحجاجُ الكعبةَ من جانب الحِجْر وأخرج الحِجْر منها. وجعله على

(١) لم يذكر في نسب قريش من أولاده مروان الأصغر ولا معاوية ولا محمداً، انظر ص ١٦١ ـ ١٦٥.
(٢) التعريف أن يوقف بها كما يوقف بعرفة يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة.

الهيئة التي كان عليه في زمن النبي ﷺ، ورفع داخلها عن الأرض، وسدَّ الباب الغربي، وجعل الباب الشرقي يُصْعَد إليه على دَرَجٍ، والأمر على ذلك إلى الآن.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر أخوه عبد العزيز بن مروان فأقره عليها، فبنى بالفُسطاط الدار المُذهبة المعروفة بالمدينة ونزلها، وهي دار عظيمة تُجاوز الوصف، ثم صارت بعده منزلاً لمن يلي إمارة مصر، ثم صارت مساكن للعامة بعد ذلك.

قال القُضاعي في «خططه» كان يُسكَبُ فيها في كل يوم مائةُ راويةٍ ماءً، وفيها عدة مساجد، وعدة أفران للخبز، وأقام على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وأياماً، وهو الذي بنى القنطرة التي على خليج القاهرة عند السد الذي يكسر عند وفاء النيل.

ويقال: إنه ولي عليها عبدالله بن عبد الملك[1]، فمكث فيها خمس سنين، ثم ولي عليها بعده قُرَّةَ بن شَرِّيك في سنة تسعين، فبقي عليها إلى أن مات عبد الملك، وهو أول من وضع اللوح الأخضر على[2] الأسطوانة الوسطى بالجامع العتيق بالفسطاط.

واستولى الحجاج بن يوسف على مكة بعد قتل ابن الزبير.

وولى عبدُ الملك على المدينة طارقَ بنَ عُمر، فانتزعها منه صالحُ بنُ عبد الله، ثم ولّى عبدُ الملك على مكة والمدينة وسائر أعمال الحجاز(٣٦ ب) واليمن الحجاجَ بنَ يوسف، وعزل طارقاً عن المدينة وجعله من جملة جند الحجاج.

ثم ولَّى على مكة والمدينة سنة سبع وسبعين أبانَ بنَ عثمان بنِ عفّان، ثم عزله في سنة اثنتين وثمانين وولي مكانه هِشام بن إسماعيل المخزومي.

وولي على العِراقين وخراسان الحجاجَ بن يوسف، ففتك بأهله وأبادهم، وقتل جمعاً من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم على ما سيأتي ذكره عند وفاة الحجاج فيما بعد إن شاء الله تعالى. وكان على إفريقية وما معها من المغرب عقبةُ بن نافع، فقُتل، فولّى عبدُ الملك مكانه حسانَ بن النعمان الغساني، فسار حتى دخل القَيروان، وافتتح قُرْطَاجَنَّة قاعدة إفريقية قبل الإسلام، وكان الغرب الأقصى والأندلس لم يفتحا بعد.

---

(١) في الأصل: «عبد الله بن عبد الله بن عبد الملك» والتصويب من صبح الأعشى ج٣ ص ٤٢٤.

(٢) في الأصل: «علو» هذا وفي صبح الأعشى ج٣ ص ٣٤٢ أن قرة بن شريك جعل في المسجد المحراب المجوف وأحدث فيه المقصورة. وأن أول من نصب اللوح الأخضر فيه هو عبد الله بن طاهر وهو أمير مصر في سنة اثنتي عشرة ومائتين.

السادس من خلفاء بني أُمية

الوليد بن عبد الملك

وهو أبو العباس الوليدُ بن عبد الملك بن مروان، المقدم ذكره، ويقال إنه كان يلقب: المنتقم لله، وأمه ولادة بنت العباس[1]، وكان أسمر جميلاً أقنى الأنف، ويقال: سائل الأنف جداً، بوجهه أثر جُدَرِيّ، له سطوة شديدة، لا يتوقف إذا غضب، وكان كثير النكاح والطلاق، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة، وكان ضعيف البصر بالعربية بحيث يغلب عليه اللَّحْن، دخل عليه أعرابي يشكو صِهْراً له، فقال له الوليد: ما شانَك ـ بفتح النون ـ وهو يريد أن يسأله عن شأنه، فقال له الأعرابي: أعوذ بالله من الشين، فقال أخوه سليمان: إن أمير المؤمنين يقول لك ما شأنك ـ وضم النون ـ فقال الأعرابي: خَتَنَني ظلمني، يعني صِهْرَه، فقال له الوليد: من خَتَنَك ـ بالفتح ـ فقال الأعرابي: إنما ختنني الحَجَّام، ولست أُريد ذا (٣٧ ا) فقال سليمان: أمير المؤمنين يقول لك: من خَتَنُك؛ فقال: هذا. وأشار إلى خَصْمه.

ولي الخلافة بعهد من أبيه عبد الملك، ثم بُويع له بها بعد وفاته يوم الخميس منتصف شوال سنة ست وثمانين.

قال ابن حزم: وكان سنّه حين ولي ما بين الثلاثين والأربعين سنة، وكان نقش خاتمه: يا وليد إنك ميت ومحاسب، وبقي في الخلافة حتى توفي بدير مرّوان من الشام، يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وعمره ثمان وأربعون سنة وأشهر، وكانت مدة خلافته تسعَ سنين وسبعة أشهر، وقيل: وثمانية أشهر، وكان له من الأولاد ثمانية عشر ذكراً، وقيل: أربعة عشر ذكراً، منهم يزيد وإبراهيم، ولى كل منهما الخلافة، والعباس، وكان فارس بني مروان، وعمر فحل بني مروان، كان يركب في ستين من صلبه، وعمر وعبد الكريم وبشر وغيرهم وبنات[2].

الحوادث والماجريات في خلافته

في خلافته غزا أخوه مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم وعاد، وفي خلافته فتحت طُلَيطلة دار مُلْك الأندلس على يد طارق مولى موسى بن نُصير مُتولّي إفريقية، وحمل إليه

(١) كنيتها أم الوليد بنت العباس بن جزم بن الحارث بن زهير من بني عبس. انظر نسب قريش ص١٦٢.

(٢) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٥ ولم يذكر من بينهم عبد الكريم بل ذكر عبد الرحمن وذكر من اسمه عمر واحداً فقط.

منها مائدة سليمان بن داود عليه السلام، وكانت من خليطين ذهب وفضة، عليها ثلاثة أطواقِ لؤلؤ، وكان من غريب الأمر في فتحها أنه كان بدار المُلك بها بيتٌ مُغلق عليه أقفال من حديد، كلما وليها ملك جديد زادها قُفلاً، إلى أن كان آخرهم ملك اسمه لُذَريق، أراد فتح ذلك البيت والاطلاع على ما فيه، فنهاه كهنتهم عن فتحه، فأبى إلا ذلك، ففتحه، فوجد داخله صندوقاً مقُفلاً، ففتح ذلك الصندوق، فإذا فيه سَفَطٌ من حرير فيه صور العرب راكبين الجمال، وفيه مكتوب: (١٧٧ ب) إذا فُتح هذا البيت وأُخرج هذا السَّفَط، وفُتح، مَلَك أصحابُ هذه الصور هذه البلادَ. فكان الأمر كذلك.

وفي خلافته فُتحت عدَّةٌ من بلاد السند وما وراء النهر. وتغلغل الحجاج في بلاد التُّرك. وتغلغل مسلمةُ بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسبى، وفتح محمد بن القاسم الثقفيُّ بلاداً من بلاد الهند.

وكان الوليد مع كثرة اعتنائه بالغزو وفتح البلاد مُغرماً بالبناءِ، وهو الذي بنى المسجد الجامع بدمشق، ومن ثَمَّ نُسب إلى بني أمية وأدخل فيه كَنيسة النصارى، وأتى فيه من حُسن الصنعة وزينة الزخرفة بما يدهش النظر، ويحار في وصفه الفكر؛ إلاَّ أنه قد تغيرت معالمه بما طرأ عليه من الحريق مرة بعد أُخرى، لا سيما ما عَرَاه من تَمُرْلَنْك حين استيلائه على دمشق، وزاد في مسجد النبيِّ ﷺ وزخرفَه ونمَّقه ورصَّعه بالفُسيفساء، وهي الفصُّ المُذهب، وأدخل فيه حُجَر أزواج النبيِّ ﷺ وسائر المنازل التي حوله، وكان القائم بذلك له عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذ أميرٌ له على المدينة.

وهو أول من اتخذ البيمارستان للمرضى، وأوّل من اتخذ دار الضيافة، وأول من بني الأميال في الطرقات، على ما سيأتي ذكره في الباب السابع إن شاء الله تعالى.

وأنفذ إلى خالد بن عبد الله القَسْريِّ عامله بمكة ثلاثين ألف دينار صفَّح بها باب الكعبة والميزاب والأساطين، وجدَّد بناءَ المسجد الأقصى وزخرفه. وفي أيامه كان الطاعون الجارف[1] بالبصرة، يقال: إنه مات فيه في ثلاثة أيام ثلاثمائة إنسان، وفي أيامه مات حبْرُ الأُمة عبدُ الله ابن عباس رضي الله عنهما في سنة ثمان وستين، وهو جد الخلفاء العباسيين، وفي سنة خمس وتسعين أخرج الوليدُ عليَّ بنَ عبد الله بن عباس من دمشق، وأنزله الحُمَيمة من أرض الشام، فوُلد له بها نيِّفٌ[2] وعشرون ولداً ذكراً (١٣٨ ا) ولم يزل بها إلى أن بطلت دولة بني أمية.

---

(١) في هامش الأصل ما يأتي: «هذا الجارف لما ذكره العيني في تاريخه المسمى بعقد الجمان: كان ذكر الطاعون الجارف في زمن عبد الملك بن مروان في سنة سبعين وبالله التوفيق».

(٢) في هامش الأصل ما يأتي: «النيف يجوز فيه التخفيف والتشديد يعني الزيادة».

وفي أيامه كانت زلازل عظيمة أقامت أربعين يوماً.

وفي أيامه قتل الحجاجُ بنُ يوسف سعيدَ بنَ جُبير التابعيَّ الإمام الكبير فاختلط عقلُ الحجاج لوقته، وبقي قليلاً ثم مات في رمضان سنة خمس وتسعين، عن ثلاث وخمسين سنة، وقيل: عن أربع وخمسين، وكان مدة ولايته العراق عشرين سنة، وكان عدَّةُ من قتله فيها صَبْراً مائة ألف وعشرين ألفاً، ومات في محبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة. وما ربك بغافل عما يفعل الظالمون.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر قُرَّة بن شَرِيك، فأقره عليها فمكث سبع سنين.

وولَّى على مكة عمرَ بن عبد العزيز، ثم ولَّى عليها بعده خالدَ بنَ عبد الله القَسْريَّ.

وولَّى على خراسان بعد الحجاج بن يوسف المهلَّبَ بن أبي صُفْرة.

وكان على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي، فعزله وولى عليها عثمان بن حَيَّان[1].

وولي على إفريقية وما معها من بلاد المغرب موسى بن نُصير ـ بضم النون ـ فقَدم القَيْرَوانَ وبها صالح بن حسَّان فعزله عنها، ثم رجع موسى بن نصير إلى المشرق واستخلف على إفريقية ابنه عبدَ الله بنَ موسى بن نصير، واستقرَّ طارقُ بن زياد مولى موسى بن نصير على الأندلس من حين فتحها، ثم قدم موسى بن نصير إلى الأندلس ونزل طُلَيطِلة، وأقام بها سنتين واستخلف عليها ابنَه عبد العزيز بن موسى، ثم توجَّه إلى البلد بن عبد الملك بما معه من الغنيمة والسبي.

السابع من خلفاء بني أُمية
سليمان بن عبد الملك

وهو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان، المقدم. ذكره (٣٨ ب) ويقال: إنه كان تلقب: المهديَّ بالله الداعي إلى الله. وأمه ولاَّدة أُمُّ أخيه الوليد، وكان أبيض اللون جميلاً طويل القامة، فصيحاً لَسناً أديباً، معجباً بنفسه،مُتوقِّفاً عن سفك الدماء، ويقال:

(١) في الأصل «حيان» والتصويب من نسب قريش ص ٢٨٦ عثمان بن حيان المري.

إنه كان كثير النكاح شَرِهاً في الأكل، يأكل في كل يوم نحواً من مائة رطل.

ولي الخلافة بعهد من أبيه عبد الملك بن مروان، وذلك أن عبد الملك رتَّب خلافته في العهد على خلافة أخيه الوليد المقدَّم ذِكْره، فقال: الخليفةُ بعدي الوليدُ، ثم بعد الوليدِ سليمانُ، وبويع له بها بعد موت أخيه الوليد يوم السبت النصفَ من جُمادى الآخرة سنة ست وتسعين.

قال ابن حزم: وكان عمره حين ولي ما بين الثلاثين والأربعين، وكان سليمان حين موت أخيه بالرمْلَة من عمل لدّ. فبلغه الخبر بعد سبعة أيام، فسار إلى دمشق ودخلها.

وكان نقش خاتمه: آمنت بالله مخلصاً، وبقي حتى توفي بدابق من أرض قِنَّسْرين، لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين، وعمره خمس وأربعون سنة، بعد أن عهد بالخلافة بعده لعمر بن عبد العزيز، ثم من بعد عمر ليزيد بن عبد الملك، وصلى عليه عمرُ بن عبد العزيز، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام، وكان له أربعة عشر ولداً ذكراً[1].

الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة تسع وتسعين خرج بنفسه لغزو القُسْطَنْطينيَّة حتى نزل بدابق، وبعث أخاه مسلمة إلى القسطنطينية، فنزل عليها وحاصرها، وفتح مدينة الصقالبة، وبعث المهلَّب بن أبي صفرة (إلى) خراسان، ففتح جُرجان. وطبرستان، وقد ذكر في «مسالك الأبصار» أنه هو الذي بنى مدينة الرَّملة، ولعل ذلك قبل خلافته.

(١٣٩أ) ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر قُرَّة بن شريك، فولّي مكانه عبدَ الملك ابن رفاعة، في سنة سبع وتسعين، فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْراً.

وكان على مكة خالد بن عبد الله القسري، فأقره عليها.

وكان على المدينة عثمان بن حيَّان[2] فولَّي مكانه أبا بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم. وكان على إفريقية عبد الله بن موسى بن نصير خليفةً بها عن أبيه موسى المذكور، فبقيَ عليها، وكان على الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير المذكور فاستقرَّ بها.

---

(١) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٥.

(٢) في الأصل «حياة» وانظر ما سبق من تصويبه ص ١٣٨.

الثامن من خلفاء بني أُمية
عمر بن عبد العزيز

وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ويقال إنه كان يلقب: المعصوم بالله، وأمه أُمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. كان أسمر نحيفاً حسن الوجه، في وجهه شَجَّةٌ[1] من رَمْح[2] دابة وهو غلام، ولذلك يعرف بأشج بن أمية[3]، وقد رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: إن من ولدي رجلاً بوجهه شَيْنٌ[4] يملأُ الأرض عَدْلاً.

ولي الخلافة بالعهد من سليمان بن عبد الملك، وبويع له بها بعد وفاة سليمان بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين.

قال ابن حزم: وكان سنّه حين ولي الخلافة ما بين الثلاثين سنة والأربعين، وكان نقش خاتمه: عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله، وبقي في الخلافة حتى توفي في يوم الجمعة لخمس، وقيل: لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وعمره تسع وثلاثين سنة، ودفن بأرض دير سَمْعان من عَمَلِ حِمْص، وقيل: توفي بدير سمعان ودفن به. قال (٣٩ب) صاحب حَمَاة: الظاهر أن دير سمعان هو المعروف الآن بدير البَقرة من عمل مَعَرَّة النّعْمَان، قال: وكان موته بالسم من بني أمية، عِلْماً منهم أنه إن امتدت أيامه أخرج الأمر عنهم، وأنه لا يعهد بعده إلا لمن يصلح للأمر، فعاجلوه.

قلت: وفيما قاله نظر، فإن عهد سليمان بن عبد الملك كان متضمناً العهد بعد عمر بن عبد العزيز ليزيد بن عبد الملك، فلم يكن لعمر أن يعهد لغيره.

وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً، وقيل: خمسة أشهر فقط، وقد قال العلماء في قوله ﷺ: **«إن الله يبعث لأُمّتي على رأس كل مائة من يجدد لها دينها»**: إنه كان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز.

وكان له من الأولاد أربعة عشر ذكراً، منهم عبد الملك وكان ناسكاً، ومات في حياته عن تسع عشرة سنة ونصف، وعبد الله وكان شجاعاً[5].

---

(١) في هامش الأصل: رجل أشج بين الشجج في جسده أثر شجة: قاموس.

(٢) تحت كلمة «رمح» بخط صغير مخالف ما يأتي: الرمح بالفتح: الضرب.

(٣) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتي: قال الإمام «إمام» المحدثين شيخ المفسرين جلال الدين السيوطي رحمه الله: إن عمر بن عبد العزيز من خلفاء الراشدين على التحقيق سمعته من الثقة.

(٤) فوق كلمة شين بخط دقيق مختلف: يعني العيب.

(٥) لم يذكر نسب قريش ولده.

الحوادث والماجريات في خلافته

بنى مسجد الجُحْفة ميقات الإحرام لحُجَّاج مصر، واشترى ملطّية من الروم بمائة ألف أسير، وبناها، وكان قبله خلفاءُ بني أُمية يَسبُّون أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه على المنابر من حين خَلَع الحسنُ نفسه في سنة إحدى وأربعين إلى أن وَلِيَ عمر بن عبد العزيز. فأبطل ذلك وكتب إلى نوابه بإبطاله، وجعل بدله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: الآية ٩٠] الآية. فاستمر الخطباءُ على ذلك إلى الآن، ومدحهُ كُثَيِّر(١) الشاعر بقوله:

وَلِيت فلم تشتُمْ عليًا ولم تُخِفْ ... بَرِيًا ولم تتْبَعْ سَجيَّةَ مُجْرم

وقُلْتَ فصدَّقْتَ الذي قُلْتَ بالذي ... فعلتَ فأضحى راضيا كُلُّ مُسلِم

(٤٠ أ) ولايات الأمصار في خلافته

ولّي على مصر بعد عبد الملك بن رفاعة أيوبَ بن شُرَحْبيل الأصبحيّ، آخرَ سنةِ تسع وتسعين، فمكث فيها سنتين وستة أشهر.

وكان على مكة عبدُ العزيز بن خالد بن أسيد عن سليمان بن عبد الملك، فأقرَّه عليها.

وولّى على المدينة عبدَ العزيزَ بن أرطاة، فأقام إلى أيام يزيد بن عبد الملك.

وولى على إفريقية بعد محمد بن يزيد إسماعيلَ بن عُبيد الله بن أبي المُهاجر، فأسلم على يديه جميعُ البَربر، وأقام إلى أيام يزيد بن عبد الملك.

وكان على الأندلس الحسنُ بن عبد الرحمن، ثم السَّمْح بن مالك الخَوْلاني، فأقام بها سنتين وتسعة أشهر.

التاسع من خلفاء بني أُمية
يزيد بن عبد الملك

وهو أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان، وأُمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ويقال: إنه كان يلقب القادر بصنع الله، كان أبيض جسيماً مُدَوَّر الوجه، شديد الكِبْر عاجزاً، وكان صاحب لهو ولذَّة، وهو صاحب حَبابة(٢) وسلاَّمة، وهما جاريتان كان

---

(١) ديوانه ج ٢ ص ١٢٢، ١٢٣ وبين البيتين بيتان.

(٢) ضبطها الأصل حبابة بضم الحاء. وفي نهاية الأرب ج٥ ص ٥٨ بفتح الحاء وهي بالفتح أيضاً في الأغاني انظر مثلاً ج ٥ ص٨٤ طبع دار الكتب والجزء الخامس عشر نشر بيروت تحقيق عبد الستار فراج ترجمتها و (ترجمة سلامة القس في الجزء الثامن طبع دار الكتب).

مشغوفاً بهما، وماتت حَبّابة فمات بعدها بيسير، قيل بسبعة عشر يوماً، أسفاً عليها، وكان قد تركها أياماً لم يدفنها، لعدم استطاعته فراقها، فعوتب على ذلك فدفنها، ويقال: إنه نبشها بعد الدفن حتى شاهدها.

قلت: وأين مقام هذا من مقام الذي كان يهوى سَلاَّمة جاريَته الثانيةَ، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار[1] وذلك أنه مرَّ يوماً بمنزل سيدها، فسمع غناءَها فهَويها ثم هويته (٤٠ب) هي أيضاً، واجتمعا بعد ذلك فقالت له سلامة: إنني أحبُّك، فقال: وأنا أيضاً أحبك، فقالت: وأنا أشتهي أن أُقبلك، فقال: وأنا أيضاً، قالت: فما يمنعك؟ قال: تقوى الله، ثم قام وانصرف وتركها[2]. وكان عبد الرحمن هذا يعرف بالقَسّ لعبادته، ولذلك عُرفت سلاَّمة هذه بسلامة القَسّ.

ولي الخلافة بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك له بها بعد عمر بن عبد العزيز، على ما سيأتي ذكره في الكلام على عهود الخلفاء للخلفاء، إن شاء الله تعالى.

وقيل: إن أباه عبد الملك كان أدخله مع إخوته في العهد إليهم، فسلَّم لعمر بن عبد العزيز. وبويع له بالخلافة بعد موت عمر بن عبد العزيز في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة.

قال ابن حزم: وكان عمره يومئذ ما بين الثلاثين والأربعين. وكان نقش خاتمه: قِنِي السيئاتِ يا عزيز. وبقي حتى توفي بحَوْران من الشامِ، لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وعمره تسع وعشرون سنة، فيما ذكره القُضاعيّ في «عيون المعارف».

وقال المُؤَيَّد صاحب حماة في «تاريخه»: كان عمره أربعين سنة، وعليه ينطبق كلام ابن حزم، حيثِ جعل ولايته في ما بين الثلاثين والأربعين، وكان له من الأولاد ثمانية ذكور، منهم[3] عبد الله بن يزيد، وَلَدَه سبعةُ خلفاء، على ما سيأتي ذكره في الباب السابع، إن شاء الله تعالى، ومنهم الوليد بن يزيد الآتي ذكره في جملة الخلفاء.

الحوادث والماجريات في خلافته

في أيامه خرج يزيد بن المهلَّب بن أبي صفرة، فبعث إليه أخاه (٤١أ) فقاتله، فقُتل يزيدُ بنُ المهلَّب وجميعُ آل المهلب، وكانوا قوماً كراماً، وفيهم يقول الشاعر[4]:

---

(١) في الأغاني ج ٨ ترجمة سلامة القس اسمه عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي.
(٢) انظر القصة في ترجمة سلامة في الأغاني الجزء الثامن طبع دار الكتب.
(٣) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٦.
(٤) في ابن خلكان ترجمة المهلب بن أبي صفرة: وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة:

نزلت على آل المهلب شاتيا ... بعيداً عن الأوطان في الزمن المحل

نـزلْـتُ عـلـى آل الـمُـهَـلَّـبِ شـاتِـيـاً غـريـبـاً عـن الأوطـان فـي زَمَـنِ الـمَـحْـلِ
فـمـا زال بـي إحـسـانـهـمْ وافـتـقـارهـمْ وبِـرُّهُـمُ حـتـى حـسـبـتـهُـمُ أهـلـي

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر من قِبَله بشرُ بن صفوان، وقيل: صفوان نفسه، ثم وليها عنه حنظلةُ أخو صفوان.

وعزل عن مكة عبدَ العزيز بنَ خالد بن أَسِيد في سنة ثلاث ومائة، وأضافها مع المدينة إلى عبد الرحمن بن الضحّاك، ثم عزله عن مكة والمدينة، لثلاث سنين من ولايته، وولّى مكانه عبدَ الواحد البصري، فبقي عليهما إلى أيام هشام بن عبد الملك. ولم أقف على عامله باليمن(١).

وولى على العراقين عبدَ الله بن عمر بن عبد العزيز. وولي على إفريقية بعد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المقدّم ذِكْره يزيدَ بن أبي مُسلم مولى الحجّاج، فقدِمَها سنةَ إحدى ومائة، فقتله البَرْبَرُ وأقاموا محمد بن يزيد الذي كان عليهم أوّلا، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك بذلك، فأقرَّه عليهم، ثم ولّي عليها بعده بِشْر بن صَفوان الكلبيَّ، فقدمها سنة ثلاث ومائة، ومات بها سنة تسع ومائة.

وكان على الأندلس عُقبة الكلبيّ، فأقام بها إلى أيام مروان بن محمد الآتي ذكره.

العاشر من خلفاء بني أُمية

هشام بن عبد الملك

وهو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان، وقيل: إنه (٤١ب) يلقب المنصور بالله، وأمه أم هشام فاطمة بنت هشام المخزومي(٢)، كان أبيض رَبْعَةً جميلاً سميناً منقلباً(٣)، له سياسة حسنة وتيقُّظ في أمره، مع مباشرته الأمور بنفسه.

ولي الخلافة بعهد من أخيه يزيد المقدَّم ذكْره، وبويع له بالخلافة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وعمره يومئذ أربع وثلاثون سنة وأشهر، وكان حين مات أخوه

---

(١) عمال اليمن نقلاً عن معجم الأنساب ص ١٧٥ من الرسول إلى آخر بني أمية: معاذ بن جبل بعثه الرسول ثم سار الأسود العنسي سنة ١٢هـ- وولي المهاجر بن أبي أمية سنة ١٣ ويعلى بن أمية (٣٥) وعبيد الله بن العباس ٣٦ وعبد الله بن العباس سنة ٤٠ وجارية بن قدامة السعدي سنة ٤٠ وفيروز الديلمي (٤١) والحجاج بن يوسف (٧٣) ومحمد بن يوسف (٨٠) ويوسف بن عمر (١٠٦) والصلت بن يوسف (١٢٠) والقاسم بن عمر (١٢٨) وعبد الواحد بن سليمان.

(٢) في الأصل: «وأمه أم هاشم فاطمة بنت هاشم المخزومي» والتصويب من نسب قريش ص ١٦٤.

(٣) في الأصل: منقلب.

يزيد بن عبد الملك مقيماً بالرّصافة من بلاد الشام في دار له صغيرة، فجاءَته الخلافة على البريد، فركب من الرصافة، إلى دمشق، فكانت بيعته، ولما ولي الخلافة اختار الرصافة منزلاً، لطيب هوائها وبعدها من الوَباء، وابتنى بها قصرين ونزلهما، ومن هنالك نُسبت إليه فقيل رصافة هشام، وكان له من السُّتور والكِسْوة والطُّرُز ما لم يكن لمن قبله من الخلفاء، وكان نقش خاتمه: الحُكْم للحَكَمِ الحكيم.

قال ابن حزم: وكان عمره حين ولي الخلافة ما بين الخمسين والستين[1]، وبقي في الخلافة حتى توفي بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وعمره ثلاث وخمسون سنة، وقيل أربع وخمسون وشهور، وكان خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً: وقيل تسعة أشهر.

الحوادث والماجريات في خلافته

في أيامه في سنة ثمانَ عشرةَ ومائة غزا أسدُ بنُ عبد الله القسرى بلادَ التُّرك، وقتل خاقان ملكَهم في جماعة كثيرة من قومه، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة، وفي سنة إحدى وعشرين (٤٢أ) ومائة غزا مروان بن محمد ـ وهو على الجزيرة وأرمينية ـ بلاد صاحب السَّرير، فأجاب إلى الجزية في كلّ سنة سبعين ألف رأس يؤديها، وغزا مسلمةُ بن عبد الملك بلاد الروم، فافتتح حصوناً وغَنمَ. وغزا نصر بن سيَّار بلادَ ما وراء النهر، وقتل مَلك التُّرك، ثم مضى إلى فَرْغانة من بلاد الترك فسبي سبياً كثيراً.

وفي خلافته خرج زيد بن عليٍّ بالكوفة، ودعا إلى نفسه، وبايعه جمع كثير، فقتله يوسفُ بنُ عُمر الثقفيُّ وصلبه، وبعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك، فنصبها بدمشق، ولم تزل منصوبة حتى مات هشام، ويقال: إن هذه الرأس حملت بعد ذلك إلى مصر، ودفنت بين مصر والقاهرة، في المشهد الذي بين الكيمان الآن المعروف بمشهد الرأس. وإلى زيد هذا تُنسب طائفة الزَّيدية، وهم فرقة من الشيعة.

وفي خلافته تُوفي الحسنُ البَصري ومحمدُ بن سيرين، وتوفي محمدٌ الباقرُ بن زين العابدين في سنة إحدى عشرة[2]، وتوفي نافع مولى عمر بن الخطاب في سنة سبعَ عشرةَ ومائةٍ، وتوفي الزُّهْريُّ في سنة اثنتين وعشرين ومائة.

(١) هذا اختلاف كبير، فعمره حين ولي بين الثلاثين والأربعين، وحين توفي بين الخمسين والستين، ومكث في الخلافة عشرين عاماً تقريباً.

(٢) كذا بالأصل ولعلها «إحدى عشرة ومائة».

ولايات الأمصار في خلافته

في أيامه كان على مصر حَنظلةُ أخو صفوان، فَوَلّى عليها عِوَضه أخاه[1] محمدَ بن عبد الملك في سنة خمس ومائة، فمكث فيها أشهراً، ثم استعفى فولاَّها حفصَ بن الوليد الحضرميَّ، ثم صرفه وولاها عبدَ الملك بن رفاعة، فبقي بها حتى توفي.

قلت: وقد حكى القُضاعي في «خطط مصر» في الكلام على دار الإمام اللَّيث بن سعْد أنه كان لليث دارٌ ببلدتنا قَلْقَشَنْدة. فهدمها (٤٢ب) عبدُ الملك بن رفاعة هذا عناداً له، فعمَّرها الليثُ، فهدمها عبدُ الملك، فعمَّرها، فهدمها، فلما كان في الثالثة بينما الليث نائمٌ إذا بهاتف يهتف به: قم يا ليث ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: الآية ٥] فأصبح ابنُ رفاعة وقد أصابه فالجٌ[2] فأوصى إلى الليث وبقي ثلاثاً ثم مات، ويؤيد ذلك ما حكاه ابنُ يونس مؤرخ مصر في «تاريخه» أن الليث وُلد بقلقشندة، وأنه لا عبرة بما يقال: إنه منسوب إلى فارس.

ثم تولاها بعد عبد الملك بن رفاعة أخوه الوليد بن رفاعة، ثم توفي، فتولاها عبد الرحمن بن خالد، ثم صرف وولاها حنظلةَ بنَ صفوان، ثم صيره إلى إفريقية وولاها حفصَ بن الوليد، وقيل، وليها بعد محمد بن عبد الملك عبدُ الله بنُ يوسف الثقفي، ثم عبدُ الملك بن رفاعة، ثم أخوه الوليد، ثم عبد الرحمن الفهري[3]، ثم حنظلة في سنة عشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْراً إلى زمن الوليد بن يزيد بعده.

وكان على مكة والمدينة عبدُ الواحد البَصري، فعزله وولي عليهما إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، ثم عزله سنة أربع عشرة ومائة، وولى مكانه على مكة والطائف دون المدينة محمدَ بن هشام المخزومي.

وأما المدينة فولَّى عليها بعد إبراهيم بن هشام خالدَ بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة، وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل. ولم أقف على عماله على اليمن.

وكان[4] على إفريقية بشرُ بن صفوان، فعزله وولي عليها عبيدة بن عبد الرحمن السُّلَمي، فقدمها سنة عشر ومائة، ثم عزله وولي مكانه عبد الله بن الحتحات، فقدمها سنة

---

(١) في الأصل: أخوه.

(٢) الفالج: داء يحدث في أحد شقي البدن فيبطل إحساسه وحركته.

(٣) في معجم الأنساب: الفهمي. أما في صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٢٤ فكالأصل.

(٤) في صبح الأعشى ج٥ ص ٢٦ أن يوسف بن عمرو «عمر» كان على اليمن سنة ثمان ومائة.

أربع عشرة ومائة، وبنى جامع تُونس، واتخذ بها داراً لعمل المراكب البَحْريّة، ثم عزله وولى مكانه كُلثوم بن عِياض، فقدمها سنة ثلاث وعشرين ومائة، ثم (١٤٣أ) بعث إليها حنظلة بن صفوان الكلبي، فقدمها سنة أربع وعشرين ومائة، ثم خرج عليه عبد الرحمن بن حَبيب سنة ست وعشرين ومائة، فطرده عنها واستقلَّ بإمارتها، وأقام إلى أيام الوليد بن يزيد الآتي ذكره.

وكان على الأندلس عُقبة الكلبيُّ، فأقام عليها أربع سنين وخمسة أشهر، ثم وليها يحيى بن مَسلمة سنتين وستة أشهر، ثم وليها حُذيفة بن الأحوص القَيْسي سنة واحدة، ثم وليها عثمان بن سعد الخثعمي خمسة أشهر، ثم وليها الهيثم بن عُبيد خمسة أشهر، ثم وليها عبد الرحمن بن عبد الله الغَافقي سنتين وثمانية أشهر، ثم وليها عبد الملك بن قطار أربع سنين، ثم وليها عُقبة بن الحجاج خمس سنين، ثم وليها بَلْخُ بن بِشر القيسي، ثم وليها حُسام بن ضِرار الكلبيّ، فأقام بها إلى أيام الوليد بن يزيد.

الحادي عشر من خلفاء بني أُمية
الوليد بن يزيد

وهو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، ويقال: إنه كان يلقب المكتفي بالله. وأمه أُمُّ الحجَّاج بنت محمَّد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف، وكان أبيض اللون رَبْعَة القَدِّ، قد وَخَطه الشيبُ، شاعراً فصيحاً، وكان مصروف الهمة إلى اللهو والأكل والشرب وسماع الغناء، وكان من ظُرفاء بني أُمية، بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة، ولم يل الخلافةَ، من بني عبد الملك أسنّ منه، لأنه وليها بعد مجاوزة الأربعين، وكان نقش خاتمه: يا وليد احْذَر الموتَ. وبقي في الخلافة حتى توفي قتيلاً في يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة عند قصر النعمان بن بشير، وذلك أن ابن عمه يزيد ابن الوليد بن عبد الملك أحس منه كثرة تجروءٍ ولهو[1] بعد أن رُمي بالكفر وغِشْيان (٤٣ب) أُمهات أولاد أبيه، فسار إليه وقتله هناك، وعمره يومئذ اثنتان وأربعون سنة. وقيل غير ذلك. وكانت مدة خلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر، وكان له من الأولاد ثلاثة عشر ذكراً وعدة بنات[2]، وكان قد عهد بالخلافة لولديه عثمانَ والحَكَم، فلما قتله يزيد حبسهما، فبقيا في الحبس حتى ولي مروان بن محمد الخلافةَ فقتلهما.

---

(١) ضبطت في الأصل «تجر» بكسرتين تحت الراء.

(٢) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٧.

الحوادث والماجريات في خلافته

كان في خلافة هشام مقيماً بالبَرِّيَّة في نفر من قومه في أسوأ حال، فلما ولي الخلافة أقبل على لذّاته من شرب الخمر وسماع الغناء ومعاشرة النساء. وزاد في العطايا حتى خرج في العطاء عن الحد، وفي أيامه تحرك أمر الدولة العباسية، ووصل إلى محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس هدايا من خراسان، وقدم عليه أبو مسلم الخراساني داعي بن العباس، ثم مات محمد بن علي في آخر سنة خمس وعشرين ومائة بعد أن أوصى أن الأمر في ولده لإبراهيم الإمام، فإن قتل فابن الحارثيَّة يعني السَّفَّاحَ.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر حنظلةُ بن صفوان، وقال القضاعي: كان عليها حفص، ثم صرفه عن الخراج.

وكان على مكة خالد بن عبد الملك، وعلى المدينة محمد ابن هشام، فولّي عليها وعلى سائر أعمال الحجاز خالَه يوسفَ بن محمد بن يوسف الثقفي، في سنة أربع وعشرين ومائة، فأقام إلى زمن مروانَ بن محمد آخر خلفائهم. ولم أقف على عامله على اليمن.

وكان على الأندلس حسام بن ضرار، فأقره عليها.

(١٤٤أ) الثاني عشر من خلفاء بني أُمية
يزيد بن الوليد

وهو أبو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأُمه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهران. يقال: إنه كان يلقب الشاكر لأنعم الله، كان أسمر نحيف البدن مربوعاً، وقيل: طويلاً، صغير الرأس جميل الوجه خَفيف العارضين شديد العُجْب بنفسه، بويع له بالخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة بعد قتل الوليد بن يزيد.

ومقتضى كلام ابن حزم أن عمره حين ولي الخلافة فيما بين العشرين والثلاثين، وكان نقش خاتمه: يا يزيد قُمْ بالحق، وبقي في الخلافة حتى توفي بدمشق لعشرين بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وعمره يومئذ أربعون سنة، وقيل: ست وأربعون، وقيل: ثلاثون، وكانت مدة خلافته خمسة أشهر واثنين وعشرين يوماً.

قال القضاعي: وكان له عقب كثير، ولم يذكر اسم أحد منهم[١].

---

(١) لم يذكر عقب له أيضاً في نسب قريش.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة أظهر حسن السيرة، إلا أنه نقص ما كان زاده الوليد في العطايا، وردّها إلى ما كانت عليه في زمن هشام بن عبد الملك، فلقبوه لذلك الناقص، وكان قد امتنع عن بيعته والدخول في طاعته أهلُ حمص وأهلُ فلسطين، فقاتلهم حتى أذعنوا ودخلوا تحت الطاعة.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر حنظلة بن صفوان، فأقرّه عليها.

وكان على مكة (٤٤ب) والمدينة وسائر الحجاز يوسُف بن محمد بن يوسف الثقفي، فأقرَّه عليها. ولم أقف على عماله على اليمن.

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب، فأقره عليها.

وكان على الأندلس حُسام بن ضرار، فأقره عليها، فوليها بعده ثَوابة الجُذامي، فأقام فيها سنة واحدة.

الثالث عشر من خلفاء بني أُمية

إبراهيم بن الوليد

وهو أبو إسحاق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، ويقال: إنه كان يلقب المقتدر بالله، وأمه أم ولد اسمها نعمة، وقيل خِشْف، كان خفيف العارضين، له ضفيرتان[١] من شعر، ويقال: إنه كان عاجزاً ضعيف الرأي. بويع له بالخلافة في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة.

قال ابن حزم: وسنه يومئذ ما بين الثلاثين والأربعين، ولم يتمّ له الأمر لعجزه، حتى كان أتباعه تارة يُسلِّمون عليه بالخلافة، وتارة الإمارة، وتارة بغير ذلك، وكان نقش خاتمه: توكلت على الحيّ القيوم، وبقي في الخلافة حتى خَلع نفسه وسلَّم الأمر إلى مروان بن محمد، الآتي ذكره، في صفر سنة سبع وعشرين ومائة، وبقي حتى قتله أبو عون يوم الزَّاب، وقيل: غرق. وقيل: قتله مروان وصلبه، ولم يقع لي ذكر أولاده[٢].

(١) في الأصل. ظفيرتان.

(٢) ولم يذكر له عقب في نسب قريش.

الحوادث والماجريات في خلافته

كان بينه وبين مروان بن محمد قتال كثير، كان آخر الأمر فيه انهزام إبراهيم المذكور وخلع نفسه، كما تقدم.

ولايات الأمصار في خلافته

(١٤٥أ) كان على مصر حنظلة بن صفوان، فأقرّه عليها.

وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي، فأقرّه على ذلك. ولم أقف على عماله على اليمن.

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب، فأقره عليها.

وكان على الأندلس ثوابة الجُذامي، فأقرّه عليها.

الرابع عشر من خلفاء بني أُمية
مروان بن محمد

وهو أبو عبد الملك مروانُ بن محمد بن مروان بن الحكم، ويقال: إنه كان يلقب القائم بحقّ الله، وأمه لبابة جارية إبراهيم [بن] الأشتر، وكانت كُردية، ويعرف بالجَعْديّ، لأنه أخذ عن الجعد بن دِرْهم مذهبه في الكلام في القول بخلق القرآن والقَدَر، ويعرف أيضاً بحمار الجزيرة، لأنه كان والياً بها من جهة الوليد بن يزيد، وهو آخر خلفائهم، وكان أبيض أشهل ضخم القامة كَثَّ اللِّحية أبيضها، شجاعاً حازماً صابراً على التعب، وكان يُغري بين القبائل، وكان على ذلك بليغاً له رسائل.

ومقتضى[1] كلام ابن حزم أنه كان سنه ما بين الثلاثين والعشرين، وكان نقش خاتمه: اذْكر الله يا غافل، وبقي في الخلافة حتى توفي قتيلاً بالديار المصرية، بقرية يقال لها بُوصير، لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وكان له من الأولاد[2] ذكران، وهما: عبد الله وعبيد الله، فهربا بعد قتله.

فأما عبيد الله فهرب إلى الحبشة فقُتل بها، وأما عبد الله فيقال إنه قُبض عليه وحُبس إلى أيام الرشيد فأخرج ضريراً ومات ببغداد.

---

(١) في الأصل وقضيه.

(٢) لم يذكر أولاده في نسب قريش.

الحوادث والماجريات في خلافته

(٤٥ب) لما بويع له بالخلافة قصد يزيدَ بن الوليد لطلب دم الوليد بن يزيد وخلاص الحَكَم وعثمانَ ـ ولدَيْ الوليد بن يزيدَ اللَّذَيْن كان قد جعلهما أبوهما المذكور وليَّيْ عهده ـ من السجن، فوجد يزيد بن الوليد قد مات، وأخاه إبراهيم قد قُتل، والحكم وعثمان ولدي الوليد في السجن، فحضر إليه أبو محمد السُفياني، وكان معهما في السجن، فسلَّم عليه بالخلافة، فقال له: ما هذا؟ فقال: إنهما قد جعلاها لك يا أمير المؤمنين، وأنشده بيتاً كان قد قاله الحكم في السجن وهو:

فإنْ أُقْتَلْ أنا وَوَليُّ عهدي فمروانٌ أميرُ المؤمنينَا

ولما صارت إليه الخلافة عصى عليه أهل حمص وأهل غُوطة دمشق، وأهلُ فلسطين، فبعث من قاتلهم حتى انقادوا ودخلوا في طاعته، ولم يحجّ في شيء من خلافته، ولم يزل أمره مضطرباً حتى ظهر أبو مسلم الخراساني داعيةُ بني العباس بخراسان، فأخذ أمرُه في الاضمحلال، وجهز له أبو العباس السفاحُ عبدَ الله بنَ عليٍّ بن عبد الله بن عباس في جيش، وخرج مروان لملاقاته، فالتقيا في زَاب الموصل، فانهزم مروانُ ـ وعبْدُ الله في أثره ـ إلى نهر أبي فُطْرس من فلسطين، فالْتقيا، فقتل خلق كثير من بني أُمية ممن كان مع مروان، وهرب مروان حينئذ إلى مصر، وقد تلاشى حاله، وتبعه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، حتى أدركه ببُوصير من صعيد مصر، وقد اختبأ في كنيسة هناك، فاحتزَّ رأسه، وجهَّزها إلى السفاح، فلما انتهت إليه خرَّ ساجداً لله تعالى.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر حنظلة بن صفوان، فعزله وولّي عليها عُتَابة[1] التُّجيبي سنة سبع وعشرين ومائة، فمكث فيها خمس سنين أو دونها، ثم وليها (٤٦أ) عنه حفصُ ابن الوليد سنة ثمان وعشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر، ثم وليها عنه الفزاري[2] سنة إحدى وثلاثين ومائة. فمكث فيها سنة واحدة، ثم وليها عنه عبد الملك

(١) هذا هو ضبط الأصل وفي صبح الأعشى ج٣ ص ٤٢٥ بدون ضبط. ويفهم من معجم الأنساب أنه عتاهية إذ عد من الولاة بعد حفص بن الوليد: حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن التجيبي ولم يذكر عتابة. وسيأتي في الأصل أيضاً في (١٤٦) حسان بن عتاهية ولم يذكر في النجوم الزاهرة عتابة من الولاة ولا عتاهية من الولاة وكذلك لا يوجد في كتاب الولاة والقضاة وإنما الذي تولي في سنة ١٢٧ هو حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية التجيبي. انظر كتاب الولاة والقضاة ص ٨٥ فيكون صواب الأصل (وولي عليها حسان بن عتاهية التجيبي).

(٢) الفزاري هو المغيرة بن عبيد الله «انظر النجوم الزاهرة» ج١ ص ٣١٤.

بن مروان مولى لخم، سنة إحدى وثلاثين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة، وهو آخر عمالهم عليها.

وقال في «عيون المعارف»: وليها بعد حفصٍ حسانُ بن عَتاهية، ثم حفص بن الوليد، ثم حوثرة بن سُهَيْل العجلاني[1]، ثم المغيرة بن عبيد الله، ثم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير[2] إلى آخر أيام مروان.

وكان على مكة والمدينة والحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي، فولّى مكانه على ذلك عبدَ العزيز بن عمر بن عبد العزيز، ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة، وولى مكانه عبد الواحد، وهو آخر عمالهم بالحجاز.

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب، فأقره عليها، وكتب إليه بولايتها، وهو آخر عمالهم عليها. وكان على الأندلس ثوابة الجذامي، فولّى عليها يوسف بن عبد الرحمن الفهري، فاستقرّ إلى أن زالت دولتهم.

تذنيب

كانت مدة خلفاء بني أمية منذ خلص الأمر لمعاوية وإلى أن قتل مروان إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام وهي ألف شهر تقريباً.

قيل: إنه لما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له: يا مُسَوِّدَ وجوه المؤمنين. فقال: لا تعذِلني فإن رسول الله ﷺ رأى في منامه أن بني أمية ينزون على منبره واحداً فواحداً، فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ١ - ٣] يعني ألف شهرٍ يملكها بنو أمية.

ولما قُتل مروان بن محمد آخرُ خلفائهم قَتَلَ السَّفَّاحُ سليمان بن هشام بن عبد الملك، وقتِل عَمَّهُ (٤٦ب) عليٌّ ابن عبد الله بن عليٍّ تسعين رجلاً من بني أمية، كانوا

---

(١) في الأصل جويرية وفي كتاب الولاة والقضاة ص ٨٨ حوثرة بن سهيل وكذلك في النجوم الزاهرة ج١ ص ٣٠٥ حوثرة بن سهيل أخو عجلان الباهلي.

(٢) في الأصل ثم موسى بن نصير لكن في النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣١٦ عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير وكذلك الولاة والقضاة ص ٩٣ عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير مولى لخم. هذا وفي صبح الأعشى ج٣ ص٣٤٢ جاء ما يأتي «وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نصير اللخمي وهو أمير مصر باتخاذ المنابر في جميع جوامع قرى مصر» ولا شك أن في الأصل وفي صبح الأعشى تحريفاً ونقصاً.

قد اجتمعوا إليه، أمر بضربهم بالعُمُدِ حتى ألقوا إلى الأرض، وكان ذلك وقت حضور الطعام، فأمر أن تبسط عليهم الأنطاع ويُمَدَّ عليهم الخِوان، وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم حتى ماتوا جميعاً، وأمر عبدُ الله بنبش قبور بني أمية بدمشق، فنُبش قبرُ معاوية بن أبي سفيان، وقبرُ يزيد ابنه، وقبرُ عبد الملك بن مروان، وقبرُ هشام بن عبد الملك فوُجد صحيحاً، فأمر به فضرب مائة وعشرين سوطاً، وصُلب ثم أحرقه بالنار وذرَّاه في الهواء، وتتبع بني أمية من أولاد الخلفاء فقتلهم، وكذلك قتل سليمانُ بنُ عليّ بن عبد الله بن عباس بالبصرة جماعةً من بني أمية، وألقاهم على الطريق، فأكلتهم الكلاب، وتشتت من بقي من بني أمية هرباً في البلاد، وهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك إلى الأندلس، فبايعه أهلها على ما سيأتي في الكلام على المدَّعين[1] للخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى.

الطبقة الثالثة من الخلفاء

خلفاء بني العباس بالعراق

اعلم أن الخلافة في بني العباس بالنصّ، فقد رُويَ أن العباس رضي الله عنه حين امتدح النبي ﷺ بقوله:

مِن قبلِها طِبْتَ في الظِّلال وفي ... مُسْتَوْدعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هَبَطْتَ البلاد لا بَشَرٌ ... أنت ولا مُضْغةٌ ولا عَلَقُ
بل نطفةٌ تركب السَّفينَ وقد ... ألْجم نَسْراً وأهْلَه الغَرَقُ
تُنْقَلُ من صالبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ
حتى احتوى بَيْتَك المُهَيْمِنُ من ... خِنْدِف عليا تحتُها النُّطُق
وأنت لما وُلِدْتَ أشرقت الا ... رض وضاءت بنورك الأُفُقُ
(١٤٧) فنحن في ذلك الضياء وفي النو ... رِ وسُبْلِ الرَّشادِ نَخْتَرِقُ

أسرَّ إليه النبي ﷺ أن قال: «**ألا أُبشرك يا عمّ؟ بي خُتمت النبوة، وبولدك تُختم الخلافة**». وقد رأينا ذلك عِيانا، وهو أنه مُذ آل الأمر إليهم من بعد بني أمية وهو مستمر فيهم إلى يومنا هذا، ولم يبرح عنهم ولم يتحول، وهي معجزة من معجزاته التي أخبر فيها بما سيكون، وليست بأول معجزاته.

وجملة من كان بخلفائهم بالعراق سبعةٌ وثلاثون خليفة.

---

(١) في الأصل: المدعين.

الأوَل من خلفاء بني العباس بالعراق
السفاح

وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

واختلف في لقبه المتعلّق بالخلافة، فقيل: القائم، وقيل: المهتدِي، وقيل: المُرْتَضى، وغلب عليه السفّاح، لكثرة ما سفح من دماءِ بني أُمية، يعني: أسالَ.

وأمه ريطةُ بنت[1] عبيد الله بن عبد الله بن عبد المَدَان الحارِثيّ. كان أبيض اللون طويلاً، أقْنَى الأنفِ حَسنَ الوجهِ واللِّحية، له وَفْرَةُ شَعَرٍ، سديدَ الرأي كريمَ الأخلاقِ، وافِر الجُودِ، حتى يقال: إنه وصل عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بألفي ألف درهم، وهو أول خليفة وصل بهذه الجملة.

كان قد بويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاثَ عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، قبل قتل مروانَ بنِ محمد آخرِ خلفاء بني أُمية بثمانية أشهر.

قال ابن حزم: كان سنّه حين ولي ما بين الثلاثين والأربعين، وفيه نظر، لأنه سيأتي أنه توفي سنة ست وثلاثين ومائة، وأن خلافته أربع سنين. وكان نقشُ خاتمه: الله ثِقَةُ عبد الله وبه يُؤمن (٤٧ ب). وبقي في الخلافة حتى توفي بالجُدَرِيّ، وقال ابن أزهر: سَمُّوه بالمدينة الهاشمية التي بناها بالعراق يوم الأحد لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ونصف، فيما ذكره القُضاعي، وقال صاحب حماة: ثلاثٌ وثلاثون سنة، وصلّى عليه عمه عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس، ودُفن بالأنبار العتيقة، وكانت مدة خلافته أربعَ سنين. وقد تقدم أنه كان قد بويع له قبل قتل مروان بثمانية أشهر، فتكون جميع مدته أربع سنين وثمانية أشهر، وكان له ولد يُسمى محمداً مات صغيراً، وابنةٌ اسمها رَيْطة تزوجها المهديُّ.

الحوادث والماجريات في خلافته

سار بعد مبايعته بالخلافة من الكوفة إلى الحيرة من العراق فأقام بها، ثم سار منها إلى الأنبار من العراق أيضاً سنة أربع وثلاثين ومائة، وبنى بها مدينة سماها الهاشميّة ونزلها، واستوزر أبا سلمةَ حَفْصَ بن سليمان الخلاّل، وهو أول من لُقِّب بالوزارة في الإسلام، وكانوا قبل ذلك يقولون كاتباً، ثم قتله، واستوزر خالد بن بَرْمك، وهو جدُّ البرامكة المعروفين بالجود، واستقضى في أول خلافته ابنَ أبي ليلى، ثم استقضى غيره،

---

(١) في تاريخ الخلفاء ص١٠٠ رائطة.

ولما بُويع خلع طاعتَه أبو الوَرْد بن الكوثر بِقِنَّسْرين، فسار إليه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس في جيش، فهزمه وقتل أبا الورد، ثم عاد إلى دمشق وقد خرج أهلها عن الطاعة، فهربوا منه، ثم آمنهم، فدخلوا في الطاعة.

ولايات الأَمصار في خلافته

(١٤٨ ا) كان على مصر أيام مروان بنِ محمد آخرِ خلفاء بني أُمية عبدُ الملك بنُ مروان اللخميُّ، فعزله عنها وولّي عليها صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس، سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فمكث فيها أشهراً قلائل ثم سار عنها، فوليها عنه أبو عون عبد الملك مولى بني أسد آخر سنةَ ثلاث وثلاثين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين، ثم وليها عنه صالح بن علي ثانياً في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، فأقام فيها إلى أيام أبي جعفر المنصور الآتي ذكره.

وولى على الشام عمَّه عبدُ الله بن علي بن عبد الله بن عباس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فبقي إلى أيام المنصور.

وَولى على خراسان والجبال أبو مسلم الخراساني.

وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي، فعزله وولى على ذلك عمه داود بن علي، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فولى مكانه في جميع ذلك زياد بن عبد الله بن عبد الدار الحارثي، ثم ولى على مكة السريّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس، فبقي فيها إلى أيام أبي جعفر المنصور.

وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري، ثم عزله وولى مكانه رياح بن عثمان المُرّي، ثم قتل فولى مكانه عبد الله بن الربيع الحارثي، فبقي فيها إلى أيام أبي جعفر المنصور.

وولى على اليمن عمه داود، ثم توفي في سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فولى مكانه عمر بن زيد بن عبد الله بن عبد المَدَان[١]، فتوفي في سنة أربع وثلاثين ومائة، فولى مكانه عليّ بن الربيع بن عبيد الله[٢].

---

(١) في معجم الأنساب ص ١٧٦ «محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي» وأحال المترجم على المترجم على الطبري ج٢ ص١٢٥٢ طبعة أوروبا.

(٢) هو كذلك في صبح الأعشى أيضاً ج٥ ص٢٧ وفي معجم الانساب: عبد الله. هذا ونسوق الولاة من معجم الأنساب لتصل ما مضى وتربط ما سيأتي نقلاً عن معجم الأنساب ص١٧٦: معن بن زائدة بن عبد الله ١٤٠ ويزيد بن المنصور (وناب عنه رجاء بن روح) وعلي بن سليمان الربعي ومنصور بن يزيد (١٦٤) وعبد الله بن سليمان مرة ثانية (١٦٦) وسليمان بن يزيد الحارثي ١٦٧ وإبراهيم بن سلم بن قتيبة ١٦٩.

وكان على إفريقية وبلاد المغرب يوسف بن عبد الرحمن الفِهري، فبعث إلى السفاح بطاعته؛ فأقرَّه عليها، ثم قُتل سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم غلب عليها عبد الملك بن أبي الجعد وأساءَ السيرةَ، ثم غلب عليها عبد الأعلى بن السمح.

وكان على الأندلس (٤٨ ب) يوسف بن عبد الرحمن الفهري من زمن مروان بن محمد آخرِ بني أمية، فأقام بها أيامه، وأول أيام أبي جعفر المنصور بعده، حتى استولى عليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان في خلافة أبي جعفر المذكور، واستمرت بعده بيد بني أُمية بالأندلُس إلى حين انقراض دولتهم.

الثاني من خلفاء بني العباس بالعراق
المنصور

وهو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو أخو السفاح المقدم ذكره، وأمه سلامه بنت بشير. ولُد بالحُميمة من أرض الشَّراة، وكان أسمر نحيفاً خفيف العارضين، يخضِب بالسواد، قال في «عيون المعارف»: يقال: إنه كان يُغَبِّر شيبَه بألف مثقال مسك في كل شهر، وكان حازم الرأي، قد عَركته الأيام، على غاية من الحزم وصواب التدبير، وكان أخوه أبو العباس السفاح قد عهد إليه بالخلافة ثم من بعده إلى ابن أخيه عيسى بن موسى، وجعل العهد في ثوب وختم عليه ودفعه إلى عيسى بن موسى، فاستنزل عيسى عن عهده، وعهد بها لابنه المهدي، وبويع له بها بعد موت أخيه السفاح في اليوم الذي مات فيه لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وهو يومئذ بمكة، وقام عمه عيسى بن علي ببيعته، وأتته الخلافة تزهو بطريق مكة بالصُّفيَّة فقال: صفا أمرُنا إن شاء الله تعالى، وكان نَقْشَ خاتمه. .[(١)]

قال ابن حزم: وكان سنه حين ولي ما بين الأربعين والخمسين، وبقي في الخلافة حتى توفي وهو محرم بالحج ببئر ميمون على أميال من مكة، في السادس من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة (١٤٩) وعمره ثلاث وستون سنة وقيل: أربع وستون. وصلَّى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عباس، ودفن بالحَجون، وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة وثلاثة أشهر، ويقال اثنتين وعشرين سنة إلا سبعة أيام.

ويقال: إنه ولد في ذي الحجة، وكان يتوقع أن يموت في ذي الحجة، فكان كذلك، وكان له من الأولاد تسعة ذكور وهم: محمد المهدي الآتي ذكره، وجعفر وبه كان يكنى،

---

(١) بياض بالأصل ولم نعثر على نقش خاتمه كما أنه لم يذكره في صبح الأعشى ج ٦ ص٣٥٤.

وصالح وسليمان وعيسى ويعقوب والقاسم وعبد العزيز وعباس، وبنت واحدة اسمها العالية[1].

وهو أول من مُشِي بين يديه بالسيوف المُصلتة والقِسِيّ والنُّشَّاب، وهو أول من لعب بالصَّولجان في الإسلام، على ما سيأتي ذكره في الباب السابع.

الحوادث والماجريات في خلافته

في أيامه فتحت المُلْتان والقُنْدُهار من أرض السند[2] وهدم البُدُّ وبُنِيَ موضعه مسجدٌ.

وفي سنة سبع وثلاثين قتل أبا مسلم الخراساني صاحب دعوتهم، لأمور اتهمه فيها[3]، وكان أبو مسلم قد قتل في دولته ستمائة ألف صبرا.

وفي أيامه خرج قسطنطين ملك الروم إلى بلاد الإسلام وأخذ مَلَطيَّة عَنْوَة وهدم سورها، فبعث المنصور عبدَ الوهاب ابن أخيه إبراهيم الإمام في سبعين ألف مقاتل لعمارتها فعمرها في ستة أشهر.

وفي سنة تسع وثلاثين ومائة أمر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام من جهة باب النّدوة، وبني مسجد الخَيْف.

وفي سنة إحدى وأربعين ومائة خرجت عليه الرَّاوَنْدِيّة، وهم قوم من أهل خُراسان يقولون بالتناسخ، ويزعمون أن رُوح آدم حلَّت في عثمان بن نُهيك، وأن أبا جعفر المنصور

---

(١) في جمهرة الأنساب العرب زاد من أبنائه علياً وجعفراً المعروف بابن الكردية وهو غير جعفر الأكبر.

(٢) في فتوح البلدان ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠ «أن الملتان فتحهما محمد بن القاسم في أيام الوليد بن عبد الملك». ثم كفر أهل هذه البلاد ففتحت في أيام المنصور انظر فتوح البلدان ص٤٥٥ والبد: ببيت فيه أصنام وتصاوير وكان البد في الملتان تهدي إليه الأموال وتنذر له النذور ويحج إليه السند فيطوفون به ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عندهم ويزعمون أن صنماً فيه هو أيوب النبي ﷺ.

(٣) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي: «وقال المأمون وقد ذكر أبو مسلم عنده: أجل ملوك الأرض ثلاثة وهم الذين قاموا بنقل الدولة: الاسكندر وأردشير وأبو مسلم الخراساني «ابن خلكان» وقال الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» إن أبا مسلم نهض وهو ابن ثماني عشرة سنة وقيل هو ابن ثلاث وثلاثين «تاريخ بن خلكان». وكان أبو مسلم قد حج ولما عاد نزل الحيرة التي عند الكوفة وكان بها نصراني عمره مائتا سنة يخبر عن الكوائن فأحضره وسمع كلامه. وكان في جملة كلامه أنه يقتل وقال: إن صرت إلى خراسان سلمت فعزم على الرجوع إليها فلم يزل المنصور يتخدعه بالرسائل حتى أحضره إليه، وكان أبو مسلم ينظر في كتب الملاحم ويجد خبره فيها وأنه مميت دولة ومحيي دولة وأنه يقتل ببلاد الروم وكان المنصور يومئذ برومية المدائن التي بناها كسرى ولم يخطر بقلب أبو «أبي» مسلم أنها موضع قتله بل راح وهمه إلى بلاد الروم. تاريخ «بن خلكان» إلى هنا انتهى ما بهامش الأصل. وفي ابن خلكان ترجمة أبي مسلم عبد الرحمن بن مسلم نجد النص الأول والأخير ولا نجد نص ربيع الأبرار ولا نص النصراني.

هو ربُّهُم الذي يُطعمهم ويسقيهم. فظفر بهم وقتلهم عن آخرهم.

وفي سنة خمس وأربعين ومائة خرج عليه محمد بن عبد الله (٤٩ ب) بن الحسن بن الحسن[١] بن علي بن أبي طالب، واستولى على المدينة، وجرى بينه وبين المنصور مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها، فجهز إليه المنصور جيشاً فقتله هو وجماعته، فخرج عليه أخوه إبراهيم[٢] عقب ذلك، فجهز إليه من قتله في سنته.

وفي سنة خمس وأربعين ومائة بنى مدينة بغداد، وانتقل إليها من مدينة الهاشمية التي بناها أخوه أبو العباس السفاح، وبنى الرُّصافة في الجانب الغربي من بغداد لابنه المهدي.

وفي سنة ثمان وأربعين ومائة توفي الإمام جعفر الصادق ابن زين العابدين.

وفي سنة خمسين ومائة توفي الإمام أبو حنيفة رحمه الله. وفيها توفي الإمام الشافعي رضي الله عنه[٣] وفيها توفي مقاتل بن سليمان المُفسّر.

وفي سنة ثلاث وخمسين ومائة توفي أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة.

وفي سنة خمس وخمسين ومائة فتح يزيدُ بن حاتم بن المُهلَّب إفريقيَّة من بلاد المغرب.

وفي سنة ست وخمسين تُوفي حَمزةُ بن حَبيب الزَّيَّاتُ أحدُ القراء السبعة أيضاً.

وفي سنة خمس وخمسين توفي الأوزاعي إمام أهل الشام في الفقه وغيره.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر في أيام السفاح صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس، فولي عليها بعده عبد الملك مولى بني أسَد[٤] [ثم وليها صالح بن علي ثانياً ثم عبد الملك] سنة تسع

---

(١) في الأصل: «الحسين». والتصويب من كتب التاريخ وانظر نسب قريش ص٥٣ و٤٢٨.

(٢) في الأصل: «محمد» والتصويب من كتب التاريخ ومن نسب قريش ص ٥٣ فقتله بالمدينة واخاه إبراهيم، خرج بعده بالبصرة....

(٣) في هامش الأصل ما يأتي: «وهذا غير صحيح فإن الشافعي رحمه الله توفي بعد الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله بأربعة وخمسين سنة هذا هو الصحيح. حاشية اتفق المؤرخين «المؤرخون» رحمهم الله أن أبا حنيفة توفي ببغداد على رأس مائة وخمسين سنة من الهجرة ثم توفي مالك بعده بتسع وعشرين سنة ثم الشافعي بعده بخمس وعشرين سنة ثم الإمام أحمد بعده بسبع وثلاثين سنة ثم البخاري بعده بخمس عشرة سنة ثم مسلم بعده بخمس ثم أبو داود بتسع سنين ثم النسائي بعده بتسع سنين وحمل إلى مكة مريضاً ومات بها. قاله الدارقطني رحمه الله تعالى».

(٤) عبد الملك هو عبد الملك بن يزيد مولى الأزد انظر الولاة والقضاة ص١٠١ والنجوم الزاهرة وكنيته أبو عون.

وثلاثين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين، ثم وليها عنه النقيب[1] التميمي سنة إحدى وأربعين ومائة، فمكث فيها سنتين، ثم وليها عنه حُميد الطائي سنة ثلاث وأربعين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة، ثم وليها عنه: يزيد المهلّبي سنة أربع وأربعين ومائة، فمكث فيها تسع سنين، ثم وليها عنه عبد الله بن عبد الرحمن[2] بن معاوية، سنة اثنتين وخمسين ومائة، فمكث فيها سنتين وستة أشهر، ثم وليها عنه محمد بن عبد الرحمن (٥٠أ) بن معاوية سنة أربع وخمسين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة، ثم وليها عنه موسى بن عليٍّ اللّخمي في سنة خمس وخمسين ومائة، فمكث فيها سنتين وستة أشهر.

وكان على الشام عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، فصرفه وولي أبا مسلم الخراساني الشام في سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم قتله المنصور في السنة المذكورة.

وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز السَّرِيُّ بن عبد الله ابن الحارث بن العباس، فعزله في سنة ست وأربعين ومائة، وولّى على مكة محمدَ بنَ إبراهيم الإمام، ثم عزله وولي مكانه إبراهيم ابن أخيه، ثم ولّى مكانه جعفر بن سليمان.

وكان على المدينة عبد الله بن الرَّبيع الحارثي، فعزله سنة أربعين ومائة وولى مكانه جعفر بن سليمان، ثم عزله وولى بعده عمَّه عبدَ الصمد بن علي.

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبدُ الأعلى بن السَّمح، فولي مكانه محمد بن الأشعث الخُزاعي، فقَدمها سنة خمس وأربعين ومائة، ودخل القَيْرَوان وبنى عليها سوراً، ثم ثاروا عليه وأخرجوه منها وولوا عليهم عيسى بن موسى الخراساني، ثم ولّى عليها أبو جعفر المنصور الأغلب بن سالم بن عقال التميمي، فسار إليها ودخل القيروان فخرجوا عليه فقتلوه في سنة خمسين ومائة، فولّى عليها عمرو بن حفص بن قَبيصة بن المهلَّب بن أبي صفرة العَتَكيّ[3] فقدمها سنة إحدى وخمسين ومائة، فنازعه البربر[4] وضعف أمره عنهم، فولّى عليها يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، فقدمها منتصف سنة خمس وخمسين ومائة، فأقام فيها إلى أن مات في خلافة الرشيد في سنة سبعين ومائة.

وكان على الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري المقدّم ذكره، فسار إليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان واستولى عليها في سنة تسع وثلاثين

---

(١) النقيب التميمي هو موسى بن كعب انظر النجوم الزاهرة ج١ ص٣٤٢ الولاة والقضاة ص ١٠٦.

(٢) في الأصل عبد الرحمن بن عبد الرحمن والتصويب من صبح الأعشى ج٣ ص ٤٢٥ والولاة والقضاة ص١١٧ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص١٧.

(٣) في الأصل: «التميمي» وانظر ترجمة المهلب في بن خلكان.

(٤) في الأصل: الزبير.

ومائة، وبقي بها حتى (٥٠ ب) توفي سنة إحدى وسبعين ومائة، وكان قاعدة ملكهم مدينة قُرْطُبة.

الثالث من خلفاء بني العباس بالعراق
المهدي

وهو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور المقدم ذكره، وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله الحِميري، وكان أسمر طويلاً حسن الوجه، بعينه اليمنى بياضٌ، جواداً حازماً وَصُولاً لرحمه، يباشر الأمور بنفسه، وليَ الخلافة بعهد من أبيه المنصور، بعد استنزال ابن أخيه عيسى بن موسى عن عهد السفاح بها إليه بعد المنصور، ولما خرج أبوه المنصور إلى الحج، في السنة التي مات فيها خرج معه ابنه المهدي، فقال له: إن نفسي تحدثني بالموت في هذه السنة، وذلك هو الذي دعاني إلى الحج، فاتَّق الله تعالى فيما عهدتُ به إليك من أمور المسلمين، ثم بويع له بعد موت أبيه يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة. ووصل الخبر إلى بغداد بموت أبيه والبيعة له في منتصف ذي الحجة، وكان نقش خاتمه: حسبي الله.

قال ابن حزم: وكان سنّه حين ولي ما بين الثلاثين والأربعين، ثم بقي حتى توفي بماسَبَذَان[(١)] لثمان بقين من المحرم سنة ثمان[(٢)] وستين ومائة وعمره اثنتان وأربعون سنة ونصف، وصلى عليه ابنه الرشيد، ودفن بقرية يقال لها السرف، ومدّة خلافته عشر سنين وشهر، وقيل: وشهر ونصف، وكان له من الأولاد هارون الرشيد وموسى وعليّ وعبد الله ومنصور ويعقوب وإسحاق وإبراهيم[(٣)] ومن الإناث البانوقة[(٤)] وعُلَيَّة وعبّاسة وسليمة.

الحوادث والماجريات في خلافته

كان عادلاً في خلافته حتى يقال: إنه كان في بني العباس كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكان إذا جلس للمظالم يقول: أدخِلوا عليَّ القضاةَ، فلو لم يكن رَدِّي المظالم إلاّ للحياء منهم[(٥)] (٥١أ).

(١) في الأصل: بما سندان والتصويب من صبح الأعشى ج٣ ص٢٥٨.
(٢) في صبح الأعشى ٣ـ ٢٥٨ سنة تسع وستين ومائة في المحرم.
(٣) زاد في جمهرة أنساب العرب ص١٩ وعبيد الله.
(٤) في الأصل البانويه «بدون نقط» وعالية. هذا وانظر ترجمة علية بنت المهدي في الأغاني ج١٠ ص١٦٢ طبعة دار الكتب.
(٥) كذا.

ولما ولي الخلافة ردّ كثيراً مما أخذه أبوه من الأموال، وأطلق من كان في السجون، وزاد في المسجد الحرام، وبنى العَلَمين اللذين يُسَعى بينهما.

وردَّ نسب زياد بن أبيه الذي كان قد استلحقه معاوية ابن أبي سفيان إلى عُبَيد الرومي، وأخرجه من قريش.

وحجّ بالناس في سنة تسع وخمسين ومائة وفرق في الناس أموالاً عظيمة، ووسع مسجد رسول الله ﷺ.

وفي سنة إحدى وستين ومائة أمر باتخاذ المصانع[1] بطريق مكة، وتحديد الأميال، وتقصير المنابر وجعلها بمقدارِ مِنْبرِ النبي ﷺ.

وفي سنة ثلاث وستين ومائة غزا هارون الرشيد بلاد الروم فتغلغل فيها وبلغ القُسطنطينية وفتح فتوحاً كثيرة.

واستوزر في خلافته عدة وزراء، منهم أبو أيوب المورياني. ثم خالد بن بَرْمَك مدة يسيرة.

وفي خلافته تُوفي سفيانُ الثَّوْري، وإبراهيم بن أدهم الزاهد في سنة إحدى وستين ومائة، وفي أيامه قُتل المُقَنَّع الخُراساني، وهو رجل ساحر خَيَّل للناس صورة قمر يَطْلُع ويراه الناس من مسافة شهرين، وكان مُشَوَّه الصورة أعور قصيراً، فاتَّخذ وجهاً من ذهب وتقنَّع به، فسُمي المُقَنَّع، وادعى مع ذلك الرُّبوبية، وأطاعه خلق كثير، وكان له قلعة، فحصروه بها حتى قتلوه.

وفي أيامه هرب إدريس بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن الحسن[2] بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى الغرب الأقصى، ودعا هناك لنفسه.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر في أيام أبيه المنصور، موسى بنُ عليٍّ اللخميُّ، فصرفه عنها وولاها عيسى الجمحي[3] سنة إحدى وستين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة، ثم وليها عنه واضح[4] مولى المنصور، وقيل: منصور بن يزيد (١٥ ب) الرُّعَيني في سنة اثنتين وستين

(١) المصانع جمع مصنع أو مصنعة وهو ما يجمع فيه ماء المطر كالحوض والمصانع أيضاً: القرى والحصون والقصور.

(٢) في الأصل «إدريس بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن الحسين بن الحسن» والتصويب من جمهرة أنساب العرب ص ٤٣ ونسب قريش ص٥٤.

(٣) في الأصل: الحممي. وفي صبح الأعشى: اللخمي. وبهامشه عن المقريزي: الجمحي، وهي كذلك في معجم الأنساب.

(٤) في صبح الأعشى: أصبح. وصحح بالهامش عن المقريزي «واضح». وهو كذلك في معجم الأنساب.

ومائة، ثم وليها عنه زيد بن منصور الحميري في وسط السنة المذكورة، ثم وليها عنه يحيى أبو صالح في ذي الحجة منها، ثم وليها عنه سالم بن سوادة التميمي سنة أربع وستين ومائة، ثم وليها عنه إبراهيم بن صالح بن علي العباسي في سنة خمس وستين ومائة، ثم وليها عنه موسى بن مُصعب[1] في سنة ست وستين ومائة، ثم قُتل فقام عنه خليفةً أسامةُ بن عمرو العامري[2] في سنة ثمان وستين ومائة.

وولي على الشام عبد الصمد بن علي.

وكان على مكة جعفر بن سليمان. ولم أقف على من بعده.

وكان على المدينة عبد الصمد بن علي، فعزله في سنة تسع وخمسين ومائة، وولى عليها محمد بن عبد الله الكبيري، ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن صفوان، ثم عزله وولى مكانه زفر بن عاصم.

وكان على اليمن يزيد بن منصور، فعزله وولى مكانه رجاءَ بن رَوْح، ثم ولي بعده علي بن سليمان، ثم عزله سنة اثنتين وستين ومائة، وولى مكانه عبد الله بن سليمان، ثم عزله سنة ثلاث وستين ومائة وولي مكانه منصور بن يزيد ثانياً[3]، ثم عزله في سنة ست وستين ومائة وولى مكانه عبد الله بن سليمان الرَّبَعي، ثم ولى سليمان بن يزيد ثانياً[4]. فأقام بها إلى أيام الهادي.

وكان على إفريقية والغرب يزيد بن حاتم بن قَبيصة المهلَّبي، فأقام بها إلى أيام الهادي.

وكان المستولي على الأندلس عبد الرحمن الداخل الأموي، فأقام بها إلى أيام الهادي وبعده.

الرابع من خلفاء بني العباس بالعراق
الهادي

(٥٢أ) وهو أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور المقدم ذكره.

وأُمه الخَيْزران مولَّدة، وهي بنت عطاء، مولاة أبيه، وهي أم الخلفاء.

---

(١) في صبح الأعشى ج٣ ص٤٢٦ «معين الدين ختهم» أما معجم الأنساب فكالأصل.

(٢) كذا في الأصل وصبح الأعشى ج٣ ص٤٢٦ وفي معجم الأنساب: عسامة بن عمرو المعافري وانظر النجوم الزاهرة ج٢ ص٥٧.

(٣) كذا في الأصل وكذلك في صبح الأعشى ج٥ ص ٢٧ ولكنه لم يذكر كلمة «ثانياً» فلعل منصور بن يزيد هذا هو ابن يزيد بن منصور السابق وأقحمت كلمة «ثانياً» ويؤيد ذلك أن معجم الأنساب ذكره فقال: منصور بن يزيد بن المنصور (عباسي) ووضع هامش: انظر ابن الأثير ج٦ ص٤٩.

(٤) سليمان بن يزيد لم يتقدم له ذكر وكذلك جاء هذا النص في صبح الأعشى، أما في معجم الأنساب فقد ذكر أنه «سليمان بن يزيد الحارثي» ولم يتقدم له سبق الولاية.

كان طويلاً جسيماً أفوه، بشفته العليا تَقَلُّص، شجاعاً بطلاً أديباً جواداً صعب المَرَام.

بويع له بالحلافة ببغداد يوم موت أبيه[١]، لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وستين، وقيل: تسع وستين ومائة، وهو يومئذ غائب بِجُرجان يحارب أهل طبرستان. وقام ببيعته أخوه الرشيد، وكتب إلى الآفاق بموت المهدي وأخذ البيعة للهادي، ولما بلغ الخبرُ الهاديَ نادى بالرحيل، وسار على البريد مُجدًّا حتى دخل بغداد في عشرين يوماً.

وقَضيَّةُ كلام[٢] ابن حزم أن سنّه حين ولي كانت ما بين العشرين والثلاثين، وكان نقش خاتمه: الله ربي، وبقي في الخلافة حتى توفي ببغداد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وعمره أربع وعشرون سنة، وقيل: خمس وعشرون، وقيل: ست وعشرون، ويقال إن أُمه الخيزران قتلته بأن أمرت الجواري فَغَمَّيْن وجهَه وهو مريض فمات، وصلى عليه أخوه هارون الرشيد، ومدة خلافته سنة واحدة وشهر واحد وأربعة عشر يوماً، وكان له من الأولاد[٣] ستة ذكور وهم: عيسى وإسحاق وجعفر وإسحاق الثاني وموسى، وكان موسى أعمى، وكان له عدة بنات، منهن أم عيسى التي تزوجها المأمون.

الحوادث والماجريات في خلافته

في أيامه خرج الحسين بن علي بن الحسن [ابن الحسن بن الحسن] بن علي بن أبي طالب بالمدينة ودعا لنفسه، وجرى بينه وبين عامل الهادي حرب، قتل فيها الحسين وانهزمت جماعته، وهرب إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى بلاد المغرب حتى وصل طَنْجة (٥٢ ب) واستولى على المغرب الأقصى، وبقي إلى خلافة الرشيد، ومن عقبه الأدارسة القائمون[٤] ببلاد المغرب على ما يأتي ذكره.

وفي أيامه توفي نافع أحد القراء السبعة إمام أهل المدينة في القراءة. ولم يحجَّ في شيء من خلافته.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر أُسامة بن عمرو العامري[٥]، فولى مكانه الفضل بن صالح العبّاسي في

---

(١) في الأصل: مات أبيه.

(٢) سبق أنه يستعمل كلمة «ومقتضى».

(٣) في جمهرة أنساب العرب: ذكر أولاده الذكور ص٢٠: جعفر وإسماعيل وعبد الله وموسى الأعمى وسليمان. هذا ولم يذكر إلا خمسة.

(٤) في الأصل: القائمين.

(٥) انظر ما تقدم عند ولايات سابقه.

سنة تسع وستين ومائة، ثم وليها عنه [على بن] سليمان العباسي في آخر السنة المذكورة.

وكان على مكة والمدينة واليمن جعفر بن سليمان.

وكان على إفريقية وبلاد المغرب يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلّبي، فأقرَّه عليها وبقي إلى أيام الرشيد كما تقدم.

وكان المستولي على الأندلس عبد الرحمن الداخل الأموي فأقام بها إلى آخر أيام الهادي.

الخامس من خلفاء بني العباس بالعراق
الرشـيد

وهو أبو محمد وقيل أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور.

وأمه الخيزران أُمُّ أخيه الهادي المتقدمةُ الذُّكر.

كان أبيض اللون جميل الوجه طويلاً سميناً، قد وَخَطه الشيبُ، سَمْحاً شجاعاً كثير الحج والغزو والصدقة والصلاة، حتى يقال: إنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة، وكان محبًّا للعلماء مقرِّباً لهم، بويع له بالخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه[1] الهادي في منتصف ربيع الأول سنة سبعين ومائة.

ومقتضى كلام ابن حزم أنه ولي وعمره ما بين العشرين إلى الثلاثين، وكان نقش خاتمه: العظمة والقدرة لله. وقيل: كن مع الله على حذر. وبقي في الخلافة (٥٣أ) حتى توفي ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وعمره خمس وأربعون سنة وخمسة أشهر، وقيل: أربع وأربعون وأربعة أشهر، وقيل: ثمان وأربعون. وكانت وفاته بطُوس من بلاد المشرق، وصلَّى عليه ابنُه صالح، ودُفِن بطوس. ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وتسعة عشر يوماً. ولما حضرته الوفاة غُشي عليه ثم أفاق، فرأى الفضل بن الربيع فقال: يا فضل:

أَحِيـن دنـا مـا كـنـت أَخـشـى دُنُـوَّه ... رمـتْـني عيونُ الـنـاس من كلِّ جـانـب

وأَصبـحـتُ مـرحـومـاً وكـنـت مُـحَـسَّـداً ... فـصـبـراً عـلـى مَـكـروه مَـرِّ الـعـواقـب

سـأَبـكـي عـلـى الـوصـل الـذي كـان بـيـنـنـا ... وأنـدب أيّـام الـسـرورِ الـذواهـب

ثم مات بعد ذلك.

---

(١) في الأصل: أبوه.

الحوادث والماجريات في خلافته

كانت خلافته في غاية من العظمة والفخامة، حتى يُحكى أنه كان يستلقي على قفاه وينظر إلى السحابة الحاملة للمطر ويقول: اذهبي إلى حيث شئت يأتيني خراجك.

واستوزر يحيى بن خالد بن برمك وابنيه جعفراً[1] والفضل، فكان لدولته بكَرمهم وحسنِ تدبيرهم أكملُ المفاخر.

وفي أيامه ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالدَّيلم، ودعا إلى نفسه، فبعث إليه الرشيد الفضلَ بن يحيى في جيش عظيم في سنة ست وستين ومائة، فطلب الأمان، فكتب له به، وكتب الرشيد خطَّه عليه، فحضر إلى بغداد، فأكرمه الرشيد وأعطاه مالاً جزيلاً، ثم قبض عليه بعد ذلك وسجنه حتى مات في السجن.

وفي سنة إحدى وثمانين (٥٣ب) ومائة غزا أرض الروم، وفتح حصن الصَّفْصَاف، وكان من أعظم حصونهم.

وفي سنة تسعين ومائة كان على الروم ملكةٌ، فخلعوها وملَّكوا عليهم ملكاً اسمه نقفور[2] فكتب إلى الرشيد كتاباً فيه: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد، فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرُّخِّ وأقامت نفسها مقام البَيْدَق، فحملتْ إليك من مالها ما كنت حقيقاً أن تحمل أضعافه إليها، ولكن ذلك من ضعف النساء وحُمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا اردُدْ إليّ ما وصل إليك منها، وإلا السيفُ بيننا وبينك.

فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزّه الغضب، وكتب في جوابه:

من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، أما بعد، فقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجوابُ ما ترى لا ما تسمع ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢] وفي سنة تسعين ومائة سار بنفسه في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفاً من المُرتزقة سوى من لم يرد الديوان[3] من الأتباع والمتطوعة، حتى نزل هِرَقْلَة من بلاد الروم وحَصَرها ثلاثين يوماً، ثم فتحها، وبثَّ عساكره في أرض الروم ففتحوا وخرَّبوا، وبعث ملكُ الروم بالجزية عن رَعيَّته إليه.

---

(١) في الأصل: وابناه جعفر والفضل.

(٢) في الأصل: «تغفور» في هذا الموضع وما بعده وصوبنا من صبح الأعشى ج٥ ص٣٩٩.

هي قراءة سبعية في قوله تعالى: «وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار» سورة الرعد الآية٤٢ قرأ بها بالإفراد نافع وابن كثير وأبو عمرو وهم من السبعة انظر اتحاف فضلاء البشر ص ١٦٤ سورة الرعد.

(٣) في الأصل الديران.

ونقض أهل قُبرص العهدَ فأغزاهم من سواحل مصر والشام، فسبى وغنم، وغزا في خلافته ثمانيَ غزوات، وحج ثمانَ حَجَّات.

وعهد بالخلافة إلى ابنه الأمين، وجعل لابنه المأمون خراسانَ، وجعله وليَّ عهده بعد الأمين، وكتب بينهما بذلك شرطاً وحَلَّفهما عليه، وحجَّ بهما في سنة ست وثمانين ومائة، وعلّق الكتاب في الكعبة.

ثم في سنة تسعين ومائة عزل الرشيدُ الثغورَ كلَّها من الجزيرة وقِنَّسْرين وجعلها حَيِّزاً واحداً، وسماها العواصمَ، وأمر ببناية طَرَسُوس، فبُنِيت.

وفي أيامه توفي الإمام مالكُ بن أنس بمدينة النبي ﷺ (١٥٤أ) وسلم في سنة ثمان وسبعين ومائة.

وتوفيت أُمه الخيزرانُ سنة ثلاث وسبعين ومائة، فمشى في جنازتها.

وأخباره كلها مشكورة.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر عليُّ بن سليمان العباسيّ، فوليها عنه بعده موسى بن عيسى العباسي في سنة اثنتين وسبعين ومائة، ثم وليها عنه محمد بن زُهير الأزدي سنة ثلاث وسبعين ومائة، ثم وليها عنه داود بن يزيد المُهلَّبي سنة أربع وسبعين ومائة، ثم وليها عنه موسى بن عيسى العباسي سنة خمس وسبعين ومائة، فمات بها، ثم وليها عنه عبد الله الضَّبّيّ في أوّل سنة سبع وسبعين ومائة، ثم وليها عنه هَرْثَمة بن أعين سنة ثمان وسبعين ومائة، ثم وليها عنه عبد الملك العباسي في سَلْخ ذي الحجة من السنة المذكورة، ثم وليها عنه عبيد[1] الله بن المهدي العباسي في سنة تسع وسبعين ومائة، ثم وليها عنه موسى بن عيسى التنوخي في آخر سنة ثمانين ومائة، ثم وليها عنه عبيد الله بن المهدي ثانياً سنة إحدى وثمانين ومائة، ثم وليها عنه إسماعيل بن صالح في آخر السنة المذكورة، ثم وليها عنه سُمَيَّةُ بن[2] عيسى بن إسماعيل سنة اثنتين وثمانين ومائة، ثم وليها عنه اللَّيث البيوَرْديّ في آخر السنة المذكورة، ثم وليها عنه أحمد بن إسماعيل في آخر سنة تسع وثمانين ومائة، ثم وليها عنه عبد الله بن محمد العباسي المعروف بابن زينب، في سنة تسعين ومائة، ثم وليها عنه مالك بن دَلْهم[3] الكلبيّ سنة اثنتين وتسعين ومائة، ثم وليها عنه الحسين بن الحجاج سنة ثلاث

---

(١) في الأصل: عبد الله وانظر صبح الأعشى ج٣ ص٤٢٦.

(٢) في صبح الأعشى بهامشه: «إسماعيل بن عيسى» نقلاً عن المقريزي. وفي معجم الأنساب إسماعيل بن عيسى بن موسى.

(٣) في الأصل: عبد الله بن دلهمة» والتصويب من صبح الأعشى ج٣ ص٤٢٧ ومعجم الأنساب.

وتسعين ومائة، فأقام بها إلى أيام ابنه[1] الأمين.

وذكر في «عيون المعارف» ما يخالف ذلك.

وكان على (٥٤ب) الشام عبد الصمد بن عليّ، فعزله وولى مكانه إبراهيم بن صالح بن علي، ثم توالت عليها عماله، ولم أقف على أسمائهم.

وكان على مكة جعفر بن سليمان، فولّى عليها وعلى اليمن حمّاداً اليزيدي[2] سنة أربع وثمانين ومائة، فبقي إلى أيام الأمين، ولم أقف على عامله بالمدينة[3]. وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة ولّى الرشيدُ على السِّند داود بن يزيد المهلَّبي، وعلى الجبل يحيى الجرشيّ، وعلى طبرستان مَهْدَوَيْه الرازي، وكان على الموصل وأعمالها يزيد بن مزْيد الشيباني [و] هو ابن أخي مَعْن بن زائدة.

وكان على إفريقية وبلاد المغرب يزيد بن حاتم بن قَبيصة المهلَّبي، فتوفي وقام بأمره بعده ابنه داود، ولما بلغ الرشيدَ وفاةُ يزيد ولّى على إفريقية رَوْح بن حاتم أخا يزيد[4] المذكور، فقَدِمَها منتصفَ سنة إحدى وسبعين ومائة، ومات في رمضان سنة أربع وسبعين ومائة، وكان الرشيدُ قد بعث بعهده سرًّا إلى قرابتهم نَصْرِ بن حبيب المهلَّبي، فقام بأمرها

---

(١) في الأصل: أيام أخيه.

(٢) في معجم الأنساب ص١٧٦: حماد البربري. وكان قبله إبراهيم بن سلم بن قتيبة كان من سنة١٦٩ نقلاً عن ابن الأثير ج٦ ص٤٩. هذا وننقل تسلسل الولاة عن معجم الأنساب لأنه أهمل ذكرهم: سليمان بن يزيد الحارثي, وإبراهيم بن سلم بن قتيبة سنة١٦٩ وحماد البربري سنة١٨٤ ويزيد بن جرير سنة١٩٦ والحسن بن سهل سنة ١٩٨ وإسحاق ابن موسى٢٠٠ وإبراهيم بن موسى سنة٢٠٠ ثم بنو زياد.

(٣) عمال المدينة نقلاً عن معجم الأنساب في العهد العباسي ص٣٦: داود بن علي سنة١٣٢ وزياد بن عبيد الله سنة١٣٣ والعباس بن عبد الله سنة١٣٧ وزياد بن عبيد الله مرة ثانية سنة ١٤١ ومحمد بن خالد القسري سنة ١٤٤ وعبد الله بن ربيعة الحارثي (١٤٥) وجعفر بن سليمان ١٤٦ والحسن بن زيد ١٥٠ وعبد الصمد بن علي ١٥٥ ومحمد بن عبد الله الكثيري ١٥٩ ومحمد بن عبيد الله بن محمد ١٥٩ ومحمد بن عبد الله الكثيري مرة ثانية سنة (١٦٠) وزفر ابن عاصم الهلالي (١٦٠) وجعفر بن سليمان بن علي مرة ثانية (١٦١) وإبراهيم بن يحيى ١٦٦ وإسحاق بن عيسى (١٦٧) وعمر بن عبد العزيز بن عبد الله ١٦٩ وإسحاق بن سليمان١٧٠ وعبد الملك بن صالح ومحمد بن عبد الله بن عبيد الله وموسى بن عيسى بن محمد وإبراهيم بن محمد ابن إبراهيم (١٨٣) وعلي بن عيسى بن موسى ومحمد بن إبراهيم وعبد الله بن مصعب وبكار ابن عبد الله بن مصعب ومحمد بن علي وأبو البختري وهب بن منبه وداود بن عيسى بن موسى ابن محمد ١٩٣ (ناب عنه ولده سليمان) والحسن بن سهل (١٩٨) وهارون بن المسيب ٢٠٠ وحمدون بن علي ٢٠١ وعبيد الله بن الحسن بن عبد الله ٢٠٤ وصالح بن العباس ٢٠٩ وسليمان بن عبد الله بن سليمان ٢١٤ ومحمد بن صالح بن العباس ٢٢٩ ومحمد المنتصر بن المتوكل ٢٣٣ وصالح بن علي ٢٤٦ وعلي بن الحسن بن إسماعيل ٢٤٧ ومحمد بن عبد الله ابن طاهر ٢٤٨.

(٤) في الأصل أخو يزيد.

بعد روح، وسار ابنُ الفضل إلى الرشيد فولاَّه مكان أبيه، وعاد إلى إفريقية ونزل القيروان في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة، ثم قتله ابنُ الجارود في منتصف سنة ثمان وسبعين ومائة، فولَّى الرشيدُ مكانَه هَرثمةَ بنَ أعين، فسار إليها ودخل القيروان سنة تسع وسبعين ومائة، ثم استعفى فأعفاه الرشيد لسنتين ونصف من ولايته وولى مكانه محمدَ بن مُقاتل العَكِّيّ، فقدم القيروان في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة، وكان سيءَ السيرة، فولّى الرشيدُ مكانه إبراهيمَ بنَ الأغلب بن سالم التميميَّ المقدَّم ذكره، فقدم إفريقية في منتصف سنة أربع وثمانين ومائة، وابتنى مدينة العباسِيَّة بالقرب من القيروان، وانتقل إليها وبقي إلى خلافة الأمين (٥٥أ) الآتي ذكره.

وكان إدريس الأكبر بنُ حسن المُثَلَّث بن حسن المُثَنَّى بن الحسن السِّبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المغرب الأقصى، وفتح أكثر البلاد، وبايعوه بها في خلافة الهادي على ما تقدَّم ذكره في الحوادث والماجريات في خلافته[١]. وكان تِلِمْسان بيد محمد ابن خزر بن صولات أمير زَناتة، فدخل في طاعة إدريس الأكبر هذا، وحمل أهلَ تلمسان على طاعته، وأمكنه من تلمسان، فملكها في سنة أربع وسبعين ومائة، واختط مسجدها الجامع، ثم رجع إلى المغرب، ثم ولَّى عليها أخاه سليمانَ بن عبد الله، فبقي بها إلى أن مات إدريس الأكبر، وقام ابنه، إدريس الأصغر بملكه بعده، فقدم تلمسان سنة تسع وتسعين ومائة، فجدّد جامعها وأصلح منبرها، وأقام بها ثلاث سنين، وولاها لابن عمه محمد بن سليمان، فبقي إلى ما بعد خلافة الرشيد، ولم يزل حتى مات بمدينةِ وليلى، سنه ـ خمس وسبعين ومائة، وترك حَليلةً له حاملاً، فوضعت ذكراً اسمه إدريس على اسم أبيه، وكفلوه حتى شبَّ بايعوه بمدينة وليلى سنة ثمان وثمانين ومائة، وهو ابن إحدى عشرة سنة، وافتتح جميع بلاد المغرب، وضاقت به وليلى فابتنى مدينة فاس سنة اثنتين وتسعين ومائة، وانتقل إليها، وقطع دعوة بني العباس هناك، وبقي إلى خلافة الأمين.

وكان المستولي على الأندلس عبد الرحمن الداخل الأموي المقدم ذكره، فتوفي في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة، واستولى بعده على الأندلس ابنهُ هشام بن عبد الرحمن إلى[٢] سنة ثمان وسبعين ومائة، وتُوفي فاستولى بعده ابنه الحكم وبقي إلى أيام الأمين، وفي أيامه ارتجع الفرنج مدينة بَرْشُلُونة من الأندلس.

---

(١) الذي تقدم في خلافة الهادي إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ويفهم مما يأتي أنه أدريس بن عبد الله لقوله: وولي أخاه سليمان بن عبدا لله.

(٢) في الأصل في سنة ثمان.

السادس من خلفاء بني العباس بالعراق
الأَمين

(٥٥ب) وهو أبو عبد الله. وقيل: أبو موسى، وقيل: أبو العباس، محمد بن هارون الرشيد، وقد تقدم نسبه.

وأمه أمةُ الواحد، وقيل: أمَةُ العزيز، ولقبها زُبيدة بنتُ جعفر بن أبي جعفر المنصور المتقدم ذكره، ولم يل الخلافة بعد عليّ عليه السلامُ وإلى يَوْمئذ مَنْ أمهُ هاشمية غيره.

وكان أبيض اللون سميناً طويلاً جميل الوجه سَبْطاً، أنزع[1]، شديداً في بدنه، سمحاً بالمال، قبيح السيرة ضعيف الرأي سفّاكاً للدماء، منهمكاً في اللذات واللهو.

ولي الخلافة بعهد من أبيه رتَّبه فيه قبل أخيه المأمون، وبويع له بالخلافة في عسكر أبيه لسبع خلون من جُمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقيل صبيحة موت أبيه، وكان غائباً، ثم جُدِّدت له البيعةُ ببغداد بعد قدومه، وكان أبوه الرشيدُ لمَّا علق الكتابَ الذي كتبه بينه وبين أخيه المأمون بالكعبة سقط من يد إبراهيم الحجَبيّ، فتفاءَل إبراهيم بذلك بسرعة انتقاضه، فكان كذلك.

وكان نقش خاتمه: محمد واثقٌ بالله، وبقي حتى قتل، على ما يأتي ذكره في الحوادث، لخمس، وقيل: لستٍّ بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وعمره تسع وعشرون سنة، وقيل: كان عمره ثمانياً وعشرين فقط، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أيام وكسرا، وقيل: وستة أشهر وثمانية عشر يوماً، وكان له من الأولاد موسى وعبد الله وإبراهيم، لم يل أحد منهم الخلافة.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة انهمك في اللهو، واشتدت عنايته به، حتى طلب الملاهي[2] من جميع البلاد وضمهم إليه، وأجرى عليهم الأرزاق، واحتجب عن إخوته وأهل بيته، وقسم الأموال والجواهر في خواصّه. وفي الخصيان والنساء، وعمل خمس حَرَّاقات[3] في دِجلة، واحدة على صورة (٥٦أ) الأسد، وواحدة على صورة الفيل، وأخرى على صورة

(١) الأنزع: من انحسر الشعر عن جانبي جبهته.
(٢) الصواب ذوي الملاهي أو الملهين.
(٣) الحراقة نوع من السفن فيها مرامي نيران يرمي بها العدو، وظاهر أنها استعملت فيما خلا من مرامي النيران.

العُقاب، وأخرى على صورة الحية، وأُخرى على صورة الفرس، وأنفق في عملها أموالا جَمَّة، فتغيرت الدولة منه، ونَقِموا ذلك عليه.

واستوزر الفضل بن الربيع وزير أبيه الرشيد، واستقضى حمَّاد بن أبي حنيفة، وأقام في دَعة - والمأمونُ بخراسان - سنتين وأشهراً، ثم أغرى الفضلُ بن الربيع بينهما، فنصب الأمين ابنه موسى لولاية العهد بعده، وأخذ له البَيعة، ولقبه الناطقَ بالحقّ، وأبطل اسم المأمون من الخُطبة، وجمع العهود التي كان الرشيد كتبها بينه وبين أخيه المأمون فحرقها، وذلك في سنة أربع وتسعين ومائة، وجعل ولده في حِجْر ابن ماهان، ووجَّه عليّ بن عيسى إلى خراسان لقتال المأمون، ووجه المأمونُ طاهرَ بن الحُسين من مَرْو، وعلى مُقدّمته هَرثمةُ، لملاقاة علي بن عيسى، فبقي الحرب بين الأمين والمأمون سنتين وأشهراً، ونزل طاهر الأنبار، وهرثمةُ بالنَّهْروَان، وسار طاهر إلى بغداد، ولجأ الأمين إلى مدينة أبي جعفر المنصور ببغداد، فحصره طاهرُ بن الحسين فيها، فخرج الأمين بعد العشاء الآخرة وعليه ثيابٌ بيض وَطَيْلسانٌ أسود، وجاءَ راكباً إلى شطِّ الدُّجلة، فوجد حرَّاقة فركبها، فطلبه حُجَّاب طاهر، فسقط في الماء، فأُخذ وحمل إلى طاهر فقتله.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر الحسين بن الحجّاج، فولَّى عليها حاتمَ بنَ هرثمة بن أعين، سنة خمس وتسعين ومائة، ثم وليها عنه عبَّاد أبو نصر مولى كندة سنة ست وتسعين ومائة.

وذكر القُضاعي أنه وليها بعده جابر بن الأشعث، والمعروفُ ما تقدّم.

وكان على الشام إبراهيم بن صالح بن عليّ، ولم أقف على من بعده في أيامه.

وكان على حمص إسحاق بن سليمان، فعزله (٥٦ب) الأمين واستعمل مكانه عبد الله ابن سعيد الحَرشي.

وكان على مكة واليمن حمَّادٌ اليزيدي، فولَّى على مكة داود بن عيسى، ولم أقف على من ولي باليمن، ثم ولي على مكة محمد بن عيسى بعده. ولم أقف على عامله بالمدينة، إلاّ أن محمد بن عيسى المذكور كان بها في زمن الواثق، فلم أدرِ هل كان فيما قبل ذلك أم لا.

وكان على إفريقية إبراهيمُ بن الأغلب التميمي، فمات في شوال سنة ست وتسعين ومائة بعد أن عهد بالإمارة لابنه عبد الله، وكان غائباً، فقدم القيروان في صفر سنة سبع وتسعين ومائة، فبقي بها إلى أيام المأمون.

وكانت تِلِمْسان، بيد محمد بن سليمان من قِبَلِ ابن عمه إدريس الأصغر بن إدريس

الأكبر، فلما مات إدريس الأصغر استقرت تلمسان بيد عيسى بن إدريس بن محمد ابن سليمان، ثم صارت بعد ذلك إلى الحسن بن أبي العيس بن عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان، وبقيت بأيديهم إلى أن انقرضت دولة الأدارسة من الغرب.

وكان المستولي على الغرب الأقصى إدريس بن إدريس العلوي، فأقام مستولياً عليه إلى أن أيام المأمون.

وكان المستولي على الأندلس الحَكَم بن هشام، فتوفّى لأربع بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين، واستولى بعده ابنه عبد الرحمن بن الحكم، فبقي إلى أيام المأمون أيضاً.

السابع من خلفاء بني العباس بالعراق
المأمــون

وهو أبو العباس، وقيل: أبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد المقدم ذكره.

وأمه أم ولد اسمها مَرَاجل. وكان أبيض وقيل: أسمر أجنأ[١] أعْيَن أقنى طويلَ اللِّحية دقيقها قد وَخَطه الشيبُ، ضيِّقَ الجبين، بخدّه خالٌ أسود، كاملَ الفضل مُشاركاً في علوم كثيرة، جواداً، عظيم العفو، حسن التدبير، وكان قد أحكم علم النجوم، وإليه يُنسب الزِّيجُ (٥٧أ) المأموني، وهو الذي نقل كتب الحكمة من اليونانية إلى العربية[٢] اعتناء بها، وكان يحب العَلَويين ويقوم بنصرتهم.

ولي الخلافة بعهد من أبيه المُرَتِّبِ على عهد أخيه الأمين كما تقدم، وبويع له بها وهو غائب بخراسان، حيث ولايته يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة[٣] وعهد بالخلافة حينئذ إلى عليٍّ الرِّضَى بنِ موسى بن جعفر العَلَوي في سنة إحدى ومائتين، ولكتب له بذلك عهداً. على ما سيأتي ذكره في الكلام على العهود إن شاءَ الله تعالى.

وكان نقش خاتمه: سل الله يعطيك، وبقي حتى توفي بأرض الروم غازياً، لثمان خلون من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وسنُّه ثمانٍ وأربعون سنة، ودُفن بِطَرَسُوس، من مضافات حلب الآن، وكان سبب موته فيما حكاه سعيد بن العلاَّف قال: دعاني المأمون

---

(١) الأجنأ من أشرف كاهله على صدره. وفي الأصل: أجنى.

(٢) في هامش الأصل، وضع عنوان بخط مختلف هو: «المأمون نقل كتب الحكمة من اليونانية إلى العربية».

(٣) في الأصل ومائتين. وبالهامش علق عليها بخط مختلف بقوله: لعله ومائة.

وهو جالس هو وأخوه المعتصم على شط نهر البديدون من بلاد الروم، وقد وضعا أرجلهما في الماء، فقال لي: أي شي يُؤكل ليشرب عليه الماء الذي هو في غاية الصفاء والعذوبة؛ فقلت: أمير المؤمنين أعرف، فقال: الرُّطب، فبينما هم كذلك إذ وصلت بغال البريد وعليها ألطاف من رُطب، فشكر الله تعالى على ذلك، فتعجبنا جميعاً، وأكل وأكلنا من ذلك الرطب، وشربنا عليه من ذلك الماء، فما قام من مكانه حتى حُمَّ. ولما مرض أوصى بالخلافة لأخيه المعتصم، ثم توفي بالبديدون المذكورة، لثمان خلون من رجب سنةَ ثمان عشرة ومائتين، وسنُّه ثمانٍ وأربعون سنة، وقيل: تسع، ودُفن بِطَرسوس، فكانت خلافته عشرين سنة وخمس أشهر.

وكان له من الأولاد: محمد الأكبر وعبيد الله ومحمد الثاني والعباس وعلي والحسن وإسماعيل والفضل وموسى وإبراهيم ويعقوب والحسين وسليمان وجعفر وإسحاق وأحمد وهارون وعيسى[١] وعشر بنات.

(٥٧ب) الحوادث والماجريات في خلافته

لما بويع استوزر ذا الرياستين الفضلَ بن سهل، وأقام بخراسان أحد عشر شهراً وأياماً. وفي خلال ذلك بويع ببغداد إبراهيم بن المَهديّ، فسار إليه وصُحْبتُه عليٌ الرِّضَى العلويُّ وليُّ عهده، ووزيره الفضل بن سهل، وكان كلّما مرَّ ببلد أصلحه، فلما وصل إلى سَرَخْس دخل الفضلُ ابن سهل الحمَّامَ، فوَلَج عليه جماعةٌ فقتلوه، فقُبض عليهم وحملوا إلى المأمون، فقال لهم: من أمركم بقتله؟ فقالوا: أنت، فأمر بهم فضُربت أعناقهم، وأظهر الحُزن عليه، فلما وصل إلى طُوس مات عليُّ الرضى بها في سنة ثلاث ومائتين. يقال إنه سُمَّ في رُمَّانٍ أكله، فحزن عليه المأمون حزناً شديداً، ودخل إلى بغداد في سنة أربع ومائتين. وكان لباسُ المأمون لما دخل بغداد الخُضرةَ شِعَارَ العَلوِّيين، فكان الناس يدخلون عليه في الثياب الخُضْر ويحَرقون كل ملبوس يرونه من السَّوادِ، ودام ذلك ثمانية أيام، فشقّ ذلك على العباسِيّة، فعاد إلى السواد الذي هو شعار العباسين[٢].

وهرب إبراهيم بن المهدي[٣] واستتر، ثم عثر عليه المأمون في سنة عشر ومائتين، فعفا عنه وأحسن إليه، ثم تزوج المأمونُ بُوران بنت الحسن بن سهل، سنة عشر ومائتين، فنثرت عليه جَدَّتُها أمُّ الحسن بن سهل ألف حبَّة لؤلؤ من أنفس ما يكون، وأوقدت شمعة

---

(١) لم يذكر في جمهرة: أنساب العرب من أولاده الفضل وموسى وسليمان وذكر عبد الله بدل عبيد الله وأضاف هارون الأصغر.

(٢) في هامش الأصل عنوان بخط مختلف هو: السواد هو شعار العباسيين.

(٣) في الأصل: إبراهيم بن العباس وهو سهو.

عَنْبَرٍ بها أربعون مَنًّا[1]، وكتب أبوها أسماءَ ضِياع في رِقاع ونثرها على القُوَّاد والأمراء، فمن وقعت عليه رُقعة أخذ الضيعة التي هي فيها، على ما سيأتي ذكره في الباب السابع إن شاءَ الله تعالى.

وفي سنة إحدى ومائتين أمر أن يُحصى عدد الموجودين من أولاد العباس، فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفا، ما بين ذكر وأنثى، وقيل: غير ذلك.

وفي سنة عشر ومائتين احترقت مدينة الفسطاط، وهو الحريق الأول (٥٨أ).

وفي سنة[2] اثنتي عشرة ومائتين أظهر المأمون القول بخلْق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ودعا الناس إلى القول بذلك، وكانت مِحْنة عظيمة على العلماء.

وفي سنة ست عشرة ومائتين توجّه إلى مصر، فدخلها وفتح الهرم الأكبر من الأهرام التي على القرب من مدينة الجيزة، بعد مشقة عظيمة ونفقة جزيلة، ويقال: إنه وجد في داخل أعلاه مَطهرةً فيها ذهب، وكان المأمون ذا عقل راجح، فأمر بوزنها وحضْرِ مقدار ما صُرف على فتح الهرم، فإذا هو مقدار الذهب الذي وجد في المطهرة، فتعجب وكف عن التعرض لما وراء ذلك.

وكانت مقاصد المأمون كلّها جميلة، خلا ما نحا إليه من القول بخلق القرآن والتشيع وبثّ علوم الفلاسفة بين المسلمين. ومن قضاة زمانه يحيى بن أكثم.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر أبو نصر عبّاد. فولى عليها المُطّلب بن عبدالله الخُزاعي سنة ثمان وتسعين ومائة [ثم وليها العباس بن موسى سنة ثمان وتسعين ومائة ثم وليها المطلب ابن عبد الله ثانياً في سنة تسع وتسعين ومائة] ثم وَلِيها عنه السَّرِيُّ بن الحَكَم البَلْخي باجتماع من الجند عليه في سنة مائتين. ثم وليها عنه سليمان[3] بن أبي طالب في سنة إحدى ومائتين، ثم وليها السريُّ بن الحكم ثانياً بعهد من المأمون، ثم وليها عنه أبو نصر محمد [ابن السريّ] بعد موته في سنة خمس ومائتين، ثم وليها عنه أخوه عبيد[4] الله بن السَّرِيّ بعد

(١) المن: ميزان ١٨٠ مثقالاً أو ٢٨٠ مثقالاً.

(٢) في هامش الأصل عنوان بخط مختلف هو: وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل عليّ على الصحابة.

(٣) في صبح الأعشى: سليمان بن غالب.

(٤) في الأصل عبد الله.

موته في سنة ست ومائتين، ثم وليها عنه عبد الله بن طاهر بن الحسين في سنة عشر ومائتين. وهو أول من جلب البطيخ العَبْدَليَّ إلى مصر من خراسان[1] فنُسب إليه. ثم عاد عبد الله بن طاهر إلى العراق، واستخلف على مصر عيسى بن يزيد الجَلُودي في سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم وليها عنه أبو إسحاق المعتصم، فأمَّر عليها عيسى الجلُودي. (٥٨ب) ثم صرفه وولَّي عليها عمر بن الوليد التميمي في سنة أربع عشرة ومائتين، ثم وليها عيسى الجلُودي ثانياً في آخر السنة المذكورة، ثم وليها عَبْدَوَيه بن جَبَلَة في سنة خَمْسَ عشرةَ ومائتين، ثم وليها منصور مولى بني نصر وقيل: عيسى بن منصور، في سنة ستَّ عشرةَ ومائتين.

وولى المأمون أخاه المعتصمَ الشام، وولَّى ابنه العباسَ الجزيرةَ والثُّغور.

وولى المأمونُ لابتداء خلافته الفضلَ بنَ سهل على المشرق من جبال هَمَذَان إلى بلاد التُّبَّت من بلاد الشرك طولاً. ومن بحر فارس إلى الدَّيلم وجُرجان عَرْضاً، ولقَّبه ذا الرياستين، يعني السيفَ والقَلمَ.

وولى أخاه الحسن بن سهل الحجازَ وديوان الخراج والعراقَ والجَبَل وفارس والأهواز.

واستولى طاهرُ بن حُسين على واسط والمدائن. وأبو السَّرَايا على البصرة، وكان على مكة محمد بن عيسى، فصرفه وعقد على جميع الحجاز للحسن بن سهل مع غيره من الأقاليم.

وكان على اليمن إسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فقصده إبراهيم بن موسى بن جعفر العَلَويُّ، فهرب منه إسحاق واستولى على اليمن إبراهيمُ، واضطرب أمر اليمن حينئذ، فولَّي المأمون عليه محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن أبيه، وهو أول دولة بنى زياد باليمن. وبَنَى محمدُ بنُ إبراهيم مدينةَ زَبِيد إحدى مدن اليمن العظام، في سنة أربع ومائتين، وولى مولاه جعفراً الجِبال، فعُرِفت بمِخلاف جعفرٍ إلى الآن، وولى اليمن بعده ابنه إبراهيم بن محمد، فبقي إلى أيام المعتصم.

وكانت خراسان بيد المأمون من عهد أبيه، فولي عليها غسّان بن عبّاد، في سنة اثنتين ومائتين حين قدم العراق، عند أخذ البيعة لإبراهيم بن المهدي، ثم استعمل المأمون طاهرَ بن الحسين بن مُصعب[2] في سنة خمس ومائتين على المشرق (٥٩أ) من خراسان وما وراء النهر وغير ذلك، فبقى إلى أن توفي في جمادى الأولى سنة سبع ومائتين. ثم ولي المأمون

(١) في هامش الأصل بخط مختلف عنوان هو: أول من جلب البطيخ العبدلي إلى مصر من خراسان هو عبد الله بن طاهر.

(٢) في الأصل: «علي» والتصويب من ابن خلكان ترجمته.

عبدَ الله ابن طاهر خراسانَ وما وراء النهر، في سنة أربع عشرة ومائتين، فبقي إلى أيام الواثق، كما سيأتي.

وكان على إفريقية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب، فتوفي في ذي الحجة سنة إحدى ومائتين، ووليها بعده أخوه زيادة الله بن إبراهيم، وجاءَ التقليد من قِبَلِ المأمون.

وكان المستولي على الغرب الأقصى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر العلوي، فمات سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقام بالأمر بعده ابنهُ محمد بن إدريس، فبقي إلى ما بعد خلافة المأمون.

وكان المستولي على الأندلس عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي، فبقي إلى ما بعد خلافة المأمون.

الثامن من خلفاء بني العباس بالعراق
المعتصم بالله(١)

وهو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، وقد تقدم نسبه، وهو أول من أُضيف في لقبه اسم الله تعالى من الخلفاء، وأمه أم ولد اسمها مارِدة.

وكان أبيض اللون مُشرباً بحمرة، أصهب اللِّحية، حسن الجسم مربوعاً، طويل اللِّحية، شجاعاً شديد البدن، يحمل ألف رطل بغداديٍّ ويمشي بها خطوات فيما قيل، وكان كريم الأخلاق، انفرد عن أصحابه في يوم مطير، فرأى شيخاً معه حمارٌ عليه حِمْلُ شَوْك، وقد توحّل الحمار في الطين ووقع الحِمل عنه، وهو ينتظر من يمرُّ به ليعينه على رفعه على الحمار، فنزل المعتصم عن فرسه وخلَّص الحمار من الطين ورفع الحِمْل عليه، ثم لحقه أصحابه، فأمر لصاحب الحمار بأربعة آلاف درهم. وقال ابن أبي دُوَاد: تصدق المعتصم وَوَهب على يدي مائة ألف. وكان مع ذلك أُمِّيًّا لا يحسن الكتابة، ضعيفَ البَصَر بالعربية، ويقال: إن (٥٩ب) سبب ذلك أنه رأى جنازة بعض الخدم يوماً فقال: ليتني مثل هذا أتخلَّص من الكُتَّاب؛ فقال له أبوه الرشيد: والله لا عَذَّبتُكَ بشيء تختار عليه الموت، ومنعه عن الكتب من يومئذ.

وقد حكى الزَّجَّاجيُّ وغيره أنه ورد عليه كتاب من بلاد الجبل فيه: مُطِرْنا مطراً كثرُ عنه الكَلأُ. وكان يتقلَّد العَرْضَ وقراءَة الكتب عليه كاتبهُ محمد بن عمَّار، فقال له: ما الكلأ؟ فقال: لا أدري، فقال: إنَّا لله، خليفة أُمِّيٌّ وكاتب عامِّيٌّ، ثم قال: من يقرب منا

(١) في هامش الأصل بخط مختلف عنوان هو: الثامن من خلفاء بني العباس بالعراق المعتصم بالله.

من كتاب الدار؟ فعُرّف بمكان محمد بن عبد الملك الزيّات، وكان يقف على قهْرَمةِ الدار، فأمر بإشخاصه، فأتِي به، فقال له: ما الكلأ؟ فقال: النبات كلُّه رَطْبُه ويابسه، فإذا كان رطباً قيل له خَليَ، فإذا كان يابساً قيل له: حشيش، ثم أخذ في ذكر النبات من ابتدائه إلى اكتهابه[1] إلى هيجه، فأعجب به المعتصم وقال: لِيتقلَّدْ هذا العَرْضَ علينا. ثم خُصَّ به حتى استوزره.

بويع له بها يوم مات أخوه المأمون بِطَرسُوس، لثمانٍ خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، بعد أن حاول بعض أهل الدولة مبايعةَ ابنِ أخيه العباسِ بن المأمون، فلم يتم لهم ذلك، وكان نقش خاتمه: الله ثقة أبي إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن.

وبقي حتى توفي بمدينة سامُرَّا، يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهور ربيع الأول، وقيل: في منتصفه سنةَ سبع وعشرين ومائتين، وسنُّه ثمانٍ وأربعون سنة، ومدّة خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومان. وكان له من الأولاد ثمانية ذكور، منهم: هارون الواثق، وجعفر المتوكل، وأحمد المستعين، كل من الثلاثة ولي الخلافة، وكان له أيضاً ثمان بنات[2].

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بويع بالخلافة وصار إلى بغداد على ما تقدم بنى مدينة سماها (٦٠أ) سُرَّ مَنْ رأى، ثم تساهل الناس فيها فقالوا سامُرَّا، ونزلها واستخلف ببغداد ابنه الواثق، واستوزر الفضل بن مروان، فغلب على أمره حتى لم يبق للمعتصم معه يد، ثم قبض عليه واستوزر أحمد بن عمار، ثم محمد بن عبد الملك الزيات.

وكان على رأي أخيه المأمون في القول بخلق القرآن، فأحضر الإمام أحمد بن حنبل في سنة تسع عشرة ومائتين، وامتحنه بالقول بخلق القرآن فامتنع، فضربه حتى تقطَّع جلدُه، وقيَّده وحبسه.

وفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين فتح عَمُّوريَّة من بلاد الروم، وكان السبب في ذلك أنه بلغه أن امرأة هاشميةً مأسورةً في يد ملك الروم صاحب عمُّوريّة صاحت: وامعتصماه، فقال لها ملك الروم: لا يأتي المعتصم لخلاصك إلاَّ على أبلق[3]. فأعظمه ذلك، ونهض لوقته ونادى في عسكره بركوب الخيل البُلْق، وركب أبلق، وخرج وفي مقدّمة عسكره أربعةُ آلاف أبلق، وقد

(١) اكتهابه أن تعلوه غبرة مشربة سواداً أو أن يتغير لونه.

(٢) انظر أولاده في جمهرة أنساب العرب ص٢٢.

(٣) الأبلق ما في لونه سواد وبياض.

تجهَّز جهازاً لم يتجهزه أحد مثله من السلاح وغيره، وسار حتى وصل عمُّورِيَّة، وأقام عليها المنجنيقات حتى هدم فرْجاً من أسوارها، وولج المسلمون البلد عَنْوَةً، فقتلوا وسَبَوْا ونهبوا. أقام عليها خمسة وخمسين يوماً حتى خلصّ تلك المرأة، ثم سار حتى دخل سامُرَّا.

وفي سنة عشرين ومائتين خرج من بغداد لبناء سامُرَّا، واستخلف على بغداد ابنه الواثق، وقبض على وزيره الفضل بن مروان، وكان قد استولى على الأمور حتى لم يبق للمعتصم معه أمر، وولى مكانه محمد بن عبد الملك الزيات، وكانت طائفة من أهل دولته قد حاولت مبايعة العباس بن المأمون، فظفر به في طريقه، فقبض عليه ومنعه شرب الماء حتى مات.

وفي أيامه توفي إبراهيم بن المهدي الذي كان قد بويع بالخلافة في زمن المأمون.

ولايات الأمصار في خلافته

(٦٠ب) كان على مصر نصر بن عبدالله الصُّغْدي المعروف بكندر[١] ثم وليها عنه المسعودي[٢] في أول سنة تسع عشرة ومائتين. ثم وليها عنه المظَّفرُ بن كندر[٣] في وسط السنة المذكورة أشهراً قلائل، ثم وليها عنه أبو العباس موسى بن ثابت في آخر السنة، ثم وليها عنه ابن كندر ثانياً[٤] في سنة أربع وعشرين ومائتين، ثم وليها عنه علي بن يحيى الأرمني في سنة ست وعشرين ومائتين، فبقي بها إلى أيام الواثق.

وكان هو على الشام في أيام أخيه المأمون، ولم أقف على من وَلاَّها هو في خلافته[٥].

وكان الحجاز: مكة والمدينة وغيرهما، في خلافة المأمون في ولاية الحسن بن سهل، ولم أقف على من وليه بعده في خلافة المعتصم.

وكان على اليمن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله ابن زياد بن أبيه، فأقره [وتوفي فولى ابنه محمد] وبقي إلى أيام المتوكل وبعده.

وكانت خراسان وما وراء النهر بيد عبد الله بن طاهر، فبقي إلى ما بعد خلافة المعتصم.

وكان على إفريقية زيادة الله بن إبراهيم، وتوفي في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين

(١) كذا في الأصل والذي في معجم الأنساب: «الصفدي المعروف بكيدر» والذي في صبح الأعشى «كيدر» وسقط الاسم السابق، وبالهامش كيدر عن المقريزي وانظر النجوم الزاهرة ج٢ ص٣١٨.
(٢) لم يذكر في معجم الأنساب، وذكر في صبح الأعشى ج٣ ص٤٢٧.
(٣) انظر الهامش قبل السابق.
(٤) في صبح الأعشى مالك بن كيدر وكذلك في معجم الأنساب.
(٥) انظر معجم الأنساب ولاة دمشق وغيرها.

ومائتين، وتولي مكانه أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، وتوفي في ربيع[1] سنة ست وعشرين ومائتين، وتولى بعده ابنه أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم، فدانت له إفريقية، وبنى مدينة بقرب تاهَرْت سماها العباسية سنة تسع وثلاثين ومائتين، وبقي إلى أيام الواثق.

وكان تلمسان بيد الحسن بن أبي العيس بن عيسى بن إدريس بن محمد سليمان، فلما ظهرت دعوةُ عبيد الله المهدي الفاطمي بالمغرب نهض قائده موسى بنُ أبي العاقبة إلى تلمسان وملكها من الحسن بن أبي العيس في سنة تسع وعشرة ومائتين، وبقيت بيد عمال المهدي إلى سنة أربعين وثلاثمائة (٦١أ) وكان المستولي على الغرب الأقصى محمد بن إدريس بن إدريس العلوي، فتوفي سنة إحدى وعشرين ومائتين، بعد أن استخلف في مرضه ولده عليًا ابن محمد وهو ابن تسع سنين، فأقام إلى أيام الواثق.

وكان المستولي على الأندلس عبد الرحمن بن الحكم الأموي فبقي إلى أيام الواثق.

التاسع من خلفاء بني العباس بالعراق
الواثق بالله

وهو أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله بن الرشيد، وقد تقدم نسبه، وأمه أمّ ولد رومية اسمها قراطيس.

كان أبيض مُشْربا بحُمرة، حسن الجسم، في عينه اليسرى نكتة بياض، وكان كثير الإحسان إلى أهل الحرمين، حتى لم يبق بهما في أيامه سائل، ولما بلغهم موتُه كان نساء المدينة يخرجن كل ليلة إلى البَقيع ويبكينه.

بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه المعتصم، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول في منتصفه سنة سبع وعشرين ومائتين، وكان نقش خاتمه: الله ثقة الواثق، وبقي حتى توفي بالاستسقاء بسامُرًا يوم الأربعاء لستٍّ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وعمره يومئذ ست وثلاثون سنة وأشهر، وقيل: سبع وثلاثون، ودُفن بسامرا، وصلّى عليه أخوه المتوكل. ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام.

ومن عجيب أمره أنه لما اشتد به المرض أحضر المنجمين، فنظروا في مولده، فقدَّروا له أن يعيش خمسين سنة مستأنفة بعد ذلك، فلم يعش بعد قولهم غير عشرة أيام، فسبحان المستأثر بعلم الغيب.

---

(١) كذا في الأصل بدون تبيين أي الشهرين وكذلك في صبح الأعشى ج٥ ص١٢.

وكان له من الأولاد محمد المهتدي بالله ولي الخلافة وعبد الله وأحمد وإبراهيم ومحمد وعائشة[1].

الحوادث والماجريات في خلافته

(٦١ب) لما بويع بالخلافة، وزر له محمد بن عبد الملك الزيات وزير أبيه، وجرى على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون في القول بخلق القرآن، وامتحان الناس في الدين، وكان يُعاقب من امتنع من القول بخلق القرآن أو برؤية الله تعالى في الدار الآخرة، وكان يبالغ في إكرام العَلويين على قاعدة المأمون.

وفي أوائل خلافته ثارت القيسية بدمشق وحصروا أميرهم، فجهّز إليهم الواثقُ جيشاً حتى رجعوا وأذعنوا للطاعة.

وفي خلافته في سنة ثمان وعشرين ومائتين فتح المسلمون عدة أماكن من جزيرة صقلّية.

وفي سنة ثلاثين ومائتين توفي عبدُ الله بن طاهر بخراسان وهو يومئذ أميرها.

وفي سنة إحدى وثلاثين توفي أبو يعقوب البُوَيطي أحد أصحاب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكان ممن امتُحن بالقول بخلق القرآن فلم يُجب، وتُوفي أيضاً بن الأعرابيّ اللغويُّ.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر في خلافته [علي بن] يحيى الأرمني، فوليها عن الواثق عيسى بن منصور الجَلُودي ثالث مرة في سنة تسع وعشرين ومائتين، قال القضاعي: ثم وليها أشناس[2]، ثم رُدَّت إلى إيتاخ، يعني حاجب الواثق، فأقرَّ بها عيسى بن منصور المقدّم ذكره، فبقي إلى أيام المتوكل الآتي ذكره. ولم أدر من عمل له على الشام.

وكان على مكة والمدينة في أيامه محمد بن عيسى.

وكان على اليمن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن عبيد الله بن زياد بن أبيه، فبقي إلى أيام المتوكل.

وكان على إفريقية محمد بن الأغلب بن إبراهيم، فبقي إلى أيام المتوكل.

وكانت تلمسان، من الغرب الأوسط، بيد العُبَيْديِّين الفاطِمّيين.

---

(١) في جمهرة أنساب العرب لم يذكر أحمد وجاء بدله: علي، وذكر أن له بناتٍ، تزوج المستعين وأخوه عبد الله اثنتين منهن.

(٢) في الأصل: أشياس.

وكان المستولي على الغرب الأقصى عُليشاً بن محمد الإدريسي، فبقي إلى أيام المتوكل.

وكان المستولي على الأندلس عبد الرحمن بن الحكم، فبقي إلى أيام المتوكل أيضاً.

(٦٢أ) العاشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المتوكل على الله

وهو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد، وقد تقدم نسبه.

وأمه أم ولد تركية اسمها شُجاع. وكان أسمر اللون مربوعاً خفيف العارضين، بويع له بالخلافة لستّ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، بعد أن همَّ كُبراء الدولة بعد موت الواثق بالبيعة لمحمد بن الواثق وألبسوه قلنسوة ودُراعة سوداء وهو غلام أمرد قصير، فنازعهم في ذلك بقيّة أهل الدولة، ولم يروا مصلحة في ولايته، فأضربوا عنه، ثم تنازعوا فيمن يولونه، وذكروا عدَّة من بني العباس، ثم أحضروا المتوكل، فقام أحمد بن أبي دُوَاد قاضي القضاة في زمن أخيه الواثق، وألبسه وعمَّمه وقبَّل بين عينيه، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فبايعه الناس وعمرُه يومئذ ستٌّ وعشرون سنة. وكان نقش خاتمه: على إلهي أتَّكل. وبقي حتى توفي ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين قتيلاً بمجلس شرابه، ويقال: إن سبب قتله أنه كان أخذ البيعة لأولاده الأربعة: محمدٍ المنتصر، ثم الزُّبير[1]، ثم المعتزّ، ثم إبراهيم المُؤيَّد، في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين، وكان يقدّم المعتزَّ على المنتصر، والمنتصر أسنُّ منه، فدسَّ عليه المنتصر من قتله غيلةً، فرمى وزيرُه الفتحُ بنُ خاقان نفسَه عليه فقُتل معه، ودُفنا في قبر واحد فيما يقال: وكان عمره يوم مات إحدى وأربعين سنة، وصلَّى عليه ابنه المنتصر ودفن في القصر الجعفريّ. ومدَّةُ خلافته أربعَ عشرةَ سنةً وتسعةُ أشهر وتسعةُ أيام.

وكان له من الأولاد محمد المنتصر والمعتز، كلاهما وليَ الخلافة، وموسى وكان أحدب، وإبراهيم المُؤيد، وطلحة الموفق، وإسماعيل والمعتمد[2] وغيرهم.

(٦٢ب) الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة أبطل ما كان أحدثه المأمون ومَنْ بعده من القول بخلق القرآن، وحسم المادة في ذلك. وحَظِيَ في زمانه أهلُ الأدب، إلا أنه كان شديد البُغض لعليِّ بن

---

(١) سيأتي في صفحة ٢٤٤ أن الزبير من أسماء المعتز.

(٢) انظر أولاده في جمهرة أنساب العرب ص٢٣ هذا والمعتمد هو أبو العباس أحمد ولي الخلافة أيضاً.

أبي طالب رضي الله عنه ولأهل بيته، على خلاف ما كان عليه المأمون.

وكان من جملة ندمائه عُبادةُ المُخنَّث وكان يشدُّ على بطنه مخدَّة تحت ثيابه. ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص ويقول:

قد أقبل الأصلعُ البطينْ خليفة المسلمينْ

يعني عليا رضي الله عنه. والمتوكل يضحك، ففعل ذلك يوماً بحضرة ولده المنتصر. فقال له: يا أمير المؤمنين إن عليًا ابنُ عمك، فكُلْ أنت لحْمَه إذا شئت، ولا تدعْ مثل هذا الكلب وأمثاله يطمع فيه، فقال المتوكل للمغنين غنوا.

غار الفتى لابن عمِّه رأسُ الفتى في حِرامِّه

وبلغ من بغضه لعليٍّ وأهل بيته أنه في سنة ست وثلاثين، ومائتين أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل، ومنع الناس من زيارته.

ومن غريب ما اتّفق له في ذلك أنه طلب عليًا الزَّكِيَّ، ويقال: عَليٌّ الهادي وعليٌّ التقيُّ أحد الأئمة الاثني عشر، وبعث إليه جماعة من الترك ليُحضروه، فهجموا عليه ببيته، فوجدوه في بيت مغلق وعليه مِدْرَعةُ شَعَرٍ، وهو مستقبلٌ القبلةَ يترنَّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلاّ الرمل والحصا، فحُمِل إلى المتوكل، والمتوكلُ في مجلس شرابه، والكأسُ في يده، فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس، فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قطُّ فأعفني، فأعفاه، وقال: أنشدني شعراً (١٦٣) فقال: إني لقليل الرواية للشعْر، فقال: لابد من ذلك، فأنشده:

باتوا على قُلل الأَجْبَال تحرسهمْ غُلْبُ الرِّجال فما أَغْنتْهُمُ القُلَلُ[١]
فاستُنْزِلُوا بعد عِزٍّ من معاقلهمْ وأودعوا حُفَراً يا بئس ما نَزلُوا[٢]
ناداهُمُ صارخٌ من بعد ما قُبِرُوا أَين الأَسِرَّةُ والتيجان والحُللُ
أَين الوجوهُ التي كانت مُنعَّمَةً من دونها تُضْرب الأستارُ والكِللُ
فأفصح القبرُ عنهمْ حين سَاءَلهمْ تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقْتَتِلُ
يا طال ما أكلوا دهراً وما شربوا فأَصبحوا بعد طولِ الأكلِ قد أُكِلُوا

فبكى المتوكل وأمر برفع الشراب، وقال: يا أبا الحسن، عليك دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار، فدفعها إليه ورده إلى بيته مكرماً.

وفي أيامه كانت زلازل عظيمة بقُومس وما يليها، ومات من الناس ممن سقطت عليه

(١) في الأصل: قلل الجبال» والتصويب من ابن خلكان ترجمة أبي الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا ويعرف بالعسكري.

(٢) في الأصل: ما بدلوا والتصويب من المرجع السابق ويؤيده قوله واستنزلوا.

الدور خمسةٌ وأربعون ألفاً وستة وتسعون[1] وكان قبل ذلك بفارس وخراسان والشام واليمن، وكان يُسمع في الزوابع أصواتٌ مُنْكرة، وتهدَّمت الحصون والمنازل والقناطر، وتدكدكت المدائن من العراق وبالِس والرَّقَّة وحَرَّان ورأس العَيْن والرها وطرطوس والمصيصة واللاذقية وسواحل الشام، وسقط من أنطاكية ألف وخمسمائة دار، ومن سُورها نيِّفٌ وتسعون بُرْجاً، وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر وهاج وطلع منه دخان أسود مُنتن، وغار فيها نهر لا يُدْري أين ذهب.

وفي سنة ست وأربعين سمع أهلُ تِنِّيس من مصر ضجّةً عظيمة مات منها خلق كثير.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر عيسى بن منصور الجلُودي، فوليها عن المتوكل عليُّ بن يحيى ثانياً في سنة أربع وثلاثين ومائتين، وقيل: وليها هَرْثمة بن نَصر، ثم ابنه حاتم، ثم عليّ بن يحيى المذكور، ثم ردت إلى محمد (٦٣ب) المنتصر[2]، فاستخلف فيها إسحاق بن يحيى بن مُعاذ في سنة خمس وثلاثين ومائتين، ثم وَليها عبد الواحد[3] بن يحيى في سنة ست وثلاثين ومائتين، ثم وليها عنه عنبسة الضَّبِّيُّ في[4] سنة ثمان وثلاثين ومائتين، ثم وليها عنه يزيد بن عبد الله في سنة اثنتين وأربعين[5] ومائتين. وفي أيامه كان القاضي بها الحارث بن مسكين، ثم بكّار بن قتيبة، وبقي بها إلى أيام المنتصر والمستعين بعده.

ولم أدر من كان على الشام في أيامه.

وكان على مكة والمدينة محمد بن يحيى[6]، فعزله وولّي عليها ابنَه المنتصر بن المتوكل، ثم وليها عليُّ بن عيسى بن جعفر بن المنصور، ثم عزله سنة سبع وثلاثين ومائتين، وولّى مكانه عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى، ثم عزله سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وولّى مكانه عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام.

وولَّى المتوكل في سنة ثلاث وثلاثين ابنه المنتصرَ على الحَرمَين واليمن والطائف.

---

(١) في الأصل: خمساً وأربعون ألفاً وستا وتسعين.

(٢) في الأصل محمد بن المنتصر.

(٣) في صبح الأعشى: «خزاعة» هذا وفي معجم الأنساب: خوط عبد الواحد بن يحيى وبهامشه عن النجوم الزاهرة ج٢ ص٢٨٨ «عبد الواحد بن يحيى» فيكون لفظ خوط لقباً لعبد الواحد وما في صبح الأعشى خزاعة تحريف عن خوط أو أن كلمة خوط تحريف عنه.

(٤) في صبح الأعشى: «عقبة الضبي» أما في معجم الأنساب فكالأصل.

(٥) في الأصل: اثنتين وثلاثين.

(٦) في معجم الأنساب ص٢٩ محمد بن داود بن عيسى كان على مكة ومحمد بن صالح بن العباس كان على المدينة.

وكان قد ولى على اليمن محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن بني زياد بن أبيه.

وكان على إفريقية محمد بن الأغلب بن إبراهيم، فتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وَوَلِيَ مكانه ابنُه أبو إبراهيم أحمدُ بنُ أبي العباس محمد بن الأغلب، وكان مولعاً بالعِمارة، فبنى بإفريقية فيما يقال نَحْواً من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكِلْس وأبواب الحديد، وبقي إلى أيام المنتصر الآتي ذكره.

وكان المستولي على الغرب الأقصى عليشاً بن محمد[1] الإدريسي، ومات سنة أربع وثلاثين ومائتين، واستولى بعده أخوه يحيى بن محمد بعهد منه له، فتزايدت عمارة فاس وغيرها في أيامه، ثم مات فولى بعده ابنه يحيى بن يحيى.

وكانت تلمسان بيد العُبَيديّين.

وكان على الأندلس عبد الرحمن [بن الحكم]، بن هشام فتوفي في ربيع الآخر (٦٤أ) سنة ثمان وثلاثين ومائتين، واستولى بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، فبقي إلى أيام المنتصر.

الحادي عشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المنتصر بالله

وهو أبو جعفر محمد بن جعفر المتوكل المتقدم ذكره.

وأُمه أُم ولد رومية اسمها حَبَشِيَّةُ. كان أسمر مربوعاً أعين أقنى قصيراً، عظيم اللحية حسن الجسم ذا شهامة مَهيباً راجح العقل كثير الإنصاف. بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة أربع وأربعين ومائتين، وذلك أنه حضر الناسُ والقوّادُ والعساكر واجتمعوا بباب الخلافة، فخرج إليهم وزيرُه أحمد بن الخصيب ومعه كتاب من المنتصر يقول فيه: إن الفتح ابن خاقان قتل المتوكل فقتله به، فبايع الناسُ المنتصر حينئذ. وكان نقش خاتمه: يُوتى الحَذِر من مأمنه. وقيل: كان نقشه: أنا من آل محمد، الله وليِّي ومحمد.

وبقي حتى توفي بمرض الذَّبحة بسامُرَّا يوم الأحد، وقيل ليلة السبت لخمس خلون من ربيع الأول، وقيل لثلاث خلون منه، سنة ثمان وأربعين ومائتين؛ وكانت مدة مرضه ثلاثة أيام، ويقال: إن الطيفوريَّ الحجَّام سمَّه في مَحاجمه. وكان عمره يوم تُوفِّي خمساً وعشرين سنة وأشهراً، وقيل ستا وعشرين سنة. ويقال: إن مولده كان في ربيع الآخر اثنتين وعشرين ومائتين، ومدة خلافته ستة أشهر ويومان، وكان له من الأولاد أربعة أولاد ذكور.

(١) في الأصل: علياً بن محمد.

ولم أقف على ذكر أسمائهم[1].

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة أظهر حبُّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته (٦٤ب) على خلاف ما كان أبوه المتوكل، وأمر الناس بزيارة قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وآمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه.

وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصرُ أخويه المعتزَّ والمؤيّدَ من عهد أبيهما إليهما بالخلافة بعد خلافته على الترتيب المتقدم، وأخذ خطوطهما بإحلال الناس من بيعتهما بعد أن أخافهما وأهانهما، ولم يَطلْ زمنُ خلافته فتكثر حوادثها.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر في أيامه يزيد بن عبد الله، فأقره عليها أيام خلافته كلها.

ولم أدر من كان عامله بالشام ولا مكة والمدينة[2].

وكان اليمن بيد بني زياد بن أبيه.

وكان على ما وراء النهر إسماعيل بن أحمد الساماني.

وكان على خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر، فبقي إلى ما بعد خلافة المنتصر.

وكان على إفريقية أبو إبراهيم أحمد بن محمد [بن] الأغلب، فبقي إلى آخر خلافته.

وكان المستولي على الغرب الأقصى يحيى بن يحيى بن محمد، من الأدارسة المقدم ذكرهم، فمات وقام بالأمر بعده ابن عمه علي بن عمر بن إدريس الأصغر. واستولى على جميع ممالك الغرب الأقصى.

وكان على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، فبقي إلى ما بعد خلافته.

الثاني عشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المستعين بالله

وهو أبو العباس أحمد بن المعتصم محمد بن الرشيد.

وأمه أم ولد اسمها مُخارق. كان سميناً صغير العينين كبير اللّحية أسودها، بوجنته

---

(١) في جمهرة أنساب العرب ص٢٤ ذكر أسمائهم وهم: عبد الوهاب وهارون وهارون آخر وعيسى والفضل والعباس وعلي وعبيد الله وعبد الصمد ومحمد أبو عبد الله سكن مصر وأحمد وجعفر.

(٢) في ابن الأثير حوادث سنة ٢٤٨ ج٧ ص٣٩ أن المنتصر لما ولي الخلافة كان أول ما أحدث أن عزل صالح بن علي عن المدينة واستعمل عليها علي بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد.

خال، وكان فيه لين وانقياد لأتباعه، مُهملاً لأموره، شديد الخوف على نفسه، وقال الدُّولابي. كان رجلاً صالحاً (٦٥أ) بويع له بالخلافة بعد وفاة المنتصر المتقدم ذكره باتفاق من كبراء الدولة مثل بُغَا الكبير وبُغا الصغير، وأحمد بن الخصيب[1] وغيرهم، يوم الاثنين لست خلون من ربيع الآخر وقيل: لأربع خلون من سنة ثمان وأربعين ومائتين، كراهة أن يُقيموا بعضَ بني المتوكل لكونهم قتلوا أباهم.

وكان نقش خاتمه: في الاعتبار غنى عن الاختبار. وبقي حتى خُلع في سنة إحدى وخمسين ومائتين ووُجّه إلى وَاسِط بعد خلعه، فكتب المعتز إلى أحمد بن طولون بقتله، فامتنع، فتسلمه سعيد بن صالح الحاجب فضربه حتى مات، وكفَّن ابنُ طولون جُثته ودفنها، وحمل رأسه إلى المعتز فأمر بدفنها، وكان عمره يوم تولي الخلافة أربعاً وعشرين سنة، وولي ثلاث سنين وثلاثة أشهر إلا أياماً، وقيل: أكثر من ذلك. ويقال: إن ولادته كانت في رجب سنة إحدى عشرة ومائتين.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة قبض على المعتز والمؤيد ابني المتوكل وحبسهما بالجَوْسَق بسامُرًا، وثبت أمره وفوّض أمر بيت المال إلى أمه وإلى أتامش التركي وشاهك الخادم، فأفسدوا ماله وأضاعوه. وفي أيامه جرى بين المسلمين والروم وقعةٌ عظيمةٌ بمَرْج الأسقُف، هُزِم فيها المسلمون وقُتل مُقدَّم عسكرهم[2].

وفي أيامه ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، بالكوفة، وكثر جمعه، فجهز إليه محمدُ بن عبد الله بن طاهر جيشاً من خراسان قتلوه وحملوا رأسه إلى المستعين.

وفي سنة تسع وأربعين ومائتين تشغَّبت الجند الشاكريَّة والعامة ببغداد على الأتراك بسبب استيلائهم على أمور المسلمين، يقتلون من شاءُوا من الخلفاء ويستخلفون من أحبوا، من غير نظر للمسلمين. (٦٥ب) وثارت فتنة أيضاً بسامُرا بين العامة والأتراك. وفتحت العامة السجون وأطلقوا من فيها.

وفي سنة إحدى وخمسين ومائتين اتفق بُغا الصغير ووصيفٌ التركي وقتلاً باغر التركي، فتشغبت الأتراك وحصروا المستعين وبُغا ووصيفا في القصر بسامرا، وهرب المستعين وبغا ووصيف في حرَّاقة إلى بغداد واستقرُّوا بها. واجتمع أهل الدولة بسامرا على المعتز بن المتوكل فبايعوه، وجهَّز أخاه طلحة بن المتوكل وجهزه في خمسين ألفاً من الأتراك، وسيرهم إلى بغداد، فجرى بينهم حرب كبيرة، واتفق كبراءُ الدولة ببغداد، على

(١) في الأصل: محمد بن الحصيب. انظر التصويب من ابن الأثير ج٧ ص٤٠.

(٢) كان المقدم هو عمر بن عبيد الله الأقطع. ابن الأثير ج٧ ص٤١ حوادث سنة ٢٤٩.

خلع المستعين، وألزموه ذلك، فخلع نفسه في السنة المذكورة، ثم نقل من الرُّصافة إلى قصر الحسن بن سهل، بعياله وأهله، وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم، ووجّه به إلى واسط مع أحمد بن طولون.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر في أيامه يزيد بن عبد الله، فولي عليها بعده مزاحم بن خاقان في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، ثم وليها عنه أحمد بن مزاحم في سنة أربع وخمسين ومائتين، فبقي بها إلى آخر أيامه. ولم أقف على عماله بالشام ولا مكة والمدينة[1].

وكان اليمن بيد بني زياد.

وكان على خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر، فتوفي في رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين، فعقد المستعين لولده محمد بن طاهر علي خراسان.

وكان على إفريقية أبو إبراهيم أحمد بن [محمد بن] الأغلب، فتوفي في آخر سنة تسع وأربعين ومائتين. وولي بعده ابنه (٦٦أ) زيادة الله الأصغر بن [أبي] إبراهيم أحمد[2] وتوفي في آخر سنة خمسين ومائتين. وفي أيامه كانت أكثر فتوح صقلية. وولي بعده أخوه محمد أبو الغرانيق بن أبي إبراهيم أحمد، فبقي إلى آخر خلافته وبعد ذلك.

وكان المستولي على الغرب الأقصى علي بن عمر بن إدريس الأصغر، فبقي بها أيام خلافته.

وكان على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم فبقي إلى ما بعد خلافته.

الثالث عشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المعتز بالله

وهو أبو عبد الله محمد، وقيل: الزبير[3] بن جعفر المتوكل المقدم ذكره.

وأمه أم ولد اسمها قبيحة، سميت بذلك لحسنها، وهو من باب الأضداد كما يقال للغراب أعور لحدة بصره. كان أبيض أكحل أسود الشعر لم ير فيهم مثله جمالاً. وكان

---

(١) في كتاب معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص٣٧ أنه كان على المدينة محمد بن عبد الله ابن طاهر من قبل المستعين وفي ٢٩ أن الولاة الذين كانوا على مكة في الفترة ما بين سنة ٢٥٠، ٢٥٣ هم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى وعيسى بن محمد المخزومي الكردي ومحمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور وفي ص ٥٧ أن عقبة بن محمد بن جعفر كان والياً على الموصل في سنة ٢٥٢.

(٢) في الأصل ابن إبراهيم بن أحمد «انظر معجم الأسرات الحاكمة ١٠٥ و ١٠٦» وسيأتي بعده أخوه صواباً.

(٣) انظر صفحة ٢٢٩.

مؤثراً للذاته. بويع له بسامُرَّا عند هروب المستعين إلى بغداد في سنة إحدى وخمسين ومائتين، ثم بويع له البيعة العامة ببغداد بعد خلع المستعين، لأربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين. وكان نقش خاتمه: الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء. وبقي حتى خلع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ثم توفي يوم السبت لثلاث خلون من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين. أُخرج للناس ميتاً من سجنه، ويقال: إنه منع الطعام والشراب أياماً، ثم أدخل الحالم وأغلق عليه بابه[1] فأصبح ميتاً، وقيل أدخلوه سرداباً وجصصوا عليه حتى مات. وصلى عليه المهتدي ودفن بسامرا. ويقال إن صالحاً الحاجب قتله ورماه في دجلة، والمشهور الأول. وعمره يومئذ أربع وعشرون سنة وثلاثة عشر يوماً، وقيل: ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر إلا أياماً. (٦٦ب) وكان له من الأولاد عبد الله بن المعتز[2] المشهور بالبلاغة وفن الأدب.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بويع بالخلافة أخرج أخاه المُؤيّد من الاعتقال وخلع عليه، ثم بلغه عنه أنه يدبر عليه أمراً، فضربه أربعين سوطاً وحبسه، حتى أشهد على نفسه بالخلع من العهد الذي كان عهد إليه به أبوه المتوكل بأن يكون له ولاية العهد بعد المعتز، ثم بلغه أن جماعة من الأتراك اجتمعوا على إخراج المؤيد من محبسه، فأخرجه في يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين ميتاً، وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر به، ويقال: إنه أدرج في لحاف سَمُّور، وشُدَّ عليه طرفاه حتى مات.

وكان حاجبهُ صالحُ بنُ وصيف غالباً على أمره، ثم كان من أمره أنه أتاه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه جماعة، فصاحوا على بابه وبعثوا إليه أن اخرج إلينا، فاعتذر بأنه تناول دواء، وأمر أن يَدْخل بعضُهم عليه، فدخلوا عليه فجرُّوا برجله إلى باب الحجرة، وأقيم في الشمس يرفع قدماً ويضع أخرى، وهم يلطمونه وهو يتَّقي بيده، حتى أجاب إلى الخلع، وأدخلوه حجرة وبعثوا إلى قاضي القضاة ابن أبي الشوارب وجماعة، فحضروا فخلع نفسه بحضرتهم، ووُكِّلَ به في الحبس، وكانت مدة خلافته منذ بيعته العامة إلى أن خُلع ثلاث سنين وسبعة أشهر إلا أربعة أيام، ومن لدن

---

(١) كذا في الأصل. والذي في ابن الأثير ج٧ ص٦٩ فدخل إليه صالح ومحمد بن بغا المعروف بأبي نصر وبابكيال في السلاح فجلسوا على بابه وبعثوا إليه أن اخرج إلينا فقال قد شربت أمس دواء وقد أفرط في العمل فإن كان أمر لابد منه فليدخل بعضكم وهو يظن أن أمره واقف على حاله فدخل إليه جماعة منهم فجروه برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس في الدار... ثم أدخلوا سرداباً وجصصوا عليه فمات. هذا وسيأتي بعض هذا الكلام في الحوادث والماجريات. والحالم لعلها الحمام.

(٢) في جمهرة أنساب العرب، عبد الله وحمزة وخمس بنات.

مبايعته بسامرا إلى أن خُلِع أربع سنين وسبعة أشهر إلا سبعة أيام.

وفي أيامه في سنة أربع وخمسين ومائتين أحدث أحمدُ ابنُ المدبر صاحبُ خراج مصر ضمانَ النَّطْرُون بها، وكان قبل ذلك مباحاً لمن يأخذه.

(١٦٧) ولايات الأمْصار في خلافته

كان على مصر أحمد بن مزاحم، فبقي إلى آخر أيام خلافته، وقال في «عيون المعارف»: كان عليها في أيامه يزيد بن عبد الله، ثم مزاحم بن خاقان. ثم ابنه أحمد. ثم أرخوز[١] التركي. ثم أحمد بن طولون. وفي أيام ابن طولون عظم شأن مصر وعلا قدرها، وانتقلت من الإمارة إلى المُلْك، وهو أول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية، وكان قبل ذلك أكثر عسكره من السودان سودان[٢] يُقال إنه كان عسكره اثنا عشر ألف أسود. وكان القاضي بها بكَّار بن قتيبة. ولم أقف على عماله بالشام ومكة والمدينة.

وكانت اليمن بيد بني زياد المقدم ذكرهم.

وكان على خراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر، فبقي إلى ما بعد خلافة المعتز.

وكان على إفريقية قبله محمد أبو الغرانيق من بني الأغلب، فأقَرّه عليها، ففتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين ومائتين، وبقي إلى آخر خلافته.

وكان المستولي على الغرب الأقصى قبله عليّ بن عمر بن إدريس، فبقي إلى آخر خلافته.

وكان المستولي على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[٣] فبقي إلى آخر خلافته.

الرابع عشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المهتدي بالله

وهو أبو عبد الله، وقيل: أبو جعفر، محمد بن الواثق بن المعتصم، وأمه أم ولد

---

(١) في الأصل أرجوان والتصويب من النجوم الزاهرة ج٢ ص٣٤١ أرخوز بن أدلوغ طرخان التركي وفي معجم الأنساب ص٤٢ يركوج أو أرجور أو أرغوز.

(٢) في الأصل: أكثر عسكره «سودان» وبالهامش أدخل كلمة «من السودان» فيراد من كلمة سودان الثانية أنهم سود.

(٣) في الأصل: بن عبد الحكم.

رومية اسمها قُرْب[1]. كان أسمر عظيم البدن مربوعاً أجلح[2] طويل اللحية، وكان ورعاً كثير العبادة يكاد أن يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أُمية هَدْياً وفضلاً. بويع له بالخلافة لثلاث ليال بقين من رجب سنة خمس وخمسين (٦٧ب) ومائتين، وكان نقش خاتمه: من تعدَّى الحق ضاقت مذاهبه، وبقي حتى توفي قتيلاً لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وقيل: لأربع عشرة ليلة خلت منه. وعمره يومئذ ثمان وثلاثون سنة، وقيل: ست وخمسون سنة[3]، ويقال: إن مولده كان في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين. وسبب قتله أنه قَصَد قَتْل موسى بن بُغا، فَفطِنَ به موسى فقصده ففرَّ المهتدى، فقبض عليه موسى وداسوا خُصْيتَيه فمات ودفن بتربة المنتصر. ومدة خلافته أحد عشر شهراً أو نحو ذلك. ولم أقف على ذكر عقبه.[4]

الحوادث والماجريات في خلافته

في أيامه خرج عليه علي بن محمد بن عبد الرحيم المعروف بصاحب الزَّنْج، ونسبه في عبد القيس، فجمع عليه الزّنج الذين كانوا يكسحون السِّباخ من جهة البصرة، وادَّعى أنه عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وسار إلى البصرة، وعظم أمره، وبثّ أصحابه يميناً وشمالاً، ولم يزل أمره بتفاقم حتى ملك الأبلَّة وعبَّادان والبصرة، وبقي حتى قُتل في أيام المعتمد الآتي ذكره سنة سبعين ومائتين.

وفي خلال أيامه ظهرت قبيحةُ أمّ المعتز، وكانت قد اختفت عند القبض على ابنها، وكان لها أموال جَمَّة ببغداد، يقال: إنه وُجد لها مطمورةٌ تحت الأرض فيها ألف ألف دينار، ووُجد لها في سَفَطٍ قَدْرُ مَكُّوكٍ[5] زُمُرّد، وفي سَفَطٍ آخر قدر مكّوك لؤلؤ، وفي سنط آخر قدر كَيْلَجَة[6] ياقوت أحمر لا يوجد مثله، فحُمل ذلك جميعه إلى صالح بن وصيف صاحب المهتدي القائم بتدبير (١٦) دولته[7]، وسارت هي إلى مكة، فكانت تدعو على

---

(١) في تاريخ الخلفاء ص ١٤٥ تسمى وردة.
(٢) الأجلح: من انحسر الشعر عن جانبي رأسه.
(٣) لعلها وثلاثون سنة أو وأربعون سنة ففي النجوم الزاهرة ج٣ ص٢٧: وله نحو اربعين سنة ويبدو أن السهو جاء من أن قتله كان سنة ستة وخمسين ومائتين.
(٤) في جمهرة أنساب العرب ص ٢٣ أولاده عبد الله وجعفر وعبد الواحد والعباس وعبد الوهاب. . . .
(٥) المكوك: ميكال يسع صاعاً ونصفاً أو نصف رطل إلى ثمان أواقي. . . . . . .
(٦) الكيلجة كيل كان معروفاً لأهل العراق.
(٧) في ابن الأثير ج٧ ص٧٠ فحمل الجميع إلى صالح فسبها وقال عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار وعندها هذه الأموال كلها.

صالح بصوت عال تقول: هتك ستري، وقتل ولدي، وأخذ مالي، وغرَّبني عن بلدي، وركب الفاحشة مني. فأجاب الله دعاءها فيه، فخرج عليه موسى بن بغا، فهرب صالح واختفى، ثم ظفر به موسى وقتله ونودي عليه: هذا جزاء من قتل مولاه.

وفي سنة خمس وخمسين ومائتين توفي أبو عثمان الجاحظ المعتزلي إمام أهل الأدب.

ولايات الأمصار في خلافته

في خلافته كان على مصر أحمد بن طولون، واستضاف إليها الشام، وهو أول من جمع له بين مصر والشام في الإسلام. والقاضي بمصر يومئذ بكّار بن قتيبة، وكان مُقْطَعُها أماجور[1] ولم أقف على عماله بمكة والمدينة. وكانت اليمن بيد بني زياد.

وكانت خراسان بيد محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر.

وكان على إفريقية قبله محمد أبو الغرانيق من بني الأغلب، فبقي إلى ما بعد خلافته.

وكان المستولي على الغرب الأقصى قبله عليّ بن عمر بن إدريس، فبقي إلى ما بعد خلافته.

وكان المستولي على الأندلس قبله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[2] فبقي إلى ما بعد خلافته.

الخامس عشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المعتمد على الله

وهو أبو العباس، وقيل: أبو جعفر أحمد بن المتوكل جعفر.

وأمه أم ولد اسمها فِتيان، كان طويل اللحية حسن الجسم واسع العينين، مُقبلاً على اللذات، بويع له بالخلافة بعد خلع (٦٨ب) المهتدي، لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين. وكان نقش خاتمه: السعيد من وُعظ بغيره. وكان القاضي بمصر بكّار بن قتيبة، ثم غضب عليه ابنُ طولون في أواخر أيامه وحبسه وقيَّده، وطلبه بجوائزه التي كان بعث بها إليه، فوجدها في منزله بخواتيمه ستة عشر[3] كيساً، فيها ستة عشر ألف دينار. وأقام محمد بن شاذان الجوهري[4] كالنائب له. وابن طولون في خلال ذلك يُخرج بكاراً كلما جلس للمظالم ويقيمه بين يديه إلى أن مات ابن طولون، ثم مات

---

(١) الذي في ابن الأثير ج٨ ص١١٢ حوادث سنة٢٦٤ أن أماجور كان مقطعاً دمشق.

(٢) في الأصل: بن عبد الحكم.

(٣) في ابن خلكان ترجمة بكار: ثمانية عشر. وكذلك نقل عنه في النجوم الزاهرة ج ٣ ص١٩.

(٤) في الأصل شادان. والتصويب من ابن خلكان ترجمة بكار وكتاب الولاة ص٥١٣.

القاضي بكار بعده بأربعين يوماً، ودفن عند مصلى ابن مسكين، وقبره مشهور هناك يزار، معروف بإجابة الدعاء عنده. وبقيت مصر بعد ذلك سنتين بغير قاض[1].

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة أقبل على لذاته ولهوه، وجعل أخاه طلحة وليَّ عهده، ولقّبه المُوفَّق، وجعل إليه المشرق، وجعل ابنه جعفراً وليَّ عهده ولقبّه المُفَوّض إلى الله، وجعل إليه المغرب، فغلب الموفّق على الأمر وقام به أسدَّ قيام وأحسنه، ومال الناس إليه واحتجز المعتمدَ وضيَّق عليه حتى أنه احتاج في وقت[2] إلى ثلاثمائة درهم فلم يجدها فأنشد:

أَلـيـس مـن الـعـجـائـب أنَّ مـثـلـي ... يَـرى مـا قَـلَّ مُـمـتـنـعـاً عـلـيـهِ
وتُـؤْخَـذُ بـاسـمـه الـدنـيـا جـمـيـعـا ... وَمَـا مِـنْ ذاك شـيءٌ فـي يَـدَيْـهِ

وفي أيامه كان قد ابتدأ ظهور القَرامطة، وهم طائفة ملعونة، ظهرت من سواد العراق، ينسبون إلى رجل اسمه الفرج بن عثمان، يلقب بقَرْمَط، ومعناه بالنبطية أحمر العين، قيل: إن الذي كان أتى به (١٦٩أ) إلى السَّوَاد رجل أحمر العين، فشُهِر بشهرته، وكان اللَّعينُ قد قام في أهل البادية ممن لا معتقد له وادّعى أنه جاءَ بكتاب أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة: إنه داعية المسيح، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد الحَنَفِيَّة، وهو جبريل، وأن المسيح تصوّر [له] في جسم إنسان وقال [له]: إنك الداعية، وإنك الحُجَّة، وإنك الناقة[3] وإنك الدابّة، وإنك يحيى بن زكريا، وإنك روح القدس[4]. إلى غير ذلك من سخيف الألفاظ وكُفْرِيَّاتِ الأقوال. واتبعه على هذا الهَذَيان خلق كثير ممن لا عقل له ولا مُسْكَة دين من أهل القرى، وقويت شوكته وعظمت دولته وكثرت أتباعه وطالت أيامهم وتمادت، وكان للإسلام بهم أعظم نكاية. قال صاحب «العبر» وهؤلاء القرامطة يعرفون في بلاد المشرق بالملاحدة، لأن مذهبهم كله إلحاد، ومنهم الإسماعيلية بقلاع الدعوة بأعمال طرابُلس من بلاد الشام المعروفون بالفِدَاوِيّة.

وفي أيامه توفي الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب «الجامع

(١) لم يشر إلى ذريته وفي جمهرة أنساب العرب ٢٥ هم: جعفر المفوض وإسحاق ومحمد وأبو عبد الله وعبد العزيز وإبراهيم ويعقوب وعلي والعباس.

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف كلمة «مطلب» هذا ولم يتم الكلام وهذه الكلمة جاءت عند كلمة «احتاج في» ولعله أراد أن يكتب عنواناً «أو أن يجعلها بدل كلمة «وقت».

(٣) في الأصل: الباقية والتصويب من ابن الأثير.

(٤) انظر النص في ابن الأثير ج٣ ص١٦٠ حوادث سنة٢٧٨ وله فيه تكملة كثيرة.

الصحيح» سنة خمسين ومائتين[١].

وفي سنة إحدى وسبعين ومائتين كان بمصر زلزلة عظيمة انهدمت منها منارة الإسكندرية. ثم في سنة اثنتين وسبعين كانت زلزلة عظيمة عمت البلدان، ووقع غلاء، بيع القمح فيه نصف وَيْبَةٍ بدينار.

وفي سنة خمس وسبعين احترقت مدينة الفُسطاط واحترق الجامع العتيق، وهو الحريق الثاني وعمَّره أبو الجَيْش ابن طولون.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر قبله أحمدُ بن طولون، فأقرّه عليها، وبقي إلى ما بعد (٦٩ب) خلافته، والقاضي بها بكّار بن قتيبة أيضاً. وفي أيامه استضاف أحمدُ بن طولون الشام بعد موت مُقطَعِها أماجور، إلى مصر، وصيَّرهما مملكةً واحدة له في سنة أربع وستين ومائتين، وهو أول من جمع بينهما في الاسم، وبقي عليهما حتى توفي أحمد بن طولون في سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وكانت منازله ومنازل بنيه بعده حول جامِعِه الموجود الآن، من كل جانب، ويعرف بالقطائع، فكان يقال قَطيعة فلان، وقطيعة فلان، كل خُطٍّ منها يسمى قطيعة، وكان الأمراء فيما قبله ينزلون بدار الإمارة بالفسطاط، وكان مبدأ بناء جامعه في صفر سنة تسع وخمسين ومائتين، وسبب بنائه جامعَه هذا أنه كان يكثر التردد إلى مدينة عين شمس الخراب، وهي الكيمان التي على القرب من المَطرِيّة من غربيّها، فاتفق أنه بينما هو يسير في أرضها يوماً إذ ساخَتْ يدُ فرسه في الأرض، فأمر بحفر ذلك المكان، فوجد فيه كنزاً من ذهب في ناووس حَجَر، ومقابله ناووسٌ آخر فيه ميت مُصَبَّر في عسل نحل، وعلى صدره لوح من ذهب مكتوب، فأخذ الذهب واللوح، وتطلَّب من يقرأ له ذلك اللوح ممن له معرفة بالخطوط القديمة. فدُلَّ على راهب بالصعيد في بعض الدِّيارات، فأمر بإشخاصه إليه، فقيل له: إنه لا يستطيع المسير لكبر سنه، فبعث إليه باللوح صحبةَ أميرٍ من جهته، فلما نظر فيه قال: إنه يقول: أنا أكبر الملوك، وذهبي أخلَصُ الذهب، فقال ابن طولون: قاتل الله من يكون هذا اللعينُ أكبرَ منه أو ذهبُه أخلصَ من ذهبه. ثم شدّد في ذلك حتى كان يحضر التَّعْلِيق[٢] بنفسه، فكان ذهبه أخلص الذهب، ثم أخذ في عمارة الجامع من المال الذي وجده في الكنز. ومن غريب أمره أنه لما فرغ من بنائه أمر من يتجسّس بسماع

---

(١) الذي في ابن خلكان ترجمة البخاري محمد بن إسماعيل أنه توفي سنة٢٥٦ وكذلك في النجوم الزاهرة ج٣ ص٢٥ حوادث سنة ٢٥٦.

(٢) التعليق لعله اصطلاح على تصفية الذهب واستخلاصه.

(٧٠أ) قول الناس فيه، فحضر إليه رجل فقال: سمعت من يقول: مِحرابُه صغير، وقال آخر: سمعت من يقول: ليس به سارية. وقال آخر: سمعت من يقول: ليس فيهِ مِيضَأَةٌ، فقال: أما صغر محرابه فإني رأيت النبي ﷺ وقد خطَّه لي فأصبحت فوجدت النمل قد دار على ذلك المكان. وأما عدم السارية فإن السواري لا تكون إلا من مسجدٍ خرابٍ أو كنيسة، وأنا بنيته من حلال من كنز وجدته، فكرهت أن أُدخل فيه شائبةً، وأما المِيضأة فأردت تنزيهه عن النجاسة وسأبنيها على بعد، فبناها عند دار الفيل.

وملكها بعده ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون، فبقي بها إلى ما بعد خلافته. ولم أقف على عماله بمكة والمدينة.

وكانت خراسان وما وراء النهر بيد بني طاهر بن الحسين. ويعقوب بن الليث الصَّفَّار قد فتح الرخج وقتل ملكها، واستسلم أهلها، وكان ملكها يجلس على سرير من ذهب ويدعى الإلهيّة[1]، ثم مات يعقوب في سنة خمس وستين ومائتين بعد أن استولى على بَلْخ وكَابُل وغيرهما، فقام بالأمر بعده أخوه عمرو بن الليث، وكتب إلى المعتمد بطاعته، فولاّه الموفَّق أخو المعتمد القائمُ بتدبير دولته خراسانَ وأصفهان وسِجِسْتان والسندَ وَكِرْمان، وسيَّر إليه الخِلَع مع الولاية.

وفي أيامه استولى صاحب الزنج على الأُبُلَّه وعَبَّادان والأهواز، ثم استولى على البصرة في سنة سبع وخمسين.

وكان لأسد بن سامان أربعةُ بنينَ، هم نوح وأحمد ويحيى وإلياس، وكانوا في خراسان والمأمون بها، فأكرمهم وقدَّمهم، ولما سار المأمون من خراسان إلى العراق استخلف على خراسان غسّان بن عبَّاد، فولى غسَّانُ أحمدَ بنَ أسدٍ فَرْغَانةَ في سنة أربع ومائتين، وولّى يحيى بن أسد الشاشَ وأُشْرُوسَنَةَ، وولى إلياس بن أسد هَرَاةَ، وولى (٧٠ب) نُوحَ بن أسدٍ سَمَرْقَنْدَ قاعدة ما وراء النهر، فلما تولّى طاهر بن الحسين خراسان وما وراء النهر أقرّهم على هذه الأعمال، ثم مات نوح بن أسد بسمرقند، ومات بعده إلياس بِهَراة، واستقر على عمله ابنُه محمدُ بن إلياس، وكان لأحمد بن أسدٍ سبعةُ بنين، وهم نصر ويعقوب ويحيى وأسد وإسماعيل وإسحاق وحميد، ثم مات أحمد بفرغانة واستخلف ابنه نصراً على أعماله، وكان إسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصراً، فولاّه نصر بُخارى في سنة إحدى وستين ومائتين، وكان إسماعيل رجلاً خَيِّرا يحب أهل العلم ويكرمهم، فمن ثَمَّ دام مُلْكه وملك أولاده، وطالت مُدَّتهم.

وكان اليمن بيد بني زياد.

(١) الإلاهية والألوهية والألوهة كلها بمعنى.

وكان على إفريقية محمد أبو الغرانيق من بني الأغلب، فتوفي في منتصف سنة إحدى وستين ومائتين بعد أن عهد لابنه أبي عقال، فحمل أهلُ القيروانِ إبراهيمَ بنَ أحمد أخي أبي الغرانيق على الولاية لِحُسْن سيرته، فامتنع ثم أجاب، وقام بالأمر أحسن قيام، وقمع أهل الفساد، وبنى الحصون والمحارس بساحل البحر، حتى كانت النار تُوقد في ساحل سَبْتَةَ لِلإنذار بالعدوّ، فيتصل إيقادها بالإسكندرية في ليلة واحدة، ثم انتقل من القيروان إلى تونس، فسكنها في سنة إحدى وثمانين ومائتين، وهو أول من سكنها من ملوك إفريقية. وفي أيامه ظهرت دعوة العُبيدِيّين بالمغرب، وتوفي سنة تسع وثمانين ومائتين، وولي بعده أبو العباس عبد الله بن إبراهيم أخي محمد أبي الغرانيق وكان حسن السيرة بصيراً بالحروب، ونزل تونس مكان أبيه، وغلب أبو عبد الله[١] الشيعيُّ داعيةُ العبيديين على كُتامة وجرى بينهما حروب، وبقي إلى ما بعد خلافة المعتمد.

وكان على الغرب الأقصى عليّ بن عمر بن إدريس، فبقي إلى ما بعد (٧١أ) خلافته.

وكان على الأندلس قبله محمد بن عبد الرحمن بن الحَكَمَ[٢] المقدّم ذكره، فتوفي سَلْخَ صفر سنة اثنتين وستين ومائتين، وقام بالأمر بعده ابنه المُنذر بن محمد، فبقي إلى ما بعد خلافة المعتمد أيضاً.

السادس عشر من خلفاء العباس بالعراق
المعتضد بالله

وهو أبو العباس أحمد بن الموفّق طلحة بن المتوكل جعفر.

وأُمه أُم ولد اسمها ضرار، ويقال: إن اسمها خُفير[٣] وكان نحيفاً ربعة خفيف العارضين يَخْضب بالسواد، سريع النهضة عند الحادثة، ينفرد بالأمور بتجربة وحُنْكَة، وكان شهماً مَهيباً عند أصحابه، يتقون سطوته، ويكُفُّون عن المظالم خوفاً منه، مع عفَّة ذَيْل.

قال ابن إسحاق القاضي[٤]: دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداثٌ رومٌ صِباحُ الوجوه، فأطلت النظر إليهم، فلما قمت أمرني بالجلوس، فجلست، فلما تفرق الناس قال: يا قاضي، والله ما حللت سراويلي على حرام قط.

---

(١) في الأصل أبو محمد.

(٢) كتب في الأصل: عبد الحكم.

(٣) ذكر في ابن الأثير ج٧ ص١٨٣ أن اسمها ضرار وفي تاريخ الخلفاء ص ١٤٨ اسمها صواب وقيل حرز وقيل ضرار.

(٤) في ابن الأثير ج٧ ص١٨٣ حكى القاضي إسماعيل بن إسحاق قال...

بويع له بالخلافة لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بعد وفاة المعتمد، وكان نقش خاتمه: الاضطرار يزيل الاختيار. وبقي حتى توفي ببغداد ليلة الاثنين لسبع، وقيل: لثمان، بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، وعمره ست وأربعون سنة، وصلى عليه أبو عمر[1] القاضي. ودفن ليلاً في دار محمد بن طاهر، ويقال: إن وزيره إسماعيل بن طاهر[2] سمّه. ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام، وقيل: وثلاثة عشر يوماً، ولما حضرته الوفاة أنشد:

ولا تـأمـنـنَّ الـدهـرَ إنـي أمِـنْـتُـه ... فلـم يُبْقِ لـي مـالاً ولـم يـرعَ لـي حَـقًّـا
قـتـلـتُ صـنـاديـدَ الـرجـالِ ولـم أدَعْ ... عَدُوًّا ولـم أُمـهـل عـلـى طَـغْـيِـهِ خَـلْـقًـا[3]
وأخـلـيـتُ دارَ الـمُـلْـك مـن كـلِّ نـازع ... فـشـرَّدْتُـهـم غَـرْبـاً وفـرَّقـتـهـم شَـرْقَـا
(٧١ب) فـلـمَّـا بـلـغـتُ عِـزًّا ورفـعـة ... وصـارت رقـابُ الـخـلـق أجـمـعَ لـي رِقًّـا
رمـانـي الـرَّدَى سـهـمـاً فـأخـمـد جـمـرتـي ... فـهـا أنـاذا فـي حُـفـرتـي مَـيِّـتـاً أُلـقـى[4]

وكان له من الأولاد المكتفي والمقتدر والقاهر، كل منهم ولي الخلافة، وهارون وإحدى عشرة بنتاً.

الحوادث والماجريات في خلافته

كان من أحسن الناس سيرة، ولما بويع أمر بافتتاح الخراج في شهر حَزيران من شهور السريان، عند كون الشمس في أواخر الجَوْزاء، رِفقاً بالناس حتى لا يؤخذ منهم الخراج قبل حصول غلالهم، وسماه النيروز المعتضدي، وكان ذلك من حسن سيرته ومحاسن تدبيره وسياسته.

وفي سنة سبع وسبعين[5] ومائتين غار نيل مصر ووقع الغلاء حتى بلغ الكرُّ[6] بها

---

(١) الذي في النجوم الزاهرة ج٣ ص ٢٨٩ صلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي والذي في ابن الأثير ج٧ ص ١٨٣ أن الذي صلى عليه الوزير «القاسم بن عبيد الله» وفي الطبري حوادث ٢٨٩ أن الوزير حضر الصلاة.

(٢) كذا في الأصل. والذي كان وزيره هو القاسم بن عبيد الله انظر ابن الأثير ٧ --- ١٨٣ وقبله كان عبيد الله بن سليمان ابن الأثير ٧ ـ ١٦٣ والطبري حوادث ٢٨٩ ومروج الذهب.

(٣) في الأصل: على خلقه خلقاً. والتصويب من ابن الأثير ٧ ـ ١٨٣.

(٤) في ابن الأثير: «عاجلاً ألقى» وذكر بعده بيتين هما:

ولـم يـغـن عـنـي مـا جـمـعـت ولـم أجـد ... لـذي الـمـلـك والأحـيـاء فـي حـسـنـهـا رفـقـا
فـيـا لـيـت شـعـري بـعـد مـوتـي مـا ألـقـى ... إلـى نـعـم الـرحـمـن أم نـاره ألـقـى

(٥) في النجوم الزاهرة أن ذلك كان في سنة ٢٧٨.

(٦) الكبر: مكيال. مختلف في معياره.

خَمْسَ مائة دينار، كما ذكر صاحبُ «تاريخ النيل».

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر بِرَدِّ الفاضل من سهام المواريث بعد أرباب الفروض على ذوي الأرحام، وأبطل ديوان المواريث الحَشْريَّة[1] وأن يكتب بذلك إلى سائر الأقطار.

وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين[2] خطب إلى خمارويه بن أحمد بن طولون ابنته قطر الندا، وجُهِّز إليه مهرها ألف ألف درهم، وهدايا كثيرة ووشاح وبدلة جوهر، فأجابه خمارويه إلى ذلك، وهادى بالهدايا الجمة، وجهزها بجهاز لم يسمع بمثله، يقال إنه كان فيه ألف هاون من ذهب، وخرجت عمتها العباسية بنت أحمد بن طولون لتشييعها، فنزلت مكان القرية المعروفة اليوم بالعباسيّة من بلاد الشرقية من الديار المصرية، فعُرِفت بها.

وفي سنة أربع وثمانين ومائتين أخبر المنجمون أنه يغرق أكثر الأقاليم بسبب كثرة الأمطار وزيادة الأنهار، فتحفَّظ الناس واحترزوا عن ذلك، فقلَّت الأمطار وغارت المياه حتى استسقوا ببغداد مرات ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: الآيتان ٢٦، ٢٧].

(٧٢أ) وفيها في ربيع الآخر ظهرت ظلمة شديدة وريح وحُمرة، وخاف الناس من ذلك ثم كشفه الله.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر والشام في أيامه خمارويه بن أحمد بن طولون، ثم قُتل بدمشق في سنة ثلاث وثمانين[3] ومائتين ووليها بعده ابنه جيش بن خمارويه، وقتله جنده في السنة المذكورة، ثم وليها هارون بن خمارويه بمبايعة الجند في آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، فبقي بها إلى ما بعد خلافته، وكان طغج بن جفّ نائباً عن خمارويه وابنه هارون بالشام، وكان نائبهما على حلب حمدان[4] ونائبهم على العواصم محمد بن عيسى، وفي أيام هارون تغلبت القرامطة على دمشق وبقيت بأيديهم إلى أن انتزعها منهم المكتفي بالله الآتي ذكره، ولم أقف على عماله بمكة والمدينة[5].

---

(١) المواريث الحشرية: هي من يموت أصحابها ولا وارث لهم، انظر مفاتيح العلوم.

(٢) خطبها في سنة ٢٧٩ ودخل بها في سنة ٢٨٢ انظر النجوم الزاهرة، ٦٣، ٨٠، ٨٧.

(٣) في صبح الأعشى ج٣ ص٤٢٩ أن خمارويه قتل سنة ٢٨٢ وأن جيش بن خمارويه قتل سنة ٢٨٣.

(٤) لم يرد اسم حمدان في صبي الأعشى ج٤ ص ١٦٨ ولا معجم الأنساب ص ٤٩.

(٥) كان على مكة من سنة ٢٧١ يوسف بن أبي الساج ومن سنة ٢٨١ إلى سنة ٢٩٥ عج بن حاج المظفر، انظر معجم الأنساب والأسرات ص ٣٠.

وكان اليمن بيد بني زياد.

وكان ما وراء النهر بيد إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان، ثم ملك مع ما وراء النهر خراسان في سنة سبع وثمانين ومائتين، واقتلعها من عمرو بن الليث الصفار بعد أن أسره، ثم أرسل به بعد ذلك إلى المعتضد فحبسه في بغداد، وبقي محبوساً بها حتى قُتل في سنة تسع وثمانين ومائتين.

وكان على إفريقية أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أبي الغرانيق من بني الأغلب، فبقي إلى ما بعد خلافة المعتضد.

وكان على الأندلس المنذر بن محمد الأموي فبقي إلى ما بعد خلافته أيضاً.

السابع عشر من خلفاء بني العباس بالعراق

المكتفي بالله

وهو أبو محمد علي بن المعتضد بالله المتقدم ذكره(١).

وأمه أم تركية اسمها خاضع وقيل ججك(٢) وتلقب جحيفة، وكان مولده سنة(٧٢ب) أربع وستين ومائتين، وكان جميلاً رقيق السُّمْرة أعين حسن الوجه والشعر وافر اللحية. بويع بالخلافة ببغداد وهو غائب بالرّقّة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، ولما وصله الخبر أخذ البيعة لنفسه على من عنده، وسار إلى بغداد فدخلها لثمان خلون من جمادى الأولى من السنة المذكورة، وكان نقش خاتمه. بالله عليٌّ بن أحمد يَثِقُ. وبقي حتى توفي لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين بعد أن طال مرضه شهوراً، وعمره يومئذ إحدى وثلاثون سنة وأشهر. ودفن في دار محمد بن طاهر ببغداد. ومدة خلافته ستة سنين وستة أشهر وعشرون يوماً، وكان له من الأولاد المستكفي بالله الآتي ذكره(٣).

---

(١) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي: وفي أيامه أرسل محمد بن الواثقي الكاتب إلى مصر فاستولى عليها وانتزعها من بني طولون وخرب منازلهم وأزال ملكهم عنها. وفي أيامه عظم شوكتهم ثانياً لأجل تدبيره. هذا وانظر ما سيأتي في الحوادث والماجريات عند ذكر محمد بن سليمان فإنه هو الواثقي.

(٢) في تاريخ الخلفاء ص ٢٥١ تركية اسمها جيجك.

(٣) ذكر له في جمهرة أنساب العرب أيضاً ص ٢٦ محمد أبو أحمد والعباس والفضل وجعفر وعبد الصمد وعبد الملك وموسى وعيسى.

الحوادث والماجريات في خلافته

كان كثير العسكر وافر الأموال، قد وطّأ له أبوه المعتضد الأمور، وسار بسيرة أبيه. وفي أيامه اشتدت شوكة القرامطة وحصروا طغج أميرَ دمشق عن بني طولون، ثم اجتمعت عليهم العساكر فقتل مُقدَّمهم يحيى المعروف بالشيخ، وقام أخوه الحسين مقامه، وتسمى أحمد، وأظهر، شَامَةً في وجهه، وزعم أنها آيته، وكثر جمعه، فصالحه طغج على مال دفعه إليه، وسار إلى حمص فحصرها حتى خُطِب له على منبرها، وتلقَّب المهديَّ أمير المؤمنين، وعهدَ إلى ابن عمه عبد الله، ولقبَّه المُدَّثِّر، وزعم أنه المدثر المذكور في القرآن، ثم سار إلى حماة والمَعَرَّة وسلميَّة، فقتل حتى النساء والصبيان فخرج إليه المكتفي بنفسه، وسار من بغداد حتى نزل الرقة، وجهز إليه العساكر، فهرب ومعه ابن عمه المدثر، فوقع القبض عليهما بالبَرِّيَّة، وأحضرا إلى المكتفي، فسار بهما إلى بغداد فقتلهما وطِيفَ برأس صاحب الشامة (١٧٣) وتفاقم أمر القرامطة في كل جهة، ونهبوا طَبَرِيَّة، وساروا إلى جهة الكوفة، وقطعوا الطريق على الحجاج من طريق العراق، وفتكوا بهم عن آخرهم، وأخذوا منهم أموالاً جمة، وبلغ عدة القتلى من الحُجَّاج فيما يقال عشرين ألفاً، ثم جهز المكتفي جيشاً مع محمد ابن سليمان الكاتب في سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فسار حتى استولى على دمشق، وتوجه إلى مصر وبها يومئذ هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، فوقع الحرب بينه وبين محمد ابن سليمان، فقُتل هارون في المعركة، وقام عمه شيبان بن أحمد بن طولون مقامه، ثم طلب الأمان فأمنه محمد بن سليمان، ثم هرب شيبان ليلاً فلم يوجد، واستولى محمد بن سليمان على مصر، وأمسك بني طولون، وخرب منازلهم حتى لم يبق منها إلا الجامع.

ومن غريب ما وقع ما حكاه محيي الدين بن عبد الظاهر في «خطط القاهرة» أن أحمد ابن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى تجلى على تلك الجهة خلا الجامع، فقص ذلك على عابر ماهر، فقال له: إن جميع هذه الأماكن تخرب خلا الجامعَ، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣] وكان الأمر كما عبَّر، واستقر محمد بن سليمان بعد ذلك متأمِّراً على مصر، كما سيأتي ذكره في الكلام على ولاة الأمصار.

وفي سنة تسعين ومائتين انتهت زيادة النيل إلى يوم النيروز ثلاثة عشر ذراعاً، ثم توقف فلم يزد إلى العاشر من توت، واستسقى الناس في هذا اليوم وعاودوا الاستسقاء مرات، فزاد بعد ذلك أربع أصابع ونصفاً.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر قبله هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون.

ودمشق (٧٣ب) بيد القرامطة من حين اقتلعوها من نواب هارون إلى أن قُتل في سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

فوليها[١] عن المكتفي شيبان بن أحمد بن طولون في سنة اثنتين وتسعين ومائتين، ثم بعث المكتفي محمد بن سليمان الواثقيَّ الكاتب، فاستولى على مصر وانتزعها من بني طولون وخرب منازلهم وأزال ملكهم عنها، وكتب المكتفي كتاباً بالفتح إلى سائر الأقطار، قد ذكرته بِرُمَّته على طوله في كتابي «صبح الأعشى في كتابة الإنشا» وبقيتُ بيد محمد بن سليمان الكاتب إلى أن ولّى عليها المكتفي عيسى بن محمد النوشري في سنة خمس وتسعين ومائتين، ثم تغلب عليها محمد بن علي[٢] ثم عاد إليها النوشري، وكان قد تغلب على دمشق القرامطةُ على ما تقدم ذكره، فانتزعها منهم في سنة إحدى وتسعين ومائتين، وأقام عليها وعلى حلب أحمد بن كَيْغَلَغ[٣] أميراً، فبقي فيهما إلى ما بعد خلافة المكتفي.

وولّي على ديار ربيعة وديار مضر[٤] من بلاد الجزيرة أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان. ولم أقف على عماله بمكة والمدينة[٥].

وكانت اليمن بيد بني زياد.

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان، إلى أن مات وملكها بعده ابنه أبو نصر أحمد بن إسماعيل، وأرسل المكتفي إليه التقليد.

وكان على إفريقية قبله أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أبي الغرانيق، فتوفي في شعبان سنة تسعين ومائتين وولى ابنه زيادة الله، فأقبل على اللذات واللهو، وقتل إخوته وعمومته، وقوي أمر أبي عبد الله الشيعي داعي عبيد الله[٦] المهدي بالمغرب. فهرب زيادةُ الله إلى مصر، وترك إفريقية، وبخروجه عنها انقرضت دولة بني الأغلب من إفريقية، وكان على الغرب الأقصى عليّ بن عمر بن إدريس، فقُتل سنة ست وتسعين ومائتين، وقام بالأمر بعده يحيى بن إدريس بن عمر بن (٧٤أ) إدريس الأصغر، وملك جميع المغرب، وخُطِب له على منابره، فبقي إلى ما بعد خلافة المكتفي.

وكان على الأندلس المنذر بن محمد الأموي، فتوفي لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين. وبويع أخوه عبد الله يوم موته. فبقي إلى ما بعد خلافة المكتفي.

---

(١) فوليها أي مصر، كما في صبح الأعشى ج٣ ص ٤٢٩.

(٢) في معجم الأنساب والأسرات ص ٤٢ أبو عبد الله بن محمد بن علي الخلنجي.

(٣) في صبح الأعشى: أحمد بن كيغلغ وسيأتي أنه أحمد بن كيغلغ وقد كان في الأصل محمد بن كيغلغ.

(٤) كذا ولعلها بكر.

(٥) في معجم الأنساب ص ٣٠ كان عج بن حاج المظفر من سنة ٢٨١ إلى سنة ٢٩٥.

(٦) في الأصل: عبد الله.

الثامن عشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المقتدر بالله

هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المقدم ذكره.

وأمه أم ولد اسمها شغب[1]. كان ربع القامة دُرِّيَّ اللون، أحور أصهب[2]، وكان ثقيل الجثة[3] بويع له بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، وسنه يومئذ ثلاث عشرة سنة، وقيل ثلاث عشرة سنة، وشهران إلاّ أياماً، وكان نقش خاتمه: الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء. وبقي حتى توفي قتيلاً يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة، وسنه ثمان وثلاثون سنة، وكان سبب قتله أن مؤنساً الخادم خرج إلى الموصل وديار ربيعة مغاضباً له، ثم عاد يريد بغداد، فحسَّنَ بعضُ الناس للمقتدر الخروج لقتاله، فخرج إلى باب الشماسية، والتحم العسكر، فقتله رجل من البربر وقلع ثيابه، فمر به رجل فسترّ سوأته بحشيش، ثم حفر له ودُفن وخَفِي أثرُه. ومدة خلافته أربع وعشرون سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً. وكان له من الأولاد الراضي محمد[4] والمتقي [أبو] إسحاق [إبراهيم] والمطيع الفضل، ولي كل منهم الخلافة، وعبد الواحد وعباس وهارون وعليّ وإسماعيل وعيسى وموسى [وإسحاق] وأبو العباس[5].

(٧٤ب) الحوادث والماجريات في زمانه

لما بويع بالخلافة كان صغيراً في سن الثلاث عشرة سنة، على ما تقدم، فاستقلّ الوزراء والكتاب بتدبير الأمور، وغلب على أمره النساء والخُدَّام، حتى أن جارية لأمّه تعرف بشمل[6] القهرمانية كانت تجلس للمظالم، ويحضرها القضاة والفقهاءُ، فاختلّ الأمر بسبب ذلك، ويقال إنه استوزر في مدة خلافته تسعة عشر وزيراً، واجتمع القواد والقضاة

---

(١) في الأصل: شحب وفي تاريخ الخلفاء ص ١٥٢ اسمها غريب وقيل شغب.

(٢) الأصهب من الشعر ما كان فيه حمرة أو شقرة. والأصهب الذي يخالط بياضه حمرة.

(٣) في هامش الأصل ما يأتي: «وكان له هيبة عظيمة، رتب العسكر في خلافته مائة وستين ألفاً ما بين راكب وراجل وكان يقف بين يديه سبعمائة حاجب وسبعة آلاف خصي منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود كذا ذكره المؤرخون.

(٤) في صبح الأعشى ج٣ ص ٢٦١ الراضي أحمد وكذلك هو في معجم الأنساب والأسر ص ٣ أما في جمهرة أنساب العرب ص ٢٦ الراضي محمد وسيأتي في الأصل في خلافته أنه محمد.

(٥) أبو العباس هي كنية محمد الراضي وفي جمهرة أنساب العرب ص ٢٦ اضف اسم القاسم من ابنائه.

(٦) في الوزراء للصابي ص ٤٨ ١٧٢ ثمل.

على خلعه، فخلعوه لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين.

وبويع عبد الله بن المعتز، ولُقِّب الراضي بالله وقد تقدم نسب أبيه المعتز، وأمه أم ولد اسمها خائن[1] وكان فاضلاً شاعراً إماماً في البلاغة، تشبيهاته لا تُلحق، أخذ العلم عن المبّرد، وصار في الأدب والشعر أمَّة يُضرب به المثل، ولما ولي قال: قد آن للحق أن يتَّضح وللباطل أن يفتضح. ثم لم يلبث في الخلافة غير يوم واحد وليلة حتى اضطرب أمره وتفرق أصحابه، فأمسك وحبس ليلتين، ثم قتل خنقاً، وأظهر أنه مات حَتْف أنفه، وسنه يومئذ خمسون سنة، ودفن في خَرِبة بإزاء داره. ورثاه عليُّ بن محمد بن بسام بقوله:

لله دَرُّك من مَلْكٍ بِمَضْيَعة ... ناهيك في العلم والآداب والحَسَبِ
ما فيه لولا ولا ليتٌ فتنقضه[2] ... وإنما أدركته حرفةُ الأدبِ

ومن حيث قِصرَ مدّته لم يورده المؤرخون في عداد الخلفاء، بل جُعل كالجُملة المعترضة، ولما عاد المقتدر بقي الأمر على ما كان عليه من تصرّف النساء والخُدام، ورجوعه إلى قولهم، ووقوفه عند رأيهم، وفي خلال ذلك قبض المقتدر على ابن الجصَّاص الجوهري، وأُخذ منه من أصناف الأموال ما قيمته أربعة آلاف [ألف] دينار فأكثر.

وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وثب أبو طاهر القرمطي في جمعه على البصرة فقتل منها خلقاً كثيراً، ونهب أموالاً جمة، ثم صار إلى الكوفة ففعل فيها كذلك، ونهب (٧٥أ) غالب البلاد الفراتية، وقطع الطريق على الحُجاج، وأخذ أموالهم، ومات الكثير منهم جوعاً وعطشاً، وعاد إلى هجر قاعدة البحرين، وانقطع الحجّ من العراق بسبب ذلك.

قال في «تاريخ النيل»: وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ظهر في السماء بمصر كوكب عظيم له شعاع عظيم، يتبعه شهاب هائل بالجو شديد الحمرة، أخذ من جهة الشمال إلى جهة المشرق، تقدير طوله ثلاثون رمحاً، وعرضه قريب من رمحين، فمه مفتوح كالحيّة، أقام ثلاث ساعات ثم انطفأ.

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة دخل أبو طاهر القرمطي مكّة يوم التَّرْوِية، وخطب لعُبيد الله المهدي صاحب إفريقية، وقتل الحاجَّ قتلاً ذريعاً، ورمى القتلى في زمزم، وأخذ الحجر الأسود وعرَّى الكعبة، وقلع بابها، وذهب بالحجر الأسود إلى البحرين، وبقي عنده

---

(١) في هامش النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٦٤ اسمها حائز نقلاً عن عقد الجمان. أما في أصل النجوم فهو كالأصل.

(٢) في ابن خلكان ترجمة عبد الله بن المعتز:
لله درك من ميت بمضيعة.......
ما فيه لو ولا لولا فتنقصه.....

اثنتين وعشرين سنة إلاّ شهراً حتى رده، على ما سيأتي ذكره، بعد أن بذل له بَجْكم[1] التركي أحد أمراء المقتدر خمسين ألف دينار، فما فعل، وقال: أخذناه بأمر وما نرده إلاّ بأمر، وتعطل الحجُّ بعد ذلك من العراق إلى سنة عشرين وثلاثمائة، والمقتدر مُتَمَادٍ على ما هو عليه من تَحكيم النساء والخدام والرجوع إلى قولهم ورأيهم فاجتمعت العساكر إلى مُؤنس الخادم وألزموا المقتدر أن يشهد على نفسه بالخلع، ففعل، وبايعوا أخاه محمد ابن المعتضد، ولقبوه القاهر بالله، ونُهبت دار الخلافة، واستُخرج من قبرٍ في تُربة أمّ المقتدر ستمائة ألف دينار، ثم أُعيد الأمر إلى المقتدر بعد يومين، وحُبس القاهر عند والدة المقتدر فأحسنت إليه.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر قبله عيسى بن محمد النوشري، فوليها عن المقتدر أبو منصور تكين، في سنة سبع وتسعين ومائتين، ثم عزله وولّى عليها أبا الحسن[2] في سنة ثلاث وثلاثمائة، ثم أعاد إليها تكين ثانياً سنة سبع وثلاثمائة، ثم عزله وَوَلّى عليها هلالَ بن يزيد سنة سبع وثلاثمائة، وولّى عليها أحمد بن كِيغَلْغ في سنة(٧٥ب) إحدى عشرة وثلاثمائة، وولي عليها أبو منصور تِكِين ثالث مرة في السنة المذكورة[3]، وكان على دمشق وحلب أحمد بن كِيغَلْغ وبقي فيهما إلى آخر أيام المقتدر.

وكان على مكة محمد بن سليمان الزّيدي من عقب سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن السبط، قال البيهقي: خلع طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمارة في سنة إحدى وثلاثمائة

وكانت اليمن بيد بني زياد.

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أحمد بن إسماعيل من بني سامان، فقُتل في سنة إحدى وثلاثمائة، وولي بعده ابنه أبو الحسن نصر بن أحمد، فبقي إلى ما بعد أيام المقتدر.

وكانت إفريقية قد استولى عليها دعاة عبيد الله المهدي، فقوي أمرهم وبويع لعبيد الله المذكور بها في ربيع سنة سبع وتسعين ومائتين، وبعث العمال إلى نواحيها، وبنى مدينة المهديّة[4] بإفريقية شرقي تونس، وجعلها دار ملكه.

---

(١) في الأصل: يحكم انظر ترجمته في المنتظم ج ٦ ص ٣٢٠.

(٢) أبو الحسن ذكا الأعور الرومي. معجم الأنساب ص ٤٢.

(٣) ذكر قبله في معجم الأنساب والأسرات ص ٤٢ «أبو قابوس محمود بن حمك أو حمل مكث ثلاثة أيام».

(٤) في الأصل: المهدي.

التاسع عشر من خلفاء بني العباس بالعراق
القاهر بالله

وهو أبو منصور محمد بن المعتضد بالله المقدم ذكره، وأمه أم ولد اسمها قتول وقيل: فتنة، كان أبيض يعلوه حمرة، مربوعاً، أعين، وافر اللّحية، ألثغ، شديد الإقدام على سفك الدماء أهوج، محبًّا لجمع المال قبيح السياسة، بويع له بالخلافة يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة، وكان مؤنس الخادم قد أشار بمبايعة أبي العباس بن المقتدر، فاعترضه إسحاق النوبختي بأن ابن المقتدر صبي[1] لا يصلح لتدبير الأمور.

وكان نقش خاتمه: محمد رسول الله. وبقي حتى خلع من الخلافة لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ولما دخل عليه القضاة والشهود ليشهدوا عليه بالخلع قال لهم: لي في أعناقكم بيعه ولست أُحِلُّكم منها، فتركوه وانصرفوا، فبقي إلى الليل فسُمِل في عينيه بحديدة مُحماة، فكان أول خليفة سُمِل، فكانت مدة خلافته إلى أن سمل سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام، ولم يزل باقياً في دار الخلافة مسمولاً حتى أخرجه المستكفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، ورده إلى داره، فأقام مدة، ثم خرج إلى (١٧٦أ) جامع المنصور في يوم جمعة، فقام فعرَّف الناس بنفسه، وسألهم أن يتصدقوا عليه، فقام إليه بن أبي موسى الهاشمي فأعطاه ألف درهم، وردَّه إلى داره، وبقي حتى توفي في خلافة المطيع، ليلة الجمعة لثلاث خلون من جُمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وعُمره اثنتان وخمسون سنة، ودُفن في دار ابن طاهر. وكان له من الأولاد أبو الفضل وعبد الصمد وأبو القاسم وعبد العزيز وهو ولي عهده.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة صادر من أمهات أولاد المقتدر وأولاده، وضرب أُمَّ المقتدر وعلّقها برجل واحدة يُقرِّرُها على المال، وكانت مريضة بالاستسقاء، فماتت بعد عشرين يوماً، ثم قتل النوبختيَّ الذي أشار بولايته، وقتل مؤنساً، ولما قتلهم لقّب نفسه القاهر بالله المنتقم من أعداء الله لدين الله، وضرب ذلك على الدنانير والدراهم.

ولما ولي الخلافة سيّر ركْبَ الحَجيج من العراق إلى مكة بعد أن كان تعطّل الحجُّ في سنة عشرين وثلاثمائة، فحج بالناس أميره في تلك السنة، ثم انقطع الحج من العراق إلى أن صُولحت القرامطة على مال يُؤديه الحجيج إليهم، في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة في أيام الراضي.

---

(١) في الأصل: صبيا.

وفي أيامه ابتدأ ظهور بني بُوَيه ملوكِ الدَّيلم، وهم عماد الدولة أبو الحسن علي، ورُكْن الدولة أبو علي، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد، أولاد بُويه بن فنّاخسرو، من عقب بهرام جُور بن يزدجرد أحد ملوك الفرس، وكان رأسهم عماد الدولة، وهو أكبرهن فاستولى على أصفهان، ثم استولى على أرَّجان، ثم على كاذرون وغيرها من أعمال فارس، وعظم أمره وقويت شوكته.

وفي أيامه في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة توفي ابنُ دُرَيد صاحب «المقصورة».

(٧٦ب) ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر قبله أبو المنصور تكين، فعزله وولى عليها أبا القاسم محمد بن طُغج المعروف بالإخشيد في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، فبقي إلى ما بعد خلافة القاهر، وقيل فيه غير ذلك.

وكان على دمشق أحمد بن كِيغَلْغ مع مصر[١]، فبقي إلى ما بعد خلافة القاهر.

وكان على حلب أحمد بن كيغلغ نيابة عن الإخشيد.

وكان على مكة محمد بن سليمان السُّليماني.

وكان اليمنُ بيد بني زياد.

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أبي الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، فبقي إلى ما بعد خلافة القاهر.

وكان المستولي على إفريقية وسائر بلاد المغرب عبيد الله المهدي جدّ الخلفاء الفاطميين ونائبه بالغرب الأقصى، فبقي إلى ما بعد خلافة القاهر.

وكان على الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموي ابن محمد المقتول، فبقي إلى ما بعد خلافة القاهر، زمناً طويلاً.

العشرون من خلفاء بني العباس بالعراق
الراضي بالله

وهو أبو العباس محمد بن المقتدر بالله المقدم ذكره، وأمه أم ولد اسمها ظَلوم، ولد سنة تسع وتسعين ومائتين، وكان أسمر اللون أعنق، مسنون الوجه[٢]، خفيف العارضَيْن،

---

(١) كذا وانظر ص ٢٨٠ و ٢٨٥.

(٢) الأعنق: الطويل العنق. والمسنون الوجه: الحسنة المملسه أو الذي في وجهه وأنفه طول أو المخروطة.

وكان أديباً حسن الشِّعر محبًّا للأدباء والفضلاء، سخيًّا يبذل المال، وهو آخر خليفة له شعر يُدَوَّن، ومن شعره:

يَصْفَرُّ وجهي إذا تَأمَّلَهُ طرفي وَيحمَرُّ وجهُه خَجَلاَ
حتى كأنَّ الذي بِوَجْنَتِه مِن دَمِ قلبي إِليه قد نُقِلاَ

بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى (٧٧أ) سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكان محبوساً، فأخرج وأجلس على سرير القاهر، وسلَّموا عليه بالخلافة، وأقيم القاهر بين يديه بعد أن سُلِمت عيناه، وسُلِّم عليه بالخلافة، وبقي حتى توفي بالاستسقاء ليلة السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وعمره اثنتان وثلاثون سنة وأشهر، ومدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر وكان له من الأولاد أبو جعفر وأبو الفضل عبد الله.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة استوزر أبا عليٍّ بن مقلة إمام الكتابة في صنعة الخَط، فكان من أمره أنه ضرب محمدَ بن شَنبوذ المُقرِىء[١] بالدِّرَّة، لقراءات أنكرت عليه، فدعا عليه بقطع اليد وتشتيت الشمل، ثم قَبض الراضي عَلَى ابنِ مقلة في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، واستوزر عبد الرحمن بن عيسى، ثم قبض عليه واستوزر أبا جعفر الكَرْخِيَّ، وكان ابن رائق على واسط والبصرة، فقطع الحَمْلَ[٢]، وقطع البَرِيدي[٣] حمل الأهواز وأعمالِها، فضاقت الأمور على الوزير أبي جعفر، فصرفه الراضي واستوزر سليمان بن الحسن، والأمر عَلَى مُضايقةٍ عَلَى الوزير، فبعث الراضي إلى ابن رائق يستقدمه من واسط ليقوم بالأمور، فقدم، فقلّده إمارة الجيش، وأمر أن يُخطب له على المنابر مع الخليفة، وهو أول من أُشرك مع الخليفة في الخُطبة، وبَطَل نَظَرُ الوزير من يومئذ، ولم يبق من الوزارة إلاَّ اسمُها بعد أن كانت أمورُ الدولة قبضاً وصرفاً وتوليةً وعزلاً راجعةً إلى الوزير، وتغلَّب عمَّال الأطراف عليها، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكم فيها لابن رائق دونه، والأطراف. (٧٧ب) كالنِّهاب بأيدي أقوام متفرقة، واستقدم ابنُ رائق أبا الفضل بن الفرات، وكان على خراج مصر والشام، فاستوزره له وللخليفة، ثم استولى مُعزّ الدولة بن بُويه على الأهواز بأمر أخيه عماد الدولة، وكان بَجْكم التركي بخدمة ابن رائق، فسعى ابن مقلة عند

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ انظر ابن خلكان ترجمته وقصة مناظرته وضربه.

(٢) الحمل يراد به هنا ما يرسل من الأموال ويحمل.

(٣) انظر ابن الأثير حوادث سنة ٣١٦ ابتداء حال البريدي وضبط اسمه والاختلاف فيه.

الراضي في القبض على ابن رائق وإقامة بحكم مقامه، ففطن ابنُ رائق، فقام عليه عند الراضي حتى قطع يده في نصف شوال سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وأُجيبت دعوةُ ابن شَنَبُوذ المقرىء فيه. وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويكتب، ثم بلغ ابنَ رائق أنه يسعى في الوزارة بعد ذلك، وأنه يدعو عليه وعلى الراضي، فقطع لسانه وضيّق عليه في الحبس، ولحقه ذَرَبٌ[1] ولم يكن عنده من يخدمه، فكان يستقي الماءَ من البئر بيده السليمة ويضبط الحبل بِفيه، ولم يزل على ذلك حتى مات في الحبس في شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، ودفن في دار الخليفة. ثم نُبِش وسُلِّم إلى أهله، فدفنوه في داره، ثم نبش ونقل إلى دار أخرى.

ومن العجيب أنه ولي الوزارة لثلاثة خلفاء: المقتدر والقاهر والراضي، ووزر ثلاث مرات، وسافر ثلاث سفرات، اثنتين إلى شيراز، وواحدة إلى المَوصل، ودُفن ثلاث مرات على ما تقدم.

وفي سنة ست وعشرين سار بجكم التركي من واسط إلى بغداد لقصد ابن رائق أمير الجيوش بها، فهرب ابنُ رائق واختفي، ودخل بجكم إلى بغداد، فخلع عليه الراضي وعقد له لواء، وجعله أمير الأمراء، ثم ظهر ابن رائق بعد ذلك، فقلده الراضي بموافقة بجكم حَرَّانَ والرُّهَا. وقِنَّسْرِين والعواصِم، فسار إليها واستولى عليها.

وفي أيامه ظهر محمد بن عليّ الشَّلمغاني، وادّعى أُموراً مرجعها إلى حلول (١٧٨) الإلهِيَّة والقول بالتناسخ والتشبيع، وأن ذلك أدَّى به إلى دعوى الإلهية، واتبعه جماعة، منهم ابنُ عون وابن عَبْدوس، وقالوا بإلهيته، فقُبِض عليه وعلى صاحِبَيْه المذكورين وأُتي بهم إلى الراضي، فأمر صاحبيه بصفعه فامتنعا، فأُكرِها على ذلك، فصفعه ابنُ عبدوس، ومدَّ ابن عون يده ليصفعه فارتعدت يده، فقبَّل لِحيته ورأسه وقال: إلهي وسيدي ورازقي. فأمر الراضي بابن الشلمغاني وابن عون فصُلبا حَيَّيْن وأُحرقا بالنار.

وفي أيامه فُتحت جِنْوةُ وغيرُها على يد القائم العلويّ صاحب إفريقية والغرب الأقصى.

وفي أيامه لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة انقضَّت النجومُ في هذه الليلة من أول الليل إلى آخره انقضاضاً لم يُعْهد مثلهُ.

وفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وقع في مصر وباءٌ عظيم واستمرّ إلى سنة إحدى وثلاثين.

---

(١) الذرب: فساد في المعدة والمرض الذي لا يبرأ.

ولايات الأمصار في خلافته

كانت مصر بيد أبي القاسم الإخشيد، فبقي إلى ما بعد خلافة الراضي.

وكان على دمشق أحمد بن كيغلغ نيابة عن الإخشيد صاحب مصر، فاستولى ابنُ رائق في سنة ثمان وعشرين عليها وعلى حمص، وطرد نائب الإخشيد، واستقرّت مصرُ للإخشيد، والشامُ لابن رائق، واستخلف ابنُ رائق على الشام أبا الحسين أحمدَ بن عليّ بن مقاتل، في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، فبقي إلى ما بعد خلافة المتقي[(١)].

وكان على حلب بدر الأخشيدي نيابة عن الأخشيد فبقي إلى ما بعد خلافة المتقي[(١)].

وكانت البصرة في يد ابن رائق مضافاً إلى نظره في بغداد وأعمالها.

وخوزستان في يد البريدي.

وفارس في يد عماد الدولة بن بويه.

وكَرْمان في يد (٧٨ب) أبي علي بن إلياس.

والرّيّ وأصفهان والجَبَل وهو عراق العجم في يد ركن الدولة بن بويه وشمكير بن زياد يتنازعانها.

والموصل وديار ربيعة وديار بكر في بني حمدان.

وكانت اليمن بيد بني زياد.

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أبي الحسن نصر بن أحمد الساماني، فبقي إلى ما بعد خلافة الراضي.

وكانت طبرستان وجرجان في يد الدّيلم.

والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي.

وكانت إفريقية والغرب الأقصى في يد عبيد الله المهدي إلى أن توفي في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وولي بعده ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد المقدَّم ذكره، فبقي إلى ما بعد خلافة الراضي.

وكان على الأندلس عبد الرحمن الأموي، فبقي إلى ما بعد خلافة الراضي.

---

(١) في الأصل القاهر وهذا غير معقول لأن القاهر كان قبل الراضي وانتهت خلافته في سنة٣٢٢ كما تقدم.

الحادي والعشرون من خلفاء بني العباس
المتَّقي لله[1]

وهو أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر المقدم ذكره، وأمه أم ولد اسمها خلوب، وقيل: زهرة، وكان أبيض أشهل[2] العينين أشقر الشعر[3].

بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، باتفاق أبي عبد الله الكوفي كاتب بجكم وأبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الراضي وغيرهم، وبجكم إذ ذاك غائب بواسط، وعرضت عليه ألقابٌ من ألقاب الحلفاء، فاختار منها المتقي لله فلقب به، وكان نقش خاتمه: المتقي لله. وبقي حتى قبض عليه وسُمِلت عَيناه يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة فكانت مدة خلافته ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً، ثم مات بعد ذلك في خلافة المُطيع (١٧٩) في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وعمره ستون سنة، وكان له من الأولاد أبو منصور ولي عهده.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بويع بعث إلى بجكم وهو بواسط، فحضر فبقَّاه على إمرة الأُمراء، وأقر سليمان بن الحسن وزير الراضي على الوزارة، وليس له من الوزارة سوى اسمها، والأمر في ذلك للكوفي كاتب بجكم، ففي ذلك قيل:

وزيرٌ رَضِي من بأسه وانتقامه ... بِطَيِّ رقاعٍ حَشْوُها النظْمُ والنَّثْرُ
كما تَسْجع الوَرْقاءُ وهي حمامةٌ ... وليس لها نَهْيٌ يطاع ولا أَمْرُ

وبقي الأمر على ذلك إلى أن خرج بجكم لقتال البريدي[4]، فمرَّ بأكراد، فطمعت نفسه في مالهم، فقصدهم ففروا من بين يديه، فتبعهم، وطعنه صبيٌّ من الأكراد برمح في خاصرته طعنة مات فيها، فلما بلغ المتقيَ قتلُه استولى على داره، وأخذ منها أموالاً جمّة، وجد أكثرها مدفوناً، وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وأياماً. ولما قُتل بجكم

---

(١) في الأصل المتقى بالله، وكانت في الخط «المكتفي» ثم أزيلت الكاف.

(٢) الأشهل العينين: من يشوب سواد عينه زرقة.

(٣) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي: وفي أيامه ضعف حالهم وعصي بعض العمال في المدن وخطبوا لأنفسهم.

(٤) تكتب في الأصل دائماً «اليزيدي» وانظر ما تقدم عن البريدي وما ذكرناه عن الاختلاف في ضبط اسمه في ابن الأثير حوادث سنة ٣١٦.

قدم البريدي بغدادَ واستولى على الأمر أياماً، ثم أخرجه العامة منها لسوء سيرته، واستولى على الأمر بعده كورتكين مدة قليلة، وسار ابن رائق بعد استخلافه على دمشق حتى دخل بغداد، فغَلَب كورتكينَ على الأمر وحبسه، وقلَّد المتقي ابنَ رائق إمرة الأُمراء وطُوِّق وسُوِّر[1]، ثم عاد البريدي إلى بغداد في سنة ثلاثين وثلاثمائة واستولى عليها ونهبها، وهرب المتقي وابنُ رائق إلى جهة الموصل [لناصر الدولة] يستمدَّانه، فأكرم نُزُلَهُمَا، ونثر الدنانير على رأس ابن المتقي، ولما قاما للانصراف أمر ناصرُ الدولة أصحابَه بقتل ابن رائق، فقتلوه، وذلك لسبع بقين من رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة. وسار ناصر الدولة بن حمدان إلى المتقي صحبة ابنه (٧٩ب) فخلع المتقي عليه، وجعله أميرَ الأمراء، وسار المتقي وناصر الدولة إلى بغداد، فهرب منها البريدي بعد أن أقام بها ثلاثة أشهر وعشرين يوماً، ودخل المتقي وناصر الدولة إلى بغداد في جيوش عظيمة، وأمر ناصر الدولة بإصلاح الدنانير فأُصلحت، وكان كل دينار بعشرة دراهم، فبيع بثلاثة عشر درهما، وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة سار ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل، فثارت الدَّيلم ونهبت دار ناصر الدولة، وكان تُوزون قد خرج من محبسه، فقصد بغداد، وسار سيف الدولة بن حمدان أخو ناصر الدولة من واسط إلى بغداد، فَدَفع إليه المتقي أربعمائة ألف دينار فرَّقها في العساكر لمنع توزون والأتراك عن بغداد، فلما وصل تُوزون بمن معه من الأتراك إلى بغداد هرب سيف الدولة عنها، ودخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، فخَلَع المتقي على توزون وجعله أمير الأُمراء، ثم خرج المتقي وأهله من بغداد إلى جهة الموصل خوفاً من توزون، واجتمع بناصر الدولة وسيف الدولة ابن حمدان فأقاموا مدة ثم سار المتقي إلى بغداد، وخرج توزون من بغداد لملاقاته، فلقيه بالسنديَّة، فقبَّل له الأرض، وقبَّل يده وركابه، ثم قبض عليه بعد ذلك وسَمَل عينيه، يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وسار به إلى بغداد وهو أعمى.

وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة أرسل ملك الروم يطلب من المتقي منديلاً كان بكنيسة الرُّهَا. تَزعم النصارى أن المسيح عليه السلام مسح به وجهه فصار صورةُ وجهه فيه، على أن يُطلق في نظير إرساله عدداً من أسرى المسلمين، فاستشار العلماءَ في ذلك، فاختلف رأيهم، فبعض قال: استنقاذ (٨٠أ) الأسرى أولى من بقائه، وبعض قال: في دفعه غضٌّ من الإسلام، وقد مرَّت عليه دهورٌ ولم يُدفَع إليهم، ثم ترجَّحَ إرساله لإطلاق الأسرى، فبعث به إليه.

وفي أيامه وقع غلاء شديد بالعراق حتى بلغ كُرُّ الحنطة مائتي دينار وعشرة دنانير،

---

(١) طوق وسور: ألبس الطوق والسوار.

وخرج الحريم من قصر الرصافة ينادين: الجوعَ الجوعَ.

وفي خلافته في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة نقص النيل في زمن الاحتراق حتى لم يوجد في المقياس ما يقاس، فَقِيس في الجزيرة فكان ذراعين وستة أصابع.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر قبله أبو القاسم الإخشيد، فبقي إلى ما بعد خلافة المتقي.

وكانت دمشق بيد أبي الحسين أحمد بن [علي بن] مقاتل، فانتزعها منه أبو القاسم الإخشيد، فبقي عليها حتى مات في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، والتحقيق أن دخول الوهنِ على الخلافة من حين خلافة الراضي وتأمير ابن رائق على الجيوش واشتراكه مع الخليفة في الدعاء له على المنابر، فبقي معه إلى ما بعد خلافة المتقي.

وكان اليمن بيد بني زياد.

وكان ما وراء النهر بيد الخانِيَّة[1] من ملوك الترك.

وخراسان بيد أبي الحسن نصر الساماني، فتوفي في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وملك بعده ابنه نوح بن نصر، فبقي إلى ما بعد خلافة المتقي.

وكانت إفريقية والغرب الأقصى بيد القائم بأمر الله بن عبيد الله الفاطمي، فبقي إلى ما بعد خلافة المتقي.

وكان على الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموي فبقي إلى ما بعد خلافة المتقي.

الثاني والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق
المستكفي بالله

وهو أبو القاسم عبد الله بن المُكتفي بالله المقدم ذكره، وأمه (٨٠ب) أم ولد اسمها غُصن[2]، كان أبيض حسن الوجه قد وخطه الشيب، بويع له بالخلافة بعد خلع المتقي وإقامته بين يديه وتسليمه عليه بالخلافة، لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، على ما تقدم، ولقب نفسه آخر السنة المذكورة: إمامَ الحقّ، وضَرَبَه على الدنانير والدراهم، وكان نقش خاتمه: المستكفي بالله يتقي. وبقي إلى حين خلعه في يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، فكانت خلافته إلى أن خُلع سنة

(١) نسبة إلى خان. وفي الأصل بدون نقط.

(٢) في تاريخ الخلفاء ص ١٥٩ اسمها أملح الناس.

واحدة وأربعة أشهر، وأقام بعد ذلك في دار السلطان إلى أن توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وعمره ست وأربعون سنة وأشهر.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة قام بتدبير دولته توزون أمير الأُمراء المقدم ذكره، إلى أن توفي لثمان بقين من المحرم سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وهو مسافر، فكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وأياماً، واجتمع الجيش بعده على محمد بن يحيى كاتب توزون، ووصل خبر موته إلى بغداد في جُمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، فقلد المستكفي أبا الحسن أحمد بن بويه الإمارة، مكان توزون، ولقّبه معز الدولة، ولقّب أخاه أبا الحسن عليًّا عمادَ الدولة، ولقّب أخاه أبا عليٍّ الحسنَ رُكنَ الدولة، وخلع عليهم، وأمر أن تُضرب أسماؤهم على الدنانير والدراهم مع اسم الخليفة، وهُم أوَّلُ من ضُرب اسمه من ملوك الإسلام على النقود مع اسم الخليفة، ونزل معزُّ الدولة دارَ مؤنس الخادم، فنزل أصحابُه بدور الناس بالقهر، ولم يُعْهد ذلك فيما تقدم، ورتّب مُعز الدولة المستكفي (١٨١أ) في كل يوم خمسة آلاف درهم للنفقات يتسلمها كاتبة، وذلك أول ما رُتِّب للخليفة معلوم مقدَّر له لا يتعدّاه، ثم إن قهرمانة للمستكفي اسمها عَلَم صنعت دعوة، وأحضرت جماعة من الديلم إليها، فاتهمها معز الدولة أنها تريد أن تتفق عليه مع الديلم، فركب إلى دار السلطان في يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة بسبب وصول صاحب خراسان، فأجلس الخليفةُ معزَّ الدولة على كرسيّ، ويقال: إنه وقف بين يدي الخليفة على عادته، وتقدم إلى المستكفي رجلان من الديلم، فمدَّا إليه أيديهما، فظن أنهما يريدان تقبيل يده، فمدّها لهما، فجذباه وجعلا عمامته في عنقه وسحباه بها، وقام معز الدولة، وقبض الديلم على عَلَمَ القهرمانةِ، وسيق المستكفي إلى دار معز الدولة ماشياً، ونُهِبت دارُ الخلافة، ثم أحضر المطيعُ الآتي ذكره إلى دار معز الدولة، وأُقيم المستكفي بين يديه، وسلّم عليه بالخلافة، وأشهد على نفسه بالخلع، وسُمِلَت عيناه، ولم أقف له على ذكر أولاده[1].

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر قبله أبو القاسم الإخشيد فتوفي في سنة أربع وثلاثين، وملك بعده ابنه أُنوجور بن الإخشيد وهو صغير، وقام بتدبير دولته كافور الإخشيدي الخادم.

وكانت دمشق بيد الإخشيد أيضاً، فملكها بعده ابنه أُنوجور المذكور في تدبير كافور المقدم ذكره، فبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

---

(١) في جمهرة أنساب العرب ص ٢٦ أولاده: علي والحسن ومحمد.

وكانت حلب مع أنوجور المذكور ونائبه فيها بدر الإخشيدي، فانتزعها منه سيف الدولة بن حمدان أيضاً في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وبقي بها حتى توفي في سنة ست وخمسين وثلاثمائة.

وكان اليمن مع بني زياد.

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد نوح بن (٨١ب) نصر الساماني، فبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكان على إفريقية والغرب الأقصى القائم بأمر الله العلويّ. فتوفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقد عهد إلى ابنه المنصور بالله إسماعيل، فقام بالأمر بعده وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكان على الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموي، فبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

الثالث والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق
المطيع لله

وهو أبو القاسم، ويقال: أبو العباس الفضل بن المقتدر المقدم ذكره.

وأمه أم ولد اسمها مشغلة[١]. ولد في ذي القعدة سنة إحدى وثلاثمائة. ولم أقف على ذكر صفته. بويع له بالخلافة يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: لثمان بقين منه. ولم أقف على نقش خاتمه هو ولا من بعده من الخلفاء. وبقي حتى خلع نفسه في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، فكانت خلافته إلى أن خلع تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وقيل وأربعة أشهر وعشرة أيام. وتوفي بعد ذلك في منتصف ذي الحجة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وكان له من الأولاد أبو بكر الطائع الآتي ذكره، وعبد العزيز وجعفر[٢].

الحوادث والماجريات في خلافته

ولي الخلافة وقد ازداد أمر الخلافة إدباراً، ولم يبق للخلفاء أمر نافذ، وتسلم نوابُ معز الدولة العراقَ بأسره، ولم يبق في يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته. وبقي الأمر على ذلك حتى مات معز الدولة بن بويه في سنة ست وخمسين

(١) في تاريخ الخلفاء ص ١٦٠ اسمها شغلة.

(٢) زاد في جمهرة أنساب العرب ص٢٧: عبد الوهاب.

وثلاثمائة، وقام ابنه بختيار بالأمر بعده بعهد من أبيه، ولقب عزّ الدولة، واستقر في إمرة الأمراء، فأساء السيرة، واشتغل باللهو واللعب وعِشرة النساء والمغنين، ونفي كبار الدولة، وأخذ إقطاعاتهم، وبقي الأمر على ذلك إلى أن سار بختيار إلى الأهواز، فاستخلف سبكتكين التركي عنه ببغداد، وفتك (١٨٢) بختيار بمن صحبه من الأتراك، فنهض سبكتكين ونهب دار بختيار ببغداد، واستولى على الأمر مكانه، وقد عجز المطيع عن الحركة والدفع لمرض به، وثقل لسانه، فدعاه سبكتكين إلى خلع نفسه من الخلافة وتسليم الأمر لولده الطائع، فأجاب إلى ذلك وخلع نفسه.

وفي أيامه في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة لم يوجد في المقياس ما يقاس، حتى قيس في بحر الجزيرة. وانتهى النيل في تلك السنة إلى خمسة عشر ذراعاً فقط.

وفي أيامه كثرت الزلازل، فزُلزلت الأرض في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ثلاث مرات، ثم في سنة أربع وأربعين مرتين في شهر واحد، ثم في سنة سبع وأربعين مرتين في شهر واحد.

وفي سنة ست وخمسين انتهت زيادة النيل إلى اثني عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً، ولم يُعهد مثل ذلك، وفي سنة ثمان وخمسين وقع بمصر غلاء عظيم، بيع القمح فيها وَيْبَةٌ بدينار ونصف، والخبز رطل بدرهمين، والبيضة بدرهم وثُلث. وفي أيامه طمع الروم في بلاد المسلمين، فقصدوا حلب في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، واستولوا عليها دون قلعتها، وأخذوا منها أموالاً عظيمة لسيف الدولة.

وفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة فتح الميصية وطرطوس وقتل وأسر.

وفي سنة خمس وخمسين وصل الروم إلى آمد ونصيبين وإنطاكية وطرطوس وعاثوا فساداً.

وفي سنة ثمان وخمسين ملكوا إنطاكية وحصروا حلب حتى صالحوهم عن حلب وما معها من البلاد وهي حماة وحِمْص وكفر طاب والمعرَّة وفاميه وشيزر وما بين ذلك. وفي سنة إحدى وستين وصلت الروم إلى الجزيرة والرها ونصيبين وقتلوا وسبوا، وذهب الناس إلى بغداد مستغيثين بختيار، فطلب من الخليفة مالاً يستعين به على الغزاة، فباع قماشاً بأربع مائة ألف درهم (٨٢ب) وأوصلها إليه، فصرفها في مصالح نفسه وترك أمر الغزاة.

ولايات الأَمصار في خلافته

كانت مصر بيد الإخشيد، فتوفي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وتقلد ابنه أُنوجور[١] ومعناه محمود، وغلب كافور الإخشيدي الخادمُ على أمره وقام بتدبير دولته،

---

(١) يكتب في الأصل: «أبوجور» والتصويب من صبح الأعشى ج٤ ص ١٦٣، ١٦٤.

ثم مات أُنوجور في ذي القعدة. سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وقام أخوه عليٌّ بالأمر بعده. ثم مات عليّ بن الإخشيد في المحرم سنة خمسين وثلاثمائة، فوليها بعده كافور الإخشيدي المقدم ذكره، وكان يُدعى له على المنابر بمصر والشام والحجاز، ثم جُلِب إليه الزكاةُ فقال: اصرفوها من أيديكم، فلم يجدوا من يقبلها، فقال: ابنوا بها المساجد وأجروا لها الأرزاق، ففعلوا، وبقي، إلى أن مات في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة، فعُقد الأمر لأبي الفوارس أحمد ابن علي بن الإخشيد وهو ابن إحدى عشرة سنة، وكان الحسن بن عبيد الله بن طُغج خليفته بها، ثم دخل جوهر قائد المعز الفاطمي إلى مصر يوم الثلاثاء لست عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، واستولى عليها، وأذّن بِحَيَّ على خَير العمل. وقطع الخطبة للعباسيين، وخطب بالجامع العتيق بالفسطاط لمولاه المعز، واختط القاهرة، وبنى قصر الخلافة بوسطها حيث دار الضرب الآن وما حولها من المدرسة الصالحية ومشهد الحسين والبيمارستان العتيق وما جاور ذلك، ثم وصل المعز إلى الديار المصرية ودخل القاهرة في سنة إحدى وستين وثلاثمائة، واستخلف على بلاد إفريقية بُلُكِّين بن زيري.

وكانت دمشق بيد الإخشيد (١٨٣) أيضاً، فوليها بعد وفاته ابنه أُنوجور، وقام بتدبير دولته كافور الإخشيدي على ما تقدم ذكره، ثم انتزعها منه سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب، ثم انتزعها منه كافور الإخشيدي ثانياً وولّي عليها بَدْراً الإخشيديَّ الذي كان عليها أولاً، فأقام بها سنة، ثم وَلِيها أبو المظفّر بن طُغج، ثم لما مات أُنوجور ملكها مع مصر أخوه علي بن الإخشيد، ثم كافور بعده، ثم أحمد بن علي بن الإخشيد، وهو آخر من ملكها منهم، ثم كانت الدولة الفاطمية عند دخول جوهر القائد إلى مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وأقام بها جعفرَ بن فلاح نائباً، ثم غلبت القرامطة عليها في سنة ستين وثلاثمائة. ثم ملكها المعز مَعَدُّ بن تميم العُبيدي من القرامطة، وولّي عليها رَيَّان الخادم. وبقي المعز إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكانت حلب بيد سيف الدولة بن حمدان، فبقي بها حتى توفي في سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وملكها بعده ابنه سعد الدولة أبو المعالي شريف، ثم انتزعها منه فرعويه غلام أبيه في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فبقي إلى ما بعد خلافة المطيع.

وخُطب بمكة لمعز الدولة بن بويه مع الخليفة في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. وكان الحج قد تعطل بسبب القرامطة على ما تقدم، فبرز أمر المنصور بن القائم الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي القرامطي برد الحجر الأسود إلى مكانه، فرده في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وخطب لابن بويه، واتصلت وفود الحج من يومئذ، وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لبختيار بن معز الدولة بعد موت أبيه. ثم في سنة ستين وثلاثمائة جهز المعز الفاطمي (٨٣ ب) عسكرا من إفريقية لإقامة

الخطبة له بمكة، فبادر الحسن بن جعفر بن الحسن ابن سليمان السليماني من المدينة وملك مكة وخطب له بها، وكتب إليه المعز بالولاية، وخرجت مكة عن العباسيين.

وكان اليمن بيد بني زياد.

وكان ما وراء النهر بيد الخانيّة ملوك الترك.

وخراسان بيد نوح بن نصر الساماني، فوليه بعده ابنه منصور، وبقي إلى ما بعد خلافة المطيع.

وكان على إفريقية وبلاد المغرب المنصور إسماعيل بن القائم الفاطمي، فبقي حتى توفي في رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة، وولي الأمر بعده ابنه المعز لدين الله مَعَدّ، وانتهت مملكته بالغرب إلى البحر المحيط، وفتح قائده جوهر مصرَ على ما تقدم في منتصف شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، واختطّ القاهرةَ، ثم قدم المعز إلى مصر ودخل القاهرة لخمس من رمضان سنة ثنتين وستين وثلاثمائة واستخلف على إفريقية والغرب بُلُكّينَ بنَ زِيري وأنزله القيروان، وسماه يوسف، وكنَّاه أبا الفتوح، واجتمع له ملك مصر والشام وبلاد المغرب، فبقي إلى ما بعد خلافة المطيع.

وكانت تِلِمْسان بيد يَعْلى بن محمد اليفرني ولاّها له الناصر الأموي في سنة أربعين وثلاثمائة، وتوفي، فوليها بعده محمد بن الخير بن محمد بن خزر، داعية الحكم المستنصر الأموي، في حدود سنة ستين وثلاثمائة، وبقي حتى مات في حرب صنهاجة، وغلبت صنهاجة على تلمسان، فبقيت بأيديهم إلى ما بعد خلافة المطيع.

وكان على الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموي، وتوفي في رمضان سنة خمسين وثلاثمائة، وولي بعده ابنه الحكم وتلقب المستنصر، فبقي إلى ما بعد خلافة المطيع.

الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق
الطائع لله

(٨٤ أ) وهو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع المقدم ذكره، وقد تقدم نسبه.

وأمه أم ولد اسمها هزار. بويع له بالخلافة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وبقي حتى خلع نفسه، على ما سيأتي، لعشر بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، فكان مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً، وبقي بعد خلعه عند القادر بالله الآتي ذكره، حتى توفي في خلافة القادر ليلة الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. وعمره ست وسبعون سنة[1].

(١) في جمهرة أنساب العرب ص ٢٧ أن الطائع ولد جعفراً وأنه لم يبلغه له ولد غيره.

الحوادث والماجريات في خلافته

قال المؤيد صاحب حماة: ولم يكن للطائع في ولايته من الحكم ما يُستدلّ به على حاله. ولما بويع بالخلافة انحدر سبكتكين إلى واسط، وتبعه الطائع والمطيع وهو مخلوع، فمات المطيع بدير العاقول، ومرض سبكتكين ومات، فحُمل إلى بغداد فدفن بها. وقدم عسكرُ سبكتكين عليهم أفتكين أحد قوادهم، وسار إلى واسط وبها بختيار، فجرى بينهم وبين بختيار قتال كبير، وبعث بختيار إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة صاحب فارس يستنجده، فقدم عضد الدولة العراقَ، واستولى على بغداد بعد قتال، وأعاد الخليفة إلى دار الخلافة، ورأى عضد الدولة عجْزَ بختيار عن القيام بأمر الجند، فأشار عليه بصرف نفسه عن الإمرة، ففعل، ثم قبض عليه بعد ذلك وحبسه، واستبدّ عضد الدولة بالأمر، وأحسن إلى الخليفة الطائع وعظّمه وأتحفه بالأموال، وبلغ الخبرُ ركنَ الدولة بن بويه بفارس، فأنكر على ابنه عضدِ الدولة، وأرسل يتوعده ويهدده بسبب بختيار، فردّ عَضدُ الدولة الأمْر إلى بختيار، وخلع عليه وأعاده إلى ما كان عليه، وسار عنه إلى فارسَ موضعِ ملكِ أبيه ركن الدولة، وبقي الأمر (٨٤ ب) على ذلك حتى مات ركن الدولة في سنة ست وستين وثلاثمائة، واستخلف على ملكه ابنه عضد الدولة، بعد أن عقد لابنه فخر الدولة على هَمَذَان وأعمال الجَبَل. ولابنه مُؤيد الدولة على أصفهان وأعمالها، وجعلهما تحت حكم أخيهما عضد الدولة في هذه البلاد، وسار عضد الدولة بعد وفاة أبيه إلى العراق، فدخل بغداد وقد خرج عنها بختيار إلى جهة الشام، ثم عاد إلى بغداد لقتال عضد الدولة، فقبض عضدُ الدولة عليه ثم قتله، واستقر عضد الدولة في تدبير أمور الخلافة ببغداد، وبقي إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، فكانت ولايته بالعراق خمس سنين وستة أشهر، وهو الذي بنى سور المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. وولي الأمر بعده ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، ثم سُمِل، وكان أخوه شرف الدولة بن عضد الدولة بكرمان، فلما بلغه موت أبيه سار إلى فارس وملكها وقطع خطبة أخيه صمصام الدولة، ولم يزل حتى قصده أخوه صمصام الدولة أبو كاليجار فقبض[1] عليه، ثم سار إلى بغداد فدخلها وأخوه صمصام الدولة في قبضته، فكانت إمارة صمصام الدولة ببغداد ثلاث سنين، ثم سيَّر صمصامَ الدولة إلى فارس فاعتقله بها، ثم سَمَله في سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. ثم توفي شرف الدولة المذكور، فكانت إمارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر. واستقر في الإمارة مكانه أخوه أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة، وخلع عليه الطائعُ وقلّده السلطنة، ثم طمع بهاء الدولة في مال الطائع، فبعث إليه يسأله الإذن في الحضور ليجدد العهد به، فجلس الطائع على كرسي، فدخل بعض الديلم

---

(١) في الأصل: وقبض.

كأنه يريد تقبيل يد الطائع، فجذبه عن سريره (١٨٥) والخليفة يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ويستغيث فلا يغاث، وحُمِل الطائعُ إلى دار بهاء الدولة، فأشهد على نفسه بالخلع في التاريخ المذكور، وكان ممن حضر القبض عليه الشريفُ الرَّضيُّ فبادر بالخروج من دار الخلافة وأنشد من جملة أبيات[١]:

أمسيتُ أرحَمُ مَن قد كنتُ أغبِطُه ... لقد تقارَبَ بين العزِّ والهُونِ
ومنظرٍ كان بالسرَّاءِ يُضحكني ... يا قُرْبَ ما عاد بالضرَّاءِ يُبكيني
هيهاتَ أغترُّ بالسلطان ثانيةً ... قد ضلَّ عِنْدِيَ وُلاَّجُ السلاطينِ[٢]

ولايات الأمصار في خلافته

كانت مصر والشام بيد المعزّ معَدّ العُبيدي الفاطمي، فتوفي في ثالث ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة. وولي بعده ابنه العزيز بالله أبو المنصور نزار، وبني الجامع العزيزي بمدينة بِلْبيس، ولما وَلِيَ العزيزُ مصرَ والشام ولَّى كتابته رجلاً نصرانياً اسمه عيسى بن نسطورس، واستناب بالشام رجلاً يهودياً اسمه ميسا، فاستطالت النصارى واليهود على المسلمين، فعمد أهل مصر إلى قراطيس عملوها على صورة امرأة ومعها قصة، وجعلوها في طريق العزيز، فأخذها العزيز فإذا فيها: بالذي أعز اليهود بميسا، والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك إلا ما كشفت عنا. فقبض على عيسى النصراني فصادره، وعزل ميسا عن الشام.

وكان على دمشق رَيَّان خادم المعز الفاطمي نيابة عنه، ثم غلب عليها أفتكين[٣] مولى معز الدولة بن بويه الديلمي، وقطع الخطبة بها للمعز الفاطمي، وخطب للطائع العباسي في سنة أربع وستين وثلاثمائة، ثم انتزعها منه المعز الفاطمي بعد ذلك وقبض عليه بعد قتال جرى بينهما، وأحضره معه إلى مصر، وأنزله هو ومن معه من الديلم داخل بابي زويله على القرب من (٨٥ب) حارة الديلم، فسميت بهم حارة الديلم إلى الآن. ثم بعد موت المعز وولاية ابنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه قسام، وكان يُخطب بها للعزيز الفاطمي، ثم انتزعها العزيز من قسام[٤] وقرر فيها بكتكين[٥] في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، ثم انتزعها منه بكجور مولى قَرْعويه صاحب حلب بأمر العزيز الفاطمي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع.

---

(١) ديوان الشريف الرضي ص ٥٢٣.
(٢) في الديوان: قد ضل ولاج أبواب السلاطين.
(٣) في معجم الأنساب والأسرات كتب: البتكين. وبالهامش عن ابن القلانسي ص١١ أن اسمه الفتكين.
(٤) في الأصل «ابن قسام». والتصويب من صبح الأعشى ج٤ ص ١٦٤.
(٥) في الأصل. بلكتكين. والتصويب من صبح الأعشى. وفي معجم الأنساب ص ٤٤ بلتكين أو يلتكين.

وكانت حلب بيد قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان، فغلب عليها بكجور غلام قرعويه المذكور واقتلعها منه، ثم انتزعها منه سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان، فبقي إلى ما بعد خلافة الطائع[1].

وكان على مكة الحسن بن جعفر السليماني، فمات، فولي عليها أخوه عيسى، وبقي إلى ما بعد خلافة الطائع[2].

وكان على المدينة النبوية أبو الحسين طاهر من ولد مسلم بن طاهر بن الحسن الحسيني، فبقي بها إلى ما بعد خلافة الطائع.

وكان اليمن بيد بني زياد.

وكان ما وراء النهر بيد الخانيّه من ملوك الترك.

وخراسان بيد منصور بن نوح، فمات في سنة ست وستين وثلاثمائة، وولي بعده ابنه نوح بن منصور، فبقي إلى ما بعد خلافة الطائع.

وفي سنة ست وستين وثلاثمائة استولى عضد الدولة على بلاد جُرجان وطبرستان، وأجلى عنها صاحبها قابوس. وكان على إفريقية وبلاد المغرب بُلُكِّين[3] بن زيري، من قِبَلِ المعز الفاطمي صاحب مصر والشام، إلى أن توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وولي مكانه ابنه المنصور بن بلكين، من جهة العزيز بن المعز المذكور، فبقيّ إلى ما بعد خلافة الطائع.

وكانت تلمسان بيد صنهاجة، فبقيت بأيديهم إلى ما بعد خلافة الطائع.

وكان على الأندلس المستنصر. (٨٦ أ) الحكم بن الناصر عبد الرحمن الأموي، فتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة، وعهد إلى ابنه هشام ولقبه المُؤيد، وبايعه الناس بعد موت أبيه، فبقي إلى ما بعد خلافة الطائع.

الخامس والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق
القادر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، وقد تقدم نسبه.

وأمه أم ولد اسمها دمنة[4]، وقيل: عين، بويع له بالخلافة لعشر بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة يوم خلع الطائع، وهو يومئذ غائب بالبطائح من العراق عند مهذّب

---

(١) و(٢) في الأصل: «المطيع» والكلام عن الطائع.

(٣) في الأصل بلكتكين. والتصويب من صبح الأعشى ج٤ ص١٦٤.

(٤) في تاريخ الخلفاء ص ١٦٥ اسمها تمنى وقيل دمنة.

الدولة صاحب البطائح، مختفياً من الطائع لأمر بلغه عنه، فأرسل بهاء الدولة إليه خواصَّ أصحابه لِيَقْدمَ وهم في خدمته، فلما قرب من بغداد خرج بهاء الدولة وأعيان الناس لملاقاته، ودخل دار الخلافة في الثامن عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة، وبايعه حينئذ البيعة العامة وخطب له على المنابر في الثالث عشر من شهر رمضان المذكور، وبقي حتى توفي في ذي الحجة سنة[١] اثنتين وعشرين وأربعمائة، وعمره ست وثمانون سنة، ومدة خلافته إحدى وأربعون سنة وأشهر[٢]، وكان له من الأولاد القائم بأمر الله الآتي ذكره وغيره.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما استقر في الخلافة وسار من البطائح إلى بغداد وصله مهذبُ الدولة صاحب البطائح بأموال جمّة، وقام بتدبير دولته بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى أن توفي بأَرَّجَان، وقد ملك العراق في سنة ثلاث وأربعمائة، وكان مدةَ ملكه أربعٌ وعشرون سنة، وولي بعده بغداد وما معها ابنه (٨٦ ب) سلطان الدولة أبو شجاع، وبقي إلى أن تشغّب عليه الجند في سنة إحدى عشرة وأربعمائة، فاستخلف على العراق أخاه مشرف الدولة[٣]، وسار إلى الأهواز، ثم بدا له في صرف أخيه مشرف الدولة، فبعث جيشاً لقتاله، فكانت الكسرة على جيش سلطان الدولة، فتضعفت نفسه، وهرب إلى الأهواز في فُلٍّ من الناس، وبقي مشرف الدولة حتى توفي في ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة. فكانت مدة ملكه خمس سنين وعشرين يوماً، وخلت بغداد من سلطان، فتسلط الأتراك على الناس بالمصادرات، وطمع أوباش الناس في رؤسائهم، ثم سار جلال الدولة بن بهاء الدولة من البصرة إلى بغداد باستدعاء القادر الخليفة والجند له، فخرج القادر لملتقاه وحلّفه واستوثق منه، ودخل بغداد ثالث رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة، واستقر في بغداد خاصة، وباقي الأعمال لأبي كاليجار بن سلطان الدولة.

وفي أيامه في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ملك الروم مدينة حمص واستولوا عليها، وفيها حدث بدمشق زلزلة عظيمة سقط منها زهاءُ ألف دار، ومات تحت الردم خلق كثير، وخسفت قرية من قرى بَعْلَبَكّ، وخرج الناس من دورهم إلى الصحارى، وفي سنة عشرة وأربعمائة سقط بالعراق بَرَدٌ كِبار وزن البَرَدةِ رطلان فأقل، وأصغرها بقدر البيضة.

---

(١) في الأصل في ذي حجة.

(٢) في ابن الأثير ج٩ ص١٥٥ ثلاثة أشهر وعشرون يوماً ووصفه في ابن الأثير وحياة الحيوان ج١ ص٧٩ أنه كان أبيض طويل اللحية كبيرها يخضبها لشيبه، له مصنف في السنة وذم المعتزلة والروافض.

(٣) في الأصل: شرف الدولة. والتصويب من ابن الأثير ج٩ ص١١٨ و ١٢٩ وانظر صبح الأعشى ج٤ ص٤١٨.

وفي أيامه توفي الصاحب أبو القاسم بن عباد وزير فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه، بالرّيّ، نقل إلى أصفهان فدفن بها، وهو أول من لُقب الصاحب من الوزراء، وذلك أنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد، فقيل له: صاحب بن العميد، ثم أطلق عليه هذا اللقب لمَّا تولى الوزارة، وبقي علماً عليه، ثم تلقب به كل من ولي الوزارة بعده.

(٨٧ ا) وفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة توفي الحاتميّ أحد الأعلام في اللغة والأدب، وهو صاحب «الرسالة الحاتمية» التي يُنزل فيها أبياتاً للمتنبي على كلام أرسطو.

وفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة توفي ابنُ الحجَّاج الشاعر المَجّان، وكان شيعياً، فأوصى أن يدفن عند مشهد موسى بن جعفر، وأن يكتب على قبره ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ [الكهف: الآية ١٨].

ولايات الأَمصار في خلافته

كانت مصر بيد العزيز بن المعز العُبيديِ الفاطمي، فتوفي في رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وولي بعدّه ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور سَلْخَ[1] رمضان المذكور، وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر، وبنى الجامع الحاكميّ على القرب من باب الفتوح، وكان حين بنائه خارج القاهرة، ولما بُني استقرّت الخطبة فيه، وانقطعت الخطبة من الجامع الأزهر في سنة سبع وستين وخمسمائة بعد زوال الدولة الفاطمية، واستقرت الخطبة بجامع الحاكم، ولم تزل الخطبة بالجامع الأزهر معطلة إلى سنة خمس وستين وستمائة في سلطنة الظاهر بيبرس، فخطب فيه.

وبنى أيضاً جامع راشد، جنوبي الفسطاط، وأنشأ عدة مساجد بالقرافة، ونقل إلى الجامع العتيق بالفسطاط وغيره من الجوامع من المصاحف وآلات الفضة والستور ما له قيمة جليلة، واستقرت الخطبة فيه من يومئذ، وعظم شأنه حتى صار أعظم جوامع القاهرة وأكثرها جماعة وجمعاً.

وكان الحاكم جواداً بالمال سفاكاً للدماء، قتل عدداً كثيراً من أماثل أهل دولته وغيرهم صبراً، وكانت سيرته من أعجب السير، جرى في أيامه أمور عجيبة من تغير أحواله في كل وقت من غير أن يعلم قصده في ذلك. وقتل غيلة على القرب من حلوان. ولم يعرف قاتله. واطلع على قتله في[2] الثالث من ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وعمره يومئذ ست وثلاثون سنة، وولي بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن عليّ بن الحاكم المقدم ذكره، في يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة (٨٧ ب) وأربعمائة، فبقي إلى ما بعد خلافة القادر.

---

(١) في صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٣٠ أن العزيز مات ثامن رمضان وأن الحاكم تولى ليلة وفاة أبيه.

(٢) هنا كلمة مضروب عليها بالقم وفي صبح الأعشى ج٣ ص٤٣٠ قتل في سلخ شوال سنة ٤١١هـ.

وكان على دمشق منير الخادم، من جهة العزيز الفاطمي فولى عليها الحاكم بن العزيز أبا محمد الأسود، في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، فبقي إلى ما بعد خلافة القادر، وأفرط في التشيع، حتى أنه شَهر رجلاً مغربياً بها ونادى عليه: هذا جزاءُ من يُحب أبا بكر وعمر، فلا أحسن الله جزاءه.

وكان على حلب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان، ثم تقلدها أبو علي بن مروان من[1] الفاطمي خليفة مصر، في سنة ثمانين وثلاثمائة، ولم يدخلها، وبقيت بيد سعد الدولة، حتى توفي بالفالج في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة[2]، وولي بعده ابنه أبو الفضائل[3] ثم انتزعها منه أبو نصر [بن][4] لؤلؤ، وخطب بها للحاكم الفاطمي، ثم أمره لحاكم بتسليمها إلى نوابه، فتسلموها منه واستقرت بأيديهم حتى وليها منهم رجل اسمه عزيز الملك، فبقي بها بقية أيامه، ثم صارت إلى الظاهر بن الحاكم، فوليها عنه ابن سفيان[5]، فبقي إلى ما بعد خلافة القادر.

وكان على الموصل حسام الدولة المُقَلَّد بن المسيّب العقيلي، وهو أول من استولى منهم على الموصل، ملكها في سنة ثمانين وثلاثمائة، وبقي حتى قتل في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بعد أن عظم شأنه، وقام مقامه في ذلك ابنه قرْواش بن المقلد.

وكان على مكة عيسى بن جعفر، ثم ولى بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم الحسن بن محمد بن سليمان[6] سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، ثم جاءت عساكر عضد الدولة بن بويه، ففر الحسن وترك مكة، ولما مات المُعزّ وولي بعده ابنه العزيز بعث إلى مكة أميراً علويًا، فخطب له بالحرمين، واستمرت الخطبة بمكة للعلويين إلى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وفي سنة ثمان وثمانين (٨٨ ١) وثلاثمائة خُطب لعضد الدولة بن بويه، ثم عادت الخطبة بمكة إلى الخلفاء الفاطميين بمصر، ثم كتب الحاكم الفاطمي سنة ثنتين وأربعمائة[7] إلى عماله بالبراءة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأنكر ذلك أبو الفتوح

---

(١) في الأصل: «ثم تقلدها أبو علي مروان بن الحكم الفاطمي» وهذا خطأ والتصويب من صبح الأعشى ج٤ ص١٦٨.

(٢) في الأصل: سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وهذا خطأ واضح والتصويب من ابن الأثير ج٩ ص٣٣ والنجوم الزاهرة ج٤ ص ١٦١ وفي صبح الأعشى ج٤ ص ١٦٨ سنة ثلاث وتسعين وهو خطأ أيضاً.

(٣) في الأصل: أبو الفضل. والتصويب من ابن الأثير وغيره وفي صبح الأعشى ج٤ ص١٦٨ أبو الفضل.

(٤) في الأصل أبو نصر لؤلؤ والتصويب من ابن الأثير ج٩ ص٨٤ حوادث سنة ٤٠٢ وصبح الأعشى ج٤ ص ١٦٩.

(٥) في صبح الأعشى ج٤ ص١٦٩ ابن شعبان.

(٦) في صبح الأعشى ج٤ ص ٢٦٩: ثم الحسن بن محمد بن سليمان.

(٧) في الأصل: «سنة ثنتين وأربعين وأربعمائة». والتصويب مقتبس من كتاب المنتقى في أخبار =

أمير مكة، وحمله ذلك على أن استبد بالأمر في مكة وخطب لنفسه بالراشد بالله، وقطع الحاكمُ الفاطمي المِيرَةَ من مصر عن الحرمين، فرجع أبوالفتوح إلى طاعته، فأعاده إلى إمارته في سنة ثنتي عشرة وأربعمائة[1] وخطب بعد ذلك للظاهر بن الحاكم.

وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ضرب رجل من جُفاة مصر الحجر الأسود بدبوس فصدعه وثلمه، فبادر إليه الناس فقتلوه. وبقي أبو الفتوح في إمارة مكة إلى ما بعد خلافة القادر.

وكان على المدينة النبوية أبو الحسن طاهر، فبقي فيها سنتين، ثم توفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وولي بعده ابنه أبو محمد الحسين بن طاهر.

قال العتبي: وكان موجوداً في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، وغلبه على إمارتها بنو عم أبيه أبي أحمد القاسم ابن عبيد الله بن طاهر بن يحيى، واستقلوا بها.

وقال العتبي: وليها بعد طاهر صهره وابن عمه داود بن القاسم.

وقال ابن سعيد: ملك أبو الفتوح الحسن بن جعفر السليماني أمير مكة المدينة سنة تسعين وثلاثمائة بأمر الحاكم الفاطمي، أزال إمرة بني الحسين منها، وحاول الحاكم الفاطمي نقل الجسد الشريف النبوي إلى مصر ليلاً، فهاجت بهم ريح عظيمة أظلم منها الجو، وكادت تقلع المباني من أصلها، فردهم أبو الفتوح عن ذلك وعاد إلى مكة، ورجع أُمراء المدينة إليها، فوليها منهم هانىء بن داود بن قاسم، ثم مُهَنَّا أخوه.

قال الشريف الحرّاني[2] النسابة (٨٨ ب) وكان بها في سنة ثمان وأربعمائة أبو عمارة حمزة، ومقتضى كلامهم[3] أنه بقي إلى ما بعد خلافة القادر.

وكان على اليمن من بني زياد أبو الجيش بن إبراهيم، فبقي حتى توفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وخلّف طفلاً كفلته أُخته هند بنت أبي الجيش مع عبد لأبيه اسمه رشد[4]، فبقي حتى مات، فتولى مكانه حسين بن سلامة، وصار وزيراً لهند وأخيها حتى

= أم القرى ص ٢٠٩: «وكان عصيان أبي الفتوح في سنة إحدى وأربعمائة على ما ذكر صاحب المرآة وغيره، ورأيت في تاريخ لبعض شيوخنا أن ذلك في سنة اثنتين وأربعمائة ورأيت في تاريخ النويري ما شهد لذلك». هذا وفي صبح الأعشى ج٤ ص ٢٦٩ وقع هذا الخطأ أيضاً.

(١) لعل الصواب سنة ثلاث وأربعمائة كما يفهم من كتاب المنتقى ص ٢٠٩ هذا والحاكم مات سنة ٤١١ وفي صبح الأعشى ج٤ ص٢٦٩: وفي سنة ثنتي عشرة وأربعمائة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم.

(٢) في الأصل: الجواني والتصويب من صبح الأعشى ج٤ ص٢٩٩.

(٣) لعلها: ومقتضى كلامه.

(٤) في صبح الأعشى ج٥ ص ٢٨ اسمه رشيد.

ماتا، ثم ملكوا عليهم طفلاً اسمه إبراهيم، وقيل: عبد الله بن زياد، وقام بأمره عمته وعبد من عبيد حسين بن سلامة اسمه مرجان، فقبض عبدٌ لمرجان اسمه قيسٌ على الطفل وعمته في سنة سبع وأربعمائة، واستبد بالملك. ثم قُتل قيسٌ بِزَبِيد، وملك بعده نجاحٌ عبدُ مرجان، وعظم شأنه، وركب بالمظلة، وضُربت السِّكة باسمه، وبقي إلى ما بعد خلافة القادر.

وكان على خراسان وما وراء النهر نوح[1] بن منصور الساماني، فمات في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وقام بالأمر بعده أبو الحارث منصور بن نوح، فبقي حتى قبض عليه بكتوزون في سنة ثمان[2] وثمانين وثلاثمائة، وسمل عينيه وأقام في الملك أخاه عبد الملك وهو صبي صغير، فكتب محمود بن سُبُكتِكين صاحب غَزْنة إلى بكتوزون ينكر عليه ما كان من فعله مع منصور بن نوح، ثم سار إلى خراسان فاستولى عليها وقطع خطبة السامانية منها، وبذلك زالت دولتهم من خراسان، وبقي ما وراء النهر مع عبد الملك بن نوح وبكتوزون، فسار إليهم ايليك خان ملك تركستان، ودخل بخارى عاشر ذي القعدة[3] سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وقبض على عبد الملك بن نوح وحبسه حتى مات في الحبس، وزالت دولة السامانية مما وراء النهر أيضاً، وكانت قد انتشرت وطبقت أكثر الأرض، وكانت من أحسن الدولة سيرة وعدلاً وتوالت (٨٩ ا) عليها أيدي ملوك التركستانية، إلى أن غلب عليها ملكشاه السَّلجوقي، على ما سيأتي ذكره.

وكانت غَزْنَة أولاً مع بني سامان مع خراسان، فلم تزل بأيديهم حتى غلب عليها سُبُكْتِكِين أحد مماليك أبي إسحاق صاحب[4] جيش غزنة للسامانية المقدم ذكره في سنة ست وستين وثلاثمائة، بعد موت أبي إسحاق المذكور. وذلك ابتداء ملك سُبُكْتِكِين، ثم مات وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل، ثم غلب عليها أخوه محمود بن سبكتكين واستضاف إليها بعض خراسان، في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وقطع خطبة السامانية، وبقي حتى توفي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، بعد أن فتح الكثير من بلاد الهند، وأحرق صنمهم الأعظم بسُومَنات[5] وكسره، وحمل بعضه إلى غزنة فجعله عَتَبَة جامِعها، وملك بعده ابنه

---

(١) كتب في الأصل: نرج وهو خطأ وكذلك فيما جاء بعد ذلك مرتين ثم جاء صواباً وانظر ابن الأثير ج ٩ ص٤٨ وصبح الأعشى ج٤ ص٤٤٧.

(٢) في ابن الأثير ج٩ ص٥٤ أن ذلك كان سنة ٣٨٩.

(٣) في الأصل: ذي قعدة.

(٤) في الأصل: حاجب، والتصويب من صبح الأعشى ج٤ ص٤٤٨.

(٥) سومنات مدينة ساحلية بها علماء الهنود وعبادهم والصنم المعروف بها يسمى «البد» انظر النجوم الزاهرة ج٤ ص٢٦٦ هامش نقلاً عن نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ١٧٠.

محمد[1] بن محمود، بعهد من أبيه إليه، فبقي إلى ما بعد خلافة القادر.

وكان على إفريقية المنصور بن بُلُكِّين[2] من جهة العزيز بن المعز الفاطمي، وبقي حتى توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، وقام بالأمر بعده ابنه بَاديس بن المنصور، وبقي حتى توفي سنة ست وأربعمائة، فجأة وهو نائم بين أصحابه، وقام بالأمر بعده ابنه المُعِزّ بن باديس وهو ابن ثمان سنين، وبقي إلى ما بعد خلافة القادر، فانتحل السُّنَّة ورفض التشيُّع.

وكان بلكين بن زِيري صاحب إفريقية قد غلب على الغرب الأوسط في سنة تسع وستين وثلاثمائة، وأجلوا عنه مَغْرَاوَةَ الذين كانوا به من تقادم السنين، وبعث العزيز الفاطمي من مصر جيشاً لاسترجاع مُلْكه بالغرب في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، فلم يظفروا بقصد، ثم استولى هشام بن الحكم الأموي بالأندلس على بلاد المغرب[3] وكتب له بذلك عهداً، وبقي على ذلك، إلى أن مات في سبع عشرة وأربعمائة، وولي من بعده (٨٩ ب) ابن عمه حَمَامَة بن المعز بن عطية، فبقي إلى ما بعد خلافة القادر.

وكانت تلمسان من الغرب الأوسط بيد صنهاجة إلى أن استقل زيرى بن عطية بولاية المغرب وطرده المنصور بن أبي عامر من الغرب الأقصى، فصار إلى تلمسان واستولى عليها، ثم عقد المظفر الأموي[4] صاحب الأندلس على بلاد المغرب للمعز بن زيري سنة ست وتسعين وثلاثمائة، فاستعمل على تلمسان ابنه يعلى، واستقرت ولايتها في بني زيري إلى حين انقراض دولتهم بِلَمْتُونة، في أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين.

وكان على الأندلس المؤيد هشام، فبقي إلى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، ثم غلبه على ذلك محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المقدم ذكره، وتلقب

---

(١) في صبح الأعشى ج٤ ص٤٤٨ أن محمد بن محمود قدم عليه أهل المملكة أخاه مسعود ابن محمود وملكوه عليهم، وانظر النجوم الزاهرة ج٤ ص٢٣٤ وابن الأثير ج٩ ص١٤٨.

(٢) في صبح الأعشى ضبط بضم فسكون فكسر بدون تشديد. وضبطنا كما أثبته ابن خلكان باللفظ في كتابه في ترجمة بلكين.

(٣) لاشك أن هنا سقطاً ملخصه «أن بني مغراوة ومنهم زيري بن عطية بن زناتة «وزيري هو غير بلكين بن زيري من صنهاجة» انحاز بقوته إلى المنصور بن أبي عامر ثم فسد الأمر بينهما ثم عاد إلى ما كان وأقام زيري بن عطية الدعوة لهشام بن الحكم خليفة الأندلس وصاحبه المنصور من بعده وبقي على ذلك إلى أن مات سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وبويع بعده ابنه المعر بن زيزي ومات المنصور خلال ذلك وقام ابنه المظفر عبد الملك وبعث المعز ابن زيزري يرغب إلى المظفر في عمل فاس والمغرب الأقصى فأجابه إلى ذلك وكتب له عهده بذلك». انظر صبح الأعشى ج٥ ص١٨٦ فبهذا يستقيم الكلام والتاريخ. وفي الأصل هشام بن عبد الملك.

(٤) «المظفر الأموي» كذا ولعل في الأصل تحريفاً صوابه «المؤيد هشام الأموي».

بالمهدي، في جمادى الآخرة من هذه السنة، ثم غلبه عليه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المقدم ذكره في شوال منها، ثم غلب عليه المهديّ محمد بن هشام، ثم عاد هشام بن الحكم المقدم ذكره في ذي الحجة من السنة المذكورة، ثم عاد سليمان بن الحكم المقدم الذكر في منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة، وتلقب بالمستعين، ثم غلب عليه المهديّ محمد بن هشام المتقدم الذكر في أخريات السنة المذكورة، ثم غلبه المستعين على قرطبة، ثم قُتِل المهديُّ محمد بن هشام المذكور وعاد المؤيدُ هشامٌ، [هذا والمستعين][1] في ذلك كله محاصر قرطبة إلى أن فتحها في سنة ثلاث وأربعمائة، وقَتل المؤيَّدَ هشاماً. ثم غلبه عليُّ بن حَمُّود وأخوه قاسم من الأدارسة على قرطبة وملكوها وقتلوا المستعين، وأزالوا ملك بني أمية من الأندلس في سنة سبع وأربعمائة، واتصل ذلك في خَلَف الأدارسة سبع سنين، ثم غلب عَلَى عليِّ بنِ حَمُّود عبدُ الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، ثم (١٩٠) رجع الأمر إلى يحيى بن عليّ بن حَمُود سنة ست عشرة وأربعمائة، ثم بويع المعتدّ بالله[2] هشام بن محمد أخي المرتضى الأموي، سنة ثمان عشرة وأربعمائة، فبقي إلى ما بعد خلافة القادر.

السادس والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق
القائم بأمر الله

وهو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله المقدم ذكره.

وأمه أم ولد اسمها بدر الدجى[3]، وولادته سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، بويع له بالخلافة عقب موت أبيه القادر في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وأرسل أقضى القضاة أبا الحسن الماورديّ الشافعي إلى الملك أبي كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بفارس وما معها، فأخذ له البيعة عليه، وخطب له في بلاده، وبقي حتى توفي ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وأيام. وكان سبب موته فيما ذكر أنه أصابه ماشر[4] فافتصد، فانفجرت فصادته وهو نائم، فخرج

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى ج٥ ص ٢٤٦.

(٢) في الأصل: المقتدر بالله وفي صبح الأعشى ج٥ ص ٢٤٦ المتعمد بالله وسيأتي في الأصل في ج٢ ص ٢٤٨ أنه المعتد بالله وهو يتفق مع معجم الأنساب والأسرات ص ٢.

(٣) في تاريخ الخلفاء ص ١٦٧ أم ولد أرمنية اسمها بدر الدجى وقيل قطر الندى، وفي ابن الأثير ١٠/ ٣٥ قطر الندى أو اسمها علم.

(٤) في الأصل: ماشراً. هذا والماشر: انتفاخ في البدن.

منه دم كثير وهو لا يشعر، فاستيقظ وقد سقطت قوته، فأحضر وزيره ابن جَهِير[1] والقضاة وأشهدهم أنه جعل ابن ابنه عبد الله ابن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله ولّي عهده، ومات ومدة خلافته أربع وأربعون سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرون يوماً، ولم يكن له عقب غير ابنه المذكور.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة قام بتدبير دولته جلال الدولة بن بهاء الدولة بن بويه الديلمي، وتشغبت عليه الجند ببغداد في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ونهبوا داره (٩٠ ب) وأخرجوه من بغداد، وكتبوا إلى الملك أبي كاليجار يستدعونه إلى بغداد، ثم وقع الاتفاق بين جلال الدولة والجند، وعاد جلال الدولة إلى بغداد، وفي سنة ست وعشرين وأربعمائة انحلّ أمر الخلافة والسلطنة ببغداد، وعظم أمر العيَّارين، وصاروا يأخذون أموال الناس ليلاً ونهاراً، ولا مانع لهم والسلطانُ جلال الدولة عاجز عن دفعهم، وانتشرت العرب في النواحي فنهبوا البلاد وقطعوا الطرق، ثم وقعت الوحشة بين جلال الدولة وبين القائم بأمر الله الخليفة في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، بسبب أن الجوالى[2] كانت تُجبي وتحمل إلى الخليفة لا يعارضه فيها الملوك، فاستولى عليها جلال الدولة في هذه السنة، ثم توفي جلال الدولة ببغداد في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، فكان ملكه ببغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً، ولما مات كان ابنه الملك العزيز بواسط، فكاتبه الجند في أمر السلطنة، فلم يجد من يُعينه على ذلك، ومات قبل انتظام أمره، فكاتب الملكُ أبو كاليجار المرزبان بنُ سلطان الدولة بن ركن الدولة بن بويه صاحبُ فارس وما معها عسكَرَ بغداد في استقرار السلطنة ببغداد له، فأجابوه إلى ذلك، وخُطب له ببغداد في صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وخطب له أيضاً أبو الشوك ودبيس بن مَزْيَد[3] ونصر الدولة بن مروان ببلادهم، ثم سار أبو كاليجار المذكور إلى بغداد فدخلها في رمضان من هذه السنة، وزينت بغداد لقدومه، ثم توفي أبو كاليجار في رابع جمادى الأولى سنة أربعين وأربعمائة بمدينة جناب من كرمان وعمره أربعون سنة، فكان ملكه العراقَ أربع سنين وشهرين، ولما وصل خبر وفاة أبي كاليجار إلى بغداد (١٩١) وبها ولده الملك الرحيم، جمع الجند واستخلفهم واستولى على بغداد، ثم أرسل الملك الرحيم عسكراً إلى شيراز قاعدة فارس، فقبضوا على

---

(١) ضبطه ابن خلكان في ترجمته له محمد بن جهير بفتح الجيم وكسر الهاء أما ضبط معجم الأنساب والأسرات فبالتصغير انظر ص ٢٣.

(٢) الجوالي جمع جالية وهي الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة ثم استعملت في كل جزية.

(٣) في النجوم الزاهرة ٥: ٣١ دبيس [بن علي] بن مزيد.

أخيه أبي المنصور القائم مقام أبيه بفارس في شوال من هذه السنة، وخُطب للملك الرحيم بشيراز، ثم سار الملك الرحيم من بغداد إلى خوزستان فلقيه من بها من الجند وأطاعوه، ثم سار طغرلبْك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقي نحو بغداد، حتى وصل حلوان، فعظم، الإرجاف ببغداد، وبعث قواد بغداد يبذلون له الطاعة وأن يخطبوا له، فأجابهم طغرلبك إلى ذلك، وتقدم القائم الخليفة بذلك فخطب له بجوامع بغداد، لثمان بقين من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة، ثم أرسل طغرلبك يستأذن الخليفة في دخول بغداد، فتوجهت إليه رسل الخليفة وحلّفوه للخليفة وللملك الرحيم المقدّم ذكره، فحلف لهما، وسار طغرلبك حتى دخل بغداد فنزلها، واتفق أن بعض عسكر طغرلبك وقع بينه وبين السوقة فتنة، فثار أهل تلك المحلة على من فيها من عسكر طغرلبك ونهبوهم، وثارت الفتنة بين العامة وعسكر طغرلبك، واتهم طغرلبك الملك الرحيم في أنه السبب في تلك الفتنة، فالتمس حضوره من الخليفة، فخرج إليه هو وأعيان القواد، فقبض طغرلبك على الملك الرحيم وسائر القواد الذين معه، فعظم ذلك على الخليفة وبعث إلى طغرلبك في أمرهم، فأفرج عن بعض القواد، واستمر بالباقين وبالملك الرحيم في الاعتقال.

وبالقبض على الملك الرحيم زال ملك بني بويه عن العراق، واستقرت الدولة السلجوقية، وسار طغرلبك عن بغداد في عاشر ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، بعد أن أقام ببغداد ثلاثة عشر شهراً وأياماً، لم يلق فيها الخليفة (٩١ ب) واستولى طغرلبك في خرجته تلك على الموصل وأعمالها، ثم عاد إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وأربعمائة ودخل بغداد، وقصد الاجتماع بالخليفة القائم، فجلس له الخليفة، وعليه البردة، على سرير عال من الأرض نحو سبعة أذرع، فقبل طغرلبك الأرض بين يدي الخليفة، وجلس على كرسي، ثم قال له الخليفة على لسان رئيس الرؤساء: إن الخليفة قد ولاّك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاد، ورد إليك مراعاة عباده، فاتَّقِ الله فيما ولاك، واعرف نعمته عليك، وخلع على طغرلبك وأعطى العهد، فقبّل الأرض ويد الخليفة ثانياً وانصرف، ثم أرسل طغرلبك إلى الخليفة خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً من الأتراك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها، ثم سار طغرلبك من بغداد إلى هَمَذَان في سنة خمسين وأربع مائة، وتبعه من كان ببغداد من الأتراك، فقصد أرسلان البساسيري، وهو مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، ومعه قُرَيش بن بدران إلى بغداد، فدخلها ثامن ذي القعدة من هذه السنة، وخطب بجامع المنصور للمستنصر العلوي خليفة مصر، وأمر بأن يؤذن فيها: بحيّ على خير العمل. ثم ركب البساسيري في جمع ونهب الحريم، ودخل الباب النّوبيّ، فركب الخليفة القائم لابساً السواد، وعلى كتفه البردة، وبيده سيف، وعلى رأسه اللواءُ، وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة، وسَرَى النهب إلى باب الفردوس من داره، فلما رأى القائم ذلك رجع القهقرى، ودخل المَنْظَرة، فقال رئيس

الرؤساء لقريش بن بدران: أمير المؤمنين القائم يستذمُّ بِذِمامك وذِمام رسول الله ﷺ وذِمام العَرَبِيّة، على نفسه وماله وأهله وأصحابه. (١٩٢) فأعطاه قُريش الذمام، ونزل الخليفة إلى قريش، فتغيَّر البساسيري لذلك، وعَتَب على قريش، ثم اتفق الأمر على أن يُسلِّم رئيسُ الرؤساء إلى البساسيري، لأنه عدوُّه، ويبقى الخليفة عند قريش، وحمل قريشٌ الخليفةَ إلى معسكره بالبُرْدة والقضيب واللِّواء، ونهبت دار الخلافة وحريمها أياماً، ثم بعث بالخليفة مع بني عمه إلى عانة، فنزل بها، وسار أصحاب الخليفة إلى طغرل، وأقام البساسيري بعد خروج الخليفة القائم ببغداد يُحسن إلى الناس، ويحمل على رأسه في ركوبه في المواكب ألويةَ المستنصرِ خليفة مصر، وأرسل إلى المستنصر يعرفه إقامة الخطبة له بالعراق، ثم سار البساسيري عن بغداد إلى واسط والبصرة فملكهما، ثم عاد الخليفة القائم إلى بغداد في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وأرسل طغرلبك الخيام العظيمة والآلات للقائم الخليفة، وسار مع الخليفة حتى دخل داره ببغداد، لخمس بقين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين، ثم خرج طغرلبك في طلب البساسيري، وجهز إليه عسكراً فأدركوه، وجرى بينهم قتالٌ قُتِلَ فيه البساسيري، وحُمِل رأسه إلى طغرلبك، فبعث بها طغرلبك إلى دار الخلافة، فعُلِّقت مقابل الباب النسوي، ثم تزوج طغرلبك بنت الخليفة القائم، وعقد عليها في شعبان سنة ثلاث وخمسين وأربع مائة بِتبْرِيز، بوكالةٍ من الخليفة، ثم قدم طغرلبك إلى بغداد، ودخل بابنة الخليفة في سنة خمس وخمسين وأربع مائة، وثارت الرعية من عسكره بسبب إخراجهم لهم من بيوتهم، وفسقهم بنسائهم أخذاً باليد، وبعد دخول طغرلبك بابنة الخليفة سار من بغداد إلى بلاد الجَبَلَ وهي عراق العجم، فمرض وتُوفي بالريّ في ثامن رمضان سنة خمس وخمسين وأربع مائة، ولم يكن لطغرلبك عقب (٩٢ ب) فاستقرت السلطنة بعده لابن أخيه محمد ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، ثم قُتِل ألب أرسلان المذكور، غيلة، وهو في مائتي ألف فارس، في عاشر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة، وكان قد أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه، وهو معه، فعاد بالعسكر إلى خراسان وقام بتدبير دولته نظامُ الملك وزير أبيه، فأحسن التدبير، وأرسل إلى بغداد والأطراف فخُطِب له بها على قاعدة أبيه ألب أرسلان، وبقي السلطان ملكشاه في السلطنة إلى ما بعد خلافة القائم.

ومن عجيب ما وقع في خلافته ما حكاه الشيخ أبو علي ابن سينا في كتابه «الشِّفا» أنه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وقع بجُرجان صاعقة، فنَشِبَتْ في الأرض، ثم نَبَتْ نَبْوة الكُرة التي ترمي بها الحائط ثم عادت فنشِبت في الأرض، وسمع الناس لذلك صوتاً عظيماً هائلاً، فتفقَّدوا أمره، فظفروا به في صورة حديد ملتئم من أجزاء جاوشيّة مستديرة، قد التصق بعضها ببعض، يزن مائة وخمسين مَنًّا، فحُمل إلى جُرجان، فالتمس منه محمود بن سُبُكْتكين صاحب خراسان يومئذ إنفاذه إليه إن أمكن أو قطعة منه، فتعذَّر نقله لثقله، فحاولوا كسر قطعة منه فلم تعمل فيه الآلات، فأُعملت الحيلةُ في فصل جزء منه، فأُنفذ

إليه، فَرَامَ أن يَطْبَع[1] منه سيفاً فتعذّر عليه.

وفي سنة ستين وأربعمائة كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة، طلع فيها الماء من رؤوس الآبار، وهلك تحت الردم عالم كثير، وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرض البحر يلتقطون، فرجع الماء عليهم وأهلك خلقاً كثيراً.

واعلم أنه لم يكن للقائم عقب سوى ابن ابنه عبد الله [ابن] ذخيرة الدين محمد بن القائم، توفي أبوه في حياة جده القائم، وأمه (٩٣ ا) حامل به، فلما وضعته فرح به جده القائم، وعظُم سروره، فلما بلغ جعله وليّ عهده، ولقّبه ذخيرة الدين[2].

ولايات الأَمصار في خلافته

كانت الديار المصرية بيد الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله، فبقي حتى توفي في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وولي بعده ابنه المستنصر بالله أبو تميم معدّ، عقب وفاته، فبقي إلى ما بعد خلافة القائم.

وكان على دمشق أبو محمد الأسود، من جهة القادر بالله الخليفة قبله، فانتزعها منه أنوشتكين الدِّزْبِري، بأمر المستنصر الفاطمي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ثم أمرَ بالخروج عن طاعته في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة فخرج عنها وخرج[3] أمرها بذلك، وبقي الأمر على ذلك إلى ما بعد خلافة القائم.

وكان على حلب من جهة الظاهر لإعزاز دين الله بنُ شعبان، ثم تغلب عليها صالح بن مرداس أمير بني كلاب في سنة أربع وعشرين وأربعمائة، ثم قُتل في أيام الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي المقدم ذكره، فملكها بعده شبل الدولة نصر بن صالح، ثم انتزعها منه أنوشتكين الدِّزْبِريّ بأمر المستنصر العلوي، في شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وتوفي في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وملكها بعده معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس، ثم ملك قلعتها بعد ذلك في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ثم تسلمها منه مكين الدولة الحسن بن عليّ بن ملهم في سنة تسع وأربعين وأربعمائة، بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك، ثم انتزعها منه محمود بن شبل الدولة بن صالح المقدم ذكره، وملك قلعتها في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وبقي حتى توفي في ذي القعدة (٩٣ ب) سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وملكها بعده أخوه عطية بن صالح في السنة المذكورة، ثم انتزعها منه ابن أخيه

---

(١) طبع السيف: عمله وصاغه.

(٢) كذا به وإنما ذخيرة الدين هو محمد بن القائم.

(٣) في صبح الأعشى ج٤ ص١٦٤ وفسد أمرها بذلك.

محمد ابن سرى الدولة[1] في رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، فبقي بها إلى ما بعد خلافة القائم.

وكانت طرابلس بيد القاضي أبي طالب عماد[2] قاضيها وكان قد استولى عليها واستبدّ بها، وبقي بها حتى توفي سنة أربع وستين وأربعمائة، وملكها بعده ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عماد، فضبطها أحسن ضبط.

وكان على مكة أبو الفتوح السليماني من قبل الظاهر بن الحاكم الفاطمي صاحب مصر، وتوفي أبو الفتوح سنة ثلاثين وأربعمائة، لست وأربعين سنة من إمارته، وولي بعده ابنه شُكر، ثم ملك معها المدينة الشريفة واستضافها إليها، وجمع بين الحرمين ثلاث وعشرين سنة، ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة. وله شعر رائق منه:

قَوِّضْ خيامَك عن أرضٍ تُضام بها ... وجَانِبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ مُجْتَنَبُ
وارحَلْ إذا كان في الأوطان مَنْقَصَةٌ ... فالمَنْدَلُ الرَّطْبُ في أوطانه حَطَبُ

قال ابن حزم: وكانت وفاته عن غير ولد، وانقرض بموته دولة السليمانيين بمكة، وانتقل ذلك إلى الهواشم، وهم بنو أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكِرَام بن موسى الجَون بن عبد الله بن حسن المُثنى بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب، فاستولى عليها محمد بن جعفر بن أبي هاشم المقدم ذكره بعد موت شُكر، في سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وخَطَب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، ثم خطب لبني العباس في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، فقُطعت ميرةُ مصر عن مكة، فعَذَله أهلُه، فأعاد الخطبة للمستنصر الفاطمي، ثم استماله القائم خليفة بني العباس، وبذل له الأموال (٩٤ ا) فخطب له سنة ثنتين وستين وأربعمائة، بالموسم فقط، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر له، ثم بعث له السلطان ألب أرسلان السَّلجوقي بأموال كثيرة في سنة ثلاث وستين وأربعمائة، فخطب له بنفسه، ثم جمع محمد بن جعفر أمير مكة وزحف إلى المدينة فأخرج منها بني الحسين وملكها، وجمع بين الحرمين، وبقي إلى ما بعد خلافة القائم. وكان على المدينة قبله أبو عمارة حمزة، ثم وليها بعده ابنه عبيد الله، وكان بالمدينة سنة أربع[3] وأربعمائة، ثم قُتل بالبصرة وولي بعده أخوه الحسين، ثم ولي بعده ابنه مهنا بن الحسين، ثم وليها هاشم بن الحسن ابن داود سنة ثمان وعشرين وأربعمائة من قبل المستنصر الفاطمي صاحب مصر، ولم أعلم ما بعد ذلك إلى حين زوال ولاية القائم.

---

(١) في صبح الأعشى ج٤ ص ١٦٩ ابن أخيه محمود بن شبل الدولة.
(٢) في صبح الأعشى ج٤ ص ١٧٤: قاضيها أبو علي بن عمار.
(٣) في صبح الأعشى ج٤ ص ٢٩٩ سنة ثمان وأربعمائة.

وكان اليمن بيد نجاح عبد مرجان، فبقي فيه حتى توفي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، وملك بعده ابنه سعيد الأحول بن نجاح، وبقي إلى ما بعد خلافة القائم.

وكان ما وراء النهر بيد ملوك تركستان مضافاً لما بأيديهم من ذلك، وكانت خراسان بيد محمد بن محمود بن سبكتكين، ثم ارتضى الجند مسعود بن سبكتكين فأقاموه بخراسان مقام ابن أخيه محمد بن محمود في السنة المذكورة، وبقي مسعود حتى غلبه على خراسان داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وذلك ابتداء الدولة السلجوقية. وبقي حتى توفي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وملك بعده ابنه محمد ألب أرسلان، فبقي حتى قتل في سنة خمس وستين وأربعمائة، عن تسع سنين وستة أشهر وأيام من سلطنته.

وملك بعده ابنه ملكشاه بن ألب أرسَلان بن داود بن سلجوق، وأرسل إلى بغداد والأطراف. (٩٤ أ) فخطب له بها على عادة أبيه، وبقي إلى ما بعد خلافة القائم.

وكان على غزنة وما معها محمد بن محمود بن سبكتكين، فقدّم أهل المملكة عليهم مسعود بن سبكتكين عم[(١)] محمد بن محمود فملكوه عليهم، فبقي حتى قُتل في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره، ثم قتل من عامه، وملك بعده ابن أخيه مودود بن مسعود وتوفي[(٢)] سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وملك بعده عمه عبد الرشيد، ثم قتل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وملك بعده أخوه فرخزاد بن محمود[(٣)] وتوفي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وملك بعده أخوه الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود، وصَالَحَ داودَ بن ميكائيل بن سلجوق صاحبَ خراسان، وبقي إلى ما بعد خلافة القائم.

وكانت إفريقية والغرب الأوسط بيد المعز بن باديس، وهو في طاعة المستنصر الفاطمي صاحب مصر، ثم خلع طاعته وقطع الخطبة له بإفريقية سنة أربعين وأربعمائة، وخطب للقائم خليفة بني العباس ببغداد، وبقي حتى مات سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وقام بالأمر بعده ابنه تميم بن المعز بن باديس، وغلبه العربُ على إفريقية فلم يكن له منها إلا ما ضمه السُّور، وبقي إلى ما بعد خلافة القائم. ولما استولى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الغرب الأقصى في سنة أربع وخمسين وأربعمائة استولى على الغرب الأوسط، ووليَ على تلمسان محمد بن سمغريم من بعده لأخيه تاشفين، وكان على الغرب الأقصى. [وكان بالأندلس هشام بن محمد][(٤)] فتوفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وبوفاته انقطعت دولة الأمويين من الأندلس.

---

(١) في صبح الأعشى ج٤ ص ٤٨٨: «ثم قدم أهل المملكة عليه أخاه مسعود بن محمود» وهو الصوب ويؤيده قوله بعد ذلك ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره.

(٢) في الأصل: موردود بن محمود. والتصويب من صبح الأعشى.

(٣) في صبح الأعشى فرخزاد بن مسعود بن محمود ويراد به أنه أخو مودود ويؤيده كلامه بعده.

(٤) زيادة يستقيم بها الكلام مقتبسة من صبح الأعشى ج٥ ص٢٤٦.

وكان عليُّ بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس من بقايا ملوك الأدارسة بالغرب الأقصى، فعبر البحر من طنجة من بر العدوة إلى مالقَة من (٩٥ أ) الأندلس وملكها، ودخل قرطبة قاعدة الأندلس في سنة سبع وأربعمائة، وتلقب بالناصر لدين الله، وبقي حتى قتله غلمانه في سنة ثمان وأربعمائة، ووليّ أخوه القاسم بن حمود وتلقب بالمأمون، ثم غلب عليه يحيى ابن أخيه عليّ، وملك منه قرطبة، فملكها سنة ثنتي عشرة وأربعمائة، وتلقب بالمعتلى، وعلت دولته، وبقي حتى قتل، وولى أخوه إدريس بن علي مالقة، وتلقب بالمتأيد بالله، وبايعه أهل المريَّة ورُنْدَة وأعمالها، ومات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وولي بعده حسن بن يحيى المُعتلِي وتلقب بالمستنصر، وبايعته غَرْناطة أيضاً، ومات مسموماً سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وبويع بعده إدريس بن يحيى المُعْتَلِي ويلقَّب بالعالي، وأطاعته غرناطة وما معها[1]، ثم قتل [محمداً وحسناً ابني عمه إدريس، فثار السودان بدعوة أخيهما محمد بمالقة فأسلموه][2] وبويع محمد بن إدريس المتأيّد بمالَقَة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وتلقب بالمهدي وأطاعته غرْناطة وجَيَّان وأعمالهما، ثم مات سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وبويع إدريس بن يحيى بن إدريس المتأيّد، ولقِّب الموفَّق، ولم يخطب له، ثم غلب غليه إدريس المخلوع الملقّب بالعالي بن يحيى المعتلى، فبويع بمالقة، وبقي بها إلى أن مات سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وبويع محمدٌ الأصغر بن إدريس المتأيّد، وتلقب بالمستعلى، وخُطب له بمالَقَة والمَرِيّة ورُنْدَة، ومات سنة ستين وأربعمائة. وكان محمد بن قاسم بن حَمُّود قد ملك الجزيرة الخضراء سنة أربع عشرة وأربعمائة، ثم ملكها من بعده ابنه القاسم، وتلقّب بالواثق، ومات سنة خمسين وأربعمائة، واستولى على الجزيرة المُعْتَضد بن عَبَّاد[3]، وانقرضت دولة بني حمود بالأندلس، وانتهى الحال إلى أن أمر الخلافة بالأندلس من بني أمية وبني حمود (٩٥ ب) قد اضمحلّ وتلاشى، وتفرق ملك الأندلس في طوائف من الوزراء والموالي وكبار العرب والبربر، وقام كل منهم بأمر ناحية، وأخذوا في تغلب بعضهم على بعض، فضعف بذاك أمرهم، حتى أعطوا الإتاوة لملوك الفرنج من بني أدفونش.

فأما إشْبيلية وغرب الأندلس فاستولى على ذلك بنو عباد من لخم، وكان أولهم أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد بن إسماعيل، ثم مات فقام بالأمر بعده ابنه عبَّاد وتلقَّب بالمعتضِد، وطالت أيامه وتغلب على أكثر المالك بغرب الأندلس، وبقي حتى مات

---

(١) في صبح الأعشى ج٥ ص٢٤٨ وأطاعته غرناطة وقرمونة وما بينهما.

(٢) الزيادة من صبح الأعشى ج٥ ص٢٤٨ لينتظم الكلام فسيأتي أنه عاد بعد خلعه وزحف إلى المتأيد ومعنى هذا أنه لم يقتل.

(٣) كذا ولعلها المعتضد عباد، أو المعتمد بن عباد.

سنة إحدى وستين وأربعمائة، وولى بعده ابنه أبو القاسم محمد، وتلقب بالمعتمِد، وقوي أمره واستولى على دار الخلافة بقرطبة وانتزعها من يد بن جَهْوَر، وفرق أبناءَهُ على قواعد المُلك، وبقي إلى ما بعد خلافة القائم.

وأما قرطبة فاستولى عليها جَهْوَر بن محمد بن جهور الكلبي سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة، في أيام فتنة بني أمية بها إلى أن يوجد خليفة، فبقي إلى أن مات في المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة. وولي مكانه ابنه أبو الوليد محمد بن جَهْور، وفوّض تدبير الأمر إلى ابنه الوليد، فأساء السيرة، فخلعه أهل قرطبة سنة إحدى وستين وأربعمائة، واعتقل إلى أن مات سنة اثنتين وستين وأربعمائة. وولّى بنُ عبادٍ صاحبُ إشْبيلية على قرطبة ابنَه سِراجَ الدولة، فبقي إلى آخر خلافة القائم.

وأما بَطَلْيُوس، فكان بها عند انقراض بني أمية من الأندلس أبو محمد عبد الله بن مَسلمة التُّجِيبي المعروف بابن الأفطس، فاستبدَّ بها سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، ثم مات فولى بعده ابنه المظفر أبو بكر [محمد]، وعظم ملكه، ومات سنة ستين وأربعمائة، وولي بعده ابنه المتوكل أبو حفص عمر بن محمد، فبقي إلى ما بعد خلافة القائم.

وأما طُلَيطلة وهي قاعدة (٩٦ أ) الأندلس قبل الإسلام فاستولى عليها إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون الهوَّاري، أيام فتنة بني أمية سنة تسع وأربعمائة، وتلقّب بالظافر، وبقي حتى هلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وولى مكانه ابنه أبو الحسن يحيى، وتلقب بالمأمون، وقوي ملكه وعظم شأنه وغلب على بَلَنْسِيَة وقُرطُبة، وبقي إلى آخر خلافة القائم.

وأما شاطِبَة وما معها من شرق الأندلس فاستولى عليها العامريّون من عقب المنصور بن [أبي] عامر المتقدم ذكره، وأول من وليها منهم المنصور عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن أبي عامر سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وبويع له بِجَيَّان والمَرِيَّة بمعاضدة خَيْران العامريّ. ثم خرج خَيْران عن طاعة المنصور وقدّم أبا عامر محمد بن المظفر ولقبه المؤتمن، ثم المعتصم، ثم أخرجه منها، ثم مات خيرانُ سنة تسع عشرة وأربعمائة، وقام بأمره عميد الدولة أبو القاسم زُهير العامري، ثم قتل في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ورجع الأمر إلى المنصور عبد العزيز المقدم ذكره، وولّي على المَرِيَّة مَعْنَ بن صُمَادِح سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وولّى على بَلَنْسِية ابنَه عبد الملك، ثم انتزعها منه المأمون بن ذي النون سنة سبع وخمسين وأربعمائة، ومات المأمون وَولى مكانه حافِدُه [القادر] وَولى على بلنسية أبو بكر بن عبد العزيز، من بقايا وزراء ابن أبي عامر، فبقي إلى ما بعد أيام القائم.

وأما سَرَقُسْطة والثغْر، فاستولى عليهما منذر بن يحيى التُّجيبي أيام فتنة بني أُمية، وتلقّب بالمنصور، ثم مات سنة أربع عشرة وأربعمائة، وولى مكانه ابنه يحيى وتلقب

بالمظَفَّر، ثم غلب عليه سليمان بن محمد بن هُود وقتله في سنة إحدى وثلاثين (٨٦ ب) وأربعمائة، وملك سَرَقُسْطة وتلقّب بالمستعين، وقوي ملكه حتى ملك بَلَنْسِية ودانِيَة وَلاردَة، ومات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وولي بعده ابنه أحمد وتلقب بالمُقتدر، وبقي أحمد إلى ما بعد خلافة القائم.

وأما دانِيَةُ ومَيُورْقَة فاستولى عليهما مجاهد بن علي، من موالي المنصور بن أبي عامر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، ومات سنة ست وثلاثين وأربعمائة، ووليَّ بعده ابنه علي وتلقَّب إقبالَ الدَّولة، وبقي إلى ما بعد خلافة القائم[1].

السابع والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق

المقتدي بأمر الله

وهو أبو القاسم عبدالله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله.

وأمه أم ولد اسمها أرجوان، عمرت عمراً طويلاً حتى أدركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر وخلافة ابن ابنه المسترشد. كان قوي النفس عظيم الهمة، بويع له بالخلافة بحضور مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير ابن جَهِير[2] والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وابن الصباغ ونقيب النقباء ابن الزّينبي، والقاضي أبي عبد الله الدامغاني وغيرهم من الأعيان، في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وبقي حتى توفي فجأة يوم السبت خامس عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة. وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وأيام، ويقال إن شمس النهار القهرمانة سمَّته. ومدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر.

الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة أرسل المقتدى بأمر الله (٩٧ أ) الشيخَ أبا إسحاق الشيرازي رسولاً إلى السلطان ملكشاة بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقي وإلى وزيره نظام الملك يشكو من عميد العراق أبي الفتح بن أبي الليث. فأكرم السلطان ملكشاة ونظام الملك الشيخ أبا إسحاق، وجرى بينه وبين إمام الحرمين مناظرة بحضرة نظام الملك، وعاد بالإجابة إلى ما التمسه الخليفة، ورُفعت يدُ العميد عن جميع ما

---

(١) انظر من استولى على غرناطة في صبح الأعشى ج٥ ص٢٥١، ص٢٥٧.

(٢) ضبطه ابن خلكان في ترجمته له بفتح الجيم أما في كتاب معجم الأنساب فيضبط بالتصغير انظر فيه ص ٢٣.

يتعلق بالخليفة. ثم سار السلطان ملكشاه من أصفهان إلى حلب، فدخلها في جمادي الآخرة سنة تسع وتسعين وأربع مائة، ثم سار عن حلب ودخل بغداد في ذي الحجة من هذه السنة المذكورة، وهو أول قدومه إلى بغداد، واجتمع بالمقتدي الخليفة، ثم خرج إلى الصيد، ثم عاد إلى بغداد، واجتمع بالمقتدي، وأقام بها إلى صفر سنة ثمانين وأربع مائة، ثم عاد إلى أصفهان، ثم عاد إلى بغداد في رمضان سنة أربع وثمانين وأربع مائة، ووصل إليه أخوه تُتُش بن ألب أرسلان، وعمل الميلاد ببغداد، واحتفل له الناس احتفالاً عظيماً، وأكثر الشعراءُ من وصف تلك الليلة، وأمر ببناء الجامع المعروف بجامع السلطان ببغداد، وابتدأ كبار أمرائه بعمل مساكن لهم ببغداد ينزلون فيها، فلما قدموا بغداد تفرّق شملهم بالموت والقتل عن قريب. ثم قتل السلطانُ ملكشاه وزيره نظامَ الملك وهو عائد إلى بغداد في سنة خمس وثمانين وأربع مائة، ودخل السلطان ملكشاه بغداد في الرابع والعشرين من رمضان سنة خمس وثمانين وأربع مائة، ثم خرج من بغداد للصيد وعاد في ثالث شوال مريضاً، فتوفي ليلة الجمعة نصف شوال المذكورة، وكان من أجمل الناس صورة ومعنى، (٩٧ ب) وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام، ومن أقاصي بلاد الإسلام إلى آخر بلاد اليمن، وحملت له ملوك الروم الجزية، وكانت أيامه أيام عدل وإدرار أرزاق، وكان مُغرى بالصيد، وكان يتصدق بعدد كل وحش يصيده بدينار، حتى أنه صاد مرة عشرة آلاف صيد فتصدق بعشرة آلاف دينار. ولما مات أخفت زوجتُه تركانُ موتَه، وفرقت المال في العساكر، وسار إلى أصفهان فاستخلَفَتهم لولدها محمود ابن ملكشاه، وهو ابن أربع سنين وأشهر، وخطبت له في بغداد وغيرها، ثم تحرك تُتُش بن ألب أرسلان من دمشق بعد موت أخيه ملكشاه، لطلب السلطنة، ومعه آق سنقر صاحب حلب، واستولى على الموصل، وأرسل إلى بغداد يطلب أن يُخطب له، فتوقفوا في إجابته لذلك، وأقبل بَركيارق[1] بن ملكشاه، بن ألب أرسلان للقائه، فعاد تتش إلى الشام، وقدم بركيارق بغداد وخُطب له بها في رابع المحرم سنة سبع وثمانين وأربع مائة، وبقي الأمر ببغداد وغيرها بيد بَركيارق إلى ما بعد خلافة المقتدي. وفي أيامه في سنة أربع وثمانين وأربع مائة استولت الفرنج على جزيرة صقلّية، وانتزعتْها من يد نواب المستنصر العلوي. أولاده منهم المستظهر بالله الآتي ذكره.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر في أيامه المستنصر بالله الفاطمي، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتدي، وكان القائم بتدبير دولته وزيره بدر الجمالي.

وكانت دمشق قد خرج عنها أنوشتكين الدِّزبري فتغلب عليها أتسز بن أرتق الخُوارزمي

---

(١) في الأصل يكتب: تركيارق. والتصويب من صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٤٧.

أحد أُمراء السلطان (٩٨ أ) ملكشاه السلجوقي في سنة ثمان وستين وأربع مائة، وقطع الخطبة بها للمستنصر الفاطمي، وخطب للمقتدي العباسي، ومنع الأذان: بحيَّ على خير العمل، ولم يخطب بعدها بالشام لأحد من الفاطميين، وبقي بها إلى ما بعد خلافة المقتدي.

وكان على حلب محمود بن شبل الدولة، فبقي بها حتى توفي في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربع مائة، وملكها بعده ابنه نصر بن محمود، فبقي حتى قتله التُّرْكُمان، وملكها بعده أخوه سابق بن محمود، ثم انتزعها منه شرف الدولة مُسلم بن قريش صاحب الموصل، في صفر سنة سبع وسبعين وأربع مائة، وملكها بعده أخوه إبراهيم بن قريش، ثم انتزعها منه تُتُش بن ألب أرسلان السلجوقي صاحب دمشق، في السنة المذكورة، ثم انتزعها منه السلطان ملكشاه السلجوقي، وسلمها إلى قسيم الدولة آقسنقر، ثم استعادها تُتُش بن ألب أرسلان المقدم ذكره بعد موت ملكشاه، واستضافها إلى دمشق، وانبسط ملكه حتى ملك بعد ذلك أذربيجان، وبقي إلى ما بعد خلافة المقتدي.

وكان على مكة محمد بن جعفر، فانقطع ما كان يصل إلى أمير مكة من العراق بعد موت القائم، فقطع الخطبة للعباسيين، ولما ولي المقتدي أرسل إليه بمال فأعاد الخطبة للعباسيين، وجهز منبراً إلى مكة وكتب اسمه عليه بالذهب، فوقعت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة. فكُسر المنبر وأُحرق، واستمرت الخطبة للعباسيين بعد ذلك إلى أن مات السلطان ملكشاه السلجوقي في سنة ست[1] وثمانين وأربع مائة، فانقطعت الخطبة من مكة للعباسيين، وبطل الحج من العراق، وبقي (٩٨ ب) محمد بن جعفر على إمارته بمكة إلى ما بعد خلافة المقتدي. ولم أدر من كان على المدينة في خلافته.

وكان على اليمن سعيد بن نجاح، ثم غلب على المُلْك المَلكُ المكرّم أحمد بن علي الصُّلَيْحي في سنة خمس وسبعين وأربع مائة[2] ثم عاد ابن نجاح وملك زبيد في سنة تسع وسبعين وأربع مائة، ثم عاد الملك المكرم وملكها وقتل سعيداً، في سنة إحدى وثمانين وأربع مائة، وملك بعده ابن عمه أبو حِمْيَر سبأ، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتدي.

وكان ما وراء النهر بيد ملوك تركستان.

وكانت خراسان بيد ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، وفي سنة اثنتين وثمانين وأربع مائة سار إلى ما وراء النهر وملك بُخارا وسمرقند وانتزعها من يد

---

(١) في صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧٠ علق على هذا بكلمة: لعله خمس كما يؤخذ من تاريخ أبي الفداء.

(٢) في صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨: في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وقيل سنة ثمانين ولعل فيه سقطاً كبيراً.

أحمد خان أحد ملوك تركستان، وانتهى ملكه إلى كاشغر[1]. ثم استقرت بيد أحمد بن خان المقدم ذكره، وبقي حتى قُتل بالزندقة في سنة ثمان وثمانين وأربع مائة، واستقر ابن عمه مسعود مكانه، وبقيت خراسان بيد [ملكشاه بن] ألب أرسلان حتى توفي سنة خمس وثمانين وأربع مائة، وملكها بعده أخوه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان، فبقي بها حتى قتله بعض غلمانه في المحرم من هذه السنة، ولما قتل أرسلان أرغون، سار برّكيارق بن ألب أرسلان إلى خراسان، فملكها، وأرسل إلى ما وراء النهر فخطب له هناك، وسلم خراسان إلى أخيه سنجر بن ملكشاه، وجعل وزيره أبا الفتح بن الحسين الطغراي.

وكانت غزنة وما معها بيد الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود، فتوفي في سنة إحدى وثمانين وأربع[2] مائة، وملك بعده ابنه مسعود بن إبراهيم، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتدي.

وكان على إفريقية تميم بن المعز بن باديس، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتدي.

وكان على (٩٩ أ) الغرب الأقصى أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين أول ملوك المرابطين من لَمْتُونة من البربر، واستولى على الغرب الأوسط وانتزعه من يد بني باديس، واستضافه إلى الغرب الأقصى، وبقي إلى ما بعد خلافة المقتدي.

وأما الأندلس فكانت بيد ملوك الطوائف، على ما تقدم.

فكانت إشبيلية بيد المعتمد بن عباد، فبقي حتى غلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الأندلس، فقبض عليه سنة أربع وثمانين وأربع مائة، واعتقله إلى أن مات سنة ثمان وثمانين وأربع مائة. وبقيت بيده حتى مات.

وكانت قرطبة بيد سراج الدولة بن عباد، فبقي بها حتى قُتل في سنة سبع وستين وأربع مائة [قتله ابن عكاشه][3] ودعا بها على المنابر ليحي بن إسماعيل بن ذي النون، وقتل بها مسموماً[4] ثم تملكها المعتمد بن عباد في سنة أربع وثمانين وأربع مائة.

وكانت بطليوس بيد المتوكل بن الأفطس، فبقي حتى قتله أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، سنة تسع وثمانين وأربع مائة، فبقيت بيده حتى مات.

وكانت طليطلة بيد المأمون بن الظافر [إسماعيل بن عبد الرحمن] ذي النون حتى مات مسموماً سنة سبع وستين وأربع مائة، وولى بعده طليطلة حافدُه القادر يحيى ابن

---

(١) في الأصل كالشعر.

(٢) في الأصل إحدى وأربعين مائة والتصويب من صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٤٨.

(٣) الزيادة من صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٥٠.

(٤) في هامش صبح الأعشى يؤخذ من العبر ج ٤ ص ١٥٩ أن الذي قتل مسموماً وهو سراج الدولة.

إسماعيل بن المأمون، فغلبه عليها الطاغية أدفونش، مَلَكَ طليطلةَ واقتلعها منه في سنة ثمان وسبعين وأربع مائة، وهي بيد الفرنج إلى الآن.

وكانت سرقسطة بيد المقتدر أحمد، فبقي حتى مات سنة أربع وسبعين وأربع مائة، وولي بعده ابنه المؤتمن يوسف، وكان له اليد الطولى في العلوم الرياضية، وله فيها التآليف الجليلة، ومات سنة ثمان وسبعين وأربع مائة، وولي بعده ابنه المستعين أحمد، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتدي.

وأما دانِيَةُ وَمَيُورقه فكانتا بيد إقبال الدولة عليٍّ، من عقب[1] المنصور (٩٩ ب) ابن أبي عامر، فدام ملكه بها ثلاثاً وثلاثين سنة، ثم غلبه المقتدر بن هود على دانية، ونقله إلى سَرَقُسْطة، فمات بها سنة أربع وسبعين وأربع مائة[2] واستخلف على ميورقه صهره سليمان بن مشكيان، فمات بها بعد خمس سنين، فولّي مكانه ناصر الدولة مُبَشَّراً، فأقام خمس سنين أيضاً، وتغلب عليه المقتدر بن هود. فاستقل مبشر بميورقه، فبقي بها إلى ما بعد خلافة المقتدي.

الثامن والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق
المستظهر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله المقدم ذكره، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه في منتصف المحرم سنة سبع وثمانين وأربع مائة. وعمره يومئذ ست عشرة سنة وشهران، وقام ببيعته السلطان بَرْكيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق. وبقي حتى توفي في السادس عشر من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمس مائة، وعمره إحدى وأربعون[3] سنة وستة أشهر وأيام. ومدة خلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأحد وعشرون يوماً، وكان له من الأولاد المسترشد والمقتفي، كلاهما ولي الخلافة، وأبو طالب.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة قام بتدبير دولته السلطان بَركيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن

---

(١) الذي في صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٥٦ أن أباه مجاهداً مولى المنصور وقدم ذلك أيضاً في اللوحة (٩٦ ب).

(٢) الذي في صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٥٦ وبه يستقيم الكلام. : وبقي الأغلب مولى مجاهداً على ميورقة وكان كثير الغزو في البحر فاستأذن علي بن مجاهد في الغزو واستخلف. . .

(٣) في الأصل: وأربعين.

داود بن ميكائيل بن سلجوق ثم غلب تُتُش بن ألب أرسلان على حلب وحرَّان والرها والبلاد الجزرية وديار بكر وخِلاط وأذربيجان وهَمَذان، وكمل عسكره خمسين ألف مقاتل، وبعث يطلب أن يخطب له ببغداد عن المستظهر (١٠٠ أ) الخليفة، فأجيب إلى ذلك، وخطب له، بها وسار بركيارق[١] إلى أصفهان، وبها أخوه محمود، فمرض محمود فمات في سلخ شوال سنة سبع وثمانين وأربع مائة، واستقر بَركيارق في السلطنة مكانه، ثم سار بَركيارق إلى عمه تتش فالتقيا على القرب من الريّ، وانهزم عسكر تتش وقتل في المعركة في صفر من هذه السنة، واستقامت السلطنة لبركيارق، ثم سار بركيارق في سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة ودخل بغداد، وأعيدت له الخطبة في صفر من هذه السنة. ثم خرج بَركيارق من بغداد، وسار لحرب أخيه محمد، وقصد الرَّيّ فنزلها، ثم سار بركيارق من الري إلى بغداد، وضاقت عليه الأمور، فطلب من الخليفة مالاً يستعين به، فحمل إليه الخليفةُ خمسين ألف دينار ولم يكفه ذلك حتى مد يده إلى مال الرعية، وسار محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ومعه أخوه سنجرُ في طلب بَركيارق، حتى وصل إلى بغداد وبَركيارق مريض قد اشتد به المرض وأيس منه، فتحول إلى الجانب الغربي محمولاً، ثم وجد خِفَّة، فسار عن بغداد إلى واسط، ودخل محمد وسنجر إلى بغداد، فشكى إليهما المستظهر سوء سيرة بَركيارق، وخطب لمحمد ببغداد في سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة. وكان بين محمد وبَركيارق حروب آخرها أن حصل الصلح على بلاد لكل واحد منهما يُخْطب له فيها، ولما وصل خبر الصلح إلى المستظهر خطب ببغداد لبَركيارق، وأقيم إيلغازي بن أرتق شِحْنَةً[٢] له ببغداد. ثم توفي بَركيارق في ثاني شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وأربع مائة على القرب من أصفهان، فحُمل إليها فدفن فيها بعد أن حلف العسكر لولده ملكشاه بن بَركيارق على أن يكون سلطاناً[٣] مكانه، وعمره (١٠٠ ب) يومئذ أربع سنين وأربعة أشهر، وجعل الأمير أياز أتابكه، فكانت سلطنة بركيارق اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر، قاسَي فيها عدَّةَ حروب.

ومن غريب شأنه أنه كان كلما خُطِب له ببغداد وقع فيها الغلاء ولما مات بركيارق سار أياز ومعه ملكشاه بن بركيارق ودخلوا بغداد في سابع عشر ربيع الآخر. وخطب لملكشاه بن بركيارق بجوامع بغداد بعد موت بركيارق، ثم سار أخوه السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان إلى بغداد، ونزل بالجانب الغربي، وبقي أياز وملكشاه بالجانب الشرقي، وجرى بينهما مراجعات، كان آخرها أن حلف السلطان محمد لابن أخيه ملكشاه

---

(١) يكتب دائماً: تركيارق وقد سبق التنبيه إلى تصحيحه وانظر معجم الأنساب ص ٧٣.

(٢) الشحنة من أقامهم الملك لضبط البلد أو الربيطة من الخيل.

(٣) في الأصل: سلطان.

وأتابكة أياز، وحضر أياز والأمراء عند محمد، وأحضروا ملكشاه عند عمه محمد، فأكرمه، واستقرت السلطنة لمحمد، وذلك لسبع بقين من جمادى الأُولى سنة ثمان وتسعين وأربع مائة، ثم أعمل السلطان محمد الحيلة في قتل أياز، فقتل في الدهاليزِ غِيلَة، ثم خرج السلطان من بغداد بعد ذلك لأموره، ثم عاد إليهما فمات بها في ذي الحجة سنة تسع وخمس مائة، بعد أن لقي من الحروب والمشاق ما لا مزيد عليه، مع سيرته العادلة وإبطاله المُكوس في جميع بلاده، وعهد بالملك بعده إلى ولده محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق، وعمره يومئذ أربع عشرة سنة، وجلس محمود بن تخت السلطنة يوم وفاة أبيه بالتاج والسِّوَارَيْن، وخُطب له بالسلطنة في الثامن والعشرين من ذي الحجة.

ومن غريب الاتفاق أنه لما توفي السلطان ألب أرسلان توفي بعده القائم بأمر الله، ولما توفي ملكشاه توفي بعده المقتدي، ولما توفي محمد توفي بعده المستظهر.

وفي أيام المستظهر استولت الفرنج على أنطاكية ووضعوا السيف في المسلمين (١٠١) ونهبوا أموالهم، ثم ساروا إلى المَعَرَّة فاستولوا عليها، ووضعوا السيف في المسلمين، ونهبوا أموالهم، وساروا إلى حمص فصالحهم أهلها. وفي سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة استولى الفرنج على بيت المقدس، وملكوه من أيدي الخلفاء الفاطميين، وأقاموا يقتلون في المسلمين مدة أيام. وقُتل من المسلمين في المسجد الأقصى ما يزيد على تسعين ألف نفس، منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعُبَّادهم ممن جاور هناك، ثم[1] في سنة سبع وتسعين استولوا على جُبيل وعكا، ثم استولوا في سنة اثنتين وخمسمائة[2] على مدينة طرابُلُس من يد صاحبها ابن عمار، كما تقدم، بعد نهب وسبي. ثم في سنة أربع وخمس مائة ملكوا مدينة صيدا، وقصدوا حلب، وصالحهم صاحبها الملك رضوان على اثنتين وثلاثين ألف دينار يحملها إليهم مع خيول وثياب، ووقع الخوف في قلب أهل الشام، فصالحهم أهل صُور على سبعة آلاف دينار، وصالحهم صاحبُ شَيْزَر على أربعة آلاف دينار، وصالحهم صاحبُ حماه على ألفي دينار، وقصد بردويل أحدُ ملوك الفرنجة الديارَ المصرية، فانتهى إلى الفَرَما ودخلها وحرقها، وحرق جامعها ومساجدها، ودخلها وهو مريض، فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش، فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته في السبخة المعروفة الآن بسبخة بردويل من طريق الشام، فهي تُرْجَم إلى الآن.

(١) في الأصل جملة ضرب عليها بالقلم هي: في سنة خمس وسبعين وأربع مائة.

(٢) في الأصل: وخمسين. وهو لا شك سهو.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر قبله المستنصر الفاطمي، فتوفي في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربع مائة، وفي أيام[1] المستنصر هذا كان الغلاء العظيم بمصر، دام سبع سنين، قال صاحب «سير النيل»، مكث النيل (١٠١ ب) سنتين لم يطلع، ثم طلع في السنة الثالثة، فلم يجد من يزرع، لخراب مصر، ثم طلع في السنة الرابعة، فأقام الرابعة والخامسة لم ينزل، ثم نزل في السادسة فلم يطلع، ولم يَبْقَ في مصر إلاَّ صُبابةٌ[2] من الناس، ولم يبق دابة تمشي على أربع سوى حمار يركبه الخليفة المستنصر، فبينما المستنصر ذات يوم عند باب زُويلة إذا استقبلته[3] امرأة عليها آثار النعمة، فسبّته ولعنته، فقال لها: مالك ياأختاه؟ وهو يبكي لمَا أصاب الناس في زمانه، قالت: كان معي خمسون ديناراً، اشتريت بها نصف أردب قمحاً، فاختطفها الناس مني، وبقي معي هذه الحفنة، فقال: وما حيلتي؛ قالت: خُذْ هذه الصُّبابةَ التي بقيت من الناس واستسْقِ بهم، ففعل، ثم طلب شمسَ الخلافة بن أبي الردَّاد أمينَ النيل يومئذ فقال له: زاد الله في النيل ست عشرة ذراعاً، فامتنع وقال: يا أمير المؤمنين، كيف والنيلُ يُخاض من البرّ إلى البرّ الآخر؟ فقال له: إن لم تفعل وإلا قتلتلك[4]. فخرج ينادي: زاد أميرُ المؤمنين المستنصرُ اليومَ في النيل ستَّ عشرة ذراعاً، فبلغ المستنصر ذلك، فطلبه وأنكر عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، الكذب على مخلوق لا يجوز، أفيجوز الكذب على الله؟ فبكى المستنصر وتركه، ونزل ابن أبي الرداد فبات ليلته تلك بالمقياس، يتهجَّد ويصلي إلى الصباح، فدخل المقياس فوجده قد زاد ست عشرة ذراعاً، فخرج ينادي: زاد الله اليوم في النيل ست عشرة ذراعاً.

والمستنصر هو الذي بنى سور القاهرة اللَّبِنَ، في سنة ثمانين وأربع مائة.

ولما مات المستنصر ولي بعده ابنُه المستعلى بالله أبو القاسم أحمد يوم وفاة أبيه، وبقي حتى مات لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربع مائة.

وولي بعده الآمر بأحكام الله أبو عيسى[5] المنصور، فبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر. وكان على دمشق قبله أتستز بن أرتق أحد أُمراء السلاجقة. ثم غلب عليها تتش

(١) في الأصل «وفي أيامه» ثم أضيفت كلمة «المستنصر هذا» فبقي الضمير.

(٢) الصبابة استعملت هنا في البقية القليلة، تقال الصبابة لبقية الماء ونحوه في الإناء.

(٣) في الأصل إذا استقبلته.

(٤) الأصوب أي يقال: إن لم تفعل قتلتك. أو: افعل وإلا قتلتك.

(٥) كذا بالأصل والذي في صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٣١ أبو علي. وكذلك في معجم الأنساب ص ١٤٥ والنجوم الزاهرة: ج ٥ ص ١٧٠ وانظر صفحة ٢٥٠ من كتابنا هذا.

ابن ألب ارسلان (١٠٢ أ) السلجوقي وملكها في سنة إحدى وتسعين وأربع مائة، ثم توفي، فملكها بعده ابنه دقاق ابن تُتُش، وأشرك معه في الخطبة أخاه رضوان[١] صاحب حلب مُقَدَّماً لرضوان في الذكر على نفسه، ثم توفي دقاق سنة تسع وتسعين وأربع مائة، فخطب طغتكين أتابكُ دولته لابن دقاق وهو طفل ابن سنة واحدة، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلتاش بن تُتُش، ثم قطع الخطبة لبلتاش وأعادها الطفل، وهو آخر من خُطب له بدمشق من بني سلجوق، ثم استقر طغتكين المقدم ذكره في ملك دمشق بنفسه، وبقي بها إلى ما بعد خلافة المستظهر، واستضاف إليها حماه في سنة تسع وخمس مائة.

وكان على حلب تتش بن ألب أرسلان، فبقي بها حتى قُتل في صفر سنة ثمان وثمانين وأربع مائة، وملكها بعده ابنه رضوان بن تتش، وبقي حتى توفي سنة سبع وخمس مائة، وملكها بعده ابنه ألب أرسلان بن رضوان المعروف بالأخرس، ثم قتله غلمانه في سنة ثمان وخمس مائة، وملكها بعده ابنه سلطان شاه بن رضوان، ثم انتزعها منه إيلغازي[٢] بن أُرتُق وسلمها لولده تمرتاش[٣] بن إيلغازي، ثم غلب عليها سليمان بن إيلغازي، بن أرتق، فبقي بها إلى ما بعد خلافة المستظهر.

وكانت طرابلس بيد أبي علي بن عمار، فبقيت بيده[٤] حتى ملكها منه الفرنج واستولوا عليها في حادي عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وخمس مائة، وقتلوا ونهبوا وسبوا، فبقيت بأيديهم مائة وأربعمائة وثمانين سنة، على ما سيأتي ذكره إن شاءَ الله تعالى.

وكانت حماة بيد طُغْتكين أتَابك دولة رضوان بن تتش السلجوقي، ملكها في سنة تسع وخمس مائة، ثم انتزعها منه السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي في السنة المذكورة وسلمها للأمير فيرخان[٥] بن قراجا، ثم ملكها تورى بن طغتكين وقرر بها ابنه سونج، فبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستظهر.

وكان على مكة محمد بن جعفر بن الهواشم، فمات في سنة (١٠٢ ب) سبع وثمانين وأربع مائة، لثلاث وثلاثين سنة من إمارته، وولي بعده ابنه قاسم، فاضطربت الأمور عليه وبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر. ولم أدر من كان على المدينة في خلافته.

---

(١) في الأصل: رضواناً.

(٢) في الأصل: ابلغارى. وكذلك في صفحة ١٣ والتصويب من صبح الأعشى ج ٤ ص ١٧٠.

(٣) في الأصل: تمرباش والتصويب من صبح الأعشى ج ٤ ص ١٧٠.

(٤) في صبح الأعشى ج ٤ ص ١٧٤ ثم انتزعها منه المستنصر الفاطمي خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية فبقيت بيده حتى غلب عليها القومصي فملكها في سنة ثلاث وخمسمائة.

(٥) في الأصل فرحان، والتصويب من صبح الأعشى ج ٤ ص ١٧٢.

وكان على اليمن أبو حمير سبأ، فبقي حتى توفي سنة خمس وتسعين وأربع مائة. وهو آخر ملوك الصُّلَيْحيين، وبقيت اليمن شاغرة من ملك إلى ما بعد خلافة المستظهر. هذا ما أورده صاحب حماة في «تاريخه» وقيل: كان الملك المقدم في سنة إحدى وثمانين وأربع مائة جيَّاش بن نجاح، ومات سنة ثمان وتسعين وأربع مائة، ثم ملك بعده، منصور بن فاتك[1] بن جياش بن نجاح، ثم ملك بعده ابنه فاتك بن منصور بن فاتك.

وكان ما وراء النهر بيد أرسلان خان بن محمد بن سليمان ابن داود بن نجراخان من بني سيق خان الذي كان قد رأى في منامه أنه أسلم، فأسلم يقظة، فقبض عليه السلطان سنجر السلجوقي في سنة أربع وعشرين وخمس مائة وحبسه فمات في الحبس، وولي مكانه بسمرقند أبا المعالي طمغاج الحسن بن علي من أعيان بيت الخانية، ولم تطل مدته، فولي بعده محمود بن أرسلان خان في سنة ثنتين وعشرين وخمس مائة، وبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر.

وكان على خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي، فبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر.

وكان على غزنة مسعود بن إبراهيم بن مسعود من بني سبكتكين، فبقي حتى توفي سنة ثمان وخمس مائة، وملك بعده أرسلان شاه بن مسعود، ثم ملكها منه بهرام شاه أخوه بمعاضدة السلطان سنجر السلجوقي صاحب خراسان وما معها، وخطب بها لملوك بن سلجوق ثم لبهرام شاه، ثم أمسك[2] أخاه أرسلان شاه وخنقه واستقل بالسلطنة سنة اثنتي عشرة وخمس مائة، وبقي بهرام شاه إلى ما بعد خلافة المستظهر.

وكان على إفريقية تميم بن المعز بن باديس، فمات (١١٠٣) سنة إحدى وخمس مائة، وملك بعده ابنه يحيى بن تميم، فراجع طاعة الخلفاء الفاطميين بمصر، ووصلته المخاطبات والهدايا والتحف منهم، وأكثر غزوَ الفرنج حتى أُعطِي الجزية من وراء البحر[3] وبقي حتى مات فجأة بقصره سنة تسع وخمس مائة، وملك بعده ابنه علي بن يحيى، فدام على ما كان عليه أبوه من طاعة الخلفاء الفاطميين بمصر، وبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر.

وكان الغرب الأقصى وتلمسان والغرب الأوسط بأسره بيد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين.

---

(١) في صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨ إضافة نقلاً عن خطط المقريزي وهي [ثم ملك بعده ابنه فاتك] ثم ملك بعده منصور بن فاتك....

(٢) في الأصل: ثم أمسكه.

(٣) في صبح الأعشى ج ٥ ص ١٢٥ حتى لقبوه ياخرية من وراء البحر. ولعلها: لقوه بالجزية.

وكان الأندلس قد غلب أميرُ المسلمين يوسف بن تاشفين منه على إشبيلية وغيرها. ثم استتبع الباقي منه بأيدي ملوك الطوائف، حتى لم يبق منه إلا سَرَقُسطة بيد المستعين ابن هود، واستولى على العُدْوَتين، فملك الأندلس والغربِ الأقصى والغرب الأوسط، وخاطب الخليفة ببغداد، فقلده جميع ذلك، وبقي حتى توفي سنة خمس مائة. وملك بعده ابنه عليٌّ وتلقب بأمير المسلمين أيضاً، فبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر.

التاسع والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق
المسترشد بالله

وهو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله المقدم ذكره.

وأمه أم ولد. كان فصيحاً شهماً حسن الخط. بويع له بالخلافة يوم موت أبيه في ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمس مائة. وقام بعقد البيعة له القاضي أبو الحسن الدامغاني، والسلطانُ يومئذ محمود بن محمد بن ملكشاه ابن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي، وبقي حتى تُوفي قتيلاً في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمس مائة. وعمره ثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر. ومدة خلافته سبع عشرة سنة وستة عشرة يوماً. وكان له أولاد منهم الراشد (١٠٣ ب) الآتي ذكره.

الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة سار السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي لحرب ابن أخيه السلطان محمود بن محمد، والتقيا بالرَّيِّ فانهزم محمود، ونزل السلطان سنجر في خيامه، ثم وقع الصلح بينهما على أن يُخطب للسلطان سنجر أولاً ثم بعده للسلطان محمود[1] واستولى سنجر على الري واستضافها إلى ما بيده، وقدم محمود إلى عمه سنجر بالري فأكرمه وأحسن نُزُله، وفي سنة أربع عشرة وخمسمائة كان لمسعود بن السلطان محمد الموصل وأذربيجان، فخطب مسعود لنفسه بالسلطنة وجمع عسكره وسار إلى أخيه محمود، والتقيا فانهزم مسعود واختفى، ثم طلب من أخيه محمود الأمان فآمنه. فقدم عليه فأحسن تلقّيه، وكان السلطان محمود قد عاد إلى بغداد فخرج عنها في هذه السنة، ثم توفي السلطان محمود في سنة خمس وعشرين وخمسمائة بهَمَذان وأُقيم ولده داودُ في السلطنة مكانه، ثم في سنة ست وعشرين وخمسمائة كان بين الخليفة المسترشد وبين عماد الدين زنكي بن آق سنقر محاربة، وعدَّي فيها الخليفة من الجانب الشرقي من بغداد إلى الجانب

(١) في الأصل: محمد.

الغربي منها، ثم التقيا بحصن البرامكة، فحمل زنكي على ميمنة الخليفة فهزمها، ثم حمل الخليفة بنفسه مع بقية العسكر فانهزم زنكي، وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة جرى بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه حرب، كان منشؤها أن سار جماعة من أصحاب السلطان مسعود إلى الخليفة وهوّنوا عليه أمر السلطان مسعود[1] فخرج الخليفة من بغداد وسار لقتال مسعود وسار مسعود لملاقاته، واتَّقَعُوا في عاشر رمضان من السنة، فصار غالب عسكر الخليفة إلى مسعود، وانهزم الباقون، وأُخذ المسترشد أسيراً ونُهب عسكره، ثم سار مسعود بن هَمَذان إلى مَراغة، والمسترشدُ معه مأسور في خيمة منفردة، بعد أن وقع الاتفاق بينهما على مال يحمله إليه الخليفةُ، وأن لا يعود يخرج من (١٠٤ أ) بغداد، فوثبت الباطنية على المسترشد فقتلوه، وجدعوا أنفه وقطعوا أُذنيه، وأخذ السلطان مسعود البُرْدة والقضيبَ فتركهما عنده.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر في أيامه الآمر بأحكام الله الفاطمي، فبقي حتى قتل بجزيرة مصر في الثالث من ذي القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وولي بعده ابن عمه[2] الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم[3] محمد، فبقي إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان على دمشق طغتكين أتابك، فبقي حتى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وملك بعده ابنه تاج الملوك بورى، بعهد من أبيه، وتوفي في سنة ست وعشرين وخمسمائة، وملك بعده ابنه شمس الملوك إسماعيل بعهد من أبيه، ثم ملك من بعده أخوه شهاب الدين محمود بن بورى، فبقي إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان على حلب سليمان بن [إيلغازي بن] أرتق، وعصى على أبيه، فانتزعها منه أبوه وسلمها لابن أخيه سليمان بن عبد الجبار بن أرتق، في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة، ثم انتزعها منه عمه سليك بن بهرام بن أُرتق، وقتل في سنة سبع عشرة وخمسمائة، وملكها بعده عمه تمرتاش تبن إيلغازي في ربيع الأول في السنة المذكورة، ثم حاصرها الفرنج وهي في يده، فخلصها منهم آق سنقر البرسقي صاحب الموصل، وملكها

---

(١) في الأصل: محمد والتصويب من ابن الأثير ج ١١ ص ١٠.

(٢) في الأصل: «ابنه الحافظ». وضرب على كلمة «ابنه» والتصويب من صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٣١ وفي وسط السطرين في الأصل تصويب نصه: الحافظ لدين الله ابن عم الآمر بأحكام الله.

(٣) في صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٣١ «عبد الحميد بن الآمر أبي القاسم» وهو خطأ. هذا وانظر ابن خلكان ترجمة عبد المجيد بن محمد بن المستنصر وابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥٣.

مع مادرين في السنة المذكورة، وقتله الباطنية في سنة عشرين وخمسمائة، وملكها بعده ابنه عز الدين مسعود بن آق سنقر، واستخلف عليها رجلاً من أمرائه اسمه قايماز، ثم استخلف عليها رجلاً اسمه قيغلغ(١)، ثم انتزعها منه سليمان بن عبد الجبار بن أرتق المقدم ذكره، ثم انتزعها منه عماد الدين زنكي صاحب الموصل في المحرم سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وملك معها حماة وحمص وبعلبك، (١٠٤ ب) فبقي إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكانت طرابلس بيد الفرنج.

وكانت حماة بيده سونج [ابن توري] بن طغتكين، فبقي بها حتى انتزعها منه عماد الدين زنكي، على ما تقدم، ثم انتزعها منه بعد ذلك تاج الملوك إسماعيل بن بوري ابن طغتكين، في سنة سبع وعشرين وخمسمائة، فبقيت في يده إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان على مكة قاسم بن محمد بن جعفر، فبقي(٢) حتى توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة، وولي بعده ابنه فُلَيْتَة(٣) فافتتح إمارته بالخطبة للعباسيين وحَسُنَ الثناءُ عليه. وبقي حتى مات سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وولي بعده ابنه قاسم، فبقي إلى ما بعد خلافة المسترشد.

ولم يتحرر لي من كان على المدينة في زمانه.

وكان على اليمن فاتك بن منصور، فبقي بها إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان ما وراء النهر بيد محمود بن أرسلان خان، فغلبه عليها كوخان ملك الصين، فبقي إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان على خراسان وما وراء النهر السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي، فبقي إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكانت غزنة وما معها بيد بهرام شاه بن مسعود من بني سبكتكين، فبقي إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان على إفريقية علي بن يحيى من بني المعز بن باديس، فبقي حتى مات سنة خمس عشرة وخمسمائة، وملك بعده ابنه الحسن بن علي، وهو ابن ثنتي عشرة سنة، وقام بأمره مولاه صندل، ثم مولاه موفق، وغلبه الفرنج على المَهديّة وبلاد الساحل

---

(١) في ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٤٧: واستناب أميراً اسمه قومان ثم إنه ولي عليها أميراً اسمه قتلغ ابه.

(٢) في كتاب المنتقى ص ٢١٢ أن قاسم بن محمد بقي مدة يسيرة ثم وليها بعده أصبهيد بن سارتكين لأنه في هذه السنة استولى على مكة عنوة وهرب منها قاسم المذكور وأقام بها أصبهيد إلى شوال سبع وثمانين «وأربعمائة» ثم أن قاسماً استعادها.

(٣) في الأصل: أبو فليته والتصويب من كتاب المنتقى ص ٢١٢ ويكتب في الأصل قليته «بالقاف».

كلها، إلى أن استنقذها منهم عبد المؤمن شيخ المُوحِّدين، وبقي إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان على الغرب الأقصى علي بن يوسف بن تاشفين، وعلى رأس أربع عشرة سنة من ولايته كان ظهور المهديّ بن تومرت، ودام ملكه إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان الأندلس بيد عليّ بن يوسف بن تاشفين فيما كان بيد أبيه، فاستمر على ذلك، وفي أيامه (١٠٥ أ) استولى الأدفونش ملك الفرنج على سَرَقُسْطة من شرق الأندلس، وعقد لولده تاشفين بن علي على غرب الأندلس سنة ست وعشرين وخمسمائة وأنزله قرطبة وإشبيلية، وعقد لأبي بكر بن إبراهيم على شرق الأندلس، وأنزله بلنسية، وعقد لابن غانية[١] على الجزائر الشرقية وأنزله دانية ومَيُورقة [ومنورقة] وبقي الأمر على ذلك إلى ما بعد خلافة المسترشد.

الثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق
الراشد بالله

وهو أبو جعفر المنصور بن المسترشد المقدم ذكره، ولي الخلافة بعهد من أبيه المسترشد، ثم بويع له بها بعد وفاته في اليوم الذي مات فيه، وهو يوم الاثنين السابع والعشرون[٢] من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وقام ببيعته السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، وكتب بذلك إلى بغداد، فبويع له بها، وحضر بيعته أحدٌ وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء، وبقي حتى توفي قتيلاً بأصفهان في الحادي والعشرين[٣] من رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، ومدة خلافته...[٤] شهر وأحد عشر يوماً، وكان له أولاد منهم الحسن جد الخلفاء بالديار المصرية.

---

(١) في الأصل: لابنه غانيه «بدون نقط الكلمة» والتصويب من صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٥٨.

(٢) قتل المسترشد بيد الباطنية وكان ذلك يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة ٥٢٩ انظر ابن الأثير ج ١١ ص ١١ وحياة الحيوان ج ١ ص ٨٠.

(٣) في ابن الأثير ج ١١ ص ٢٦ الخامس والعشرون من رمضان وفي حياة الحيوان ج ١ ص ٨١ في اليوم السادس والعشرين.

(٤) على حسابه مدة خلافته سنتان وتسعة أشهر وخمسة وعشرون يوماً وعلى حساب ابن الأثير سنتان وعشرة أشهر وتسعة أيام. وفي حياة الحيوان أنه خلع لأربع عشرة من ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة وكانت خلافته إلى أن خلع منها سنة إلا أياماً.

الحوادث والماجريات في خلافته

كان الراشد قد اتفق مع عماد الدين زنكي وغيره من ملوك الأطراف على خلاف[1] السلطان مسعود المقدم ذكره وطاعة داود بن السلطان محمود، فبلغ ذلك السلطان مسعود فسار إلى بغداد وحصرها، ووقع بها النهب من العيَّارين والمُفسدين، وأقام محاصراً لها نيِّفاً وخمسين يوماً، فارتحل عنها إلى النهروان، ثم عاد إلى بغداد وقد اختلفت كلمةُ عساكرها، فسار السلطان داود إلى بلاده بأذربيجان، وسار الخليفة مع عماد الدين زنكي إلى جهة الموصل، فسار السلطان مسعود إلى بغداد واستقرّ بها (١٠٥ ب) في منتصف ذي القعدة من هذه السنة، وجمع القضاةَ وكبار بغداد فأجمعوا على خلع الراشد بسبب أنه عاهد السلطان مسعوداً، على أن لا يقاتله، ومتى خالف ذلك فقد خلع نفسه،ونُسبت إليه أُمور منكرة ارتكبها، فحُكم بفسقه وكُتب محضرٌ بخلعه، وجُهِّز إلى عماد الدين زنكي بالموصل، فأثبت على قاضي الموصل[2]، وفارق الراشدُ زنكي، وسار من الموصل إلى مراغة، واجتمع بالسلطان داود بن محمود وملوك تلك النواحي، فاتفقوا على خلاف السلطان مسعود وقتاله، وإعادة الراشد إلى الخلافة، وأقام الراشد بهمَذَان، فسار السلطان مسعود إلى السلطان داود، وكانت بينهم حرب انهزم فيها داود، فسار داود إلى فارس، وهُزمت تلك الجموع، فسار الراشد إلى أصفهان للإقامة بها، فوثب عليه بعض الخراسانيين الذين كانوا في خدمته، عند القيلولة، فقتله، على ما تقدم.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر الحافظ لدين الله الفاطمي، فبقي إلى ما بعد الخلافة الراشد.

وكان على دمشق شهاب الدين محمود بن بوري، فبقي إلى ما بعد خلافة الراشد.

وكانت حماة بيد العادل نور الدين محمود بن زنكي.

وكانت طرابلس بيد الفرنج.

وكان على مكة قاسم بن فليته[3] فبقي إلى ما بعد خلافة الراشد، والخطبة متصلة للعباسيين. ولم أُحقق من كان في أيامه على المدينة.

وكان على اليمن فاتك بن منصور، فبقي إلى ما بعد خلافة الراشد.

وكان ما وراء النهر بيد كوخان صاحب الصين، فبقي إلى ما بعد خلافة الراشد.

---

(١) في الأصل: خلافه.

(٢) في ابن الأثير ج ١١ ص ١٨ ولم يكن قاضي القضاة حاضراً فإنه كان عند أتابك زنكي بالموصل.

(٣) في الأصل «ابن أبي فليته» والتصويب من كتاب المنتقى كما تقدم هذا.

وكان علي خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي، فبقي إلى ما بعد خلافة الراشد.

وكان على غزنة بهرام شاه بن مسعود بن سبكتكين، فبقي إلى ما بعد خلافة الراشد.

وكان على إفريقية الحسن بن علي، من بني باديس، فبقي إلى ما بعد خلافة الراشد (١٠٦ أ).

وكان على الغرب الأقصى والأوسط علي بن يوسف بن تاشفين، فبقي إلى ما بعد خلافة الراشد.

وكان الأندلس بيد عليّ بن يوسف بن تاشفين أيضاً، فبقي إلى ما بعد خلافة الراشد.

الحادي والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق

المقتفي لأمر الله[١]

وهو أبو عبد الله محمد بن المستظهر المقدم ذكره.

وأمه أم ولد[٢] وهو عم الراشد، كان حسن السيرة، بويع له بالخلافة ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وخمس مائة، بعد أن وصل إليه السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه وتحالفا، وخرج السلطان وأحضر الأمراء والقضاة والفقهاء وأرباب المناصب فبايعوه. وبقي حتى توفي في ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمس مائة، وعمره ست وسبعون سنة، ومدة خلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وسبعة[٣] عشر يوماً، وكان له من الأولاد: المستنجد ولي الخلافة، وأبو جعفر وهو أكبر من المستنجد.

الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة خمس وثلاثين وخمس مائة وصل رسول السلطان سنجر ومعه البُردة والقضيب اللذان[٤] كان أخذهما السلطان سنجر من المسترشد، فأُعيدا إلى المقتفي، واستقل بالأمر دون سلطان معه، وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار من الجواسيس في جميع البلاد حتى لا يكون يفوته شيء من أخبارها.

(١) بهامش الأصل عنوان هو: المقتفي لأمر الله من أعظم خلفاء بني العباس.

(٢) في حياة الحيوان ج١ ص ٨١ وكانت أمه حبشية وفي ابن الأثير ج ١١ ص ١٠٣ وأمه أم ولد تدعى باعي. وفي تاريخ الخلفاء ١٧٥ وأمه حبشية.

(٣) في ابن الأثير: وستة عشر يوماً. وفي حياة الحيوان كانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وقيل خمساً وعشرين سنة.

(٤) في الأصل اللذين.

وفي سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة قُتل السلطان داود ابن محمد السلجوقي غيلة.

وفي سنة ست وأربعين وخمس مائة اعتقل الخليفة المقتفى أخاه أبا طالب وضيّق عليه واحتاط على غيره من أقاربه، ومات السلطان مسعود في أول رجب سنة سبع وأربعين وخمس مائة، ومات بموته سعادة البيت السلجوقي فلم (١٠٦ ب) ترفع له بعد ذلك راية يُعتدّ بها، وكان موته بعد أن عهد بالملك إلى ابن أخيه ملكشاه بن محمود ابن محمد بن ملكشاه، فقعد في السلطنة بعده وخُطب له بها، وتغلب على السلطنة في زمانه شخص اسمه خاص بك، كان من أتباع السلطان محمود، ثم قبض على السلطان ملكشاه بن محمود وحبسه، وأرسل إلى أخيه محمد بن محمود وهو بخُوزِستان، فحضر وتولّى السلطنة، وجلس على سرير الملك، وكان قصد خاص بك أن يقبض على السلطان محمد أيضاً ويخطب لنفسه بالسلطنة، فبدره السلطان محمد في ثاني يوم وصوله فقتله، ثم سار السلطان محمد بن محمود في سنة وصوله فقتله، ثم سار السلطان محمد بن محمود في سنة إحدى وخمسين وخمس مائة بعساكر كثيرة إلى بغداد وحصرها، وحصّن المقتفى الخليفةُ دار الخلافة، واعتدّ للحصار، واشتدّ الأمر على أهل بغداد، فبينما هم على ذلك إذ بلغ السلطان محمداً[1] أن أخاه ملكشاه تحرك على بلاده، ووصل هَمَذان، فرحل السلطان محمد بن بغداد، وسار نحو أخيه في الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة.

ومات السلطان سنجر صاحب خراسان بمدينة مَرْو، من خراسان على ما تقدم.

وفي سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة اقتلع الخليفة المقتفى باب الكعبة وعمل عوضه باباً مُصفَّحاً بالفضة المُذهبة، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتاً يُدفن فيه، وفي سنة أربع وخمسين وخمس مائة توفي السلطان محمد بن محمود الذي كان قد حاصر بغداد بهَمَذان، وطلب الأمراء عمّه سليمانَ شاه بن محمد وكان معتقلاً بالموصل، فحضر وولي موضع ابن أخيه محمد بن محمود، وكان فيه خُرْق وتهَوُّر وضَعف في الدِّين حتى يقال: إنه كان يشرب الخمر في رمضان نهاراً، فتسلط عليه الجُند حتى لم يبق له معهم أمر، ثم قُبض عليه وحُبس، وأقيم أرسلان شاه بن طغرل[2] بن محمد بن ملكشاه في السلطنة مقامه، (١٠٧ أ) وخطب له بها، وبُعث إلى بغداد ليُخطب لها فيها بالسلطنة على عادة الملوك السلجوقية، فلم يُجَب إلى ذلك، وبقيت الخطبة في بغداد للخليفة وحده، وبقي الأمر على ذلك إلى وفاة المقتفى.

---

(١) في الأصل: محمود والتصويب من ابن الأثير ج ١١ ص ٨٧ وكذلك جاءت خطأ بعد ذلك.

(٢) في الأصل: «طغريل» ولعلها نطق في طغرل.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر الحافظ لدين الله الفاطمي، فتوفي سنة أربع وأربعين وخمس مائة، وولي بعده ابنه الظافر بأمر الله إسماعيل بن الحافظ المقدم ذكره، فبقي حتى قُتل في سنة تسع وأربعين وخمس مائة، وولي بعده ابنه الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظافر، صبيحة وفاة أبيه، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفى.

وكان على دمشق شهاب الدين محمود بن بوري، فقتل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وملك بعده أخوه جمال الدين محمد بن بوري، وتوفي في سنة أربع وثلاثين وخمس مائة، وملك بعده ابنه مجير الدين أُرتق بن محمد. وفي أيامه تغلبت الفرنج على ناحية دمشق، ثم انتزعها منهم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف بنور الدين الشهيد، فملكها في سنة تسع وأربعين وخمس مائة، واجتمع له مُلك جميع الشام، وهو الذي بنى أسوار مدن الشام حين وقعت بالزلازل من دمشق وحماة وحمص وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفى.

وكان على حلب عماد الدين زنكي، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفى. وكانت حماة بيده قبل ذلك. وكانت طرابلس بيد الفرنج.

وكان على مكة قاسم بن فليتة، والخطبة بمكة منسحبة لبني العباس، وبقي قاسم المذكور إلى ما بعد خلافة المقتفى.

وكان على المدينة قاسم[1] بن مهنًا، فتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة، وولي بعده ابنه سالم بن قاسم، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفى.

قال المؤيد صاحب حماة في «تاريخه»: وكان مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في فتوحاته يتبرّك به ويتيمّن بصحبته، ويرجع إلى قوله.

وكان (١٠٧ ب) على اليمن فاتك بن منصور بن فاتك، ثم ملك من بعده ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح، في سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة، وقُتل في سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة، وهو أحن ملوك بني نجاح بها، وانتقلت مملكة اليمن إلى بني مهديٍّ، فملك منهم بعد قتل فاتك عليٌّ بن مهديّ واستقر في الملك بزَبِيد في رابع عشر رجب سنة أربع وخمسين وخمس مائة، ثم مات بعد شهرين وأحد وعشرين يوماً، وكان مذهبُه التكفيرَ بالمعاصي، وقَتْلَ من خالف ذلك، وملك بعده ابنه مهديّ بن عليّ، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفى.

(١) في الأصل «هاشم بن مهنا» وانظر السطر الثاني ومعجم الأسرات وص ٤٨.

وكان ما وراء النهر بيد كوخان ملك الصين، فمات سنة سبع وثلاثين وخمس مائة، وملكت بعده ابنته ثم ماتت قريباً، وملك بعدها أُمُّها زوجة كوخان، وبقي ما وراء النهر بعد ذلك بيد الخِطَا، إلى أن غلبهم عليه علاء الدين محمد بن خوارزم شاه سنة ثنتي عشرة وستمائة، فبقي في يده حتى انتزعه منه بنو جنكزخان ملوك التتر في سنة سبع عشرة وثمان مائة.

وكان على خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي، فمات في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وكان موطنه مَرْو من خراسان، وخطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة، وكان قبلها يُخاطَب بالمَلِك عشرين سنة، ولما حضرته الوفاة استخلف على خراسان ابن أخته الملك محمود بن محمد بن بغراخان، فأقام على خوف من الغز، حتى انتزعها منه خوارزم شاه أطسز بن محمد بن أنوشتكين، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفي.

وكان على غزنة بهرام شاه بن مسعود من بني[1] سبكتكين، فتوفي وملك بعده [ابن] ابنه ملكشاه بن خسروشاه، فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفي.

وكان على إفريقية الحسن بن علي من بني المعز بن باديس، فغلبه عليها الموحِّدُون، وانتزعها منه عبد المؤمن بن عليّ أحد أصحاب المهدي بن تُومَرْت، ولحق الحسن بالجزائر، فنزل بها حتى فتح الموحدون الجزائر سنة سبع وأربعين وخمس مائة، فخرج إلى عبد المؤمن فأحس (١٠٨ أ) إليه، وبقي معه حتى افتتح المَهدِيَّة في سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة، فأنزله بها [فأ] قام بها ثماني سنين، ثم سار إلى مراكش فمات بها.

وكان على الغرب الأقصى والأوسط علي بن يوسف بن تاشفين، فمات سنة سبع وثلاثين وخمس مائة، وقد ضعفت كلمة المرابطين لظهور الموحدين [وقام بالأمر بعده ولده تاشفين بن علي وأخذ بطاعته وبيعته أهل العُدْوَتَين] ونزل تلمسانَ وقد استفحل أمرُ الموحدين، فقصده الموحِّدُون ففرّ منهم، وفُقِد سنة إحدى وأربعين وخمس مائة.

وملك بعده ابنه[2] إبراهيم بن تاشفين بن علي، فألفوه عاجزاً، فخلعوه وَوُلّيَ مكانه عمه إسحاق بن علي بمراكش، وقد ملك الموحدون جميع بلاد المغرب، فقصدوه في مَرَّاكش، فخرج إليهم في خاصته فقتلوه، وفر أُمراء المرابطين في كل وجه.

وكان ما بقي من الأندلس بيد عليّ بن يوسف بن تاشفين، فانتقل ذلك بعده إلى ابنه

---

(١) في الأصل: بن سبكتكين.

(٢) في الأصل «وملك بعده أخوه» والتصويب من صبح الأعشى ج٥ ص ١٩٠ ومنه أخذنا الزيادة في الصفحة السابقة.

تاشفين، ثم إلى إبراهيم بن تاشفين، ثم إلى إسحاقِ بن علي [بن يوسف] بن تاشفين، فقتل بمراكش على ما تقدم، وعدّي عبد المؤمن شيخ الموحدين إلى الأندلس، فملكه في سنة إحدى وخمسين وخمس مائة، واجتمع له إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والأندلس، وبقي إلى ما بعد خلافة المقتفى.

الثاني والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق

المستنجد بالله

وهو أبو المظفر يوسف بن المقتفى المقدم ذكره.

وأمه أم ولد اسمها طاووس[١]. وكان أسمر تام القامة طويل اللحية حسن السيرة شديداً على أهل العيْث والفساد، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه في رجب سنة خمس وخمسين وخمس مائة، واجتمع على بيعته أهل بيته وأقاربه وعمه أبو طالب وأخوه أبو جعفر، ثم بايعه الوزير عون الدين بن هبيرة وقاضي القضاة وغيرهم من وجوه الناس، وبقي حتى توفي في تاسع (١٠٨ ب) ربيع الآخر سنة ست وستين[٢] وخمس مائة. وكان سبب موته ـ فيما يقال ـ أنه مرض فاشتدّ مرضه، فدُبِّر عليه مع الطبيب أنه يدخل الحمّام، فدخله[٣] على ضعف، فمات وعمره إحدى وستون سنة[٤] وأشهر، ومدة خلافته إحدى عشرة سنة وأشهر، وكان له أولاد منهم المستضيء بالله[٥] الآتي ذكره.

الحوادث والماجريات في خلافته

أطلق في أيامه أشياء كثيرة من المكوس، وكان شديداً على أهل العيْث والفساد، وفي سنة ثمان وخمسين وخمس مائة أمر المستنجد الخليفة بإجلاء بني أسد أهل الحِلّة لفسادهم، فقتل جماعة منهم وهرب الباقون، وسلمت بطائحهم إلى رجل يقال له ابن معروف.

---

(١) في حياة الحيوان ج ١ ص ٨١ وأمه طاووس الكوفية أدركت دولته، وفي ابن الأثير ج ١١ ص ١٤٥ اسمها طاووس وقيل نرجس رومية. وفي ص ١٠٤ ذكر أن اسمها طاووس وفي تاريخ الخلفاء ص ١٧٧ أم ولد كرجية اسمها طاووس.

(٢) في حياة الحيوان ج١ ص ٨١ «سنة ست وسبعين وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة» وهذا خطأ انظر ابن الأثير ج ١١ ص ١٤٥.

(٣) في الأصل فدخلها.

(٤) في ابن الأثير ج ١١ ص ١٤٥ يفهم أن عمره ٥٦ سنة لقوله أنه ولد سنة ٥١٠، وفي حياة الحيوان أن عمره ٤٨ سنة.

(٥) في الأصل: «المقتفى» والتصويب من الأصل بعد ذلك أما المقتفى فهو أبوه.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر الفائز بنصر الله، فتوفي في سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وخمس مائة، وولي بعده العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف يوم وفاة الفائز[1] ووزر له أسد الدين شيركوه بن شادي[2]، ثم وزر له ابن أخيه السلطان صلاح الدين. وبقي العاضد إلى ما بعد خلافة المستنجد.

وكانت دمشق وحماة وما معها من البلاد الشامية وبعض بلاد الجزيرة وغير ذلك بيد العادل نور الدين محمود، وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمس مائة بقلعة دمشق، وكان قد اتسع ملكه وخُطب له بالحرم واليمن ومصر، وطبَّق ذكره الأرض، وملك بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل وعمره إحدى عشرة سنة، وحلف له العسكر بدمشق، وأطاعه السلطان صلاح الدين بمصر، وخطب له بها وضُربت السِّكَّة باسمه، وملك غازي بن مودود بن زنكي البلاد الجزرية بعد (١٠٩ أ) نور الدين، وبقي الملك الصالح إلى ما بعد خلافة المستنجد.

وكانت حلب بيد عماد الدين زنكي إلى ما بعد خلافة المستنجد.

وكانت طرابلس بيد الفرنج.

وكان على مكة قاسم بن فليتة[3]، فخطب للمستنجد كما كان يخطب لأبيه المقتفي، ثم قتل قاسم سنة ست وخمسين وخمس مائة وولي بعده ابنه عيسى، والذي ذكره صاحب حماه في «تاريخه» أن عيسى عم قاسم سيَّر الحاج[4] سنة ست وخمسين وخمس مائة، وقام مكان ابن أخيه قاسم المذكور، ثم عاد قاسم فملك مكة، ثم هرب وعاد عمه عيسى[5] فملكها، وهرب قاسم إلى جبل أبي قُبيس فوقع عن فرسه، فأمسكه عيسى وقتله.

وكان على المدينة سالم بن قاسم، فبقي إلى ما بعد خلافة المستنجد.

وكان على اليمن مهديّ بن عليّ بن مهديّ، ثم ملك بعده ابنه عبد النبي بن مهديّ،

---

(١) في الأصل: «ابنه العاضد».... يوم وفاة أبيه» والتصويب من ابن الأثير ج ١١ ص ١٠٣ فالفائز اسمه أبو القاسم عيسى بن إسماعيل والعاضد اسمه أبو محمد عبد الله بن يوسف ولم يكن أبوه خليفة هذا وفي صبح الأعشى الخطأ نفسه وانظر ج ٣ ص ٤٣١.

(٢) في الأصل «أيوب» انظر هامش النجوم الزاهرة ٣٠١/٥ عن ابن خلكان.

(٣) في الأصل: بن أبي فليته وانظر التصويب من ابن الأثير ج ١١ ص ١١٣.

(٤) في ابن الأثير أن قاسم بن فليته صادر المجاورين وأعيان أهل مكة وأخذ كثيراً من أموالهم وهرب من مكة خوفاً من أمير الحاج أرغش... فلما وصل أمير الحاج إلى مكة رتب مكان قاسم ابن فليته عمه عيسى بن قاسم فبقي كذلك إلى شهر رمضان.

(٥) في الأصل: ابنه عيسى.

ثم ملك بعده عمه[١] عبد الله بن مهديّ، ثم عاد عبد النبي ثانياً، وهو آخرهم، وبقي إلى ما بعد خلافة المستنجد.

وكان ما وراء النهر بيد ملوك بني جنكزخان.

وكان على غزنة ملكشاه بن خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن محمود من بني[٢] سبكتكين وهو آخرهم، ثم انتقل الملك إلى الملوك الغُورِيَّة فملك بعد ملكشاه السبكتكيني علاءُ الدين الحسين بن الحسين واستضاف غزنة إلى الغور في سنة خمس وخمسين وخمس مائة[٣] وتلقب بالملك المعظم، وتوفي سنة ست وخمسين وخمس مائة[٤]، وملك بعده غياث الدين محمد، فبقي إلى ما بعد خلافة المستنجد.

وكان على إفريقية والغرب الأقصى والغرب الأوسط والأندلس عبد المؤمن بن عليّ أحد أصحاب المهدي بن تومرت صاحب دولة الموحدين، فبقي حتى توفي بَسلاً من الغرب الأقصى في جمادى الآخرة (١٠٩ ب) سنة ثمان وخمسين وخمس مائة. وولي بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، فاستولى على جميع ما كان بيد أبيه من الأندلس وجميع بلاد المغرب، وبقي إلى ما بعد خلافة المستنجد.

الثالث والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق
المستضيء بالله[٥]

وهو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله المقدم ذكره.

ولم يل الخلافة من اسمه الحسن غيره وغير الحسن بن علي رضي الله عنه.

وأمه أم ولد أرمنية[٦]. كان عادلاً حسن السيرة، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه في

---

(١) كذا هو أيضاً في صبح الأعشى ج ٥ ص٢٩ وصوب الهامش أنه أخوه كما في تاريخ أبي الفداء وتاريخ القرماني.

(٢) في الأصل: بن.

(٣) في ابن الأثير ج١١ ص ١٠٦ وملك بعده ابنه ملكشاه فلما ملك نزل علاء الدين الحسين ملك الغور إلى غزنة فحصرها وكان الشتاء شديداً والثلج كثيراً فلم يمكنه المقام عليها فعاد إلى بلاده في صفر سنة ست وخمسين. وفي الأصل: واستضاف إلى غزنة الغور.

(٤) في ابن الأثير ج ١١ ص ١١٨ يفهم أن ملك الغور بعد الحسين هو محمد بن الحسين وقتل سنة ٥٥٨ وفي صفحة ٥٥ أن ملك غزنة هو غياث الدين محمد بن سام كصبح الأعشى ج ٤ ص ٤٤٩.

(٥) في تاريخ الخلفاء للسيوطي: المستضيء بأمر الله انظر ص ١٧٨ وكذلك ابن الأثير انظر ج ١١ ص ١٨٧.

(٦) في تاريخ الخلفاء اسمها غضة وكذلك ابن الأثير.

تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمس مائة، وبقي حتى توفي في ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمس مائة، وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمس مائة، ومدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر، وكان له أولاد[1] منهم الإمام الناصر لدين الله الآتي ذكره.

الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة سبع وستين وخمس مائة قطع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الخطبة بمصر للعاضد العلويّ وأقامها للمستضيء المذكور، وذلك أنه لما تمكّن أمر السلطان صلاح الدين بمصر وهو فيها كالنائب لنور الدين محمود صاحب الشام، وكان العاضد قد مرض واشتد مرضه، وبعث السلطان نور الدين للسلطان صلاح الدين يُحَتِّم عليه قطع الخطبة للعاضد والخطبة للمستضيء، ففعل، ولم يُعْلِم العاضدَ أحدٌ من أهل بيته بذلك خشيةً عليه من تأثير ذلك فيه من ضعفه، ولما وصل خبر الخطبة بمصر إلى بغداد ضُرِبت لها البشائر عدة أيام، وسُيِّرت الخلع إلى السلطانين نور الدين وصلاح الدين والخطباء، وسُيِّرت الأعلام السود، وكان العاضد قد رأى في منامه أن عقرباً قد خرجت من مسجد بمصر يعرفه فلدغته، فاستيقظ (١١٠ أ) فزعاً، واستدعى مُعَبِّراً، فعبّر له ذلك بوصول أذىً إليه من شخص بذلك المسجد، فطلب مَن بالمسجد، فأحضر إليه شخصٌ صُوفيٌّ يقال له نجم الدين الخوبشاني، فرآه العاضد أضعف من أن يناله منه أذى، فوصله بمال وصرفه، فلما أراد السلطان صلاح الدين إزالة الدولة العلوية استفتى العلماء في ذلك، فكان من جملة من أفتى في ذلك الخوبشاني المذكور، وزاد فيما كتب به حتى سلب عنهم الإيمان، فكان ذلك تأويل هذه الرؤيا، وهذا الخوبشاني[2] هو المدفون على القرب من تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ثم في سنة سبع وستين وخمس مائة أيضاً عزل الخليفة المستضيء وزيره عضد الدين رئيس الرؤساء، وحكم في دولته ظهير الدين أبو بكر بن العطار، ثم وقع بين المستضيء وبين أستادار قطب الدين قايماز[3] مقدم عسكر بغداد فتنة نهبت فيها دار قايماز وهرب إلى الحلّة، ثم إلى الموصل، فلحقه عطش عظيم في الطريق هلك منه أكثر أصحابه، ومات قبل أن يصل إلى الموصل، ولما هرب قايماز خلع المستضيء على عضد الدين الوزير، وأعاده إلى الوزارة.

وفي سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة بني السلطان صلاح الدين السور الدائر على

---

(١) في الأصل: وكان له من أولاد.

(٢) في الأصل الحبشاني.

(٣) في الأصل: بن قايماز.

مصر والقاهرة وقلعة الجبل، ودوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالذراع الهاشمي، ومات السلطان صلاح الدين والعمارة فيه.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر العاضد لدين الله الفاطمي، والقائم بتدبير دولته وزيره السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وبقي حتى توفي العاضد في يوم عاشوراء من سنة سبع وستين وخمس مائة، واستبدّ السلطان صلاح الدين بمملكة مصر.

وكانت البلاد الشامية بأسرها بيد الملك الصالح إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي، والسلطان صلاح الدين في طاعته (١١٠ ب) كما تقدم، ثم سار السلطان صلاح الدين إلى دمشق وملكها في سلخ ربيع الأول سنة سبعين وخمس مائة وملك معها حمص وحماه. وكان حلب بيد عماد الدين زنكي[١] فبقي إلى ما بعد خلافة المستضيء.

وكانت طرابلس بيد الفرنج.

وكانت مكة بيد عيسى بن فليته[٢] وذلك في أيام العاضد آخر خلفاء الفاطميين بمصر، ثم ولي بعده ابنه مُكْثِر، فأمر المستضيءُ أميرَ الحاجّ العراقي بعزله، فجرت بينهما فتنة انهزم في آخرها مُكْثِر إلى البرية، واستقر أخوه داود مكانه. وبقي إلى ما بعد خلافة المستضيء.

وكان على اليمن عبد النبي بن مهدي، فبقيت اليمن بيده إلى أن استولت عليها الدولة الأيوبية ملوك مصر، وأول من ملكها منهم شمس الدولة تُوران شاه بن أيوب، انتزعها من عبد النبي المذكور وأسره في سنة تسع وستين وخمس مائة، واستولى عليها لأخيه السلطان صلاح الدين، ثم استناب عليها توران شاه خطارَ[٣] بن كامل الكِناني وأقره بزبيد، ورجع إلى الشام في سنة إحدى وسبعين وخمس مائة، فأعطاه أخوه السلطان صلاح الدين الإسكندرية، وأقره بها، فكان يحمل إليه المال من زبيد قاعدة ملك اليمن وهو بالإسكندرية، وبقيت بيد توران شاه إلى ما بعد خلافة المستضيء.

وكان ما وراء النهر بيد ملوك الخطا.

وكان على خراسان وما معها خُوارزم شاه أرسلان[٤] بن أطسز بن محمد بن أنوش تكين، حتى توفي سنة ثمان وستين وخمس مائة.

وكان على غزنة غياث الدين محمد بن سام أحد ملوك الغورية، ثم استولى عليها

---

(١) عماد الدين زنكي هنا هو ابن مودود بن زنكي.

(٢) في الأصل بن أبي فليته وقد تقدم التصويب هذا وفي صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧١ يكتب أبو فليته.

(٣) في صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩ حطان وفي ابن الأثير ج ١١ ص ١٦١ مبارك بن كامل بن بني منقذ وسيأتي في الأصل «خطار» عدة مرات.

(٤) في ابن الأثير ج ١١ ص ١٥٢ خوارزم شاه ايل أرسلان بن اتسز.

الغز، وهم طائفة من الترك كانوا قد استولوا على خراسان وأسروا السلطان سنجر السلجوقي، فبقيت بأيديهم إلى ما بعد خلافة المستضيء.

وكان على إفريقية والغرب الأوسط والغرب (١١١ أ) الأقصى والأندلس المنصور أبو يعقوب يوسف[١] بن عبد المؤمن شيخ الموحدين، وبقي إلى ما بعد خلافة المستضيء.

الرابع والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق
الناصر لدين الله

وهو الإمام أبو العباس أحمد[٢] بن المستضيء بالله المقدم ذكره، قال السلطان عماد الدين صاحب حماه في «تاريخه»: كان قبيح السيرة في رعيته، ظالماً لهم، خرب في أيامه العراق، وتغرّب أهله في البلاد، وكان يتشيع، وكان منصرف الهمة إلى رمي البندق والطيور المناسيب، وإلباس سراويلات الفتوه، ومنع رمي البندق إلا أن ينسب إليه[٣] فأجابه الناس إلى ذلك، إلاَّ شخص واحد فإنه هرب من بغداد ولم يجب إلى ذلك، وكان من أمره أنه عمى في آخر عمره. بويع له بالخلافة يوم مات أبوه المستضيء، وهو ثاني ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمس مائة، وقام ببيعته ظهير الدين بن العطار مدبّر دولة أبيه بعد وزيره عضد الدين. وبقي حتى توفي في أول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة، ومدة خلافته نحو سبع وأربعين سنة، وكان له أولاد منهم الظاهر بأمر الله الآتي ذكره.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما استقر في الخلافة حكم أستاداره مجد الدين أبو الفضل، فقبض على مدبر دولته ظهير الدين بن العطار في سابع ذي القعدة[٤] بعد أيام قلائل من خلافته، ثم أخرج ميتاً على رأس حمال، فثارت به العامة وألْقَوْه، عن رأس الحمال، وشدُّوا في ذكره حبلاً. وسحبوه في البلد، وكانوا يضعون في يده مغرفة كأنها قَلَمُه، وقد غمست تلك المغرفة في العَذِرة، ويقولون: وَقِّعْ لنا يا مولانا، مع حسن سيرته فيهم، وكفِّه عن أموالهم، ثم خُلِّص (١١١ ب) منهم بعد ذلك ودفن.

---

(١) في الأصل: بن يوسف.

(٢) في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٨٠ أن أمه تركية اسمها زمرد.

(٣) في ابن الأثير ج ١٢ ص ١٨١ والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة فبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من يلبس منه سراويل ويدعي إليه ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة وكذلك أيضاً منع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي بالبندق إلا من ينتمي إليه فأجابه الناس.

(٤) في الأصل: ذي قعدة.

وفي سنة أربع وثمانين وخمس مائة أرسل قزل بن إلدكز[1] صاحب أذربيجان وهمذان وأصفهان والري يستنجد بالخليفة الناصر على طغرلبك[2] بن أرسلان بن طغرلبك السلجوقي ويحذره عاقبة أمره، فأرسل الخليفة عسكراً إلى طغرلبك صحبة وزيره جلال الدين عبد الله[3] فالتقوا في ثامن ربيع الأول على همذان[4]، فانهزم عسكر الخليفة، وغنم طغرلبك، وقبض عليه وحبسه، ثم قتل قزل في سنة ست[5] وثمانين وخمس مائة، ثم توفي طغرل[6] في سنة تسعين وخمس مائة، وملك خوارزم شاه الريّ وتوفي سنة ست وتسعين وخمس مائة[7]. [وفي سنة تسعين وخمسمائة] استولى الخليفة الناصر على حَديثة وعانة وكانت خارجة عن يده، وفي هذه السنة أرسل الخليفة وزيره مؤيد الدين بن القصاب إلى خوزستان، فملكوا مدينة تُسْتَر وما معها، في سنة إحدى وتسعين وخمس مائة، ثم سار بعد ذلك إلى هَمَذَان فملكها وغيرها من بلاد العجم، وأخذ يستولي على بلاد الخليفةِ، فتوفي مؤيد الدين في أوائل شعبان سنة اثنتين[8] وتسعين وخمس مائة.

وفي سنة أربع وستمائة سيّر الخليفةُ إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الديار المصرية تشريفاً بالسلطنة، فلبسها ونثر الذهب على رأسه، وكانت الخلعة جبة أطلس أسود بطراز مُذهب، وعمامة سوداء بطراز مذهب، وطوقٌ ذهبٍ وسيفاً جميع قرابه ملبس ذهباً يتقلّده، وحصاناً[9] أشهب بمركب ذهب، ونُثر على رأسه علم أسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة، وقَرِين ذلك تقليدٌ بالبلاد التي تحت حكمه، ولُقّب فيها العادل شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين، وقرين ذلك خِلَعُ الملك الأشرف والملك المعظم ابني العادل بعمامة سوداء وثوب أسود واسع الكُمّ، وكذلك الوزير صفي الدين بن شكر (١١٢ أ) وركب الملك العادل وولده الأشرف بالخلع حتى دخلا القلعة، وأكرم رسول الخليفة، وأُعيد إلى بغداد.

وفي سنة سبع وستمائة وردت رسل الخليفة الناصر إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له

---

(١) في ابن الأثير: ج ١٢ ص ٣٢ إيلدكز.
(٢) في الأصل تكتب دائماً طغريل. والتصويب من صبح الأعشى وابن الأثير.
(٣) في ابن الأثير ج ١٢ ص ١٠ عبيد الله بن يونس.
(٤) في ابن الأثير: بداي مرج عند همذان.
(٥) في ابن الأثير دون قتله سنة ٥٨٧ هذا وفي الأصل: ثم قتل فنزل.
(٦) الذي في ابن الأثير ج ١٢ ص ٤٤ أنه قتل.
(٧) في الأصل: «وفي سنة ست وستين وخمس مائة استولى...» هذا والزيادة والتصويب من السياق وابن الأثير ج ١٢ ص ٤٥ وص ٦٥.
(٨) في ابن الأثير ج١٢ ص ٤٧ ذكر وفاة الوزير في حوادث سنة ٥٩١.
(٩) في الأصل وسيف جميع قرابه ملبس ذهب يقلده وحصان.

كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها، وأن ينتسبوا إليها في رمي البندق، ويجعلوه قدوتهم فيه، فأجابوه إلى ذلك.

وفي سنة أربع عشرة وستمائة عزم خوارزم شاه[١] على السير إلى بغداد للإستيلاء عليها. وقدم بعض العساكر وسار في أثرهم عن هَمَذان. فسقط عليهم بعد مسيرهم بثلاثة أيام ثلجٌ لم يُسمع بمثله، فهلكت دوابُّهم، وخاف خوارزم شاه التترَ على بلاده التي استولى عليها في سفره، ذلك، فعاد إلى خراسان، وقطع الخطبة للخليفة الناصر من بلاد خراسان في سنة خمس وستمائة. وكذلك قُطعت خطبة الخليفة في ما وراء النهر، وبقيت خوارزم وسمرقند وهراة على الخطبة للخليفة، فإن أهل هذه البلاد كانوا يخطبون لمن يختارون ولا يعارضون في ذلك.

وفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة استولى جلالُ الدين[٢] عَلَى خُوزستان، وكان الخليفة الإمام الناصر، ثم سار حتى قارب بغدادَ، وخاف أهلُ بغداد منه واستعدوا للحصار، ونهبت الخُوارزميّةُ، البلاَد وامتلأت أيديهم من الغنائم.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر في أيامه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فبقي حتى توفي بدمشق في سنة تسع وثمانين وخمس مائة، وكانت مدة ملكه بالديار المصرية أربعاً وعشرين سنة. ثم ملك بعده مصر ابنه[٣] الملك العزيز عثمان، وتوفي ليلة السابع والعشرين من المحرم سنة (١١٢ ب) خمس وتسعين وخمسمائة[٤]، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد[٥] فأقام بها حتى ورد عليه الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام، وأقام عنده قليلاً كأنه مدبر لدولته، ثم استقل العادل بالملك في ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمس مائة، وبقي إلى ما بعد خلافة الناصر.

---

(١) خوارزم شاه السابق هو تكش بن أرسلان ويراد بخوارزم شاه ملك خوارزم ويراد بخوارزم شاه هنا محمد بن تكش.

(٢) هو جلال الدين بن خوارزم شاه محمد بن تكش.

(٣) في الأصل كلام ضرب عليه نصه ونضعه بين قوسين: ثم ملك بعد مصر (ابنه الملك العزيز وبقي حتى توفي في ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمس مائة بعد أن مضى على مصر في ملكه أربع وعشرون سنة وملك بعده مصر) ابنه الملك العزيز.

(٤) في الأصل: وستمائة وهو سهو ظاهر.

(٥) الذي في ابن الأثير أن الذي ملك هو الأفضل أخو العزيز وأن ابن أخيه كان له اسم الملك فقط انظر ج ١٢ ص ٥٨، ٦٠.

وكانت دمشق مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أيضاً، وقرر فيها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، وتوجه لاستقلاع[1] بقية البلاد، فلما عاد إلى الديار المصرية في سنة ست وسبعين وخمس مائة استخلف عليها ابنَ أخيه عزَّ الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك، وصارت بيده هيَ وبعلبك، ثم [صرفه عنها و] قرر فيها ابنه الملك الأفضل عليًا، فبقي فيها حتى تُوفّي والده، وبقي بها إلى أن قصده أخوه الملك العزيز عثمان صاحب مصر بعد وفاة أبيهما، وصحبته[2] عمه العادل أبو بكر بن أيوب، فانتزعها منه، وخُطب فيها باسم العزيز في سنة اثنين وتسعين وخمس مائة. وكان الخليفة الناصر يميل إلى التشيع، فكتب إليه الأفضل عليُّ بنُ السلطان صلاح الدين يستجيشه على أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبي بكر ببيتين من نظمه هما:

مولايَ إن أبا بكرٍ وصاحبَه ... عثمانَ قد غصَبَا بالسيف حقَّ عَلِي
فانظر إلى حَظِّ هذا الاسْمِ كيف لَقِي ... من الأواخر ما لاقى من الأُوَلِ

فكتب إليه الناصر في جوابه:

غصبوا عَلِيًّا حقَّه إذْ لم يكن ... [بَعْدَ النبيِّ] له بيثرب ناصِرُ
فاصبر فإنَّ [غداً] عليك حسابهم ... وَابْشِر فناصرُك الإمامُ الناصِرُ

ثم لو يُزِل عنه شَكْوَاه، ولم يدفع عنه لأوَاه.

ولما ملك العزيزُ دمشق سلمها لعمه العادل أبي بكر بن أيوب ـ وعاد إلى مصر محل ملكه ـ فقررَ فيها العادلُ ابنَه الملكَ المعظم عيسى بن أبي بكر مضافاً إلى ما بيده من الكَرَك (١١٣ أ) والشَّوْبَك وغيرهما، وبقي إلى ما بعد خلافة الناصر.

وكانت حلب بيد عماد الدين زنكي[3] فتسلمها منه السلطان صلاح الدين في سنة تسع[4] وسبعين وخمس مائة، وسلمها لابنه الملك الظاهر غازي، فبقيت بيده حتى سلمها السلطان صلاح الدين لأخيه العادل أبي بكر في السنة المذكورة، فبقي بها حتى جهزه أخوه السلطان صلاح الدين إلى مصر في سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة، وأعاد إليها ابنه الظاهر غازي، فلم يزل بها حتى استقل العادل أبو بكر بسلطنة مصر والشام، فصار ملوك بني أيوب بالشام كأنهم نوابه، فخطب له الظاهر غازي بحلب، وضرب السكة باسمه، وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة الناصر.

---

(١) لعلها لاستطلاع.

(٢) في صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦٦ بمعاضدة عمه.

(٣) عماد الدين زنكي هنا هو ابن مودود بن زنكي.

(٤) في الأصل «ست وسبعين» والتصويب من صبح الأعشى.

وكانت حماة بيد السلطان صلاح الدين، فقرر فيها خاله شهاب الدين الحارمي، ثم قرر فيها ابن أخيه(١) تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، سنة أربع وسبعين وخمس مائة، فبقيت بيده حتى توفي سنة سبع وثمانين وخمس مائة، فوليها بعده ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد، فبقي بها حتى توفي سنة سبع عشرة وستمائة(٢) ووليها بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين قليج(٣) فبقي إلى ما بعد خلافة الناصر.

وكانت طرابلس بيد الفرنج.

وكانت حمص بيد السلطان صلاح الدين، فقرر بها ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه، فبقي بها حتى توفي سنة إحدى وثمانين وخمس مائة، فاستقر بها بعده ابنه الملك الظاهر شيركوه، فبقي بها إلى ما بعد خلافة الناصر.

وكانت بعلبك بيد السلطان صلاح الدين، فقرر فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك، ثم انتزعها منه في سنة أربع وسبعين وخمس مائة، وأعطاها أخاه(٤) شمس الدولة توران شاه بن أيوب، وبقيت بيده إلى أن مات سنة ثمان وسبعين وخمس مائة، فاستقر بها ابنه الملك الأمجد بهرام شاه، وهو الذي بنى دار السعادة بدمشق، فبقي إلى ما (١١٣ ب) بعد خلافة الناصر.

وكان الكرك بيد الفرنج، فانتزعه منهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة أربع وثمانين وخمس مائة، وقرر فيها [أخاه الملك العادل أبا بكر ابن أيوب، فبقيت بيده إلى أن مات السلطان صلاح الدين فقرر فيها](٥) ابنه الملك المعظم عيسى، فبقيت بيده إلى ما بعد خلافة الناصر.

وكان طرابلس(٦) وصَفَد بيد الفرنج.

وكانت مكة بيد داود بن فليته(٧) فبقي يتناوبها هو وأخوه شكر تارة وتارة، حتى مات داود في سنة تسع وثمانين وخمس مائة، وانقرضت دولة الهواشم، وصارت لبني قتادة بن إدريس بن مُطاعن من عقب الحسن بن عليّ ابن أبي طالب، وخطب فيها للخليفة الناصر،

---

(١) في صبح الأعشى ج ٤ ص ١٧٣ قرر فيها أخاه تقي الدين.

(٢) في صبح الأعشى: فبقي بها حتى انتزعها منه أخوه الملك المظفر محمود في سنة ست وعشرين وستمائة.

(٣) في ابن الأثير ج١٢ ص ٢٠١: قلج.

(٤) في الأصل وأعطاها لأخيه.

(٥) الزيادة من صبح الأعشى ج ٤ ص ١٧٥.

(٦) ضبطت في صبح الأعشى ج٤ ص ١٧٤ أطرابلس بفتح فسكون وانظر الصفحة السابقة.

(٧) في الأصل: بن أبي فليته. وسبق التصويب.

وعظُم شأنه حتى ملك مع مكة يَنْبُعَ وأطرافَ اليمن، وبعض أعمال المدينة، وبلاد نجد، ولم يَقْدَم على أحد من الخلفاء ولا من الملوك، واستدعاه الناصر الخليفةُ في بعض السنين فكتب إليه هذه الأبيات:

بلادي وإن هانت عليكَ عزيزةٌ ... ولو أنني أعرى بها وأجوعُ
ولي كَفُّ ضِرغام أُذِلُّ ببطشها ... وأشرى بها بين الورى وأبيعُ
تظلُّ ملوكُ الأرض تلثم ظهرها ... وفي بطنها للمجدبين ربيعُ
أأجعلها تحت الرَّحا ثم أبتغي[1] ... خلاصاً لها إني إذاً لرقيعُ
وما أنا إلا المسكُ في كلِّ بلدة ... يَضُوع وأما عندكم فَيضيعُ

وبقي حتى توفي سنة سبع عشرة وستمائة، وولي مكانه ابنُه الحسنُ، فبقي بها حتى قدم عليه الملك المسعود أقسيس[2] [بن] الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن، سنة عشرين وستمائة وملكها، وقتل جماعة من الأشراف، وذهب حسن بن قتادة إلى بغداد جريحاً، فمات بها سنة ثنتين وعشرين وستمائة، وبقي أقسيس بمكة إلى ما بعد خلافة الناصر.

وكان على المدينة سالم بن قاسم، فمات وولي بعده ابنه شيحة، وبقي إلى ما بعد خلافة الناصر.

(١١٤ أ) وكانت اليمن مفوضة إلى توران شاه بن أيوب وهو بالإسكندرية ونائبه خطَّار[3] باليمن إلى سنة ست وسبعين وخمس مائة، فوجه إليها السلطان صلاح الدين أميراً استولى عليها وعزل خطَّاراً نائب أخيه توران شاه ثم توفى ذلك الأمير فعاد خطار إلى ولايته، ثم بعث السلطان صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن، فقبض على خطَّار، واستقر في ملك اليمن، وبقي حتى مات بزبيد سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة، وملك بعده ابنه الملك المعز[4] إسماعيل وكان فيه هَوَج، فادّعى أنه قرشي من بني أُمية، ولبس الخُضرة، وخطب بنفسه ولبس ثياب الخلافة، فقتله أمراؤه وأقاموا مكانه أخا له صغيراً لقبوه الناصر، وقام بتدبير مملكته مملوك أبيه سنقر، ثم مات سنقر بعد أربع سنين؛ فقام بتدبير دولته زوج أمه غازي بن جبريل وسمَّ الناصرَ في كوز فُقَّاع[5]، وتملَّك غازي

---

(١) في الأصل: الرجى ولعلها الرجاء مقصور من الرجاء والتصويب من ابن الأثير ج١٢ ص ١٦٦.
(٢) في صبح الأعشى ج٤ ص ٢٧٢ أقسز وفي الأصل أقسيس الكامل، وفي ابن الأثير ج١٢ ص ١٧٠ أقسز بن الملك الكامل.
(٣) انظر ما سبق من اختلاف المصادر في اسمه: حطان أو المبارك.
(٤) في صبح الأعشى ج٥ ص ٣٠: العزيز إسماعيل.
(٥) الفقاع: الشراب يتخذ من الشعير.

اليمن، ثم قتله جماعة من العرب بسبب قتله الناصر، وبقيت اليمن بغير سلطان، فغلبت أم الناصر على زَبِيد وأرسلت إلى مكة تتوقع حضور أحد من بني أيوب في الموسم لتملّكه اليمن، وكان للملك المظفر تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولدٌ يسمّى سليمان، فخرج إلى الحجاز في صورة فقير يحمل الرَّكْوَة[1] على كتفه، فأُتيت به فملّكته اليمن في سنة تسع وتسعين وخمس مائة بعد أن تزوجت به، فملأ اليمن ظلماً وجوراً، وكتب إلى عم أبيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الديار المصرية كتاباً في أوله ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النمل: الآية ٣٠] فبقي إلى سنة اثنتي عشرة، فبعث الملكُ الكاملُ محمدُ ابنُ العادلِ أبي بكرٍ صاحبُ الديار المصرية ابنَه الملك المسعود يوسف أطسيس[2] المعروف بأقسيس إلى اليمن فاستولى عليه، وقبض على سليمان وبعث به معتقلاً إلى مصر، فبقي (١١٤ ب) بها حتى قتل في نوبة المنصورة شهيداً، وبقي الملك المسعود بها، فكره المقام بها، فاستخلف عليها ابن رسول أمير أخور، وسار قاصداً الشام فتوفي بمكة في سنة ست وعشرين[3] وستمائة، وهو آخر ملوكها، من بني أيوب، وانتقلت الدولة بها إلى بني رسول، واستقرت قدمهم فيها، وبقي فيها عليّ بن رسول الله ما بعد خلافة الناصر[4].

وكان ما وراء النهر بيد بني جنكزخان.

وكان على خراسان خوارزم شاه محمد بن تكش بن أرسلان بن أطسز بن محمد أنوشتكين، فبقيت بيده[5] حتى انتزعها منه جنكزخان ملك التتر واستولوا عليها في سنة تسع عشرة وستمائة، بعد أن اتسع ملكه، وملك مع خراسان من حد العراق إلى تركستان وبلاد غزنة وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجَبَل وهي عراق العجم.

وكانت غزنة بيد الغز المتغلبين عليها، ثم انتزعها منهم شهاب الدين بن سام في سنة

---

(١) الركوة من معانيها: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٢) في صبح الأعشى الملك المسعود أطسز. . . .

(٣) في الأصل: سنة ست وسبعين وستمائة وهذا غير معقول. والتصويب من الأصل الورقة (١١٨ ا) وصبح الأعشى ج٤ ص ٢٧٣.

(٤) بعد هذا في الأصل: ما يأتي: «وتغلب على اليمن وتلقب بالملك المنصور وخرج عن طاعة بني أيوب وبقي إلى ما بعد خلافة الناصر» وهذا النص مفحم ولا شك ففي صبح الأعشى أن علي بن رسول» استقر نائباً باليمن لبني أيوب حتى مات سنة ثلاثين وستمائة» ثم استقر بعد علي بن رسول المذكور في النيابة ولده الملك المنصور عمر بن علي ثم تغلب على اليمن وخرج عن طاعة بني أيوب ملوك مصر واستقل بملك اليمن وتلقب بالملك المنصور ثم قتل في سنة ثمان وأربعين وستمائة.

(٥) في الأصل: مدة.

تسع وسبعين وخمس مائة، وبقي حتى قتل سنة اثنتين وستمائة. وفي أيامه كان الإمام فخر الدين الرازي صاحب «التفسير» و «المحصول» في أصول الفقه وغيرهما من المصنفات، وكان معظماً عنده. ثم ملك من بعده علاء الدين محمد بن سام، ثم غلبه عليها يلدز مملوك غياث الدين بن سام، ثم غلبه عليها علاء الدين محمد المقدم ذكره، ثم غلب عليها يلدز أيضاً، ثم غلب عليها علاء الدين محمد بن تكش بن خوارزم شاه في سنة اثنتي عشرة وستمائة، فبقيت بيده حتى غلب عليها جنكزخان ملك التتر في سنة سبع عشرة وستمائة، وتوالت عليها ملوك بني جنكزخان في جملة ما ملكوه من الممالك، إلى أن كان آخرهم بهذه المملكة القان أبو سعيد صاحب مملكة إيران.

وكانت إفريقية بيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[1] فولَّي عليها أبا سعيد بن الشيخ أبي حفص عمر، ثم غلب ابنُ غانية على أكثر بلاد (١١٥ أ) إفريقية، واستولى على تونس، وخطب للخليفة العباسي ببغداد، ثم جهز الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن الشيخَ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص من مرَّاكش إلى إفريقية سنة ثنتين وستمائة، فانتزعها من ابن غانية، ثم وصل الناصر بن المنصور إلى إفريقية بعد ذلك، ودخل تونس، وأقام بها إلى منتصف سنة ثلاث وستمائة، وعزم على الرحيل إلى مراكش، واستخلف على إفريقية الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص، فقعد بها مقعد الإمارة بقصبة تونس يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة، فبقي بها حتى توفي في مفتتح سنة ثمانَ عشرةَ وستمائة، وبقي بها بنوه إلى الآن، وولي بعده ابنه أبو زيد عبدُ الرحمن، وورد كتاب المستنصر بن الناصر ابن عبد المؤمن[2] بعزله بعد ثلاثة أشهر من ولايته، وأقام المستنصر مكانه أبا العُلَى إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن، فوصل إلى تونس في ذي القعدة من السنة المذكورة، فنزل بقصبتها ورتّب الأمور، وبقي حتى مات بتونس سنة عشرين وستمائة، ومات المستنصر المقدم ذكره، وصار الأمر بعده لعبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المؤمن، فولي على إفريقية أبا زيد بن أبي العُلَى، فبقي بها إلى ما بعد خلافة الناصر.

وكان الغرب الأوسط والغرب الأقصى وما بقي مع المسلمين من الأندلس بيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أيضاً، فبقي بيده حتى مات سنة ثمانين وخمس مائة، وملك بعده ابنه يعقوب بن يوسف، عقب وفاته بإشبيلية من الأندلس، وتلقب بالمنصور، واستولى على ما كان بيد أبيه من الممالك، ومات بالأندلس سنة خمس وتسعين وخمس مائة، وولي

(١) في صبح الأعشى ج ٥ ص ١٢٦ المنصور يعقوب بن عبد المؤمن.

(٢) في صبح الأعشى ج ٥ ص ١٢٧ : المستنصر بن الناصر خليفة بني عبد المؤمن.

بعده ابنه محمد، وتلقب بالناصر لدين الله، ورجع إلى بلاد المغرب وبقي حتى مات في مراكش في شعبان سنة تسع وستمائة، وولي ابنه يوسف بن محمد سنة إحدى عشرة وستمائة، ولقب المستنصر بالله، وبقي إل ما بعد خلافة الناصر.

(١١٥ ب) الخامس والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق
الظاهر بأمر الله[١]

وهو أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله المقدم ذكره. كان عادلاً حسن السيرة جواداً كثير الإحسان للعلماء ونحوهم. بويع له بالخلافة يوم مات الناصر في أول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وبقي حتى توفي في رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة، فكانت خلافته تسعة أشهر[٢] وأعمار الجياد قِصار.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة أظهر العدل، وأزال المكوس، وأخرج المسجونين من السجن، ومشى على مذهب أهل السنة، وترك ما كان عليه أبوه من التشيع، وظهر للناس وكان الناصر من قبله لا يظهرون إلا نادراً، قال المؤيد صاحب حماة: وما أزاله من المنكرات أنه كان بخزانة الخليفة صنجة زائدة، زيادتها في كل دينار حبة، يقبضون بها المال، ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس، فأبطل تلك الصنجة الزائدة وبذل المال على المحبوسين على الدَّين، وزاد في بِرّ العلماء ومن في معْناهم. أولاده منهم المستنصر الآتي ذكره.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر العادل أبو بكر بن أيوب، وبقي حتى توفي بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة، وملك بعده ابنه الملك الكامل محمد، وهو أول من سكن قلعة الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة.

وكان على دمشق المعظم عيسى بن العادل أبي بكر، ولما مات أبوه العادل واستقر أخوه الكامل محمد بن العادل بمصر بعد أبيه خطب له بدمشق دون نفسه، وبقي إلى ما بعد خلافة الظاهر.

---

(١) ولد سنة ٥٧١ كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٨٤.

(٢) في ابن الأثير ج١٢ ص ١٨٨ «مدة خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً» وهو ما يتفق مع حساب توليه ووفاته.

وكانت حلب بيد الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين، وهو يخطب بها لعمه العادل أبي بكر صاحب مصر، وبقي حتى توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة، وعهد بملك حلب بعده لابنه الملك العزيز (١١١٦) محمد، فبقي بها إلى ما بعد خلافة الظاهر.

وكانت حماة بيد الملك الناصر صلاح الدين قليج بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، فبقي بها إلى ما بعد خلافة الظاهر.

وكانت طرابلس وصَفَد للفرنج.

وكانت الكَرَك بيد المعظم عيسى بن السلطان صلاح الدين، فبقي بها إلى ما بعد خلافة الظاهر.

وكانت حمص بيد المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي بن أيوب[١]، فبقي بها إلى ما بعد خلافة الظاهر.

وكانت بعلبك بيد الملك الأمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب، فبقي بها إلى ما بعد خلافة الظاهر.

وكانت مكة بيد أطسيس صاحب اليمن بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، فبقي إلى ما بعد خلافة الظاهر.

وكان على اليمن عليّ بن رسول جد ملوكها الآن، فبقي إلى ما بعد خلافة الظاهر.

وكان ما وراء النهر بيد بني جنكزخان.

وكان على إفريقية أبو زيد بن أبي العلاء، وولي بعده أبو محمد عبد الله بن أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص، فبقي إلى ما بعد خلافة الظاهر.

وكان الغرب الأوسط والغرب الأقصى وما بقي مع المسلمين من الأندلس بيد المستنصر يوسف بن محمد، فبقي إلى ما بعد خلافة الظاهر، غير أن بني عبد الواد، ومن والاهم من زِنَاته من البربر، كانوا غلبوا على ضواحي تلمسان، والرياسة فيهم يومئذ لبني القاسم بن عبد الواد، وهم يقولون: إن بني القاسم من الأدارسة العلويين، وآلت رياستهم إلى جابر بن يوسف بن محمد، من عقب القاسم المذكور.

وكانت تلمسان بيد المأمون بن عبد المؤمن، من الموحدين فولاها لأخيه سعيد، فبقي إلى ما بعد خلافة الظاهر.

---

(١) «بن أيوب» هنا لعلها مقحمة.

(١١٦ ب) السادس والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق
المستنصر بالله[١]

وهو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله المتقدم ذكره. كان على ما كان عليه أبوه من العدل وحسن السيرة. وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه في رابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وبقي حتى توفي يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة، وكانت خلافته سبع عشرة سنة إلا شهراً. وكان له من الأولاد المستعصم الآتي ذكره.

الحوادث والماجريات في خلافته

في أيامه في سنة [أربع وعشرين وخمس وعشرين خرج التتر على بلاد الإسلام، وفي سنة][٢] ثمان وعشرين وستمائة خرج التتر ثانياً على بلاد الإسلام، وعاثوا فساداً، وضعف جلال الدين بن خوارزم شاه عن مقاومتهم.

وفي سنة خمس وعشرين[٣] وستمائة تسلم الفرنج القدس بالصلح.

وفي سنة تسع وعشرين فتح السلطان الملك الكامل آمد من بلاد الجزيرة، وفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة سار الناصر داود صاحب الكَرَك من الكرك إلى بغداد ملتجئاً إلى الخليفة المستنصر، لما حصل عنده من الخوف من عمه الكامل، وقدم الخليفة تحفاً عظيمة وجواهر نفيسة، فأكرمه الخليفة وخلع عليه وعلى أصحابه، وكان الناصر داود متطلعاً إلى أن يُحضِره الخليفة في مَلإٍ من الناس، وطلب ذلك مراراً فلم يجبه الخليفة إلى ذلك مراعاة لخاطر عمه الكامل صاحب مصر، فكتب إليه أبياتاً تتضمن الاستعطاف، فجمع بين المصلحتين واستحضره ليلاً، ثم عاد الناصر بعد ذلك إلى الكرك.

ومن غرائب الاتفاق في أيامه أنه وقع خلف بين ملوك بني أيوب بالديار المصرية والممالك الشامية، فبعث الخليفة المستنصر محي الدين بن الجوزي ليصلح بينهم، فاتفق أنه مات في حضوره في سنة (١٧٧ أ) أربع وثلاثين وسنة خمس وثلاثين أربعة سلاطين، وهم الكامل، صاحب مصر، وأخوه الأشرف صاحب دمشق، والعزيز صاحب حلب، وكيقباد صاحب بلاد الروم، فقال في ذلك المستخف الشاعر:

يا إمام الهدى أبا جعفر المنـ ـصور يا من له الفخار الأثيلُ

---

(١) ولد في صفر سنة ٥٨٨ وأمه جارية تركية، انظر تاريخ الخلفاء ص ١٨٥.
(٢) زيادة يقتضيها السياق اقتبستها من ابن الأثير ج١٢ ص ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٤.
(٣) في ابن الأثير ج١٢ ص ١٩٦ أن ذلك كان سنة ست وعشرين وستمائة.

مـا جـرى مـن رسـولـك الآن مـحـي الـ ... ديــن فــي هــذه الــبــلاد قــلــيــلُ
جـاءَ والأرض بـالـسـلاطـيـن تُـزْهَـى ... وغـدا والـديـارُ مـنـهـم طُـلـولُ
أقـفـر الـروم والـشـآم ومـصـر[1] ... أفـهـذا مُـغـسِّـلٌ أم رسـول

وبنى المدرسة المستنصرية ببغداد في الجانب الشرقي منها على دجلة مما يلي دار الخلافة، وجعل لها أوقافاً جليلة.

ووقف أيضاً أوقافاً على جهات البر. وفي أيامه سنة تسع وثلاثين وستمائة كُسفت الشمس كسوفاً كاملاً حتى ظهرت النجوم وأظلمت الدنيا، وأوقدت السُرُج في الدكاكين والحمامات، ثم انجلت بعد ذلك.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، فبقي حتى توفي بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة، وملك بعده ابنه الملك العادل أبو بكر، وقُبض عليه في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة، وملك بعده أخوه[2] الملك الصالح نجم الدين أيوب في أوائل سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكان على دمشق المعظم عيسى بن العادل أبي بكر، فتوفي سنة أربع وعشرين وستمائة، وملك بعده ابنه المالك الناصر صلاح الدين داود وهو صغير، وقام بتدبير دولته عز الدين أيبك المُعَظَّمي، ثم سار الملك الكامل[3] محمد بن العادل أبي بكر من مصر إلى دمشق وتسلمها من الناصر داود في سنة ست وعشرين وستمائة، وعوضه عنها الكَرَك والبلقاء والصلب والأغوار، واستخلف عليها أخاه[4] (١١٧ ب) الملكَ الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، فبقي بها حتى توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة، وملكها بعده أخوه الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب بعهد منه[5] فبقي بها حتى سار إليه أخوه الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر صاحب مصر فانتزعها منه في جمادي الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة، وعوضه عنها بعلبك، فبقي حتى توفي فيها في السنة المذكورة، فولوا مكانه الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل أبي بكر بن أيوب، فبقيت بيده حتى قدم عليه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر من ميافارقين، وتسلمها منه في سنة ست وثلاثين وستمائة، ثم

---

(١) في الأصل «الشمال ومصر» والتصويب من السياق.
(٢) في الأصل: بعده ابنه الملك الصالح...
(٣) في صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦٦ الملك الناصر محمد بن العادل أبي بكر.
(٤) في الأصل ابن أخيه والتصويب من صبح الأعشى وابن الأثير ج ١٢ ص ٢٠٠.
(٥) في الأصل: «بعهد من أبيه» والتصويب من صبح الأعشى.

خرج منها الملك الصالح عند وفاة أبيه الملك الكامل يريد ملك الديار المصرية عوضاً من أبيه، وأقام مكانه في دمشق ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر نائباً عنه، فوثب عليه صاحب بعلبك الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة سبع وثلاثين وستمائة، فقبض عليه وملكها، وبقي بها إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت حلب بيد الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين، فبقي بها حتى توفي في ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة، وملكها بعده ابنه الملك الناصر يوسف وعمره سبع سنين، وقام بتدبير دولته أُمراؤه وجَدَّته لأبيه ضيفة خاتون، وكانت من المرجوع إليها في أمور المملكة، وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت طرابلس وصَفدَ بيد الفرنج.

وكانت حماة بيد الناصر قليج بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، فبقيت بيده حتى انتزعها منه أخوه الملك المظفر محمود في سنة ست وعشرين وستمائة، فبقي بها إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت (١١٨ أ) الكرك بيد المعظم عيسى، فبقيت بيده إلى أن استضاف إليها دمشق على ما تقدم، وتوفي سنة أربع وعشرين وستمائة، وملكها بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود، ثم انتزع عمه الكامل محمد بن العادل دمشق منه في سنة ست وعشرين وستمائة، على ما تقدم، وبقي معه الكرك وعملها، فبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر، بعد أن أُخذت منه غالب بلاده.

وكانت حمص بيد المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه، فبقي بها حتى توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة، وملكها بعده ابنه الملك المنصور إبراهيم، فبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت بعلبك بيد الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه، فبقيت بيده حتى انتزعها منه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر في سنة سبع وعشرين وستمائة وعوضه منها الزبداني وغيره، وصارت مضافة إلى دمشق إلى أن ملكها أخوه الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر في سنة خمس وثلاثين، ثم استقرت للصالح المذكور بمفردها عوضاً عن دمشق في السنة المذكورة، لما انتزع دمشق منه أخوه الملك الكامل محمد صاحب الديار المصرية، ثم استقرت بيد أولاده بعده، فلما انتزع الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الديار المصرية دمشق من الصالح إسماعيل المذكور، انتزعها منه وسلمها لنائبه حسام الدين بن أبي علي، وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت مكة بيد أطسيس بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، فبقي بها حتى مات بها سنة ست وعشرين وستمائة، وبقي على مكة قائده فخر الدين بن الشيخ، وقصد راجحُ بن قتادةَ مكة مع عساكر عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن، فملكها من

يد فخر الدين بن الشيخ سنة تسع وعشرين وستمائة، ثم أرسل صاحب مصر عسكراً إلى مكة في سنة ثنتين وثلاثين وستمائة (١١٨ ب) مع أمير اسمه جبريل، فملكوها، وهرب راجحٌ إلى اليمن، ثم عاد ومعه عمر بن علي بن رسول بنفسه، فهربت عساكر مصر، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن [علي بن] رسول بعد الخليفة المستنصر، وبقيت بيد راجح إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت المدينة بيد شيحة [بن سالم] بن قاسم، فبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكان اليمن بيد عليّ بن رسول، فمات سنة ثلاثين وستمائة، وملك بعده ابنه عمر بن عليّ بن رسول، وخرج عن طاعة بني أيوب ملوك مصر، وتلقب بالمنصور، وبقي حتى قتل في سنة ثمان وأربعين وستمائة، وملك بعده ابنه الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر وصفا له ملكُ اليمن وطالت مدته، وبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت خراسان وما وراءَ النهر بيد بني جنكزخان.

وكانت إفريقية بيد أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد، ابن الشيخ أبي حفص من الموحدين، فبقي بها حتى انتزعها منه أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد، ودخل تونس وملكها في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة، وفتح قسنطينة وبجاية وانتزعهما من بني عبد المؤمن في سنة ست وعشرين، ثم ملك من يديهم تلمسان بعد ذلك وبايعه أهل الأندلس، وبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكان المغرب الأقصى بيد المستنصر يوسف بن محمد من بني عبد المؤمن، فتوفي في يوم الأضحى سنة ست وعشرين وستمائة، وملك بعده أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالمخلوع، وكان [الواليَ] بمُرْسِيةَ من الأندلس أبو محمد عبدُ الله بن يعقوب بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن، فدعا لنفه وتلقب بالعادل، ووصل خبر ذلك لمراكش، فاضطرب الموحدون وبَايَنُوا المخلوعَ، وبعثوا ببيعتهم إلى العادل بالأندلس، فسار العادل إلى مراكش فدخلها، وبقي بها (١١٩ أ) حتى قتل في أول شوال سنة سبع وعشرين وستمائة، وكان أخوه إدريس بإشبيلية من الأندلس، فدعا لنفسه وبُويع، وبعث الموحدون ببيعتهم إليه، ثم قصد مَرَّاكُشَ فهلك في طريقهِ مُفتتحَ سنةِ ثلاثين وستمائة.

وتغلَّب إدريس بن هُود على الأندلس وانتزعه من الموحدين، واستقَلّ به، وبويع بعده ابنه المأمون عبد الواحد ابن إدريس وتلقّب بالرشيدِ، ودخل إلى مراكش فبايعوه، وبقي حتى توفي سنة أربعين وستمائة، وبويع بعده أخوه السعيد أبو الحسن عليٌّ، ولُقِّب المعتضد بالله، وبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكان أبو دَبُّوس محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر قد ثار الأندلس في سنة تسع وعشرين وستمائة، وخطب للأمير أبي زكريا يحيى صاحب إفريقية من بَقِية

الموحدين، وأطاعته جَيَّان وشَريش من الأندلس في السنة الثانية من ولايته، ثم بايع لابن هود سنة إحدى وثلاثين وستمائة عند وصول تقليد خليفة بغداد إليه، ثم تغلب على إشبيلية سنة ثنتين وثلاثين وستمائة، وانتزعها من ابن هود، ثم رجعت إلى ابن هود بعد شهر؛ ثم تغلّب على غَرْناطةَ سنة خمس وثلاثين وستمائة، وبايعوه وهو بجَيَّانَ، فقدم إليها ونزلها وابتنى بها حِصْنَ الحمراء، وهو المُعَبَّر عنه بالقصبة الحمراء، والمراد بالقصبة القلعة، وهي مقر ملك بنيه إلى الآن، ثم تغلب على مَالَقَة وأخذها من يد عبد الله بن زنون الثائر بها بعد موت ابن هود، وبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق
المستعصم بالله[1]

(١١٩ ب) وهو أبو أحمد عبدالله بن المستنصر بالله المقدم ذكره، كان ضعيف الرأي والبصر بتدبير الأمور ذا طمع[2]، بويع له بالخلافة عقب موتِ أبيه المستنصر لعشر خلون من جمادي الآخرى سنة أربعين وستمائة باتفاق من أهل الدولة، وبقي حتى قتله التتر في[3] وقعة هُولاكو في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة، فكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة، وكان له اسمه أبو بكر.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة استبد كبراء دولته بالأمر، وحسّنوا له قطع الأجناد ومداراة التتر، ففعل ذلك وأبطل أكثر العساكر، وكان التتر من أولاد جنكزخان قد خرجوا على بلاد الإسلام على ما تقدم وملكوا أكثر بلاد الشرق والشمال، وكان أهل الكَرْخ من محلات بغداد رافضة، فجرى بينهم وبين أهل السنة فتنة ببغداد، فأمر أبو بكر بن الخليفة المستعصم ركن الدين دوادار العسكر ونهبوا الكرخ وهتكوا النساء[4]، وزادوا فركبوا منهن الفواحش وكان للمستعصم وزير يقال له مؤيد الدين بن العلقمي رافضيّ، فشق ذلك عليه، فكتب إلى هولاكو بن طولى بن جنكزخان ملك التتر وأطمعه في البلاد، فخرج هولاكو للإستيلاءِ على

---

(١) آخر الخلفاء العراقين ولد سنة تسع وستمائة وأمه أم ولد اسمها هاجر. انظر تاريخ الخلفاء ص ١٨٦.
(٢) في الأصل: ذو طمع.
(٣) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتي: يظهر ما ذكره من خلع التتر ملكه ودولته في بغداد، والحاصل أن خلافتهم مجرد اسم ليس معهم استبداد واستقلال.
(٤) في هامش الأصل ما يأتي بخط مختلف «وكان ما جرى على أهل بغداد خصوصاً من حكومة العباسيين من هتك حرمات أهل الكرخ وإن كانوا شيعة كان أكثرهم سادات فكان هتك العرض منهم خصوصاً البنات ما يعتبر جريمة عظيمة منهم.

بلاد الخليفة، وكان بركة بن طوجي خان صاحب بلاد الشمال التي قاعدتها الآن السراي قد أسلم على يدالباخرزي أحد مشايخ الصوفية، وأوصاه بالخليفة المستعصم، وكتب بركة إلى الخليفة يعرفه ذلك، وأنه معاضده وناصره، وانتظمت الصحبة بينه وبين الخليفة، فمرَّ هولاكو على بركة قاصداً (١٢٠) بغدادَ، فاعترضه بركةُ ومنعه من ذلك وقال: إن الخليفة صاحبي، فلا سبيل إلى وصولك إليه، وإن لم ترجع عنه حاربتك، فتوقف هولاكو حينئذ عن قصد بغداد سنتين حتى مات بركة، فقصد بغداد حينئذ، وكان عسكر بغداد قبل ولاية المستعصم مائة ألف فارس، فقطعهم المستعصم ليحمل إلى التتر متحصل إقطاعاتهم، فصار عسكرها دون عشرين ألف فارس، ولما قارب التتر بغداد خرج عسكر الخليفة لقتالهم، ومقدمهم ركن الدين الدوادار، فالتقوا على مرحلتين من بغداد، وجرى بينهم قتال شديد انهزم في آخره عسكر الخليفة، ودخل بعضهم بغداد منهزماً، وسار بعضهم إلى جهة الشام، ونزل هولاكو ملك التتر على بغداد من الجانب الشرقي، ونزل أميران من أمرائه من الجانب الغربي قبالة دار الخلافة، وخرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمي إلى هولاكو فتوثَّق منه لنفسه، وعاد إلى الخليفة المستعصم وقال: إن هولاكو يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم، ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبي بكر، وحسَّن له الخروج إلى هولاكو، فخرج إليه المستعصم في جمع عظيم من أكابر أصحابه، فأنزله في جهة، ثم استدعى الوزيرُ الفقهاءَ والأماثل، حتى اجتمع هناك جميع سادات بغداد من العلماء وغيرهم، وصار أهل بغداد يخرجون إلى التتر طائفة بعد طائفة، حتى تكاملوا، فبذل فيهم التتر السيف، وقتلوهم، ولم ينج منهم إلا القليل وهجموا[١] دارَ الخلافة، وقتلوا كل من فيها من الأشراف والأكابر ولم يسلم منهم إلاَّ من كان صغيراً فأُخذ أسيراً، ودام القتل والنهب في بغداد أربعين يوماً، ثم نودي بالأمان، وقُتِل الخليفةُ المستعصم ولم يُوقف على كيفية قتله، فقيل: خُنق، وقيل: جعل في عِدْل ورُفِس حتى مات، وقيل: غرق في دجلة، واستبقى (١٢٠ ب) هولاكو الوزيرَ [ابن] العلقميَّ مدة يسيرة في الوزارة ثم قتله[٢].

ومما وقع في أيامه بالديار المصرية أن الفارس أقطاي أحد أمراءِ الملك الصالح نجم الدين أيوب كان قد وقع بينه وبين الملك المعز أيبك التركماني صورة، فعمل الملك المعز الحيلة في أمره حتى قتله، فتغيّر أصحابه من ذلك وخرجوا قاصدين الشام من جهة سوق الغنم، فوجدوا الباب مغلقاً، فأحرقوه وخرجوا منه، فسمي الباب المحروق، وبذلك يعرف إلى الآن.

---

(١) هجم البيت: هدمه. ولعل الأصل: هجموا على.

(٢) في هامش الأصل ما يأتي بخط مختلف: وهولاكو أحسن في قتله الوزير العلقمي لأن من خان الصاحب وملته القديمة فخيانته عليه أظهر وأشهر، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها.

وفي أيامه في سنة سبع وأربعين وستمائة ملك الفرنسيسُ ملكُ الفرنج مدينةَ دمياط وأقام بها حتى مات الملك الصالح نجم الدين أيوب، فارتحل فنزل مقابل المنصورة، ثم كانت الكسرة على الفرنسيس في سنة ثمان وأربعين وستمائة، فقُتل من عسكره نحو ثلاثين ألفاً وأسر الفرنسيسُ ملكُهم.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وتوفي لأربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة، وملك بعده ابنه الملك المعظم تُوران شاه، وهو الذي كسر الفرنج على المنصورة في المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة، ثم قُتل في الثامن والعشرين من الشهر المذكور وملكت بعده أمُّ خليل شجرة الدُّرّ(١) زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور، في صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة، فأقامت ثمانية أشهر، ولم يملك مصر في الإسلام امرأة غيرها، ثم خلعت وملك بعدها الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن الملك المسعود بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر، بن أيوب بن شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة، وخُلع لوقته(٢)، وهو آخر الملوك الأيوبية بالديار المصرية. ودخلت بعده الدولة التركية، وأول من ملك منهم بعد الأشرف موسى المكُ (١٢١ أ) المعز أيبك التركماني، في شهر شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة، وجُمع له بين مصر والشام، وبنى المدرسة المُعِزّية برحبة الخَرُّوب بالفُسطاط وتزوج أُم خليل شجرة الدرة المقدم ذكرها، وكان ملكاً حازماً، إلا أنه استوزر شخصاً من كتاب القبط اسمه شرف الدين بن ساعد الفائزي، كان قد أسلم في الدولة الأيوبية وأحدث مظالم، ورتَّب مكوساً على جهات متعددة. ثم ما كفاه ذلك حتى سماها حقوقاً، وأخذ في مصادرات الناس فكان سيئة من سيئات المعز، وبقي المعز حتى قُتل بحَمَّام القلعة في سنة أربع وخمسين وستمائة، وملك بعده ابنه الملك المنصور عليٌّ بن أيبك، وقُتِلت أم خليل المذكورة ورُميت من سور القلعة، وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكان على دمشق الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب، فبقي بها حتى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد صاحب الديار المصرية، فجهّز إلى دمشق عسكراً صحبة معين الدين بن الشيخ، فتسلمها من الصالح إسماعيل في سنة ثلاث وأربعين وستمائة. ومات معين الدين المذكور، فتسلمها الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور من حسام الدين بن أبي عليٍّ في السنة المذكورة، وبقي نائباً بها حتى

(١) في الأصل «شجرة در» وكذلك جاءت بعد ذلك.

(٢) في صبح الأعشى ج٣ ص ٤٣٣: وخلع نفسه.

استدعاه الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور إلى الديار المصرية في سنة أربع وأربعين وستمائة، وأقام مكانه في نيابة دمشق جمال الدين يغمر، وبقيت دمشق بيد نواب الصالح المذكور حتى مات في سنة سبع وأربعين وستمائة، فسار الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد صاحب حلب [إلى] دمشق، وملكها في سنة ثمان وأربعين وستمائة، وبقي بها إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكانت حلب بيد الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد ابن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، واستضاف إليها دمشق، على ما تقدم، وبقيا بيده إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكانت طرابلس وصفد بيد الفرنج.

وكانت حماة (١٢١ ب) بيد المظفر محمود، فبقي حتى توفي في سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد، فبقي بها إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكانت الكرك[١] بيد الناصر صلاح الدين داود ابن المعظم عيسى إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فاستخلف عليها ابنه الملك المعظم عيسى، وسار إلى حلب فلجأ إلى الملك الناصر صاحب حلب، فبقي عنده إلى أن بعث إليه الملك الصالح نجم الدين أيوب من تسلمها[٢] في تلك السنة، وأقام بدر الدين الصوابي الصالحي نائباً، وبقي الناصر داود بعد ذلك مُشَرَّداً في البلاد إلى أن مات. وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر معتقلاً بالشَّوْبك، فأخرجه [الصوابيُّ] نائب الكرك، وملّكه الكرك، فبقي بها إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكانت حمص بيد الملك المنصور إبراهيم بن المجاهد شيركوه، فبقي بها حتى توفي سنة أربع وأربعين وستمائة، وملكها بعده ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى، فبقيت في يده إلى أن وثب عليه الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب دمشق المتقدم ذكره في سنة ست وأربعين وستمائة، فانتزعها منه، واستضافها إلى دمشق وحلب، وبقيت بيده إلى أن كان من أمره مع التتر ما كان.

وكانت بعلبك بيد حسام الدين بن أبي عليّ، نيابةً عن الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الديار المصرية، ثم ملكها الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد حين ملك دمشق سنة ثمان وأربعين وستمائة، فبقيت بيده إلى أن كان من أمره مع التتر ما كان.

وكانت مكة بيد راجح بن قتادة وهو يخطب لعمر بن عليّ[٣] بن رسول صاحب

---

(١) في الأصل «وكانت حمص والكرك» وستأتي حمص.

(٢) في الأصل: من تسلمه.

(٣) في الأصل لعلي بن رسول.

اليمن، ثم غلب عليها سنة سبع وأربعين وستمائة أبو سعيد[1] الحسن بن عليّ بن قتادة، ولحق راجح باليمن، وسار جَمَّاز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين وستمائة إلى الناصر بن العزيز بدمشق مستجيشاً عليه ليقطع ذكر صاحبِ اليمن (١٢٢ أ) من الخطبة، فجهز له عسكراً وسار إلى مكة، فقَتَلَ أبا سعيد بالحرم وملك مكة، وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكان على المدينة سنجر بن قاسم، فبقي حتى قُتل في سنة سبع وأربعين وستمائة، وولي مكانه ابنه عيسى، ثم قبض عليه أخوه جمَّاز سنة تسع وأربعين وستمائة وملك مكانه.

قال ابن سعيد: وفي سنة إحدى وخمسين وستمائة كان بالمدينة أبو الحسن[2] بن شيحة بن سالم، وقال غيره: كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمائة، وولي أخوه جمَّاز وطال عمره، وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكان على اليمن المظفر يوسف بن عمر بن عليّ بن رسول، وطالت مدته[3] وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكان ما وراء النهر وخراسان وغزنة وما مع ذلك بيد بني جنكزخان.

وكانت مملكة الشمال المعروفة قديماً ببيت بركة، والآن بمملكة أزبك وقاعدتها مدينة السراي التي بناها بركة خان قد جعلها جنكزخان لابنه طوش[4] خان، ومات في حياة أبيه[5] جنكزخان، وملك بعده ابنه باطوخان[6] ويقال صائن خان، ومعناه الملك الجيد، فبقي حتى مات سنة ثنتين وخمسين وستمائة، وملك بعده أخوه صرطق بن دوشي خان[7]، ومات سنة أربع وخمسين وستمائة، وملك بعده أخوه بركة بن دوشي خان، وكان قد أسلم على يد الشيخ شمس الدين الباخرزي[8] من أصحاب الشيخ نجم الدين الكبرى صاحب الطريقة، وحسن إسلامه، وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم.

---

(١) في صبح الأعشى: أبو سعد.
(٢) في صبح الأعشى ج٤ ص٣٠٠ أبو الحسين. ونظر سنجر بن قاسم وعيسى.
(٣) في الأصل: يده.
(٤) في صبح الأعشى ج٤ ص ٤٧٢ ابنه طوجي ويقال له دوجي أيضاً.
(٥) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي: كان جنكيز لعنه الله قسم تركستان وولايات ما وراء النهر والشمال بين بنيه الأربعة أو كتاي وجغتاي وتوشي وتولي.
(٦) في صبح الأعشى: باتو.
(٧) انظر الهامش رقم ١ فان دوشي هي طوش وهي دوجي وطوجي.
(٨) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي خالف ما سبق من أن هولاكو منعه بركة من خروج على المستعصم فلم يخرج هولاكو بعد موت بركة وأنه ترقب يوم موته خرج له بخلاف ما ذكر هنا.

وكانت إفريقية بيد أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد من الموحدين، فبقي حتى مات لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة، وبويع بعده ابنه ولي عهده المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا، ودخل تونس في رجب من السنة المذكورة، وهو أول من تلقب من الحفصيين من الموحدين بألقاب الخلافة، وانتهى أمره إلى أن بويع له بمكة وبُعث بالبيعة إليه واستولى (١٢٢ ب) على ما كان بيد أبيه من إفريقية وغيرها، وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكانت تلمسان بيد أبي سعيد بن عبد المؤمن من الموحدين من جهة أخيه المأمون، فعزله أخوه وولى عليها جابر بن يوسف من عقب القاسم بن عبد الواد من زناتة في سنة أربع وعشرين وستمائة، ثم قتل في سنة تسع وعشرين وستمائة وولى بعده ابنه الحسن بن جابر من جهة المأمون، ثم نزل عن ذلك لعمه عثمان بن يوسف، فأساء السيرة، فأخرجته الرعية في سنة إحدى وثلاثين وستمائة وأقاموا مكانه عمه وكدار بن زيان، ثم قتل سنة ثلاث وثلاثين، وولي بعده يغمراسن بن زيان من قبل بني عبد المؤمن، فاستبد بالأمر عليهم وتحلى بحلية الملك، وجرى على مرتبته، ولم يبق، عليهم غير الدعاء على المنابر، ثم غلب أبو زكريا سلطان الحفصيين بإفريقية على تلمسان، وفوض أمرها ليغمراسن، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكان الغرب الأقصى وإشبيلية وما معها من الأندلس بيد المعتضد بالله أبو الحسن علي بن إدريس من بني عبد المؤمن من الموحدين، فسار إلى تلمسان فمات بها في صفر سنة ست وأربعين وستمائة، وفيها استولت الفرنج على إشبيلية من الأندلس، ثم اجتمع الموحدون على بيعة أبي حفص عمر بن أبي إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن فبايعوه، ولقبوه المرتضى، وكان بسَلاً، فقدم إلى مراكش وأقام بها، وفي أيامه استولى أبو يحيى بن عبد الحق المَرِينيّ على مدينة فاس سنة سبع وأربعين وستمائة، واستقرَّت فيها قدمه وقدم بنيه إلى الآن، ثم خرج على المرتضى القائد أبو العلا، الملقب بأبي دبوس بن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن، واجتمع عليه جموع الموحدين، وقصد مراكش وبها المرتضى فغلبه عليها، وفرّ المرتضى إلى أزُمُّور، فقبض عليه واليها واعتقله بها إلى أن ورد عليه أمر أبي دبوس بقتله، فقتله واستبد أبو دبوس بالأمر (١٢٣ أ) وتلقب الواثقَ بالله والمعتمد على الله، فخرج عليه أبو يحيى زكريا بن عبد الحق المَرِيني، وقصد مدينة فاس بعد أن استولى على كثير من بلادها، فانتزعها من عامل بني عبد المؤمن، واستولى عليها في أول سنة ست وأربعين وستمائة، وملك سِجِلْمَاسة من أيدي الموحدين أيضاً في سنة ثلاث وخمسين وستمائة، وبقي حتى مات بفاس في رجب سنة ست وخمسين وستمائة، وملك بعده ابنه عمر، ثم قصد عمه يعقوب بن عبد الحق، وانتزع منه مدينة فاس، ومات ابن أخيه عمر بعد ذلك، وكانت مراكش قاعدة الغرب الأقصى يومئذ بيد أبي دبوس الملقب

بالواثق المعتمد على الله من بني عبد المؤمن، فقصده يعقوب بن عبد الحق وانتزع منه مرّاكش في سنة ثمان وستين وستمائة، واستقل بملك الغرب الأقصى بأسره، وانقرض ملك بني عبد المؤمن منه، ثم عاد إلى فاس وبنى المدينة التي استجدها ملاصقة لها، ونزلها في سنة أربع وستين[1] وستمائة، وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم.

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد أبي دبوس محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، فأخذ المَرِيَّة من يد محمد وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم.

الفترة التي شغرت فيها الخلافة عن خليفة

وهي ما بين قتل المستعصم في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة إلى حين بايع الملك الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية المستنصر أحمد بن الظاهر أول الخلفاء بالديار المصرية في رجب سنة ثمان[2] وخمسين وستمائة، والملوك مستولية على الممالك شرقاً وغرباً.

الحوادث والماجريات في هذه المدة

في سنة سبع وخمسين وستمائة بعد استيلاء التتر على بغداد سار هولاكو (١٢٣ ب) ملك التتر من بغداد قاصداً الشام، وعدَّى الفرات بعساكره ونازل [حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وأرسل ولده سموط بن هولاكو إلى الشام فوصل إلى ظاهر حلب وفي سنة ثمان وخمسين وستمائة عبر هولاكو الفرات ونازل][3] حلب واستولى عليها في تاسع صفر من هذه السنة، وبذلوا السيف في المسلمين، وصعد القلعة خلق عظيم من المسلمين، ودام القتل والنهب فيها من تاسع صفر إلى رابع عشرة، فأمرهم هولاكو أن يرفعو السيف، ونادى بالأمان، ولم يسلم من أهل حلب إلاّ من التجأ إلى أماكن معروفة كان بأيدي أهلها أمانات من هولاكو، ويقال إن من سلم بهذه الأماكن كانوا نحو خمسين ألف نفس، ودام الحصار على قلعة حلب حتى نزل من فيها بالأمان، وأمر هولاكو بخراب أسوار حلب وأسوار قلعتها، فخربت عن آخرها وأُحرقت زردخانتها. وتوجه[4] أهل حماة بالمفاتيح إلى

(١) في صبح الأعشى ج ٥ ص ١٩٧ سنة أربع وسبعين وستمائة.

(٢) الذي في تاريخ الخلفاء ص ١٩١ أن انقطاع الخلافة إلى رجب سنة ٦٥٩ وأن مدة الانقطاع ثلاث سنين ونصف وكذلك في تاريخ أبي الفداء ج٣ ص ٢٢٢ أن الخلافة بمصر كانت سنة ٦٥٩.

(٣) الزيادة من تاريخ أبي الفداء ج٣ ص٢٠٨ و ٢٠٩.

(٤) في الأصل «فتح أهل حماة» وانظر تاريخ أبي الفداء ج٣ ص ٢١٠.

هولاكو وطلبوا منه الأمان وشحنة[1] تكون عندهم، ثم سار التتر إلى دمشق واستولوا عليها وعلى سائر الشام، وحاصروا قلعة دمشق حتى نزلوا بالأمان بعد مضايقة عظيمة في منتصف جمادى الأولى من هذه السنة، ونهبوا جميع ما فيها وخربوا أسوارها، وكذلك استولوا على مَيَّافَارِقِين، وقتلوا صاحبها الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل أبي بكر، وكان النصارى بدمشق قد استطالوا بدقّ الناقوس وإدخال الخمر الجامع، فبلغهم حركة عسكر مصر إليهم، فوثبوا بالنصارى ونهبوهم وخربوا كنيستهم العظمى بها، ووصل المظفر قطز صاحب مصر إلى الشام، وبقي التتر على عين جالوت، فكانت الكسرة على التتر، وقتل كتبغا نائب هولاكو ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [الاحزاب: الآية ٢٥] وسار المظفر قطز بعد كسر التتر حتى دخل دمشق، وابتهجت الرعايا بالنصر، ثم عاد المظفر قطز بعد ذلك قاصداً الديار المصرية، فقتل في الطريق، وملك الظاهر بيبرس، على ما سيأتي ذكره، وكان المظفر قطز قد استناب سنجر على دمشق، فلما ملك الظاهر بيبرس خرج عن طاعته، وتسلطن بدمشق في العشر الأول من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وستمائة.

(١٢٤ أ) ولايات الأمصار في هذه المدة

كانت مصر بيد الملك المنصور عليّ بن المعز أيبك، وبقي حتى قبض عليه الملك المظفر قطز في سنة سبع وخمسين وستمائة، واستولى على الملك مكانه، وكان المصافّ بينه وبين التتر على عين جالوت بعد أن استولوا على جميع الشام في رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة، فكسرهم أشد كسرة، واستقلع الشام منهم بعد أن عجز كافة ملوك الشرق وعساكرها [عن] مقاومتهم واستولوا على الأقاليم الشرقية والشمالية كإقليم ما وراء النهر من بخارى وسمرقند وغيرهما وإقليم خوارزم ودشت[2] القجاق وإقليم خراسان وعراق العجم وأذربيجان وخوزستان وبلاد فارس والجزيرة الفراتية وبلاد الروم وبلاد الشام وغير ذلك. واجتمع له ملك الديار المصرية والبلاد الشامية، وتداول ملوك مصر ذلك بعده إلى زماننا، على ما سيأتي ذكره، وبقي حتى قُتل في مُتَصَيَّدِه وهو عائد من الشام بالقرب من قُصير الصالحية، على إثر ذلك من السنة المذكورة، وملك بعده الملك الظاهر بيبرس البندقداري في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، وأخذ في جهاد الفرنج، واستعاد ما ارتجعوه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وغير ذلك، ففتح إلبيرة والكرك وحمص وقيسارية وأرْسُوف وصَفَد ويافا والشقيف وأنطاكية وحصن الأكراد وعكّا وصافيتا وقلاعاً من بلاد سيس، وكسر التتر على إلبيرة بعد أن عدى الفرات خوضاً بعساكره ودخل

---

(١) الشحنة في البلد: من فيه الكفاية لضبطها.

(٢) لعلها: دست.

بلاد الروم وانتزع قيسارية من يد التتر، وجلس على تخت آل سلجوق بها، وبنى المدرسة الظاهرية بالقاهرية بين القصرين، وبقي إلى ما بعد هذه الفترة.

وكانت دمشق وحلب بيد الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فبقيت بيده حتى استولت عليهما التتر في سنة ثمان وخمسين وستمائة، ثم انتزعهما منهم المظفر (١٢٤ ب) قطز صاحب الديار المصرية، واستولى عليهما وعلى سائر البلاد الشامية، وقبض عليه الظاهر بيبرس وملك بعده، وبقي إلى ما بعد هذه المدة على ما تقدم.

وكانت طرابلس قد بقيت بيد الفرنج بعد فتح الظاهرِ صفدَ.

وكانت حماة بيد المنصور محمد بن المظفر محمود، فبقي بها حتى غلب هولاكو على البلاد الشامية، فهرب إلى مصر صحبة الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب في جماعة من بني أيوب، فأكرم المظفر قطز صاحب الديار المصرية نُزُله، فلما كسر المظفر التتر أعاده إلى حماة على ما كان عليه من السلطنة، فبقي بها إلى ما بعد هذه المدة.

وكانت الكرك بيد الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، فبقي بها إلى ما بعد هذه الفترة.

وكانت حمص وبعلبك بيد الناصر يوسف مضافتين إلى حلب ودمشق، وكان من أمره ما كان من مصيره إلى الديار المصرية ولحوقه بقطز صاحبها وانتزاع قطز البلاد الشامية من أيدي التتر، فصارت في جملة نيابات صاحب الديار المصرية.

وكان ما وراءَ النهر وخراسان وغزنة وعراق العجم وأرمينية وأذربيجان وسائر مملكة إيران بيد هولاكو بن طولى بن جنكزخان.

وكانت مملكة الشمال بيد بركة بن درجي خان، وبقي بركة إلى ما بعد مدة الفترة.

وكانت مكة بيد جمّاز بن حسن بن قتادة، فوصل عمه راجح بن قتادة إلى مكة وقد كبر سنه، فاستولى على مكة، وأخرج جمازاً منها، فلحق بالينبع، ثم دار أمر مكة بين أبي نمي محمد بن أبي سعد بن علي بن قتادة، وبين غالب بن راجح ابن قتادة، وبقي الأمر على ذلك إلى ما بعد هذه الفترة.

وكانت المدينة بيد جماز بن شيحه، فبقي إلى ما بعد هذه المدة.

وكان ما وراء النهر وخراسان وما معها بيد بني جنكزخان[1].

وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى بن عبد

(١) تكرر هذا الكلام في هذه الصفحة والتي قبلها.

الواحد من الموحدين، فبقي إلى ما بعد هذه المدة.

وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد يغمراسن (١٢٥ أ) ابن زيان من جهة المستنصر بن أبي زكريا صاحب إفريقية، فبقي إلى ما بعد هذه المدة.

وكان الغرب الأقصى بيد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، فبقي إلى ما بعد هذه المدة.

وكانت غرناطة وما معها من الأندلس بيد أبي دبوس محمد بن الأحمر، فبقي إلى ما بعد هذه الفترة.

الطبقة الرابعة من الخلفاء

خلفاء بني العباس بالديار المصرية من حين انتقال الخلافة إليها وإلى زماننا، وهم أحد عشر خليفة.

الأول من خلفاء بني العباس في الديار المصرية
المستنصر بالله

وهو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمد بن الناصر لدين الله المقدم ذكره، والعامة تسميه الزرابيني[١]. بويع له بالخلافة بالديار المصرية في شهر رجب سنة ثمان[٢] وخمسين وستمائة، وقام ببيعته السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري صاحب الديار المصرية، وهو أول خليفة واطأ لقبه خليفة قبله، تلقيباً له بلقب أخيه المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بالله المقدم ذكره، وكانوا قبل ذلك يقتضبون لكل خليفة يتولى لقباً لم يكن لأحد قبله، وكأنه إنما لقب ذلك تفاؤلاً للاستنصار بالله على التتر. وكان من شأنه أنه حضر مع جماعة من العرب، وذكر أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر، فعقد لها السلطان مجلساً حضر فيه جماعة من الأكابر، منهم الشيخ عز الدين بن عبدالسلام إمام الشافعية في زمانه، والقاضي تاج الدين بن بنت الأعز قاضي القضاة بالديار المصرية يومئذ بمفرده، فشهد أولئك العرب أنه ابن الظاهر بالله، ثم شهد من سمع كلامهم بنسبه المذكور بالاستفاضة، فأثبت القاضي تاج الدين بن بنت الأعز نسبه، ثم بويع بالخلافة بعد ذلك، على ما تقدم ذكره، وبقي حتى قتله التتر بالعراق حين وجهه الملك الظاهر إلى

(١) في الأصل: «الزراتيتي» والتصويب من تاريخ أبي الفداء ج٣ ص ٢٢٢ ويبدو أن سبب هذه التسمية لأنه كان أسود اللون.

(٢) تقدم ما ذكرته عن أبي الفداء وتاريخ الخلفاء أنه في سنة ٦٥٩.

بغداد لينتزعها منهم من أواخر (١٢٥ ب) سنة ثمان[1] وخمسين وستمائة.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بايع له الملك الظاهر اهتم بأمره أتم الاهتمام، وكتب السلطان الكتب إلى الممالك والنواب بأخذ البيعة له في جميع الأقطار بالخلافة، وأن يخطب له مع السلطان على المنابر، ويبدأ به في الذكر، وينقش اسمه مع اسمه في السِّكَّة على الدنانير والدراهم، فلما كان يوم الجمعة الذي يلي المبايعة خطب الخليفة بنفسه بجامع القلعة، ثم ركب السلطان بعد ذلك بقليل إلى خيمة ضربت له بالبستان الكبير بظاهر القاهرة، ونزل بها والخليفة معه، ولبس منه خلعة الخلافة، وهي عمامة بنفسجي وجبة سوداء وطوق ذهب في عنقه وسيف بداويّ تلقّد به، وجلس مجلساً عامًّا بحضرة الخليفة والوزير والقضاة والعلماء والأمراء، ونُصب للصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب السر يومئذ منبر، فصعد عليه وقرأ تقليد السلطان، ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق، ودخل من باب النصر، وشق القاهرة وهي مزينة له، وحمل الصاحبُ بهاءُ الدين ابن حنا وزيرُه التقليدَ على رأسه، ومشى به في الموكب بين يدي السلطان، والأمراءُ مشاةٌ حوله وأمامه، وعمل له السلطان الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة، واستخدم له عسكراً جليلاً، وغرم على ذلك فيما يقال ألف ألف دينار، بتكرير الألف مرتين، وبرز السلطان والخليفة في رمضان من السنة المذكورة وتوجها إلى دمشق، وكان السلطان في كل منزلة يمضي إلى دهليز الخليفة الخاص به، فلما وصلا إلى دمشق نزل السلطان بالقلعة، ونزل الخليفة في جبل الصالحية، ونزل أمراؤه وأجناده حوله، ثم جهز السلطان الخليفة بعسكره من دمشق إلى بغداد لقتال التتر الذين استولوا عليها، وخرج السلطان معه لتشييعه، ووصاه بالتأني في الأمور، ثم عاد السلطان إلى دمشق (١٢٦ أ) ثم إلى الديار المصرية، فدخلها في سابع عشر ذي الحجة من هذه السنة، ووصلت إليه كتب الخليلة بعد وصوله الديار المصرية بأنه قد استولى على عانة والحَديثة، وولّي عليهما، وأنَّ كُتب أهل العراق وصلت إليه يستحثونه على الدخول إليهم، ثم بعد تنفيذه الكتب إلى الديار المصرية خرج إليه التتر فقاتلوه وقَتلوه، وقتلوا غالب عسكره، وجاءت الأخبار إلى الديار المصرية بذلك، لا رادَّ لقضاء الله ولا معقب لحكمه.

وفي سنة ستين وستمائة وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلي والبحري، والبلاد الشامية: دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة، تساقطت منها الأبنية وتشققت الجبال، وتقطعت الصخور، وتفجرت الأرض عيوناً، وخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحارى، وظهر أثرها في النيل والبحر

(١) انظر ما تقدم عن أبي الفداء.

المالح، وطما البحر لسببها حتى أغرق قماش القصَّارين، وتكسَّرت القوارب والسفن وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع، ووقع جانب عظيم من منار الإسكندرية.

ولايات الأَمصار في خلافته

كان على الديار المصرية والبلاد الشامية بأسرها إلاَّ ما بقي بيد الفرنج منها في أيامه الملكُ الظاهر بيبرس البندقداري الذي قام ببيعته وبقي إلى ما بعد خلافته.

وكانت مكة بين أبي نمِيّ محمد بن أبي سعد بن علي ابن قتادة وبين غالب بن راجح بن قتادة، على ما تقدم، ثم استبد أبو نَمِيّ بمكة ونفى أقاربه جمَّازاً وأخويه إدريس ومحمداً إلى الينبع، فأعقابهم قائمة بإمرته إلى الآن، وبقي أبو نَمِيّ إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت اليمن بيد المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، فبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت مملكة إيران من بغداد وما معها بيد هولاكو بن طولى بن جنكزخان، فبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بني جنكزخان غير هولاكو.

وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله محمد بن أبي زكريا (١٢٦ب) فبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد يغمراسن بن زيان، فبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكان الغرب الأقصى بيد أبي يوسف يعقوب عبد الحق فبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد أبي دبوس بن الأحمر، فبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر.

الثاني من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
الحاكم بأَمر الله

وهو أبو العباس أحمد بن الحسين[1] بن أبي بكر بن الأمير أبي علي القُبِّي بن الأمير حسن بن الراشد بالله أبي جعفر المنصور الحادي والثلاثين من خلفاء بني العباس بالعراق،

---

(١) في تاريخ أبي الفداء ج٣ ص٢٢٤ بن الحسن وكذلك في تاريخ الخلفاء ص١٩٢ ونسبه فيه: أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن القبي بضم القاف وتشديد الباء الموحدة ابن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله.

وقد تقدم ذكره، قال المؤيد صاحب حماة: هذا هو المشهور بمصر عند نسابتها، أما عند الشرفاء العباسيين السليمانيين[1] في درج نسبهم الثابت فهو أحمد بن علي بن أبي بكر بن أحمد بن الإمام المسترشد والد الراشد المقدم ذكره، وتلقيبه بالحاكم وإن لم يكن موطئاً للقب أحد من الخلفاء العباسيين قبله فهو مواطيء للقب الحاكم بأمر الله الفاطمي ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية. وهو أبو الخلفاء العباسيين بالديار المصرية الموجودين إلى الآن. بويع له بالخلافة يوم الخميس في أواخر ذي الحجة سنة ستين وستمائة، وذلك أنه لما قُتل المستنصر أحمد المقدم ذكره في أواخر سنة ثمان[2] وخمسين وستمائة بقيت الخلافة شاغرة بعده، إلى أن بعث السلطان من أحضره إليه من بغداد، فقدم مصر في سنة تسع وخمسين وستمائة، وهو ابن خمس عشرة سنة، ثم جلس السلطان في التاريخ المذكور مجلساً عامًّا، وأثبت نسبه، وبايعه بالخلافة وأشركه معه في الدعاء له على المنابر مقدَّما في ذلك على السلطان، إلا أنه لم يثبت اسمه في السكة على الدراهم والدنانير، وبقي حتى توفي في شهور سنة إحدى وسبع مائة، وكانت خلافته أربعين سنة تقريباً، بعد أن حج في سلطنة الملك المنصور لاجين في سنة سبع وتسعين وسمائة، وزوده السلطان مبلغ سبع مائة ألف درهم، وكان له من الأولاد المستكفي بالله الآتي ذكره وغيره.

الحوادث والماجريات في خلافته

(١٢٧ أ) لما بويع له بالخلافة رقم اسم السلطان في السكة، ودعى له قبل السلطان في الخطبة، وحفظ له ما يجب حفظه من مقداره، إلاَّ أن السلطان الملك الظاهر لم يمكنه من التصرف والركوب والنزول، بل هيَّأ له برجاً يقيم فيه، فبقي على ذلك إلى أن ملك السلطان الأشرف خليل ابن المنصور قلاوون، فأسكنه بالكبش على القرب من الجامع الطولوني، وكان يخطب بنفسه في جامع القلعة، ويصلي ولم يُطلق تصرُّفه إلى أن تسلطن الملك المنصور لاجين، فأباح له التصرف حيث شاء، وأركبه معه في الميادين.

وفي أيامه في سنة ستين وستمائة رتب السلطان الملك الظاهر القضاة أربعة، من كل مذهب قاض، وكان قبل ذلك في الدولة الفاطمية وما قبلها والدولة الأيوبية وما بعدها قاض واحد، وهو يستنيب من يختاره من المذاهب على قاعدة الخلافة العباسية ببغداد، بل اجتمع في الدولة الفاطمية في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي: مصر وأجناد الشام وبلاد المغرب لقاض واحد، وكان سبب استقرار القضاة الأربعة أن القاضي كان في أول الدولة الظاهرية ابن بنت الأعز، وكان شافعيًّا، فكان إذا ورد عليه شيء من غير مذهبه توقَّف في

(١) في تاريخ أبي الفداء: السلمانيين.

(٢) انظر ما كتبته مقدماً عن أبي الفداء.

إثباته، فاختار السلطان أربعة قضاة، ليحكم كل منهم بما يسوغ في مذهبه، وفي هذه السنة كان بالديار المصرية غلاء شديد، فجمع السلطان الفقراء وأخذ لنفسه خمس مائة فقير، ولولده بركة خان خمس مائة، ولنائبه بيليك الخازندار ثلاثمائة، وفرَّق الباقين على الأُمراء على قدر طبقاتهم، وأمر لكل فقير برطلين خبزاً، فما رُئيَ بعد ذلك بالديار المصرية فقير يسأل.

وفي سنة اثنتين وستين وستمائة ختن السلطان ولده بركة خان، وأمر الأُمراء والمقدّمين والجند والقضاة والفقهاء والفقراء والعَوَامّ أن يُحضروا أولادهم ليختنهم مع ولده، فأحضر إليه ألفٌ وستمائة وخمسة وأربعون صغيراً خارجاً عن أولاد الأمراء والمقدمين (١٢٧ ب) فأمر لكل منهم بكسوة على قدره، ومائة درهم ورأس غنم، وختن الجميع مع ولده.

وفي سنة ثمانين وستمائة قصد أبغا بنُ هولاكو ملكُ التترِ الديارَ المصريةَ، ولقيه الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية، فهزمه بعين جالوت أشدَّ هزيمة، وعاد إلى بلاده، ورجع السلطان الملك الظاهر إلى الديار المصرية.

وفي سنة تسع وتسعين وستمائة قصد غازان[1] ملك التتر إلى الديار المصرية ولقيه السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون على حمص، فانهزم المسلمون واستشهد منهم جماعة، ثم عاد إلى السلطان إلى الديار المصرية، ورجع غازان إلى بلاده.

وفي أيامه في سنة أربع وستين وستمائة فتح السلطان الملك الظاهر بيبرس صاحبُ الديار المصرية يافا وأنطاكية وانتزعهما من الفرنج، وأخذ بَغْراس وبَهَسْنَا ودربساك وغيرها وانتزعها من الأرمن.

وفي سنة سبع وستين أخذ مصياف[2] من أيدي الإسماعيلية.

وفي سنة تسع فتح حصن الأكراد وحصن عكّار[3] وتسلم قلعة العليقة وبلادها من الإسماعيلية.

وفي سنة إحدى وسبعين تسلم نوابه من الإسماعيلية ما بقي من قلاعهم وهي الكهف والمينقة والقدموس.

---

(١) في تاريخ أبي الفداء ج٤ ص٤٤: قازان.

(٢) لم يضبطه ياقوت وذكر أنه مصياب ويقال له مصياف وذكر في أبي الفداء ج٤ ص٦ مصياف.

(٣) لم يذكره ياقوت وفي تاريخ أبي الفداء ج٤ ص٦ قال محيي الدين بن عبد الظاهر مهنياً بفتوح عكار:

يا مليك الأرض بشرا ... ك فقد نلت الإراده
إن عكارا يقينا ... هو عكا وزياده

وفي سنة أربع وثمانين وستمائة فتح المنصور قلاوون حصن المرقب. وفي سنة ست وثمانين فَتَحَ صهيونَ. وفي سنة ثمان وثمانين فتح طرابلسَ، بعد أن مضى عليها مع الفرنج مائة وخمس وثمانون سنة وأشهر، وأعجز الملوك السالفة، فتحها وهدمها بأسرها بعد الفتح. وفي سنة تسعين وستمائة فتح ابنه الأشرف خليل عكّا وهدمها، وأخلى الفرنج من الرعب أكثرَ بلاد الساحل مثل صيدا وبيروت وصور وانطرطوس[1] وتسلمها المسلمون، وأمر بهدمها فهدمت، وتكاملت جميع البلاد الساحلية للإسلام. وفي سنة إحدى وتسعين وستمائة فتح الأشرف خليل أيضاً قلعة الروم وسماها قلعة المسلمين، وكانت كرسيّ خليفة الأرمن (١٢٨ أ) وفي سنة إحدى وتسعين وستمائة راك السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بلاد الديار المصرية، وهو الروك الحسامي، إلا أنه لم يأت رَوْكُه على النمط المعتبر في التحرير، وفي أيامه استنقذ يعقوب بن عبد الحق المريني سلطان الغرب الأقصى مدينة سَلاً من يد الفرنج بعد أن استولوا عليها، وغزاهم بالأندلس أربع مرات حتى أذعن له شانجة بن أدفونش ملكهم في عقد الهدنة، فعقدها له على شروط ألزمه إياها، وغزاهم ابنه أبو يعقوب يوسف في سلطنته بعد ذلك.

وفي أيامه في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة سبع مائة ألزم السلطان النصارى واليهود لبس عمائم مخالفة لألوان عمائم المسلمين، فألبس النصارى عمائم زرقاء، واليهود عمائم صفراء.

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر والشام الملك الظاهر بيبرس المقدم ذكره، فبقي حتى توفي بدمشق في المحرم سنة ست وسبعين وستمائة بعد أن فتح الكثير مما كان استعاده الفرنج من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ففتح قيسارية وأرسوف وصفد وطبريّه ويافا والشقيف وأنطاكية وبَغْراس والقُصير وحص الأكراد والقُرين وحصن عكّار وصافيتا وبانياس وأنطرطوس[2] واقتلع من الأرمن دَرْبَسَاك ودَرْكوش[3] وملميش وكفردُبِّين ورَعْبان ومرزبان وأدنه والمَصِّيصة وبلاد النوبة. وملك بعده مصر والشام ابنه الملك السعيد بركة في صفر من السنة المذكورة، ثم خُلع وبعث به إلى الكرك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة، وملك بعده أخوه الملك العادل سَلاَمُشُ، فبقي أربعة أشهر، ثم خُلع وملك بعده الملك المنصور قلاوون الصالحي الشهير بالألفي في شهر رجب سنة ثمان وسبعين

(١) في الأصل: وأنطرسوس. والتصويب من أبي الفداء ج٤ ص٢٦ ومعجم البلدان.
(٢) تقدم ما صححته وفي الأصل «أنطرسوس» وانظر النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٥٠، ١٥١ و ١٨٦.
(٣) في الأصل دبركوش والتصويب من النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٤٤، ١٨٦.

وستمائة، ولُقِّب الألفي (١٢٨ ب) لأن آقسنقر الكاملي اشتراه بألف دينار، وبنى البيمارستان المنصوري بالقاهرة بين القصرين الذي ليس له نظير في الدنيا، وأدرج فيه مدرسته المنصورية وقُبَّة مدفنه على جَنْبَتَي الداخل إليه يمنة ويسرة، وتُوفي بظاهر القاهرة المحروسة، ودفن بقبَّته بالبيمارستان المقدم ذكره، وملك بعده ابنه الملك الأشرف خليل صبيحة وفاة أبيه، وأخذ في الغزو على عادة أبيه، وقُتل في متصيَّده بالبحيرة في العشر الأوسط من المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهو الذي عمّر المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النَّفِيسي، وملك بعده الملك المعظم بَيْدَرَا ثم خلع من يومه، وملك بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون في صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهي سلطنته الأولى، ثم خلع بعد ذلك وسُيِّر به إلى الكرك، فحُبس بها، وملك بعده الملك العادل كَتْبُغا عقب خلعه، وخُلع في صفر سنة ست وتسعين وستمائة. وملك بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين في الخامس والعشرين من صفر المذكور، وقتل في الحادي والعشرين من شوال من السنة المذكورة، وبقي الأمر شورى مدة يسيرة، ثم حضر الملك الناصر محمد ابن قلاوون من الكرك، وأُعيد إلى السلطنة في حادي عشر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة، وهي سلطنته الثانية، وخُلع يوم السبت حادي عشر شوال من السنة المذكورة، وملك بعده الملك المظفر بيبرس الجاشَنْكِير[1] في الثالث والعشرين من شوال المذكور، وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت مكة بيد أبي نمى محمد بن أبي سعد إلى أن مات أبو نمى، فقام بإمرة مكة بعده ابناه رُميثة وحُميضة ونازعهما أخواهما عُطيفة وأبو الغيث فاعتقلاهما، ووافق ذلك وصول بيبرس الجاشنكير كافل المملكة بالديار المصرية في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون، فأطلق عطيفة وأبا الغيث وولاهما (١٢٩ أ) وأمسك رميثة وحميضة وبعث بهما إلى مصر، ثم رد السلطان رميثة وحميضة إلى إمارتهما مع عسكر، فاستقرَّا في إمارتهما وبعثا إليه بعطيفة وأبي الغيث، وبقي التنازع بينهم، وهم يتعاقبون إمرة مكة مرة بعد أُخرى، وقُتِل أبو الغيث في بعض حروبهم، وبقي الأمر على ذلك إلى ذلك ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت المدينة بيد جمَّاز بن شيحة، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت اليمن بيد المظفر يوسف [بن عمر] بن علي بن رسول، وبعث إلى الملك

---

(١) هذا هو الضبط الذي في صبح الأعشى ج٥ ص٤٦٠ في الالقاب حين عرف معنى الجاشنكير فقال: هو الذي يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل سلطان أو الأمير خوفاً من أن يدس عليه فيه سم ونحوه وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاشن بجيم في أوله قريبة من اللفظ في الشين ومعناه الذوق ولذلك يقولون في الذي يذوق الطعام والشراب الشيشني. والثاني كير وهو بمعنى المتعاطى لذلك. ويكون المعنى: الذي يذوق.

المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية هدية جليلة، على أن يكتب له بالأمان، فأُجيب إلى ذلك، وقُرِّرَتْ عليه إتاوة لملوك مصر، وأُعيدت رسله إليه في سنة ثمانين وستمائة، ومات بحصن تَعِزّ سنة أربع وتسعين وستمائة، وملك بعده ابنه الملك الأشرف مُمَهِّد الدين عمر بن المظفر يوسف، وبقي حتى مات سنة ست وتسعين وستمائة، وملك بعده أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر يوسف، فاستمر على مواصلة ملوك مصر بالضريبة المقررة عليه والهدايا والتحف، وتمذهب بمذهب الشافعيّ رضي الله عنه، واشتغل بالعلوم واعتنى بجمع الكتب، حتى يقال: إن خزانته اشتملت على مائة ألف مجلد، وكان فيه بر للعلماء، وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت مملكة إيران بيد هولاكو بن طولى بن جنزخان ملك التتر، فبقي حتى هلك في سنة ثنتين وستين وستمائة لعشر سنين من ولايته، وملك بعده ابنه أبغا، وهو الذي قصد الديار المصرية، فلقيه الظاهر بيبرس وهزمه بعين جالوت في سنة ثمانين وستمائة، وهلك سنة إحدى وثمانين وستمائة. وملك بعده ابنه تكدار، فأسلم وتسمى أحمد، وتلقب أحمد سلطان، وخاطب ملوك عصره، وهو أول من أسلم (١٢٩ ب) من بني هولاكو، ثم قتله عسكره من المغل لما نقموا عليه من إسلامه في سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وملك بعده أخوه أرغون[(١)] بن أبغا، فعدل عن دين الإسلام إلى دين البراهمة من عبادة الأصنام وانتحال السحر، وهلك سنة تسعين وستمائة، وملك بعده أخوه كَيْخَتُو بن أبغا، فساءت سيرته وأفحش في المنكرات، فقتله غلمانه في سنة ثلاث وتسعين وستمائة لثلاث سنين وأشهر من ولايته، وملك بعده ابن عمه[(٢)] بَيْدُو بن طرخاي بن هولاكو، ثم قُتل سنة خمس وتسعين وستمائة لثمانية أشهر من ولايته، وملك بعده غازان، والعامة تقول قازان بالقاف ابن أرغون بن أبغا بن هولاكو، وهو الذي هزم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومات سنة تسع وتسعين وستمائة، وملك بعده أخوه خدابندا، والعامة تقول خَرْبَنْدَا بن أرغون [بن أبغا] بن هولاكو فافتتح أمره بالدخول في الإسلام، وتسمى بمحمد، وتلقب غياث الدين، وأقام دين الإسلام وعظَّم الخلفاء وكتب أسماءَهم في سكَّته على الدراهم والدنانير، ونقش عليها اسم الأئمة الاثني عشر، على طريق الرافضة، وحذف اسم الشيخين من الخطبة، وبنى المدينة المسماة بالسلطانية بأذربيجان، وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بني جنكزخان غير بني هولاكو.

وكانت مملكة الشمال بيد بركة بن دوجي خان بن جنكزخان، فبنى مدينة السراي

---

(١) في الأصل يكتب أرغو وكتبنا الاسم عن النجوم الزاهرة انظر ج٧ ص٣٦٢.

(٢) في النجوم الزاهرة ج٨ ص ٥٣ ابن أخيه بيدو.

وجعلها قاعدة ملكه، وبقي حتى مات سنة خمس وستين وستمائة، وملك بعده مَنْكُوتَمُر بن طغان بن باطوخان بن جنكزخان، وزحف مع أبغا بن هولاكو على الشام في سنة ثمانين وستمائة، وهزمهم المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية على حمص على ما تقدم. ومات منكوتمر سنة إحدى وثمانين وستمائة (١٣٠ أ) وملك بعده ابنه تدان منكو بن منكوتمر، ثم خرج عن الملك سنة ست وثمانين وستمائة، وانقطع إلى صحبة المشايخ والفقراء، وملك مكانه أخوه تلابغا بن منكوتمر، وبقي حتى قُتل سنة تسعين وستمائة، وملك بعده أخوه طقطاي خان [بن] منكوتمر، وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله محمد بن أبي زكريا من الحفصيين من الموحدين، فتوفي سنة خمس وسبعين[١] وستمائة، وولي بعده ابنه الواثق بالله يحيى بن المستنصر محمد، ليلة موت أبيه، فأحسن السيرة، وبسط العدل والعطاء، وبعث إليه أهل بِجَاية بالبيعة، ثم انتزع منه بجاية عمه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى سنة سبع وسبعين وسبعمائة، فانخلع الواثق عن الإمرة لعمه أبي إسحاق المذكور في أول ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة، وسار أبو إسحاق إلى تونس فدخلها في ربيع الآخر من السنة المذكورة واستولى على المملكة جميعها، واعتقل الواثق المخلوع وبنيه، ثم دس عليهم من ذبحهم ليلاً في صفر سنة تسع[٢] وسبعين وستمائة، وخرج على السلطان أبي إسحاق أحمدُ بنُ رَوْق بن أبي عمارة، واستولى على تونس بعد خروج أبي إسحاق منها، وانخلع أبو إسحاق من ملك بجاية لابنه أبي فارس عبد العزيز، في آخر من ذي القعدة[٣] من السنة المذكورة، ثم خرج على الأمير أبي فارسٍ الدعيُّ بنُ يحيى المخلوع، فقتله في سنة اثنتين وثمانين وستمائة، واستولى على بجاية، ودخل أهلها في طاعته، ثم خرج على الأمير الدعيِّ أبو حفص عمرُ بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، فانهزم منه الدعيُّ، واستولى أبو حفص على تونس وسائر المملكة وتلقب بالمتنصر[٤]، ثم ظفر بالدعي بعد ذلك فقتله، وبايعه أهل تلمسان وطرابلس وما بينهما، ثم خرج أبو زكريا يحيى بن السلطان أبي إسحاق على بِجَاية وقُسَنْطِينة، فملكهما واقتطعهما عن مملكة إفريقية، وبقي السلطان (١٣٠ ب) أبو حفص على إفريقية حتى مات في آخر ذي الحجة سنة أربع وتسعين وستمائة، وكان الواثق بن المستنصر المقدم ذكره عند موته ترك جارية حاملاً، فوضعت ولداً، فسماه الشيخ محمدٌ

---

(١) في الأصل: سنة خمس وستين والتصويب من صبح الأعشى ج٥ ص١٢٧ والنجوم الزاهرة ج٧ ص٣٢.
(٢) في الأصل: سنة سبع.
(٣) في الأصل: ذي قعدة.
(٤) في صبح الأعشى: المستنصر.

المَرْجانيُّ محمداً، وأطعم الفقراء يومئذ عَصيدة، فلُقِّب الولد بأبي عصيدة، فلما مات السلطان أبو حفص استقر في الملك بعده أبو عصيدة المذكور.

وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد يغمراسن بن زيان من جهة الحفصيين أصحاب إفريقية، فتوفي في ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وستمائة، وولي بعده ابنه عثمان بن يغمراسن، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكان الغرب الأقصى بيد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، فبقي حتى مات في آخر المحرم سنة خمس وثمانين وستمائة، وملك بعده ابنه ولي عهده أبو يعقوب يوسف بن يعقوب، فجرى على سنن أبيه في العدل، وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد أبي دبوس محمد بن يوسف من بني الأحمر، وبقي حتى مات سنة إحدى وسبعين وستمائة، وملك بعده ابنه الفقيه محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، ومات في سنة إحدى وسبع مائة، وهي السنة التي مات فيها الإمام الحاكم المذكور.

الثالث من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
المستكفي بالله

وهو أبو الربيع سليمان[1] بن الحاكم بأمر الله أحمد المقدم ذكره، وهذا اللقب منقول إليه عن المستكفي بالله أبي القاسم عبد الله الثالث والعشرين من خلفاء بني العباس بالعراق، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه في شهور سنة إحدى وسبعمائة، وبقي حتى توفي بمدينة قوص في العشر الأُخر من شوال سنة أربعين وسبعمائة، فكانت خلافته نحو تسع وثلاثين سنة[2] (١١٣١) وكان له من الأولاد الحاكم بأمر الله الآتي ذكره.

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بويع بالخلافة استقر على ما كان عليه أبوه الحاكم من الركوب والنزول وركوب الميادين مع السلطان، إلى أن أُعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة المرة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشَنْكِير في شهور سنة تسع وسبعمائة، فحصل عند السلطان منه وحشة، فجهزه إلى مدينة قوص بصعيد مصر الأعلى ليقيم بها، فبقي فيها بقية مدة خلافته، وعهد بالخلافة إلى ابنه الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع

---

(١) ولد سنة ٦٨٤هـ انظر تاريخ الخلفاء ص ١٩٤.

(٢) في النجوم الزاهرة ج٩ ص٣٢٢: تسع وثلاثين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوماً.

سليمان، وثبت على الحاكم بقوص بعد أن أشهد عليه فيه أربعين شاهداً.

وفي أيامه[1] في سنة تسع وسبعين توقف النيل وكسر الخليج قبل الوفاء، وانتهت الزيادة في السابع والعشرين من توت إلى خمسة عشر ذراعاً وسبع عشرة أصبعاً.

وفي سنة إحدى وسبعمائة خُطب للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ببلاد إفريقية وحاضرة تونس، بواسطة أن صاحبها أبا يحيى وفد على السلطان، فقلّده بلاد طرابلس الغرب، وأعطاه الأعلام والعصائب، فوعده أن مهما فتحه من بلاد الغرب خطب له فيه.

وفي أيامه عُمل الروك الناصري في سلطنة (١٢١ ب) الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ست عشرة وسبعمائة، واستعيدت الإقطاعات من الأمراء والأجناد، وقيست بالوجهين القبلي والبحري، ثم فُرّقت الإقطاعات على الأمراء والجند، وكان الموجب لعمله أن الملك المنصور حسام الدين لاجين كان في سلطنته، وقد عمل الروك الحسامي، فجرى على غير أُنموذج محرر، فاحتيج إلى إعادته وتحريره، فعمل السلطان الملك الناصر هذا الروك، فجاء في غاية الإتقان والتحرير.

وفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فتح الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية آياس وبلادها، وانتزعها من الأرمن مع كثير من بلادهم.

ولايات الأَمصار في خلافته

كانت الديار المصرية والبلاد الشامية في أيامه بيد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشَنْكير، وهو الذي عمر الخانقاه الركنية بيبرس داخل باب النصر من القاهرة مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية، وبقي حتى خُلع في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة، وملك بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون في مستهل شوال من السنة المذكورة، وهي سلطنته الثالثة، وفيها طالت مدته وقوى ملكه وأكمل المدرسة الناصرية بين القصرين، وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكانت مكة بيد رُميثة وحُميضة ابني أبي نمّي، فوقع التنازع بينهما، وسار رُميثة إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية في سنة خمس عشرة وسبعمائة مستنجداً بسلطانها الملك

(١) في الأصل نص طويل مضروب عليه سبق أن أثبته المؤلف في خلافة سابقه وهو: في سنة ستين وستمائة وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلي والبحري والبلاد الشامية دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة تساقطت منها الأبنية وتشققت الجبال وتقطعت الصخور وتفجرت الأرض عيوناً وخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحارى وظهر أمرها في النيل والبحر الملح وطما البحر بسببها حتى أغرق قماش القصارين وتكسرت القوارب والسفن وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع ووقع جانب عظيم من منار الاسكندرية.

الناصر محمد بن قلاوون، فأيده السلطان بعساكر وجّه بها إلى مكة، فهرب حُميضة، ثم رجع إلى مكة بعد ذلك واصطلح هو وأخوه، ثم حالف عُطيفة سنة ثمان عشرة وسبعمائة، ووصل إلى السلطان الملك الناصر، فأيده بالعساكر، فملك مكة وقبض على رُميثة (١١٣٢) وسجن بمصر، ثم أطلق سنة عشرين وسبع مائة، أقام بمصر، وبقي حُميضة مُشرَّداً إلى أن أستأمن السلطان فآمنه، ثم وثب على حُميضة مماليكُ كانوا معه فقتلوه، ثم أُشرِكَ في إمارة مكة بين رميثة وأخيه عطيفة، ثم مات عطيفة واستقل رميثة بإمارة مكة إلى أن كبر وهرم، وكان له ولدان هما ثقبة وعجلان، فاقتسما معه إمارة مكة برضاه، ثم أراد الرجوع عن ذلك فلم يوافقاه عليه، فلمامات رُميثة تنازع والده المذكوران، وخرج ثقبة من مكة وبقي عجلان بها، ثم غلبه عليها ثقبة وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكانت المدينة بيد جمّاز بن شيحة، وبقي حتى عمى ومات في سنة أربع أو خمس وسبع مائة، وولي بعده ابنه منصور بن جمّاز، ثم وفد أخوه مقبل بن جماز على الناصر محمد بن قلاوون بالديار المصرية، فأشرك بينهما في الإمرة والإقطاع، ثم غاب منصور عن المدينة واستخلف ابنه كبيشة[1]، فهجم عليه مُقبل وملكها من يده، ولحق كبيشة بأحياء العرب، فاستجاش وهجم المدينة على عمه مقبل، فقتله سنة تسع وسبع مائة ورجع منصور إلى، إمارته، وبقي ماجد بن مقبل[2] يستجيش العرب على عمه منصور بالمدينة، ويخالفه إليها كلما خرج منها، ثم زحف ماجد سنة سبع عشرة وسبع مائة وملكها من يد عمه منصور، فاستصرخ منصور بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فأنجده بالعساكر، فحاصروا ماجدَ بن مقبل بالمدينة، وفرّ عنها وملكها منصور، ثم سخط عليه السلطان الملك الناصر فعزله واستقر بأخيه وُدَيٌ في إمارتها، ثم أعيد منصور إلى إمارتها ومات[3] سنة خمس وعشرين وسبع مائة، فولى ابنه كبيشة بن منصور مكانه، فقتله عسكر ابن عمه وُدَيّ، وعاد وُدَيّ إلى الإمرة، ثم توفي بعد ذلك، فولى طفيل بن منصور بن جماز، وتفرد بإمرتها، وبقي إلى ما بعد (١٣٢ب) خلافة المستكفي.

وكان اليمن بيد الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر يوسف من بني رسول، فبقي حتى توفي سنة إحدى وعشرين وسبع مائة وملك بعده ابنه الملك المجاهد سيف الدين عليّ، فأساء السيرة، فقُبض عليه وخُلع وحُبس سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة، وملك بعده عمه الملك المنصور أيوب بن المظفّر يوسف، ثم قُتل وأُعيد الملك المجاهد، وعَصَى عليه

(١) في النجوم الزاهرة ج٩ ص٢٦٤، ٢٧٣ كبيش.
(٢) في الأصل: ماجد بن منصور.
(٣) في النجوم الزاهرة ج٩ ص٢٦٤ أن حديثه ابن أخيه قتله في حرب كانت بينهما.

الظاهرُ أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب، بِحِصْن الدُّمْلُوَة، واستقلّ به، ثم قبض عليه المجاهد بعد صلح جرى بينهما وقتله، وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكانت مملكة إيران بيد خدابند بن أرغون من بني هولاكو، فبقي حتى مات سنة ست عشرة وسبع مائة، وملك بعده ابنه أبو سعيد[1] وهو ابن ثلاث عشرة سنة بمعاضدة جُوبان نائب أبيه، وقام جُوبان بتدبير دولته، ثم عظم شأن أبي سعيد وقوى سلطانه، وانتظم الودّ بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة، وترددت الرسل والمكاتبات بينهما، وقتل أبو سعيد جوبانَ نائبه سنة ست وعشرين وسبع مائة، ومات أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبع مائة، ودُفن بمدينة السُّلْطانية، ولم يُعْقِب، وانقرض بموته ملك بني هولاكو. واختلف أهل دولته، وافترقت الأعمال التي كانت بيده، وصارت طوائف، كما كانت ملوك طوائف الفرس. ولمامات أبو سعيد نصب أهل الدولة موسى خان، من أسباطهم، على بغداد وتَوْرِيز[2] وأعمالها، وقام بتدبير دولته علي باشا من أمراء دولتهم، وكان الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن أبلكان[3] المعروف بالشيخ حسن الكبير وهو ابن عم السلطان أبي سعيد معتقلاً ببلاد الروم، فأخرج من السجن بعد موت أبي سعيد، ووصل بغداد (١٣٣ أ) وخلع موسى خان، ونصب مكانه محمد بن عنبرجي من عقب هولاكو، واستولى الشيخ حسن على بغداد وتوريز، وسار إليه حسن بن دمرداش من بلاد الروم فغلبه على توريز، وقتل محمد بن عنبرجي، ولحق الشيخ حسن بغداد، واستقر حسن بن دمرداش بتوريز ونَصبَ للملك بها صاتبيك أختَ السلطان أبي سعيد على عادة العجم في تمليك بنات الملوك، وزوجَها لسليمان خان من أسباط هولاكو، واستولى إبراهيم شاه بن بارنباي ابن سنوتاي على قطعة من ديار بكر، ثم استولى أولاد جوبان على مملكة أذربيجان وهي بلاد توريز والسلطانية، واستولى القان طغيمتر من بني جنكزخان على خراسان وأعمالها، واستولى أرتنا على بلاد الروم، وبقي الشيخ حسن إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكانت مملكة الشمال التي قاعدتها مدينة السراي بيد طقطقاي خان بن منكوتمر خان، فبقي حتى مات سنة اثنتي عشرة وسبع مائة، وملك بعده ابن أخيه أزبك بن طغزخان، فأسلم واتخذ مسجداً للصلاة، وخطب إليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية بنتا من أقاربه، فزوجه إياها، وبعث بها إليه إلى الديار

---

(١) أبو سعيد هو بو سعيد. وهو ما جرى في النجوم الزاهرة ج٩ ص٥٥ و٣٠٩.

(٢) توريز = تبريز، انظر النجوم الزاهرة ج٩ ص ٩٥ وصبح الأعشى ج٤ ص ٣٥٧ وأخذنا ضبطها من صبح الأعشى ج٧ ص٢٥٧.

(٣) لعلها: بن هولاكو وفي صبح الأعشى ج٤ ص٤٢٤ وج٧ ص٢٥٧ أن من ملك بعد أبي سعيد هم موسى خان ثم محمد بن طشتمر ثم الشيخ حسن الكبير.

المصرية، ووصلت إلى دمياط وحُملت في النيل إلى ساحل بولاق، فحملت على عجلة من عجلات بلاد الترك إلى القلعة، وعقد عليها الناصر ودخل عليها، واتصلت المودة بينه وبين الملك الناصر، وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكانت تونس وما معها من إفريقية بيد أبي عصيدة محمد. وبجاية وقُسَنْطينة[1] من الغرب الأوسط بيد أبي البقاء خالد بن أبي زكريا بن أبي إسحاق، فمات أبو عصيدة في ربيع الآخر سنة تسع وسبع مائة، ولم يخلف ابنا، فبايع أهل تونس من بعده أبا بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن يحيى بن (١٣٣ ب) عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص، فزحف أبو البقاء خالد صاحب بجاية على أبي بكر بن عبد الرحمن صاحب تونس فقبض عليه واعتقله، ثم قتله بعد ذلك، فعُرف بأبي بكر الشهيد، واستقل السلطان أبو البقاء خالد بملك تونس وبجاية وما معهما، وتلقب الناصر لدين الله، وكان أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحياني بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص بطرابلس، فبايعه أهلها وزحف على السلطان أبي البقاءِ بتونس، فخاف أبو البقاء فخلع نفسه، فقبض عليه أبو يحيى واعتقله واستبد بمملكة تونس وبجاية في رجب سنة إحدى عشرة وسبع مائة، وبويع بها البيعة العامة، ثم اضطرب أمره فاستخلف على تونس وخرج منها إلى قابِس، فبايع أهل تونس محمداً المعروف بأبي حربة[2] ابن السلطان أبي يحيى زكريا المقدم ذكره، في سنة سبع عشرة وسبع مائة، وكان قد استولى على بجاية المتوكل على الله أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم ابن يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص، فقصد تونس ملكها من السلطان محمد أبي حربة، ولحق السلطان أبو يحيى اللحياني بمصر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فأحسن نُزُلَه، وبقي عنده حتى مات، ولحق أبو حربة بتلمسان فأقام بها حتى مات، واستقل السلطان أبو بكر بتونس وبجاية وأعمالهما، إلى أن غلبه على تونس إبراهيم بن أبي بكر الشهيد، واستولى عليها في رجب سنة خمس وعشرين وسبع مائة، ثم غلبه عليها السلطان أبو بكر وانتزعها من يده في شوال من السنة المذكورة، واستقر بيده ملك تونس وبجاية، وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكانت تِلِمْسان والغرب الأوسط بيد عثمان بن يغمراسن من بني عبد الواد، فمات في سنة ثلاث وسبع مائة، وولي بعده ابنه أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن، وغلب على تلمسان يوسف بن عبد الحق واستولى عليها وأقر عليها أبا زيان المذكور، فبقي حتى مات (١٣٤ أ) في شوال سنة سبع وسبع مائة وولي بعده أخوه أبو حَمُو موسى بن عثمان[3] ابن يغمراسن، ثم قتله وولي بعده ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حمو، ثم غلبه عليها

---

(١) في الأصل: «وسرقسط» والتصويب من صبح الأعشى ج٥ ص١٢٩ هذا وسرقسطة بالهاء في الأندلس.
(٢) في صبح الأعشى ج٧ ص١٣٠: أبو ضربة.
(٣) في الأصل: «أبو حمد بن موسى بن يغمراسن» والتصويب من معجم الأنساب.

السلطان أبو الحسن المريني وقتله في رمضان سنة سبع وثلاثين وسبع مائة، واستضافها إلى مملكة فاس وولى عليها ابنه أبا عنان[1] فبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكان الغرب الأقصى بيد أبي يعقوب يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق، فبقي حتى طعنه خَصِيٌّ من بعض خدمه وهو نائم على فراشه، فمات سابع ذي القعدة سنة ست وسبع مائة، وملك بعده ابنه أبو ثابت عامر بن أبي يعقوب يوسف، فبقي حتى مات بطنجة من أقصى الغرب في ثامن صفر سنة سبع وسبع مائة، وملك بعده أخوه أبو الربيع بن أبي يعقوب يوسف، فسار بسيرة آبائه في العدل، وبقي بمدينة تازًا في سلْخ جُمادى الآخرة سنة عشر وسبع مائة، وملك بعده أخوه أبو سعيد عثمان ابن أبي يعقوب يوسف، وملك تِلِمْسان من الغرب الأوسط من يد موسى بن عثمان بن يغمراسن سنة أربع عشرة وسبع مائة، وبقي حتى توفي في سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة، وملك بعده ابنه وليُّ عهده أبو الحسن علي بن عثمان، وسار إلى تِلِمْسان فملكها من أبي تاشفين سلطان بني عبد الواد بها في سنة سبع وثلاثين وسبع مائة، وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

وكانت غرناطة وما معها من شرف الأندلس بيد الفقيه محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر، فمات في سنة إحدى وسبع مائة، على ما تقدم، وملك بعده ابنه محمد المخلوع بن محمد الفقيه، ثم غلب عليه أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه، وقبض عليه واعتقله، واستولى على مملكته، فأساءَ السيرة في الرعية والجند، فقبضوا عليه، وملك مكانه أبو الوليد إسماعيل بن أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر، وبقي إلى أن قتله بعض أقاربه (١٣٤ ب) في سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة، وملك بعده ابنه محمد بن أبي الوليد إسماعيل، فبقي حتى قتل غدراً بِغَرناطة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة، وملك بعده أخوه أبو الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل، وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي.

الرابع من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
الحاكم بأمر الله

وهو أبو العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان المقدّم ذكره، ولقبه منقول إليه من لقب جده الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ثاني خلفائهم بمصر، وقد تقدم أن لقب الأول منقول من لقب الحاكم بأمر الله أبي عليٍّ منصور الفاطمي ثالث خلفاء

---

(١) في الأصل: أبا عياد.

الفاطميين بالديار المصرية، ويقال لأبي العباس هذا: الحاكم الثاني، ولي الخلافة بالعهد من أبيه المستكفي على ما تقدم أنه عهد إليه بها بمدينة قوص، وأشهد عليه بذلك أربعين شاهداً، ودُعِي له على المنابر بعد عقد خلافته في العشر الأخير من شوال سنة أربعين وسبع مائة، وبقي حتى خلعه الناصر محمد بن قلاوون في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، فكانت خلافته نحو سنة واحدة وشهرين، ولم أقف على ذكر عقب له.

الحوادث والماجريات في خلافته

من أعظمها وقعاً في النفوس موت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية، فإنه كان ملكاً عظيماً مهيباً عارفاً بتدبير الملك، ذا معرفة وافرة وكرم زايد، فتح الفتوحات الجليلة، وعمر العمائر السَّنِية، منها جامع قلعة الجبل الموجود بها الآن، جَدَّدَه في سنة سبع عشرة وسبع مائة، وعمر القصور العظيمة بمنزلة سِرْيَاقُوس في سنة خمس وعشرين وسبع مائة، وبالغ في شراء الخيل حتى اشترى منها دفعة واحدة بمائتي ألف درهم (١٣٥ أ) وبالغ في شراءِ المماليك وأثمانهم حتى اشترى كلَّ مملوك بمائة ألف درهم إلى ما دون ذلك، وخلّف خمسة عشر ولداً ذكراً، تسلطن منهم ثمانية بعده.

ولايات الأَمصار في خلافته

كانت مصر في أيامه بيد الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثالثة، وتوفي سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، وملك بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بعد موت أبيه، وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت مكة بيد ثقبة[1] بن رميثة، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم هذا.

وكانت المدينة بيد طُفيل بن منصور بن جماز، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكان اليمن بيد الملك المجاهد سيف الدين عليّ، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت بغداد وما معها بيد الشيخ حسن الكبير، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكان ما وراء النَّهر وخراسان بيد بني جنكزخان من غير بني هولاكو.

وكانت مملكة الشمال بيد أزبك خان. فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية بيد السلطان أبي بكر، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

---

(١) في صبح الأعشى: ج٤ ص٢٧٤ «بقية». هذا والأصل يكتبه دائماً ثقبة.

وكانت تلمسان بيد أبي عنان بن السلطان أبي الحسن المَريني، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكان الغرب الأقصى بيد السلطان أبي الحسن علي بن عثمان، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

وكانت غرناطة من الأندلس بيد أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد من بني الأحمر، فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم.

الخامس من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
الواثق بالله[1]

وهو أبو إسحاق إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسين[2] المقدم ذكره، وهذا اللقب منقول عن الواثق بالله أبي جعفر هارون (١٣٥ ب) تاسع خلفاء بني العباس بالعراق، بويع له بالخلافة بعد خلع أخيه الحاكم[3] في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، وقام ببيعته الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية، ولم يزل يخطب له على المنابر ورواتِبُ الخِلافةِ يُحْمل إليه إلى العشرين من ذي الحجة سنة إحدة وأربعين وسبع مائة، ثم أُعيدت الخطبة للحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي سليمان المقدّم ذكره، وفُوِّض إليه نظر المشهد النَّفيسي، فاستقرَّ بيد الخلفاء إلى الآن، وبقي حتى تُوفِّي في رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مائة.

الحوادث والماجريات في خلافته

قد تقدم أن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان كان قد عهد إلى ابنه الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بأربعين شاهداً بمدينة قوص، وثبت ذلك على الحاكم بها، فلما مات المستكفي قَصدَ الملكُ الناصر محمد بن قلاوون سلطانُ الديارُ المصرية يومئذ أن يخطب بمملكة الديار المصرية للواثق إبراهيم المقدم ذكره، فلم يتمَّ له ذلك، لما تقدم من العهد إلى الحاكم المذكور، فبقي الأمر على ذلك إلى أن توفي الملك الناصر في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، فأُعيد الحاكم المذكور إلى خلافته.

وفي أيامه في سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة كان القبض على الأمير قُوصون أتابك

---

(١) رتبه في تاريخ الخلفاء ص ١٩٦ قبل الحاكم بأمر الله ص١٩٧.

(٢) انظر صفحة ١١٦ وهامشها، وانظر هامش الصفحة التالية.

(٣) في تاريخ الخلفاء أنه إبراهيم بن المستمسك بالله محمد بن الحاكم فالحاكم الثاني ليس أخاه.

العساكر، بعد أن كان عِنان السلطنة بيده في أيام الملك الأشرف كجك بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المقدم ذكره لصغره.

ولايات الأَمصار في خلافته

كانت مصر والشام بيد الملك المنصور أبي بكر بن الناصر محمد بن قلاوون، فبقي حتى خلع في تاسع عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة، وملك بعده أخوه الملك الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع (١٣٦ أ) أخيه المنصور، وخُلِع في التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة، وملك بعده أخوه الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أُحضر من الكرَك، واستمر في السلطنة حتى خلعَ نفسَه في أوائل المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة، وملك بعده أخوه الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون في العشرين من المحرم المذكور، وبقي حتى تُوفي في رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مائة، وملك بعده أخوه الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون، يوم موت أخيه الصالح إسماعيل، وبقي حتى خُلع من ثماني جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبع مائة، وملك بعده أخوه الملك المظفرّ حاجِّي بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الكامل شعبان، فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق و[عودة] الحاكم بعده.

وكانت مكة بيد ثقبة بن رميثة، فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق والحاكم بعده.

[وكانت المدينة بيد طفيل بن منصور، فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق وعودة الحاكم بعده].

وكان اليمن بيد الملك المجاهد سيف الدين علي بن المؤيَّد هزبر الدين داود في سلطنته الثانية، فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق وعودة الحاكم بعده.

وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد الشيخ حسن الكبير، فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم بعده.

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد جفطاي من بني جنكزخان.

وكانت مملكة الشمال بيد أزبك، فتوفي سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة، وملك بعده ابنهُ جاني بك بن أزبك، فقصد توريز وملكها، ثم كرّ راجعاً فمات في طريقه لثلاث سنين من ملكه، وأُقيم ابنه بردي بك بن جاني بك مقامه في الملك، وملك بعده ابنه طقطمش[1]

---

(١) في صبح الأعشى ج٤ ص٤٧٣: طقتمش.

وهو صغير، فخرج عليه ماماي أحد أمراء دولته بالقرم، ونَصَّب من ولد أزبك صغيراً اسمه عبد الله بن أزبك، وزحف إلى مدينة السراي قاعدة ملكهم، فهرب منها طقطمش، واستولى ماماي على السراي (١٣٦ ب) وأجلس عبد الله بن أزبك على كرسي الملك بها، فنازعه أمير من أمراء الدولة، ونصَّب من بني القان آخر اسمه طقتمر[١]، فغلبه ماماي وقتلهما، واستولى على المملكة، وبقي فيما أظن إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم.

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية، وبجاية من المغرب الأوسط بيد السلطان المتوكل على الله أبي يحيى أبي بكر إبراهيم[٢] فتوفي في رجب سنة سبع وأربعين وسبع مائة، وملك بعده ابنه أبو حفص بن أبي بكر بعهد من أبيه، فبقي حتى قصده السلطان أبو الحسن المريني في سنة ثمان وأربعين وسبع مائة، وملك بجاية وقُسَنْطينة، وقُتِل أبو حفص بن أبي بكر في حربه بتونس، واستضافها إلى مملكته بالغرب الأقصى وكمُل له بذلك مُلك جميع المغرب، واستخلف في المملكة ابنه أبا الفضل بن أبي الحسن، وسار إلى المغرب فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم.

وكانت تلمسان بيد السلطان أبي الحسن المريني ونائبه عليها ابنه أبو عنان بن أبي الحسن، فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق وعقد خلافة الحاكم.

وكان على الغرب الأقصى السلطان أبو الحسن المريني فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم.

وكانت غرناطة من الأندلس بيد يوسف بن أبي الوليد من بني الأحمر، وفي خلال أيامه تغلب طاغية النصارى على الجزيرة الخضراء، وانتزعها من يد المسلمين صلحاً في سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة، بعد حروب عظيمة، وبقي إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم.

السادس من خلفاء بني العباس بالديار المصرية

المعتضد بالله

وهو أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان المقدم ذكره، وهذا اللقب منقول إليه عن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة (١٣٧ أ) سابع

---

(١) في صبح الأعشى ج٤ ص٤٧٤ قطلقتمر.

(٢) هذا كلام مضطرب. والصواب كما يؤخذ من صبح الأعشى ج٥ ص١٣٠: بيد السلطان أبي بكر إلى أن غلبه على تونس إبراهيم بن أبي بكر الشهيد. ثم غلبه عليها السلطان أبو بكر وانتزعها من يده واستقر في يده ملك إفريقية وبجاية إلى أن مات فجأة في رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة.

عشرة خلفائهم بالعراق، وبويع له بالخلافة بعد موت أخيه الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان، في سابع عشر شعبان المكرم سنة ثمان وأربعين[1] وسبعمائة، وبقي حتى توفي في عاشر جُمادى الأولى سنة ثلاث وستين[2] وسبعمائة، فكانت خلافته أربع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً، وكان له من الأولاد المتوكل على الله محمد الآتي ذكره.

الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة تسع وأربعين وسبعمائة كانت فَرْقَةُ النيل التي بين مصر والروضة قد نَشِفَت وصار النيل بجملته بين الروضة والجيزة، فأقيم الأمير منجك لإصلاح ذلك حتى تعود الفرقة التي بين مصر والروضة على عادتها في استمرار الماء فيها شتاءً وصيفاً، فاشترى مراكب وملأها بالحجر والطين وغرَّقها في بحر الجيزة، فلم يظهر لذلك أثر، وبقي الأمر على ما كان عليه، ويأتي الله إلاَّ ما أراد.

وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة كان الطاعون العظيم الذي عم أقطار الأرض، وخرب أكثر البلاد وخلت فيه من الناس، يقال: إنه كان يخرج فيه في كل يوم من القاهرة أكثر من عشرين ألف جنازة، ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم، وأقام دائراً في البلاد مدة سنتين، وعم جميع الأقطار إلا المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فإنه لم يدخلها فإنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا يدخلها طاعون، وعُدِم بسببه أكثر البضائع لقلّة الصناع والتجار، وبلغ فيه إذ ذاك الرَّاوِيةُ الماء بالقاهرة عشرة دراهم، وأجرة طحن القمح كل إردب خمسة عشر درهماً، وغلا الشعير مع الحجاج حتى بلغ الشعير كلُّ وَيْبَة ما يزيد على مائة درهم.

وفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة قبض السلطان الملك الصالحُ صالحٌ على الصاحبِ علم الدين بن زنبور، وهو يومئذ وزير وناظر الجيوش وناظر الخواصّ، وضُرِب وصُودر، وأُخَذ منه أموال (١٣٧ ب) جَمَّة، يقال: إنه وُجد له من ثياب بدنه التي يلبسها ألفان وستمائة قطعة، منها مفرد[3] ألفا قطعة، وبوجهين ستمائة قطعة، ووجد له حُنينيات خمسة آلاف قطعة، وأواني ذهب وفضة ستون قنطاراً، وجوهر قنطاران وأربعون رطلاً، وحب لؤلؤ أردبان بالكيل المصري، وذهب مسكوك ستمائة ألف دينار، وفضة نقش ثلاثون

---

(١) في تاريخ الخلفاء ص٢٠١ في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكذلك في حياة الحيوان ص٨٤.

(٢) في الأصل: وسبعين والتصويب من ولاية الخليفة بعده ومن تاريخ الخلفاء ص٢٠١ وحياة الحيوان ص٨٤.

(٣) في الأصل «مفرى» ولعلها أيضاً مفردي.

أردباً، وحوائص ذهب ستة آلاف حياصة، وكلوتات زركش ستة آلاف كلوتة، وشاشات وتخافيف ثلاثمائة[1] قطعة، وبسط خمسة وثلاثون ألف قطعة، وأنطاع ألف نطع، وخيول ودواب عشرون ألف رأس، ورقيق سبعمائة رأس وعشرة رؤوس، ومماليك ترك غيرهم خمسون مملوكاً، وخُدَّام مائة خادم، وعبيد مائة عبد، ونُحَاس أربعون ألف قطعة، وأملاك وعقار وضياع ستة آلاف مكان، قومت بثلاثمائة ألف دينار، ومعاصر قصب خمس وعشرون معصرة، وإقطاعات حَلْقة سبعمائة إقطاع، وسروج وعدّة خيل قُوِّمت بثمان مائة ألف درهم، ومتاجر وبضائع ومخازن قُوِّمت بأربعمائة ألف دينار، ومراكب ستمائة مركب، وبساتين وجُنَيْنات مائتا موضع، وسواقي ألف وأربعمائة ساقية، خارجاً عن الأبقار والأغنام والغلال والأواني الصيني وغير ذلك.

وفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة خرجت المراسم السلطانية عن السلطان الملك الصالح بأن اليهود والنصارى لا يتحدثون في ديوان من دواوين السلطان ولا دواوين الأمراء، وأن لا يُكْرموا في المجالس، وأن تكون عمائمهم عشرة أذرع بغير زيادة، وأن يَلْبسوا الفراجي الزُّرق، ويكون ركوبهم عرضاً، وأن يكون قيمة كل حمار من مراكبهم دون مائة درهم، وإذا مرَّ أحد منهم بمُسلم جالسٍ نزل وأظهر المسكنة، وأن لا يدخل النصارى الحمام إلا بصليب (١٣٨ أ) وطوقٍ في عنقه، وأن لا يدخل نساؤهم الحمامات مع المسلمات، وأن يكون خُفَّاها لَوْنين، وأن يكون إزار النصرانية أزرق، وإزار اليهودية أصفر، وكتب بذلك إلى سائر الممالك لِيُجروهم على ذلك.

وفي سنة ست وخمسين وسبعمائة كمُلَت عِمارة الخانقاه السَّيفيّة شيخو بالصَّليبة، وفيها شرع السلطان حسن في عمارة مدرسة تحت القلعة، وكان مكانها قصراً للأمير يلبغا البجياوي، فهدمه وعمرها مكانه، وفيها هبت ريح شديدة من المغرب اصفَرَّ بها الجو، ثم احمرّ، ثم اصفرّ، ثم احمرّ، ثم اسودّ رمَتِ الجدرانَ وكسرت الأشجار وبقيت من أول النهار إلى بعد منتصف الليل، ثم أعقبها مطر فسكنت.

وفي سنة تسع وخمسين وسبعمائة ضرِبت الفلوس الجدد في سلطنة الناصر حسن بإشارة الأمير صرغتمش أتابك العساكر، وكانت من أحسن الفلوس وضعاً، فإن زنة كلِّ فَلْس مثقالٌ وهو قيراط من درهم، وسبب ذلك أن الناس كانوا يعبثون في المعاملة بالفلوس، حتى صاروا يقصُّون كل فلس أربع قطع ويحسبونه بأربع فلوس، وفيها فتح الأمير بيبرس الخوارزمي نائب حلب أذَنَة وطرطوس والمصيصة وعدّة قلاع مما كان بأيدي[2] الأرمن.

---

(١) لعلها ثلاثة آلاف أو ثلاثون الف.

(٢) في الأصل: باي الأرمن.

ولايات الأمصار في خلافته

كانت مصر والشام بيد المظفر حاجي بن الناصر محمد ابن قلاوون، وخلع في ثامن[1] عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ثم قتل من يومه، وملك بعده أخوه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهي سلطنته الأولى في تاسع[2] عشر الشهر المذكور، وخلع في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، وملك بعده أخوه الملك الصالحُ صالحُ ابنُ الملك الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه [الناصر] حسن المذكور، وخلع ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة (١٣٨ ب) وملك بعده أخوه الملك الناصر حسن المقدم ذكره يوم خلع أخيه الملك[3] الصالحِ صالحٍ وهي سلطنته الثانية، وبقي حتى خلع [وقُتل] في عاشر جُمادى الأُولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وبنى مدرسته العظمى[4] بجانب سوق الخيل تحت قلعة الجبل، وهو آخر من ملك من أولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لصلبه، وملك بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع عمه الناصر حسن، وبقي إلى ما بعد خلافة المعتضد.

وكانت مكة بيد ثقبة بن رميثة، ثم اجتمع ثقبة وأخوه عجلان بمصر سنة ست وخمسين وسبع مائة، فولّى السلطانُ عجلانَ، وفرّ ثقبة إلى الحجاز، فأقام بمكة منازعاً لأخيه عجلان من غير ولاية، وعجلان مستبد بولايتها جار علَى سنن العدل والتجافي عن أموال الرعية والتعرّض للمجاورين، وبقي إلى ما بعد خلافة المعتضد.

وكانت المدينة بيد طُفيل [ابن منصور] بن جماز بن بني الحُسين، فبقي إلى سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، فوقع النَّهب في الركبِ بالمدينة في الموسم، فقَبض عليه الأمير طاز أمير ركب الحج وولّي مكانه رجلاً من عقب جمَّاز اسمه سَيْف، ثم ولي بعده [فَضْل، من عقب جماز أيضاً، ثم ولي بعد فضلٍ مانعٌ من عقب جمَّاز ثم ولي] جمَّاز ابن منصور بن جمَّاز، ثم دس عليه الناصر حسن صاحب الديار المصرية من الفِدَاوِيّة من قتله، واتفق أمراء الركب على تولية ابنه هِبة إلى حين يَرِدُ عليهم من السلطان ما يعتمدونه، ثم ورد أمر

---

(١) في صبح الأعشى: ج٣ ص٤٣٧ في ثاني عشر رمضان.

(٢) يلاحظ أن الكلمة في الأصل مصححة بكلمة «تاسع» وكان أصلها «رابع» وهو ما يتفق مع صبح الأعشى من أن الخلع كان في ثاني عشر رمضان.

(٣) في الأصل: أخيه ابن الصالح.

(٤) في صبح الأعشى: المعظمة.

السلطان بتولية مانع[1] فولى ثم ولي بعده عطية بن منصور بن جماز، وأظنه بقي إلى ما بعد خلافة المعتضد.

وكان اليمن بيد الملك المجاهد علي بن المؤيد هزبر الدين داود في سلطنته الثانية، فبقي حتى حَجّ سنة إحدى وخمسين وسبع مائة في أيام الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام، وكان الأمير طاز أحد أكابر أمراء الديار المصرية قد حجّ في تلك السنة، وأشيع بمكة أن المجاهد عليًا يكسو الكعبة، فوقعت الفتنة بين العسكر المصري والملك المجاهد، فانهزم المجاهد (١٣٩ أ) وعسكره وأُسِر هو وحُمل إلى مصر فاعتقل بها، ثم أطلق سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة في دولة الملك الصالح صالح، ووُجّه معه الأمير قشتمر المنصوري ليوصله إلى بلاده، فلما بلغ [به] الينبع ارتاب منه في الهرب، فرجع به إلى مصر، فحبس في الكَرَك من بلاد الشام، ثم أطلق وأعيد إلى ملكه، وأقام على مداراة صاحب مصر.

وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد الشيخ حسن الكبير، فبقي إلى أن مات في بغداد سنة سبع وخمسين وسبعمائة، وملك بعده ابنه أُوَيْس بن الشيخ حسن الكبير، فبقي إلى ما بعد خلافة المعتضد.

وكان ما وراء النهر وخراسان، وما مع ذلك بيد جنكزخان.

وكانت مملكة الشمال من بلاد الترك بيد ماماي المستولي عليها بعد قتل طقتمر، فزحف عليه صلجي[2] جركس أحد المتغلبين على بعض أعمال السراي وملكها من يده، وصار ماماي إلى القِرم فغلب عليها، ثم زحف أليك[3] خان إلى السراي وملكها من يد صلجي جركس، فبقي أياماً ثم هلك وملك بعده ابنه قاني باي[4] خان.

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقُسَنْطِينة من الغرب الأوسط بيد أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن المريني صاحب الغرب الأقصى، فخرج عليه أبو [العباس] الفضل بن السلطان أبي بكر صاحب بجاية وقصده بتونس، فخرج منها أبو الفضل بن أبي الحسن فارًا إلى أبيه بالغرب الأقصى، ودخلها أبو [العباس] الفضل بن السلطان أبي بكر وملكها

---

(١) في صبح الأعشى: ج٤ ص٣٠١ «ثم ورد أمر السلطان بتولية هبة من عقب ودي فعزل ودي وولي مكانه ثم ولي بعده عطية بن منصور». هذا وبهامش صبح الأعشى تعليق على كلمة «فعزل ودي» نصه: لعله زائد من قلم الناسخ.

(٢) في صبح الأعشى ج٤ ص٤٧٤: حاجي.

(٣) في صبح الأعشى ج٤ ص٤٧٤ أيبك.

(٤) في صبح الأعشى: قاني بك خان.

سنة تسع وأربعين وسبعمائة واستولى على جميع المملكة، وبقي حتى قبض عليه [سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وبويع بعده] أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر وهو غلام قد ناهز الحُلُم وخنقه بعد ليلة(١) واستولى على تونس وبجاية وقُسنطينة وبلادها، فبقيت في يده حتى غلبه أبو عنان بن السلطان أبي الحسن المَريني على بجاية وقسنطينة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، ثم انتزع منه السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر قُسَنطينة(٢) في السنة المذكورة، ثم (١٣٩ ب) غلبه عليها أبو عِنان بن السلطان أبي الحسن المَريني واستولى عليها ثانياً، ثم رجع إلى الغرب الأقصى سنة سبع وخمسين وسبعمائة، فسار أبو إسحاق إبراهيم صاحب تونس إليها فملكها من يد عامل أبي عنان سنة إحدى وستين وسبعمائة، ثم قوي أمر السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر فعاد إلى قُسنطينة وملكها في السنة المذكورة، وبقي إلى ما بعد خلافة المعتضد.

وكانت تلمسان بيد السلطان أبي الحسن المريني، ونائبه فيها ابنه أبو عنان بن أبي الحسن، ثم ارتحل عنها أبو عنان إلى المغرب عند إشاعة موت أبيه في حرب العرب، واستخلف عليها عثمان بن حرّاز في ربيع سنة تسع وأربعين وسبعمائة، فبقي حتى سار إليه أبو سعيد، فدخل تلمسان وملكها من يده في السنة المذكورة، ثم قصد أبو عنان بن السلطان أبي الحسن تلمسانَ، فملكها سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، وقبض على السلطان أبي سعيد وملك تلمسان من يده، واستخلف بعض أولاده عليها، ورجع إلى الغرب الأقصى، فعمد أبو حَمُو بن بني عبد الواد إلى تلمسان فملكها في ربيع الأول سنة ستين وسبعمائة، وخرج ابن السلطان أبي عنان فلحق بالمغرب، ثم سار السلطان أبو سالم بن أبي عنان إلى تلمسان فملكها في سنة إحدى وستين وسبعمائة، وبقي إلى ما بعد خلافة المعتضد.

وكان الغرب الأقصى بيد السلطان أبي الحسن المريني، فتوفي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين(٣) وسبعمائة، وملك بعده ابنُه وليُّ عهده أبو عنان بن أبي الحسن، فتوفي في ذي الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وكان قد عهد إلى ابنه أبي زيان، فعدل عنه إلى [ابنه] السعيد بن أبي عنان، ثم خرج عليه(٤) عمه أبو سالم [إبراهيم]

---

(١) في صبح الأعشى ج٥ ص١٣١: وقتل الفضل في جوف الليل من الليلة القابلة خنقاً.

(٢) في الأصل: «على قسنطينة» هذا وتعبير صبح الأعشى: ثم استولى السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر على قسنطينة....

(٣) في الأصل: «وعشرين» والتصويب من صبح الأعشى ج٥ ص١٩٨.

(٤) «عليه» يراد: على السعيد بن أبي عنان.

بن أبي الحسن، فغلبه على ملكه، ودخل مدينة فاس في منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة، فبقي حتى أُقيم مكانه أبو عمر تاشفين المعروف بالمُوَسوس بن السلطان أبي الحسن، وقبض على أبي سالم وقتله، فبقي حتى خُلع وولى مكانه (١٤ أ) أبو زَيَّان محمد بن الأمير[١] عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن، وكان غائباً بالأندلس، فقام مدينة فاس ودخلها في منتصف شهر صفر سنة ثلاثٍ وستين وسبعمائة، فبقي إلى ما بعد خلافة المعتضد.

وكان ما بقي من الأندلس بيد المسلمين وهو غرناطة وما معها بيد يوسف بن أبي الوليد من بني الأحمر، فتوفي يوم الفطر سنة خمس وخمسين وسبعمائة، وولى مكانه ابنه محمد بن يوسف، فأقام خمس سنين إلى أن خُلع وولى مكانه أخوه إسماعيل بن يوسف في ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين وسبعمائة، وبقي إلى ما بعد خلافة المعتضد.

السابع من خلفاء بني العباس بالديار المصرية

المتوكل على الله

وهو الإمام الأعظم أبو عبد الله محمد بن المعتضد بالله المقدَّم ذكره، وهذا اللقب منقول إليه عن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر عاشر خلفائهم بالعراق، كان رقيق السُّمرة[٢]، وافر اللِّحية، معتدل القامة، حسن الشكل، عظيم الهيبة، وافر العقل، كثير التواضع، ولى الخلافة بعهد من أبيه المعتضد بالله المقدم ذكره، ثم بويع له بالخلافة بعد وفاته يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وهي ولايته الأولى، وبقي حتى خلعه الأمير أيبك[٣] أتابك العساكر في سنة تسع وسبعين وسبعمائة، فكانت خلافته هذه خمس عشرة سنة وأشهراً.

الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة أربع وستين وسبعمائة مات حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهو والد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين الآتي ذكره، وكان أحسن

(١) في الأصل: بن أبي عبد الرحمن، والتصويب من صبح الأعشى ج٥ ص٢٠٠.

(٢) لعلها أيضاً: رقيق البشرة.

(٣) في الأصل: «اينبك» والتصويب من صبح الأعشى ج٣ ص٢٦٦ هذا وفي صبح الأعشى أنه خلع ثم أعيد ثانياً في أواخر المحرم أو أوائل صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة بعد أن ولي المستعصم الخلافة دون ثلاثة أشهر.

أولاد السلطان الملك الناصر موتاً. وعقبها كانت سلطنة ابنه الأشرف شعبان في السنة المذكورة، وفيها برزت (١٤٠ ب) الأوامر السلطانية لمنكلي بغا الشمسي نائب الشام بفتح باب دمشق المعروف بباب كيسان، ففتح، وكان له من حين سدّه السلطان نور الدين ما يزيد على مائتي سنة مسدوداً.

وفي سنة سبع وستين وسبعمائة وصل صاحب قبرس من جزائر الفرنج [إلى الاسكندرية][1] ومعه أسطول عظيم نحو سبعين مركباً حربية في عسكر عظيم، وهي يومئذ ولاية قبل أن تستقرّ نيابة، ففتحوها وقتلوا منها خلقاً كثيراً، وأسروا النساء والصبيان، وأحرق أهل البلد باب رشيد من أبوابها، وخرجوا منها فارّين واتصل الخبر بالسلطان الملك الأشرف والأمير يلبغا أتابك عسكره، فأسرعوا المسير إليها، فبلغ خبرُ العسكر الفرنجَ ففروا هاربين إلى المراكب بما أخذوه من الأموال العظيمة والأسرى، وساروا إلى بلادهم، فعمرت البلد وأسوارها، ورجع أهلها إليها، وعاد السلطان للديار المصرية إلى القلعة.

وفي سنة ثمان وستين وسبعمائة وصلت رسل الملك الأفضل عباس صاحب اليمن إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية بهدية جليلة، منها فيل، وفرس بغير ذكر ولا أنثيين من أصل الخلقة، وجملة من القماش والمسك والعنبر والعود والصندل واللبان والبهار وحجارة الموميا والعقيق، ورماح القنا، وغير ذلك، فقبل السلطان هديتهم، وأعادهم إلى مرسلهم، وفيها شرع الأمير يلبغا في عمارة أسطول عظيم مائة مركب حربية ما بين طرائد وأغربه، لِقصد غزو قبرس في نظير طروقه الاسكندرية، وفرغت عمارته جميعها في دون سنة، وذلك ما لم يصل إليه همَّةُ ملك، وأدرك الفرنجَ من ذلك رعبٌ عظيم، حتى أن الصغير كان يبكي فتخوفّه أمه بالأمير يلبغا، وربما جَفَلَت فرسُ أحدهم من الحوض وهي تشرب فيقول لها: الأمير يلبغا في الحوض؟ وفيها خرج السلطان الأشرف والأمير يلبغا إلى البحيرة للصيد، فكبس مماليك يلبغا عليه بمنزلة الطرانة في الليل، ففر الأمير يلبغا وعدّي إلى بر القاهرة، وتبعه السلطان بمن معه (١٤١ أ) من الأمراء ونزل ببولاق التكروري مقابل القاهرة، وترامو بالنفط من البرّين، فاستدعى الأميرُ يلبغا أنوكَ بن حسين أخي السلطان الأشرف، وسلطنه ولقبه الملك المنصور، وهو المعروف بسلطان الجزيرة، فعدّي السلطان الأشرف من الورّاق إلى جزيرة الفيل، فتفرق أصحاب يلبغا عنه، وفرّ بمن بقي معه إلى تحت القلعة، ففرّ عنه من بقي معه، فذهب إلى بيته بالكبش، ثم سلمهم نفسه فضربوا عنقه، ودفن بتربة قرابغا خارج باب البرقيّة، واستقر في الأتابكية مكانه الأمير أسندمر

---

(١) الزيادة مقتبسة من صبح الأعشى ج٣ ص٤٠٨ عند الكلام على الإسكندرية ويؤيد ذلك ما سيأتي في هذه الصفحة من الأصل.

الناصري في سنة تسع وستين وسبعمائة، وفي سنة تسع وسبعين وسبعمائة وقعت وقعة بين السلطان والأمير أسندمر فوقعت الكسرة على أسندمر، فقبض عليه، وقتل من كان معه من مماليك الجُلب، وكان أكثرُ من قتلهم العوامَّ، بتسلطهم بالفساد، وهجوم الحمامات على النساء، وأخذهم النساء من الطرقات، ثم عفا السلطان عن الأمير أسندمر وأطلقه، ثم قبض عليه مع جماعة من الأمراء في هذه السنة فاعتُقلوا بالإسكندرية.

وفي سنة سبعين حجّت والدة السلطان الأشرف.

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة جرى كلام في حق الأشراف العَلِويّين بسبب أن بعض الأمراء وقع في حق أحدهم، وزعم أنه لم يعرف كونَه شريفاً، فأمر السلطان الأشراف بالديار المصرية أن يجعل كلٌّ واحد منهم في عمامته عِصابة خضراء من صوف أو حرير أو غير ذلك مستديرة على بعض لفات العمامة ليمتازوا عن غيرهم.

وفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة توقف النيل عن الوفاء، وكُسِر الخليجُ مع نقص أصبعين عن الستة عشر ذراعاً، وخرج الناس إلى الصحراء خارج باب النصر واستسقَوْا، وفيهم الأمراء والقضاة والفقهاء والأعيان والضعفاء والأطفالُ، ونقص النيل بعد ذلك فلم يُرْوِ من بلاد مصر إلاَّ القليل، وبلغ سعر القمح أربعين درهماً كل أردب ثم بلغ سبعين (١٤١ ب) وفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفيت خوند والدة السلطان الأشرف وهي متزوجة بالأمير الجاي اليوسفي أتابك العساكر، فنظم بعض شعراء العصر في ذلك:

في ثاني العشرين من ذي القعدة[1] كانت صَبيحةُ موت أُمِّ الأَشْرَفِ

فالله يرحمها ويُعظم أجرها ويكون في عاشورَ مَوْتُ اليُوسُفِي

فكان الأمر كما كان، فإنه في أول سنة خمس وسبعمائة تغيّر السلطان على الأمير الجاي، ففر هارباً إلى ساحل قليوب، فألقى نفسه بفرسه في النيل ليُعَدِّي إلى بر الجيزة فغرق، وكان في يوم عاشوراء كما تقدمت الإشارة إليه في البيتين السابقين، وكان من جملة أمراء الأشرف أرغون شاه الخاصكي من كبار أمرائه، فنظم بعض الشعراء فيه:

الْجَايُ ذاك الرُّخُّ لما طغى في نَشْتِه مال لنقل الوُشاه[2]

تراجعت عن صَفِّه خيلُه وكلُّ فِرْزٍ إنْ مضى ما اختشاهْ

ونفسَه جَالَ بها ساعةً ولم يَضْرِبه أرغُون شَاهْ

وكان أرغون شاه أحد أمراء الأشرف الخاصكية.

(١) هذا الشطر يستقيم إذا حركت ياء ثاني بالكسرة ونطقت «من ذي قعدة» بدون ألف ولام مع تنوين «قعدة».

(٢) في الأصل: «إلى نقل الوشاة».

ونظم آخر:

الجاى قال اعذروا فإنني قهرت بالأشرف الكَرَمْ
حسبت كلَّ الحساب إلاّ ظهورَ شعبان في الحَرَم

وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة اشتد الغلاء بالديار المصرية حتى بيع القمح كل أردب بمائة وعشرين درهماً ثم تزايد حتى بلغ مائة وستين، والشعير بثمانين درهماً كل أردب، والخبز كلّ رطلين بدرهم، ولحم الضأن كلّ رطلين بدرهمين ونصف، ولحم البقر بدون ذلك، والرَّاوِيةُ الماء خمسة دراهم، وبيع كلُّ فرُّوج بخمسة وأربعين درهماً، وكل سَفْرجلة بخمسين درهماً وكل رُمَّانة لفان بعشرة دراهم، وكل رمانة حلوة بستة عشر درهماً ومات أكثر الدواب من قلة العلف، وغلت البضائع لقلة الظَّهْر، وأكل الناس الميتة، وجاعت الكلاب حتى أكلت الموتى على الطرقات (١٤٢ أ) وتَنبش القبور وتُخرج الموتى فتأكلهم، وصار الناس في بلاءٍ عظيم، وفي السنة المذكورة فتح الأمير عشقتمر نائب حلب مدينة سيس قاعدة ملك الأرمن وانتزعها من أيدي الأرمن. وهو آخر الفتوح الإسلامية فيما أردكناه.

وفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة أبطل السلطان الملك الأشرف بواسطة شيخنا الشيخ سراج الدين البلقينيّ القراريط، وهي مُكُوس كانت تُؤخذ على بيع العقار، وفي السنة المذكورة تجهّز السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز، فخرج عليه مماليكه بالعقبة، ففرّ إلى القاهرة، فقُبض عليه وقُتل، كما سيأتي بولايات الأمصار.

ولايات الأَمصار في خلافته

كانت مصر والشام بيد الملك المنصور محمد بن المُظَفَّر حاجّي، فبقي حتى خلع في خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبع مائة، وملك بعده ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو طفل، وبقي حتى خرج للحج سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، فخرج عليه مماليكه بالعقبة[1] ففر منهم إلى مصر واختبأ، ثم وقع الظفر به وقُتِل في ثالث ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبع مائة، وملك بعده ابنه الملك المنصور عليٌّ يوم خلع أبيه، وقام بتدبير دولته الأمير أيبك[2] أتابك العساكر، فخلع أيبك المتوكل واعتقله ببرج القلعة، وبقي المنصور عليٌّ إلى ما بعد خلع المتوكل.

وكانت مكة بيد عجلان بن رميثة، فبقي بها حتى توفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة،

---

(١) في صبح الأعشى ج٣ ص٤٣٨ عقبة أيلة.

(٢) في الأصل كتب «أبينك» ثم كتب «اينبك» وانظر تاريخ الخلفاء ص٢٠٢ وما تقدم في خلافة المتوكل على الله.

وولي بعده ابنه أحمد، وكان قد فوّض إليه الأمر في حياته، وقاسمه أمْرَه، فقام [أحمد] بأمر مكة بعد أبيه أحسن قيام، جارياً علي سَنَن أبيه في العدل وحسن السيرة، فبقي إلى ما بعد خلع المتوكل.

وكانت المدينة بيد عطية بن منصور بن جمّاز، فأقام سنين، ثم عُزل وولي مكانه هبة بن جماز (١٤٢ ب) ثم عزل وأعيد عطية، ثم تُوفي عَطِيّة وهبة، وولي جماز ابن هبة، وبقي فيما أظن إلى ما بعد خلع المتوكل.

وكان اليمن بيد المجاهد عليّ بن هزبر الدين داود من بني رسول، فتُوفي سنة ست وستين وسبعمائة، وملك بعده ابنه الملك الأفضل عباس، فبقي حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد، فبقي إلى ما بعد خلافة المتوكل.

وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد الشيخ أُويس بن الشيخ حسن الكبير، فبقي حتى مات سنة ست وسبعين وسبعمائة، وملك بعده بغداد وتَوْرِيز[١] ابنه حسين[٢] بن أويس، وفي خلال ذلك استولى على توريز شجاع بن المظفر اليزدي، ولحق حسين بن أويس بأخيه الشيخ عليّ ببغداد، ثم انتزعها منه حسين بن أُويس واستضافها إلى بغداد، ثم انتزع عليُّ بن أويس بغداد من أخيه حسين، واستقرّ حسين بتوريز والشيخ عليّ ببغداد ولما رجع حسين إلى توريز استوحش منه أخوه أحمد بن أويس ولحق بأردبيل، فطرق أحمدُ توريز، فملكها، واختفى بها أخوه حسين أياماً، ثم قبض عليه أحمد وقتله، واستبد أحمد بن أويس بملك توريز وبغداد وما معها من الأعمال مثل السلطانية وتُسْتَر وغيرهما، وبقي إلى ما بعد خلع المتوكل.

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد جغطاي من بني جنكزخان.

وكان مملكة الشمال بيد قاني بي خان[٣] ابن البك خان، فغلب عليه أَرض خان، فهرب قاني بي خان بني البك خان إلى عملهم الأول. واستقرَّ أَرض خان بالسراي، وماماي بالقِرِم، وذلك في حدود ست وسبعين وسبعمائة، وكان طقطمش بن بردي بك قد لحق بتمر سلطان المغل بما وراء النهر المعروف بتمرلنك، فأقام عنده، وطمحت نفس طقطمش إلى ملك آبائه بسراي[٤] فجهز معه السلطان تمر العساكر، فسار بها إلى سراي،

---

(١) توريز هي تبريز انظر صبح الأعشى ج٤ ص٣٥٧ إذ يقول تبريز... والجاري على ألسنة العامة توريز بالواو بدل الموحدة.

(٢) في صبح الأعشى ج٧ ص ٢٥٧ حسن.

(٣) تقدم أنه كتبه باي خان وأنه في صبح الأعشى بك خان.

(٤) في الأصل: «بصراى» وكذلك ستأتي في الأصل «صراى» وسبق أنها السراي.

وانتزعها من عمال أرض، واسترجع ما تغلب عليه قاني باي وصلجي (١٤٣ أ) جركس وغير ذلك، واستولى على جميع المملكة، وبقي إلى ما بعد خلع المتوكل[١].

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجايه وقُسنطينه بيد أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، ثم استولى على بجاية وقُسنطينة أبو عبد الله محمد بن محمد بن السلطان أبي بكر، في رمضان سنة خمس وستين وسبعمائة، فأساء السيرة، فسار إليه السلطان أبو العباس من تونس فقتله، ودخل بجاية تاسع عشر شعبان سنة سبع وستين وسبعمائة، وملكها، وبقيت بيده، وتونس بيد السلطان أبي إسحاق إبراهيم بن السلطان أبي بكر، إلى أن توفي السلطان أبو إسحاق فجأة في الليل سنة [سبع و] سبعين وسبعمائة، وملك بعده تونسَ ابنُه أبو البقاء خالد، ثم رحل السلطان أبو العبّاس من بجاية إلى تونس وقَبَضَ على السلطان أبي البقاء خالد، واعتقله، وملك تونس، وانتظم في ملكه إفريقية وبجايه وقسنطينة وأعمالها، وبقي إلى ما بعد خلع المتوكل[٢].

وكانت تلمسان بيد السلطان أبي سالم بن أبي عنان المريني صاحب فاس، فاستخلف على تلمسان أبا زيّان محمد بن عمار بن السلطان أبي تاشفين، ورجع هو إلى الغرب الأقصى من سنته، فنهض أبو حمو إلى تلمسان فدخلها وملكها، وخرج منها أبو زيان، ثم ثار على أبي حَمُو السلطانُ عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن المريني صاحب الغرب الأقصى، فملك منه تلمسان سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، ودخلها في أوائل سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، ثم رجع أبو حمو إلى تلمسان واستولى عليها في سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ثم ملكها بعده السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمُو بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن، وبقي حتى مات في سنة خمس وسبعين وسبعمائة، وملك بعده أخوه أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو، ثم استنجد أبو زيان بن أبي حمو بأبي العباس المريني صاحب فاس، فاقتلع تلمسان من أخيه (١٤٣ ب) أبي الحجاج، وملكها في سنة ست وسبعين وسبع مائة، وبقي إلى ما خلع المتوكل.

وكان الغرب الأقصى بيد أبي زيَّان محمد بن الأمير[٣] عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن، إلى أن قتله وزيره في المحرم سنة ثمان وسيتين وسبع مائة، وملك بعده عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن، فبقي حتى مات في ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وسبع مائة، وملك بعده ابنه سعيد بن عبد العزيز وهو طفل، وقام بتدبير دولته وزيره أبو بكر، ثم

---

(١) في الأصل: المعتضد.

(٢) في الأصل: خلافة المتوكل.

(٣) في الأصل: «ابن أبي عبد الرحمن». والتصويب من صبح الأعشى ج٥ ص٢٠٠.

غلبه على فاس والغرب الأقصى أبو العباس أحمد بن أبي سالم، في المحرم سنة ست وسبعين وسبع مائة، ثم توفي في سنة ست وتسعين وسبع مائة.

وكانت غرناطة وما معها من الأندلس بيد إسماعيل ابن يوسف من بني الأحمر، فبقي إلى ما بعد خلع المتوكل.

الثامن من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
المستعصم بالله

وهو أبو يحيى بن الواثق [بالله] إبراهيم بن المستكفي أبي الربيع سليمان المقدم ذكره. وهذا اللقب منقول عن المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله، آخر خلفائهم بالعراق، فبايعه الأمير أيبك[1] أتابك العساكر بعد خلع أمير المؤمنين المتوكل، بمفرده من غير اجتماع أحد من أهل الحلّ والعقد غيره، في سنة تسع وسبعين وسبع مائة، فبقي، ثلاثة أشهر، ثم خلعه وأعاد المتوكل إلى الخلافة، وهي خلافته الثانية، فبقي حتى خلعه السلطان الملك الظاهر برقوق، واعتقله في برج بالقلعة، في مستهل رجب سنة خمس وثمانين وسبع مائة.

الحوادث والماجريات في خلافته وفي عود المتوكل إلى الخلافة ثانياً

لما خلع أيبك أتابك العساكر الإمام المتوكل على الله محمد وقرر المستعصم زكريا في الخلافة تغيّرت عليه المماليك، ونفرت عنه قلوب العساكر، وخامرت عليه[2] نوّاب الشام جملة، وخرجوا عن الطاعة، فأقام الحال على ذلك نحو ثلاثة أشهر، كما تقدم، ثم أعاد الأمير أيبكُ الإمامَ المتوكلَ إلى الخلافة (١٤٤ أ) على عادته، في العشرين من المحرم سنة تسع وسبعين وسبع مائة، وخرج جاليش العسكر، خمس أمراء مقدمو ألوف، منهم الأمير برقوق العثماني وبركة الجوباني ويلبغا الناصري، وثلاث طبلخانات، ومائة مملوك من المماليك السلطانية، ومائة مملوك من مماليك الأمير أيبك، وخرج السلطان والعسكر بعد ذلك، ووصلوا إلى بلبيس، فبلغهم أن بعض أمراء الجاليش قد خامر عليهم، فرجع السلطان وأيبك من بلبيس إلى القلعة، فخرج جماعة من الأمراء إلى قُبة

(١) في الأصل: «أينبك» وكذلك ما سبق وما يأتي.

(٢) في الأصل: عليهم.

النصر ورأسهم قطلقتمر الطويل، فجهز إليهم أيبك عسكراً، فكانت الكسرة على جماعة أيبك، وهرب أيبك إلى كيمان مصر، فلم يوقف له على خبر، وصارت الكلمة لقطلقتمر الطويل ورجع الأمير برقوق وبركة ومن كان قد خرج معهما في الجاليش، فقبضوا على الأمير قطلقتمر الطويل ومن معه وبعثوا بهم إلى الاسكندرية فاعتقل فيها، وصارت الكلمة ليلبغا الناصري، فحضر إليه أيبك من هربه، فقبض عليه وبعث به إلى الإسكندرية، فسجن فيها، ثم قبض على جماعة كبيرة من الأمراء وبعث بهم إلى الاسكندرية فسُجنوا بها أيضاً، واستمرت الكلمة للأمير يلبغا الناصري ثم ركب عليه الأمير برقوق والأمير بركة وأنزلاه من الإسطبل، واستقر الأمير برقوق مكانه أمير أخور، والأمير بركة أمير مجلس، وهو كالمشارك له في الأمر، ثم حضر الأمير قشتمر الدوادار نائب الشام إلى الديار المصرية، فخرج السلطان لملاقاته، واستقرَّ به أتابك العساكر، ثم قبض الأمير برقوق على الأمير قشتمر الدوادار الأتابك وجماعة من الأمراء معه، واستقر في الأتابكية مكانه، واستقر الأمير أيتمش السجايني[1] أمير أخور، مكان الأمير برقوق، وقبض على الأمير يلبغا الناصري وبعث به إلى الاسكندرية فاعتقُل بها، كل ذلك في سنة تسع وسبعين وسبع مائة، وفي أوائل هذه السنة وقع حريق عظيم بدار التفاح خارج باب زويلة، لم يسمع بمثله.

وفي سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة (١٤٤ ب) وقعت الوحشة بين الأمير بركة وبرقوق، وخرج بركة إلى قبة النصر مقاتلاً لبرقوق، فوقعت الكسرة على بركة، فقبَض عليه وبعث به إلى الاسكندرية فسُجن بها، وبقي الأمير برقوق منفرداً بتدبير المملكة، وبقي بركة في السجن حتى قتل فيه في هذه السنة، وفي هذه السنة وصل إلى الديار المصرية أنس العثماني والد الأمير برقوق أتابك العساكر، واستقرّ له إمرة تقدمة ألف، فبقيت معه حتى مات، وانتقل ابنه من الأتابكية إلى السلطنة في سنة أربع وثمانين وسبع مائة وهو على إمرته.

وفي سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة وقع بالديار المصرية وباء عظيم مات فيه خلق كثير.

وفي سنة أربع وثمانين شرع الأمير جركس الخليلي أمير أخور في عمارة جسر على رأس الخور المعروف بزقاق القناديل تحت الروضة، ليعود جريان الماء تحت ادر[2] منشيّة المهراني وزريبني بكتمر وقيسون وما في معناهما، وعمله فلم يثبت، وفي هذه السنة بلغ النيل أصبعين من إحدى وعشرين ذراعاً.

---

(١) كذا وسيأتي في صفحة ١٩١ العجايبي.

(٢) لعلها «دور» جمع دار.

ولايات الأَمصار في خلافته

وفي عود المتوكل إلى الخلافة ثانياً

وفي عود المتوكل محمد إلى الخلافة ثانياً، كانت الديار المصرية والممالك الشامية بيد الملك المنصور عليّ بن الأشرف شعبان بن حُسين، فبقي حتى توفي في الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة، وملك بعده أخوه الملك الصالح حاجّي بن شعبان، فبقي حتى خُلع في العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة، وملك بعده الملك الظاهر برقوق بن أنس العثماني، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل ثم خلعه.

وكانت مكة بيد أحمد بن عجلان، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه.

وكانت المدينة بيد جمّاز بن هبة، فعُزل وولى [نُعَيْرُ ابن منصور بن جمّاز، ثم قُتل فوثب جماز بن هبة علي إمارة المدينة واستولى عليها، فعزله السلطان وولي] ثابت بن نُعَيْر، فبقي إلى آخر سنة أربع وثمان مائة، ثم ولى جمّاز بن هبة في سنة خمس وثمان مائة، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه.

وكان اليمن بيد الملك المنصور محمد بن الأفضل عباس بن المجاهد عليّ (١٤٥ أ)، فبقي[١] إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه.

وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد السلطان أحمد بن أويس، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه.

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك مع بني جفطاي من بني جنكزخان.

وكانت مملكة الشمال بيد طقتمش بن بردي بك، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه.

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقُسنْطينة بيد السلطان أبي العباس أحمد بن [محمد بن] أبي بكر، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه.

وكانت تِلِمسان والغرب الأوسط بيد السلطان أبي حَمُو، فخرج عليه السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم صاحب الغرب الأقصى، فسار إلى تلمسان فملكها وأقرَّ بها أبا

(١) في الأصل: المجاهد بن علي فبقي حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبع مائة وملك بعده ابنه الملك المنصور فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم... وقد حذفت الزيادة المكررة التي لا محل لها هنا.

زيَّان بن [أبي] حمو، وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه.

وكان الغرب الأقصى بيد أبي العباس أحمد بن أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه.

وكانت غرناطة وما معها من بلاد الأندلس بيد إسماعيل ابن يوسف من بني[1] الأحمر، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه.

التاسع من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
الواثق بالله[2]

وهو أبو حفص عمر بن الواثق بالله أبي الحسن إبراهيم، الخامس من خلفائهم بالديار المصرية، وهذا اللقب منقول إلى أبيه من الواثق الأول كما تقدم، ثم نقل من أبيه إليه، بايع له بالخلافة الظاهر برقوق بعد خلع الإمام المتوكل، في مستهل شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبع مائة، فبقي في الخلافة حتى توفي في العشر الأول[3] من شوال سنة ثمان (١٤٥ ب) وثمانين وسبع مائة، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم زكريا المقدم ذكره إلى الخلافة ثانياً، والمتوكل على الله في الاعتقال، والناس لا يرون في كل ذلك الخليفةَ غيره، ثم أطلق المتوكل على الله من الاعتقال، وأعيد إلى الخلافة في ثاني جمادى الأُولى سنة إحدى وتسعين وسبع مائة، وبقي حتى توفي في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وثمانمائة، وكان له من الأولاد[4] الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباسي، والإمام المعتضد بالله أبو الفتح داود خليفة العصر، وسيدي يعقوب، وسيدي حمزة، ومحمد وهم أسنهم، وبنات.

الحوادث والماجريات في خلافته
وعود المستعصم ثم عود المتوكل بعده

في سنة خمس وثمانين وسبع مائة قصد جماعة من الفرنج ساحل صيْدًا وبيْروت من البلاد الشامية، فخرج إليهم طائفة من عسكر دمشق، فهزموا الفرنج وقتلوا منهم جماعة،

(١) في الأصل: بن الأحمر.
(٢) رتبه في تاريخ الخلفاء ص٢٠٣ قبل المستعصم بالله زكريا.
(٣) في تاريخ الخلفاء: تاسع عشر شوال.
(٤) كان للمتوكل على الله من الأولاد كثير يقال إنه جاء له مائة ولد ما بين مولود وسقط ومات عن عدة ذكور وإناث.... انظر تاريخ الخلفاء ص٢٠٢.

وفيها بلغ السلطان الملك الظاهر أن الأمير قرط التركماني وإبراهيم بن قطلقتمر أمير جاندار في جماعة قصدوا الركوب عليه، فقبض على قرط وابن أمير جاندار، ثم أمر بقرط فقتل، واعتقل ابن أمير جاندار مدة، ثم عفا عنه رحمة لأبيه.

وفي سنة ست وثمانين وسبع مائة حضر الأمير بيدمر الخُوارزمي نائب الشام إلى الأبواب السلطانية بهديّة جليلة فقُبلت هديته، وحضر دار العدل وأُجلس فوق النائب الكافل، وهذا لم يعهد مثله، وفيها حضر إلى الأبواب السلطانية رسلٌ بهديّة من مماليكَ وغيرِهم وأظهروا أنهم رسل طقتمش خان صاحب بلاد الشمال، فخرج لملاقاتهم النائب الكافل وجماعة من الأمراء، وأُنزلوا بالميدان تعظيماً لهم، ورُتب لهم المرتبات السَّنيَّة ثم ظهر من كتبهم أنهم رسل صاحب القِرم، فتغير عليهم السلطان ونقلهم من (١٤٦ أ) الميدان إلى دار الضيافة، ونقص من راتبهم، وبقي لهم ما يقتضيه حالهم، وفي هذه السنة توفي الشيخ أكمل الدين محمود شيخ خانقاه شيخونية، وكان من أجِلّة العلماء وأعيان أهل العصر وأجلهم رتبة عند السلطان، ونزل السلطان للصلاة عليه ومشى في جنازته، وكان له مشهد عظيم.

وفي سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة ظهر بالديار المصرية نَجْم كبير قليل النور بُذؤابة خلفه قدر رمحين فما فوقهما، وبقي ليالي ثم اختفى، وفي سنة أربع وتسعين وسبع مائة كثرت الشنعة بأمر الأمير منطاش بالبلاد الحلبية، فخرج إليه السلطان الملك الظاهر، وسار إلى حلب وقبض عليه وقتله، وجُهِّزت رأسه إلى الديار المصرية، ثم وصل السلطان إلى البلاد المصرية بعد ذلك، وفيها وصل الخبر أن تمرلنك استولى على شيراز قاعدة فارس وقتل صاحبها شاه منصور، وأنه أرسل يخادع السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد، فلم ينخدع له وفرَّ من بغداد قاصداً الديار المصرية.

وفي سنة ست وتسعين وسبعمائة في ربيع الأول وصل القان أحمد بن أويس المقدم ذكره إلى الديار المصرية فارًّا من تمرلنك، فخرج السلطان الظاهر لملاقاته بنفسه، وألبسه قَباءً مطرزاً مُغزى بقاقُم وعاد معه إلى الصُوَّة، وطلع السلطان إلى القلعة، وجهز السلطان أحمد إلى بيت جليل من بيوت الأمراء على بِرْكة الفِيلِ، فأنزل فيه وأجرى عليه الرواتب اللائقة بمثله، ثم وصلت رسل طقتمش خان المقدم ذكره بكتاب مضمونة طلب المعاضدة والمعاونة على تمرلنك، وردّ عليه الجواب بالإجابة إلى ذلك، ثم عاد السلطان أحمد بن أويس إلى دمشق، ومنها إلى جهة بغداد حين بلغه رجوع تمرلنك عنها.

وفي سنة إحدى وثمانمائة توفي الملك الظاهر برقوق وملك بعده ابنه الناصر فرج على ما سيأتي ذكره.

وفي سنة سبع وتسعين وسبعمائة زاد النيل (١٤٦ ب) في آخر يوم من أبيب أربعين

أصبعا، وفي أول مسرى اثنين وستين أصبعا، وفي ثالث مسرى خمسين أصبعا، فكانت الزيادة في أربعة أيام سبعة أذرع، ولم يُسمع بمثل ذلك فيما تقدم إلاَّ ما يحكى في آخر سنة من خلافة المنتصر الفاطمي، على ما تقدم ذكره.

وفي سنة اثنتين وثمانمائة خرج تنمُ نائبُ الشام عن الطاعة وأظهر الخلاف، ثم لما أثبت السلطانُ الملكُ الناصر فرج بن الظاهر رُشْدَه في ربيع الأول منها واستبدَّ بالتصرف دُون وليِّ أمره الأمير أيتمش العجايبي تنكَّر الأمير أيتمش لذلك، ووقع الحرب بينهما في الشهر المذكور بمصر، فانهزم الأمير أيتمش ولحق بالشام وانحاز إلى نائبه تنمَ. فخرج السلطان الناصر فرج من الديار المصرية لحربهما في شهر رجب منها وصحبته أميرُ المؤمنين المتوكل، والتقوا على القرب من غَزَّه، فانكسر تنمُ وأيتمشُ ومن معهما، وقَبضَ السلطان عليهما، ودخل هو إلى دمشق واستولى عليها، وقتل بها تنمَ وأيتمشَ وجهّز برأسيهما إلى القاهرة في رمضان منها، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية وطلع القلعة في السادس والعشرين من رمضان المذكور.

وفي سنة ثلاث وثمانمائة سار تمرلنك إلى البلاد الشامية وفتح مدينة حلب وقلعتها، فسار الناصر إليه من الديار المصرية بعساكره إلى دمشق، وقدم إليها تمرلنك، وجرى بينهما مُرَاجعات في أثنائها فرَّ جماعة من عسكر الناصر إلى الديار المصرية، فتبعهم على الأثر، فأدركهم على القرب من غزة، فقبض عليهم واستمر قاصداً الديار المصرية حتى طلع القلعة في خامس جمادى الآخرة منها، وأخذ تمرلنك في خداع أهل دمشق حتى صالحهم على مبلغ ألف ألف دينار، وفتحوا له باباً من أبوابها، وأخذوا في جمع ذلك من الناس على قدر طبقاتهم خارجاً عما قرَّر عليهم من خيل الهاربين من عسكر السلطان وسلاحهم، فلما حُمل ذلك إليه قرر عليهم بعد ذلك عشرة آلاف دينار (١٤٧ أ) فاستُخرِجت له بأعظم مشقّة، ثم فرّق حارات المدينة على أمرائه وأعيان عسكره، فعاثوا فساداً، واستخرجوا من أهلها ما قدروا عليه، بعد أن قتلوا، وسلبوا النساء والذراري، ثم أمر بتحريق البلد فأُحْرق عن آخره، حتى لم يبقَ بها رسمُ دار ولا خط يعرف، وبقي على ذلك إلى الآن إلا القليل مما جدد.

وفي سنة أربع وثمانمائة ظهر بالديار المصرية جراد انتشر في أقطارها وأكل ورق الشجر وخُوص النخيل، واستأصل المقَات وكَثُر فساده، ثم سلط الله عليه البردَ فهلك، وفيها ظهر بالديار المصرية أيضاً كوكب كبير نَيِّرٌ له ذؤابة صاعدة في السماء ترى مع ضوء القمر، وبقي إلى ثلث الليل، وبقي كذلك ليالي، ثم اختفى.

وفي سنة سبع وثمانمائة اختلف أُمراءُ الديار المصرية على سلطانهم الناصر، فلحق الأمير يشبك العثماني بدمشق في طائفة كبيرة، وسار إلى الشام فأَلَمَّ بالأمير شيخ المحمودي نائب الشام، فجمع له العساكر الشامية وسار به إلى مصر، فخرج إليهم الناصر، ولقيهم في

العباسية من بلاد الشرقية في ذي الحجة من هذه السنة، فانهزم منهم الناصر، فتبعوه حتى طلع القلعة، ثم خرج عليهم وحاربهم تحت القلعة، فانهزموا منه، وعاد الأمير شيخ إلى دمشق، واختفى يشبك بالقاهرة، ثم ظهر يشبك في سنة ثمان وثمانمائة، فأعاده الناصر إلى ما كان عليه، ثم تجددت بينهما[1] الوحشة بعد ذلك، ففرّ الناصر من القلعة واختفى بدار القاضي سعد الدين بن غراب، في الرابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وأُقيم في السلطنة مكانه أخوه عبد العزيز وهو صغير، ولقب الملك المنصور، بعهد من أمير المؤمنين المتوكل، ولم يزل الناصر مختفياً إلى ليلة السبت خامس جمادى الآخرة، وظهر واجتمع عليه كبير من العسكر، فزحف على أصحاب أخيه عبد العزيز فهزمهم واستولى على تخت ملكه، وقَبض على أخيه عبد العزيز، وجهزه (١٤٧ ب) إلى الاسكندرية، فاعتقل بها، ثم أمر به بعد ذلك فقُتل، وعظم سلطانُه، وتملّك أمره وعظُم شأنه.

ولايات الأَمصار في خلافته

وعود المستعصم، ثم عود المتوكل

كانت الديار المصرية والممالك الشامية بيد الظاهر برقوق، حتى خلع من السلطنة وبُعث به إلى الكَرَك، فاعتقل به في رجب أو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وملك بعده الملك المنصور حاجّي بن الأشرف [شعبان] وهو الذي كان قد لُقِّب في سلطنته الأولى بالصالح، وهذه سلطنته الثانية، فبقي حتى عاد الظاهر برقوق من الكَرَك، واستقرَّ في السلطنة بعد خلع المنصور حاجّي في أوائل سنة اثنتين[2] وتسعين وسبعمائة [وبقي حتى توفي في منتصف شوال المبارك سنة إحدى وثمانمائة وملك بعده ابنه الناصر فرج ثم تغير عليه بعض مماليكه وبعض أمرائه فاختفى، ثم ملك أخوه الملك المنصور عبد العزيز ثم ظهر السلطان فرج واستقر على عادته وبقي في السلطنة].

وكانت مكة بيد أحمد بن عجلان، فبقي حتى مات في رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، وولي مكانه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان، وهو صغير في كفالة عمه كُبيش بن عجلان، فبقي حتى بعث إليه الظاهرُ برقُوق فِدَاوِيًّا صُحْبَةَ الأمير جركس الخليليّ وهو يومئذ أمير الحجاج، فركب في محمل الكُسْوةِ. فلما خرج محمد[بن أحمد] ابن عجلان ليقبِّل خُفَّ المحمل على العادة وثب عليه الفِدَاوِيُّ بسِكِّين فقتله، ودخل أمير الركب المذكور إلى مكة، فولّى عنان بن مُغَامِس بن رميثة مكانه، ثم لحق عليُّ بن عجلان بالديار

---

(١) في الأصل: بينهم.

(٢) هي ساقطة في صبح الأعشى ووضع في موضع سقوطها اثنتين وتسعين. نقلاً عن المقريزي. وفي الأصل إحدى وتسعين وقد أكملت عن صبح الأعشى بعد ذلك ومما تقدم في الحوادث والماجريات.

المصرية، فولاّه الظاهر برقوقُ مكةَ في سنة تسع وثمانين وسبعمائة شريكاً لعنان، وسار مع أمير الركب إلى مكة، فهرب عنانٌ ودخل عليُّ بن عجلان مكة واستقل بإمارتها، ثم وفد عليُّ بن عجلان على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين وسبعمائة، فأفرده بالإمارة، وأنزل عنان بن مغامس عنده، فأحسن نُزُله، ثم قبض عليه واعتقله، وبقي عليُّ بن عجلان في إمارة مكة حتى قُتِل ببطن مرٌ في سنة سبع وتسعين وسبعمائة، وولّى السلطان ابنَ أخيه حسنَ بن أحمد مكانه، واستبد بأمره، فبقي بها إلى ما بعد خلافة الواثق والمستعصم بعده والمتوكل بعدهما.

وكانت المدينة بيد جماز بن هبة، ثم عزل ووَلي نُعيرُ ابنُ منصور بن جماز

وكانت اليمن (١٤٨ أ) بيد المنصور محمد بن الأفضل عباس، فمات وملك بعده أخوه الأشرف عماد الدين إسماعيل بن الأفضل عباس، ثم مات وملك بعده ابنه الملك الناصر [أحمد][١] فبقي إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه وعود المتوكل وموته.

وكانت بغداد وما معها من توريز والسُّلطانية وتُسْتَر وغيرها من مملكة إيران بيد أحمد بن أويس، فبقي حتى طرقته عساكر تمرْلَنك[٢] وهو بتوريز، فخرج عنها إلى بغداد، ثم هرب إلى مصر وأقام بها في ظلّ صاحبها الظاهر برقوق، ثم عاد إلى بلاده، ولم ينتظم له بعد ذلك أمر، وبقيت المملكة بيد تمرلنك في جملة ما بيده مما وراء النهر إلى الخليج القسطنطيني حتى مات، واستقل بمملكة بغداد وتوريز وما معهما بعض بنيه، فبقيت بيده إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه وعود المتوكل ووفاته.

وكانت مملكة الشمال بيد طقتمش بن بردى بك، فوقعت الفتنة بينه وبين تمرلنك، وجرى بينهما حروب طويلة، ووصل الخبر آخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة أن تمرلنك ظفر بطقتمش وقتله واستولى على سائر أعماله، ويقال: إن تمرلنك لم يملك هذه المملكة أصلاً، بل بقيت بيد طقتمش خان، ثم تنقلت بعده في ملوكهم، إلى أن كانت بيد فولادخان، وكتب على الملك الناصر فرج، ثم صارت بعدُ إلى غيره.

وكانت تونس وبلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة[٣] بيد السلطان أبي العباس أحمد بن

---

(١) زدتها مما سيأتي بعد ذلك قبل خلافة المعتضد بالله.

(٢) في صبح الأعشى ج٧ ص٣٠٨ تمرلنك المدعو تيمور.

(٣) في الأصل: وسرقسطة. هذا وسرقسطة من الأندلس وسيأتي ذكر الصواب في هذه الصفحة نفسها. وقد ضبط المؤلف في صبح الأعشى قسنطينة بضم فسكون ففتح فسكون فطاء. وقال إن بعض المتأخرين جعل بعد السين نوناً وحينئذ تكون بضم السين وسكون النون. انظر صبح الأعشى ج٥ ص١١٠.

محمد بن أبي بكر، فبقي حتى مات في شعبان سنة ست وثمانين وسبعمائة، وملك بعده ابنه أبو فارس عزُّوز، في رابع شعبان من السنة المذكورة، واستولى على تونس وبجاية وقسنطينة وأعمالها. (١٤٨ ب) وبقي إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه ثم عود المتوكل ووفاته.

وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد السلطان أبي حمو، ثم قبض أبو تاشفين بن السلطان أبي حمو على أبيه أبي حمو واعتقله بِوَهْرَان آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، ثم اتصل بأبي حمو أن ابنه أبا تاشفين يريد قتله فدلَّى بحبل من القصر واستغاث بأهل وهران، فاجتمعوا إليه وجددوا له البيعة، وارتحل أبو حمو من حينه إلى تلمسان فدخلها في أوائل سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وبلغ ابنَه أبا تاشفين الخبرُ فأسرع إلى تلمسان، فاعتصم أبوه أبو حمو بمنارة المسجد، ودخل أبو تاشفين القصر وطلب أباه أبا حمو، فجاء إليه، فأدركته الرِّقَّةُ عليه، فقبَّل يده، وغدا به إلى القصر فاعتقله، ثم رغب إلى ابنه أبي تاشفين في قضاء فرض الحج، فجهَّزه في سفينة إلى الإسكندرية، واستقلَّ أبو تاشفين بملك تلمسان، وسار أبو حمو في السفينة حتى بلغ بجاية، فطلع منها، وأسعفه صاحب تونس بالعساكر، وعاد إلى تلمسان وابنه أبو تاشفين مشتغل ببعض حروبه، فدخلها في رجب سنة تسعين وسبعمائة، وعاد مُلك أبي حمو إليه، ثم نهض أبو تاشفين على أبيه أبي حمو بعساكر بني مَرِين فقُتِل أبو حمو في المعركة، ووصل ابنه أبو تاشفين تلمسان وملكها سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وأقام بها دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب الأقصى وخطب له على منابره، وقرَّر على نفسه ضريبة يبعث بها إليه في كلّ سنة، وبقي أبو تاشفين على ذلك حتى مات في رمضان سنة خمس وتسعين (١٤٩ أ) وسبع مائة، فبعث السلطان أبو العباس صاحب الغرب الأقصى ابنَه أبا فارس ابن أبي العباس إلى تلمسان فملكها، فلما مات السلطان أبو العباس وملك مكانه ابنه أبو فارس المذكور الغرب الأقصى كان أبو زيَّان بن أبي حمو معتقلاً عندهم، فأطلقه وبعث به إلى تلمسان أميراً عليها نيابة عن أبي فارس، فسار أبو زيان إليها ودخلها، فبقي حتى قُتل في سنة ست وثمان مائة، وولى بعده أخوه محمد المكني بأبي زيَّان أيضاً، فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق وعود المستعصم ثم المتوكل بعده.

وكان الغرب الأقصى بيد السلطان أبي العباس [أحمد] بن أبي سالم بن أبي الحسن، فخرج من فاس لبعض حروبه، فغار عليها[1] موسى ابن عمه أبي عنان وملكها في ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبع مائة، وقبض على السلطان أبي العباس وقيده وبعث به إلى

(١) الصواب في اللغة: فأغار عليها.

الأندلس فاعتقله هناك، ثم توفي السلطان موسى بن أبي عنان، فملك بعده المستنصر[١] ابن السلطان أبي العباس، فخرج عليه الواثق محمد بن أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن فملك مدينة فاس من يده سنة سبع وثمانين وسبع مائة، ثم سار السلطان أبو العباس إلى فاس فملكها في رمضان سنة تسع وثمانين وسبع مائة. وبعث المستنصر إلى أبيه أبي العباس بالأندلس، ثم عَدَّى أبو العباس من الأندلس إلى سَبْتَة فملكها في السنة المذكورة، ثم استنزله عنها ابن الأحمر صاحب غرناطة وأضافها إلى مملكته، ثم ظهرت دعوة أبي العباس بمراكش من الغرب الأقصى واستولى جنده عليها، ثم[٢] سار إليها ابنه المستنصر فملكها، وسار أبو العباس إلى فاس فملكها في خامس رمضان من السنة المذكورة، وبعث بالواثق إلى الأندلس، ثم أمر بقتله في الطريق فقُتل بطنجة، وبقي السلطان أبو العباس بفاس حتى توفي بمدينة تازا في المحرم سنة ست وتسعين وسبع مائة، وبايعوا بعده ابنه أبا فارس. وسار أبو فارس[٣] بعد ذلك إلى فاس فأقام بها متولياً على الغرب الأقصى حتى توفي سنة تسع وتسعين وسبع مائة، وملك بعده أخوه عامر، فأقام سنتين ثم تردى عن فرسه فمات، وولي بعده أخوه أبو سعيد عثمان، فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق والمستعصم ثم المتوكل.

وكانت الأندلس بيد إسماعيل بن يوسف بن أبي الأحمر، فبقي حتى مات في أول سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة، وولي بعده ابنه أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل، فبقي حتى مات سنة أربع وتسعين وسبع مائة وولي بعده ابنه (١٤٩ ب) أبو عبد الله محمد، فبقي إلى ما بعد خلافة الواثق وعود المستعصم ثم المتوكل.

العاشر من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
المستعين بالله[٤]

وهو الإمام أبو الفضل العباس بن الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد المقدّم ذكره، ولم يلِ الخلافة من اسمه العباس غيره، وهذا اللقب منقول إليه عن المستعين بالله أبي العباس أحمد الثاني عشر[٥] من خلفائهم بالعراق. ومن صفته شابٌّ أبيض اللون معتدل

---

(١) في صبح الأعشى ج٥ ص٢٠٢: المنتصر. وكتب في الأصل هنا كلمة المستنصر.

(٢) في الأصل هنا زيادة لا معنى لها تخل بالكلام هي: «ثم سار إليها ابنه المستنصر ثم سار السلطان أبو العباس».

(٣) في الأصل: وسار أبو العباس.

(٤) في تاريخ الخلفاء ص٢٠٣ أمه أم ولد تركية اسمها خاتون.

(٥) في الأصل «الثالث عشر» وانظر الجزء الأول ٢٣٩.

القامة أقنى الأنف مستدير اللحية بصهوبة. بويع له بالخلافة بعد موت والده المتوكل في السابع والعشرين من رجب سنة ثمان وثمان مائة، وقام ببيعته السلطان الملك الناصر فرج، وبقي حتى خلعه الملك المُؤَيَّد شيخ، في النصف من ذي الحجة سنة سبع عشرة وثمان مائة، وحَجَره في القلعة.

الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة تسع وثمان مائة خالف الأميرُ جكم نائب حلب وخرج عن الطاعة، فخرج السلطان الناصر من الديار المصرية إلى الشام لمحاربته في ربيع الأول منها، ثم عاد إلى الديار المصرية في رجب منها، عن غير طائل.

وفي سنة عشر وثمان مائة زاد خوفه من الأمير شيخ نائب الشام، فخرج إليه في المحرم منها ومعه الأمير يشبك العثماني، فلما صار إلى دمشق قبض على الأمير يشبك والأمير شيخ واعتقلهما بدمشق، ففرَّا من سجنهما، وعاد السلطان إلى مصر، فأتاه الخبر وهو على العريش قافلاً في عاشر ربيع الآخر بقتل الأمير يشبك في حرب جرت بين الأميرين شيخ ويشبك وبين نورز الحافظي، وخرج الأمير شيخ من الشام واستولى نوروز عليها، واستمر السلطان في سيره قاصداً مصر، حتى طلع القلعة في الرابع والعشرين منه، ثم غلب الأمير شيخ على دمشق فخرج (١٥٠ أ) واستولى عليها. ثم خرج السلطان في المحرم سنة اثنتي عشرة وثمان مائة حتى وصل إلى دمشق، فخرج منها الأمير شيخ ودخلها السلطان، ثم خرج منها يريد الأمير شيخ فتبعه، فاعتصم منه بقلعة صَرْخَد، فحاصره بها مدة شهر، ثم حصل الصلح بينهما على: أن السلطان ينصرف عنه إلى دمشق. ثم رجع بعد ذلك إلى الديار المصرية، وعاد الأمير شيخ إلى دمشق، ثم خرج السلطان في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وثمان مائة، وسار إلى دمشق، فخرج منها الأمير شيخ، ودخلها السلطان، ثم خرج منها في طلب الأمير شيخ فتبعه إلى، الأبلتين، ثم كف عن طلبه ولحق الأمير شيخ بقَيْصرية من بلاد الروم، وعاد الناصر إلى دمشق عن غير طائل، فقدم الأمير شيخ من قَيْصرية إلى صرْخد، وسار منها إلى الديار المصرية، واستولى على القلعة، فأدركته عساكر الناصر، ففارقها وعاد إلى الشام والسلطان بدمشق، فخرج منها يريد الأمير شيخ، وقد تحصن بقلعة الكرك، فحصره السلطان بها مدة، ثم رحل عنه بغير طائل على صورة صلح من غير حقيقة، وعاد إلى الديار المصرية، وطلع القلعة في المحرم سنة أربع عشرة وثمان مائة، ثم توجه في شوال منها إلى الإسكندرية، وعاد في ذي القعدة منها، ثم سار في ثاني عشر ذي الحجة منها إلى الشام يريد الأمير شيخ، ففر منه، فتبعه إلى بعلبكّ: فرجع الأمير

شيخ إلى اللَّجُّون وهو في أثره، فالتقيا هناك في يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة وثمان مائة، فانهزم السلطان إلى دمشق، فحصره بها حتى قبض عليه يوم السبت عاشر صفر منها، وقتل بقلعة دمشق في يوم السبت سابع عشر صفر المذكور، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

واجتمع رأي العسكر على استبداد أمير المؤمنين المستعين بالأمر دون سلطان معه، وأن يكون الأميرُ شيخ أتابك (١٥٠ ب) العساكر بالديار المصرية والأميرُ نوروز الحافظيُّ نائبَ دمشق، وأقام نوروز بدمشق، وعاد المستعين بالله هو والأمير شيخ حتى وصلا إلى الديار المصرية في ربيع الأول من السنة المذكورة، وطلع أمير المؤمنين المستعين إلى القلعة، ونزل بالقصور السلطانية، ونزل الأمير شيخ أتابك العساكر بالإسطبلات السلطانية، وكان الأمير الأتابك هو المتصرف في أمور المملكة بتفويض من أمير المؤمنين المستعين بما وراء سرير خلافته، وأمير المؤمنين المستعين هو الذي يكتب على التقاليد والتواقيع والمراسيم والمكاتبات والمناشير وغير ذلك، والخُطبةُ والسِّكَّةُ على الدنانير والدراهم باسمه على انفراده، ثم عنَّ للأمير شيخ أن يتقلّد السلطنة، فكُتِب له بها عهد عن أمير المؤمنين المستعين وخُطِب له بعد الخليفة على عادة الملوك مع الخلفاء، ونقش اسمه على الدنانير والدراهم بمفرده، وحجَر الإمامَ المستعينَ بالقلعة، وبلغ نوروزَ الحافظيَّ ذلك فأظهر المخالفة، واستبدَّ بالشام وخرج عن الطاعة.

ولايات الأمصار في خلافته

كانت الديار المصرية بيد الناصر فرج بن الظاهر برقوق، فبقي حتى قُبض عليه وقُتل في صفر سنة خمس عشرة وثمان مائة بدمشق على ما تقدم، واستبَدَّ أمير المؤمنين المستعين بالله بأمور السلطنة بعده باتفاق من أهل الدولة على ما سبق، وبقي حتى قُلِّد السلطنة الملك المؤيد شيخ، وعُهِد إليه بها، وكُتب له بذلك عهد عن الإمام المستعين على عادة الملوك ذلك، وهو السلطان القائم بمملكة الديار المصرية والممالك الشامية إلى آخر وقت.

وكانت مكة بيد حسن بن [أحمد بن] عجلان، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعين.

وكانت المدينة بيد جماز بن هبة، فبقي إلى أثناء سنة إحدة عشرة وثمان مائة، ثم تولي مكانه عجلان بن نُعير في سنة اثنتي عشرة وثمان مائة (١٥١ أ) فأقام سنة واحدة، ثم ولي سليمان بن هبة بن جماز في سنة ثلاث عشرة وثمان مائة، فبقي إلى آخر سنة أربع عشرة وثمان مائة، ثم تولى مكانه غُرير بن هيازع[١] بن هبة.

(١) كذا في الأصل ولعله: غرير بن جماز. أو عزيز بن جماز. على أنه قد جاء بعد ذلك أيضاً غرير بن هيازع من صفحة ٢١٨.

وكانت اليمن بيد الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل من بني رسول.

وبغداد وتوريز وقُنْغُزْلان[1] وهي السلطانية وما مع ذلك من مملكة إيران بيد بني تمرلنك إلى أن غلب عليها قرا يوسف التركماني، وملكها في سنة عشر وثمان مائة، أو سنة إحدى عشرة، وأقرَّ ابنَه أحمد شاه ببغداد وبلادهما، وابنه بريدااخ بتوريز والسلطانية وأعمالهما، وهو أجلهما رتبة.

وكانت خراسان وما وراء النهر وفارس وكرْمان وما مع ذلك مع شاه رو بن تمرلنك، ونوابُه من إخوته وغيرهم مُنبثّون في جوانب الممالك.

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقسطينة من الغرب الأوسط بيد أبي فارس عزوز.

وتلمسان والغرب الأوسط بيد أبي زيان الثاني بن أبي حمو نحو عشرة سنين، ثم مات وولي أخوه السعيد، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعين.

والغرب الأقصى بيد أبي سعيد عثمان بن أبي العباس، فبقي إلى ما بعد خلافة المستعين.

وكان الأندلس بيد محمد بن إسماعيل[2] فبقي حتى توفي في سنة اثنتي عشرة وثمان مائة، وملك بعده أخوه أبو الحجاج[3] يوسف بن أبي عبد الله بن أبي الحجاج، وهو على ذلك إلى الآن.

الحادي عشر من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
المعتضد بالله[4]

وهو الإمام الأعظم أبو الفتوح داود بن الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد المقدم ذكره.

من صفته: شاب رقيق السِّمن، حسن اللون، معتدل القامة، أشهل العينين، أقنى الأنف، مستدير اللحية، عظيم الهيئة، عالي الهمة، وافر العقل، جزيل الرأي كثير

---

(١) في الأصل كانت غير واضحة ثم صححت قنغرلان. هذا وقنغرلان هو اسم السلطانية انظر صبح الأعشى ج٤ ص٣٥٨ وقد كتبت بعد ذلك صواباً في خلافة المعتضد.

(٢) كذا في الأصل وسبق أنه محمد بن يوسف بن إسماعيل.

(٣) لعله ابنه أبو الحجاج يوسف بن محمد بن يوسف وانظر صفحة٢٢٠.

(٤) أمه أم ولد تركية اسمها كزل. انظر تاريخ الخلفاء ص٢٠٥.

الصمت، وقور المجلس، وافر الجود، سمح الكف، متين الدين، جميل السيرة، ولم يل الخلافة من اسمه داود غيره.

بويع له بالخلافة بعد خلع أخيه المستعين في رابع المحرم سنة سبع عشرة وثمان مائة، وكتب له بذلك مبايعة بخط بعض كتاب الحكم، مصدره بخطبة من إنشاء علاّمة الدهر الشيخ تقي الدين بن حجّة، كما سيأتي ذكره في الكلام على البيعات.

وهو ـ أعز الله به جانب الدين ـ قائم بأمر الخلافة، ناهض بأعبائها إلى الآن.

(١٥١ ب) الحوادث والماجريات في أيامه

إلى حين تأليف هذا الكتاب في مبادىء سنة تسع عشرة وثمان مائة.

لما بويع بالخلافة بعد خلع أخيه الإمام المستعين بالله، والأمير نوروز الحافظي يومئذ نائب السلطنة بالشام المحروس، امتنع الأمير نوروز عن الانضمام إلى حَوزة السلطان الملك المؤيد، وأظهر الخلاف، فسار إليه السلطان الملك المُؤيَّد بالعساكر في يوم الاثنين رابع المحرم سنة سبع عشرة وثمان مائة، وصحبته الإمام الأعظم المعتضد بالله المقدم ذكره، حتى وافى دمشق، فاعتصم نوروز بقلعة دمشق بعد أن شَحَنها بالأزواد والعدَد والسِّلاح وسائر آلات الحصار، فحاصرها السلطان أياماً وضايقها، ونصب عليها المجانيق ومدافع النِّفْط العظام، وأحضر مدفعاً عظيماً من صَفَد فنصبه عليها، وتواتر عليها الرَّمْيُ حتى هُدِم بعض أبراجها، وأحسَّ نوروز بالظهور عليه والظفر به، ففتح القلعة ونزل منها وسلَّم نفسه للسلطان في العشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، فلم يلبث بعد ذلك أن قُتل وجُهِّزت رأسه إلى الديار المصرية مع غيرها من رؤوس أتباعه، فعلقت بباب القلعة ثم بباب زُوَيْلَة، ثم حضر السلطان بعد ذلك إلى الديار المصرية في عامِه، وصحبته أميرُ المؤمنين المعتضد، وطلع القلعة في يوم الخميس غرة شهر رمضان من السنة المذكورة على أتم حال وأكمل نُصْرة، وكان النيل في سنة خمس عشرة وثمان مائة قد وَفَى في مِسْرَى من شهور القبط، ونزل السلطان من القلعة فكسره بنفسه. ونظم علاَّمة الدهر الشيخ تقي الدين بن حجة في ذلك:

أيـا مَـلِـكـاً بـالله أَضــحَــى مُــؤَيَّــداً ... ومُـنـتـصِـبـا فـي مُـلْـكِه نَـصْـبَ تَـمْـيِـيـزِ
كَسَرْت بِمِسْرَى نِيلَ مِصْرٍ وَتَنْقَضي ... وَحـقِّـك بـعـد الـكَـسْـرِ أيَّـامُ نَـيْـرُوزِ

فكان كسر نوروز بعد ذلك في هذه السنة[١] فسبحان منطق الألسنة.

(١) يلاحظ أنه ذكر قبل ذلك أن هزيمة نوروز كانت سنة ٨١٧ وذكر أن النيل وفي سنة ٨١٥.

ولما فُتحت القلعة وقُبض على نوروز[1] وأصحابه، كتب الشيخ (١٥٢ أ) تقي الدين المشار إليه، عن السلطان الملك المؤيد، وهو صحبة الركاب الشريف مُهنّئًا بالفتح والظفر به وأصحابه والقبض عليهم، كِتاباً من الشام إلى الديار المصرية بفتح الشام في السابع والعشرين من صفر من هذه السنة منه:

وسَكِر نُوروز لكثرة المخامرة وعَرْبَد فأذقناه الحَدّ، إلى أن صار للرُّمح والسيفِ في جُهَّال جموعه جَزْرٌ ومَدّ.

ومنه:

وتبطَّن بعد ذلك بالقلعة التي هي به غير محروسة وقال إنه مُعتصم في بُرْج قد شَيَّدَه، فتَلاَ له لسانُ الحال ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: الآية ٧٨] .

وكتب كتاباً آخر عن السلطان مُهَنّئاً بوقوع نوروز[2] في القبضة الشريفة.

منه:

وفَسدَتْ أغذِيتهم بالقلعة فعجزوا عن المعالجة بالبارد والحامي، وثَقلُوا بعد ذلك على قَلْبِهَا فاستفْرَغَتْهُمْ من أفواه المرامي.

وكتب كتاباً آخر مهنئاً بحلول الرّكاب الشريف بالقلعة المحروسة، منه في الإشارَة إلى استنزال نوروز من قلعة دمشق:

وأهبط الله من ترفَّع بِطارِمَتِها وَتَمَرَّد إلى الهاوِيَة، وأصلاه نار الجحيم ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة الآيتان: ١٠، ١١] ولا يخفي ظهورُ الأهِلّة مِنْ مَواطِىءِ خيلنا وقد بَهرت بالأفق الرُّومِيِّ لَمَعَاتُها، وبُدُور أخفافِ المَطِيِّ وقد خَيَّلتْ في غُرَرِ ذلك السَّراب هالاتُها، وشُهُبُ الأسِنَّة وقد زادتْ سُمُوًّا كأنها تحاول ثأرا عند بعض النجوم، والبلادُ الرُّومِيَّة وقد تَلاَ لسانُ الحال عند الغلبة ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ [الروم، الآيتان: ١، ٢].

قلت: وقد كتبتُ إلى المَقَرِّ الناصِريِّ بن البَارزي كاتبِ السر الشريف كتاباً بالتهنئة بهذا الفتح وهو بالشام، منه:

وهذا وسلطانه المؤيد قَدْ تَدَكْدَكَ بسطوته الأطوادُ الراسخة، ونكَّسَ بقَهْرِه نواصيَ القلاع الشامخة، ودان له بالطاعة حتى النباتُ والجماد، (١٥٢ ب) وتتابعت فَتكاتُه القامعة فاستأصلت شَأفة أهل الفساد، ودعا قَلْعَةَ دمشقَ، فلَبَّتْه ساجدة، وصاح بها مِدْفَعُه الغضبان فَخَرَّت قائلة ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: الآية ٢٩] واستَنْزَلَ الناكث من منيع حِصنه

---

(١) كتبت في الأصل: نيروز.

(٢) كتب في الأصل «نيروز» هذا وسبق أن كتب عدة مرات نوروز.

فقلَّده الأغلال بعد أن كان يُقَلِّدُه المِنَن، وحاق بالماكرِ مَكْرُه السَّيِّىء فلما لبث بعد الاستنزال أن[1].

وفي سنة ثمان عشرة وثمان مائة خرج الأمير قاني بيه نائب الشام عن الطاعة بعد نوروز الحافظيّ، والتف عليه لفيف من العساكر الشامية، حتى صار لهم رُمٌّ عظيم وشوكة مُنْكِية، واستولوا على دمشق وحلب، فلما انتهى الخبر إلى السلطان بادر الخروج إليهم في عدد قليل من العسكر وخِفّ من الأثقال، وسار من الديار المصرية وصحبته أمير المؤمنين المعتضد بالله، أدام الله أيامه، في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ثمان عشرة وثمان مائة، بعد أن قدّم إليهم طليعةَ عسكره، وقبضوا على بعض أمرائها، فعاجلهم السلطان بنفسه في قليل ممن سبق معه من عسكره، فأوقع بهم على سَرْمين من أعمال حلب في رابع عشر شعبان من السنة المذكورة، وكسرهم كسرة شنيعة لم يسمع بمثلها، وقبض على جماعة من أعيانهم، ودخل بهم مدينة حلب، وفرّ قاني بيه في طائفة قليلة، فلم يلبث أن قُبض عليه وأُتي به إلى السلطان، فقُتل هو وغيره ممن وقع في القبضة الشريفة، ووجّه برؤوسهم إلى الديار المصرية فحُملت على الرماح، ومُرَّ بها داخل القاهرة وأُتي بها إلى باب القلعة فعلّقت، ثم إلى باب زويلة فعلّقت عليه، وأقام السلطان ومن معه بحلب، ثم بحَماة إلى أواخر الشتاء، ثم أتى الديار المصرية وصحبته أمير المؤمنين المعتضد بالله في سادس عشر ذي الحجة من هذه السنة، على أكمل النصر وأتم التأييد.

قلت: وكتبتُ إلى المقرِّ الناصريِّ كاتبِ السرِّ الشريف المقدم ذكره كتاباً بالتهنئة بهذا الفتح، منه:

ويُنهي ورود خبرِ الفتْحِ الذي جَلَّ موقِعُه ففاتتْ عجائِبُه الحَصْر، وآذنَتْ بالظفر مُقدّماتُ نتائجه فكنَّى خليفته أبَا الفتح وسلطانه أبا النَّصر.

ومنه:

وقبض (١٥٣ أ) على الناكثين، فانبسطت لقبْضهم النفوس وأريقت دماءُ المارقين، فأُدِيرَتْ على سِباع البَرِّ من طِلاَ دمائهم الكُؤوس.

ومنه:

وامتطى خبرُه السَّارُ صهوةَ الشهباء من جَلَّبَ استبطاءً لسَيْرِ الرَّواحل، وسَرى سرورُه وَصَبَّح الديار المصرية وإن كان غيرُه يَسْري فَيُصْبح دونها بِمَرَاحِل.

ومنه:

وحُمِلَتْ رؤوس رؤوسهم على الرماح فكانت لها عمائم، وخِيف على باب زُويلَة المجاورةِ المدرسَةَ العَيْنُ فَعُلِّق عليه منها تمائم.

---

(١) أي فما لبث بعد الاستنزال أن قتل.

وفي هذه السنة توقف النيل في أوائل زيادته ثم زاد بعد ذلك فأفعَم، وانتهى في زيادته إلى تمام عشرين ذراعاً، وغمر الروابي وملأ الوهاد، وزرع الناس فأكثروا حتى أتَوْا على ما علاه النيل مما يصلح للزراعة، ونبتَ الزرعُ أحسن نبات، واطمأنّت بذلك قلوبهم، وطابت به نفوسهم، وجرى الحال على ذلك إلى أواخر رمضان، وكان الزرع في السنة الخالية بالوجه البحري وأراضي الجيزِيّة وما والاها قليلَ المُتَحَصَّل، وذهب أكثرُ ما عند الناس من الحبوب بعد الاقتِياتِ في زراعة هذه السنة، فَنَفِذت الغلالُ من القاهرة ومصر وبلاد الجيزِيّة والوجه البحري،وَعَزَّ القوتُ وعُدِم القمحُ والشعير والفول والخبز من القاهرة ومصر، حتى لم يَكَدْ يُوجد، وبلغ سعر القمح في الظاهر نحو ستمائة درهم كل إردَبّ، وربما زاد على ذلك، إلاَّ أنه قد خَفَّ الناسَ في ذلك لُطفٌ لم يُوجد في غيره من الغُلُوَّات من حيثُ طُمأنينةُ قلوب الناس بما يترَجَّوْنه من نَجابة الزرع وقُرْب إدراكه، واكتفى ضُعفاء الناس بالباقِلاَءِ الأخضر وطعام الأرز وغيره من سائر ما يُطبخ والله يرزق من يشاء بغير حساب.

ولايات الأمصار في خلافته

الديار المصرية والبلاد الشامية يومئذ بيد السلطان الملك المُؤيّد شيخ، بعهد من أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي الفتح داود خليفة العصر (١٥٣ ب).

ومكة بيد حسن بن [أحمد بن] عجلان، وقد كُتب لرميثة بن محمد بن عجلان بها عن السلطان، وهو وحسن ابن [أحمد بن] عجلان يتنازعانها.

والمدينة بيد عُرير بن هيازع[1].

واليمن بيد الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل من بني رسول.

وبغداد وتوريز وقُنْغُرْلان وهي السلطانية بيد قرا يوسف التركماني، وقد أقرَّ ببغداد وأعمالها ابنه أحمد شاه، وتوريز والسلطانية وأعمالها ابنه بربداخ، وهما باقيان إلى الآن.

وخراسان وما وراء النهر وسائر بلاد الشرق إلى ما يتاخم بلاد توريز وما معها بيد شاه روخان بن تمرلنك، ويقال: إنه على جانب عظيم من العدل ومحبة أهل العلم وتقريبهم.

وتونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة من الغرب الأوسط بيد أبي فارس عزوز بن السلطان أبي العباس من الموحدين، وهو على جانب من الشجاعة وقوة البأس، وقد

---

(١) انظر الهامش في صفحة ٢٠٧.

دوّخ البلاد وأقامها على سنن، وكَفَّ الأيدي المتعدية، مع عدل وتواضع وحسن سيرة.

وتلمسان وما معها من الغرب الأوسط بيد السعيد بن أبي حمو من بني عبد الواد، فبقي حتى غلبه عليها أخوه عبد الواحد بن أبي حمو وأخرجه من البلد بغدر من أهلها، وفرّ السعيد إلى إفريقية، فمات بِبُونة المعروفة ببلد العُنَّاب، وبقي عبد الواحد فيها إلى الآن.

والغرب الأقصى بيد أبي سعيد عثمان بن أبي العباس المَرِيني.

وغرناطة وما معها من الأندلس بيد أبي الحجاج يوسف ابن أبي عبد الله بن أبي الحجاج من بني الأحمر[١].

الفصل الثاني

من الباب الثاني في مَقَرَّات الخلفاء[٢]، وما انطوت عليه الخلافة من الممالك، وبيان ترتيب الخلافة وشعارها، وكيفيةِ تقليدِ الخليفةِ الملوكَ السلطنةَ.

أما مقرات الخلفاء فهي أربع مقرات:

المقرة الأولى: المدينة

المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. كانت مقرة الخلفاء الراشدين، إلى حين انتقل عليٌّ رضي الله عنه(١٥٤ أ) إلى العراق، وذلك أن مبدأ النبوة كان بمكة، ثم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وأقام بها حتى توفي في الثاني[٣] عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، ثم كان بعده بها في الخلافة أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ في أول أمره، ثم انتقل بعد ذلك إلى العراق لقتال معاوية، ثم خلفه ابنه الحسن فيه إلى حين تسليم الأمر لمعاوية.

المقرة الثانية: الشام

وهي دار خلفاء بني أُمية إلى حين انقراضهم، وذلك أن معاوية كان أميراً على الشام قبل الخلافة، ثم استقلَّ بالأمر حين سلم إليه الحسنُ، فبقي في الشام هو ومن بعده إلى حين انقراض خلافتهم بقتل مروان بن محمد، على ما تقدم ذكره، وكانت دارُ إقامتهم دمشقَ، وإن نزلوا غيرها فلغير إقامة.

---

(١) انظر صفحة ٢٠٩.

(٢) انظر صبح الأعشى ج٣ ص٢٦٧.

(٣) في صبح الأعشى ج٣ ص٢٦٧ «في الثالث عشر» وبالهامش «أن وفاته يوم الاثنين الثاني عشر ولكن في العقد الثلاث عشرة خلت من ربيع الأول ولعل المؤلف اعتمده» أما في هذا الكتاب فمشى المؤلف على المشهور.

المقرة الثالثة: العراق

وهو دار خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب حين انتقاله إليه ثم ابنه الحسن إلى حين تسليمه لمعاوية، ثم كانت دارَ خلافة بني العباس إلى حين انقراض الخلافة من العراق بقتل المستعصم، وكان بَدْءُ السفاح أولِ خلفائهم بالكوفة على ما تقدم، ثم بنى بعد ذلك بالأنبار مدينةً وسماها الهاشميّة، ونزلها، فلما ولى أخوه أبو جعفر المنصور الخلافةَ بعده بَنَى بغداد وسكنها، وصارت منزلاً لخلفاء بني العباس بعدِه إلى حين قتل المستعصم.

المقرة الرابعة: الديار المصرية

وهي الآن دار الخلافة، وقد تقدم أن أول من بويع بها منهم(١٥٤ ب) المستنصر بالله أبو العباس أحمد بن الظاهر بالله بن الناصر لدين الله، وقد تقدم أنه توجه إلى بغداد لقتال التتر فقُتل. ثم الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن الحسين جدّ الخلفاء بها الآن. وقد تقدم أن الأشرف خليل بن المنصور قلاوون أسكنه الكبش بخطّ الجامع الطولوني، ثم صارت مساكنهم على القرب من المشهد النَّفيسي، وهم على ذلك إلى الآن.

وأما[1] ما انطوت عليه الخلافة من الممالك فإن حُكمها امتدّ فيما بين المشارق والمغارب، فكان يجري تحت إمْرتهم من أقاليم الشرق عراقُ العرب وعراق العجم وأذربيجان وأرمينية والأحواز وكَرْمان وسِجستان وفارس والسِّند والهِند وما وراء النهر وخُراسان وَطَبَرِستان وغير ذلك، ومن بلاد المغرب إفريقية والغرب الأوسط والغرب الأقصى، والأندلس في بعض الأزمنة. ومن أوساط الأقاليم الديارُ المصرية والبلاد الشامية. والثغور والعواصم وبلاد الروم وما في معنى ذلك. وكانت الأموال تحمل من جميع الأقاليم. ـ بعد تَكْفية الجيوش ـ إلى بيت المال على بُعد المسافة حتى يقال: إن الرشيد كان يستلقي على قفاه وينظر إلى السحابة فيقول: اذهبي إلى حيثُ شئتِ يأتِنِي خراجُك، وبقي الأمر على ذلك حتى تغلب المتغلّبون على الممالك واستولوا عليها، وصار الأمر على ما صار إليه الآن، والله غالبٌ على أمره.

وأما ترتيب الخلافة[2]

فاعلم أنها لم تزل لابتداء الأمر جارية على ما ألف من سيرة النبي ﷺ من خُشونة العيش والقُرب من الناس واطِّراح الخُيَلاء وأحوالِ الملوك، مع ما فتح الله تعالى على خلفاء السلف من الأقليم وجُبِيَ إليهم من الأموال التي لم يفز عظماء الملوك بجزء من

---

(١) صبح الأعشى ج٣ ص٢٦٩.

(٢) صبح الأعشى ج٣ ص٢٧٠.

(١٥٥ أ) أجزائها، وناهيك أنهم فتحوا عدَّة من الممالك العظيمة التي كانت يُضرب بها المثل في عظيم قدرها وارتفاع شأن ملوكها من ممالك الشرق والغرب، حتى ذُكِر عظماءُ الملوك عند بعض السَّلَف فقال: إنما المَلِك الذي يأكل الشعير ويعُسُّ[(١)] على رجليه بالليل ماشياً، وقد فُتحت له مشارق الأرض ومغاربها. يريد عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه. وقد حُكِي أنه رضي الله عنه حين أتى لفتح بيت المقدس كان يُخرج من مِخلاةِ فرسِه كِسَراً يابسة من خُبز فيمسحها من التراب ويأكلها، فلما رآه عظماء المقدس قالوا: لا طاقة لنا بهذا.

ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن سلَّم الحسن رضي الله عنه الأمرَ لمعاوية بن أبي سفيان، فأخذ في إظهار أُبَّهة الخلافة وترتيب أمورها على نظام الملك، لما في ذلك من إرهاب العدو وإخافته، وتزايد الأمر في ذلك حتى اضمحلَّ في جانب الخلافةِ سائرُ الممالك العظيمة وانطوى في ضِمنها ممالك المشارق والمغارب، وفاقت بأُبَّهتها الأكاسرة والقياصرة، وهابتها ملوك الأرض قاطبة لا سيما في أوائل الدولة العباسية، حتى يُحكى أن صاحب عَمُّورية من ملوك الروم كانت عنده شريفة من ولد فاطمة رضي الله عنها مأسورة في خلافة المعتصم[(٢)] بن الرشيد فعذَّبها فصاحت الشريفة: وامُعتصماه، فقال لها الملك: لا يأتي لخلاصك إلاَّ على أبلق. فبلغ ذلك المعتصمَ فنادى في عسكره بركوب الخيل البُلْق، وخرج وفي مقدمة عسكره أربعةُ آلاف أبلق، وأتى عَمُّوريَّة وفتحها وخلّص الشريفة وقال: اشهدي لي عند جَدِّك أني أتيت لخلاصك، وفي مقدّمة عسكري أربعةُ آلاف أبلق. على ما تقدم ذكره، إلى غير ذلك من القوة والعظمة التي كانت الخلافة فيها.

وقد حكى ابن الأثير في تاريخه أنه لما وصلتْ رسلُ ملكِ الروم إلى بغداد في سنة خمس وثلاثمائة في خلافة المقتدر، رُتِّب من العسكر في دار(١٥٥ب) الخلافة مائة وستون ألفاً ما بين راكب وراجل، ووقف بين يدي الخليفة سبعُ مائة حاجب وسبعة آلاف خادمٍ خصِيّ: أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود، ووقف الغِلْمان الحُجرِيَّة[(٣)] ـ الذين هم بمثابة مماليك الطباق الآن ـ بأتم الزينة والمناطق المُحَلاَّة، وزُيِّنت دار الخلافة بأنواع الأسلحة وغرائب الزينة، وغُشِّيت جدرانها بالسُّتور، وفُرشت أرضها بالبُسط، وكان عِدَّة البُسط اثنين وعشرين ألف بساط، وعدة الستور المعلقة ثمانية ألف سِتر، منها اثنا عشر ألف ستر من الدِّيباج المُذهب، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب، الفضة بأغصانها وأوراقها، وطيورُ الذهب والفضة على أغصانها، وأغصانُهَا تتمايل بحركات مصنوعة[(٤)] والطيور تصفر

---

(١) في الأصل: «ويمشي» والتصويب من صبح الأعشى.

(٢) في الأصل «المستعصم» وهو سهو.

(٣) في صبح الأعشى كتبت: «المجرية» هذا والحجرية نسبة إلى الحجرة لاختصاصهم بالقصور.

(٤) في الأصل: متماسك.

بحركات مُرَتَّبة، وأُلْقيت المراكب والدبادب في دِجْلة بأحسن زينة، وكان هناك مائة سَبُع مع مائةِ سَبّاع، إلى غير ذلك من الأحوال الملوكية التي يطول شرحها، قال القُضاعيُّ في «عيون المعارف»: ولم يزل أمر الخلافة متماسكاً[1] إلى حين استُخلف المُتّقي [لله]، فتفرَّد بتدبير الأمور غيرُ الخلفاء، وتغلّبت على ما نأى من البلدان، الأقوى فالأقوى، واقتُصِر على الدعاء لهم على المنابر. وفي أيام المستكفي بالله استولى بنو بُويه على بغداد، واستبدَّ معزّ الدولة بن بويه بالأمر ونُقِش اسمُه على الدنانير والدراهم مع اسم الخليفة، وشاركه في الدعاء على المنابر، وتصرَّف في أمور الدولة تصرُّفَ الملوك، ورَتَّب للخليفة كلَّ يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته لا يصل إليه غيرها، بعد أن كان يُحْمَل إلى خزانته أموال المشرق والمغرب. هذا مع تقهقر الخلافة وانحطاط رتبتها يومئذ.

وقد كان للخلافة رسوم جارية على ترتيب خاص، بعضُها مُضاهٍ لترتيب المُلك الآن، وبعضها خارج عنه، منها:

الجلوس على سرير الخلافة في المواكب، وقد ذَكَر (١٥٦ أ) بعض المؤرخين أن أصل ذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما بَدُنَ استأذن أصحابه في اتخاذ شيء يجلس عليه للاستراحة، فأذنوا له في ذلك، ثم زادوا في ارتفاعه حتى صار السرير الذي يجلس عليه الخليفة في المواكب نحو سبعة أذرع فيما حكاه ابن الأثير وغيره عند ذكر سلطنة طغريل[2] السلجوقي، على ما سيأتي ذكره، وكان يُفْرَش للخليفة على سرير الخلافة فرش مرتفعة وهي التي يعبر عنها بسُدَّة الخلافة.

ومنها: الصلاة في المقصورة في الجامع في الجمعة والعيدين، وقد ذكر المؤرخون أن أول من اتخذ المقصورة في الجامع معاوية، على ما تقدم ذكره في ترجمته، ثم اختُلف فقيل: إنه اتخذها حين طعنه الخارجيُّ، وقيل: بل رأى كلباً على منبره فاتخذها، وقيل: أول من اتخذها مروان بن الحكم، اتخذها من حجارة منقوشة فيها كُوىً مُفَتَّحة، وقيل: أول من اتخذها عثمان بن عفان رضي الله عنه خوفاً أن يصيبه ما أصاب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، على ما سيأتي ذكره في الباب السابع إن شاء الله تعالى.

ومنها: ضرب الدنانير والدراهم ونقش اسم الخليفة، وقد ذَكَر الماوردي في «الأحكام السلطانية»[3] أن أول من ضرب الدنانير والدراهم في الإسلام عبد الملك بن مروان في سنة خمس وسبعين من الهجرة، وقيل سنة أربع وسبعين وكتب عليها ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) في صبح الأعشى: موضوعة.

(٢) يلاحظ أنه يكتب في الأصل «طغريل» وأن غيره يكتبه طغرل وقد تقدم التنبيه على ذلك.

(٣) انظر الأحكام السلطانية ص١٣٩.

أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ②﴾ [الإخلاص الآيتان: ١، ٢] وكان المتولي لأمر ذلك الحجاج بن يوسف، ثم ضربها في سائر النواحي في سنة ست وسبعين، ثم وَلِيَ ابنُ هُبَيرة العراقَ في أيام يزيد بن عبد الملك فجوَّد السِّكَّة، ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده، وقيل: إن أول من ضَرّبها مُصعب بن الزُّبير بأمر أخيه عبد الله بن الزبير حين استولى على الحجاز، وكتب على أحد الوجهين: بركة، وعلى الوجه الآخر اسم الله تعالى، ثم غيَّرها الحجاج وكتب عليها: باسم الله، وكتب بعده: الحجَّاج، ثم أُضيفت أسماء الملوك في السِّكَّة إلى أسماء الخلفاء، ثم أبطلت أسماء الخلفاء (١٥٦ ب) من السكة جُملة، واقتُصر على أسماء الملوك.

ومنها: نقْش اسم الخليفة على ما يُنسج من الكُسْوة والطُّرُز من الحرير والذهب بلون مخالف لِلَوْن الأصل، ليمتاز بذلك ما يختص بالخلافة عن غيره، وهو رسم قديم للخلفاء في الدولتين الأموية والعباسية، ثم أبدل ذلك باسم الملوك عند تغلُّبهم على الخلفاء، كما تقدم في أمر الدنانير والدراهم.

ومنها: خطابة الخليفة بنفسه في مكان إقامته، وخطابة الأمراء بالأعمال التي يلونها عن الخلفاء، وهو رسم قديم من صدر الإسلام إلى حينِ تَقهقُرِ أمرِ الخلافة، فأهمل الخلفاءُ الخطابَة بأنفسهم، وفوَّضوها إلى الخطباء، وقد ذكر ابنُ الأثير وغيره أن آخر خليفة خطب بنفسه على منبرٍ بكثرة الراضي، وإن كان غيره ربما خطب، نادراً.

ومنها: الدعاء للخليفة على المنابر، وهو رسم قديم للخلفاء، ورأيت في بعض التواريخ أن أول خليفة دُعِي له على منبر أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، دعا له عبد الله بن عباس بالبصرة فقال: اللهم انْصُر[(١)] عَلِيَّ الحقِّ، فتبعه الناس بعد ذلك في الدعاء للخلفاء على المنابر في سائر الأعمال، قال أبو هلال العسكري في كتابة «الأوائل»: وأول من دُعِيَ له بِنَعْتِه على المنبر محمدٌ الأمين بن الرشيد فقيل: وأَصْلِح عَبْدَكَ وخليفتك عبدَ الله محمداً الأمين. ولم يُذكر قبله نعتُ أحد من الخلفاء على منبر. وكانت الخلفاء يُفْرَدُون بالدعاء على المنابر، إلى أن غلبت الملوك على الخلفاء فأشرِكوا معهم في الدعاء. قال محمد بن عبد الله الهمَذاني في «ذيله على تاريخ الطبري»: وأول من أُشرك في الدعاء له على المنابر مع الخليفة عضد الدولة ابن بُويه في سنة ثمان وستين وثلاثمائة، في خلافة الطائع، ثم جرى الملوك بعده على ذلك.

ومنها: انفراد الخلفاء بالكتابة على ولايات الوظائف، كالوزارة والقضاء وسائر الولايات، ولم يزل (١٥٧ أ) ذلك مختصاً بهم إلى حين انقراض الخلافة من بغداد إلا ما

(١) الكلمة في الأصل تحتمل أيضاً: انصره عَلَى الحق.

يُوَلِّيهِ الوزراءُ ومن في معناهم من صغار الولايات المُفَوَّضَةِ إليهم. ثم نُقِلَ ذلك إلى الملوك بحكم تفويض الخلفاء الأمورَ العامَّةَ إليهم، خلا ولاياتِ الملوك فإنها مما يختص به الخلفاء إلى الآن.

وأما شعار الخلافة[1]

فمنها: الخاتم، والأصل فيه ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قيل له: إن الملوك لا يقرأون كتاباً غير مختوم، فاتَّخذ خاتماً من وَرِقٍ، وجعل نقشه: محمدٌ رسول الله، فلما توفي رسول الله ﷺ لبسه أبو بكر بعده، ثم لبسه عمر بعد أبي بكر، ثم لبسه عثمان بعد عمر، فوقع منه في بئر أرِيسَ، فلم يقدر عليه.

واتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيمَ، لخاتَم، كلٌ خليفة نقشٌ يخصُّه، وبقي الأمر على ذلك إلى حين انقراض الخلافة من بغداد، إلاَّ أن المؤرخين أهملوا ذكر خواتم الخلافة في أواخر الدولة العباسية بالعراق.

ومنها: البُرْدَة، وهي بُرْدة النبي ﷺ التي كانت الخليفة يلبسها في المواكب، قال أبو السعادات بن الأثير في «نهايته في غريب الحديث»[2]: وهي شَمْلَة مُخَطَّطة، وقيل كساء أسود.

وقد اختُلف في وصولها إلى الخلفاء، فحكى الماوردي في «الأحكام السلطانية»[3] عن أبان بن تغلب أن النبي ﷺ كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها منه معاوية وتناقلها الخلفاء بعده.

والذي ذكره غيره أن كعباً لم يسمح ببيعها لمعاوية وقال: لم أكن أُوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من ورثته بعشرة آلاف درهم.

وحكى الماوردي[4] أيضاً عن ضمرة[5] بن ربيعة (١٥٧ ب) أن هذه البردة كان النبي ﷺ أعطاها أهل أَيْلَةَ[6] أماناً لهم، فأخذها منهم عبد الله[7] ابن خالد بن أبي أوفى، وهو

---

(١) صبح الأعشى ج٣ ص٢٧٣.

(٢) النهاية ج١ ص٧٢ مادة «برد»: والبردة الشملة المخططة وقيل كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الأعراب وجمعها برد».

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٥٣.

(٤) الأحكام السلطانية ص ١٥٣.

(٥) في الأصل: حمزة بن ربيعة والتصويب من الأحكام السلطانية. وفي الصحابة ضمرة بن ربيعة، وليس فيهم حمزة بن ربيعة، راجع الإصابة والذي في صبح الأعشى أيضاً حمزة ابن ربيعة.

(٦) في الأصل وصبح الأعشى: «أعطاها لأهل أيلة» والتصويب من الأحكام السلطانية واللغة فإن أعطى تتعدى للمفعولين.

(٧) هو كذلك في صبح الأعشى أيضاً أما في الأحكام السلطانية فهو: سعيد بن خالد بن أبي أوفى.

عاملٌ عليهم من قِبَل مروان ابن محمد آخرِ خلفاء بني أمية، وبعث بها إلى مروان، فكانت في خزانته حتى أُخذت بعد قتله، وقيل: اشتراها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس بثلاثمائة دينار.

ومنها: القضيب، وهو عمود كان النبي ﷺ يأخذه بيده، قال الماوردي[1]: وهو من تركة النبي ﷺ التي هي صدقة.

قلت: وكان القضيب والبُرْدة جميعاً عند خلفاء بني العباس ببغداد، إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السلجوقي من المسترشد بالله، ثم أعيدا إلى المقتفي عند ولايته في سنة خمس وثلاثين وخمس مائة، والذي يظهر أنهما بقيا عندهم إلى انقراض الخلافة من بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة، وهي مدة قريبة لا تمنع تفاوتهما إليها[2].

ومنها: ثياب الخلافة، وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في «تاريخه» عند الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحدِ ملوك بني أيوب باليمن أنه كان به هَوَج، فادَّعى أنه من بني أمية، ولبس ثياب الخلافة، ثم قال: وكان طولُ الكُمِّ يومئذ عشرين شبراً [فيحتمل أنه أراد زمن بني أمية وأنه أراد زمن بني أيوب].

ومنها: لون الأعلام والخِلَع ونحوها.

فبنو أُمية يقال: إنه كان شعارهم الخُضْرة، وقد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد صاحب اليمن المقدَّم ذكره أنه حين ادَّعى الخلافة وأنه من بني أُمية لبس الخُضرة، وهذا صريح في أن شعارهم الخضرة.

وأما بنو العباس فشعارهم السَّوَاد، وقد اختُلف في اختيارهم السواد، فذكر القاضي الماوردي في كتابه «الحاوي [الكبير]» في الفقه أن السبب في ذلك أن النبي ﷺ عقد لعمِّه العباس رضي الله عنه (١٥٨ أ) في يوم حنين ويوم الفتح راية سوداء.

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» أن السبب في ذلك أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العباسيّ المعروف بالإمام أوَّلِ القائمين من بني العباس لطلب الخلافة قال لشيعته: لا يهولَنَّكم قتلي، فإذا تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم أبا العباس يعني السَّفَّاحَ. فلما قتله مروان لبس شيعتُه عليه السَّوَادَ، فلزمهم ذلك وصار شعاراً لهم.

---

(١) الأحكام السلطانية ص١٥٣: وهو من تركة رسول الله ﷺ...

(٢) في صبح الأعشى ج٢ ص٢٧٤ وهي مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتها.

ومن غريب ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ابن سعيد في كتابه «المغرب» أنَّ الظافر، أحد خلفاء الفاطميين بالديار المصرية، لما قتله وزيره عبَّاس، بعث نساءُ الخليفة شعورَهن طَيَّ الكتب، إلى الصالح طلائع بن رزيك، وهو يومئذ والي مُنْيَة بني خَصِيب[1] من صعيد مصر، فحضر إليهم الصالح وقد رفع تلك الشُّعورَ على الرماح، وأقام الراياتِ السودَ إظهاراً للحزن على الظافر، ودخل القاهرة وهو على ذلك، فكان ذلك من الفأل العجيب، وهو أن مصر انتقلت إلى بني العباس وأُقيمت فيها الأعلام السود بعد خمس عشرة سنة.

وأما كيفية[2] تولية الملوك الخلفاءَ وترتيبهم في ذلك فله حالتان:

الحالة الأولى: ما كان الأمر عليه في الزمن الأول، والخلافةُ بالعراق، والحالُ فيه مختلف، فتارة تكون السلطنةُ التي تُوَلِّيَ بحضرة الخلافة، كسلطنة بني بويه وآل سلجوق وغيرهم، وتارة تكون ببعض الأطراف، كالديار المصرية حينئذ ونحوِها، فإن كانت السلطنة بحضرة الخلافة فقد جرت عادتهم في ذلك أن يجلس الخليفة بمجلسه العام على كرسيٍّ عالٍ، ويحضر السلطان الذي تولي فيجلس على كرسيٍّ لطيف (١٥٨ ب) أمام كرسيّ الخليفة، ويحضر أعيان المملكة ورؤساؤها، ويخاطِب الخليفةُ السلطانَ بالولاية على لسان الوزير، ثم يُخْلع على السلطان خِلعةُ الخلافةِ، ويُحمل على مراكب من إصطبلات الخليفة، ويذهب السلطان إلى داره، فيرسل السلطان التقادِمَ السنيَّة.

كما حكى ابن الأثير وغيره أن السلطان طُغْرلبك[3] ابن ميكائيل السَّلجوقي لما تقلد السلطنة عن القائم بأمر الله في سنة تسع وأربعين وأربعمائة، جلس له الخليفة على كرسيٍّ ارتفاعه عن الأرض نحو سبعة أذرع، وعليه البُرْدة، وأقبل طغرلبك في جماعته، وأعيان بغداد حاضرون، فقبلَّ طغرلبك الأرض وَيدَ الخليفة، ثم جلس على كرسيٍّ نُصِب له، ثم قال رئيسُ الرؤساء وزيرُ الخليفة، للسلطان عن لسان الخليفة: إن أمير المؤمنين قد ولاَّك جميع ما ولاَّه الله تعالى من بلاده، وردَّ إليك أمر عباده، فاتَّق الله فيما ولاَّك، واعرف نعمته عليك، ثم خُلِع على طغرلبك سبعُ جُبَّاتٍ سُود بِزِيق واحد، وعمامةٌ سوداء، وطُوِّق بطَوْقٍ من ذهب، وسُوِّر بسوارين من ذهب، وأُعطى سيفاً بغلاف من ذهب، ولقَّبه الخليفة وقُرِيء عهدُه عليه، فقبَّل الأرض ويدَ الخليف ثانياً وانصرف، وقد جُهِّز له فرس من إصطبلات الخليفة بمركب من ذهب مُقَنْدَس، فركب وانصرف إلى داره، فبعث إلى الخليفة

---

(١) في هامش صبح الأعشى تعليق نصه: معجم البلدان [منية أبي الخصيب].
(٢) صبح الأعشى ج٣ ص٢٧٥.
(٣) هنا كتبت صواباً كما هو في صبح الأعشى ولم تكتب «طغريل».

خمسين ألف دينار، وخمسين ملوكاً من التُّرك بخيولهم وسلاحهم، مع ثياب وغيرها.

فهذا كان شأنهم في تولية السلطنة بحضرة الخلافة.

وإن كان الذي يُولّيه الخليفةُ السلطنةَ من ملوك الأطراف جُهِّز له التشريفُ من بغداد صحبةَ رسول من جهة الخليفة، وهو جُبَّةُ أطلس أسود بطراز مُذْهَب، وطَوْقٌ من ذهب يجعل في عنقه، وسِوارَانِ من ذهب يُجعلان في يديه، وسيفٌ قِرَابُه مُلَبَّسٌ بالذهب، وفرَسٌ بمَرْكب من ذهب، وعَلَمٌ(١٥٩ أ) أسودُ مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة، يُنشر على رأسه، وصحبة ذلك تقليدُه بالسلطنة، وربَّما جُهِّز مع خِلعة السلطان خِلَع أخرى لولده أو وزيره أو أحد أقاربه، بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ، كما كان يُبعث مثل ذلك إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالديار المصرية، ثم إلى أخيه العادل فمَنْ بعده مِن ملوك بني أيوب، إلى أن كان آخر من وصل إليه ذلك منهم من بغداد الملك الناصر يوسف بن السلطان [العزيز بن السلطان] صلاح الدين عن المستعصم بالله في سنة خمس وخمسين وستمائة.

وكان من عادتهم في ذلك أنه إذا وصل التشريف والتقليد إلى سلطان تلك الناحية أن يَلْبسَ السلطانُ الخِلعة والعمامةَ، ويتقلَّد السيفَ، وَيركب الفرس، ويَسير في موكبه حتى يصل إلى مقرِّ مُلكه.

الحالة الثانية: ما الأمرُ مستقرّ عليه بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية، والأمر فيه على نحو ما سبق في الحالة الأُولى فيما إذا كان السلطانُ الذي يُوَلَّي بحضرة الخلافة، لأن الخلعة تكون جبة واحدة بزيق، لا سبع جبات بزيق واحد، وقد كان فيما تقدم يلبس السلطان طوق الذهب دون السوارين[١]، ثم تُرِكَ الطوق والسواران جميعاً، وبقي ما عدا ذلك من أصناف التشريف.

وأوّل تقليد قُلِّدَه سلطانٌ من خلفاء بني العباس بالديار المصرية تقليدُ المِلك الظاهر بيبرس البندقداري صاحب الديار المصرية عن الإمام المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن الظاهر بالله بن الناصر لدين الله أول خلفائهم بالديار المصرية، في شعبان من شهور سنة ثمان وخمسين وستمائة، وذلك أنه بعد أن بايع السلطانُ الملكُ الظاهرُ المستنصرَ بالله المقدَّمَ ذكره بالمجلس العام، قلَّده السلطنةَ وكُتِبَ له بذلك عهدٌ من إنشاء صاحبِ ديوان

---

(١) في الأصل «طوق الذهب مع السوارين» ووضع الهامش بالخط نفسه: «دون السوارين» ووضع علامة صح. فيحتمل أن يكون الكلام «طوق الذهب مع السوارين [ثم طوق] دون السوارين ثم ترك الطوق والسواران» لكن تقليد الظاهر بيبرس خلا من السوارين.

إنشاء السلطان الصاحبِ فخر الدين إبراهيمَ بنِ لقمان (١٥٩ ب) وكتبَ السلطانُ الكتبَ إلى النُّوَّاب والملوك بالأقطار بأن يُخطب له على المنابر مع السلطان ويُبدأ به في الذكر، ويُنقش اسمه معه في السِّكَّة على الدنانير والدراهم، فلما كان يوم الجمعة بعد ذلك خطب الخليفةُ بنفسه بجامع القلعة، ثم لما كان يوم الاثنين بعد ذلك ركب السلطان إلى خَيمةٍ ضُربت له بالبستان الكبير بظاهر القاهرة المحروسة من الجهة البحرية، ونزل بها هو والخليفة، ولبس منه خلعة الخلافة وهي عمامة بنفسجيّ وجُبَّة سوداء وطوق ذهب في عنقه، وسيف بداويّ تقلده، وجلس السلطان مجلساً عاماً بحضرة الخليفة والوزير والقضاة والأمراء والعلماء، ونُصب لكاتب سرّه الصاحبِ فخر الدين ابن لقمان مِنْبَرٌ، فصعد عليه وقرأ تقليد السلطان، ثم ركب السلطانُ بالخلعة والطَّوق ودخل من باب النصر من المدينة وهي مزينة له، وحَمَل وزيره الصاحب بهاء الدين ابن حنَّا التقليدَ على رأسه، ومشى به في الموكب بين يدي السلطان، والأمراءُ مشاةٌ حوله وأمامه.

ورأيت في بعض التواريخ أن الإمام الحاكم بأمر الله أبا العباس[1] أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان حين عَهِد بالسلطنة إلى الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعته الحاكمَ المذكورَ عند موت أبيه في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، طلع الأمراءُ والقضاةُ إلى القلعة، واجتمعوا بدار العدل، وجلس الخليفةُ على الدرجة الثالثة من التخت، وعليه خلعةٌ خضراءُ وعلى رأسه طرحةٌ سوداء مرقومة بالبياض، وخرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السِّرِّ على العادة، فقام له الخليفة والقضاة والأمراء وجاء السلطان فجلس على الدرجة الأُولى من التخت دون الخليفة، ثم قام الخليفة فقرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: الآية ٩٠] إلى آخر الآية، وأوصى السلطانَ بالرفق بالرعية وإقامة الحق. (١٦٠ أ) وإظهارِ شعائر الإسلام ونُصرةِ الدين ثم قال. فَوَّضْتُ إليك جميعَ أمر المسلمين، وقلّدتُك ما تقلَّدتُه من أُمور الدين، ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠] إلى آخر الآية، ثم أُتِي الخليفةُ بخلعةٍ سوداءَ وعمامةٍ سوداءَ مرقومةِ الطَّرَف بالبياض، فألبسها السلطانَ، وقلَّده سيفه، ثم أُتِيَ بالعهد المكتوب عن الخليفة، فكَتَبَ عليه ما صورته: فوَّضْتُ إليه ذلك، وكَتبَ أحمدُ بن عَمِّ محمدٍ ﷺ، وكتب القضاةُ الأربعةُ شهادَتهم بالتَّوْلية. ثم أُتى بالسِّماط على العادة.

وأخبرني من حضر تقليدَ الإمام المتوكِّل على الله أبي عبد الله محمدٍ السلطانَ الملكَ الناصر فرجَ بن الظاهر برقوق بعد وفاة والده الظاهرِ أنَّ الخليفة حضر هو وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني والقضاةُ الأربعة وأهلُ العلم وأمراءُ الدولة إلى مقعدٍ بالإسطبلات

(١) في الأصل أبي العباس.

السلطانية، وجلس الخليفة في صدر المكان على مقعدٍ مفروشٍ له، ثم أتى السلطانُ وهو يومئذ حَدَث السنّ، فجلس بين يديه، فسأله شيخ الإسلام عن بلوغه الحُلُمَ فأجاب بأن نَعَم، فخطبَ الخليفةُ خطبةً، ثم خاطب السلطانَ بتفويض الأمر إليه، على نحو ما تقدم ذكره، ثم أُتِي الخليفةُ بخلعةٍ سوداء وعمامةٍ سوداء مرقومةِ الطرفِ بالبياض فألبسهما للسلطان، ولبس الخليفةُ أيضاً خلعةً سوداء بعمامةٍ سوداء مرقومة، ثم جلس الخليفة في مكانه الذي كان جالساً فيه على المقعد، ونُصِب للسلطان كرسيٌّ إلى جانب المقعد الذي عليه الخليفة فجلس عليه، وجلس الأمراء والقضاة حوله على قدر منازلهم.

قلت: والذي استقرّ عليه الحالُ في جائزة تقليدِ السلطنةِ مما يُرْسِل به السلطانُ إلى الخليفة ألف دينار، مع قماش سِكَنْدَرِيّ ضمن بُقْجة، بحسب الحال. (١٦٠ ب).

الفصل الثالث

من الباب الثاني في ذكر المشاهير من ادّعى الخلافة في بعض الأقاليم، وبطلان شبهة دعاويهم.

أما المشاهير ممن ادّعى الخلافة في بعض الأقاليم، فاعلم أنه قد قام على خلفاء بني العباس في أول أمرهم قائمون من العَلَوِيِّين في بلادٍ وأزمان مختلفة، فمنهم من قُبِض عليه ولم يتمّ له أمر، كمحمد بن عليّ، الخارجِ على أبي جعفر المنصور، ومنهم من فرَّ إلى البلاد البعيدة ودعا إلى نفسه مكان له دولةً، كإدريس الأكبر بن حسن المُثَلَّث ابن حسن المثنّى بن الحسن السِّبْطِ حين فرّ إلى الغرب الأقصى، فكان له ولعقبه به دولة، ثم انقرضت، إلا أنه لم يَدَّعِ أحدٌ منهم الخلافة، وطالت دولته.

إلاَّ ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: بنو أُمية بالأَندلس

وذلك أن بني العباس عند استيلائهم على الأمر، وانتقال الخلافة إليهم، تتبعوا بني أُمية بالقتل، فهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وسار حتى دخل الأندلس فعُرِف بالدَّاخل لذلك ودعا إلى نفسه بالخلافة هناك، واستولى على ما كان بيد المسلمين من الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة من الهجرة، وقصده بنو أُميّة من المشرق والتجئُوا إليه، وتوفي في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين مائة، وملك بعده ابنه هِشام، واستخلف بعده ابنه الحَكَم [ابنه عبد الرحمن وملك بعده ابنه محمد] وملك بعده ابنه المنذر، وملك بعده أخوه عبدالله وملك بعده ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله وتلقّب بالناصر، وخوطب بأمير المؤمنين بعد أن مضى من خلافته تسع وعشرون سنة، وهو أول من تلقب (١٦١ أ) منهم بألقاب الخلافة ودُعي بأمير المؤمنين، وكانوا قبل ذلك

يخاطبون بالإمارة خاصة، وولي الأمر بعده ابنه الحكم، وتلقب بالمستنصر، وعهد إلى ابنه هشام ولقبه المُؤَيَّد، فغلبه على الأمر محمد بن هشام بن عبد الجَبَّار بن عبد الرحمن الناصر المُقَدَّم [ذكره] وتلقّب بالمهدي[1] [ثم غلبه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره، ثم غلبه محمد بن هشام المهدي المذكور] ثم عاد هشام بن الحكم المقدّم ذكره، ثم عاد سليمان بن الحكم المُقَدَّم ذكره ولُقِّب بالمستعين، ثم غلبه المهديُّ محمد بن هشام المقدَّم ذكره، ثم غلبه المستعين على قُرْطُبة ثم قُتِل المهديُّ محمد بن هشام المذكور وعاد [هشام] إلى خلافته [هذا كله والمستعين محاصر لقرطبة إلى أن افتتحها عنوة وقتلوا] المُؤَيَّدَ[2] هشاماً ثم غلب عليٌّ وقاسم ولدا حَمّود من الأدارسة على قرطبة، وقتلوا المستعين وأزالوا مُلْك بني أمية من الأندلس، ثم غلب على الأندلس المُرْتَضى بالله عبدُ الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، ثم ولي بعده المستظهر بالله عبدُ الرحمن بن هشام ابن عبد الجبار، ثم غلب عليه المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله[3] بن عبد الرحمن الناصر، ثم رجع الأمر إلى الأدارسة، ثم بُويع للمعتد بالله هشام بن محمد أخي المرتضى، وتوفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وانقطعت دولتهم من الأندلس.

وقد مضى القول على ذلك مفصلاً في خلال تراجم الخلفاء.

الطائفة الثانية: العبيديون

وهم أبناء عبيد الله المهدي[4]، ويقال لهم العلوِيُّون، نسبة إلى أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والفاطِميُّون، نسبة إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وبالمصرِيين، نسبة إلى مصر لاستقرارهم بها آخراً، وكان مبدأ أمرهم أن المكتفي بالله طَلَب عُبيد الله المذكور وهو يومئذ بِسَلَمْيَه لأمر بلغه عنه، ففرّ من الشام إلى العراق، ثم لحق بمصر (١٦١ ب) في جماعة من خاصته، ولحق بإفريقية من بلاد المغرب في زي التجار، ووصل إلى المغرب الأقصى، ودخل سِجِلْمَاسة ببلاد المغرب، فورد على عاملها كتابٌ بالقبض عليه، فقُبِض عليه هو وابنه أبو القاسم نزار، وكان أبو عبد الله الشيعي من شيعته قد أقام له الدعوة بتلك البلاد قبل دخولها، فسار من إفريقية في جماعة من البربر ودخل سِجِلْماسة، وأخرج عُبيدَ الله المهديَّ [وابنه] من الحبس وبايعه وارتحل به إلى إفريقية، فنزلوا رُقَّادة من

(١) في الأصل تكرار ونقص، ففيه. بن عبد الناصر المقدم ثم غلبه عليه محمد بن هشام وتلقب بالمهدي فحذفنا المكرر وأثبت الزيادة من صبح الأعشى ج٥ ص٢٤٥.

(٢) في الأصل «وعاد إلى خلافته وقتل المؤيد هشاماً» والتصويب والزيادة من صبح الأعشى.

(٣) في الأصل: «عبد الله» والتصويب من صبح الأعشى.

(٤) في هامش الأصل بخط مختلف بما يأتي: قال صاحب كتاب «المشرق في تاريخ المشرق». وصحح ابن الطوير نسبهم وقال المهدي من أولاد الثلاثة الذين اختفوا.

بلاد إفريقية في أوائل سنة سبع وتسعين ومائتين، فبويع بها المهديُّ البيعةَ العامّة واستقام أمره، وولّيَ ابنه أبا القاسم عهدَه وبني مدينة المَهْدِيَّة بإفريقية، وجعلها دار ملكه، واستولى على فاس من الغرب الأقصى، ودخل ملوكُها من الأدارسة تحت طاعته، وبقي حتى مات، وولى بعده ابنه أبو القاسم نزار المقدّم ذكره، ثم ولى بعده ابنه المنصور بالله إسماعيل، فلم يَتَسَمَّ بالخليفة ولا غَيَّر السِّكَّة ولا الخُطبة والبُنُودَ، ثم ولى بعد موته ابنه المعز لدين الله أبو تَميم مَعَدٌّ، فبعث قائده جوهراً إلى الديار المصرية فملكها وبنى القاهرة في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ثم استناب بإفريقية وسار إلى مصر، فملكها واستوطنها[1]، وولى بعده ابنه العزيز[2] بالله أبو المنصور، وولى بعد وفاته ابنه الحاكم بأمر الله أبو [عليّ] المنصور، ثم تولى بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن عليّ، وولى بعد وفاته [ابنه] المستنصر بالله أبو تميم مَعَدّ، وولى بعد وفاته ابنه المستعلى بالله، وولى بعد وفاته الآمر بأحكام الله أبو عليٍّ المنصور، وولى بعد وفاته ابن عمه الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير[3] أبي القاسم محمد، وولى بعد وفاته ابنه الظافر بأمر الله إسماعيل، ثم ولى بعده ابنه الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى. وولى بعد وفاته العاضد لدين الله أبو محمد[4] عبد الله (١٦٢ أ) ابن يوسف وتوفي يوم عاشوراء سنة أربع وستين وخمسمائة، بعد أن قطع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الخطبة له، وخطب للخلفاء العباسيين ببغداد.

الطائفة الثالثة: الحَفْصِيُّون

من بقايا الموحدين بإفريقية وكان مبدأ أمرهم أن بلاد المغرب كان قد ظهر فيها القول بالظَّاهر حتى حملهم ذلك على القول بالتجسيم وما في معناه من لوازم الوقوف مع الظاهر، وكان محمد بن تُومَرت من بعض بطون المَصامدة من البربر أهل بيته أهل دين وعبادة، وقد

---

(١) في هامش الأصل في الصفحة السابقة بخط مختلف نص محله يكون بمناسبة المعز وهو: وولي بعده ابنه المعز لدين الله وكان فاضلاً لم يحدث بالديار المصرية أمراً قبيحاً. وكان يقول: السخاء يأتي للقلب، ودخل إلى مصر سنة إحدى وستين وثلاثمائة وبنيت القاهرة في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وزينت مصر عند دخول المعز لدين الله فلم يدخل إلى مصر ونزل القاهرة وقرأ القراء بين يديه ونثر على الناس أربعين ألف دينار وكنى معز لدين الله بأبي تميم واسمه معد. عاش من العمر خمساً وأربعين سنة. وقال المؤرخون المعز بن القائم بن منصور بن المهدي من أولاد إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب.

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي: وعاش العزيز بالله إحدى وأربعين سنة وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وستة أشهر، وكان يصل الناس بالجوائز ويتصدق في يوم ركوبه بالمال الكثير ووصل عطاؤه إلى العراق.

(٣) في صبح الأعشى: بن الآمر أبي القاسم. انظر الجزء الثالث ص٤٣١.

(٤) في الأصل: ابنه العاضد لدين الله أبي محمد. وليس الفائز أباه هامش صحفة ٤٦.

شب في طلب العلم ورحل إلى المشرق قاصداً الحج، ودخل العراق ولقي أكابر علمائه وفحول النُّظّار به، وأخذ مذهب أبي الحسن الأشعري في القول بتأويل المتشابه عن علماء الأشاعرة، ولقي الإمام أبا حامد الغزاليَّ وصحبه، ثم عاد إلى بلاد المغرب وطعن على أهله في الوقوف مع الظاهر، وَحَمَلَهم على القول بالتأويل، والأخذِ بقول الأشاعرة في جميع العقائد، إلاَّ أنه كان يقول بقول الإمامية من الشِّيعة في عصمة الإمام، وانتهى إلى بجاية فأقام بها مدة يُدَرِّس العلم، واجتمع عليه بها عبد المؤمن أحد أصحابه، ثم سار إلى بلاد المصامدة من[1] البربر فنشر بها العلم وأظهر بها مذهب الأشاعرة.

وكان الكُهَّان والمنجِّمون يُحَدِّثون بظهور ملك بالمغرب من البربر، فشاع في الناس أنه ذلك الملك، واختار من أصحابه عشرة فجعلهم خاصته، وهم عبد المؤمن بن علي وأبو حفص عمر بن عليّ، وغيرهما، ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد، جُنوحاً إلى تكفير أهل الظاهر القائلين بالتجسيم، فبايعوه، وكان قبل ذلك يُلَقب بالإمام، فتلقَّب بعد المبايعة بالمهديّ، ولقَّب عبد المؤمن بن عليّ (١٦٢ ب) بالخليفة إشارة إلى أنه خليفته، ولقب أبا حفص عمر بن عليّ بالشيخ، وسمى أتباعه المُوَحِّدين، تعريضاً بتكفير المُجَسِّمة، ولم يزل حتى توفي، فاستقر في خلافته عبد المؤمن ابن علي المقدم ذكره، واستولى على الأندلس والغرب الأقصى والغرب الأوسط في سنة سبع وأربعين وخمسمائة، ثم استولى على إفريقية في سنة خمس وخمسين[2] وخمسمائة، وولى إفريقية ابنه أبا موسى عمران، ولما توفي عبد المؤمن استقر بعده ابنه المنصور يعقوب بن عبد المؤمن، فولّى على إفريقية أبا سعيد بن الشيخ أبي حفص المقدّم ذكره، ثم استولى على إفريقية بعد ذلك الناصر بن المنصور يعقوب بن عبد المؤمن، وولى عليها الشيخ أبا محمد [عبد الواحد] بن الشيخ أبي حفص، وولى بعد وفاته[3] ابنُه أبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ [أبي] محمد، ثم عُزل عنها وُلّيَ مكانه أبو العُلاَ إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن، ومات بتونس فولى بعده أبو زيد بن أبي العُلاَ، ثم ولى بعده أبو محمد عبد الله بن أبي زيد بن أبي العُلاَ، ثم ولى بعده أبو محمد عبد الله بن أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص، ثم غلبه عليها أبو زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد، ثم بويع بعد وفاته ابنه أبو عبد الله محمد وتلقَّب المستنصر بالله، وهو أول من تلقَّب منهم بألقاب الخلافة، وانتهى أمره إلى أن بويع له بمكّة، وبُعِث بالبَيْعة إليه، وتبعه أعقابه في التلقيب بألقاب الخلافة، ثم بويع بعد وفاته ابنه يحيى، وتلقب بالواثق، ثم انخلع عن الأمر لعمه أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى، ثم ولى بعده ابنه فارس

(١) في صبح الأعشى ج٥ ص١٣٦ وارتحل معه إلى المغرب وصار إلى بلاد هرغة من البربر.

(٢) في صبح الأعشى ج٥ ص١٢٦ واستكمل فتحها سنة ست وخمسين.

(٣) في الأصل: وولي بعد ذلك وفاته ابنه.

عبد العزيز، ثم غلبه عليها أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، ثم بويع بعد وفاته أبو عصيدة بن الواثق بن المستنصر المقدّم ذكره، ثم بويع بعد وفاته أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، ثم غلبه عليها أبو البقاء خالد[1] وتلقب الناصر لدين الله، ثم غلبه عليها أبو يحيى زكريا بن أحمد ابن محمد اللحياني بن عبد الواحد (١٦٣ أ) ابن الشيخ أبي حفص، ثم بويع بعده محمد المعروف بأبي حربة[2] ابن أبي يحيى زكريا بن أحمد، ثم غلبه عليها أبو بكر المقدّم ذكره، ثم بويع بعد وفاته ابنه أبو حفص عمر بن أبي بكر، ثم غلبه عليها السلطان أبو الحسن المَرِيني صاحب الغرب الأقصى واستخلف عليها ابنه أبا الفضل، فغلبه عليها الفضل بن أبي[3] بكر المقدم ذكره. وولى بعد وفاته أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر، وولى بعد وفاته ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر، وولى بعد وفاته ابنه أبو البقا خالد، ثم غلبه عليها أبو العباس أحمد بن [محمد بن] أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى ابن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص، ثم ولى بعد وفاته ابنه أبو فارسٍ عَزّوز؛ وهو القائم بها إلى زماننا في سنة ثمان عشرة وثمان مائة، على ما مرّ ذكر تواريخ ذلك وتفاصيل أحواله في الكلام على ولايات الأمصار في تراجم الخلفاء.

وأما بطلان شبهة دعوى الطوائف الثلاث الخلافة

فالقول العام في ذلك ما تقدم من أن جمهور العلماء رضي الله عنهم على أنه لا يصح نصب خليفتين، وإن تباعد إقليماهما، احتجاجاً بعموم قوله ﷺ: **«إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»** على ما تقدم ذكره في الفصل الثالث من الباب الأول. والخلفاء المقدّم ذكرهم من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ثم من خلفاء بني أمية، ثم من خلفاء بني العباس بالعراق، ثم من خلفائهم بالديار المصرية إلى آخر وقت جارون على نسق واحد، يليها منهم الواحد بعد الواحد، إما بالعهد من الذي قبله، وإما بيعة من أهل الحلّ والعقد، فمن خرج عنهم أو شَقَّ عصاهم فهو باغٍ لا تَسوغُ مبايعته ولا تحل متابعته. ويزيد العُبَيدِيُّون والحَفصيون على ذلك في بطلان شبهةِ دعواهم بالطعن في النسب الذي هو أحد شروط الإمامة، على ما تقدم ذكره، فالعُبَيْدِيون(١٦٣ ب) يقولون إن جدّهم عبيد الله المهدي هو ابن محمد الحبيب بن جعفر المُصَدَّق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن

---

(١) في الأصل: «ثم غلبه عليها ابنه أبو البقاء خالد». هذا وأبو البقاء خالد هو ابن أبي زكريا يحيى بن السلطان أبي إسحاق. انظر صبح الأعشى ج٥ ص١٢٩ وما تقدم في الأصول في الولايات صفحة ١٤١.

(٢) في صبح الأعشى ج٥ ص١٣٠ «بأبي ضربة». هذا وقد سبق أيضاً أن ذكر في الأصل أبو حربة.

(٣) في الأصل: «فغلبه عليها وأبو الفضل بن أبي بكر» والتصويب من صبح الأعشى ج٥ ص ١٣١.

جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السِّبط بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ويقال: هو عبيد الله بن محمد بن ميمون بن محمد بن إسماعيل، والباقي على ما تقدم، ويقولون: إن أباه محمداً الحبيب حين أدركته الوفاة عَهِد إلى ابنه عبيد الله وقال له: أنت المهديّ وتُهاجر بعدي هجرةً بعيدة، وتلقي مِحنة شديدة.

واعترض هذا النسبَ عليهم معترضون ونفوهم عنه، وبالغوا في أمرهم، حتى نسبوهم إلى دَيْصان الذي تُنسب إليه طائفة الديصانية، نسبة إلى ديصان صاحب كتاب «الميزان في نصرة الزندقة» واعتنوا بشأن ذاك حتى كُتب به محضر ببغداد في سنة اثنتين وأربعمائة بأمر القادر بالله، في زمن الحاكم بأمر الله أحد خلفائهم، وكتب فيه جماعةٌ من العلويين والقضاة، وممن كتب فيه أبو عبد الله ابن النعمان فقيه الشيعة.

ونسخة المحضر على ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه:

هذا ما شهد به الشهود أن معدّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد مُنتسب إلى ديصان بن سعيد الذي يُنسب إليه الديصانية، وأن هذا الناجم منهم هو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم حُكِم عليه بالبوار والدمار وهو معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ـ لا أسعده الله ـ وأن من تقدَّمه من سلفه الأرجاس الأنجاس ـ عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ـ أدعياءُ خوارج لا نسب لهم في ولد عليٍّ بن أبي طالب، وأن ما ادَّعوه من الانتساب إليم زور وباطل، وأن هذا الناجم معَدًّا هو وسلفه كفار فُسَّاق زنادقة ملحدون معطّلون، وللإسلام جاحدون، أباحوا الفروج وأحَلُّوا الخمور وسَبُّوا الأنبياء وادَّعَوا الرُّبوبية وفي آخره:

وكتُب في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمائة.

وربما وقع الطعن فيهم بما هو أسوأ من ذلك، حسب ما ذكره صاحب حماة أن بعضهم جعل نسبهم في اليهود فقال: إن عبيد الله المهدي كان اسمه سعيد بن أحمد القداح بن ميمون بن ديصان، وقيل سعيد بن الحسين بن محمد، وإن الحسين تزوج امرأة يهودية وهويها[(1)].

(١٦٤ أ) والحفصيون يقولون إن جدهم أبو حفص المذكور هو أبو حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وانُّود[(2)] بن عليّ بن أحمد بن ولآل[(3)] بن إدريس بن خالد بن اليَسَعَ ابن

(١) الكلمة غير واضحة وتحتمل أيضاً «وتهود».

(٢) في صبح الأعشى ج٥ ص١٣٤ بن وانودين بن علي.

(٣) في صبح الأعشى: والال.

إلياس بن عمر بن وافتق[1] بن محمد بن نحيَّه[2] بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

وقد اعترض عليهم معترضون في ذلك، فمنهم من يقول إنه منسوب إلى بني عَدِيٍّ رهطِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنهم من يقول بل هو منسوب إلى هَنْتَاتَةَ ـ بفتح الهاء وسكون النون وفتح التاء المثناة فوق وبعدها ألف ثم تاء مثناة فوقُ مفتوحة وهاء في الآخر ـ وهي قبيلة من قبائل المَصَامدة من البربر بجبال دَرَن المتاخمةِ لمَّراكُش، وهي قبيلة واسعة كبيرة، وكان أبو حفص هذا شيخَهم وكبيرَهم.

قال صاحب «العِبَر»: ولعلَّ هذا النسبَ القُرشيَّ وقع في المصامدة، والتحمَ بهم، واشتملت عليه عصبتهم[3] شأن الأنساب التي تقع من قوم إلى قوم.

ويؤكد نفي الخلافة عنهم أن السلطان أبا زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص كان يمتنع من التلقب بألقاب الخلافة، ويمنع من يخاطبه بها، مقتصراً على التلقُّب بالإمارة، حتى لقد رفع إليه بعضُ شعرائه قصيدةً مدحه بها أولها:

ألاَ صِلْ بالأَمِيرِ المؤمنينا ... فأنت بها أحقُّ العالمينا

فنهاه عن ذلك، ومنعهم من خطابه بها، وإنما تلقب بلقب الخلافة ابنه المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بعده على ما تقدم ذكره.

---

(١) في صبح الأعشى: وافتق.
(٢) هكذا ضبط في الأصل: وفي صبح الأعشى: «نجيه» تصغير «نجه».
(٣) في صبح الأعشى: عصبيتهم.

الباب الثالث

في ذكر ما يُكتب للخلفاء من البيعات في القديم والحديث (١٦٤ ب) وفيه فصلان:

الفصل الأوَل

في البيعات: وهي تكتب لمن يقوم بالخلافة بمبايعة أهل الحلّ والعقد دون عهد من الخليفة قبله، بالشروط السابقة، على ما تقدم ذكره في الكلام على الطرق التي تنعقد بها الإمامة في الباب الأول من الكتاب.

واعلم أن الصدّيق رضي الله عنه لم تُكْتب له بيعة بالخلافة بعد النبيّ ﷺ، إذا لم يُنْقل ذلك، ولو وقع لنُقل كما نُقل كتاب عهد الصديق بالخلافة لعمر رضي الله عنهما، على ما سيأتي ذكره، وكذلك سائر الخلفاء بعده لم تُكتب لهم مبايعة، إلى أن كانت أيام عبد الملك بن مروان في الدولة الأموية[1]، رتب الحجاج بن يوسف أيماناً للبيعة يُحَلف بها للخليفة عند أخذ البيعة له، وابتُدِىء كتابةُ البيعات من يومئذ، ونَظْمُ الأيمان في خلالها، واستمرَّ ذلك فيما بعده، واختلفت أساليب الكُتَّاب بعد ذلك دولةً بعد دولة، وقد استقر أمرهم في ذلك على أربعة مذاهب.

المذهب الأوَل

أن تفتتح البيعة بأن يقال: تُبايع عبدَ الله أبا فلان فلاناً[2] أمير المؤمنين على كذا وكذا، على أنك إن خالفت في ذلك أو في شيء منه كان لازمك كذا وكذا. مع بسط القول في ذلك بما يناسب المقام وتأكيده بالأيمان المُعَقَّدَات والألِيَّاتِ المُحْرِجات.

وعلى هذا الأُسلوب كانت طريقة الأولين في الخلافة الأموية. (١٦٥ أ) وصدر الخلافة العباسية، فإن كانت المبايعة من جماعة كتب: تبايعون، بلفظ الجمع.

(١) في الأصل: «الأيوبية» وهو خطأ واضح.

(٢) في الأصل أبا فلان فلان.

وهذه نسخة بيعة من ذلك[1]

أوردها أبوالحسين بن إسحاق[2] الصابي في كتابه «غرر البلاغة» في الكتابة وهي:

تبايع عبد الله أبا فلان فلاناً[3] أمير المؤمنين بيعة طوع واختيار، وتبرع وإيثار، وإعلان وإسرار، وإظهار وإضمار، وصِحَّة من غير نَغَلٍ[4]، وسلامة من غير دَغَل، وثبات من غير تبديل، ووقار من غير تأويل، واعتراف بما فيها من جمع الشمل، واتصال الحبل، وانتظام الأمور، وصلاح الجمهور، وحقن الدماء، وسكون الدهماء، وسعادة الخاصة والعامة، وحسن العائدة على أهل الملة والذمة، على أن عبد الله فلاناً أميرَ المؤمنين عبدُ الله الذي اصطفاه، وأمينه الذي ارتضاه[5]، وخليفته الذي جعل طاعته جارية بالحق، وموجبة على الخلق، ومُوردة لهم مَوْرِدَ الأمن، وعاقدةً لهم مَعاقدَ اليُمْن، وولايتَهُ مُؤذِنة لهم بجميل الصنع، ومؤدية بهم إلى جزيل النفع، وإمامته الإمامة التي اقترن بها الخير والبركة، والمصلحة العامة المشتركة، وأمَّل فيها قمْع الملحد الجاحد، وردّ الجائر الحائد، وقَسْمَ العاصي الخالع، وعطفَ الغاوي[6] المنازع، وعلى أنك ولي أوليائه، وعدو أعدائه: من كل داخل في الجملة، وخارج عن الملة، وعائذ بالحوزة[7]، وحائد عن الدعوة، ومستمسك بما بذلته عن إخلاصٍ مِنْ رأيك، وحقيقة من وفائك، لا تنقض ولا تنكُث، ولا تخلف ولا توارِي ولا تُخادِع، ولا تُداجِي ولا تُخاتِل، علانيتُك مثل نِيّتك، وقولك مثل طَوِيّتك، وعلى (١٦٥ ب) ألاَّ ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة وشرائطها، على مرّ الأيام وتطاولها، وتغير الأحوال وتنقلها، واختلاف الأزمان وتقلّبها، وعلى أنك في كل ذلك من أهل الملّة الإسلامية ودُعاتها، وأعوان الدولة العباسية ورُعاتها، لا يتداخل قولَك موارِبة، ولا يداخله مداهنة، ولا يعترضه مغالطة، ولا يتعقبه مخالفة، ولا تختل به أمانة، ولا تُعِله خيانة، حتى تلقى الله مقيماً على أمرك، ووفيًّا بعهدك، إذ كان مبايعو ولاة الأمر وخلفاء الله في الأرض: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: الآية ١٠].

عليك بهذه البيعة ـ التي أعطيت بها صفقة يَدِك، وأصفيت فيها سريرةَ قلبك، والتزمت

---

(١) صبح الأعشى ج٩ ص٢٨٠.

(٢) في الأصل: بن أبي إسحاق.

(٣) في صبح الأعشى تابع عبد الله أمير المؤمنين فلاناً.

(٤) في صبح الأعشى وصحة من نغل.

(٥) هذه العبارة غير موجودة في صبح الأعشى.

(٦) في صبح الأعشى: الغازي.

(٧) هذه العبارة غير موجودة في صبح الأعشى.

القيام بها ما طال عمرك، وامتد أجلك ـ عهدُ الله إن عَهْدَ الله كان مسئولاً، وما أخذه على أنبيائه ورسله وملائكته وحملة عرشه من أيمان مغلظة، وعهود مؤكدة، ومواثيق مشدّدة، على أنك تسمع وتصغى، وتطيع فلا تعصي، وتعدل ولا تَميد، وتستقيم ولا تحيد[1] وتفي ولا تغدر، وتثبت ولا تتغير، فمتى زلت عن هذه المحجة خافراً لأمانتك، ورافعاً لدياناتك، فجحدت الله تعالى ربوبيته، وأنكرته وحدانيته، وقطعت عصمة محمد ﷺ منك وجذذتها[2]، ورميت طاعته وراء ظهرك ونبذتها، ولقِيتَ الله يوم الحشر إليه، والعرض عليه، مخالفاً لأمره، وخائناً لعهده، ومقيماً على الإنكار له، ومصراً على الإشراك به، وكل ما حلله الله لك محرم عليك، وكل ما تملكه يوم رجوعك عن بَذْلك، وارتجاعك ما أعطيته من[3] قولك، من مال موجود ومذخور، ومصوغ ومضروب، وسارح ومربوط، وسائم ومعقول، وأرضٍ وضَيْعَةٍ، وعَقارٍ وعُقْدةٍ، (١٦٦ أ) ومملوك وأَمَة، صدقةٌ على المساكين، محرّمة على مر السنين، وكل امرأة لك تملك شَعرَهَا وبَشَرَها، وأخرى تتزوجها من بعدها، طالق ثلاثاً بتاتاً، طلاق الحرج والسنة، لا رجعة فيها ولاَ مَثْنَوِيَّة، وعليك الحج إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين مرة[4] حاسراً حافياً، وراجلاً ماشياً، نَذْراً لازماً، ووعداً صادقاً، لا يبرئك منها إلاَّ القضاء لها، نَذْراً لازماً، ووعداً صادقاً، لا يبرئك منها إلاَّ القضاء لها، والوفاء بها، ولا قَبِل الله منك توبةً ولا رجعة، ولا إقالةَ عَثْرَةٍ ولا صَرْعَة[5]، وخَذَلَكَ يوم الاستنصار بحوله، وأسلمك عند الاعتصام بحبله، وهذه اليمين قولك قلتَها قولاً فصيحاً، وسردتها سَرْداً صحيحاً، وأخلصت فيها سِرَّك إخلاصاً متيناً، وصدقت بها عزمك صدقاً يقيناً، والنيّة فيها نية فلان أمير المؤمنين دون نيّتك، والطوية [فيها طويته] دون طويتك، وأشهدت الله على نفسك بذلك، وكفى بالله شهيداً، يوم تجد كلُّ نفس عليها حافظاً ورقيباً.

قلت وعلى هذا الأسلوب في المبايعة رتب الكتاب الأيمان التي يحلف بها عن السلطان في زماننا.

المذهب الثاني

في المبيعات أن تُفتتح البيعة بلفظ: من عبد الله أبي فلانٍ فلانٍ أميرِ المؤمنين. سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على ابن عمه محمد ﷺ، ثم يقال: أما بعد، فالحمد لله. ويؤتى بخطبة مناسبة المقام، ثم يُعَزَّى

(١) في الأصل: تميل والتصويب من صبح الأعشى.
(٢) جذذتها قطعتها.
(٣) في صبح الأعشى: في قولك.
(٤) في صبح الأعشى: دفعة.
(٥) هذه العبارة غير موجودة في صبح الأعشى.

بالخليفة الماضي إن كانت البيعة مرتبة على موت خليفة، ويذكر قيامه بأعباء الأمة إلى حين ذهابه، ثم يقال: إنه لم يوجد من ينهض بأعباء الخلافة بعده إلا ولده فلان، أو أخوه أو ابن عمه(١٦٦ ب) أو نحو ذلك، ويؤني بتقريظه وذكر استحقاقه للخلافة دون غيره، ثم القائم بالبيعة له بحضرته أو في بعض الأطراف بأخذ البيعة له على مَنْ قِبله من الرعيَّة، وعلى ذلك كانت تكتب بيعات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية بجملتها.

وهذه نسخة بيعة من هذا النمط(١)

من عبد الله [ووليّه] أبي فلانٍ فلانِ بنِ فلان الإمام الفلاني بأمر الله تعالى أمير المؤمنين إلى من يضمه نطاق الدولة العباسية(٢) من أمرائها وأعيانها، وكبرائها وأوليائها، على اتساع شعوبهم، وعساكرها على اختلاف ضروبهم، وقبائل عربها القيسية واليمنية(٣) وكافة من تشمله أقطارها من أصناف الرعية، الأمير منهم والمأمور، والمشهور منهم والمغمور، والأسود والأحمر، والأصغر والأكبر، وفقهم الله وبارك فيهم.

سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلاَّ هو، ويسأله أن يصلي على ابن عمه محمد(٤) خاتم النبيين، وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهدِيِّين وسلَّم تسليماً.

أما بعد، فالحمد لله مولى المنّ الجسيم، ومُبدي الطَّوْلِ العميم، ومانح جزيل الأجر بالصبر العظيم، منيل النعم المتسعة الفنون(٥) ومدني المهج المتعالية التناول للمنون، ومبيد الأعمار ومفنيها، وناشر الأموات ومحييها، والفاتح إذا استغلقت الأبواب، والقائل: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: الآية ٣٨] الذي لا يُغَير ملكه مرور الغِيَرِ، ولا يصرف سلطانه تصرُّفُ القدر، ولا يُدرك قِدَمهُ وأزليَّته، ولا يُنْفذُ بقاؤهُ وسرمدِيَّته، مُسلم الأنام للحِمَام، ومُصمِي الأنفس بسهام الاخترام، ومورد البشر من المنية منهلاً ما برحوا في رَنْقه يكرعون، ولمُرِّه يبجعون(٦) ومفسر ذلك بقوله. (١٦٧ أ) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥] والحمد لله الذي نصب الأنبياء لمراشده أعلاماً، وحفظ ببعثهم من الحق والهدى نظاماً.

---

(١) صبح الأعشى ج٩ ص٢٨٧.

(٢) في صبح الأعشى العلوية. وهو الصواب.

(٣) في الأصل: «ولي جهتها».

(٤) في صبح الأعشى: غير موجودة كلمة «ابن عمه».

(٥) في صبح الأعشى: يفيد النعم المتشعبة.

(٦) في صبح الأعشى «ولمره المشرق يتجرعون» وفي الأصل مضروب على كلمة المشرق.

وجعل نبوة ابن عمنا[1] محمد ﷺ لنبواتهم ختاماً[2] ولم يحم[3] نبيًّا مع ما شرفه من تناول وحْيه وتلقِّيه، ولا عصم إماماً مع اختصاصه بفروع منصب الإمامة وترقّية، من لقاء المَنيَّة، ووداع الأُمْنِيَّة، بل أَجَّل لكم منهم أجلاً مكتوباً، وفسح له أمداً محصوراً محسوباً، لا يَصْرِفُ عن وصوله مَقيلُه، ولا يصل إلى تجاوزه بقوة ولا حيلةٍ سبيلُه، قدرة محكمة الأسباب، وعبرة واضحة لأُولي الألباب، وقضية أوضحها فرقانه الذي أقر بإعجازه الجاحد بها، إذ يقول مخاطباً لنبيه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٣٤] والحمد لله الذي منح أمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأنوارها، وحاز له من ذَخَائِرها وأودعه من أسرارها، وحوَّله في آخر تراثها[4]، وأصار له شرف ميراثها، وجعله القائم بحقه، والمرشد لخلقه، والماحي بهداه ليلاً من الضلال بَهيماً، والحاوي بخلافته مجداً لا يزال ثناؤه عظيماً ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: الآية ٧٠] يحمده أمير المؤمنين على أن أوضح بآبائه الأئمة سُبل الحَقائق، فأصبحوا خلفاء الخالق وأئمة الخلائق، وخَوَّله ما اختصهم به من الإمامة، ورفعه بها إلى أشمخ منازل العُلا وأرفع مواطن الكرامة، ويستمده شكراً يوازي النعم التي أثبتت [له] على سرير الخلافة ومنبرها[5] قدماً، وصَبْراً يوازن الفجيعةَ التي قلَّ لها فيض المدامع دمٌ.

ويَسأله أن يصلي على ابن عمه[6] محمد ﷺ الذي فضَّ بجهاده جموع الإلحاد، وحصر باجتهاده مَن مال عن الهدى وحاد، وصدع بما أُمر به،(١٦٧ ب) حتى عم التوحيد، ودانت لمعجزاته الأمم وقد دعاها وهو المُفْرَدُ الوحيد، ولم يزل مبالغاً في مرضاة ربه، حريصاً على إظهار دينه بيده ولسانه وقلبه، حتى استأثر به وقبضه، وبدّله من الدنيا شرفَ جواره وعوّضه، وأصاره إلى أفضل نبي نَفَرَ[7] وبَشَّر، وأحيا دين الله وأنشر، وإن الإمام[8] الفلاني لدين الله أميرَ المؤمنين كان ولياً لله شرّفه واستخلصه، وأفرده بإمامة عصره وخصّصه، وفوّض إليه أمر خلافته، وأحلّه محلاً تقع مطارح الهمم دون عُلُوّه وإنافته، فقام بحقّ الله ونهض، وعمل بأمره فيما سن وفرض، وقهر الأعداء بسطواته وعزائمه، وصرف الأمور بأزمَّة التدبير وخزائمه، وبالغ في الذبِّ عن أشياع الملة، واجتهد في جهاد أعداء

---

(١) في صبح الأعشى: جدنا.
(٢) في صبح الأعشى هنا زيادة خمسة أسطر.
(٣) في صبح الأعشى: ولم يخل.
(٤) في صبح الأعشى: ما خوله فاخر تراثها.
(٥) في صبح الأعشى: وسرها.
(٦) في صبح الأعشى: جلده.
(٧) في صبح الأعشى: بصر.
(٨) في صبح الأعشى زيادة أربعة أسطر قبل جملة وإن الإمام.

القِبلة، ووقف على مصلحة البلاد أمَله،ووَفَّر على ما يُحْظِي عند الله قولَه وعملَه، ولم يترك في مرضاة خالقه مشقة إلا احتملها، ولا روية إلا صرفها في إرشاد خلقه وأعملها، حتى بلغ الغاية المحدودة، واستكمل الأنفاس المعدودة، وأحسن الله له الاختيار، وآثر له النُّقْلة من هذه الدار، والزلفى لسكني دار القرار، والفوزَ بمصاحبة الأنبياء الأبرار، والحلولَ في حظائر قُدُسه مع آبائه الأئمة الأطهار، فصار[1] إليه طاهر السريرة، جميل المذهب والصورة، مستوجباً بسعيه أفضل رضوانه، ممهِّداً بالتقوى لتدبيره أكنافَ جنانه.

وأمير المؤمنين يحتسب عند الله هذه الرزيةَ التي عظم بها المصاب، وعذب[2] عند تجرعها المصاب، وأضرمت القلوبَ ناراً، وأجرت الآماق دماً مُمَاراً، وأطاشت بهولها الأكبادَ بالحَرَق، وكَحَلت الأجفانَ بالأرق، وكادت لهجومها الصدورُ تقذف أفئدتَها، والدنيا تَنْزع نَضْرتَها وبهجتَها، وقواعد الملة تضعف وتَهي، والخطوب (١١٦٨) الكارثة تَشْهَر[3] ولا تنتهي، فإنا لله وإنا إليه راجعون!! تسليماً لأمره الذي لا يدفع، وإذعاناً لقضائه الذي لا يُصد ولا يمنع.

وكان الإمام الفلاني لدين الله أمير المؤمنين عند نُقْلته جعل لي عَقْدَ الخلافة، ونصّ عليه بارتقاء منصبها المخصوص بالإنافة، وأفضىٰ إليّ بسرها المكنون، وأودعني[4] غامضَ عِلمها المَصُون، وعهد إليّ أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف والحنان، والرحمة والغفران، والمن الرائق الذي لا يكدره امتنان، وأن أكون لأعلام الهدي ناشراً، وبما أرضى الله مجاهراً، ولأحزاب القبلة مُظاهرا مُظافراً، ولأعداء الملة مرغماً قاهراً، ولمنار التوحيد رافعاً، وعن حوزة الإسلام بغاية الإمكان دافعاً، مع علمه بما خُصصت به[5] ـ أمير المؤمنين ـ من كرم الشيم، وفطرت عليه من الخلال القاضية مصالح الأمم، وأوتيته من استحقاق الإمامة واستيجابها، ومنحته من الخصائص المبرمة لأسبابها..

فتعزَّوْا جميع الأولياءن وكافة الأمراء، وجميع الأجناد، والحاضر من الرعايا والباد، عن إمامكم المنقول إلى دار الكرامة، بإمامكم الحاضر الموجود الذي أورثه الله مقامه، وادْخُلوا في بيعته بصدور مشروحة نقيّة، وقلوب على محض الطاعة مطوّية، وثبات في

---

(١) في صبح الأعشى: فسار.
(٢) في صبح الأعشى: وعظم.
(٣) في صبح الأعشى: «تصر» وفسروها بمعنى تدوم.
(٤) في الأصل: انتقل الكلام إلى ضمير الغائب: «وأودعه.. وعهد إليه...» وتبعت ما سار عليه صبح الأعشى.
(٥) في الأصل: «مع علمه بما خص به أمير المؤمنين...» بلفظ الغيبة كما بدأ واستمر. وحولت الكلام تبعاً لصبح الأعشى الذي لا توجد فيه كلمة «أمير المؤمنين».

الولاء والمشايعة مرضية، وبصائرَ لا تزال بنور الهدى والاستبصار مُضيّة، وأميرُ المؤمنين يسأل الله أن يجعل إمامته محظوظة بالإقبال، دائمة الكمال، صافية من الأكدار، معضودة بمواتاة الأقدار، ويوالي حمده على ما منحه من الاصطفاء الذي جعله لأمور الدين والدنيا قواماً، وأقامه للبرية سيداً وإماماً، فاعلموا هذا واعملوا به، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا.

(١٦٨ ب) المذهب الثالث

أن يفتتح البيعةَ بلفظ: هذا. ويُعزِّي الخليفة الذاهب إن كانت البيعة مرتبة على موت، ثم يُهنِّىء بالخليفة المستقرّ، أو يُلَوِّح بذكر الخَلع الموجب لخلع المخلوع واستحقاق المستقر في الخلافة، بحيث لا يكون في التلويح إلى الخلع تنقيصٌ لجانب المخلوع، ولا حطّ لقدره، إلا أن يكون الخلع قد وقع لموجب شَرعيٍّ اقتضاه الحال. وربما افتتحت البيعة بآية من كتاب الله تعالى.

وهذه نسخة بيعة(١)

أنشأها المقرّ الشهابيُّ بنُ فضل الله عند موت الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ومبايعة ابنه الحاكم بأمر الله بعده، امتحاناً لخاطره واختباراً لذهنه، ولم يكتب بها. وهي:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ [الفتح: الآية ١٠] هذه بيعةُ رضوان، وبيعةُ إحسان، وبيعة(٢) رضى يشهدها الجماعة ويشهد عليها الرحمن، بيعة يلزم طائرها(٣) العُنُق، وتحوم بشائرها على الأُفق، وتحمل أنباءها البراري والبحارُ مشحونةَ الطُّرُق، بيعة تَصْلُح بسببها الأمة، ويمنح بسَيْلها(٤) النعمة، ويُؤلِّف بها الأسباب وتجعل بينهم مودَّةً ورحمة، بيعة يجري بها الرِّفاق؛ وتتزاحم زُمر الكواكب على حَوْض المجرة للوِفاق(٥)، بيعة سعيدة ميمونة، بيعة شريفة بها السلامة في الدِّين والدنيا مضمونة، بيعة صحيحة شرعية [بيعة ملحوظة مَرْعيّة]، بيعة تُسابق إليها كلُّ نِيَّة، وتُطاوع(١٦٩ أ) كلُّ طويّة، وتُجمع عليها أشتات

---

(١) صبح الأعشى ج٩ ص٣٢٠.
(٢) في الأصل: وجمعة رضى. والتصويب من صبح الأعشى.
(٣) في الأصل: ظاهرها.
(٤) في صبح الأعشى تصلح لنسبها الأمة وتمنح بسببها النعمة.
(٥) في الأصل: يجري بها الوفاق... على خوص المجرة الرقاق.

البريَّة، بيعة يستهلُّ بها الغمام، ويتهلل البدر التمام، بيعة متفق على الإجماع عليها، والاجتماع لبسط الأيدي إليها، انعقد عليها الإجماع، واتعقدت صحتها بمن سمع ذلك[1] وأطاع، وبذل في تمامها كل امرىء ما استطاع، وحصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع، ووصل بها الحق إلى مستحقه ووافق[2] الخصم وانقطع النزاع، ونَظَمها[3] كتاب كريم يشهده المقربون، ويتلقاه الأئمة الأقربون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف، الآية ٤٣] ﴿ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ [يوسف: الآية ٣٨] وإلينا ولله الحمد وإلى بني العباس، أجمع على هذه البيعة أرباب العقد والحل، وأصحاب الكلام فيما قلّ وجلّ، وولاة الأمور والأحكام، وأرباب المناصب والحُكّام، وحملة العلم والأعلام، وحماة السيوف والأقلام؛ وكابر بن عبد مناف، ومن انخفض قدره وأناف، وسروات قريش ووجوه بني هاشم والبقية الطاهرة من بني العباس، وخاصة الأئمة وعامة الناس، بيعة تُرسَى بالحرمين خيامُها، وتخفق على المأزمين أعلامُها، وتتعرّف عرفات ببركاتها وتُعرف بمنىً أيامها، ويُؤمن عليها يوم الحجّ الأكبر، ويُؤَمُّ ما بين الركن والمقام والمنبر، ولا يتبقّى إلا[4] وجه الله الكريم، وفضله العميم، لم يبق صاحب عِلْم[5] ولا عَلَم، ولا ضارب بسيف ولا كاتب بقلم، ولا ربّ حكم ولا قضاء، ولا من يرجع إليه من اتفاق ولا إمضاء، ولا إمام مسجد ولا خطيب، ولا ذو فتياً يُسأل فيجيب، ولا مَنْ بين جنبتي المساجد، ولا من تضمهم أجنحة المحاريب، ولا من يجتهد في رأيٍ فيخطىء أو يصيب، ولا متحدث بحديث، ولا متكلم بقديم وحديث، ولا معروف بدين وصلاح، ولا فرسان حرب وكفاح، ولا راشق لسهام ولا طاعن برماح، ولا ضارب بصفاح، ولا ساع على قدم ولا طائر بجناح، ولا مخالط للناس ولا قاعد في عُزْلة، ولا جمع كثرة ولا قلّة(١٦٩ ب) ولا من يستقل بالجوزاءِ لواؤه، ولا يقل فوق الفرقد ثواؤه؛ ولا باد ولا حاضر، ولا مقيم ولا سائر؛ ولا أول ولا آخر، ولا مُسّر في باطن ولا معلن في ظاهر، ولا عرب ولا عجم، ولا راعي إبل ولا غنم، ولا صاحب أناة ولا إبدار، ولا ساكن في حضر وبادية بدار، ولا صاحب عمد ولا جدار، ولا سابح[6] في البحار الزاخرة والبراري القفار، ولا من يتوقَّل صهوات الخيل، ولا من يُسْبل على العجاجة الذيل، ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل، ولا من تظله السماء وتقله الأرض، ولا من تدلّ عليه

(١) في صبح الأعشى: لله.
(٢) في صبح الأعشى: واقر.
(٣) في صبح الأعشى: وتضمنها.
(٤) في صبح الأعشى: ولا يتبغى بها إلا.
(٥) في صبح الأعشى: صاحب سنجق.
(٦) في صبح الأعشى: ولا ملجج.

الأسماء على اختلافها وترتفع درجات بعضهم على بعض، حتى آمن بهذه البيعة وأمَّن الله عليه وهداه إليها، وأقرّ بها وصدق، وغض لها بصره خاشعاً وأطرق، ومد إليها يده بالمبايعة، ومعتقده بالمتابعة، رضي بها وارتضاها، وأجاز حكمها على نفسه وأمضاها [ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها] ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر، الآية ٧٥].

والحمد لله الذي نصب الحاكم ليحكم بين عباده وهو أحكم الحاكمين، والحمد لله الذي أخذ حق آل بيت نبيه من أيدي الظالمين؛ والحمد لله رب العالمين، ثم الحمد لله رب العالمين، ثم الحمد لله رب العالمين، والحمد لله رب العالمين، وإنه لما استأثر الله بعبده [سليمان] أبي الربيع الإمام المستكفي بالله أمير المؤمنين ـ كرم الله مثواه ـ وعوّضه عن دار الإسلام بدار السلام، ونقله فزكى بدنه عن شهادة الإسلام بشهادة الإسلام[(١)]، حيث آثره ربه بقربه، ومهد لجنبه، وأقدمه على ما أقدمه من يرجوه لعمله وكسبه، وخار له في جواره رفيقاً، وجعل له على صالح نفسه[(٢)] طريقاً؛ وأنزله ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: الآية ٦٩] الله أكبر ليومه لولا مُخلّفه كادت تضيق الأرض بما رحبت، وتجزى كل نفس بما كسبت، وتنبىء كل سريرة بما ادّخرت (١٧٠ أ) وما خبت، لقدْ، أُضرم سعيرٌ إلا أنه في الجوانح، لقد أُصر[(٣)] منبرٌ وسريرٌ لولا خلفه الصالح، لقد اضطرب مأمور وأمير لولا الفكر بعده في عاقبة المصالح، لقد غاضت البحار، لقد غابت الأنوار، لقد غالب البدورَ وما يلحق[(٤)] الأهلة من المحاق ويدرك البدر من السرار، نسفت الجبال نسفاً، وخبت مصابيح النجوم وكادت تُطفى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝﴾ [الفجر: الآية ٢٢] لقد جمعت الدنيا أطرافها وعزمت على[(٥)] المسير، وخضعت[(٦)] الأمة لهول المصير، وزاغت يوم موته الأبصار ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝﴾ [العاديات: الآية ١١] وبقيت الألباب حيارى، ووقفت تارة تصدق وتارة تتمارى، لا تعرف قراراً ولا على الأرض استقراراً ﴿إن زلزلة الساعة شي عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾، ولم يكن في النسب العباسي، ولا في جميع من في الوجود، ولا في البيت المسترشدي، ولا في غيره من بيوت الخلفاء، من بقايا آباء لهم وجدود، ولا من تلده إحدى[(٧)] الليالي

(١) في صبح الأعشى: دار السلام بدار السلام... شهادة السلام.
(٢) في صبح الأعشى: سلفه.
(٣) أصر: انكسر. وفي صبح الأعشى: اضطرب.
(٤) في الأصل: «لقد غابت البدور وما يلحق...» والتصويب من صبح الأعشى.
(٥) في صبح الأعشى: وازمعت.
(٦) في صبح الأعشى: وجمعت.
(٧) في صبح الأعشى: أخرى.

وهي عاقر غير ولود، من تُسَلِّم إليه أمةُ محمد ﷺ عقدَ نِيَّاتها، إلاَّ واحد وأين ذلك الواحد، وهو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الأطهار، وتراث أجداده ولا شيء هو إلاَّ ما اشتمل عليه رداء الليل والنهار، وهو ابن المنتقل إلى ربه، وولد الإمام الذاهب لصلبه، المُجمع على أنه في الأنام فرد[1] هو الأمام، وواحد وهكذا هو في الوجود الإمام، وأنه الحائز لما زُرَّتْ عليه جيوبُ المشارق والمغارب، والفائز بملك ما بين الشارق والغارب[2]، الراقي في صفح السماء هذه الدورة المُنيفة، الباقي بعد الأئمة الماضين رضي الله عنهم ونعم الخليفة، المجتمع (١٧٠ ب) فيه شروط الإمامة المتَّضِع لله وهو من بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة، الذي تَصَفَّحَ السحابَ نائلُه، والذي لا يَغُرُّه عاذره ولا يُغَيِّره عاذله، والذي:

تعوَّد بَسْطَ الكف حتى لو أنه ... ثناها لقبض لم تُطعْه أناملُهْ

والذي:

لا هو في الدنيا مُضيعٌ نصيبَه ... ولا وَرِقُ الدنيا عن الدين شاغلُهْ

والذي ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا مال باصره[3] وقام قائمه، ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعرف أنه ما خاب مُستكفيه ولا غاب حاكمه، نائب الله في أرضه، والناهض بسنته وفرضه[4]، والقائم بمقام رسول الله ﷺ وخليفته وابن عمه، وتابع عمله الصالح ووارث علمه، سيدنا ومولانا عبد الله ووليه أحمد أبو العباس الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، ابن الامام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان[5]، أيد الله تعالى ببقائه الدينَ، وطوق بسيفه الملحدين، وكبت تحت لوائه المعتدين، وكتب له النصر إلى يوم الدين، وكفَّ بجهاده المفسدين، وأعاذ به الأرض ممن لا يدين بدين، وأعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يَعْدِلُون، وعليه كانوا يعملون، ونصر أنصارَه، وقَدَّرَ اقتدارَه، وأسكن في القلوب هيبته ووقاره[6]، ومكَّنَ له في الوجود وجمع له أقطارَه.

ولما انتقل، إلى الله [ذلك] السيّد ولَحِقَ بدار الحق أسلافَه، ونُقِلَ إلى سُرُر الجنة من سرير الخلافةَ؛ وخلا العصر من إمام يُمسك ما بقي من نهاره، وخليفةٍ يغالب مُرْبَدَّ الليلِ[7]

---

(١) في صبح الأعشى: فرد الأيام.
(٢) في الأصل: المشارق والمغارب.
(٣) في صبح الأعشى: إلا قال ناصره.
(٤) جملة (والناهض بسنته وفرضه) غير موجودة في صبح الأعشى.
(٥) جملة (ابن الإمام...... سليمان) غير موجودة في صبح الأعشى.
(٦) في صبح الأعشى: وأسكن في قلوب الرعية سكينته ووقاره.
(٧) في الأصل: مزيد الليل.

بأنواره، ووارثِ نبيٍّ بمثله ومثل أبيه استغنى الوجود بعد ابن عم نبيّه خاتم الأنبياء ﷺ عن نبيٍّ مُقْتفٍ على آثاره، ونَبيي ولم يَعْهَدْ فلم يَبْقَ إذْ لم يوجد النص إلاَّ الإجماع، وعليه كانت الخلافة بعد (١١٧١) رسول الله ﷺ بلا نزاع، اقتضت المصلحةُ الجامعةُ عقدَ مجلس كلُّ طَرْف به معقود، وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود، وجُمع الناس له﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: الآية ١٠٣] ، فحضر من لم يُعبأ بعده بمن تخلّف، ولم يُرْبأ معه[1] وقد مد يده طائعاً لمن مدَّها وقد تكلّف، واجتمعوا على رأي واحد واستخاروا الله تعالى فيه فخار، وناهيك بذلك من مُختار، وأخِذَتْ يمينٌ تُمدّ إليها الأيمان، ويُشدّ بها الإيمان، وتُعطَى عليها المواثيق، وتُعْرَضُ أمانتُها على كل فريق، حتى تقلَّد كلُّ من حضر في عنقه هذه الأمانة، وحط يده على المصحف الكريم وحلف بالله العظيم وأتمّ أيْمانه، ولم يقطع ولم يستثن ولم يتردد، ومن قطع من غير قصد أعاد وجدّد، وقد نوى كل من حلف أن النية في يمينه نيةُ من عُقِدت هذه البيعة له، ونيّة من حَلَف لَه، وتذمَّم بالوفاءِ في ذمته وتكفُّله، على عادة أيْمان البيعة بشروطها وأحكامها المُرَدّدة، وأقسامها المؤكدة، بأن يَبْذُلَ لهذا الإمام المفترضة طاعتُه الطاعَةَ، ولا يفارق الجمهورَ ولا يُظْهرَ عن الجماعة [انجماعَه] وغير ذلك مما تضمنته نُسَخُ الأيمان المكتتَب فيها أسماءُ من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من يُكتب منهم، وخطوط العُدُول الثِّقات عمن لم يَكتب وأذنوا لمن يَكتب عنهم، حسب ما يَشهد به بعضهم على بعض، ويتصادق عليه أهل السماءِ والأرض، بيعة تم بمشيئة الله تَمامُها، وعم الصَّوْبِ الغَدَق غَمامُها، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: الآية ٣٤] ووهب لها الحَسَنَ، ثم الحمد لله الكافي عبدَه، الوافي وعدَه، الموافي لمن يضاعف على كل موهبة حمدَه، ثم الحمد لله على نِعَم يرغَبُ أمير المؤمنين في ازديادها، ويَرْهَبُ إلا أن يقاتل أعداءَ الله بأمدادها، ويرأب بها مَا آثر فيما آثر مماليكه مما بان من مباينة أضدادها.

نحمده(١٧١ ب) والحمد لله، ثم الحمد لله، كلمة لا يُمَلُّ من تردادها، ولا نُخِلّ بما ينوب[2] السهام من سداده، ولا نظلُّ إلاّ على ما يُوجب بِكثرة أعدادها، وتيسير أقدار[3] على أورادها، ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة يتقايس دمُ الشهداءِ ومَدُّ مِدَادها، وتتنافسُ طُررُ الشباب وغُرر السحاب على استمدادها، وتتجانس رُقُومُها المدبَّجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها، والليالي من دِثارها، والأعداء من حِدادها، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى جماعة آله مَنْ سَفَلَ منْ أبنائها ومَنْ سلف من أجدادها، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) لم يربأ به: لم يبال به ولم يكترث.

(٢) في صبح الأعشى ج٩ ص٣٢٦: ولا نبخل بما يفوق السهام.

(٣) في صبح الأعشى ج٩ يوجب كثرة أعدادها وتيسير إقرار.

وبعد، فإن أمير المؤمنين، لما أكسبه الله تعالى من ميراث النبوة ما كان لجده، ووهبه من الملك السليماني عن أبيه ما لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمه منطق الطير بما تتحمله حمائم البطائق من بدائع البيان، وسخَّر له من البريد على متون الخيل ما سُخِّر من الريح لسليمان، وآتاه من خاتم الأنبياء ما أمده به أبوه سليمان وتصرف، وأعطاه من الفخار ما أطاعه به كل مخلوق ولم يتخلّف، وجعل له من لباس بني العباس ما يقضي له سوادُه بسُؤْدَد الأجداد، وينفض على كَحَل الهُدْب ما فَضَل عن سويداء القلب وسواد البصر من السَّواد، ويَمُدّ ظلَّه على الأرض فكل مكان حَلَّه دارُ مُلْك وكلُّ مدينةٍ بغداد، وهو في ليلِهِ السَّجّاد، وفي نهاره العسكري وفي كرمه جعفر الجواد، يديم الابتهال إلى الله تعالى في توفيقه، والابتهاج بما يُغصُّ كلَّ عدو بريقِه، ويَبدأ يوم هذه المبايعة بما هو الأهم من مصالح الإسلام، وصالح الأعمال مما يتحلّى به الإمام، ويقدِّم التقوى أمامه، وَيقْرنُ عليها أحكامه، ويتبَّع الشرع الشريف (١٧٢ أ) ويقف عنده ويوقف الناس، ومن لا يحمل أمره طائعاً على العين حمله بالسيف غصباً[1] على الرأس، ويُعَجِّل أمير المؤمنين بما يَشفى به النفوس، ويزيل به كيد الشيطان إنه يؤوس، ويأخذ بقلوب الرعية وهو غني عن ذا ولكنه يسوس، وأمير المؤمنين يُشهد الله وخليقتَه عليه أنه أقر كلَّ امرىء من ولاة الأمور الإسلامية على حاله، واستمر في مقيله تحت كَنَف ظلاله، على [اختلاف] طبقات ولاة الأمور، وتفرقهم في الممالك والثغور، براً وبحراً، سهلاً وَوعْراً، وشرقاً وغرباً، وبُعداً وقُرباً، وكلَّ جليل وحقير، وقليل وكثير، وصغير وكبير، وملك ومملوك وأمير، وجندي يَبْرُقُ له سيف شهير، ورمح طرير، ومَنْ مع هؤلاء من وزراء وقضاة وكتاب، ومن له يد تبقى في إنشاءٍ وتحقيق حساب، ومن يتحدث في بريد وخراج، ومن يُحتاج إليه من لا يُحتاج، ومن في الدروس والمدارس والرُّبُط والزوايا والخَوانق، ومن له أعظم التعلقات وأدنى العلائق، وسائرَ أرباب المراتب، وأصحاب الرواتب، ومن له في مال الله رزق مقسوم، وحق مجهول أو معلوم، واستمرارَ كلِّ امرىء على ما هو عليه، حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه، فمن زاد تأهيله، زاد تفضيله، وإلا فأمير المؤمنين لا يرى[2] سوى وجه الله، ولا يحابي أحداً في دين، ولا يحامي [عن] أحد في حق فإن المحاماة في الحق مداجاة على المسلمين، وكلما هو مستمر إلى الآن، مستمر على حكم الله مما فهّمه الله له وفهّمه سليمانَ، لا يغير أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضه، ما يعتبر مستديماً[3] شكر الله على نعمه، وكذلك

(١) في الأصل: عصابة. والتصويب من صبح الأعشى.

(٢) في صبح الأعشى: لا يريد.

(٣) في صبح الأعشى: بعضه، معتبر مستمرّ بما شكر الله.....

يجازي من شكر، ولا يكدّر على أحد مورداً نزّه الله به نِعمَه الصافيةَ عن الكدر، ولا يَتأوّل في ذلك متأوّل ولا من فَجَرَ نعمة أو كفر، ولا يَتعلّل متعلّل فإن أمير المؤمنين يَعُوذُ بالله ويُعِيذُ (١٧٢ ب) أيامه من الغِيَر، وأمر أميرُ المؤمنينَ ـ أعلى الله أمرَه ـ أن يُعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر في الآفاق، وأن يضرب باسمهما النقود المتعامل بها على الإطلاق، ويبتهل بالدعاءِ لهما عطْف الليل والنهار، ويصرّح منه بما يشرق به وجهُ الدرهم والدينار، ويضاهي[١] به المنابر ودور الضرب: هاتيك ترفع اسمهما على أسرة مهودها، وهذي على أسارير نقودها، وهذي مقام بسببها الصَّلاة، وتلك تدام بها الصِّلات، وكلاهما تُستمال به القلوب، ولا يلام على ما تَعِيه الآذان وتُوعيه الجُيوب، وما منهما إلا من تحدق نحوه الأحداق[٢]، وتميل إليه الأعناق، وتبلغ به المقاصد [ويقوى بهما المُعاضد] وكلاهما أمر مطاع، من غير نزاع، وإذا لمعت أزِمَّةُ الخُطَب طار للذهب شعاع، ولولاهما ما اجتمع جمع ولا انضم، ولا عرف الأنام بمن تأتم، فالخُطَبَ والذَّهَب معناهما واحد، وبهما يَذكر الله قُيِمَاءُ المساجد، ولولا الأعمال، ما بذلت الأموال، ولولا الأموال، ما وليت الأعمال، ولأجل ما بينهما من هذه النسبة قيل: إن الملك له السِّكَّة والخُطبة، وقد أسمع أمير المؤمنين في هذا الجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب، ويتداوله كلّ بعيد وقريب، وإن الله أمر بأوامر ونهي عن نواه وهو رقيب، ويستفرغ[٣] الأولياء له السجايا، وتفرّع[٤] الخطباءُ فيها بنعوت الوصايا، وتكمل بها المزايا، وتتكلم بها المواعظ[٥] وتخرج من المشايخ الخبايا من الزوايا، وتسمر بها السُّمّار، وتتناقلها رواة الأخبار[٦]، ويترنم بها الحادي والملاّح، ويَرِقّ سَجْوها[٧] في الليل المقمر، ويُرْقَم على جنب الصباح، وتُعطّر بها مكةُ بطحاءَها وتحيا بحديثها قِباه، ويلقّنها كلُّ أب فَهْمَ ابنه ويسأل كلُّ ابن أن يُجيب أباه، وهو لكم أيها الناس من أمير المؤمنين[٨] وعليكم بَيّنة، وإليكم ما دعاكم به إلى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة، ولأمير المؤمنين عليكم الطاعةُ ولولا قيام الرعايا بها ما قبل الله أعمالَها، ولا أمسك (١٧٣ أ) بها البحر ودحا الأرض وأرسى جبالها، ولا اتفقت الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجر أذيالها، وأخذها دون بني أبيه ولم تكن تصلح إلاّ له ولم يكن

---

(١) في صبح الأعشى: وتباهي.
(٢) في صبح الأعشى: تحدِّق بجواره الأحداق.
(٣) في صبح الأعشى: وتستفزع الأولياء لها.
(٤) في صبح الأعشى: وتتضرع.
(٥) في صبح الأعشى: ويتكلم بها للواعظ.
(٦) هذه الجملة لم ترد في صبح الأعشى.
(٧) في صبح الأعشى: ويروق شجوها.
(٨) في صبح الأعشى: «رشد عليكم بينة». وفي الأصل مضروب على كلمة «رشد».

يصلح إلاّ لها، وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح لكم من أبواب الأرزاق، وأسباب الارتفاق، وأحسن لكم من وفاقكم وعلَّمكم مكارم الأخلاق، وأجراكم على عوائدكم ولم يُمسك خشية الإملاق، ولم يبق على أمير المؤمنين إلاّ أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويعمل بما ينتفع به ن يجيء ـ أطال الله بقاء أمير المؤمنين ـ من بعده، ويزيد على كل من تقدم ويقيم فروض الحج والجهاد، وينيم الرعايا بعدله الشامل في مهاد، وأمير المؤمنين يقيم عبادة[1] موسم الحج في كل عام، ويشمل بكرمه سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام، ويجهز السبيل على عادته ويرجو أن يعود إلى حاله الأول في سالف الأيام، ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل إلى ثالثهما البيت المقدس ساكب الغمام، ويقوم بِقَوَمة[2] قبور الأنبياء صلوات الله عليهم أين كانوا وأكثرهم في الشام، والجمع والجماعات هي فيكم على قَديم سُنَنها وقَويم سَنَنها، وستزيد في أيام أمير المؤمنين بمن انضمّ إليه وفيما يتسلمه من بلاد الكفار ويُسلم على يديه، وأما الجهادُ فيكفى[3] باجتهادِهِ القائمُ عن أمير المؤمنين بأموره المقلَّدُ عنه جميع ما وراء سريره، فأمير المؤمنين قد وكل إليه ـ خلد الله سلطانه ـ الأنام[4] وقلده سيفه الراعب بوارقه ليسلَّه واجده[5] على الأعداء سلَّ خياله عليهم في الأحلام، ويؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ما غلب عليه العِدَا، وانتزاع أيديهم من بلاد الإسلام فإنه حقٌّ[6] وإن طال عليه المَدَى، وقد تقدّمت الوصية بأن يغزو العدوَّ المخذول برًّا وبحراً، ولا يكف عمن يظفر به منهم قتلاً وأسْرا، ولا يفك أغلالاً (١٧٣ ب) ولا إصراً، ولا ينفكُّ يرسل عليهم في البحر غِرباناً، وفي البر من الخيل عِقباناً، يحمل منها كل فارس صقراً، ويحمي الممالك ممن يجوز أطرافها بأقدام وَيتخوَّل أكنافها بالإقدام، وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور، وما يُحتاج إليه من آلات القتال، وما تُجتاحُ به الأعداء ويَعْجز عنه المحتال، وأمهات الممالك التي هي مرابط البنود ومرابض الأسود والأمراء والعساكر والجنود، وترتيبهم في الميمنة والميسرة وبالجناح الممدود[7]، وليتفقد أحوالهم بالعرض، بما لهم من خيل تعقد بين السماء والأرض، ومالهم من زرد مصون، وبَيْض مَسَّها ذائب ذهب فكانت كأنها بَيْضٌ

---

(١) في صبح الأعشى: على عباده.

(٢) في الأصل: مقامه والتصويب من صبح الأعشى.

(٣) في صبح الأعشى فيكتفي بأجبتها والقائم.

(٤) في صبح الأعشى: عناد الأيام.

(٥) في الأصل: ليلة واحدة.

(٦) في صبح الأعشى أضاف المحققون [ما بأ] يديهم.

(٧) في صبح الأعشى: ومرابض الأسود والجناح الممدود.

مكنون، وسيوف قواضب، ورماح لكثرة طعنها من الدماء خواضب، وسهام تواصلُ القسى وتفارقها، فتحن حنين مفارق، وتزمجز القوس زمجرة مغاضب.

وهذه جملة أراد أمير المؤمنين بها تطييب قلوبكم، وإطالة ذيل التطويل على مطلوبكم، ودماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حماية إلاَّ ما أباح الشرع المُطَهَّر، ومزيد الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر، وأما جُزئيات الأمور فقد علمتم بأن فيمن تقلد عن أمير المؤمنين غِنىً عن مثل هذه الذكرى، وولاة حقٍّ[1] لا تشغل بطلب شيء فكراً، وفي ولاة الأمور، ورعاة الجمهور، ومن هو سداد عمله ومداد أمله، ومراد من هو منكم معشر الرعايا من قِبَله، وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين ومَنْ حولَكم، وأنتم وهم فما منكم إلا من سيعرف أمير المؤمنين ويمضي في مراضى الله على سلفه، وينظر ما هو عليه ويسير بسيرته المثلى في طاعة في خلفه، وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين، وله عليكم أداء النصيحة، وإبداء الطاعة بسريرة صحيحة، وقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رأفته، ولزمه حكم بيعته، وألزم،(١٧٤ أ) طائرَه في عنقه، ويستعمل كل منكم في الوفاء ما أصبح به عليماً ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: الآية ١٠] .

هذا قول أمير المؤمنين، وعلى هذا عُهد إليه وبه يَعْهَد، وما سوى هذا فهو فجور لا يُشْهَدُ به عليه ولا يَشْهَد، وهو يَعْمل في ذلك كله ما تُحمد عاقبتُه من الأعمال، ويَحْمِل منه ما يصلح له بالمآل المال[2]، وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال، ويستعيذ بالله من الإهمال، ويسأل الله أن يُمِدَّه بما يُحبُّ من الابتهال ولا يَمُدَّ له حَبْلَ الإمهال[3]، ويختم أميرُ المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والإحسان، ويحمد الله وهو من الخلق أحمَدُ وقد آتاه الله مُلْك سليمان، والله تعالى يُمتع أميرَ المؤمنين بما وهبه، ويملكه أقطار الأرض ويُورثه بعد العمر الطويل عَقِبَه، ولا يزال على أسِرَّةِ العلياء قُعُودُه، ولباس الخلافة به أبَّهة[4] الجلالة كأنه ما مات منصوره ولا أودى[5] مَهديُّه ولا ذهب رشيده.

المذهب الرابع

من البيعات التي يكتب للخلفاء أن تفتتح البيعة بالحمد لله، وهو الذي استقر عليه

---

(١) في صبح الأعشى: وفتى حق.

(٢) في صبح الأعشى ج٩ ص٣٣١: ما يصلح به الحال والمال.

(٣) جملة «ويسأل الله» ساقطة من صبح الأعشى.

(٤) في الأصل: أهبة.

(٥) في الأصل: ودي. وفي صبح الأعشى ردي

العمل في زماننا جرياً على طريقة متأخري كُتّاب الديار المصرية في كتابة عهود الخلفاء والملوك.

وهذه نسخة[1] بيعة أنشأتها

مرتبة على موت الخليفة[2] الذي قبله وهي:

الحمد لله الذي جعل الأمة المحمدية أبذخَ الأمم شَرَفاً، وأكرمها نِجَاراً وأفضلها سلفاً، وجعل رتبة الخلافة أعلى الرتب رتبة وأعزها كَنَفاً، وخصَّ الشجرة الطيبة من قريش بأن جعل منهم الأئمة الخُلَفا، وآثر(١٧٤ ب) الأُسرة العباسية منها بذلك، دعوةٌ سبقت من ابن عَمهم المصطفى، وحفظ بهم نظامها على الدوام فجعل ممن سَلَف منهم خَلَفاً.

نحمده على أن هيأ من مقدمات الرُّشد ما طاب الزمان به وصفاً، وجدد من رسوم الإمامة بخير إمام ما دَرَسَ منها وعفا، وأقام للمسلمين إماماً تأرَّجَ الجوُّ بنَشره فأصبح الوجود بِعَرْفه معترفاً.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص تمسَّك بعهدها فوفى، وأعطاها صفقة يده للمبايعة فلا يبغي عنها مَصْرِفاً، وأن محمداً عبده ورسوله الذي تدارك الله به العالم بعد أن أشْفَى فشفى، ونسختْ آيةُ دِينه الأديانَ وجلا بشرعته المنيرة من ظلمة الجهل سَدَفا، وجعل مُبايِعَهُ مبايعاً لله يأخذه بالنَّكْث ويوفِّيه أجرَ على الوفا، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وعترته الشُّرفا، ورضي الله عن أصحابه الذين ليس منهم من عاهد الله فغدر ولا وادّ في الله فجفا، خصوصاً من جاء بالصدق وصدّق به فكان له قرابة القربة وصفوةَ الصفا[3]، والمرجوع إليه في البيعة يوم السقيفة بعد ما اشرأبَّتْ نحوها نفوس كادت تذوب عليها أسفا، والقائم في قتال أهل الردة من بني حَنيفَة حتى استقاموا على الحنيفة السمحة حُنَفا، ومن استحال دلو الخلافة في يده غَرْباً فكان أشدّ[4] عبقري قائم بأمرها فكفى، وعمّت فتوحه الأمصار وحملت إليه أموالها فلم يمسكها إقتاراً ولم يبذر فيها سَرَفاً، ومن كان فضله لِسَهْم الاختيار من بين أصحاب الشورى هدفاً، وجمع الناسَ في القرآن على صحيفة واحدة وكانت قبل ذلك صُحُفاً، ومن سرى إليه سرُّ «أما تَرْضَى أن تكونَ مني بمنزلة هارون من موسى» فغدى يجر من ذيل الفَخار سُجُفا، واستولى على المكارم من كل جانب فحاز أطرافها طَرَفاً طَرَفا، وعلى سائر الخلفاء الراشدين بعدهم ممن سلك سبيل

---

(١) صبح الأعشى: ج٩ ص٣٠٨.

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف من قارىء نصها «خليفة من؟ هنا

(٣) في صبح الأعشى: قرابة وصفوة الصفا.

(٤) في صبح الأعشى: أفيد عبقري.

الحق ولطريق الهدى (١٧٥ أ) اقتفى، صلاة ورضوانا يذهبان الداء العضال من وخامة الغدر ويجلبان الشِّفا، ويرفعان قدر صاحبهما في الدنيا ويُبَوِّئان منتحلَهما من جنات النعيم غُرفاً.

أما بعد، فإن عَقْدَ الإمامة لمن يقوم بأمر الأمة واجب الإجماع، مستند لأقوى دليل تنقطع دون نقضه الأطماع، وتَنْبُو عن سماع ما يخالفه الأسماع، إذ العباد مجبولون على التباين والتغاير، مطبوعون على التخالف والتنافر[١]، مضطرون إلى التعاون والتجاور، مفتقرون إلى التعاضد، والتناصر، فلا بد من زعيم يمنعهم من التظالم، ويحملهم على التناصف في التداعي والتحاكم، ويقيم الحدود فتصان المحارم عن الانتهاك، وتحفظ الأنسابُ عن الاختلاط والاشتراك، ويحمى بيضة الإسلام فيمنع أن تطرق، ويصون الثغور أن يُتَوصَّل إليها أوْ يُتَطرّق، ليعزّ الإسلامُ داراً، ويطمئن المستخفي ليلاً ويأمنَ الساربُ نهاراً، ويذبّ عن الحُرَم فتُحترم، ويذود عن المنكرات فلا تُغْشَى بل تُصْطَلَم، ويجهِّز الجيوش فتنكأ العدوّ، ويغير على بلاد الكفر فيمنعهم القرارَ والهُدُوّ، ويرغم أنف الفئة الباغية ويقمعها، ويزجر[٢] الطائفة المبتدعة ويردعها، ويأخذ أموال بيت المال بحقها فيُطاوَع، ويصرفها إلى مستحقها فلا يُنازَع، لا جرم اعتُبر للقيام بها أكملُ الشروط وأتمّ الصفات، وأكرم الشيم وأحسن السِّمات.

وكان السيد الأعظم الإمام النبوي سليل الخلافة، وولى الإمامة، أبو فلان فلانٌ العباسيُّ ـ المتوكّلُ على الله مثلاً ـ أميرُ المؤمنين رضوان الله عليه وعلى آبائه الراشدين[٣]، هو الذي جمع شروطها فوفَّاها، وأحاط منها بصفات الكمال واستوفاها، ورامت به أدنى مراتبها فبلغت به إلى أغياها، وتسوَّر إلى معاليها فرقي إلى أعلاها، واتَّحدَ بها فكان معنى صورتهاومغناها. وكانت الإمامة قد تأيَّمت (١٧٥ ب) ممن يقوم بأعبائها، وعزت خُطّابُها لقلّة أكْفَائها، فلم تُلْف لها بعلاً تطلبه يكون لها قريناً، ولا كُفُواً تخطبه يكون لديها مكيناً، إلا الإمام الفلاني المُشار إليه، فدعت لخِطبتها وهي بنت[٤] عرسه ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٣] فأجاب خِطْبَتَهَا، ولبّى دعوتها، لتحقّقه رغبتها إليه، وعلمه بوجوب إجابتها عليه، إذ هو شبلها الناشيء بغابها، وغيثها المستمطَر من سحابها، بل هو أسدها الهصور، وقُطْب فكلها الذي عليه تدور، ومعقلها الأمنع الحصين، وعِقْدها الأنفس الثمين، وفارسها الأروع وليثها الشهير، وابن بجدتها الساقطة منه على الخبير، وتلادها

(١) في صبح الأعشى: مطبوعون على التحالف والتناصر.
(٢) في صبح الأعشى: ويدغم.
(٣) مكان هذه الجملة في صبح الأعشى: سلك الله تعالى به جدد آبائه الراشدين.
(٤) في صبح الأعشى: بيت عرسه.

العليم بأحوالها، والجدير بمعرفة أقوالها وأفعالها، وترجمانها المتكلم بلسانها، وعالمها المتفنن في أفنانها، وطبيبها العارف بطبها، ومنجدها الكاشف لكربها.

وحين بلغت من القصد سُولها، ونالت بالإجابة منه مأمولها، وحرم على غيره أن يَسُومَها لذلك تلويحاً، أو يعرج على خطبتها تعريضاً وتصريحاً، احتاجت إلى وليٍّ يوجب عقدها، وشهود تحفظ عهدها، فعندها قام السلطان الأعظم الملك الفلاني - بالألقاب السلطانية إلى آخرها - خلد الله سلطانه، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه، فانتصب لها وليّاً، وأقام يفكر في أمرها مليّاً، فلم يجد أحق بها منه فتجنبَ عَضْلَها، فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلاَّ لها، فجمع أهل الحلّ والعقد. المُعْتَزِينَ[1] للاعتبار والعارفين بالنقد، من القضاة والعلماء، والأمراء ووجوه الناس وأعيان الدولة والوزراء[2] وأهل الخير والصلحاء، وأرباب الرأي والنصحاء، فاستشارهم في ذلك فصوّبُوه، ولم يروا العدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه، فاستخار الله تعالى وبايعه، فتعبه أهل الاختيار فبايعوا، وانتهى ذلك إلى الكافة فتابعوا[3]، وانقادوا (١٧٦ أ) لحكمه وطاوعوا، فقابل عقدها بالقبول بمحضر من القضاة والشهود فلزمت، ومضى حكمها على الصحة وانبرمت، ولما تمّ عقدُها، وطلع بصبح اليُمن سعدُها، التمس المقام الشريف السلطانيّ الملكيّ الفلانيّ المشار إليه أعلى الله شرف سلطانه ورفع محلّه، وقرن بالتوفيق في كلّ أمر عَقده وحَلَّه، أن يناله عهدها الوفيّ، ويرد منها موردها الصفيّ، ليرفع بذلك عن أهل الدين حُجُباً، ويزداد من البيت النبوي قُرْباً، فتعرض لنفحاتها من مقرَّاتها، وتطلّب بركاتها من مَظَنَّاتها، ورغب إلى أمير المؤمنين، وابن عم سيد المرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، أن يجّدد له بعهد السلطنة الشريفة عَقْداً، ويأخذ له من أهل البيعة بذلك عهداً، ويستخلفهم على الوفاء لهما بما عاهدوا، والوقوف عندما بايعوا عليه وعاقدوا، ليقترن السعدان فيعم نَوْؤهما، ويجتمع النيران فيبهر ضوؤهما، [فلباه تلبية راغب، وأجابه إجابة مطلوب وإن كان هو الطالب] وعهد إليه في كل ما تقتضيه أحكام إمامته في الأمة عموماً وشيوعاً، وفوّض له حكم الممالك الإسلامية جميعاً، وجعل إليه أمر السلطنة المعظمة بكل نطاق، وألقى إليه مقاليدها وصرفه فيها على الإطلاق، وأقامه على الأمة بعهد الخلافة وصيّاً، وجعله للإمامة بتفويض الأمر إليه وليّا، ونشر عليه لواء الملك وقلده سيفه العضب، وألبسه الخلعة السوداء فابيض من سوادها وجه الشرق والغرْب، وكتب له بذلك عهداً كبت عدوّه، وزاد شرفه وضاعف سموّه، وطولب أهل البيعة بالتوثيق على البيعتين بالإيمان فأذعنوا، واستُخلفوا على الوفاء فبالغوا في الأيمان وأمعنوا، وأقسموا بالله جهد أيمانهم، بعد أن أشْهدوا الله عليهم في

(١) في الأصل: المعتبرين. والتصويب من صبح الأعشى.

(٢) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى.

(٣) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى.

إسرارهم وإعلانهم، وأعطوا المواثيق المغلظة المشدّدة، وحلفوا بالأيمان المؤكّدة المعقّدة، على أنهم إن أعرضوا (١٧٦ ب) عن ذلك وأدبروا، أو بدلوا فيه أو غيّروا، أو عرجوا عن سبيله أو حادوا، أو نقصوا منه أو زادوا، فكل منهم بريء من حول الله وقوته إلى حول نفسه وقوته، وخارج من ذمته الحصينة إلى ذمته، وكل امرأة في نكاحه أو يتزوجها في المستقبل فهي طالق ثلاثاً بتاتاً، وكلما راجعها فهي طالق طلاقاً لا يقتضي إقامته ولا ثباتاً، وكل مملوك في ملكه أو يملكه في المستقبل حر لاحق بأحرار المسلمين، وكل ما ملكه أو يملكه من جماد وحيوان صدقة على الفقراء والمساكين، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام، والوقوف بعرفة وسائر المشاعر العظام، مُحْرماً من دُويرة أهله ماشياً، حاسراً عن رأسه وإن كان به أذى حافياً، يأتي بذلك في ثلاثين حجة متتابعة على التمام، لا يُجزئه واحدة منها عن حجّة الإسلام، وإهداء مائة بدنة للبيت العتيق كل سنة على الدوام، وعليه صوم جميع الدهر إلاّ المنهى عنه من الأيام، وأن يفك ألف رقبة مؤمنة من أسر الكفر في كل عام، يمين كل منهم في ذلك على نيّة أمير المؤمنين، وسلطان المسلمين، في سره وجهره، وأوله وآخره، لا نيّةَ للحالف في ذلك في باطن الأمر ولا في ظاهره، لا يُورِّى في ذلك ولا يستثنى، ولا يتأول ولا يستفتى، ولا يسعى في نقضها، ولا يخالف فيها ولا في بعضها، متى جنح إلى شيء من ذلك كان آثماً، وما تقدم من تعقيد الأيمان له لازماً، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً، ولا يُجزئه عن ذلك كفّارة أصلاً، كل ذلك على أشد المذاهب بالتخصيص، وأبعدها عن التساهل والترخيص، وأمْضَوْها بيعة ميمونة، باليمن مبتدأة بالنُّجح مقرونة، وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من الأئمة الأعلام، والشهود والحكام، وجعلوا الله على ما يقولون وكيلاً، فاستحق عليهم (١٧٧ أ) الوفاء بقوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: الآية ٩١] وهم يرغبون إلى الله أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور، ويلجئون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: الآية ٤١] [إن شاء الله تعالى].

وهذه نسخة[1] بيعة أَنشأْتها أَيضاً على هذه الطريقة مرتبة على خلع. وهي:

الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة وأمناً، وأقام سور الإمامة وقاية للأنام وحصناً، وشدّ منها بالعصابة القرشيةِ أزراً وشاد منها بالعُصبة العباسية رُكْناً، وأغاث الخلق بإمام هُدىً حَسُنَ سيرةً وصفا سريرةً فراقَ صورةً ورقّ معنى، وجمع قلوبهم عليه فلم

(١) صبح الأعشى ج٩ ص ٣١٣.

يستنكف عن الانقياد إليه أعلى ولا أدنى، ونزع جلبابها عمن شغل قلبه[1] بغيرها فلم يعرها نظراً ولم يُصْغِ لها أذناً، وصرف وجهَها عمن أساءَ فيها تصرفاً فلم تَرْفع بها رأساً ولم يَغْمُرْ لها مَغْنى.

نحمده على نعم حلَتْ للنفوس حين حَلَّتْ [ومِنن جَلَت الخطوبَ حين جلّت] ومَسارَّ سرتْ إلى القلوبِ فَسَرَّتْ، ومبارَّ أَقَرتِ العيونَ فَقَرَّتْ، وعوارفَ أَمَّتِ الخليقةَ، فتوالت وما وَلَّتْ، وقدمِ صدقٍ ثبتت إن شاء الله في الخلافة فما تَزَلْزَلَتْ ولا زَلَّتْ.

ونشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا من دَرَكِ الشكوك كالِئَة، ولمهاوي الشُّبَهِ دارئة، وللمقاصد الجميلة حاوية، ولشُقّة الزيغ والارتياب طاوية، وأن محمداً عبده ورسوله الذي نصح للأمة إذا بلّغ فشفَى عَليلَها، وأوردها من مناهل الرَّشَدِ(١٧٧ ب) ما أطفأ وهَجَها وَبرّد غليلَها، وأوضح لهم مناهج الحق ودعاهم إليها، وأبان لهم سبل الهداية فـ ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: الآية ١٥] صلى الله عليه وعلى آله أئمة الخير وخير الأئمة، ورضي عن أصحابه أولياء العدل وعدول الأمة، صلاةً ورضواناً يعمان سائرهم، ويشملان أولهم وآخرهم، سيما الصديق الفائز بأعلا الرتبتين صدقاً وتصديقاً، والحائز قَصَبَ السبق في الفضيلتين علماً وتحقيقاً، ومَنْ عَدَل الأنصارُ إليه عن سعد بن عبادة بعد ما أجمعوا على تقديمه، وبادر المهاجرون إلى بيعته اعترافاً بتفضيله وتكريمه، والفاروق الشديد في الله بأساً والليِّن في الله جانباً، والمُوفِي للخلافة حقاً والمؤدي للإمامة واجباً، والقائم في نصرة الدين حقّ القيام حتى عمت فتوجّه الأمصار مشارقاً ومغارباً، وأطاعته العناصر الأربعة إذ كان لله طائعاً ومن الله خائفاً وإلى الله راغباً، وذي النُّورَيْنِ المعوَّل عليه من بين سائر أصحاب الشورى تنويهاً بقدره، والمخصوص بالاختيار تفخيماً لأمره، من حُصِر في بيته فلم يمنعه ذلك عن تلاوة كتاب الله وذكره، وشاهد سيوفَ قاتليه عِياناً فقابل فَتكَاتِها بجميل صبره، وأبي الحسن الذي أعرض عن الخلافة حين سُئلها، واستعفى منها بعدما اضطّر إليها وقبِلها، وكُشف له عن حقيقة الدنيا فما أَمَّ قِبلتّها بقلبه ولا وَلَّى وجهه قِبَلها، وصرّح بمقاطعتها بقوله: «يا صفراء غُرِّي غيري يا بيضاء غرى غيري». لمّا وصلها من وصلها، وسائر الخلفاء الراشدين بعدهم، الناهجين نَهْجهم والوارين وزْدَهم.

أما بعد، فإن للإمامة شروطاً يجب اعتبارها في الإمام، ولوازمَ لا يُغْتَفَرَ فواتُها في الابتداء ولا في الدوام، وأوصافاً يتعيَّنُ إعمالُها، وآداباً لا يَسَعُ إمالُها، من أهمها العدالة التي مِلاكها التقوى، (١٧٨ أ) وأساسها مراقبة الله تعالى في السر والنجوى، وبها تقع

---

(١) هذه الكلمة غير موجودة في صبح الأعشى.

الهيبة لصاحبها في القلوب فيُجَلّ، وتميل النفوس إليها فلا تُمَلّ، فهي الملَكة الداعية إلى ترك الكبائر واجتنابها، والزاجرةُ عن الإصرار على الصغائر وارتكابها، والباعثة على مخالفة النفس ونهيها عن الشهوات، والصارفةُ عن انتهاك حرمات الله التي هي أعظم الحرمات، والموجبة للتعفف عن المحارم، والحاملة عن تجنب الظُّلامات ورد المظالم. والشجاعة التي بها حماية البيضة والذَّبُّ عنها، والاستظهار بالغزو على نكاية الطائفة الكافرة والغض منها، والقوّة بالشَّوكة على تنفيذ الأوامر وإمضائها، وإقامةِ الحدود واستيفائها، ونشر كلمة الحق وإعلانها، ودحض كلمة الباطل وإخفائها، وقطع مادة الفساد وحسم أدوائها، والرأي المؤدِّي إلى السياسة وحسن التدبير، والمُغنى في كثير من الأماكن عن مزيد الجِدّ والتشمير، والمُعينُ في خُدَع الحرب ومكائده، والمُسعف في مصادر كل أمر وموارده.

هذا وقد جعلنا الله تعالى أُمة وسطاً، [ووعظنا بمن سلف من الأمم ممن تمرّد وعتا أو تجبّر وسطا] وعصم أُمتنا أن تجتمع على الضلال، وصان جمعنا عن الخطإ(١) في الفِعل والمقال، ونَدَبَنا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسوّغ لأئمتنا الاجتهاد في النوازل والأحكام فاجتهادهم لا يُخطر ولا ينكر(٢)، خصوصاً في شأن الإمامة التي هي آكد أسباب المعالم الدينية وأقواها، وأرفع المناصب الدنيوية وأعلاها، وأعز الرتب رتبة وأغلاها، وأحقها بالنظر في أمرها وأولاها. وكان القائم بأمر المسلمين الآن فلان بن فلان الفلاني ممن حاد عن الصراط المستقيم، وسلك غير النهج القويم، ومال عن سَنَنِ الخلفاء الراشدين فأدركه الزلل، وقارف المآثم فعاد بالخَلَل، فعاث في الأرض فساداً، وخالف الرُّشْدَ عِنَاداً، ومال (١٧٨ ب) إلى الغيّ اعتماداً وأسلم إلى الهوى قياداً، قد انتقل عن طور الخلافة، وعزيز الإنافة، إلى طور العامة فاتصف بصفاتهم، واتَّسم بسماتهم، فمُنْكَر يجب عليه إنكاره قد باشره، وصديق سَوْءٍ يتعين عليه إبعاده قد وازره وظاهره، إن سلك فسبيل التُّهمَة والارتياب، أو قصَدَ أمراً نَحَا فيه غيرَ الصواب، منهمك على شهواته، منعكف على لذاته، متشاغل عن أمر الأمة بأمر بنيه وبناته، الجبن رأس ماله، وعدم الرأي قرينه في أفعاله وأقواله، وظن أن السُّؤدَدَ في لُبْس السواد فمال إلى الحَيْف، وتوهم أن القاطعَ الغِمْدُ فَقَطَعَ النظر عن السيف.

ولما اطّلع الناس منه على هذه المنكَرات، وعَرَفوه بهذه السِّمات، وتحققوا فيه هذه الوَصَمات، رغبوا في استبداله، وأجمعوا على خلعه وزواله، فلَجَئوا إلى السلطان الأعظم الملك الفلاني ـ بالألقاب السلطانية إلى آخرها ـ نصر الله جنوده، وأسمى جدوده، وأرهف

(١) في صبح الأعشى: عن الخطل.

(٢) في صبح الأعشى: فاجتهادهم لا ينكر.

على عُداة الله حدودَه، ففوَّضوا أمرهم في ذلك إليه، وألقوا كَلَّهم عليه، فجمع أهل الحل والعقد منهم، ومن تَصْدُر إليهم الأمور وترد عنهم، فاستخاروا الله تعالى وخلعوه من ولايته، وخرجوا عن بيعته، وانسلخوا عن طاعته، وجرّدوه عن خلافته تجريد السيف من القِراب، وطوَوا حكم إمامته كَطَيِّ السِّجلِّ للكتاب، وعندما تم هذا الخَلْع، وانطوى حكمُه على البت والقطع، التمس الناس إماماً يقوم بأمور الإمامة فَيُوفِيها، ويجمع شروطها ويستوفيها، فلم يجدوا لها أهلاً، ولا بها أحق وأولى، وأوفى بها وأملى، من السيد الأعظم الإمام النبوي سليل الخلافة، ووليد الإمامة أبي فلان فلانٍ العباسي ـ الطائع لله مثلاً ـ أمير المؤمنين. (١٧٩ أ) لا زال شرفه باذخاً، وعرينه الشريف شامخاً، وعهد ولايته لعهد كل ولاية ناسخاً، فسامُوه بيعتها فلبّى، وشامُوا برق ولايته فأجاب وما تأبّى، علماً منه بأنها تعيّنت عليه، وانحصرت فيه فلم تجد أعلى منه فتعدِلَ إليه، إذ هو ابن بجدتها، وفارس نجدتها، ومُزيل غُمَّتها، وكاشف كُرْبتها، ومُجَلّي غَياهِبِها، ومُحْمِدُ عواقبها، ومُوضّح مذاهبها، وحاكمها المكين، بل رشيدها الأمين، فنهض المقامُ الشريفُ السلطاني الملكيّ الفلانيّ ـ المشار إليه ـ قَرَنَ الله مقاصدَه الشريفة بالنجاح، وأعماله الصالحة بالفلاح، وبدر إلى بيعته فبايع، وَائْتَمَّ به من حضر من أهل الحَلِّ والعقد فتابع، [وقابل عقدها بالقبول فمضى، ولزم حكمها فانقضى] واتصل ذلك بسائر الرعية فانقادوا، وعلموا صوابه فمشوا على سَنَنِهِ وما حادوا، وشاع ذلك في الأمصار، وطارت به مخلّقات البشائر إلى سائر الأقطار، فتعرّفوا منه اليُمن فسارعوا إلى امتثاله، وتحقّقوا صحة الأمر[(١)] وثباته بعد اضطرابه واعتلاله، واستعاذوا من نقص يصيبه بعد تمامه بهذا الخليفة وكماله، فعندها أبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصرها، وجميل وفائها وكريم مظهرها، وجادت بجزيل الامتنان وتَلاَ لسانُ كرمها الوفيّ على وليها الصادق ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: الآية ٦٠] فجدد له بالسلطنة الشريفة عهداً، وطوّق جيده بتفويضها إليه عقداً، وجعله وصيَّه في الدين، ووليَّه في أمر المسلمين، وقلّده أمر الممالك الإسلامية وألقى إليه مقاليدها، وملكه أزِمَّتها وحقَّق له مواعيدها، وعقد له لواءَها ونشر عليه أعلامها، وصرّفه فيها على الإطلاق وفوض إليه أحكامها، وألبسه الخلعةَ السوداءَ فكانت لسؤدده شعاراً، وأسبغ عليه رداءَها فكان له دثاراً، وكتب له العهدَ فسقى المَعاهِدَ صَوْبُ العِهاد، ولَهِجَ الأنامُ بذكره فاطمأنت (١٧٩ ب) العباد والبلاد، وعندما تم هذا الفصل، وتقرر هذا الأصل، وأمْسَتِ الرعايا بما آتاهم الله من فضله فرحين، وبنعمته مستبشرين، طولب أهل البيعة بما يحملهم على الوفاء، ويمنع بيعتهم من التكدر بعد الصفاء، من توثيق عَقْدِهَا بمؤكَّد أيمانها، والإقامة على الطاعة لخليفتها

(١) في صبح الأعشى: صحته وثباته.

وسلطانها، فبادروا إلى ذلك مسرعين، وإلى داعيه مُهطعين، وبالغوا في المواثيق وأكدوها، وشددوا في الأيمان وعقدوها، وأقسموا بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، عالِم خائنةِ الأعين وما تخفي الصدور في البدء والإعادة، على الوفاء لهما والموالاة، والنصح والمصافاة، والموافقة والمشايعة، والطاعة والمتابعة، يوالون من والاهما، ويعادون من عاداهما، لا يقعدون عن مناصرتهما عند مُلمّة، ولا يرقبون في عدوهما إلاً ولا ذمة، جارين في ذلك على الدوام والاستمرار، والثبوت واللزوم والاستقرار، على أن من بَدّل منهم من ذلك شرطاً أو أغفَى له رسماً، أو حاد عن طريقه أو غيّر له حكماً، أو سلك في ذلك غير سبيل الأمانة، أو استحل الغدرَ أو أضمر الخيانة، معلناً أو مُسِرًّا في كله أو بعضه، متأولا أو محتالاً لإبطاله أو نقضه، فقد بَرِيء من حول الله المتين وقوته الواقية، وركنه الشديد وذمته الوافية، إلى حول نفسه وقوته، وركنه وذمته، وكل امرأة في عصمته الآن أو يتزوجها مدةَ حياته طالق ثلاثاً بصريح لفظه لا يتوقف على نية، ولا يُفَرق فيه بين زَمن سُنَّة[1] ولا بدعة ولا رجعة فيه ولا مَثْنَوِيّة، وكل مملوك في مِلْكه أو يملكه في بقية عمره من ذكر أو أنثى حر من أحرار المسلمين، وكل ما هو على ملكه أو يملكه [في بقية عمره] إلى آخر أيامه من عَيْنٍ أو عَرض صدقةٌ للفقراء والمساكين، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجَّةً بثلاثين عُمْرةً(١٨٠ أ) راجلاً حافياً حاسراً، لا يقبل الله منه غير الوفاء بها باطناً ولا ظاهراً، وإهداء مائة بدنة في كل حَجَّة منها في عُسرته ويسرته، لا تُجْزِئهُ واحدة منها عن حَجَّة الإسلام وعمرته، وصومُ الدهر خلا المنهيّ عنه من أيام السَّنة، وصلاةُ ألف ركعة في كل ليلة لا يباح له دون أدائها غَمْض ولا سِنَة، لا يَقبل منه صرفاً ولا عدلاً، ولا يُؤْجَرُ على شيء من ذلك قولاً ولا فعلاً، متى وَرَّى في ذلك استثنى، أو تأوّل أو استفتى، كان الحِنْثُ عليه عائداً، وله إلى دار البوار قائداً، معتمداً في ذلك أشدَّ المذاهب في سرّه وعلانيته، على نية المستحْلف له دون نيته، وأمضوها ببعة محكمة المباني ثابتة القواعد، كريمة المساعي جميلةَ المقاصد، طيبةَ الجنىَ جميلةَ العوائد، قاطعة البراهين ظاهرة الشواهد، وأشهدوا على أنفسهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من قضاة الإسلام وعلمائه، وأئمة الدين وفقهائه، بعد أن أشهدوا الله عليهم، وكفى بالله شهيداً، وكفي به للخائنين خصيماً: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: الآية ١٠] والله [تعالى] يجعل انتقالهم من أدنى إلى أعلى، ومن يُسرى إلى يُمنى، ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعدَه الصادقَ بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

---

(١) في صبح الأعشى: بين سنة.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور: الآية ٥٥] إن شاء الله تعالى.

قلت: والذي استقر عليه الحال في كتابة بيعات الخلفاء بالديار المصرية الآن أن يتعاطى كتابةَ البيعة كُتَّابُ الحكم الذين هم موقعو قضاة القضاة، ولا إلمام لهم بصنعة (١٨٠ ب) الإنشاء، فإن وقعت العنايةُ بكتابة تلك البيعة أمر كاتبُ السرّ مَنْ له ملكةٌ في صنعة الإنشاء من رؤوس كتاب الديوان فأنشأ لها صَدْراً على طريقة كتاب الإنشاء، مفتتحاً بخطبة مشتملة على براعة استهلال تناسب المقام، وتدفع إلى من يتعاطى كتابة تلك البيعة من كُتَّاب الحكم فيصدِّر بها ما يكتبه، ثم تأتي عقب ذلك بصورة الحال الواقعة في البيعة سرداً ويشهد في آخرها.

وهذه نسخة بيعة الإمام الأَعظم
المعتضد بالله أَبي الفتح خليفة العصر

الموضوع له هذا الكتاب، وصدرها من إنشاء علامة العصر وإمام أهل الأدب الشيخ تقيّ الدين بن حجّة، مشيراً فيه إلى سلطانه القائم ببيعته الملكِ، المؤيدِ أبي النصر شيخ، مُلَوِّحاً بذكر شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين البلقيني وهي:

الحمد لله الذي شدّ عضد الأمة بمن أمسى به مُعْتضداً، وأسعفنا من البيت النبوي بخليفة ما برح شيخ الملوك في تقديم بيته الشريف مجتهداً، وأقام العلم العباسي بعد أبي مسلم بأبي النصر فأكرم حسن الختام وحسن الابتداء، فله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، ونكرر حمده على سلطان مؤيّد تحفّ به العلماء الأعلام، وظهر لجلالهم في أيامه الزاهرة بهجة فقال مُوَرِّياً: هذا زمان مشايخ الإسلام نحمده على حكمته التي اقتضت أن تكون الخلافة عمدة لأحكام يزول بها الالتباس، وهو القائل ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [ص: الآية ٢٦] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القادر الذي أطلع بدور الخلافة كاملة (١٨١ أ) في المطالع الهاشمية، وبلَّ ظمأ الإسلام لسقايتها العباسية، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي يجب تقديم آل بيته في إيضاح كل أمر وإشكاله، فصَلَّى الله عليه وعلى آله، صلاةً يصلُ بها الحقُّ إلى أربابه، وينتظم شمل أبي الفتح بأبي النصر في ذهاب كل منهما وإيابه، ما تراعت في مدائحه النظائر، ومُلئت بالبديع بطون الدفاتر[(١)].

(١٨٢ أ) تنبيه ـ قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب «القلم والدواة» أنه كان

---

(١) ترك في الأصل بياض قدره صفحتان ونصف ولعل المؤلف كان يريد إثبات البيعة في هذا الفراغ ثم نسي أن يكتبه.

يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار، والطومار هو: الفرخة الورق الكاملة، والمراد الورق البغدادي، فإن الخلافة ببغداد كانت. وحينئذ فكانت البيعات تُكتب في قطع الثلثين المذكور، والذي يظهر أن ذلك كان في أول أمرهم، وأنه بعد ذلك كان يكتب لهم في قطع البغدادي الكامل، أما الآن فالذي استقر عليه الحال فيما يكتب فيه بيعات الخلفاء من بني العباس بالديار المصرية[(١)].

الفصل الثاني

(١٨٢ ب) من الباب الثالث فيما يكتب للخلفاء من العهود، وهي ما يكتب لمن يقوم بالخلافة بعهد من الخليفة قبله، بالشروط المعتبرة في ذلك، على ما تقدم ذكره في الكلام على الطرق التي تنعقد بها الإمامة في الباب الأول من الكتاب، وقد تقدم هناك أن الصدّيق رضي الله عنه عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب له بها عهداً بخطّ عثمان بن عفان رضي الله عنه، وللكُتّاب في كتابة عهود الخلفاء للخلفاء مذهبان.

المذهب الأوَّل

أن يفْتتح العهد بلفظ: هذا ما عهد فلان لفلان. أو: هذا عهد فلان لفلان. أو: هذا كتاب كتبه[(٢)] فلان لفلان. وما أشبه ذلك، ثم يُوتى بوصف الخليفة والتنبيه على وجه استحقاقه الموجب لتقدمه على غيره، ثم يُذكر تفويض الخلافة إليه بعد العاهد، ويؤتى من وصيّته بما يناسب المقام، مقتصراً في ذلك على الإشارة والتلويح، غير مصرح فيه بلفظ الأمر، كما يقال في عهود الملوك: أمره بكذا. وأمره بكذا، على ما سيأتي في ذكر عهودهم للملوك، تعظيماً لشأن ولي العهد بالخلافة، وتشريفاً لمقامه عن أن يكون مأموراً، وعلى هذه الطريقة كانت عهود الخلفاء من السلف رضوان الله عليهم، وعلى نهجها مشى أفاضلُ الكتاب المعتبرين بديوان الخلافة في العراق، واختاره أفاضل الكتاب من المتأخرين بالديار المصرية، وصرحوا باختياره في مُصنَّفاتهم. والأصل في ذلك ما رُوي أن الصديق رضي الله عنه كتب في (١٨٣ أ) عهده بالخلافة لأمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه بخطّ عثمان بن عفان ونسخته[(٣)]: هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، آخر عَهده

---

(١) كذا نقص بالأصل وانظر صبح الأعشى ج٩ ص٣٣٢ عن قطع الورق والجزء السادس أيضاً من صبح الأعشى ص١٨٩ وص ١٩٠ في بيان مقادير قطع الورق المستعمل في زماننا وفيه ثلاث جمل. . . .

(٢) في صبح الأعشى ج٩ ص٣٥٨: أو هذا كتاب اكتتبه فلان لفلان.

(٣) في صبح الأعشى ج٩ ٣٥٩: ونسخته - فيما رواه البيهقي في «السنن» واقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في «حسن التوسل».

بالدنيا، وأوّلَ عهده بالآخرة، إني استخلفت عليكم عمرَ بنَ الخطاب، فإن برَّ وعدل فذلك ظني به، وإن بدَّل أو غيَّر فلا علم لي بالغيب، والخيرَ أردتُ بكم، ولكل امرىء ما اكتسب من الإثم[1] ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٧].

ثم تصّرفوا فيه بعد ذلك بالزيادة وبسط القول.

وعلى هذا الأسلوب

كتب سليمانُ بنُ عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بني أُمية عهدَه لعمرَ بنِ عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك بن مروان[2] بعده.

وهذه نسخته[3]

فيما ذكره ابن قتيبة في «تاريخه»[4].

هذا ما عهِد عبدُ الله سليمانُ بنُ عبد الملك أميرُ المؤمنين وخليفةُ المسلمين، عهد أنه يَشهد لله عز وجل بالربوبية والوحدانية، وأم محمداً عبده ورسوله ﷺ، بعثه إلى محسنى عبادة بشيراً، وإلى مذنبيهم نذيراً، وأن الجنة والنار مخلوقتان حق[5]، خلق الجنة رحمة وجزاء لمن أطاعه، والنار نقمة وجزاء لمن عصاه، وأوجب العفو جوداً وكرماً لمن عفى عنه، وأن سليمان مقرٌّ على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه، ومما تعلمه نفسه من معصية ربه، موجباً على نفسه استحقاق ما خلق من النقمة، راجياً لنفسه ما خلق من الرحمة، ووعد من العفو والمغفرة، وأن المقادير كلَّها خيرها وشرها مقدورة بإرادته، مُتكوِّنة[6] بتكوينه، وأنه الهادي فلا مُغْوِيَ ولا مُضلَّ لمن هداه (١٨٣ ب) وخلقه لرحمته، وأنه الفاتن فلا هادي ولا مرشد لمن فتنه وخلقه لنقمته[7]، وأنه يفتن المؤمن[8] في قبره بالسؤال عن دينه ونبيه الذي أرسل إلى أمته، لا مَنْجَى لمن خرج من الدنيا إلى الآخرة من هذه المسألة إلاَّ لمن استثناه عز وجل في علمه. وسليمانُ يسأل الله الكريم بواسع فضله، وعظيم مَنِّه، الثباتَ على ما أسرَّ وأعلن، من معرفة حقه وحقِّ نبيه عند مسألة رسله، والنجاةَ من هولِ فتنةِ

---

(١) أصلها قوله تعالى «لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم» سورة النور الآية ١١.

(٢) في الأصل: ثم يزيد بن معاوية بن يزيد بعده. والتصويب من صبح الأعشى ٩/ ٣٦٠ ومما تقدم من المؤلف في ترتيبه ج١ ص١٤١ و ١٤٥ وما جاء في العهد صواباً.

(٣) صبح الأعشى ج٩ ص٣٦٠.

(٤) في صبح الأعشى. في تاريخ الخلفاء.

(٥) في صبح الأعشى: حقاً.

(٦) في صبح الأعشى: مكونة.

(٧) جملة «وأنه الفاتن. . .» لا توجد في صبح الأعشى.

(٨) في صبح الأعشى: الميت.

فتَّانِيه. ويشهد أن الميزان يوم القيامة حقٌّ يقين، يزن سيئاتِ المُسيئين وحسنات المحسنين، ليُرِيَ عبادَه من عظيم قُدرته ما أراد من تَعَبُّدَه[١] لعباده بما لم يكونوا يحتسبونه، وأن من ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفَّت موازينه يومئذ فأولئك هم الخاسرون، وأن حوض محمدٍ رسولِ الله ﷺ يوم الحشر[٢] والموقف للعرض حق، وأن عدد آنيته كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبداً، وسليمانُ يسأل الله بواسع[٣] رحمته أن لا يرده عن حوض نبيه عطشان[٤]، وأن أبا بكر وعمر خيرُ هذه الأمة بعد نبيها[٥]، والله يعلم بعدهما حيثُ الخير وفيمن الخير من هذه الأمة، وأن هذه الشهادة كلّها المذكورة في عهده هذا يعلمها الله من سره وإعلانه وعقد ضميره، وأنه[٦] بها عَبَدَ ربّه في سالف أيامه وماضي عمره، وعليها أتاه يقينُ ربه، وتوفّاه أجله، وعليها يُبعث بعد موته إن شاء الله، وأن سليمان كان له بين هذه الشهادة بلاَيا وسيّئاتٌ لم يكن له عنها محيد ولا بدّ، جرى بها عليه المقدورُ ـ من الربِّ ـ النافذُ إلى إتمام ما حَدّ، فإن يَعْفُ ويصفحْ فذاك ما عُرِف منه قديماً، ونُسب إليه حديثاً، وتلك صفتُه التي وصف بها نفسه في كتابه الصادق، وكلامه الناطق، وإنْ يُعاقبْ وينتقمْ فَبِما قدَّمت يداه وما الله بظلاّم للعبيد. وأن سليمان يُحرِّجُ على من قرأ عهده هذا وسمع ما فيه من حِكَمِه[٧] أن ينتهي إليه من أمره ونهيه، بالله العظيم ومحمد رسوله(١٨٤ أ) الكريم (و) أن يدع الإِحَنَ المُضْغَنة، ويأخذ بالمكارم المُدْجَنة، ويرفع يديه إلى الله بالضمير النَّصوح، والدعاء الصحيح، والصَّفْح الصريح، يسأله العفْوَ عنّي، والمغفرة لي، والنجاة من فزعي والمسألةِ في قبري، لعلّ الوَدُود أن يجعل منكم مُجابَ الدعوة بما مَنَّ عليَّ من صَفْحه يعود إن شاء الله. وأن وليّ عهد سليمانَ بنِ عبد الملك أمير المؤمنين، وصاحبَ أمره بعد موته، في جنده ورعيته، وخاصته وعامته، وكلٌ من استولاني[٨] الله عليه، واسترعاني في النظرِ[٩] فيه، الرجلُ الصالحُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ ابنَ عمي، لما بَلَوْتُ من باطن أمره وظاهره، ورجوتُ الله بذلك ورِضاه[١٠] ورحمته إن شاء الله، ثم من بعده يُسَلِّم إلى يزيدَ بنِ عبد الملك بن مروان إن بقي بعده، فإني ما رأيت منه إلاَّ خَيراً، ولا اطّلعت له مكروهاً[١١]. وصغارُ ولدي وكبارُهم إلى عمرَ إذ رجوت أن لا يألُوَهم رَشَداً

(١) سقطت كلمة «تعبده» من صبح الأعشى وأضاف المحققون بدلها كلمة «الخير».
(٢) في صبح الأعشى: المحشر.
(٣) في الأصل: بوسع.
(٤) في الأصل: عطشاً.
(٥) في صبح الأعشى: نبينا.
(٦) في الأصل وأن بها.
(٧) في صبح الأعشى: حكمة.
(٨) في صبح الأعشى: من استخلفني.
(٩) في صبح الأعشى: واسترعاني النظر.
(١٠) أضاف محققو صبح الأعشى ص٣٦٢ كلمة فصارت الجملة: ورجوت الله بذلك [وأردت] رضاه.
(١١) في صبح الأعشى: على مكروه.

وصَلاَحاً، والله خليفتي عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين، وهو أرحم الراحمين، وأقِرُّوا لعهدي[1]، عليكم السلام ورحمة الله. ومن أبي من أمري[2] هذا، أو خالف عهدي هذا ـ وأرجو أن لا يخالفه أحد من أمة محمدٍ ـ فهو ضالٌ مُضِلٌ مُسْتَعْتَبٌ، فإن أعْتَبَ[3] وإلا فإني لمن خالف عهدي فيهم بالسيفِ السيفِ والقتلِ القتلِ[4]، فإنهم مستوجبون لهما، وهم لهيبته مُلْقِحون، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان.

وعلى هذا

كتب المأمونُ بخطِّه عهدَ عليّ بن موسى العلويّ، المعروفِ بالرِّضي[5]، بالخلافة بعدَه.

وهذه نسخته[6]

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارونَ الرشيدِ أميرُ المؤمنين بيده، (١٤ ب) لعليّ بن موسى بنِ جعفرٍ وليّ عهده.

أما بعد، فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام ديناً، واصطفى له من عباده رسلاً دالِّين عليه، وهادين إليه، يبشر أوَّلُهُم بآخرهم، ويصدِّق تاليهم ماضِيَهم، حتى انتهت نبوَّةُ الله إلى محمد ﷺ على فَتْرَةٍ من الرسل، ودُرُوس من العلم، وانقطاعٍ من الوَحْي، واقترابٍ من الساعة، فختم الله به النبيّين، وجعله شاهداً لهم، ومُهيمناً عليهم، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فُصِّلَت: الآية ٤٢] بما[7] أحل وحرم، ووعد وأوعد، وحذّر وأنذر وأمر به ونهى عنه، لتكون له الحجة البالغة على خلقه و﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الانفال، الآية ٤٢] فبلّغ عن الله رسالَتَه، ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد والغِلْظة، حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده صلى الله عليه، فما انقضت النبوَّة، وخَتَم الله بمحمد ﷺ الوَحْيَ والرِّسالة، جعل

---

(١) في صبح الأعشى: واقرءوا عهدي.
(٢) في صبح الأعشى: ومن أبى امرىء.
(٣) مستعتب مطلوب استرضاؤه فأن أعتب اي أجاب إلى الرضا وترك ما كان يغضب عليه لأجله.
(٤) في الامامة والسياسة وإلا فالسيف والله المستعان.
(٥) ضبط في صبح الأعشى الرضى على وزن تقي كذلك فيما جاء في العهد ولكن ضبط الأصل في آخر العهد يؤثر ما ضبطنا وفي ابن خلكان ترجمة علي بن موسى كتب على الرضا وهذا يؤيد ما ضبطته.
(٦) في صبح الأعشى ص٣٦٢: وهذه نسخته فيما ذكر صاحب العقد.
(٧) في الأصل بما حل وحرم. وفي صبح الأعشى فأحل وحرم.

له قِوَام الدين ونظامَ أمر المسلمين، بالخلافة وإتمامها وعزِّها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي بها تُقامُ فُرائضُ الله وحُدُوده، وشرائع الإسلام وسُنَنه ويُجَاهَدُ بها عَدُوُّه، فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعةُ خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حقِّ الله وعدله، وأمْن السُّبُلِ وحَقْنِ الدماء، وصَلاَحِ ذاتِ البَيْنِ، وجمع الأُلْفة، وفي إخْلالِ ذلك اضطرابُ حَبْلِ المسلمين واختلالُهم واختلافُ مِلَّتهم وقَهرُ دينهم، واستعلاءُ عدوِّهم، وتفرُّقُ الكلمة، وخَسَرَاتُ[1] الدنيا والآخرة.

فحقّ على من استخلفه الله في أرضه، وائتمنه على خلقه، أن يؤثر ما فيه رِضَى الله وطاعته، ويُقِرَّ لما[2] الله (١٨٥ أ) وَاقِفُهُ عليه وسائِلُهُ عنه، ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمَّله الله وقلَّده، فإن الله عز وجلّ يقول لنبيه داود عليه السلام ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: الآية ٢٦] وقال عز وجل ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: الآيتان ٩٢ - ٩٣] وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: لو ضاعت سَخْلة بجانب الفُرات لتخوَّفت أن يسألني الله عنها، وأيم الله إن المسئول عن خاصَّة نفسه، الموقوفَ على عمله، فيما بين الله وبينه، متعرِّض لأمرٍ[3] كبير، وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسئول عن رعاية الأمة، وبالله الثِّقة، وإليه المَفْزَعُ والرغبةُ في التوفيق مع العصمة، والتسديد والهدايةِ إلى ما فيه ثُبوت الحُجَّة، والفوزُ من الله بالرضوان والرحمة. وأنظر الأئمة لنفسه، وأنصحُهم لله في دينه وعباده وخلافته في أرضه، مَنْ عمل بطاعة الله وكتابه وسنّة نبيه عليه السلام في مُدَّة أيّامه، واجتهد وأجهد رأيه ونظره فيمن يُولِّيه عهده، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، ويَنْصِبُه عَلَماً لهم، ومفزعاً في جميع أُلْفَتهم، ولَمِّ شَعَثهم، وحَقْنِ دمائهم، والأمنِ بإذن الله من فرقتهم، وفساد ذات بينهم واختلافهم، ورَفْعِ نَزْغ الشيطان وكَيْدِه عنهم، فإن الله عز وجل جعل العهْدَ بالخلافة[4] من تمام أمر الإسلام وكماله، وعزّه وصلاح أهله، وألهم خلفاءه من تَوكيده[5] لمن يختارونه له من بعدهم ما عَظُمت به النعمة، وشَمِلَت فيه العافية، ونقض الله بذلك مَرَّ[6] أهلِ الشقاق والعداوةِ والسعْيِ في الفرقة والرَّفْضِ[7] للفتنة، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه

(١) في صبح الأعشى: وخسران الدنيا والآخرة.

(٢) في صبح الأعشى: ويعد[ل] فيما الله.

(٣) في الأصل: متعرض أمر كبير.

(٤) في الأصل: «جعل العهد بعد الخلافة» والتصويب من صبح الأعشى ج٩ ص٣٦٤.

(٥) في صبح الأعشى: من توسيده.

(٦) المر: الحبل.

(٧) الرفض أن يطرد الرجل غنمه وإبله إلى حيث يهوي فإذا بلغت تركها ولها عنها.

الخلافة فاختبر بشاعَة مذاقها وثِقَلَ مَحْمَلِها، وشدَّة مُؤنَتِها (١٨٥ ب) وما يجب عليه من تقلُّدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمَّله منها، فأنْصَبَ بَدَنَه، وأسهر عينه، وأطال فكره، فيما فيه عزُّ الدين، وقَمْعُ المشركين، وصلاح الأمة، ونشْرُ العدل، وإقامةُ الكتابُ والسُّنَّة، ومنعه ذلك من الخفض[١] والدعة، مُهَنَّأ العيش، علماً بما الله سائلُه عنه، وحرْصاً[٢] أن يلقى الله مُناصِحَهُ في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده، ورعاية الأمَّة من بعده، أفضلَ مَنْ يَقْدر عليه في دينه وَوَرَعِهِ وعلمه، وأرْجَاهُمْ للقيام بأمر الله وحقِّه، مناجياً الله بالاستخارة في ذلك ومسألَته[٣] إلهامَه ما فيه رضاه وطاعَتُه في ليله ونهاره، ومُعْمِلاً في طلبه والتماسه من أهل بيتِهِ من وَلَدِ عبدِ الله بن العباس وعليِّ بن أبي طالب فِكْره ونظره، مقتصراً ممن[٤] علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة عمَّن خفي عليه أمْرُه جُهْدَهُ وطاقَتَهُ، حتى استقصى أمورهم بمعرفته، وابتلى أخبارهم مشاهَدَةً، وكشف ما عندهم مُسَائلةً، فكانت خِيرَتُه ـ بعدا ستخارته لله وإجْهاده[٥] نفسَه في قضاء حقه وبلاده من البَيْتَيْن جميعاً ـ عليَّ بنَ موسى بنِ جعفر بنِ محمد بنِ عليِّ بنِ الحُسين بنِ عليِّ بن أبي طالب، لَمَّا رأى فَضْلَه البارع، وعمله الناصع، وورعه الظاهر وزهده الخالص، وتخلِّيَه من الدنيا، وتسلُّمَهُ من الناس، وقد استبان له ما لم تَزل الأخبارُ عليه مُتَوَاطِئة، والألسنُ عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، ولِمَا لم يَزَلْ يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً وحَدَثاً ومُكْتَهِلاً فعقد له بالعهد بالخلافة[٦]، إيثاراً لله والدين ونظراً للمسلمين وطلباً للسلامةِ وثباتِ الحُجَّة والنجاة في اليوم الذي يقوم فيه الناس لربِّ العالمين، ودعا أميرُ المؤمنين وَلَده وأهلَ بيته وخاصَّتَه وقُوَّاده وخَدَمه فبايعوه مسارعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين (١٨٦ أ) طاعَةَ الله على الهوى في ولده وغيرِهم ممن هو أشْبَكُ به رَحِماً وأقربُ قرابةً، وسمَّاهُ الرِّضَي، إذا كان رضيَّ عند أمير المؤمنين. فبايعُوا معشرَ أهل بيت أمير المؤمنين ومَنْ بالمدينة المحروسة من قُوَّاده وجنده وعامَّة المسلمين الرِّضَى من بعده، على اسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه وعباده، بيعةً مبسوطة إليها أيديكم، منشرحة لها صدورُكم، عالمين بما أراد أميرُ المؤمنين بها، وآثر طاعةَ الله والنظرَ لنفسه ولكم فيها، شاكرين لله على ما ألهم[٧] أميرَ المؤمنين من قضاء حقّه في رعايتكم، وحِرْصِهِ على رشده وصلاحكم، راجين عائِدَته[٨] في

---

(١) في الأصل: «من الغض والدعة» والتصويب من صبح الأعشى ج٩ ص٣٦٥.

(٢) في صبح الأعشى: ومحبة. (٣) في صبح الأعشى: ويساله.

(٤) في صبح الأعشى: فيمن.

(٥) في الأصل: «واجتهاده» والتصويب من صبح الأعشى.

(٦) في صبح الأعشى. فعقد له بالعقد والخلافة.

(٧) في صبح الأعشى ٣٦٦ ج٩ على ما ألهم أمير المؤمنين من نصاحته في رعايتكم.

(٨) العائدة: المعروف والعطف.

ذلك في جَمْعِ ألفتكم، وحقن دمائكم، ولَمِّ شعثكم، وسدِّ ثغوركم وقُوَّةِ دينكم، ورغْمِ عَدُوِّكم، واستقامةِ أموركم. وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين، فإن الأمرَ[1] إنْ سارعتم إليه، وحمِدْتم الله عليه، عرفتم الحَظَّ فيه إن شاءَ الله.

وكَتَبَ بيده يوم الاثنين لسبْعٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

ثم إنه تقدم إلى عليّ بن موسى وقال له: اكتُبْ خطك بقبول هذا العهد وأشهِدِ الله والحاضرين عليك بما تَعِدُه في حق الله ورعاية المسلمين.

فكتب عليٌّ الرِّضَى[2] تحته

الحمد لله الفعَّال لما يشاءُ، لا مُعَقِّب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وصلواته على نبيه محمدٍ خاتَم النبيين، وآله الطيبين الطاهرين، أقول - وأنا علي بنُ موسى بن جعفر -: إن أمير المؤمنين - عضَّده الله بالسداد. ورَفَعه[3] بالرشاد - عَرَف من حقِّنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قُطعت، وأمَّن أنفسنا فَزِعَتْ، بل أحياها وقد تَلِفَت، وأغناها إذا افتقرت، مُتَتَبِّعاً رِضَى رَبِّ العالمين، لا يريد جزاء من غيره، وسيجزي الله الشاكرين (١٨٦ ب) ولا يُضيع أجر المحسنين، وإنه جعل إليَّ عَهدَه، والإمرَة الكُبرى إنْ بَقِيتُ بعده، فمن حلَّ عُقدةً أمر الله بشدِّها، أو فَصَم عُرْوَةً أحبَّ الله إيثاقها، فقد أباح حَريمه، وأحل مُحَرَّمه، إذ كان بذلك زَارِياً على الإمام[4] منتهكاً حرمة الإسلام، بذلك جَرَى السالفُ فصبر منه على الفَلَتَات، ولم يُعْتَرَضْ بعدها على العَزَمات، خوفاً على شَتَات الدِّين، واضطراب حبل المسلمين، ولقُرْب أمر الجاهلية، ورَصْدِ فُرصةٍ تُنتَهز، وبائقَةٍ[5] تُبْتَدَرْ، وقد جعلتُ الله تعالى على نفسي - إنْ استرعاني على المسلمين، وقلدني خلافته - العَمَلَ فيهم عامة، وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصّة، بطاعته وسُنَّةِ رسوله ﷺ، أن لا أسفك دماً حراماً، ولا أبيح فَرْجاً ولا مالاً إلا ما سفكه حُدودُه، وأباحته فرائضه، وأن أتخيَّر الكُفاة جُهْدِي وطاقتي. جعلت بذلك على نفسي عهداً مُؤَكَّداً يَسْألني عنه فإنه عز وجل يقول ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٤] فإن حُدْتُ[6] أو غيرت أو بدلت كنت للغِيرَ مستحقًّا، وللنكال متعرّضاً، وأعوذ بالله من سَخَطه، وإليه أرغب في

---

(١) في صبح الأعشى: فإنه الأمر.

(٢) صبح الأعشى ج٩ ص٣٩١ وضبط الرضى على وزن تَقِيّ.

(٣) في صبح الأعشى: ورفعه.

(٤) في الأصل: «الأنام» والتصويب من صبح الأعشى.

(٥) في صبح الأعشى وباقية.

(٦) في صبح الأعشى فإن أحدثت أو غيرت.

التوفيق لطاعته، والحَوْل، بيني وبين معصيته في عافية، والجَامعةُ والحَصْرُ يدُلاَّن على ضد ذلك[1] ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: الآية ٩] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٧] لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه، والله يعصمني وإياه، وأشهدت الله نفسي بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية ٧٩] .

وكتبتُ بخطي بحضرة أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ والفضلِ بنِ سَهْلِ بن الفضل، ويحيى بن أكْثَم، والبِشْرِ بن[2] المُعْتَمِر، وحمّادِ بنِ النُّعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

ثم كتب فيه من حَضَرَ من هؤلاء، وهذه صورة كتابتهم فيه:

فكتب الفضل بن (١٨٧ أ) سهل وزيرُ المأمون ما صورته:

رسم أميرُ المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب: ظهرِه وبطنه، بِحَرَم سيدنا رسول الله ﷺ، بين الروضة والمنبر، على رؤوس الأشهاد، ومَرأىً ومَسْمَع[3] من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد، وهو يسأل الله أن يعرِّف أميرَ المؤمنين وكافَةَ المسلمين بركةَ هذا العهد والميثاق، بما أوجب أميرُ المؤمنين الحجّةَ به على جميع المسلمين، وأبطل الشبهة التي كانت اعترضت آراءَ الجاهلين ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٩] .

وكتبَ الفضلُ بنُ سهلٍ في التاريخ المعيَّن فيه.

وكتب عبدُ الله بنُ طاهرٍ ما صورته:

أثبتَ شهادَتَه فيه بتاريخه عبدُ الله بن طاهر بن الحُسَين.

وكتب يحيى بنُ أكثم القاضي ما صورته:

شهد يحيى بنُ أكثم على مضمون هذه الصحيفة ظهرِها وبطنِها. وكتَبَ بخطه بالتاريخ.

وكتب حماد بن النعمان ما صورته.

شهد حمّاد بن النُّعمان بمضمونه ظهره وبطنه، وكتب بيد بتاريخه.

---

(١) جملة: في عافية والجامعة والحصر يدلان على ضد ذلك» وبالهامش ما يأتي: «ثبتت هذه العبارة في الأصل وعليها علامة التوقف. ولم نعثر عليها في غير هذا الكتاب فتأمل» هذا والجامعة من معانيها العلاقة. والحصر: الاستيعاب. ويريد أن العلاقة بينه وبين أسرته والخليفة واستيعاب أموره يدلان على ضد المعصية التي يطلب من الله أن يحول بينه وبينها في عاقبة.

(٢) في صبح الأعشى: بشر.

(٣) في الأصل ومرأ وسمع والتصويب من صبح الأعشى ج٩ ص٣٩٣.

وكتب بشر بن المعتمر ما صورته:

شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وكتب [بخطه] بالتاريخ.

المذهب الثاني

في العهود التي تكتب للخلفاء أن يفتتح العهد بالحمد لله.

قلت: وعليه العمل في زماننا مع الاقتصار على تحميدة واحدة والاختصار(١٨٧ ب) في القول.

وعلى ذلك

كُتب عن أمير المؤمنين المستكفي بالله أبي الربيع سليمانَ لولده المستوثق بالله بَرَكةً[(١)].

وهذه نسخته

الحمدُ لله الذي أيَّد الخلافة العباسية بأجلِّ والد وأبَرِّ ولد، وجعلها كلمةً باقية بالسَّنَد والسَّنَد فالسَّندَ، وآواها من إمرتهم إلى الكهف[(٢)] فالكهف وإن تناهى العَدَد، وزان عِطْفَها بسُؤْدَد سَواد شعارِهم المُسَّجلةِ أنواره[(٣)]، ولا شك أن النُور في السواد، وعَذَقَ بصولتهم النبويِّ معُجِزُها كُلَّ مُنَآد[(٤)]. نحمده على مامنَّ به من تمام النعمة فيهم، ونزول الرحمة ببواقيهم[(٥)] ونشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادةً محضةَ الإخلاص، كافلاً محضُها بالفَكاك من أسْرِ الشِّرْك والخَلاص، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بما أوضح سُبُل الرَّشاد، وقَمَع أهلَ العناد، والشفيع المُشفَّع يوم التَّناد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً لا انقضاء لها ولا نفاذ، وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد فإن أمير المؤمنين ـ ويذكر اسمه ـ يعتصم بالله في كل ما يأتي ويذَر، مما جعل له من التفويض، ويُشير إلى الصواب في كل تصريح منه وتعريض، وإنه ـ شدّ الله أزرَه

---

(١) في صبح الأعشى ج٩ ص٣٨٩ المستوثق بالله بركة بالخلافة بعده وهذه نسخته.

(٢) في صبح الأعشى: في عقبه والسند كالسند وأواهم من أمرهم...

(٣) في صبح الأعشى: أنوارهم.

(٤) الجملة أيضاً في صبح الأعشى وكتب مناد بتشديد الدال. وفي مخطوطنا متاد. وعلق في هامش صبح الأعشى على كلمة عدق (لعلها قدع أي كف). هذا وعدق يده أدخلها في نواحي البئر ونحوها كأنه يطلب شيئاً. أما عذق فهي من عذقه به رماه به ووسمه به ومع كلمة عذق يستقيم المعنى وستأتي الكلمة أيضاً وتؤدي هذا المعنى.

(٥) في صبح الأعشى: بتوافيهم.

وعظَّم قدره ـ استخار الله سبحانه وتعالى في الوصيّة بما جعله الله له من الخلافة المعظَّمة المفخمة الموروثة عن الآباء والجدود، المُلْقاةِ إليه مقاليدُها كما نص عليه ابنُ عمّ ﷺ في الوالد من قُرَيْش والمؤلُود، لِولَدِه السيِّدِ الأجلِّ المعظم المكرم فلان، سليل الخلافةِ وشِبْلِ غابها، ونُخْبةِ أحسابها وأنسابها، (١٨٨ أ) أجلَّه الله وشرَّفه، وجمَّل به عِطْف الإمامة وَفَوَّفَه، لِما تَلمَّحه فيه من النجابة اللائحة على شمائله، وظهر من مُسْتَوثَقِ إبداء سِرِّه فيه بدلائل بُرهانه وبُرهان دلائله، وأشهدَ على نفسه الكريمة ـ صانها الله تعالى ـ سيدُنا ومولانا أميرُ المؤمنين مَنْ حضر من حكام المسلمين: قُضاةِ قضاتهم وعلمائهم وعُدولهم مجلِسَه الشريف أنه رضي أن يكون الأمرُ في الخلافة المعظمة ـ الذي جعله الله له الآن ـ لولده السيد الأجل فلان بعد وفاته، فَسَّح الله في أجله. وعهد بذلك إليه، وعوَّل في أمر الخلافة عليه، وألقى إليه مقاليدها، وجعل بيده زمام مُبْدِئها ومُعِيدِها، وصَّى له بذلك كلِّه جُزْئِيِّه وكلِّيِّه، وغامضه وجَلِيِّه، وصيَّةً شرعِيَّةً بشروطها اللازمة المعتبرة، وقواعدها المُحرَّرة، وأشهدَ عليه بذلك في تاريخ كذا.

قلت: وقد أنشأت على هذه الطريقة عهداً على لسان الإمام الأعظم المتوكل على الله أبي عبد الله محمد لابنه الإمام الأعظم المستعينِ بالله أبي الفضل العباس، امتحاناً للذهن قبل وفاة المتوكل وانتقال الخلافة بالبيعة لابنه المستعين بنحو ثمان سنين، فاتفق أن كان هو الذي ولي الخلافة بعده من أولاده.

وهذه نسخته[1]

هذا عهدٌ سعيدُ الطالع ميمون الطائر، مبارك الأول، جميل الأوسط، حميدُ الآخر، تشهد به حَضراتُ الأملاك، وتَرْقُمه كَفُّ الثُّرَيَّا بأقلام القَبول في صحائف الأفلاك، وتُباهي به ملوكُ الأرض ملائكةَ السَّمَا، وتسرى بنشره القَبُول[2] فَتنشر له بكلّ ناحية عَلَماً، وتُطْلِعُ به سعادةُ الجَدِّ من مُلوك العدل في كل أُفق نجما، وترقص من فرحها الأنهارُ (١٨٨ ب) فتُفَقِّطها شمسُ النهار بذهب الأصيل على صفحات الْماً، عَهِدَ به عبدُ الله ووليُّه أبو عبد الله محمدٌ المتوكلُ على الله أميرُ المؤمنين إلى ولده السيد الجليل عُدَّة الدينِ وذخيرته، وصَفِيِّ أمير المؤمنين من ولده وخِيرَتِهِ، المستعين بالله أب الفضل العبَّاس، بلَّغ الله فيه أميرَ المؤمنين غاية الأمل، وأقرَّ به عينَ الخلافة العباسية كما أقرَّ به عين أبيه وقد فعل.

أما بعدُ، فالحمد لله حافِظِ نِظام الإسلام، وواصل سَبَبِه، ورافعِ بيت الخلافة ومَادِّ

---

(١) صبح الأعشى ج٩ ص٣٦٩.

(٢) في صبح الأعشى بنشره القبول إلى الأقطار فتنشر...

طُنُبه، وناظِمِ عِقْد الإمامة المعظمة في سلك بني العباس وجاعِلها كلمةً باقية في عَقِبه.

والحمد لله الذي عَذَقَ أمْرَ الأمة منهم بأعظمهم خطراً، وأرفعهم قدراً، وأرجحهم عقلاً، وأوسعهم صدراً، وأجزلهم رأياً، وأسلمهم فكراً.

الحمد لله الذي أقرَّ عين أمير المؤمنين بخير ولي وأفضل ولد، وشدَّ أزره بأكرم سيّد وأعز سند، وصرف اختياره إلى من إذا قام بالأمر بعده قِيلَ هذا الشبلُ من ذاك الأسد.

والحمد لله الذي جمع الآراء على اختياره العاهد فما قَلَوْه ولا رَفضوه، وجبلَ القلوبَ على حب المعهود إليه فلم يَرَوُا العدولَ عنه إلى غيره بوجه من الوجوه.

الحمد لله الذي جدَّد للرعية نعمةً مع بقاء النعمة الأولى، وأقام لأمرِ الأمة من بني عم نبيّه المصطفى الأوْلى بذلك فالأوْلى، واختار لعهد المسلمين من سبقت إليه في الأزل إرادته فأصبح في النفوس معظَّماً وفي القلوب مقبولاً.

الحمد لله الذي أضحك الخلافة العباسية بوجود عبّاسها، وأطاب بذكره رَيَّاها فتعطر الوجود بطيب أنفاسها، ورفع قدره بالعهد إليه إلى أعلى رتبةٍ مُنِيفة، وخصَّه بمشاركة جده العباس في الاسم والكُنية ففاز بما لم يفز به قبلَه منهم ستٌّ[1] وأربعون خليفة.

والحمد لله (١٨٩ أ) الذي أوجب على الكافة طاعة أولى الأمر من الأئمة، وألزمهم الدخول في بيعة الإمام والانقياد إليه ولو كان عبداً أسود، فكيف بمن أجمع على سؤدده الأمَّة، وأوضح السبيل في التعريف بمقام الآل والعتْرة النبوية فَلاَ ﴿يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يُونس: الآية ٧١][2].

يَحمدُه أميرُ المؤمنين على ما منحه من طيب أُرومة سمتْ أصلاً وزكتْ فرعاً، وحباه من شرف مَحْتِدٍ راق نظراً وشاق سمعاً، ووصله به من نعم آثرتْ نفّاعاً وأثَّرتْ نفعاً.

ويَشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يتوارثونها كالخلافة كابراً عن كابر، ويوصي بها أبداً الأولُ منهم الآخر، ويؤذن قيامهم بنصرتها أنهم معدن جوهرها النفيس ونظام عِقْدِها الفاخِر. ويشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي خصَّ عمَّه العباسَ بكريم الحِبَاء وشريف الإنافة، ونبه على بقاء الأمر في بنيه بقولٍ ضَلَّ من أظهر عناده أو أضمر خِلافه، حيث أسرَّ إليه: ألاَ أُبشرك يا عَمّ، بي خُتمت النبوةُ وبولدك تختم

---

(١) في هامش صبح الأعشى ما يأتي:
ذكر اسم العدد على حد ما أنشده الفراء:
أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال

(٢) هي من الآية «ثم لا يكن أمركم عليكم غمة» سورة يونس الآية ٧١.

الخلافة. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تعم بركتُها الولد والوالد، ويشمل معروفها المعهودَ إليه ويَعرِفُ شَرَفَها العاهد، ويعترف بفضلها المُقِرُّ ولا يسع إنكارُها الجاحد، ما نُوِّهَ بذكر الخلافة العباسية على أعواد المنابر، وخفقت، الرايات السودُ على عساكر المواكب ومواكب العساكر، وسلَّم تسليماً كثيراً.

وهذا وكلُّ راعٍ مسئولٌ عن رعيته، وكل امرئٍ محمول على نِيَّتِه، مُجْبرٌ بظاهره عن جميل ما أكَنَّه في صدره وما أسرَّه في طَوِيَّتِه، والإمام منصوبٌ للقيام بأمر الله تعالى في عباده، مأمور بالنصحية لهم جُهْدَ طاقته وطاقةَ اجتهاده، مطلوبٌ بالنظر في مصالحهم في حاضر وقتهم ومستقبله وبدءِ أمرهم ومعاده، ومن ثَمَّ اختلفت آراءُ الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة وتباينت (١٨٩ ب) مقاصدهم، وتنوَّعت اختياراتُهم بحسب الاجتهاد واختلفت مواردُهم، فعِهد الصديق إلى عمر بن الخطاب[١] متثبتاً، وتركها عمر شورى في ستة وقال: أتحمل أمركم حياً وميتاً: وأتى رضي الله عنه لكلٍّ من المذهبين بما أذعن له الخصم وسلَّم، فقال: إن أعهد فقد عَهِد من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ، فأخذ الخلفاء في ذلك بسنتهما، ومشوا فيه على طريقتهما، فمن راغب عن العهد فيه، وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أو أخيه، كل منهم بحسب ما يؤدي إليه اجتهادُه، وتَقوى عليه عزيمته ويترجّح لديه اعتماده.

ولما كان أمير المؤمنين ـ أحسن الله مثابه[٢] ـ قد نوّر الله عين بصيرته، وخصه بطهارة سره وصفاء سريرته، وآتاه الله الملك والحِكمة، وأقامه لمصالح الرعية وصلاح أمر الأُمَّة، وعلّمه مما يشاءُ فكان له من علم الفراسة أوفر قَسْم، واصطفاه على أهل عصره وزاده بَسْطه في العلم والجسم. فلا يعزم أمراً إلا كان رشاداً، ولا يعتمد فعلاً إلا ظَهَر سداداً، ولا يَرْتئي رأياً إلا أُلفِي صواباً، ولا يشير بشيء إلاّ حُمِدت آثارُه بداية ونهاية واستصحاباً. ومع ذلك فقد بَلاَ الناسَ وخبرَهم، وعلم بالتجربة حالهم وخَبَرَهم، واطَّلع بحسن النظر على خفايا أمورهم، وما به مصلحةُ خاصَّتهم وجمهورهم، وترجَّح عنده جانبُ العهد على جانب الإهمال، ورأى المبادرة إليه أولى من الإمهال، ولم يزل يُرَوِّي فكرته، ويُعْمِل رَوِيَّته، فيمن يصلح لهذا الأمر بعدَه، وينهض بأعبائه الثقيلة وحدَه، ويتَّبع فيه سبله ويسلك طرائقه، ويقتفي في السيرة الحسنة أثره ويشيم في العدل بوارقَه، ويُقْبِل على الأمر بكلّيته ويقطع النظر عمّا سواه، ويتفرّغ له من كل شاغل فلا يخالطه بما عداه.

وقد علم أن الأحق بأن يكون لها خَلِيفاً من كان بها خليقاً، (١٩٠ أ) والأولى بأن

---

(١) في صبح الأعشى ج٩ ص٣٧٢ رضي الله عنه.

(٢) في صبح الأعشى مآبه.

يكون لها قريناً من كان بوصلها حقيقاً، والأجدرَ أن يكون لديها مكيناً من اتخذ معها يَداً وإلى مرضاتها طريقاً، والأليقَ بمنصبها الشريفِ من كان مطلوبها مَلِيّاً، والأحْرَى بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وَفِيّا، والأوفقَ لمقامها العالي من كان خيراً مَقاماً وأحسن نَدِيّا.

وكان وَالدُه السيدُ الأجلُّ أبو الفضل العباسُ المشار إليه هو الذي وجَّهَت الخلافةُ وجهَهَا إلى قِبْلته، وبالغت في طلبه وألَحَّتْ في خِطْبته، على أنه قد أُرضِع بِلبانِها ورُبِّيَ في حِجْرِها، وانتسب إليها بالنبوة فضمَّته إلى صَدْرِها، وكيف لا تَتَشبَّث بجماله، وتتعلق بأذياله، وتطمع في قربه، وتتغالى في حبه، وتميل إلى أُنسه، وتراوده عن نفسه، وهو كُفؤها المستجمع لشرائطها المتصف بصفاتها، ونَسيبها السامي إلى أعاليها الراقي على شُرُفاتِها، إذا هو شِبلُها الناشيء في آجامها، بل أسدها الحامي لحماها[1] ومجيرها الوافي بذمامها، وفارسها المُقدَّم في حَلْبة سباقها ووارثها الحائز لجميع سهامها، وحاكمُها الطائع لأمرها، ورشيدها المأمون على سِرّها، وناصرها القائم بواجبها، ومَهْديُّها الهادي إلى أفضل مذاهبها، فقد التحف في الخلافة بردائها، وسكن من القلوب في سويدائها، وتوسَّمَت الآفاق تفويضَ الأمر إليه بعد أبيه فظَهَر الخَلُوق في أرجائها، واتَّبع سيرة أبيه في المعروف واقتفى أثره في الكرم، وتشبه به في المفاخر ومن يشابه أبَهُ فما ظلم، وتقبَّلَ الله دعاءَ أبيه فوهب له من لَدُنْه وَلِيّا، وأجاب نداءَه فيه فمكَّن له في الأرض وآتاه الحُكْم صَبِيّا، فاستوجب أن يكون حينئذ للمسلمين وَلِيَّ عهدهم، والياً على أمورهم في حَلِّهم وعَقْدهم، متكفّلاً بالأمر في قربه وبعده، معيناً لأبيه في حياته خليفةً له من بعده، وأن يُصرِّح له بالاستخلاف ويُوَضِّح، ويتلُوَ عليه بلسان التفويض ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٢] .

واقتضتْ شفقةُ (١٩٠ ب) أمير المؤمنين ورأفتُه، ورِفْقُه بالأُمة ورحمته، أن يَنْصِب لهم وليَّ عهد يكون بهذه الصفات مُتَّصِفا. ومن بحره مُغترفاً، ومن ثمار معروفه المعروف مُقْتِطفاً، ولمَنْهله العذب وارداً، وعلى بيته الشريف وسائر الأمة بالخير عائداً، فلم يجد من هو مستكملٌ لجميعها، متسوعبٌ لأصولها وفروعها، وهو بمطلوبها أمْلى، وعلى قلوب الرَّعية أحلى، وللغليل أشْفَى، وبالعهد الجميل أوفى، من ولدِه المشارِ إليه. فاستشار في ذلك أهل الحل والعقد من قُضاته، وعلمائه [وأُمرائه][2] ووزرائه وذويه، وأقاربه وبنيه، وأعيان أهل العصر وعامَّته، وجمهوره وكافَّته، فرأوه صواباً، فلم تَعْرُهم فيه ظِنَّةٌ ولا مُستَرابًا[3]. ولا وجد أحد منهم إلى باب غيره طريقاً ولا إلى [طريق] غيره باباً، فاستخار

---

(١) في الأصل: «لحماتها» والتصويب من صبح الأعشى ج٩ ص٢٧٣.

(٢) زيادة من صبح الأعشى: ص ٣٧٤.

(٣) نصب مستراباً لأجل السجع.

الله تعالى فيه فأقبل خاطرُه الشريفُ عليه، وكرَّر الاستخارة فلم يجد عنه مَحيداً إلاّ إليه، فلما رأى أن ذلك أمرٌ قد انعقد عليه الإجماعُ قولاً وفعلاً، وعُدم فيه المخالف بل لم يكن أصلاً، حَمِد الله تعالى وأثنى عليه، وسأله التوفيق ورغب إليه، وجدَّد الاستخارة وعهد إليه بأمر الأمة، وقلده ما هو متقلده من الخلافة المقدسة بعده، على عادة من تقدمه من الخلفاء الماضين، وقاعدة من سلف من الأئمة المَهْديِّين، وفوض إليه ما هو من أحكامها ولوازمها، وأصولها ومَعَالمها، من عَهْدٍ ووصاية، وعزل وولاية، وتقويض وتقليد، وانتزاع وتخليد، وتفريق وجَمْع، وإعطاء ومَنْع، ووصل وقطع، وصِلَةٍ وإدرار، وتقليل وإكثار، جزئيّها وكُلِّيّها، وخَفيها وجَلِيِّها، ودانيها وقاصيها، وطائعها وعاصيها، تفويضاً شرعِيًا، تامًا مَرضيّاً، جامعاً لأحكام الولاية جمعاً تعُمُّ كلَّ نطاق، ويُرى حكمُه في جميع الآفاق، ويدخل تحته سائر الأقاليم والأمصار على الإطلاق (١٩١ أ) لا يُغيِّر حُكْمُه، ولا يَنْجلي[1] رَسْمُه، ولا يَطيش سهمه، ولا يأفُلُ نَجْمُه.

قَبِلَ المعهودُ إليه - أعلى الله مقامَه - ذلك بِمَحْضَر من القضاة الحُكَّام، والعلماء الأعلام، ولزِمَ حُكْمُه وانبَرم، وكُتب في سجلات الأفلاك وارتَسم، وحُمِلت رسائلُه مع بُرُدِ السحاب وطافت به على سائر الأمم. وهو - أبقاه الله - مع ما طبعت عليه طباعُه السليمة، وجُبلت عليه سجاياه الشريفة وأخلاقه الكريمة، قد تلقى[2] عن أمير المؤمنين من شريف الآداب ما غِذِّيَ به في مَهْدِه، وتلقَّفَ منه من حُسن الأدواتِ ما يرويه بالسند عن أبيه وجَدِّه، مما انطبع في صفاء ذهنه الصقيل وانتقَشَ في فهمه، واختلط من حال طُفُولِيَّته بدمه ولحمه[3]، حتى صار طبعاً ثانياً، وخُلُقاً على مَمَرِّ الزمان باقياً، واجتمع لديه الغريزيُّ فكان أصلاً ثابتاً، وفرعاً على ذلك الأصل القوى نابتاً. لكن أمير المؤمنين يوصيه تبرُّكاً، ويشرح له ما يكون به إن شاءَ الله تعالى مُتمسِّكاً، والمرءُ إلى الأمر بالخير مندوب، ووصيّة الرجل لبنيه مطلوبة. فقد قال تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: الآية ١٣٢].

فعليك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نجا، والتقوى[4] رأس مالك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: الآية ٢] والجأ إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لَجَا، وكتابُ الله هو الحبل المَتين، والكتاب المبين، والمنهج القويم. والسبيلُ الواضح والصراط المستقيم، فتمسَّكْ منه بالعُرْوَة الوُثقى، واسلك طريقته المثلى واهتد بهديه فلا تَضل ولا

(١) في صبح الأعشى ص ٣٧٥: ولا يمحى رسمه.

(٢) في الأصل: «فقد تلقى» والتصويب من السياق وصبح الأعشى.

(٣) في صبح الأعشى: بدمه ولحمه وعظمه.

(٤) أضاف محققو صبح الأعشى كلمة و[اجعل] التقوى..

تَشقى، وسُنَّةُ نبيّه محمد ﷺ عليك بالاقتداء بأفعالها الواضحة، والإصغاء لآثار أقوالها الشارحة، عالماً بأن الكتاب والسنة أخوان[1] لا يفترقان ومتلازمان بحبل التَّبايُن لا يَعْتلقان، والبلادَ والرعايا فحُطْهما بنظرك ما استطعت، وتَثَبَّتْ في كل قَطْع ووَصْل فأنت مسئول عن كل ما وصلتَ وقطعْت، والآلَ والعِتْرة (١٩١ ب) النبويةَ فَفِهِمَا[2] حقَّ القرابة منك ومن رسول الله ﷺ الذي شرفت به، واعلم أنك إذا أكرمت أحداً منهم فإنما أكرمته بسببه، واتَّبع في السيرةِ سيرَةَ آبائِك الخلفاء الراشدين لا تَزِغْ عنها، ولا تعملْ إلا بها وبما هو- إن استطعت - خيرٌ منها، واقْفُ في المعروف آثارهم المقدسة لتحْوى من المآثر ما حَوَوْا، واحْذُ حَذْوهم في طريقهم المباركةِ وابْنِ المجدَ كما بَنَوْا، وأَحْيِ من العمل سنَّةَ سلفك المُصْطَفَيْن الأخيار، احرص أن تكون من الأئمة الذين يُظلهم الله تحت ظل عرشه ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر: الآيتان ٥١ - ٥٢] وأَسْلِفْ خبراً تُذكَرُ به على مَرِّ الليالي، وينتظم ذكره لك في عقود الأيام كما تنتظم في السلك[3] اللآلى، وليكن قصدُك وجْهَ الله ليكون في نصرتك فإن من كان الله تعالى في نصرته ولا يُبالي، ولْتَعْلَمْ حقَّ اليقين أن حسنة الإمام تضاعفُ بحسب ما يترتب عليه من المصالح أو يتجدَّد بسببها، وسيِّئتُهُ كذلك فمن سَنَّ سيئة كان عليه إثمها وإثم من عمل بها، ودُرْ مع الحق كيف دار ومِلْ معه حيث مال، واعلم بأن ﴿ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾ [الرعد: الآية ١١] ولا يَخْطُرْ ببالك أنَّ هذا الأمر انتهى إليكَ بقُوَّة، أو يَغُرَّك ما قدمناه من الثناء عليك فالتَّأثُّر بالمدح مُخِلٌّ بالمُرُوَّة، ولا تَتَّكِلْ على نسبك فمن أطاع الله أدخله الجنة ولو كان عبداً حبشياً، ومن عصاه أدخله النار ولو كان هاشميًا قُرَشِيًا، واستَنْصِرِ الله واستعن به يكن لك عوناً وظَهيراً، واستهده يهدك ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٣١] وكن لله خائفاً ومن مكره من المُشفقين، فإنّ ﴿ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٢٨].

هذا عهد (١٩٢ أ) أمير المؤمنين إليك، ووصيته، تُمْلَى عليك ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: الآية ٥٥] والله تعالى يُبَلِّغه منك أملا، ويُحقِّق فيك علماً ويُزكِّي بك عملاً.

والاعتماد على الخطِّ المُقَدَّس الإماميّ المتوكِّلِيِّ - أعلاه الله تعالى - أعلاه، حُجَّةٌ فيه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل: أخوين وهو تحريف وورد صواباً في صبح الأعشى.

(٢) في الأصل ففيهما. وقوله «ففهما» أمر من وَفَى.

(٣) في الأصل: «في سلك اللآلى» والتصويب من صبح الأعشى.

تنبيه: قد تقدَّم في آخر البيعات نقلاً عن محمد بن عمر المدائني أنه كان يكتب للخلفاء في قرطاس من ثُلُثي طومار، وهو الثلثان من القَطْع البغدادي، وأن الذي يظهر أن ذلك كان في أوائل أمرهم، وأنه كان يُكتب لهم أخيراً في قطع البغدادي الكامل، أما الذي استقر عليه الحال فيما يكتب من العهود بالخلافة عن خلفاء بني العباس بالديار المصرية أنه يُكتب لهم في قطع الشامي الكامل بقلم الثلث الخفيف.

الباب الرابع

فيما يكتب عن الخلفاء لأتباعهم من أرباب المناصب من العهود، وفيه فصلان:

الفصل الأَول

فيما يكتب عنهم من العهود للملوك، وهو المستمر مما كان يكتب عنهم من الولايات إلى الآن، وللكتاب فيه أربعة مذاهب.

أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ: هذا، مثل أن يقال: هذا عَهْدٌ عَهِد به فلان لفلان. وهذا ما عهد فلان لفلان، أو هذا ما أمر به فلان فلانا، أو هذا كتاب اكتتبه فلان لفلان، وما أشبه ذلك، ثم يقال: أمره بكذا، وأمره بكذا، حتى يأتي على ما يُؤثره من المأثورات المتعلقة بالعهد مما يناسب الحال إلى آخر القصد. ثم زاد الكُتَّاب أن يقال في آخر العهد: هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عليك، أو نحو ذلك، ويؤتى بما يطابق المقصد، وهذه هي طريقة الأقدمين من السلف فمن بعدهم في صدر الإسلام، وما وليه، وعليه جرى المُحَقِّقون من متأخِّري الكُتَّاب بالدولة العباسية بالعراق، وإلى (١٩٢ ب) حين انقراضها إلا في القليل النادر مما سيأتي ذكره، مما شذ عن ذلك، وعلى هذا المنوال نسج أفاضل كُتَّابِ الديار المصرية فيما كتبوا به لملوك الديار المصرية، إلا أنهم عدلوا عن لفظ «أمره» إلى ما يتضمن معنى الأمر دون تصريح بلفظه.

والأصل في ذلك ما ورد أن النبي ﷺ حين وجه عَمْرَو بنَ حزمٍ إلى اليمن كتب له كتاب عهد أَمَره فيه أَمْره.

المذهب الأول
وهذه نسخته[1]

فيما ذكره ابنُ هشام وغيرُه.

هذا بيانٌ من الله ورسوله . عهد من محمد النبي رسول الله لعمرِو بن حَزم[2]، أمره

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٩ وهذه نسخته بعد البسملة فيما ذكره ابن هشام وغيره.

(٢) في سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٧٢: لعمرو بن حزم [حين بعثه إلى اليمن].

بتقوى الله في أمره كُلِّه، فإن ﴿ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: الآية ١٢٨]. وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس[1] بالخير ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه، وينهي الناس فلا يمس القرآن إنسانٌ إلاّ وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويَلِين للناس في الحق، ويشتد عليهم في الظلم. فإن الله كره الظلم ونهى عنه، فقال ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: الآية ١٨] ويُبشِّر الناس بالجنة وبعَمَلِها، وينذر الناسَ النارَ وعَمَلَها، ويتألَّف[2] الناسَ حتى يَفْقَهوا في الدين، ويُعلِّم الناس معالمَ الحجِّ وسُنَّتَه وفريضته، وما أمر الله به، والحَجَّ الأكبرَ والحجَّ الأصغرَ وهو العمرة[3]، وينهى الناسَ أن يُصَلِّيَ أحدٌ في ثوب واحد صغير إلاّ أن يكون ثوبا يَثْنِي طَرَفَيْه على عاتقيه، وينهى أن يَحتَبِي أحد في ثوب واحد يُفضِي بفرجه إلى السماء، وينهى فلا يَعْقِص أحدٌ شعر رأسه في قَفاه، وينهى إذا كان بين الناس هَيْجٌ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله [عز وجَلَّ] وحده لا شريك له، فمن لم يدع (١٩٣ أ) إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقْطَعُوا بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له.

[ويأمر الناس بإسباغ الوضوء: وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين، ويمسحون بوجوهم كما أمرهم الله].

وأمره بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والخضوع[4] ويُغَلِّس بالصبح، ويُهجّر بالظهر حتى تَميل الشمس، وصلاةُ العصر والشمسُ في الأرض مدبرة، والمغرب حين يقبل الليل، لا تُؤخَّر حتَّى تبدوَ النجوم في [السماء]، والعشاء أوّل الليل. وأمره بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغُسلِ عند الرواح إليها. وأمره أن يأخذ من المغانم خُمسَ الله وما كُتب على المؤمنين في الصدقة في العقار[5] عُشر ما سقت العَيْن وسقت السماء، وعلى ما سقى الغَرْبُ[6] نصف العشر، وفي كل عشر من الإبل شاة، وفي كل عشرين أربع شياه، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تَبِيع [جَذَع] أو جَذَعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدَها شاةٌ، فإنها فريضة الله تعالى التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له. وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه،

(١) في الأصل: وأمره أن يأخذ الحق كما أمره الله وأن ينشد الناس. والتصويب من صبح الأعشى.
(٢) في صبح الأعشى: ويستألف الناس.
(٣) في صبح الأعشى: والحج الأكبر والحج الأصغر هو العمرة.
(٤) في صبح الأعشى: وإتمام الركوع [والسجود] والخشوع.
(٥) العقار بضم العين: خيار الكلأ والعقار بفتح العين: النخل.
(٦) الغرب: الدلو الكبيرة ويراد ما كان بعمل وسقي بالأيدي.

ودان بدين الإسلام، فإنه من المؤمنين، له مثل مالهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نَصرانيته أو يَهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها، وعلى كُلِّ حالِم ذكرٍ أو أُنثى، حرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ أو عوضه ثياباً، فمن أَدّى ذلك فإن له ذِمَّةَ الله وذمةَ رسوله، ومن منع فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

وعلى هذا الأسلوب

كتب أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه عهدَ مالكِ الأشتر[١] النَّخعي، حين ولأه مصر، وهو من العهود البليغة، جمع (١٩٣ ب) فيه بين معالم التقوى وسياسة الملك.

وهذه نسخته[٢]

هذا ما أمر عليٌّ أمير المؤمنين مالكَ بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها، وأمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فريضته[٣] وسنته، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه. وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات، ويَزَعَها عند الجَمَحات، فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتُك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك: من عدل وجور، وأن الناس يبصرون[٤] من أمورك [مثل] ما كنت تنظر فيه من أمر الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم. وإنما يُستدل على الصالحين بما يُجْرِي الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك[٥] العمل الصالح. فامْلِكْ هواك، وشُحَّ بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنتصافُ منها فيما أحبت وكرهت، وأشعِرْ قلبك بالرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارياً، تغتنم أُكلهم، فإنهم صنفان: إما أَخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخُلُق: يَفرُطُ منهم الزلل، وتَعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العَمد والخطإ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم[٦] ووالى الأمر عليهم فوقك، والله فوق من

(١) في الأصل «بن الأشتر» (٢) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ١٢.
(٣) في صبح الأعشى: من فرائضه، وسنته التي....
(٤) في صبح الأعشى: ينظرون.
(٥) في صبح الأعشى: فليكن أحب العمل إليك ذخيرة العمل....
(٦) في الأصل فإنك نويمهم. والتصويب من صبح الأعشى.

ولأك. وقد استكفاك أمرهم، (١٩٤ أ) وابتلاك بهم، ولا تَنْصِبَنَّ نفسَك لحرب الله، فإنه لا يَدَ لَكَ[١] بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمنَّ على عفو، ولا تَبَجَّجَنَّ بعقوبة، ولا تسرعن إلى زيادة[٢] وجدت عنها مندوحة، ولا تقولن إني امرؤ آمر فأُطاع: فإن ذلك إدغال في القلب، ومهلكة في الدين، وتقرُّبٌ من العَثَر[٣]، فإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهةً أو مَخِيلة فانظر إلى عِظَم مُلْك الله تعالى فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يُطامن إليك من طِماحك، ويكف عنك من غِرَّتك[٤] ويفيء إليك بما عَزُب عنك من عقلك، وإياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يُذِلّ كلَّ جبار، ويهين كل مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومَنْ لك فيه هوًى من رعيَّتك، فإنك إلاَّ تفعلْ تَظْلِمْ، ومن ظلم عبادَ الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض الله حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب، وليس شيء أدْعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم [فإن الله سميع يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد] وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعملها في العدل[٥]، وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يُغتفر مع رضى العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكثر للانتصاف[٦] واسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر، من أهل الخاصة؛ وإنما عمودُ الدين، وجِماعُ المسلمين، والعُدّةُ للأعداءِ، العامَّةُ من الأمة، فليكن صفوك لهم، وميلك معهم، وليكن أبعدُ رعيتك منك، وأشنأُهم عندك، أطلبَهم لمعايب الناس: فإن للناس عيوباً والوالي أحقُّ بسترها، فلا تكشفنَّ عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر [لك]، والله يحكم على ما غاب عنك (١٩٤ ب) منها، فاستُر العورة ما استطعتَ يستر الله ما تحب ستره من عيبك.

أطلق عن الناس عُقدة كل حِقد، واقطع عنهم سبب كل وِتْر، وتَجَافَ عن كلّ ما لاَ يَصِحُّ لك، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع، فإن الساعيَ غاشٌّ وإن تشبَّه بالناصحين، ولا

---

(١) في صبح الأعشى: لا يدي لك بنقمته.
(٢) في صبح الأعشى: ولا تسرعن إلى بادرة.
(٣) في صبح الأعشى: وتقرب من الغِيَر.
(٤) في صبح الأعشى: من غربك.
(٥) في صبح الأعشى: وأعمها.
(٦) في صبح الأعشى: «وأكره للإنصاف» وهو الأصوب المناسب للمقام.

تُدخِلَنَّ في مشورتك بخيلاً يَعْدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يُضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشَّرهَ بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتَّى يجمعها سوء الظن بالله.

شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شاركهم في الآثام، فلا يكونُنَّ لك بطانة، فإنهم أعوان الأثَمَة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلفِ، من له مثلُ آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممن لم يعاونْ ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمهِ، أولئك أخفُّ عليك مئونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيْك[١] إلفاً، فاتخذ أولئك خاصَّة لخلواتك [وحفلاتك]، ثم ليكن آثرهم عندك أقْولهم [لك] بمرّ الحقّ، وأقَلّهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقَع، والْصق بأهل الصدق والورع، ثم رُضْهُم على أن لا يَضُرُّوك[٢] ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإصغاء[٣] تحدث الزَّهْو، وتُدْني من الغِرَّة، ولا يكونَنَّ المحسنُ والمسيء عندك بمنزلة واحدة، فإن في ذلك تَزْهِيباً لأهل الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة[٤]

وإنـــك لا تـــدري إذا جـــاء ســـائـــل ... أأنـت بـمـا تُـعـطـيـه أم هُـو أسْـعَـدُ
عـسـى سـائـلٌ ذو حـاجـة إن مـنـعـتـه ... مـن الـيـوم سُـؤْلاً أنْ يـكـون لـه غَـدُ
وفـي كـثـرة الأيـدِي عـن الـجـهـل زاجـر ... ولَـلْـحِـلْـمُ أبـقـى لـلـرجـال وأعْـوَدُ

(١٩٥ أ) وعلى هذا النمط

كتب أبو إسحاق الصابي عن الخليفة الطائع، لفخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه في جمادى الأُولى سنة ست وستين وثلاثمائة.

وهذه نسخته[٥]

هذا ما عَهِدَ عبدالله عبد الكريم [الإمام] الطائع[٦] لله أميرُ المؤمنين إلى فخرِ الدولة أبي [الحسن بن ركن الدولة أبي] عليّ مولى أمير المؤمنين حين عرف غناءه وبلاءه واستنصح دينَه ويقينَه، ورعى قديمَه وحديثَه، واستنجب عُودَه ونِجارَه، وأثنى عز الدولة أبو

(١) في صبح الأعشى: «لغيرك» وهي أليق.
(٢) في صبح الأعشى: «ألاَّ يُطْروك» وهي أحسن. (٣) في صبح الأعشى: الإطراء.
(٤) في صبح الأعشى تزهيداً لأهل الإحسان [في الإحسان] وتدريباً لأهل الإساءة [في الإساءة] هذا وزيادة ما بين الأقواس هي نقل عن كتاب مفتاح الأفكار وشرح نهج البلاغة أما أصل صبح الأعشى فخال من الزيادة.
(٥) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٥.
(٦) أضيف في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي والمثل السائر لفظة [الإمام] الطائع.

منصور بنُ معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين [أيده الله][١] عليه، وأشار بالمزيد في الصنيعة إليه، وأعلم أمير المؤمنين اقتداءه به في كل مذهب ذهب فيه في الخدمة، وغرض رمى إليه من النصيحة، دخولاً في زمرة الأولياء[٢]، وتصرفا على موجبات البيعة التي هي بعز الدولة أبي منصور منوطة، وعلى سائر من يتلوه ويتبعه ظاهرة[٣] مشروطة، فقلده الصلاةَ وأعمالَ الحرب، والمَعاونَ والأحداثَ، والخَراجَ، والأعشار، والضِّياعَ، والجَهْبَذَةَ، والصدقات، والجوالي وسائر الجبايات [والعرض] والعطاء[٤] والنفقة في الأولياء [والمظالم وأسواق الرقيق][٥] والغيار في دور الضرب والطُّرُز والحِسْبة بِكُوَر هَمَذَانَ، وأَسْتَراباذَ، والدِّينَوَر، وَقَرْمِيسِينَ، والإيغَارَيْن، [وأعمال] أذربيجان[٦] وأرّان، والسَّحائِين، ومُوقانَ. واثقاً منه باستبقاء النعمة واستدامتها، والاستزادة بالشكر منها، والتجنب لغَمْطِها وجُحودها، والتنكُّب لإيحاشها وتنفيرها، والتعمد لما مَكَّنَ له الحُظْوَةَ والزلفى، وحرس عليه الأُثرةَ والقربى، بما يظهره ويضمره من الوفاء الصحيح، والولاء الصريح، والغيب الأمين، والصدر السليم، والمقاطعة لكل من قاطع العُصبة، وفارق الجملة، والمواصلة لكل (١٩٥ ب) من حَمَى البيضةَ وأخلص النية - والكونِ تحت ظل أمير المؤمنين وذمته، ومع عز دولته أبي منصور في حوزته، والله جل اسمهُ يعرِّف لأمير المؤمنين حسن العقبى فيما أبرم ونقض، وسدادَ الرأي فيمن زفع وخفض، ويجعل عزائمه مقرونة بالسلامة، محجوبة عن موارد الندامة، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل.

أَمَره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة، والجنة الحصينة، والطود الأرفع، والمعاذ الأمنع، والجانب الأعز، والملجأ الأحرز، وأن يستشعرها سراً وجهراً، ويستعملها قولاً وفعلاً، ويتخذها ذخراً نافعاً[٧] لنوائب القدر، وكهفاً حامياً من حوادث الغِير، فإنها أوجب الوسائل، وأقرب الذرائع، وأعْوَدُها على العبد بمصالحه، وأدعاها إلى كل مناجحه[٨] وأولاها بالاستمرار على هدايته، والنجاة من غوايته، والسلامة في دنياه، حين تُوبِقُ موبقاتُها، وتردي مردياتها، وفي آخرته حين تروّع رائِعاتها، وتخيف مُخيفاتها، وأن يتأدب

(١) أضيف في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي والمثل السائر عبارة [أيده الله].
(٢) أضيف في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي والمثل السائر عبارة [المنصورة، وخروجاً عن جماعة الأعداء المدحورة].
(٣) في صبح الأعشى مأخوذة مشروطة.
(٤) أضيف في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي والمثل السائر [والعرض] والعطاء.
(٥) الزيادة عن صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي والمثل السائر.
(٦) أضيف في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي والمثل السائر لفظة [وأعمال] أذربيجان.
(٧) في صبح الأعشى: ردْءًا دافعاً.
(٨) في صبح الأعشى: سبل مناجحه.

بآداب الله في التواضع والإخبات، والسكينة والوقار، وصدق اللهجة إذا رمق، وكظم الغيظ إذا حَنِق[١]، وحفظ اللسان[٢] إذا غضب، وكف اليد عن المآثم، وصون النفس عن المحارم، وأن يذكر الموت الذي هو نازل به، والموقف الذي هو صائر إليه، ويعلم أنه مسئول عما اكتسب، مَجْزِيٌّ عما تزمَّك[٣] واحتقب، ويتزود من هذا الممر، لذاك المقر، ويستكثر من أعمال الخير لتنفعه، ومن مساعي البرّ لتنقذه، ويأتمر بالصالحات قبل أن يَأْمُرَ بها، ويزدجر عن السيئات قبل أن يَزْجُرَ عنها، ويبتدئ بإصلاح نفسه قبل إصلاح رعيّته، فلا يبعثهم على ما يأتي ضده، ولا ينهاهم عما يقترف مثله، ويجعل ربه رقيباً عليه في خلواته، ومروءته مانعة من شهواته، فإن أحق من غلب سلطان الشهوة، وأولى من صرع أعداء الحَمِيّة، من (١٩٦ أ) مَلَكَ أزِمّة الأمور، واقتدر على سياسة الجمهور، وكان مطاعاً فيما يَرى، متَّبَعاً فيما يشاء، يلي على الناس ولا يَلُون عليه، ويقتصُّ منهم ولا يقتصُّون منه[٤]، فإذا اطلع الله منه على نقاء جيبه، وطهارة ذيله، وصحة سريرته، واستقامة سيرته، أعانه على حفظ ما استحفظه، وأنهضه بثقل ما حمّله، وجعل له مخلصاً من الشبهة ومخرجاً من الحَيْرة، فقد قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وقال عزَّ من قائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢] وقال ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١٩] إلى آي كثيرة حضّنا بها على أكرم الخلق، وأسلم الطرق، فالسعيد من نصبها إزاء ناظره، والشقيُّ من نبذها وراء ظهره، وأشقى منهما من بَعَثَ عليها وهو صادفٌ عنها، وأهاب إليها وهو بعيد منها، وله ولأمثاله يقول الله تعالى ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة: الآية ٤٤] وأمره أن يتخذ كتاب الله إماماً متبعاً، وطريقاً مُتوقَّعاً[٥] ويكثر من تلاوته إذا خلا بفكره، ويملأ بتأمله أرجاء صدره، فيذهب معه فيما أباح وحَظَر ويقتدي [به] إذا نهى وأمر، ويستبين ببيانه إذا استغلقت دونه المعضلات، ويستضيء بمصابيحه إذا غُمّ عليه في المشكلات، فإنه عُرْوة الإسلام الوثقى، ومحجّته الوسطى، ودليله المُقنع، وبرهانه المرشد، والكاشف لظُلَم الخطوب، والشافي من مرض القلوب، والهادي لمن

---

(١) في صبح الأعشى: وكظم الغيظ إذا أحفظ.

(٢) في صبح الأعشى: وضبط اللسان....

(٣) في صبح الأعشى: ترمك وفي هامشه أنه في رسائل الصابي: تزمل. هذا وتزمك من زمك القربة ملأها.

(٤) في الأصل ويقبض منهم ولا يقبضون منه.

(٥) كذا هي في أصول صبح الأعشى والأصل الذي بين أيدينا والمثل السائر أما في اللسان فيقال طريق موقع «على وزن معظم»: مذلل.

ضلّ، والمتلافي لمن زلّ، فمن نجا[1] به فقد فاز وسلم، ومن لَهَا عنته فقد خاب وندم، قال الله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت، الآيتان ٤٢، ٤٣]. وأمره أن يحافظ على الصلوات، ويدخل فيها في حقائق الأوقات، قائماً على حدودها، (١٩٦ ب) متبعاً لرسومها، جامعاً فيما بين نيته ولفظه، متوقياً لمطامح سهوه ولحظه، منقطعاً إليها عن كل قاطع لها، مشغولاً بها عن كل شاغل عنها، متثبتاً في ركوعها وسجودها، مستوفياً عدد مفروضها ومسنونها، موفَّراً عليها ذهنه، صارفاً إليها همه، عالماً بأنه واقف بين يدي خالقه ورازقه، ومحييه ومميته، ومعاقبه ومثيبه، لا يُسْتَرُ دونه خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإذا قضاها على [هذه السبيل] منذ تكبيرة الإحرام إلى خاتمة التسليم، أتْبَعَها بدعَاء يرتفع بارتفاعها [ويُستمع باستماعها][2] ولا يتعدى فيه مسائل الأبرار، ورغائب الأخيار، من استصفاح واستغفار، واستقالة واسترحام، واستدعاء لصالح الدين والدنيا، وعوائد الآخرة والأولى، فقد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: الآية ١٠٣] وقال تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥] وأمره بالسعي في أيام الجُمَع في المساجد الجامعة، وفي الأعياد إلى المصليات الضاحية، بعد التقدم في فرشها وكسوتها، وجمع القُوّام والمؤذنين، والمكبرين فيها، واستسعاء الناس إليها، وحضهم عليها، آخذين الأهبة، متنظفين في البِزَّة، مؤدين لفرائض الطهارة، وبالغين في ذلك أقصى الاستقصاء[3]، معتقدين خشية الله وخيفته، مدَّرعينَ تقواه ومراقبتَه، مكثرين من دعائه - عز وجل - وسؤاله، مصلين على محمد رسوله ﷺ وعلى آله، بقلوب على اليقين موقوفة، وهمم إلى الدين مصروفة، وألسن بالتسبيح والتقديس فصيحة، وآمال في المغفرة والرحمة فسيحة، فإن هذه المصلّيات والمتعبَّدات بيوت الله التي فضلها، ومناسكه التي شرفها، وفيها يتلى القرآن [ومنها تُرتفع الأعمال. وبها يلوذ اللائذون][4]، ويعوذ العائذون، ويتَعبد المتعبدون، ويتهجد المتهجدون، وحقيق على المسلمين أجمعين - من والِيمُوَلَّى عليه - أن يصونوها ويعمروها، ويواصلُوها ولا يهجروها، (١٩٧ أ) وأن يقيموا الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين ثم لأنفسهم على الرسم الجاري فيها، قال الله تعالى في هذه الصلاة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩] وقال في عمارة المساجد ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى

---

(١) في صبح الأعشى: فمن لهج به.
(٢) أضيف في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي المطبوعة [ويستمع باستماعها].
(٣) في صبح الأعشى: أقصى الاستطاعة.
(٤) أضيفت هذه الزيادة في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي والمثل السائر.

ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ [التوبة: الآية ١٨] .

وأمره أن يرعى أحوال من يليه، من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه، ويطلق لهم الأرزاق، في وقت الوجوب والاستحقاق، وأن يحسن في معاملتهم، ويجمل في استخدامهم، ويتصرف في سياستهم: بين رفق من غير ضعف، وخشونة من غير عنف، مثيباً لمحسنهم ما زاد بالإبانة[1] في حُسْن الأثر، وسلم معها من دواعي الأشَر، ومتغمِّداً لمسيئهم ما كان التغمد له نافعاً، وفيه ناجعاً، فإن تكررت زلاته، وتتابعت عثراته، تناوله من عقوبته بما يكون له مصلحاً، ولغيره واعظاً، وأن يختص أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأي والخطر منهم بالمشاورة في العلم، والاطلاع على بعض المهم، مستخلصاً نخائل قلوبهم بالبسط والإدناء، ومستشحذاً بصائرهم بالإكرام والاحتفاء فإن في مشاورة هذه الطبقة استدلالاً على مواقع الصواب وتحرزاً من غلط الاستبداد، وأخذاً لمجامع الحزامة، وأمناً من مفارقة الاستقامة، وقد حض الله تعالى على الشورى في قوله لرسوله ﷺ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩] .

وأمره أن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين، ورباط المرابطين، ويَقسم لها قسماً وافراً من عنايته، ويصرف إليها طَرَفاً بل شَطْراً من رعايته، ويختار لَها أهل الجَلَد والشدة، وذوي البأس والنجدة، ممن عجمته الخطوب، (١٩٧ ب) وعركته الحروب، واكتسب دربة بخدع المتنازلين[2]، وتجربة بمكائد المتقارعين، وأن يستظهر بكشف عددهم، واختيار عُددهم، وانتخاب خيلهم، واستجادة أسلحتهم، غير مُجمِّر بَعْثاً إذا بَعَثَه، ولا مستكرهه إذا وجَّهه، بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تملهم، وترفههم ولا تؤودهم، فإن ذلك من فائدة الإجمام، والعدل في الاستخدام، وتنافس رجال النوب فيما عاد عليهم بعد الظفر والنصر، وبعد الصيت والذكر، وإحراز النفع والأجر، ما يحق أن يكون الولاة به عاملين، وللناس عليه حاملين، وأن يكرر في أسماعهم، ويثبت في قلوبهم، مواعيد الله لمن صابر ورابط، وسمح بالنفس وجاهد، من حيث لا يقدمزن على تورط غِرَّة، ولا يحجمون عن انتهاز فرصة، ولا ينكصون عن تورد معركة، ولا يلقون بأيديهم إلى التهلكة، فقد أخذ الله تعالى ذلك على خلقه والمرامين عن دينه، وأن يزيح العلة فيما يحتاج إليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها، وبناء حصونها ومعاقلها، واستطراق طرقها ومسالكها، وإفاضة الأقوات والعلوفات للمتربين فيها وللمترددين إليها والحامين لها، وأن يبذل أمانَهُ لمن يطلبه، ويعرضه على من لم يطلبه، وَيفِيَ بالعهد إذا عاهد، وبالعَقْد إذا

---

(١) الكلمة في الأصل غير منقوطة وتبعنا صبح الأعشى.

(٢) في صبح الأعشى: بخدع المتناوبين.

عاقد، غير مُخْفر ذمة، ولا جارح أمانة، فقد أمر الله تعالى بالوَفاء فقال جل من قائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: الآية ١] ونهى عن النكث فقال عز من قائل ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: الآية ١٠].

وأمره أن يَعْرِضَ مَنْ في حُبُوس عمله على مراتبهم [وإنعام النظر في جناياتهم وجرائمهم][١] فمن كان إقراره واجباً أقره، ومن كان إطلاقه سائغاً أطلقه، وأن ينظر في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف، ويختار لها من الولاة من يخاف الله تعالى ويتقيه، ولا يُحابي ولا يراقب الله فيه، ويتقدم إليهم بقمع الجُهّال، وردع الضُّلاّل، وتتبع الأشرار، (١٩٨ أ) وطلب الدُّعّار، مستدلين على أماكنهم، متوغلين إلى مكامنهم، متولِّجين عليهم في مظانهم، متوثقين ممن يجدونه منهم، منفذين أحكام الله تعالى فيهم، بحسب الذي يتبين من أمورهم، ويتضح من فعلهم، في كبيرة ارتكبوها، وعظيمة احتقبوها، ومهجة أفاضوها واستهلكوها، وحرمة أباحوها وانتهكوها، فمن استحق حدا من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخففين منه، وأحَلُّوه به غير مقصرين عنه، بعد ألا يكون عليهم في الذي يأتون به حجة، ولا تعترضهم في وجوبه شبهة، فإن المستحب[٢] في الحدود أن تقام بالبينات، وأن تدرأ بالشبهات، فأولى ما تَوَخّاه رعاةُ الرعايا فيها ألا يقدموا عليها مع نقصان، ولا يتوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان، ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بمثل ما يُحتاط به على مثله: من الحبس الحصين، والتوثق الشديد، وكتب إلى أمير المؤمنين بخبره، وشرْح جنايته، وثبوتها بإقرار يكون منه، أو شهادة تقع عليه، ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه، فإن أمير المؤمنين لا يُطْلِق سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علماً، وأتقنه فهماً، وكان ما يمضيه فيه عن بصيرة لا يخالطها شك ولا يشوبها ريب. ومن ألَمَّ بصغيرة من الصغائر، ويسيرة من الجرائر، من حيث لم يُعرف له مثلها، ولم تتقدم له أختها، وعظهُ وزجره، ونهاه وحذره، واستتابه وأقاله، ما لم يكن عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه، وجزاء له، فإن عاد تناوله من التقويم والتهذيب، والتغْرِيب[٣] والتأديب، بما يرى أنه قد كفى فيما اجترم، ووفّى فيما قدم، فقد قال تعالى ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٩].

وأمره أن يُعَطِّل ما في أعماله من الحانات والمواخير، ويطهرها من القبائح

---

(١) أضيفت الزيادة من صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي. وفي صبح الأعشى على جرائرهم فمن كان إقراره.

(٢) في صبح الأعشى: فإن الواجب....

(٣) في صبح الأعشى «التعزير» هذا والتعزير هو اللوم والتأديب وهو أصلح للمعنى، وكلمة التغريب أيضاً صالحة للمقام.

والمناكير، ويمنع من تجمع أهل الخنا فيها، ويؤلف شملهم بها: فإنه (١٩٨ ب) شَمْلٌ يصلحه التشتيت، وجمع يحفظه التفريق، وما زالت هذه المواطن الذميمة، والمطارح الدنية، داعية لمن يأوى إليها، ويعكف عليها، إلى ترك الصلوات، وركوب المنكرات، واقتراف المحظورات، وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها لله مغضبة، وفي إخراجها للخير مجلبة، والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ١١٠] ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين ﴿۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ [مريم: الآية ٥٩].

وأمره أن يُولّي الحماية في هذه الأعمالِ أهْلَ الكفاية والغناء من الرجال، وأن يضم إليهم كل من خف ركابه، فأسرع عند الصريخ جوابه، مرتَّباً لهم في المسالح، وسادًا بهم ثُغَرَ المسالك، وأن يوصيهم بالتيقظ، ويأخذهم بالتحفظ، ويزيح عللَهم، في عُلُوفة خيلهم، والمقرر من أزوادهم - وَمِيرِهم، حتى لا يثقل لهم على البلاد وطأة، ويدعوهم إلى تَحيُّفهم وتَلْمِهِم حاجة، وأن يَحُوطوا السابلة بادئة وعائدة، ويتداركوا القوافل صادرة وواردة، ويحرسوا الطرق ليلاً ونهاراً، ويتقصوها رواحاً وإبكاراً، وينصبوا لأهل العبث الأرصاد، ويتمكنوا لهم بكل واد، ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقاً لفضائهم، ومؤدياً إلى انفضاضهم، ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطفئاً لجمرتهم، وصادعاً لمرْوَتهم، ولا يُخلوا هذه السبل من حماة لها وسيّارة فيها: يترددون في جواديها، ويتعسفون في عواديها، حتى تكون الدماء محقونة، والأموال مصونة، والفتن محسومة، والغارات مأمونة، ومن حصل في أيديهم من لص خاتل، وصعلوك خارب، ومخيف لسبيل، ومنتهك لحريم، امْتُثِل فيه أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾ [المائدة: الآية ٣٣].

وأمره أن يوضع الرصَد على من يَجْتاز في أعماله من أُبّاق العبيد، والاحتياط عليهم وعلى من يكون معهم، والبحث عن الأماكن التي فارقوها، والطرق التي استطرقوها، ومواليهم الذين أَبِقُوا منهم ونَشَزوا عنهم، وأن يردوهم عليهم قهراً، ويعيدوهم إليهم صُغُراً، وأن يُنشدوا الضالة بما أمكن أن تُنشد، ويحفظوها على ربها بما جاز أن تحفظ، ويتجنبوا الامتطاءَ لظهورها والانتفاع بأوبارها وألبانها مما يُجَزّ ويحلب، وأن يُعرِّفوا اللُّقَطة ويتبعوا أثرها، ويُشيعوا خبرها، فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سُلِّمت إليه، ولم يُعترض فيها عليه، فإن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: الآية ٥٨]

ويقول رسول الله ﷺ «ضالة المؤمن حَرَقُ النار»[1].

وأمره أن يوصي عماله بالشد على أيدي الحكام، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام، وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقِّرين لها، الذابِّين عنها، المقيمين لرُسُوم الهيبة وحدود الطاعة فيها، ومن خرج عن ذلك من ذي عقل سخيف، وحِلْم ضعيف نالوه بما يردعه، وأحلُّوا به ما يَزَعُه، ومتى تقاعس متقاعس عن حضورٍ مع خصم يستدعيه، وأمرٍ يُوجِّه الحاكم إليه فيه، أو التوى ملتوٍ بحق يحصل عليه، ودين يستقر في ذمته، قادوه إلى ذلك بأزمّة الصَّغار، وخزائم الاضطرار، وأن يُحبَسُوا ويطلقوا بقولهم، ويثبتوا الأيدي في الأملاك والفروج وينزعوها بقضاياهم، فإنهم أمناء الله في فصل ما يفصلون، وَبتِّ مَا يَبُتُّون، وعن كتابه وسنة نبيه ﷺ يُوردون [ويُصدرون] وقد قال تعالى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: الآية ٢٦] ، وأن يتوخى بمثل هذه المعاونة عمال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه، واستيصاف بقائهم[2] فيه، والرياضة لمن تسوء طاعته من مُعامليهم، وإحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم، فمن آداب الله تعالى للعبد الذي يَحق عليه أن يتخذها [أدبا][3]، ويجعلها إلى الرضى عنه سبباً، قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: الآية ٢] .

وأمره أن يجلس للرعية جلوساً عامًّا، وينظر في مظالمها نظراً تامًّا، يساوي في الحق بين خاصها وعامها، ويوازيَ في المجالس بين عزيزها وذليلها، وينصف المظلوم من ظالمه، والمغصوب من غاصبه، بعد الفحص والتأمل والبحث والتبيين، حتى لا يحكم إلا بعدل، ولا ينطق إلا بفصل، ولا يُثَبِّت يداً إلا فيما وجب تثبتها فيه، ولا يقبضها إلا عما وجب قبضها عنه، وأن يسهل الإذنَ لجماعتهم، ويرفع الحجاب بينه وبينهم، ويوليهم من حصانة الكَنَف، ولين المُنْعَطَف، والاشتمال والعناية، والصون والرعاية، ما يتعادل به أقسامهم، وتتوازى[4] منه أقساطهم، ولا يصل المسكينُ منهم إلى استضامة من تأخر عنه، ولا ذو السلطان إلى هضيمة من حلَّ دونه، وأن يدعوهم إلى أحسن العادات [والخلائق][5]، ويحضهم على أحمد[6] المذاهب والطرائق، ويحمل عنهم كَلَّه، ويمد

(١) انظر النهاية لابن الأثير حـ ١ مادة حرق.
(٢) في صبح الأعشى: واستنطاف بقاياهم فيه.
(٣) الزيادة في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي المطبوعة والمثل السائر.
(٤) في صبح الأعشى: وتتوازن.
(٥) الزيادة من صبح الأعشى نقلاً عن المثل السائر. وفي الأصل: ولا يصل إلى ركين منهم إلى استطامة ما تأخر عنه ولا دوا السلطان....
(٦) في صبح الأعشى: أجمل.

عليهم ظِلَّه، ولا يسومهم عسفاً[1] ولا يُلحق بهم حيفاً، ولا يكلفهم شَطَطاً ولا يجشّمهم مضلعاً، ولا يَثْلِم لهم معيشة، ولا يداخلهم في جريمة، ولا يأخذ بريئاً [منهم] بسقيم، ولا حاضراً بعديم، فإن الله عز وجل نهى أن تَزِرَ وازرةٌ وِزْرَ أخرى، وجَعَلَ كلَّ نفس (٢٠٠ أ) رهينة بمكسبها، بريئة من مكاسب غيرها. ويرفعَ عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سُنَّ عليها من سنة ظالمة، وسُلِك بها من محجة جائرة، ويستقريَ آثار الولاة قبله عليها، فيما أزجَوْه من خير أو شر إليها، فيُقرَّ من ذلك ما طاب وحسن، ويزيل ما خَبُثَ وقبح: فإن من يغرس الخير يحظى بمعسول ثمره، ومن يزرع الشر يَصْلَى بممرور ريعه، والله تعالى يقول: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝٥٨﴾ [الأعراف: الآية ٥٨].

وأمره أن يصون أموال الخراج وأثمان الغلات ووجوهَ الجبايات موفَّراً، ويزيد ذلك مثمَّراً، بما يستعمله من الإنصاف لأهلها، وإجرائهم على صحيح الرسوم فيها: فإنه مالُ الله الذي به قوة عباده، وحماية بلاده، ودُرُور حَلَبِه، واتصال مَدده، وبه يحاط الحريم، ويُدفع العظيم، ويُحمى الذمار، وتُذاد الأشرار، وأن يجعل افتتاحه إياه بحسب إدراك أصنافه، وعند حضور مواقيته وأحيانه، غيرَ مستسلِف شيئاً قبلها، ولا مؤخِّر لها عنها، وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترْفيه لهم، وأهل الاستصعاب والامتناع بالشدّ[2] عليهم، لئلا يقع إرهاق لمذعن، أو إهمال لطامع. وعلى المتولي لذلك أن يضع كلاً من الأمر موضعه، ويوقعه موقعه، متجنباً إحلال الغِلظة من لا يستحقها، وإعطاء الفسحة من ليس من أهلها، والله تعالى يقول ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [النجم: الآيات ٣٩ ـ ٤١].

وأمره أن يتخيّرَ عماله على الأعشار، والخراج، والضياع، والجهبذة، والصدقات، والجوالي، من أهل الظَّلَف والنزاهة، والضبط والصيانة، والجَزالة والشهامة. وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية تعيها أسماعهم، وعهود تتقلدها أعناقهم، بأن لا يضيّعوها حقاً، ولا يأكلوها سحتاً (٢٠٠ ب) ولا يستعملوها ظلماً، ولا يقارفوا غَشْماً، وأن يقيموا العمارات، ويحتاطوا [على الغلاّت][3] ويتحرزوا من ترك حق لازم، أو تعطيل رسم عادل، مؤدين في جميع ذلك الأمانة، متجنبين للخيانة، وأن يأخذوا جهابذتهم باستيفاءِ وزن المال على تمامه، واستجادة نقده على عياره، واستعمال الصحة في قبض ما يقبضون، وإطلاق ما

(١) في صبح الأعشى: خسفا.

(٢) في صبح الأعشى: بالتشدد.

(٣) أضيفت الزيادة في صبح الأعشى نقلاً عن الرسائل والمثل السائر.

يطلقون، وأن يوعزوا إلى سعاة الصدقات بأخذ الفرائض من سائمة مواشي المسلمين دون عاملتها، وكذلك الواجب فيها، وأن لا يجمعوا فيها متفرقاً ولا يفرقوا مجتمعاً، ولا يدخلوا فيها خارجاً عنها، ولا يضيفوا إليها ما ليس منها، من فحل إبل أو أكولة راع، أو عقيلة مال، فإذا اجتبوها على حقها، واستوفوها على رسمها، أخرجوها في سلها، وقسّموها على أهلها الذين ذكرهم الله في كتابه، إلا المؤلفةَ قلوبهم الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه وسقط[1] سهمهم، فإن الله تعالى يقول ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: الآية ٦٠] وإلى جُباة [جماجم][2] أهل الذمة أن يأخذوا منهم الجزيةَ في المحرَّم من كل سنة [بحسب] منازلهم في الأحوال، وذات أيديهم في الأموال، وعلى الطبقات المطبقة فيها، والحدود [المحدودة][3] المعهودة لها، وأن لا يأخذوها من النساء، ولا ممن لم يبلغ الحُلُمَ من الرجال، ولا من ذي سن عالية، ولا ذي علة بادية، ولا فقير معدم، ولا مترهب متبتل، وأن يراعِيَ جماعة هؤلاء العمال مراعاة يُسرّها ويظهرها، ويلاحظهم ملاحظة يخفيها ويبديها، لئلا يزولوا[4] عن الحق الواجب، أو يعدلوا عن السنن اللاحب، فقد قال تعالى ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: الآية ٣٤] .

وأمره أن يَنْدُبَ لعَرْض الرجال وإعطائهم، وحفظ جراياتهم وأوقات إطعامهم، من يعرفه بالثقة في مُتَصَرَّفه، (٢٠١ أ) والأمانة فيما يجري على يده، والبعد عن الإسفاف إلى الدنيّة، والاتباع للدناءة، وأن يبعثه على ضبط [حِلَى] الرجال وشيات الخيل، وتجديد العرض بعد الاستحقاق، وإيقاع الاحتياط في الإنفاق، فمن صحّ عرضه ولم يبق في نفسه شيء منه: من شك يعرض له، أو ريبة يتوهمها، أطلق أموالهم موفورة، وجعلها في أيديهم غير مثلومة، وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والإخلال، ناسباً ذلك إلى جهته، مورداً له على حقيقته، وأن يطالب الرجال بإحضار الخيل المختارة، والآلات والسكك المستكملة[5]، على ما يوجب منافع أرزاقهم[6]. وحسب منازلهم ومراتبهم، فإن

---

(١) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى.
(٢) وردت الزيادة في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي.
(٣) وردت الزيادة في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي.
(٤) في الأصل «يزرعوا» أو «يندعوا» والتصويب من صبح الأعشى.
(٥) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩ والآلات المستكملة المستعملة.
(٦) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩ على ما توجبه مبالغ أرزاقهم.

أخمد[1] أحدُهم شيئاً من ذلك قاصّه به[2] من رزقه، وأغرمه مثل قيمته، فإن المقصر فيه خائن لأمير المؤمنين، ومخالف لرب العالمين، إذ يقول سبحانه ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠] .

وأمره أن يعتمد في أسواق الرقيق ودُورِ الضَّرْب والطُّرُز والحِسبة على من يجتمع فيه آلات هذه الولايات: من ثقة وأمانة، وعلم وكفاية، ومعرفة ودراية، وتجربة وحُنْكَة، وحصافة ومُسْكة، فإنها أحوال تُضارع الحُكم وتناسبه، وتدانيه وتقاربه، وأن يتقدم إلى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه، ويمضون أمره، والتحرز من وقوع تَخَوُّن فيه، وإهمال له، إذ كان ذلك عائداً بتحصين الفروج، وتطهير الأنساب، وأن يَبعدوا من أهل الريبة، ويَقْربوا من أهل العفة، ولا يُمضُوا بيعاً على شبهة، ولا عقداً على تهمة، وإلى وُلاة العِيار بتخليص عين الدرهم والدينار، ليكونا مضروبَيْنِ على البراءَة من الغش، والنزاهة مِنَ الزيف[3] وتخصيصه بالإمام[4] المقرّر بمدينة السلام، وحراسة السكك من أن تتداولها الأيدي المُدغِلة، وتتناقلها الجهات المبطلة[5] (٢٠١ ب) وإثبات اسم أمير المؤمنين على [ما يضرب منها ذهباً وفضة، وإجراء ذلك على الرسم والسنة، وإلى ولاة الطرز بأن يجروا الاستعمال في جميع المناسج على أتم النيقة، وأسلم الطريقة، وأحكم الصنعة، وأفضل الصحة، وأن يثبتوا اسم أمير المؤمنين][6] على طرز الكُسا، والفرش والأعلام والبنود، وإلى ولاة الحسبة أن يتصفحوا أحوال العوام في حِرفهم ومتاجهم، ومجتمع أسواقهم ومعاملاتهم، وأن يعايروا الموازين، والمكاييل، ويفرزوها على التعديل والتكميل، ومن اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس، أو غيلة أو تدليس، أو بخس فيما يوفيه، أو استفضال فيما يستوفيه، نالوه بغليظ العقوبة وعظيمها، وخصوه بوجيعها وأليمها، واقفين به في ذلك عند الحد الذي يرونه لذنبه مجازياً، وفي تأديبه كافياً، فقد قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين، الآيات ١ - ٣].

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عليك، وقد وقفك به على سواء السبيل، وأرشدك فيه إلى واضح الدليل، وأوسعك تعليماً وتحكيماً، وأقنعك تعريفاً وتفهيماً، ولم يأْلُكَ جهداً فيما عصمك وعصم على يدك، ولم يدَّخرك ممكناً فيما أصلح بك وأصلحك،

---

(١) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩ فإن أخر.
(٢) في الأصل قاصصه.
(٣) في صبح الأعشى: من المش. وفسر بأنه الخلط حتى يذوب.
(٤) في صبح الأعشى: ويحسب الإمام.
(٥) في صبح الأعشى: الجهات الظنينة.
(٦) الزيادة ودت في صبح الأعشى.

ولا ترك لك عذراً في غلط تغلطه، ولا طريقاً إلى تورّط تتورطه، بالغاً بك في الأوامر والزواجر إلى حيث يلزم الأئمة أن يندبوا الناس إليه، ويحثوهم عليه، مقيماً لك على منجيات المسالك، صارفاً بك عن مرديات المهالك، مريداً فيك ما يسلّمك في دينك ودنياك، ويعود بالحظ عليك في آخرتك وأولاك، فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت، وإن تجانفت واعوججت فقد خسرت وندمت، والأوْلَى بك عند أمير المؤمنين مع مَغْرِسك الزاكِي، ومنبتك النامي، وعودك الأنجب، وعنصرك الأطيب، أن تكون لظنه فيك محقِّقاً، ولِمَخِيلته فيك مصدِّقاً، وأن تستزيد[1] بالأثر الجميل قرباً [من رب العالمين][2] وثواباً يوم الدين، وزلفى عند أمير المؤمنين، وثناء حسناً (٢٠٢ أ) من المسلمين، فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من معاذيره، وأمسكْ بيدك على ما أعطى من مواثيقه، واجعل عهده مثالاً تحتذيه، وإماماً تقتفيه، واستعن بالله يُعنك، واستهده يَهدك، وأخلص إليه في طاعته يُخلص لك الحظَّ من معونته، ومهما أشكل عليك من خَطْب، أو أعضل عليك من صَعْب، أو بهرك من باهر، أو بهظك من باهظ، فاكتب إلى أمير المؤمنين مُنْهِياً، وكن إلى ما يرد عليك منتهياً[3] إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وعلى هذا النهج جرى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي فيما كتب به للعادل كُتْبغا المنصوري عن الحاكم الأول، وهو الإمام الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين[4].

وهذه نسخته[5]

هذا عهد شريف في كتاب مرقوم يشهده المقربون، ويُفَوِّضه آل رسول الله ﷺ الأئمَّة الأقربون. من عبد الله ووليه الإمامِ الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين، وسليل الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديِّين، رضوان الله عليهم أجمعين، إلى السلطان الملك العادل، زين الدنيا والدين كُتْبغا المنصوري أعز الله سلطانه.

أما بعد فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي جعل له منك سلطاناً نصيراً، وأقام له بملكك على ما ولاه من أمور خلقه عضداً وظهيراً، وآتاك بما نهضت به من طاعته نعيماً

---

(١) في الأصل أن تسير.

(٢) الزيادة في صبح الأعشى نقلاً عن رسائل الصابي المطبوعة.

(٣) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٣١ «.. به منهياً وكن على ما يرد عليك [من جوابه] منتهياً» والزيادة عن رسائل الصابي.

(٤) في صبح الأعشى بهامشه نقلاً عن ابن إياس: هو أحمد بن علي بن أبي بكر. وفي خطط المقريزي أحمد بن أبي علي الحسن. أما في الأصل ج ٢ ص ١١٦ فهو كما أثبته هنا في الأصل صحيحاً.

(٥) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٤٧.

وملكاً كبيراً، وخوَّلك بإقامة ما وراء سريره من مصالح (٢٠٢ ب) الإسلام بكل أرض منبراً وسريراً، وجاء بك لإعانته على ما استخلفه الله فيه من أمور عباده على قَدَر وكان ربك قديراً، وجمع بك الأمة بعد أن كاد يَزيغ قلوبُ فريق منهم، وعضدك لإقامة إمامته بأولياء دولتك الذين رضي الله عنهم، وخصك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أُمروا به من طاعتك وهم نازهون[١]، وأظهرك على الذين ﴿ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: الآية ٤٨] واصطفاك لإقامة الدين وقد اختلفت الأهواء في تلك المدة، ولمَّ بك شعث الأمة بعد الاضطراب فكان موقفُك ثَمَّ موقفَ الصديق يوم الردة.

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة حاكم بأمره، مستنزِل لك بالإخلاص ملائكةَ تأييده وأعوان نَصْره، مسترهِفٍ بها سَيْفَ عزمك على من جاهره بشركه وحاربه بكفره، معتصمٍ بتوفيقه في تفويضه إليك أمر سره الذي استُودِعه في الأمة وجهره، ويصلي على سيدنا محمد رسوله الذي استخرجه الله من عنصره وذويه، وشرّف به قَدْرَ جده بقوله فيه: «عَمُّ الرجل صِنْو أبيه». وأسَرَّ إليه بأن هذا الأمر فُتح به ويُختم ببنيه، وعلى آله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده، الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يعدلون، وجاهدوا أئمة الكفر الذين لا إيمان لهم والذين هم بربهم يعدلون، وسلَّم تسليماً كثيراً.

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله من سر النبوة، واستودعه من أحكام الإمامة الموروثة عن شرف الأبوة، واختصه من الطاعة المفروضة على الأمم، وفرض عليه من النظر في الأخَصِّ من مصالح المسلمين والأعم، وعَصَمَ آراءه ببركة آبائه من الخَلَلِ، وجعل سهم اجتهاده هو المصيبَ أبدا في القول والعمل، وكان السلطان فلان هو الذي جمع الله به كلمَةَ الإسلام وقد كادت، (٢٠٣ أ) وثبَّت به الأرضَ وقد اضطربت بالأهواء ومادت، ورفع به منار الدين بعد أن شمخ الكفرُ بأنفه، وألّف به شمل المسلمين وقد طمح العدو إلى افتراقه وطَمِع في خُلْفه، [وحفظ به في الجهاد حكم الكتاب الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: الآية ٤٢]][٢] وحمى به الممالك الإسلامية فما شام الكفرُ منها برقَ ثغرٍ إلا رُمي من وَباله بوابل، ولا أطلق عِنان طَرْفه إلى الأطراف إلا وقع من سطوات جنوده في كُفَّة حابل، ولا اطمأنوا في بلادهم إلا أتتهم سراياه من حيث لم يرتقبوا، ولا ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله إلا وأتاهم جنوده من حيث لم يحتسبوا، وألف جيوش الإسلام فأصبحت على الأعداء بيمنه يداً واحدة، وقام بأمور الأمة فأمست عيون الرعايا

(١) في الأصل وهم كارهون والتصويب من صبح الأعشى. والنازه العفيف.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢. والزيادة من صبح الأعشى.

باستيقاظ سيوفه في مهاد الأمن راقدة، وأقام منار الشريعة المطهرة فهي حاكمة له وعليه، نافذٌ أمرُها على أمره فيما وضع اللهُ مقاليدَه في يديه، ونصره الله في مواطن كثيرة، وأعانه على من أضمر له الشقاق ﴿بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: الآية ٤٥] وأظفره بمن بغى عليه في يومه بعد حلمه عنه في أمسه، وأيده على الذين خانوا عهدَه ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾ [الفتح: الآية ١٠] وتعيّن لمُلْكِ الإسلام فلم يك يصلح إلا له، واختاره الله لذلك فبلغ به الدِّين آماله، وضعضع بملكه عمود الشرك وأماله، وأعاد بسلطانه على الممالك بهجتها وعلى الملك رونقه وجلاله، وأخدمه النصرَ فما أضمر له أحد سوءًا إلا وَزلزل أقدامه وعجّل وبالَه، ورده إليه وقد جعل من الرعب قيودَه ومن الذعر أغلالَه، وأوطأ جواده هامَ أعدائه وإن أنِفَ أن تكون نِعالَه.

عَهِد إليه حينئذ مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أميرُ المؤمنين في كل ما وراء خلافته المقدسة، وجميع ما اقتضته أحكام إمامته التي هي على التقوى مؤسّسة، من إقامة شِعَار الملك الذي جمع الله (٢٠٣ ب) الإسلام عليه، وظهرت أبهة السلطنة التي ألقى اللهُ وأميرُ المؤمنين مقاليدها إليه، ومن الحكم الخاص والعام، في سائر ممالك الإسلام، وفي كل ما تقتضيه شريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي خزائن الأموال وإنفاقها، ومِلْك الرقاب وإعتاقها، واعتقال الجناة وإطلاقها، وفي كل ما هو في يد الملّة الإسلامية أو يفتحه الله بيده عليها، وفي جميع ما هو من ضَوالِّ الممالك الإسلامية التي سيرجعها الله بجهاده إليها، وفي تقليد الملوك والوزراء، وتَقْدِمة الجيوش وتأمير الأمراء، وفي الأمصار، يُقِرُّ بها من شاء من الجنود، ويبعث إليها ومنها ما شاء من البعوث والحشود، ويحكم في أمرها بما أراه الله من الذَّبِّ عن حريمها، ويتحكم بالعدل الذي وسم الله به لظاعنها ومقيمها، وفي تقديم حديثها واستحداث قديمها، وتشييد ثغورها، وإمضاء ما عرّفه الله به وَجهله سواه من أمورها، وإقرار من شاء من حكّامها، وإمضاء ما شاء من إتقان القواعد بالعدل وإحكامها، وفي إقطاع خواصها، واقتلاع ما اقتضته المصلحة من عمائرها وعمارة ما شاء من قلاعها، وفي إقامة الجهاد بنفسه الشريفة وكتائبه، ولقاء الأعداء كيف شاء من [تسيير][1] سراياه وبعث مواكبه، وفي مُصَافَّة العدوّ وحصاره، ومقارعة شيعته[2] وأنصاره، وغزوه كيف أراه الله في أطراف بلاده وفي عقر داره، وفي المَنِّ والفداء والإِرْقاق، وضرب الهُدَن التي تَسْأَلُها العِدَا وهي خاضعة الأعناق، وأخذ مُجاوِري العدو المخذول بما رآه الله من النكاية إذا أمكن من نواصيهم، وحكّم عفوه في طائعهم وبأسه في عاصيهم، وإنزال

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى.

(٢) في صبح الأعشى: وفي مضايقة العدو وحصاره، ومصابرته وإنظاره وغزوه.. وفي الأصل ومقاربة شيعته.

﴿ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٦] وفي الجيوش التي أَلِف الأعداء فتكاتِ أُلوفِها، وعرفوا أن أرواحهم ودائع سيوفها، وصبّحتهم سرايا رعبها المبثوثة إليهم، وتركهم خوفُها ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ (٢٠٤أ) يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: الآية ٤] وهم الذين ضاقت بمواكبهم إلى العِدَا سَعَةُ الفِجاج، وقاسمت رماحهم الأعداء شر قِسْمة ففي أيديهم كعوبها وفي صدور أولئك الزّجاج، وأذهبت عن الثغور الإسلامية رِجْس الكفر وطَهّرت من ذلك ما جاور العذب الفراتَ والمِلحَ الأُجاجَ، وعُرفوا في الحروب بتسرع الإقدام، وثبات الأقدام، وادّخر الله لأيامه الشريفة أن يُرْدِفَها بهم[1] دار السلام إلى ملك الإسلام: فيُدِرّ عليهم ما شاء من إنعامه الذي يؤكد طاعتهم، ويجدد استطاعتهم، ويضاعف أعدادهم، ويجعل بصفاء النيات ملائكة الله أمدادهم، ويحملهم على الثبات إذا لقوا الذين كفروا زحفاً، ويجعلهم في التعاضد على اللقاءِ كالبنيان المرصوص فإن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً، وفي أمر الشرع وتولية قضاته وحكامه، وإمضاء ما فرض الله عليه وعلى الأمة من الوقوف عند حدوده والمشي مع أحكامه، فإنه لواء الله الممدود في أرضه، وحبله المتين الذي لا نقض لإبرامه ولا إبرام لنقضه، وسنن نبيه الذي لا حظّ عند الله في الإسلام لغير متمسك بسنته وفرضه، وهو أعز الله سلطانَه سَيفُ الله المشهور على الذين غَدَوْا وهم من أحكام الله مارقون، ويده المبسوطة في إمضاء الحكم بما أنزل الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: الآية ٤٧] وفي مصالح الحرمين الشريفين وثالِثهما الذي تُشَدّ أيضاً إليه الرحال، وإقامة سبل الحجيج الذين يفدون على الله بما أصحبهم[2] من بِرِّه وعنايته في الإقامة والارتحال، وفي عمارة البيوت التي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ﴾ [النور، الآية ٣٦، ٣٧]، وفي إقامة الخطب على المنابر، واقتران اسمه الشريف مع اسمه بين كل بادٍ وحاضر، والاقتصار على هذه التثنية[3] في أقطار الأرض فإن القائل بالتثليث كافر، وفي سائر ما (٢٠٤ب) تشمله الممالك الإسلامية ومن تشتمل عليه شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وبراً وبحراً، وشاماً ومصراً، وحجازاً وَيَمَناً، ومن يستقر بذلك إقامة وظعناً، وفوض إليه ذلك جميعه وكل ما هو من لوازم خلافته لله في أرضه، ما ذكر وما لم يذكر تفويضاً لازماً، وإمضاء جازماً، وعهداً محكماً، وعقداً في مصالح ملك الإسلام مُحَكَّماً، وتقليداً مؤبّداً، وتقريراً على كر الجديدين مُجَدَّداً، وأثبت ذلك وهو الحاكم حقيقة بما علمه من استحقاقه والحاكم بعلمه، وأشهد الله وملائكته على نفوذ حكمه بذلك ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: الآية ٤١].

---

(١) في صبح الأعشى: وادَّخر الله لأيامه الشريفة أن يردِ نهابهم دار السلام.

(٢) في صبح الأعشى: يفدون على الله بما منحهم. . . .

(٣) في الأصل هذا التنبيه.

وذلك لما صح عنده من نُهوض مُلْكه بإعباء ما حَمَّله الله من الخلافة، وأدى به الأمانة عنه فيما كتب الله عليه من الرحمة اللازمة والرافة، واستقلاله بأمور الجهاد الذي أقام الله به الدين، واختصاصِه وجنودِه بعموم ما أمر الله به الأمة من قوله تعالى ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ١٤﴾ [التوبة: الآية ١٤] وأنه في الجهاد سهمه المصيب وله به أجر الرامي المسدّد، وسيفه الذي جرّده على أعداء الدين وله من فتكاته حظُّ المُرْهَفِ المُجَرَّد، وظل الله في الأرض الذي مده بيمن يمينه، وآية نصره الذي اختاره الله لمصالح دنياه وصلاح دينه الناهضُ بفرض الجهاد وهو في مستقر خلافته وادع، والراكض عنه بخَيْله وخَيَاله إلى العدوّ الذي ليس له غير فتكات سيوفه[1] رادع، والمؤدّي عنه فرضَ النفير في سبيل الله كلما تعيَّن، والمنتقم له من أهل الشقاق الذين يجادلون في الحق بعد ما تبين، والقائم بأمر الفتوح التي تَرُدُّ بِيَعَ الكفر مساجدَ يذكر فيها اسم الله واسمُه، ويرفع على منابرها شعارُه الشريف ورسمه، وتُمثِّل له بإقامة دعوته صورةُ الفتح كأنه ينظر إليها، والناظر عنه في عموم مصالح (٢٠٥ أ) الإسلام وخصوصها تعظيماً لقدره، وترفيهاً لسره، وتفخيماً لشرفه، وتكريماً لجلالة بيته النبوي وسلفه، وقياماً له بما عهد إليه، ووفاء من أمور الدين والدنيا بما وضع مقاليده في يده.

وليدل على عظيم سيرته المقدسة بكريم سَيْره، وينبّه على كمال سعادته إذ قد كُفي به في أمور خلق الله تعالى، والسعيد من كُفِي بغَيْره، لم يجعل أمير المؤمنين على يده يداً في ذلك، ولا فسّح لأحد غيره في أقطار الأرض أن يُدعى بملِك ولا مالك، بل بسط حكمه وتحَكُّمه في شرق البلاد[2] وغربها وما بين ذلك، وقد فَرَض طاعته على سائر الأمم، وحكَمَ بوجوبها على الخاص والعام، ومن ينقض حكم الحاكم إذا حكم، وهو يعلم أن الله تعالى قد أودع مولانا السلطان سرًّا يُستضاء بأنواره، ويُهْتدى في مصالح المُلْك والممالك بمناره، فجعل له أن يفعل في ذلك كل ما هدى اللهُ قلبَه إليه، وبعثه بالتأييد الإلهي عليه، راكتفى عن الوصايا بأن الله تعالى تكفل له بالتأييد، وخصه من كل خير بالمزيد، وجعل خُلُقَه التقوى وكلُّ خير فَرْعٌ عليها، ونوّر بصيرته بالهدى فما يَدُلُّ على حسنة من أمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق إليها، والله تعالى يجعل أيامه مؤرَّخة بالفتوح، ويؤيده بالملائكة والرُّوح، على من يَدَّعي الأب والابن والرُّوح، ويجعل أسباب النصر معقودة بسببه، والمُلْكَ ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: الآية ٢٨].

ويشهد بهذا العهد الشريف من شهده مع الملائكة المقرّبين، كل من حضر تلاوته من سائر الناس أجمعين: لتكون حجَّةُ الله على خلقه أسبق، وعهدُ أمير المؤمنين بثبوته أوثق،

(١) في صبح الأعشى: إلى العدو الذي ليس لفتكات سيوفه رادع.

(٢) في صبح الأعشى: شرق الأرض وغربها.

وطاعة سلطان الأرض قد زادها الله على خلقه بذلك توكيداً، وشهد [الله][1] وملائكته على الخلق بذلك وكفى بالله شهيداً، والاعتماد على الخط الحاكميّ أعلاه حجة به، إن شاء الله تعالى.

(٢٠٥ ب) وعلى ذلك جرى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي أيضاً.

فيما كتب به للملك المنصور حسام الدين لاجين، عن الحاكم الثاني وهو الحاكم بأمر الله بن الحسين[2] المقدّم ذكره.

وهذه نسخته[3]

هذا عهد شريف تشهد به الأملاك لأشرف الملوك، وتسلك فيه من قواعد العهود المقدسة أحسنَ السلوك، من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، للسلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين، أغبي الفتح لاجين المنصوريّ، أعز الله سلطانَه.

أما بعد فالحمد لله مؤتي الملكِ من يشاء من عباده، ومعطي النصر من يجاهد فيه حقَّ جهاده، ومرهفِ حسامِ انتقامه على من جاهر بعناده، ومفوض أمر هذا الخلق إلى من أودعه سرَّ رأفته في محبته ومراد نقمته في مراده، وجامع كلمة الإيمان بمن اجتباه لإقامة دينه وارتضاه ليرفع عماده، ومقر الحقِّ في يد من منع سيفَه المجرَّدَ في سبيل الله أن يَقِرَّ في أغماده، وناصرِ من لم تزل كلمة الفتوح مستكنّة في صدور سيوفه جارية على ألسنة صِعاده، وجاعِلِ مُلْكِ الإسلام من حقوق مَنْ إذا عُدَّ أهْلُ الأرض على اجتماعهم كان هو المتعيِّنَ على انفراده، الذي شرَّف أسِرَّةَ مُلْكِ الإسلام باستيلاء حسام دينه عليها، وزلزل ممالك أعدائه بما بعث من سرايا رُعْبه إليها، وثبَّت به أركان الأرض التي ستَحْتوي مُلكَه في طَرَفَيْها، وضعضع بسلطانه قواعد ملوك الكفر فَودَّعَتْ ما كان مُودَعاً لأيامه من ممالك الإسلام في يَديْها، وأقامه وليَّه بأمره فلم يختلف عليه اثنان من خلقه، وقلّده أمر بريَّتِه لما أقدره عليه من (٢٠٦ أ) النهوض بحقهم وحقه، وأظهره على من نصب له الغوائلَ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: الآية ٢١]، ونصره في مواطن كثيرة، لما قدّره في القِدم من رفعة شأنه وإعلاء قَدْره، وجعل عدوَّه وإن أعرض عن طلبه بجيوش الرعب محصوراً، وكفاه بنصره على الأعداء التوغلَ في سفك الدماء فلم ﴿يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٣] ونقل إليه المُلْكَ بسيفه والدماء مصونة، وحكّمه فيما كان بيد غيره من

---

(١) هي أيضاً مزادة في صبح الأعشى وخلا منها أصله.

(٢) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٥٣ «الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المتقدم ذكره» وفي الهامش اعتراض على هذا.

(٣) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٥٣.

الأرض والبلاد آمنة والفتن مأمونة، فكان أمر من ذهب سحابة صَيْف، أو خَلْسَة[1] طيف، لم تَحُلَّ له روعة في القلوب، ولم يُذْعِرْها - وقد ألبسه الله ما نَزَع عن سواه - سالبٌ ولا مسلوب، إجراءً لهذه الأمة على عوائد فضله العميم، واختصاصاً بما آتاه من ملكه ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٧] .

يحمده أمير المؤمنين على ما منح في أيامه الدينَ من اعتضاده بحُسامه، والاعتماد في ملك المسلمين على من يجعل جِبَاهَ ملوكِ الشرك تحت أقدامه، والاعتداد بمساعي مَنْ حصونُه في الجهاد ظهورُ جياده وقصوره أطراف حسامِه.

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ حاكم بما أَرَاه، حامدٍ له في ملك الإسلام على ما يَسَّرَ ما وطّده ودَفَع ما عَدَاه[2] مُعتصِم به في كل ما أثبته بالحق من قواعد الدين وأوثقه بالتقوى من عُرَاه، مُستمِدٌّ ملائكة نصرِه لمن أغنته عزائمه في جهاد أعداء الدين عن سَيْره في ذلك وسُراه[3]، وأن محمداً عبده ورسوله الذي جعله من عَصَبَتَه الشريفة وعُصْبَتِه، وشرّفه بوراثة خلافته في أمته قَدْر رتبته،[4] وقَصَره على إقامة من يُرهِب العِدا بنشر دعوته في الآفاق [مع] مواقع رغبته. ويسأله أن يصلي عليه صلاة تفتح له في الدنيا إلى العصمة طريقاً، وتجعله في الأخرى معه ومع الذين أنعم الله عليهم من آبائه الشهداء والصالحين ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: الآية ٦٩] وسلَّم تسليماً كثيراً (٢٠٦ ب) وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من السر[5] المودع في قلبه، والنور الذي أصبح فيه على بينة من ربه، والتأييد المنتقل إليه عمن شرُف بقربه، والنص الذي أسره رسول الله ﷺ إلى جده العباس من بقاء هذا الأمر في ورثته دون أقاربه وصحبه، لم يزل يرغب إلى الله تعالى ويستخيره في إقامة من ينهض في ملك الإسلام حق النهوض، ويفوض أمر الأمة[6] إلى من يرى أداءَ الأمانة فيهم من آكد الفروض، ومن إذا قال النفير يا خيل الله اركبي سابقت خيلُه خَيالَه، وجازت عزائمه نِصالَه، وأخذ عدوَّ الدين من مأمنه، وغالب بسيفه[7] الأجلَ على انتزاع روحه من بدنه، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وجاهد لإقامة منار الإسلام لا للتعرض إلى عَرَض الدنيا، وقدَّمت له ملوك الدنيا حصونَها، وبذلت له مع الطاعةِ مصُونَها،

(١) في صبح الأعشى: أو جلسة ضيف.
(٢) في صبح الأعشى: على تَيَسُّر ما ووطّده ودفع ما عراه.
(٣) في صبح الأعشى: معتصم به في كل ما أثبته الحق من قواعد الدين في جهاد أعداء الدين...
(٤) في صبح الأعشى أضاف المحققون على الأصل: «في أمته [ورفع] قدر».
(٥) في صبح الأعشى: البر.
(٦) في صبح الأعشى: أمر الأمانة.
(٧) في صبح الأعشى: وغالب سفه.

وأُقيم له بكل قُطر منبر وسرير، وجمع ملوكَ العِدا في رق طاعته مَنْ هو على جمعهم إذا يشاء قدير، ومن يقيم العدل على ما شُرع، والشرع على ما أخذ عن رسول الله ﷺ وسُمع، ويميت البِدَع بإحياءِ السنن، ويعلم أن الله جعل لخلقه على لسان نبيه محمد ﷺ سَنَناً ولا يعدل بهم عن ذلك السنن.

ولما كان السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين أبو الفتح «لاجين المنصوري» - خلد الله سلطانه - هو الذي جعل [الله][1] صلاح الأمة على يديه، واختاره لإقامة دينه فساق مُلْكَ الإسلام عَنْوَةً إليه، وأنهضه بذلك وقد أمده بجنود نصره، وأنزل سكينته عليه، وجمع قلوب أهل الإسلام على حبه، وفرّق أعداء الدِّين خوفُ حربه، وجعل النصرَ حيث توجه من أشياعه[2] وحزبه، وعضده لنصرة الإسلام بملائكة سمائه، وأقام به عمودَ الدين الذي بالسيف قام ولا غرو[3] فإن الحسام من أسمائه، وأقبلتْ إليه طوائف (٢٠٧ أ) جيوش الإسلام مذعنين، وأدى في كرامتهم حقوق طاعة الله الذي أيده بنصره وبالمؤمنين، وتلقاهم بشير كرامته ونعمه وقال: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، وطارت مخلقات البشائر بملكه في الآفاق، وأغصّ العِدا بسلطانه فما توهموا في أمر الإسلام الاختلاف حتى تحققوا بحمد الله ويمن أيامه الوفاق، واختالت المنابر الإسلامية بذكر أمير المؤمنين وذكره، وأعلنت الأمة المحمدية بحمد الله الذي أقرَّ به الحق في مركزه وردَّ به شارد الملك إلى وكْره، وتحقق أمير المؤمنين أنه المكنون في طويته والمستكن في إضماره[4] والقائم في عمارة بيته النبوي وسلامته مقام سلمانه وعَمَّاره. فعهد إليه حينئذ في كل ما تقتضيه أحكام إمامته في أمة نبيه، وجعله في التصرف المطلق عنه قائماً مقام وصيه في الملة ووليه، وقلده أمر ملك الإسلام تقليداً عاماً، وفوض إليه حكم السلطنة الشريفة تفويضاً تاماً، وألبسه من ذلك ما خلعه عن سواه، ونشر عليه لواء المُلك الذي زوي ظلَّه عن غيره وطواه، وحكّمه في كل ما تقتضيه خلافته المقدسة، وتمضية إمامته التي هي على التقوى مؤسسة: من إقامة منار الإسلام، والحكم العام، في أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي تقليد الملوك والوزراء، وتقدمة الجيوش وتأمير الأمراء، وفي تجهيز العساكر والسرايا، وإرسال الطلائع والروايا، وتجريد الجنود الذين ما ندبهم إلى العدا إلا أتوا بالنهاب وبالسبايا، وفي غزو العدوّ كيف أراه الله إن شاءَ بنفسه أو جنده، وفي استنزال[5] النصر بالثبات والصبر،

(١) الزيادة من صبح الأعشى.

(٢) في صبح الأعشى: أشياخه.

(٣) في الأصل: ولا فرق.

(٤) في صبح الأعشى: والمستكن في صدره.

(٥) في صبح الأعشى: وفي استرسال. . . .

فإن الله يجزي الصابرين وما النصر إلا من عنده، وفي محاصرة العدو ومصابرته، وإنظاره ومناظرته، وإنزالهم على ما شرع الله فيهم من الأحكام، والتوخي في ذلك ما حكم به سعد بن معاذ في زمن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، (٢٠٧ ب) وفي ضرب الهُدَن وإمضائها، والوفاء بالعقود المشروعة إلى انتهاء مددها وانقضائها، وفي إرضاء السيوف ممن نكث ولم يُتِمَّ عهده إلى مدته، فإن إسخاط الكفر في إرضائها، وفي الأمصار يقرُّ بها من شاء من الجنود، ويبعث إليها ما شاء من البعوث والحشود، وفي سداد الثغور بالرجال الذين تفترُّ بهم عن شنَب النصر، وتأمن بهم أعداؤها من غوائل الحصر، وتوفر سهامها من سهام القوة التي ترمي العِدَا بشرر كالقصر، وإمداد بحرها بالشواني المجرَّبة المجردة[1]، والسفن التي كأنها القصور الممهدة، على الصروح الممردة، فلا تزال تدبّ إليهم من ذوات الأرجل عقاربها، وتخطف غربانَهم الطائرةَ بأجنحة القلوع مخالبُها، وفي تقدمة الألوف وتنفيذ السرايا، التي لا تزال أسنتها إلى نحور الأعداء مقوّمة، وإنفاق ما يراه في مصالح الإسلام من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة، وفي إعلاء منار الشرع الشريف والانقياد إليه، والمسارعة إلى نفوذ حكمه فيما له وعليه، وتقوية يد حكامه على كل أمير ومأمور أقر الشرعُ في يده شيئاً أو انتزعه من يديه، وتفويض الحكم إلى كل من يتعين لذلك من أئمة الأمة، وإقامة الشرع الشريف على قواعده الأربع فإن اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة، وفي مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذي تُشد الرحال أيضاً إليه، وفي إقامة سبل الحجيج الذي دعاهم الله فلبوه واستدعاهم فقدموا عليه، وفوض [إليه] كلّ ما هو من لوازم خلافته لله في أرضه: ما ذُكر وما لم يُذكر، تفويضاً لازماً، وتقليداً جازماً، وعقداً محكماً، وعهداً في مصالح الإسلام والمسلمين مُحكَّماً، واكتفى عن الوصايا بما جُبل عليه خلقه الشريف من التقوى، وهَدْيِ نفسه النفيسة إليه من التمسك بالسبيل الأقوم[2] والسبب الأقوى، فما يُنبَّه على حسنة إلا وهو (٢٠٨ أ) أسبق إليها، ولا يُدل على معدلة[3] إلا وفكره الشريف أسرع من فكر الدال عليها، وقد وثق ببراءة الذمة من حق قوم أضحوا لفضل مثله راجين، وتحقيق حلول النعمة على أُمة أبدا إلى «لاجين» لاجين[4]، وقد استخار أمير المؤمنين الله تعالى في ذلك كثيراً، ولجأ إلى الله في توفيقه وتوقيفه على الصواب مما يجده في الحكم بذلك هادياً ونصيراً، وسارع إلى التسليم لأمر الله تعالى فيما فوض إليه من أمور عباده إنه كان بعباده خبيراً بصيراً، وأشهد الله وملائكته

---

(١) في صبح الأعشى: المجربة المجودة.
(٢) في صبح الأعشى: بالسند الأقوم والسبب الأقوى.
(٣) في صبح الأعشى: ولا يدل على خلة....
(٤) في صبح الأعشى: وتحقق حلول النعمة على أمة أمسوا إلى «لاجين» لاجين.

ومن حضره من المؤمنين على نفسه بما تضمنه هذا العهد الكريم، وحَكَمَ بمقتضاه على الأمة ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾ [البقرة: الآية ١٨١]. والخط الشريف الإمامي الحاكمي أعلاه، حجة بمقتضاه، إن شاء الله تعالى.

وعلى مثل ذلك كتب المولى شمس الدين إبراهيم بن القيسري.

عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عن الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين[1] المقدم ذكره في سلطنته الثانية عند عوده من الكرك بعد خلع المنصور لاجين

وهذه نسخته[2]

هذا عهد يعمر بك للإسلام المَعَاهد، وينصر منك الاعتزام فتغنَى عن المُوالي والمُعاهِد[3]، ويلقى إليك مقاليدَ الأمور: لتجتهد في مراضي الله وتجاهد، ويبعثك على العمل بالكتاب والسنة: ليكونا شاهِديْنِ لك عند الله في أعظم المَشاهد، فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة تبركاً بأخذ يحيي عليه السلام الكتاب، وحاسب نفسك محاسبة تجد نفعها يوم يقوم الحساب، واعمل صالحاً (٢٠٨ ب) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب.

من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين: إلى السلطان الأجل، العالم، العادل، المجاهد، المرابط، المظفر، الملك، الناصر، ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، سيد الملوك والسلاطين، فاتح الأمصار، مبيد الأرمن والفرنج والتتار، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، خادم الحرمين، صاحب القبلتين، أبي الفتح محمد [قسيم][4] أمير المؤمنين أعز الله سلطانه، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون، قدس الله روحه.

أما بعد، فالحمد لله الذي أقام ناصر الإسلام وأهله بخير ناصر، وأحل في السلطنة المعظمة من استحقها بذاته الشريفة وشَرَّفِ العناصر، ووضع الإِصْرَ بمن كثرت منه ومن سلفه الكريم على الرعايا والأواصر، وعقد لواء المُلْك لمن هو واحد في الجود ألفٌ في الوغى ففي حاليه تُعقد عليه الخناصر، وجمع كلمة الأمة بمتفرد في المعالي متوحِّد في المفاخر، متّصف بمناقبَ أربي بها على أربابها من الملوك الأوائل والأواخر، وأقرّ النواظر

---

(١) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٥٩: القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني....

(٢) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٥٩.

(٣) في صبح الأعشى: والمعاضد.

(٤) الزيادة من صبح الأعشى. فقد حدث في الأصل خرق أو قطع.

والخواطر بمن أشرق عليهما نوره الباهر، وظهر آثار وجود وجوده على البواطن والظواهر، وأعاد شبيبة الأيام في اقتبال سر السرائر، وسارت بشائر مقدمه في الآفاق سير المثل وما ظنك بالمثل السائر، وفعلت مهابته في التمهيد والتشييد فعل القنا المتشاجر، وشَفَتِ الصدور بوجود الاتفاق وعدم الشقاق بعد أن بلغت القلوبُ الحناجر، وأورث البلاد والعباد صفوة ذرية ورثوا السيادة كابراً عن كابر، وسرى سِرُّهُ إذا ولد المولود منهم تهللت الأرض واهتزت إليه المنابر.

والحمد لله الذي اجتبى سيدنا محمداً ﷺ من أشرف بيت وقبيلة، ومنح الأمة برسالته من خيري الدنيا (٢٠٩ أ) والآخرة الوسيلة، وأوجب الشفاعة لمن سأل الله له أعلى درجة لا ينالها إلا رجل واحد وهي الوسيلة، وجعل شملهم بمبايعته ومتابعته في الهداية نظيماً، وحض على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ [الفتح: الآية ١٠] وبلّغهم به من السعادة غاية مطلوبهم، وأيده بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم، وزان شريعته المطهرة بمحاسن أبهى منظراً ومخبراً من العقود، وفرض على المؤمنين أن يُوفُوا بالعهود والعقود، وأقدرهم على حمل الأمانة التي أشفقت السموات والأرض والجبال من حملها، وأنزل في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: الآية ٥٨].

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين من سلالة عم نبيه العباس، واصطفى بيته المبارك من خير أمة أخرجت للناس، وقوي به جأش المسلمين وجيوش الموحدين على الملحدين، وآتاه بسيادةِ جدّه وسعادة جَدِّه ما لم يُؤْتِ أحداً من العالمين، وحفظ به للمؤمنين ذماماً، وجعله للمتقين إماماً، وخصه بمزيد الشرفَين: نسبِه ومنصبِه، وجعل مزية الرتبتين كلمة باقية في عقبه، وصان به حوزة الدين صيانة العرين بالأسود، وصيّر الأيدي البيض مشكورة لحاملي راياته السود.

يحمده أمير المؤمنين حمد من اختاره من المساء فاستخلفه في الأرض، وجعل إمرته على المؤمنين فرضاً لتقام به السنة والفرض، ويشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: الآية ١] وبلّغ الأمةَ به من النجاة والنجاح الغرض الأقصى[1]، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كشف بمبعثه عن القلوب حجب الغيّ، (٢٠٩ ب) وأشرقت أنوار نبوته فأضاء بها يوم دخوله المدينة كلّ شيّ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أقامه في الإمامة مُقامه

(١) «وبلغ الأمة. . . . الغرض الأقصى» غير موجودة في صبح الأعشى.

وأشار إلى الاقتداء به من بعده، ومنهم من أعز الله به الإسلام في كل قطر مع قربه وبعده، ومنهم من كانت اليد الشريفة النبوية في بيعة الرضوان خيراً له من يده، ومنهم من أمر الله تعالى بالمباهلة بالأبناء والنفوس فباهل خاتم الأنبياء ﷺ به وبزوجه وولده، وعلى بقية العشرة، الذين غدت بهم دعوة الحق مشتهرة منتشرة، وعلى عمَّيه أسدِ الله وأسدِ رسوله عليه السلام، وجد الأئمة المهديين أمراء المؤمنين وخلفاء الإسلام، وسلّم تسليماً كثيراً.

وإن الله تعالى جعل سجية الأيام الشريفة الإمامية الحاكمية أدام الله إشراقها، وقسم بها بين الأولياءوالأعداء آجالها وأرزاقها، ردَّ الحقوق إلى نصابها، وإعادتها إلى مستحقيها ولو تمادت الأيام على اغتصابها، وإقرارها عند من هو من دون الورى أولى بها، ليحقق أن نسبه الشريف أظهر على أوامره دلائلَ الإعجاز، وحَلّى كلماتها بالإيجاز وهباتِها بالإنجاز، وإن الله جعل الاسم الشريف الحاكميّ في الحكم بأمره على خير مُسَمّى، وقوّى منه في تأييد كلمة الحق جناناً وعزماً، ولم يخرج من أحكامه عن اتباع أمرِ الله قضيةً ولا حُكْماً.

وكنتَ أيها السيد العالم، العادل، السلطان، الملك، الناصر، ناصر الدنيا والدين، أبو الفتح محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور، سيف الدين قلاوون - قدس الله روحه - أولى الأولياء بالملك الشريف، لما لسلفك من الحقوق، وما أسلفوه من فضل لا يَحْسُنُ له التناسي ولا العقوق، ولِمَا أوجب لك على العساكر الإسلامية سابقُ الأيمان، وصادقُ الإيمان. ولأنك جمعت في المجد بين طارف وتالد، وفُقْتَ بزكي نفس وأخ ووالد، وجَلالة، ما ورثْتها عن كلالة، وخلال، (٢١٠ أ) ما لها بالسيادة إخلال، ومفاخر، تُكاثر البحرَ الزاخر، ومآثر، أعجز وصفُها الناظمَ والناثِر، وكان ركابك العالي قد سار إلى الكَرَكِ المحروس، وقعدتْ عنك الأجسام وسافرت معك النفوس، ووثقت الخواطر بأنك إلى السلطنة تعود، وأن الله يجدد لك صعوداً إلى مراتب السعودُ وأقمت بها وذكرك في الآفاق سائر، والآمال مبشرة بأنك إلى كرسي مملكتك صائر، فلما احتاج الملك الشريف في هذه المدة إلى ملك[1] يَسُرُّ سَرِيرَه، وسلطان تغدو باستقراره عيون الأنام والأيام قريرة، لما للمسلمين في ذلك من تيسير أوطار وتعمير أوطان، ولأنهم لا ينفذون في المصالح الإسلامية إلا بسلطان، لم يَدُرْ في الأذهان، ولا خطر لقاصٍ ولا دانٍ، إلا أنك أحق الناس بالسلطنة الشريفة، وأولاهم برتبتها المنيفة، ولا ذَكر أحد إلا حقوق بيتك[2] وفضلها، ولا قال عنكم إلا بقول الله تعالى ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ [الفتح: الآية ٢٦] لأن

(١) في الأصل في هذه الملك إلى ملك.

(٢) في صبح الأعشى: حقوق بينك.

البلاد فتوحات سيوفكم، ورعاياها فيما هم فيه من الأمن والخير بمنزلة ضيوفكم، ولأن العساكر الإسلامية استرقهم ولاؤك، ووالوك لأنهم أرقاؤك، فلم يقل أحد: أنّى له الملك علينا؟ بل أقر كلٌّ منهم لك باليد وقرّ بولايتك عيناً، وأخلصوا في موالاتك العقائد، واستبشروا منك بمُبارَك الوجه ماجدٍ جائد، ولم يغب غائبٌ خليفتُه جيشُ أبيه وجدُّه الصاعد، ورفَعت الممالك يد الضراعة سائلة وراغبة، وخَطَبَتْك لعقائلها ومعاقلها والخطباء على المنابر لك خاطبة، وبدعائك مخاطبة، وقصدت لذلك أبوابك التي لا تزال تُقصد، ودُعيت لِلعَوْد المبارك وعَودُ محمد للأمة المحمدية أحمد، وفعلت الجيوشُ المنصورة من طاعتك كلَّ ما سَرَّ، وأربت في صدق النيات وبرِّها على كل من بَرّ. (٢١٠ ب)

ولـو أن مـشـتـاقـاً تـكـلَّـف فـوق مـا فـي وُسْـعِـه لَـسَـعَـى إلـيـك الـمـنـبـرُ

فما ضرّ بحمد الله بعدُ الدار والآمال لساكنها مطيفة، بل كان لك الذكرى في قلب الخليفة نعم الخليفة، وكنت لديه - وإن غِبْتَ - حاضراً بجميل الذِّكر، ونأيت داراً فقربك إليه حسنُ التصوير في الفِكر، وكان أمير المؤمنين قد شاهدك يافعاً، وشهد خاطره أن ستصير للمسلميهن نافعاً، وتأمّل منك أمائر أضحى لها لترقيك آملاً، وهلالاً دلته كرامته - ولا تُنْكَرُ له الكرامة - على أن سيكون بدراً كاملاً، وبلَغه عنك من العدل والإحسان، ما أعجز وصفُهُ بلاغَتَي القلم واللسان، فناداك نَدَاهُ[1] على بعد المزار، ولم يجد لك نظيراً فأطال وأطاب لِمَقْدمك السعيد الانتظار، إلى أن أقدمتَ إقدام الليث، وقَدِمْت إلى البلاد المتعطشة إلى نظرك الشريف قدومَ الغيث، فلاح بك على الوجود دليلُ الفلاح، وحمد الرعايا سُراك عند الصباح والاستصباح، وشاهدوا منك أسداً فاق بوثباته وثَباتِه الأوَلَ، وشخصاً لا يصلح إلا لإدالة دول، ولا تصلح إلا لمثله الدول، وقامت باختبارك على اختيارك الدلائل، وعرفك سرير الملك وعرف فيك من أبيك شمائل، ورأى أمير المؤمنين من نجابتك فوق ما أخبرتْ به مُساءلةُ الركبان، ومن مهابتك ما دل على خفض الشانئ ورفع الشان، ومن محامدك كلَّ ما صغَّر الخَبَرَ عنها الخُبْر، وأعلنتْ ألسنة الأقدار بأنه لم يبق عن تقليدك الممالكَ الإسلامية بحمد الله تعالى عذر، فاختارك على علم على العالمين، واجتباك للذبّ عن الإسلام والمسلمين، واستختار الله تعالى في ذلك فخار، وأفاض عليك من بيعته المباركة مع فخرك المشتهر حُلَلَ الفَخار، وعهد إليك في كل ما اشتملت عليه دعوة إمامته المعظمة، وأحكام خلافته التي لم تزل بها عقود الممالك في الطاعة منظمة، وفوّض (٢١١ أ) إليك سلطنةَ الممالك الإسلامية براً وبحراً، شاماً ومصراً، قرباً وبعداً، غوراً ونجداً، وما سيفتحه الله عليك من البلاد، وتستنقذه من أيدي ذوي الإلحاد، وتقليد

(١) في صبح الأعشى: نداءه.

الملوك والوزراء، وقضاة الحكم العزيز وتأمير الأمراء، وتجهيز العساكر والبعوث للجهاد في سبيل الله ومحاربة من ترى محاربته من الأعداء، ومهادنة من ترى مهادنته منهم، وجَعلَ إليك في ذلك كله العَقْدَ والحَلّ، والإبرام والنقض، والولاية والعزل، وقلدك ذلك كله تقليداً يقوم في تسليم الممالك إليك مقامَ الإقليد، ويقضي لقريبها ويعيدها بمشيئة الله تعالى بمزيد التمهيد والتشييد، لتعلم أن الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكمية - أدامها الله تعالى - فلكاً أبْدى سالفاً من البيت الشريف المنصوري أقماراً، وأطلع منهم آنفاً بدراً ملأ الخافقين أنواراً، فكلما ظهر لسلفه بدت مآثر خَلَفه أظهر، ومن شاهدهم وشاهد شمس سعادته المنزَّهة عن الأفول: قال: هذا أكبر، وكلما ذُكر لأحدهم فضلٌ عَلِم أنه في أيامه مُتَزَيِّد، وأنه إن مضى منهم سيد في سبيله فقد قام بأطراف الأسنة منهم سيّد، وصير الدولة الشريفة الخليفية غاباً إن غاب منهم أسود، خَلَفَهُمْ شِبْلٌ بشّرت مخائلُه أنه عليها يسود، فليتقلّد السلطان الملك الناصر ما قلَّده أميرُ المؤمنين، وليكن لدعوته الهادية من الملبِّين، وعليها من المؤمنين، وليترقَّ إلى هذه الرتبة التي استحقها بحسبه، واسترقّها بنسبه، وليباشرها مستبشراً، ويظهر من شكر الله عليها ما يغدو به مستظهراً، فقد أراد أمير المؤمنين القيام في نصرة الدين الحنيف فأقامك أنت مُقامه، وصَرَّف بك بين أهل الطاعة والعصيان إكرامه وانتقامه، رعاية لعهد سلفك الكريم، ولما استوجَبَتْه نفسك النفيسة من وُفُور التعظيم والتكريم، وعنايةً بالعساكر (٢١١ ب) المؤيّدة الذين وجهوا وجوه آمالهم إليك، وأبت كلمتهم التي صانها الله عن التفرق أن تجتمع في الطاعة والخدمة إلا عليك ولديك، ومنة عليهم بسلطان ما برحوا من الله تعالى يطلبونه، ومُلْكٍ نشأوا بأبوابه العالية فلهذا يحبهم ويحبونه، فاحمد الله الذي جعل لك في إعادة الملك أسوة بسليمان عليه السلام، ورده إليك رداً لا انفصال لعروته ولا انفصام، فأضحيت لأمور عباده سداداً، ولثغور بلاده سِداداً، وللخليفة عضُداً في الخليقة، وفي الدهر سامي الحقيقة حامي الحقيقة، وللملك وارثاً، ورقّاك رقياً أصبحت به في السلطنة واحداً وللخلافة المعظمة ثانياً وللقمرين ثالثاً.

وبُشْراك، أن الله أبرم سببَ تأكيدك إبراماً لا تصل الأيدي إلى نقضه، وأنك سئلت عن أمر طالما أتعب غيرَك سؤالُه في بعضه، وأن الله يحسن لك العون وبك الصون، فقد قال رسول الله ﷺ: **«يا عبدَ الرحمن بن سَمُرة، لا تسأَل الإمارة فإنك إن أُعْطِيتَها عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإن أُعْطِيتَها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها»**.

وبشراك أنَّ أمير المؤمنين خصك بمزيد لاعتناء، وأقامك مُقامَه في حسن الغَناء، وحقق أن السعادة في أيامه موصولة منكم بالآباء والأبناء، وبلغك بهذا التقليد الشريف الأماني، وتوجَّه بيمينٍ قريبةِ عهد باستلام الركن اليَماني، واصطفاك بقلب أظهر له الكُشُوفَ إشراقُ تلك لستور، وغدا معموراً بالهداية ببركة البيت المعمور، ونظرٍ زادته مشاهدة الحرم

الشريف النبوي نوراً على نور،وقابل[1] ذلك بالقيام في مُهِمَّات الإسلام، وتدقيق النظر في مصالح الخاص والعام، واجتهد في صيانة الممالك اجتهاداً يحرس منها الأوساطَ والأطراف، وتنتظم به أحوالُها أجَلَّ انتظام وتأتلف أجملَ ائتلاف، والوصايا كثيرة وأولاها (٢١٢ أ) تقوي الله فليجعلها حلية لأوقاته، ويحافظ عليها محافظة من يتقيه حق تقاتِه، ويتخذها نجِيَّ فكره وأنيسَ قلبه، ويعظم حُرُماتِ الله ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: الآية ٣٠] .

والشرع الشريف فهو لِعِقْدِ الإسلام نظام، وللدين القيم قِوام، فتجتهد في اقتفاء سَنَنِه، والعمل بفروضه وسُنَنِه، وتكريم أهله وقضاته، والتوسل بذلك إلى الله في ابتغاء مرضاته.

وأمراء دولتك فهم أنصار سلفك الصالح، وذوو النصائح فيما آثروه من المصالح، وخلصاء طاعتهم في السر والنجوى، وأعوانهم على البر والتقوى، وهم الذين أحلهم والدك من العناية المحلَّ الأسْنَى، والذين سَبَقَتْ لهم بحسن الطاعة من الله الحُسْنَى، ولو لم يكن لهم إلا حُسْنُ الوفاء، لكفاهم عندك في مزيد الاعتماد والاستكفاء، فإنهم جادلوا في إقامة دولتك وجالدوا، ووفوا بالعهد فهم الموفون بعهدهم إذا عاهدوا، وهم للوصايا بخدمتك واعون، وفيما ائتمنتهم عليه لأمانتهم وعهدهم راعون، قد أصْفَوْا لك النِّيَّاتِ بظهر الغيب، وأخلصوا الطويات إخلاصاً لاشك معه ولا ريب، ونابوا عنك أحسن مناب، وكَفُّوا كَفَّ العدو فما طال له لافتراس ولا اختلاس ظُفْرٌ ولا ناب، واتخذوا لهم بذلك عند الله وعندك يداً، وأثّلوا لهم به مجداً يبقى حَدِيثُه الحَسَن الصحيح عنهم مُسْنَداً.

فاستوصِ بهم وبسائر عساكرك المنصورة خيراً، وأجْمِلْ لهم سريرة وفيهم سَيْراً، وأحْمِدْهم عقبى هذه الخدمة، وأوردهم منهل إحسان يضاعف لهم النُّعْمة والنِّعْمة: لتؤكد طاعتك على كل إنسان، ويثقوا بحسن المكافأة: و﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمٰن: الآية ٦٠] ولتزداد أوامرك ونواهيك امتثالاً، ولا يجدوا عن محبة أيامك الشريفة انتقالاً، وليقال في حسن خِدَمِهم وإحسانك: هكذا هكذا وإلا فلا لا.

وأما الغزو (٢١٢ ب) والجهاد في سبيل الله تعالى، وما أوجبه فيهما قولُه ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١] ، فأقل ما يُجزئ فرضَ الكفاية منه مرةٌ في كل عام، وأما فرض العين فوجوبه على ذوي الاستطاعة من المسلمين عامّ، وقد عرفت سنن السلطانين الشهيدين، والدِك وأخيكَ - قدس الله روحيهما - في الاعتناء بجهاد الكفار، وغزوهم في عُقْر الدار، وموقفَ أحدهما في موطن زلت فيه الأقدام عن الإقدام، واجتمع فيه الكفر على الإسلام، وشاب من هو له الوليد، ومصابرتَه تُجاه سيف من سيوف الله تعالى الإمام

(١) في صبح الأعشى: فقابلْ.

خالد بن الوليد، واستنقاذاً لآخر البلاد الساحلية التي أنقذها الله من أيدي المشركين على يد الصَّلاحَيْن، وفتح لهما أبواب الجنة ببركة الافتتاحَيْن، وأن والدك وأخاك سدًا على المشركين الفِجاج، وطهَّرا من أرجاسهم العذبَ الفرَات والملحَ الأُجاج، فالكتائب المنصورة، أبانت[1] التتار بالسيوف المَشْرَفية، والممالك الإسلامية زَهَتْ نظاماً بالفتوحات الأشرفية، فاجتهِدْ في إعلاء كلمة الدين أتم اجتهاد، وعزِّزهما منك بثالث في الغزو والجهاد.

والرعايا[2] بعيدهم وقريبهم، ومستوطِنهم وغريبهم، فيوفّيهم من الرعاية حظهم، ويجزل صيانتهم وحفظهم، وكما يرى الحقَّ له فَلْيَرَ الحقَّ عليه، ويحسن إلى رعاياه كما أحسن الله إليه.

وأما العدل فإنه للبلاد عِمارة، وللسعادة أمارة، وللآخرة مَنْجاة من النفس الأمَّارة، فليكن له شعاراً ودثاراً، ويظهر لسجيّته الزكيّة فيه آثاراً[3]، ولْيؤكِّدْ مراسمَه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة من ذلك على ما يُذكر به عند الله ويُشكر.

والحدود الشرعية فَلْيُحَلِّ بإقامتها لسانَه وطِرْسَه، ولا يتَعَدَّها بنقص ولا زيادة ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطّلَاق: الآية ١] ، والله يخلد له رتبة المُلْك التي أعلى بها مَقامه، ويديمه ناصراً للدين الحنيف (٢١٣ أ) فأنصاره لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة، ويجعل سبب هذا العهد الشريف مدى الأيام متيناً، ويجدد له في كل وقت نصراً قريباً وفتحاً مبيناً.

والخط الشريف الحاكمي أعلاه حجة بمقتضاه إن شاءَ الله تعالى[4]

المذهب الثاني

في افتتاح عهود الملوك عن الخلفاء أن يفتتح العهد بقوله: من فلان إلى فلان، كما يبتدأ في المكاتبات، ثم يأتي بعد ذلك بقوله: أما بعد، ثم تارة يأتي بعد البعدية بتحميد، مثل أن يقول: أما بعد فالحمد لله. ويخلص من ذلك إلى ذكر أمر الولاية وما ينخرط في سلكها، وتارة يأتي بعد البعدية بخطاب المولى والدعاء له، ويتخلص منه إلا مقاصد العهد من الوصايا وغيرها.

---

(١) في صبح الأعشى: «أبادت التتار» وفي الأصل أبانت.

(٢) في صبح الأعشى: وأما الرعايا....

(٣) جملة: «ويظهر لسجيته الزكية فيه آثاراً» غير موجودة في صبح الأعشى.

(٤) بعده في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٦٨: الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه، حسبنا الله ونعم الوكيل.

وعلى هذه الطريقة

كتب به عن الطائع لله للملك الأشرف شِيرز[1] بن عضد الدولة

وهذه نسخته[2]

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى شيرز بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين، سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله (٢١٣ ب) أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك، وسعادتك ونعمتك، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندك، فإن أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كلّ وليّ أحمد مذاهبه وأرضي ضرائبه، وانصرف عن الدنيا متمسكاً بطاعته، متديناً بمشايعته، حقوقه المتوحدة، وحرماته المتمهدة، فيمن يخلفه بعده من وَلَدٍ أمَّل فيه أن يرث عنه محلَّه، ويقوم فيه مقامه، وفاء لأهل الولاية، وتصرفاً على أحكام الرعاية، وسياقة للصنيعة، من سالف إلى خالف، وإمضائها من تالد إلى طارف، هذا على الأمر الجامع، والعموم الشامل، فإذا اتفق أن تنتهي وراثة القرب إليه، والمنازل لديه، إلى النجباء الأفاضل، والخُصفاء الأماثل، الذين يستحبون استئناف الاصطناع لهم، واستقبال التفويض إليهم بالمناقب الموجودة فيهم، لو انفردت عما حازوه عن آبائهم وأوليائهم، أجرى أمير المؤمنين ما يفيضه عليهم من الأيادي، ويُرَقِّيهم إليه من هضبات المعالي، مُجْرَى الأمر الواجب الذي كثرت الدواعي إليه. واتفق الرأي والهدى عليه، وتطابق الإيثار والاختيار فيه، واقترن الصواب والسداد به، واشترك المسلمون في استثمار فائدته وعائدته، والانتفاع بتأديته وعاقبته، والله يُخِير لأمير المؤمنين فيما يمضيه من العزائم، ويَبنيه من الدعائم، ويعتمده من المصالح، ويتوخّاه من المناجح، إنه على ذلك قدير، وبه جدير، وهو حسب أمير المؤمنين ونعم الوكيل.

وقد علمتَ أدام الله عزك، وأمتع المؤمنين بك، أن شجرة بيتك، التي تمكنت من الخدمة أُصولها، ونشأت على الطاعة فروعها. شجرةٌ لم تزل النجابة صاحبة لها[3]، والفضيلة منوطة بها، وأسباب التمام والدوام مجتمعة فيها، فلذلك (٢١٤ أ) سبغت النعمة عليكم، وامتد ظلها إليكم، وتقلّب فيها قِداحُكم[4] وتوفّرت منها حظوظكم، فتداولتموها بينكم كابرٌ عن كابر، بمساعيكم الصالحة، ومناهجكم الواضحة، وتعاضدكم على ما لمّ

---

(١) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٧٥: شير زيك وكذلك في أول الخطاب.

(٢) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٧٥.

(٣) من قوله: «ونشأت على الطاعة...» ساقط من صبح الأعشى.

(٤) في الأعشى ونُقِّلت فيها أقداحكم.

شعث الدولة الجامعة، وطَرف عنها الأعين الحاسدة، وكان شيخك عضد الدولة، وتاج الملة، أبو شجاع رضوان الله عليه، صاحبَ الرتبة العظمى[1] عند أمير المؤمنين وهمامَها والمتنطي غاربهاوسنامها، فعاش ما عاش مشكوراً محموداً، ثم انقلب إلى لقاء ربه سعيداً رشيداً، وأوجب أمير المؤمنين لك وله فيك الحلولَ بمكانه، وحيازة خطره وشانِه، إذ كنت أظفر ولده، وأول المستحقين لوراثته، وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضِيات لأن يُفوِّض الأمور إليك، ويعتمد فيها عليك، من كفاية وغَناء، واستقلال ووفاء، وسياسة وتدبير، وشهامة وتشمير، وتصرف على طاعة أمير المؤمنين، وإشبال[2] على إخوتك أجمعين، وحسنِ أثر فيما أُنفِذَ أمرُك فيه، وإفاضةِ أمْنٍ فيمن مَضَتْ ولايتك عليه، وإحاطةِ بدلائل الجزالة[3]، ومخايل الأصالة، بمثلها تُنال الغايات الأقاصي، وتُفْترع الذوائب والنواصي، فنوّلك أمير المؤمنين تلك الأُثرةَ، وخوَّلك تلك الفَخْرة[4] وجعل أخاك صمصامَ الدولة وشمسَ المِلَّة أبا كاليجار - أمتع الله أمير المؤمنين بك - ثانيك وتاليك[5]، والمتقدم بعدك على ولد أبيك، وأجراكما في التطبيق بينكما، والتقرير لمنازلكما، على مثل ما جرى الأمر عليه بين ركن الدولة أبي عليّ ومعز الدولة أبي الحسين سالفاً، ثم بين عضُد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ومؤيّد الدولة أبي منصور آنفاً، تولاَّهم الله بالرحمة، ونفعهم بما قبضهم عليه من وثائق العصمة، وخصّك أميرُ المؤمنين بعد ذلك بما يَخُص به ذا القَدْر الشامخ، والفخر الباذخ، والقدم السابقة (٢١٤ ب) والمَحَلَّة السامية، فذَكَرَك بالتَّكْنِيَة، ورفعك عن التسمية، ولقّبك لقبين: أحدهما شرف الدولة. لتشريفه بك أولياءه الذين أوطأهم عقبك، وأعلقهم سبيلك[6]، والآخر زين الملة، لزينة أيامه بمعاليك، وتضاعف جمالها بمساعيك، وعقد لك بيده لواءين يَلْوِيان إليك الأعناق بالطوع ممن سَرَّاه وأبهجاه، والكَرْه ممن راعاه فأزعجاه، وأمر بأن تقام لك الدعوة على منابر مدينة السلام، وما يجري معها من الأعمال بين الدَّعوة لأمير المؤمنين وبين الدّعوة لصمام الدولة وشمس الملة، أمتع الله أمير المؤمنين بكما وأحسن الدفاع له عنكما، إلحاقاً لك وله بعدك بأبيكما، فيما كان شُرِّف به من هذه الحال التي لم ينلها[7] غيره، ولا أُهِّل لها أحد قبله، وأن يُثبت ذكرك باللقب والكنية فيما يُنقش من سكك العَيْنِ والوَرِق في دور الضرب بادياً، وذكر صمصام الدولة - كلأكما الله - تالياً، وحباك أمير المؤمنين مع ذلك بخلع تامَّةٍ تُفاض عليك،

---

(١) في صبح الأعشى: الزعمى. (٢) الإشبال: التعطف.

(٣) في صبح الأعشى: الحوالة.

(٤) في صبح الأعشى: المأثرة وخولك تلك المفخرة.

(٥) في صبح الأعشى: أبا كاليجار - بك تأييده والمتقدم.

(٦) في صبح الأعشى: حبلك. (٧) في صبح الأعشى: يبلغها.

وفرسين من جياد خيله يُقاذَانِ إليك، بمركبي ذهب من خاصّ مراكبه، وسيف ماض من خيار أسيافه، يُعِزُّ الله منكبيكَ بِنِجَادَيْه، ويُذِل مناكب أعدائكَ بِغرارَيْه، وطوق وسِوَارين، وأن تُجري في المكاتبة عنه إلى الغاية التي أُجرِيَ أبوك رحمه الله إليها، وهذا الكتاب ناطق بها ودالٌّ عليها، وندب لإيصال الجميع إليك عليَّ بنَ الحسين الهاشميّ الزينبي[1] وأحمد بن نصر العباسيّ، حاجبه، ودجي[2] خادِمَه، فتلقَّ شرف الدولة، وزين الملة، وأبا الفوارس - أدام الله عزك - بما يحقّ عليك، من تقوى الله في سرّك وجهرك، ومراقبته في قولك وعملك، وابتغاء رضاه في مُخْتَلِج خطراتك وفكرك، واتّباع طاعته في مخارج أمرك ونهيك، وقابل ما أنعم به عليك، وأحسن فيه إليك، بالشكر الذي موقعه من النعمة موقع القِرَى من (٢١٥ أ) الضيف إن وجده لم يذم، وإن فقده لم يُقم، وامددْ على من وُلّيت عليه من الخاصة والعامة ظِلّكَ، ووطئ لهم كَنَفك، واغمرهم بطَوْلِك، وسُسْهم سياسة يكون بها صلاحهم مضموناً، وحريمهم مصوناً، وبلادهم معمورة، ومنافعهم موفورة، وحَلَبُهم دَارّا، وعيشهم رغداً، وثغورهم مسدودة، وأعاديهم مَذُودة، ومسالكهم مَحميَّة، ومساكنهم مَرعيّة، ومُرْهم بالمعروف، وانههم عن المنكر، وابعثهم على الحسنات، واكففهم عن السيئات، وسَاوِ في الحق بين شريفهم ومشروفهم، وقويهم وضعيفهم، وقريبهم وغريبهم، ومِلّيِّهم وذِمِّيِّهِمْ، وقوّم سفهاءهم وجهالهم، وانْف دُعَّارهم وخُرَّابَهُمْ، وأكرم صلحاءهم وحلماءهم، وشاور فضلاءهم وعقلاءهم، وجالِسْ أدنياءهم وأعلياءهم، ورتّبهم[3] مراتبهم، ونزّلهم منازلهم، وأرِهم تمسُّكك بالدين ليتقدروا بك فيه، ورغبتك في الخير ليتقربوا إليك به. وخذ الحقّ وأعطه، وابسُطِ العدل وقُلْ به، وادرأ الحدود بالشبهات، واقْمَعْهَا[4] وأمضها بالبينات، لتكون الرغبة إليك في رَهَب، والرَّهبة منك في رغب[5]، وبالجملة فاحْمِل الناس على كتاب الله جل وعز وآدابِه، وسنة الرسول وما جَا بِه.

واعلم أن أمير المؤمنين قد جعل كتابه هذا عهداً إليك، وحجة لك وعليك، وأن الأوامر والنواهي في العهود تكون كثيرة، وإنما قصَّر فيه عن استيفائها، لارتفاع طبقتك عن الحاجة إلى استقصائها، وللخروج إلى الله من الحق في تضمينه هذه الجمل منها، فإذا وصل ذلك إليك مع كرامات أمير المؤمنين المقدَّم ذكرها لك، فالبس خِلَعَه، وتقلّد سيفه، وتحلَّ بِحِلاَه، وابرُز لمن يليك على حُمْلانِه[6]، وأظهر لهم ضروب إحسانه وامتنانه، وانصب أمامك اللواءين، وتكَنَّ وتلقَّب باللقبين، وكاتِبْ من طبقات الناس متلَقِّباً بهما

(١) في صبح الأعشى: الزيني.
(٢) في صبح الأعشى: ووحي.
(٣) في صبح الأعشى: وأنلهم مراتبهم.
(٤) في صبح الأعشى: واقمها.
(٥) في صبح الأعشى: لتكون الرغبة إليك في رغب والرهبة منك في رهب.
(٦) الحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة.

متكنياً، إلا أمير المؤمنين فإن (٢١٥ ب) الأدب أن لا تكاتبه متلقباً بل مُتسمِّياً، وليس ذلك ناقصاً لك فيما أعطيته، ولا مرتجعاً شيئاً مما حُبِيته، ولكنه الأمر بالمعروف، والرسم المألوف، وصِلْ ما بينك وبين أخيك صمصام الدولة وشمس الملة - أدام الله الإمتاع بكما - بالمودة، كما وصله الله بالأُخوّة، وكونا جميعاً يداً في طاعة أمير المؤمنين، واستقيما على كلمة سواء في رعاية المسلمين، واتّفقا على مسالمة المسالمين، وتعاضداً في محاربة المحاربين، فإن ذلك أرأبُ للصدع، وأضمُّ للنشر[١]، وأنظم للشمل، وأليق بالأهل، وأقم الدعوة لنفسك على منابر الممالك بعد إقامتها لأمير المؤمنين، وكاتِبْ أمير المؤمنين بأخبارك، وطالِعه بآثارك، واستدع أمره فأمره فيما استعجم من التدبير عليك، ورأيه فيما استبهم من الأمور دونك، واسترشده إلى الحظ يُرشدك، واستهده في الخطوب يَهْدِك، واستمدّه من المعونة يمددك، واشكر آلاءه يَزِدْك، إن شاء الله تعالى.

أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك، وسعادتك ونعمتك، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة[٢] فيك وعندك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

المذهب الثالث

أن يفتتح العهد بلفظ: إن أولى، أو إن أحق، وما أشبه ذلك، وهي طريقة غريبة خارجة عن أصول الكتابة، من حيث إن رتبة الملوك فيما يكتب لهم التعظيم، ومثل هذا الافتتاح إنما يكتب لأصحاب الرتب السافلة التي لا تقارب رتبة الملك ولا ما دونها.

على أنه قد كُتب بذلك عن ديوان الخلافة ببغداد للسلطان صلاح الدين يوسف على جلالة قدره بتقليد الديار المصرية والبلاد الشامية واليمنية في بعض الأحيان (٢١٦ أ) وكان ذلك إنما وقع حين كان الخليفة الناصر لدين الله مُتغيِّراً عليه حين تلقّب بالملك الناصر، لما في ذلك من مضاهاة لقب الخليفة.

وهذه نسخة العهد المكتوب به على هذه الطريقة[٣].

إنَّ أولى من جادت رِباعه سُحبُ الاصطناع، وخُصَّ من الاصطفاء والاحتباء بالصفايا والمِرباع، من تُوُسِّم فيه انْتهاجُ[٤] الجَدَدِ القَويم، والطريق الواضح المستقيم، واعتلق من الأولياء بأوثق عِصَمِهِ وحباله، والفِناء الذي يهتدي بأنواره في متصرَّفاته وأعماله، والتحلي

(١) في صبح الأعشى: وأحتم للبشر.
(٢) في صبح الأعشى: وبالرغبة فيك.
(٣) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٤٥٦.
(٤) في صبح الأعشى: من ترسم انتهاج الجدد.

بجميل الذكر في سيرته، وخلوص الاعتناء بأمور عطيته[١]، وكان راغباً في اقتناء حميد الخلال، مجتهداً في طاعة الله بما يفيضه[٢] من العدل الممتد الظِّلال، عاملاً فيما يُناط به بما يتضوَّع نَشْرُ مُخْتَبره[٣]، ويُجتني بحسن صنعه يانع ثمره، باذلاً وُسعه في الصلاح، مُؤذِنة مساعيه بفوز القِدَاح.

ولما كان الملك الأجل السيد صلاح الدين، ناصر الإسلام، عمادُ الدولة، جمال الأمة[٤]، فخر الملة، صفِيّ الخلافة، تاج الملوك والسلاطين، قامع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والمتمرّدين، عز المجاهدين ألُب غازي بك بن يوسف[٥] بن أيوب - أدام الله علوه - على هذه السجايا مُقبلاً، وبصفاتها الكاملة مشتملاً، مؤثراً تضاعف المأثُرات، مثابراً متأثراً على ما تَزْكو به الأعمال الصالحات، مُتَحَلِّياً بالمحامد الرائقة، مستبداً بالمناقب التي هي لجميل أفعاله موافقة مطابقة، محصِّلاً من رِضا الله تعالى ما يؤثره ويرومه من طاعة الدار العزيزة - لازالت مشيدة البناء، سابغة النعماء، دائمة الاستبشار، عزيزة الأنصار - من استمرار الظفر ما يستديمه.

اقتضت الآراء الشريفة - لا زال التوفيق قرينها، والتأييد مظافرها ومعينها - إمضاء تصرّفه، وإنفاذ حكمه في بلاد (٢١٦ ب) مصر وأعملها، والصعيد الأعلى والإسكندرية، وما يفتحه من بلاد الغرب والساحل، وبلاد اليمن وما افتتحه منها، واستخلصه بعدُ من ولايتها، والتعويل في هذه الولايات عليه واستنقاذ[٦] ما استولى عليه الكفار من البلاد، وإعزاز كلّ من أذلوه واضطهدوه من العباد، لتعود الثغور بيمن نقيبته ضاحكة المباسم، وبإصابة رأيه قائمة المواسم.

أمره بادئاً بتقوى الله التي هي الجُنَّة الواقية، والذخيرة الباقية، والعصمة الكافية، والزاد إذا أنفض وفَدُ الآخرة وأرملوا[٧]، والعتادُ النافع إذا وجدوا شاهداً لهم وعليهم ما عملوا، فإنها العَلَم المنصوب للرَّشَد، قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر: الآية ١٨] .

وأمره أن يتخذ كتاب الله لزواجره ومواعظه، ويعتبر بتخويفه وملاحظه، ويصغي إليه

---

(١) في صبح الأعشى: بأمور رعيته.
(٢) في صبح الأعشى: بما يرضيه.
(٣) في صبح الأعشى: نشر خبره.
(٤) في صبح الأعشى: جمال الملك.
(٥) لعلها: غازي بك يوسف
(٦) في الأصل: «واستعاد» وصوبا من صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٤٦.
(٧) أنفضوا: هلكت أموالهم وفني زادهم. وأرمل القوم بمعنى أنفضوا نفذ زادهم وافتقروا.

بسمعه وقلبه، وجوارحه ولبه [ويعمل بأوامره المحكمة، ويقف عند نواهيه المبرمة] ويتدبر ما حوته آياته من الوعد والوعيد، والزجر والتهديد، قال الله عز وجل ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت، الآية ٤١، ٤٢].

وأمره أن يكون على صلاته محافظاً، ولنفسه عن الإخلال والتقصير في أداء فرضها واعظاً، فيغتنم الاستعداد أمام أوقاتها للأداء، ويحترز من فواتها والحاجة إلى القضاء، مُوفّياً حقّها من الركوع والسُّجود، على الوصف الواجب المحدود، مخلصاً سره عند الدخول فيها، وناهياً نفسه عما يصدها بالأفكار ويُلْهيها، مجتهداً في نفي الفكر والوسواس عن قلبه، منتصباً في إخلاص العبادة لربه، ليغدو بوصف الأبرار منعوتاًو قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: الآية ١٠٣] .

وأمره بقصد المساجد الجامعة في أيام الجمع، امتثالاً لأمر الله المتّبع، بعزيمة في الخير صادقة، ونيّة للعبادة موافقة، وفي الأعياد إلى المُصَلّيات (٢١٧ أ) المُصحرة المجمَّلة بالمنابر الحالية، التي هي من الأدناس مطهرة نابية، فإنها من مواضع العبادة ومواطنها، ومظان تلاوة القرآن المأمور بحفظ آدابها وسننها، فقد وصف الله تعالى من وفّقه لتجميل بيوته بالعمارة، بما أوضح فيه الإشارة، وشرَّفَه بوضع سمة الإيمان عليه بالإكرام الفاخر فقال ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: الآية ١٨] فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدّمه، ومنتهياً فيها إلى أحسن ما عهده وعلمه.

وأمره بلزوم نزاهة الحُرمات، واجتناب المحرمات، والتحلي من العفاف والورع بأجمل القلائد الرائقة، والتقمُّص بملابس التقوى التي هي بأمثاله لائقة، وسلوك مناهج الصلاح الذي يجمل به فعله، ويصفو له عَلُّه ونَهلُه، وأن يمنع نفسه من الغضب، ويردّها عما يأمر به من سوء المُكتسب، ويأخذها بآداب الله سبحانه في نهيها عن الهوى، وحملها على التقوى، ورَدْعها عن التورط في المهاوي والشُّبه، وكلّ أمر يلتبس فيه، الحق ويشتبه، ويلزمها الأخذَ بالعفو والصفح، والتأمُّلَ لمكان الأعمال فيه واللَّمح، قال الله [تعالى] ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] .

وأمره بإحسان السيرة في الرعايا بتلك البلاد، واختصاصهم بالصَّوْن الرائح والغَاد، ونشر جناح الرِّعاية على البعيد منهم والقريب، وإحلال كل منهم محله على القاعدة والترتيب، وإشاعة المعدَلة فيهم، وإسهام دانيهم من وافر مُلاحظته وقاصيهم، وأن يحمي سرْحهم من كل داعر، ويذود عنهم كلَّ مُوارب بالفساد ومُظاهر، حتى تصفو لهم من الأمن الشرائع، وتَضْفُوَ عليهم من بركة ولايته المدارع، وتستنير بضوء العدل منهم المطالع، ويحترم أكابرهم، ويحنو على أصاغرهم، ويشملهم بكنفه ودِرْعه، وينتهي في مصالحهم إلى غاية وُسْعِه، ولا يألوهم (٢١٧ ب) في النصح جُهداً، ولا يخلف لهم في الخير وعداً،

ويشاورهم في أمره، فإن المشورة داعية إلى الفلاح، ومفتاح باب الصلاح، قال الله تعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩] .

وأمره بإظهار العدل في الرعية التي تضُمها جميع الأكناف والأطراف، والتحلّي مِن النَّصَفَةِ بأكمل الأوصاف، وحمْل كافَّتهم على أقوم جَدَد، وعصيان الهوى في تقويم كلّ أوَد، والمساواة بين الفاضل والمفضول في الحق إذا ظهر صدقُ دليله، والاشتمال عليهم بالأمن الذي يعذب لهم بَرْدُ مَقِيله، وكشف ظلامة من انبسطت إلى تَحَيُّفه الأيدي والأطماع، وأعجزته النُّصرة لنفسه والدِّفاع، وتصفُّح أحوالهم بعين لا ترنو إلى هوًى يميل بها عن الواجب، وسمع[1] لا يُصغي إلى مقاله مائن ولا كاذب، ولا يغفل عن مصلحة تعود إليهم، ويرجع نفعها عليهم، ولا عن كشف ظلامات بعضهم من بعض، وردهم إلى الحق في كل رفع من أحوالهم وخفض، فلا يُرى إلا بالحق عاملاً، وللأمور على سنن الشريعة حاملاً، مجتنباً إغفال مصالحهم وإهمالها، وحارساً نظامها على تتابع الأيام واتصالها، ليكون ذلك إلى وفور الأجر داعياً، وَبِحُسن الأحدوثة قاضياً، مقتدياً بما نطق به القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: الآية ٩٠] .

وَأمَره أن يأمر بالمعروف ويقيم مناره، وينهى عن المنكر ويمحو آثاره، فلا يترك مُمكناً من إظهار الحق وإعلانه، وقمع الباطل وإخماد نيرانه، ويعتمد مساعدة كلّ مُرْشِدٍ إلى الطريق الأقصد، وناهٍ عن التظاهر بالمحظور في كل مشهد، فإنه تُضْحِي مَعُونَتُه مُشاركةً في إحراز المثوبة ومساهمة، ومساومةً في إقتناء الأجر ومُقاسمة، وأن يُوعز بإزالة مظانِّ الريب والفساد في الداني [من الأعمال] والقاصي، فإنها مواطن الشيطان وأماكن المعاصي، وأن يشُدَّ على أيدي (٢١٨ أ) الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ويعينهم على ذلك بما يطيب ذكره في كل مشهد ومحضر، ويجتهد في إزالة كل محظور ومنكر، مُقَدَّم في الباطل ومُؤَخَّر، قال الله تعالى ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [لقمان: الآية ١٧] .

وأمره أن يقدم الاحتياط في حفظ الثغور ومجاوريها من الكفار، ويستعمل غاية التيقظ في ذلك والاستظهار، ليأمن عليها غوائل المكائد، ويفوز من التوفيق لذلك بأنواع المحامد، ويتجرد لجهاد أعداء الدين، والانتقام من الكفرة المارقين، أخذاً بقول رب العالمين ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [التوبة: الآية ٤١] وأن يعملَ فيما يحصل من الغنائم عند فلِّ جموعهم، وافتتاح بلادهم وربوعهم، بقول الله وما أمر به في قَسْمِها [وإيفاءِ كل صاحب حصة منها]

---

(١) في الأصل: ونجع.

سالكاً سبيل من غدا لآثار الصلاح مقتفياً، وللفرض في ذلك مُؤدّياً، وبهُدى ذوي الرشد مُهتدياً، قال الله تعالى في محكم التنزيل ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الانفال: الآية ٤١] .

وأمره أن يجيب إلى الأمان لمن طلبه[١]، ويكون وفاؤه مقترناً بما تضمّنه، غيرَ مُضمرٍ خلاف ما يعطي به صَفْقَةَ أمانِه، ولا مخالف باطنُه ما أظهره من مقاربته إلى عقد الهدن وإتيانه[٢]، ويجتنب الغدر وما فيه من العار، وإسخاط الملك الجبار، قال الله عز وجل ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: الآية ٩١] .

[وأمره بأن يأمر أصحاب المَعاوِن بمساعدة القضاة والحكام ومعونتهم بما يقضي بلم شمل الصلاحِ في تنفيذ القضايا والانتظام، وأخذ الخصوم بإجابة الداعي إذا استحضروا إلى أبوابهم للإنصاف، والمسارعة إلى الحق الواجب عليهم من غير خلاف، قال الله تعالى ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ٧٠]]

وأمره بالتعويل في المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والحِسبة على من يَأْوِي إلى عفاف ودين، وعلم بأحكام الشريعة وصحَّة يقين، لا يخفي عليه ما حرّمه الله تعالى وأحلّه، ولا يلتبس على علمه ما أوضح إلى الحق الواضح سُبُلَه، وإلى من يتولّى المظالم بإيصال الخصوم إليه، وإنصافهم كما أوجبه الله [تعالى] عليه، واستماع ظلاماتهم، وإحسان النظر في مشاجراتهم[٣].

وأمره أن يتلقى النعمة التي أُفرِغت عليه، وانساقت إليه، بشكر ينطق به لسانه، ويترجم عنه بيانه، ليستديم بذلك الإكرام، ويقترن الإحسان عنده بالالتئام، وأن يوفيها حقَّها من دوام الحمد، (٢١٨ ب) والقصد إلى شكرها والعمد[٤] قال الله تعالى ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: الآية ٤٠] .

وليعلم أنه قد بيّن له من الصلاح ما اتضحت أعلامه، وأُثبتت في المرامي سهامُه، وأرشد إلى ما أُودَع هذا المنشور من جَدَد الفوز بمرضاة الله تعالى وشكر عباده، عاملاً في ذلك بمقتضى جِدّه واجتهاده، ليُحرِزَ السبق في دنياه وعقباه، ويتوفَّر عنده ما مُنح به مما أرهف عزمه وحباه، وغدا بمكانِه رافلاً في ملابس الفخر والبهاء، نائلاً منه[٥] ما طال به

---

(١) في صبح الأعشى: من طلبه منه.
(٢) جملة «ولا مخالف...» ليست في صبح الأعشى
(٣) في صبح الأعشى زيادة عشرة أسطر بعد هذه.
(٤) في الأصل: «والفضائل إلى شكرها والحمد». انظر صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٥١، فالتصويب منه.
(٥) في الأصل: مني وكذلك في صبح الأعشى.

مناكِبَ القُرناء، واختصّ بما أعلى درجته فتقاعست عنه آمال حاسديه، وتفرّد بالمكانة عن مقام من يباريه ويُناويه، وأولِيَ من الإنعام ما أمَّن به سِرْب النعمة عنده، وأضفَى من مناهل الإحسان وِرْده، وأهدى إليه من المواعظ ما يجب أن يُودِعَه وَاعِيةَ الأسمَاع، ويأخذ بالعمل به كل راعٍ، فينهج - أدام الله علوه - محاجَّ الولاء، الذي عُهِد من أمثاله من الأولياء، متنزهاً عن تقصير منه في عامة الأوقات، ومراعياً أفعاله في جميع التصرفات، ويعلم أنه مسئول عن كل ما يَلْفِظ به لسانه ناطقاً، ونَظَر طَرْفُهُ إليه رامقاً، قبل أن يجانب هواه، ويَبقى رهيناً بما اكتسبت يداه، ولا يغترّ من الدنيا وزخرفها بغرَّار ليس الوفاء من طباعه، ومُعيرٍ ما أقصر مدَّةَ ارتجاعه، وسبيلُ كافة القضاة والأعيان ومقدمي العساكر والأجناد، ورؤساء البلاد، متابعتُه وموافقتُه، وطلب مصالحهم من جانبه، والتصرّف على استصوابه، وقد أكَّدَتْ وَصَاتُه في الرفق بهم [والاشتمال عليهم] والإحسان إليهم وإجمال السيرة فيهم، وكلّما أشكل عليه أمر من المتجددات[1] يطالع به الديوان العزيز مجّده الله تعالى ليُنْهِج له السبيل إلى فتح رِتاجه، وسلوك منهاجه، والله ولي التوفيق والهداية، وجمع الكلمة في كل إعادة وبداية، والمعونة على العصمة من الزلل، والتأييد في القول والعمل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قلت: وقد عاب الوزير ضياء الدين بن الأثير هذا التقليد في كتابه «المثل السائر» وغض منه وعارضه بتقليد أنشأه، وقد ذكرته في كتاب صبح الأعشى في كتابه الإنشا[2] لإتساعه وبسط القول فيه، افتتحه بقوله: أما بعد، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذي يكون لكلِّ خطبة قياداً، ولكلِّ أمر مهاداً.

أهملت ذكره في هذا الكتاب لكونه لم يكتب به لأحد.

(٢١٩ أ) المذهب الرابع

في عهود الملوك أن يفتتح العهد بالحمد لله، وهو الذي استقر عليه عمل المتأخرين من كتاب الديار المصرية، على أن المقرّ الشهابي بن فضل الله قد أنكر على الصاحب فخر الدين بن لقمان حيث افتتح العهد الذي كتب به للظاهر بيبرس بالحمد وقال: ليس ابن لقمان بحجة، ثم قال: على أن القاضي[3] محي الدين قد تبعه فيما كتب به للمنصور قلاوون، ولا وجه لإنكاره على ابن لقمان، فقد كُتب بمثل ذلك من ديوان الخلافة ببغداد عن الإمام المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله العباسي للسلطان الملك

(١) في الأصل: المتجدفات.

(٢) انظر جـ ١٠ ص ١٣٥ إلى ص ١٤٤ والمثل السائر ص ٩١.

(٣) في الأصل «الفاضل» وانظر ص ١٢٩.

الكامل نصير الدين محمد بن العادل أبي بكر، من إنشاء الوزير أبي الأزهر أحمد بن الناقد بخط العدل ناصر بن رشيد الخرنومي، في شهر رجب الفرد سنة ثلاثين وستمائة، إلا أنه جرى فيه على الأسلوب القديم من قولهم في أوامر الخلافة: أمره بكذا وأمره بكذا.

وهذه نسخته فيما ذكره البوري في «تاريخه»[1].

الحمد لله الذي اطمأنت القلوب بذكره، ووجب على الخلائق جزيل حمده وشكره، ووسعت كل شيء رحمته، وظهرت في كل أمر حكمته، ودلّ على وحدانيته بعجائب ما أحكم صنعاً وتدبيراً، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، مُمِدّ الشاكرين بنعمائه[2] التي لا تحصى عدداً، وعالم الغيب الذي لا يظهر على غيبه أحداً، لا معقب لحكمه في الإبرام والنقض، ولا يؤوده حفظ السموات والأرض، تعالى أن يحيط به الضمير[3] وجلَّ أن يبلغ وصفه البيان والتفسير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ (٢١٩ب) ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١] والحمد (٢١٩ ب) لله الذي أرسل محمداً ﷺ بالحق بشيراً ونذيراً ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٤٦] وابْتعثه هادياً للخلق، وأوضح به مناهج الرشد وسبل الحق، واصطفاه من أشرف الأنساب وأعز القبائل، واجتباه لإيضاح البراهين والدلائل، وجعله لديه أعظم الشفعاء وأقرب الوسائل، فقذف ﷺ بالحق على الباطل، وحمل الناس بشريعته الهادية على المحجه البيضاء والسنن العادل، حتى استقام اعوجاجُ كلِّ زائغ ورجع إلى الحق كل جاحد عنه ومائل، وسجد لله كل شيء ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل، الآية ٤٨] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الأفاضل، صلاة مستمرة بالغدوات والأصائل، خصوصاً علي عمه وصنو أبيه العباس ابن عبد المطلب الذي اشتهرت مناقبه في المجامع والمحافل، ودرّت ببركة الاستسقاء به أخلاف السحب الهواطل، وفاز من تنصيص الرسول على عقبه في الخلافة المعظمة بما لم يفز به أحد من الأوائل.

والحمد لله الذي حاز مواريث النبوة والإمامة، ووفّر جزيل الأقسام من الفضل والكرامة، لعبده وخليفته، ووارث نبيه ومحيي شريعته، الذي أحلّه الله عز وجل من معارج الشرف والجلال في أرفع ذِرْوة، وأعلقه من حسن التوفيق الإلٰهي بأمتن عِصمة وأوثق عُرْوة، واستخرجه من أشرف نجارٍ وعنصر، واختصه بأزكى منحة وأعظم مفخر، ونصبه للمؤمنين علماً، واختاره للمسلمين إماماً وحكماً، وناط به أمر دينه الحنيف، وجعله قائماً بالعدل والإنصاف بين القوي والضعيف، إمام المسلمين، وخليفة رب العالمين، أبي جعفر

---

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٩٩.

(٢) في صبح الأعشى: بنعمه.

(٣) في صبح الأعشى: بحكمه الضمير.

المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين، بن الإمام السعيد التقيّ أبي نصر محمد الظاهر بأمر الله، بن الإمام الوفي أبي العباس أحمد الناصر لدين الله، بن الإمام السعيد الزكي أبي محمد الحسن المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين (٢٢٠ أ) صلوات الله عليهم أجمعين، وعلى آبائه الطاهرين، الأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يَعْدِلون، ولقوا الله تعالى وهو عنهم راض وهو عنه راضون.

وبعد، فبحسب ما أفاضه الله تعالى على أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه، من خلافته في الأرض، وفوّضه إلى نظره المقدس في الأمور من الإبرام والنقض، واستخلصه له من حياطة بلاده وعباده، ووكله إلى شريفه نظرة ومُقدَّس اجتهاده، لا يزال - صلوات الله عليه - يكلأُ العباد بعين الرعاية، ويسلك بهم في المصالح العامة والخاصة مذاهب الرشد وسبيل الهداية، وينشر عليهم جناحَيْ عدله وإحسانه، ويُنعم لهم النظر في إرشاد[1] الأُمناء الصلحاء من خلصاء أكفائه وأعوانه، متخيِّراً للاسترعاء من استحمد إليه بمشكور المساعي، وتعرّف إليه في سياسة الرَّعايا بجميل الأسباب والدواعي، وسلك في مفروض[2] الطاعة الواجبة على الخلائق قصد السبيل، وعلم منه حسن الاضطلاع في مصالح المسلمين بالعبء الثقيل، والله عز وجل يؤيد آراء أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - بالتأييد والتسديد، ويُمده أبدا من أقسام التوفيق الإلٰهي بالموفور والمزيد، ويقرن عزائمه الشريفة باليمن والنجاح، ويُسَنِّي له فيما يأتي ويذر أسباب الخير والصلاح، وما توفيق أمير المؤمنين إلاّ بالله عليه يتوكل وإليه ينيب.

ولما وفّق الله تعالى نصير الدين[3] محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة، والخِدم المشكورة، والحُظُوة في جهاد أعداء الدين بالمساعي الصالحة، والفوز من المراضي الشريفةِ، الإمامية - أجَلَّها الله تعالى - بالمغانم الجزيلة والصفقة الرابحة، لما وصل فيه سالفَ شريفِ الاختصاص بآنفه، وشفع تالده في تحصيل مأثور الاستخلاص بطارفة، واستوجب بسلوكه من الطاعة المفروضة مزيد الإكرام والتفضيل (٢٢٠ ب) وضرع في الإنْعام عليه بمنشور شريف إماميّ يسلك في اتّباعه هُدَاه والعمل بمراشده سواء الصراط وقصد السبيل، اقتضت الآراء الشريفة المقدسة - زادها الله تعالى جلالاً متألّق الأنوار، وقدساً يتساوى في تعظيمه من هو مستخف بالليل وسارِب بالنهار - الإيعازَ بإجابته إلى ما وجّه أمله إلى الإنافة فيه به إليه، والجذب بِضَبْعِه

(١) في صبح الأعشى: في ارتياد.
(٢) في صبح الأعشى: في مفترض.
(٣) في هامش صبح الأعشى: المشهور ناصر الدين.

إلى ذروة الاجتباء الذي تظهر أشعة أنواره الباهرة عليه، فقلّده - على خِيرَةِ الله تعالى - الزعامة والغلات[1]، وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والضِّياعَ والصدقات، والجوالِيّ وسائرَ وجوه الجبايات، والعرض والعطاء، والنفقة في الأولياء، والمظالم والحِسبة في بلاده، وما يفتحه ويستولي عليه من بلاد الفرنج الملاعين[2]، وبلاد من تَبْرُز إليه الأوامر الشريفة بقصده من المارقين[3] عن الإجماع المنعقد من المسلمين، ويتعدى حدود الله تعالى بمخالفة من حصل من الأعمال الصالحات بولائه المفروض على الخلائق مَقبولة، وطاعته ضاعف الله جلاله بطاعته وطاعة رسول الله ﷺ موصولة، حيث قال عز من قائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء، الآية ٥٩] واعتمد - صلوات الله عليه وسلامه - في ذلك على حُسن نظره ومدد رعايته، وألقى مقاليد التفويض إلى وفور اجتهاده وكمال سياسته، وخصّه من هذا الإنعام الجزيل بما يبقى له على تعاقب الدهر واستمراره، ويُخلد على ممرّ الزمان حسن ذكره وجزيلَ فخاره، وحباه بتقليد يُوطِّد له قواعد الممالك، ويفتح بإقليده رِتاج الأبواب والمسالك، ويفيد قاعدته في بلاده زيادة تقرير وتمهيد، ويطير به صيته في كل قريب وبعيد، ووسمه بالملك الأجل، السيد الكامل المجاهد المرابط نصير الدين، (٢٢١ أ) ركن الإسلام، أثير الأنام تاج الملوك والسلاطين، قامع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والمتمردين، ألب غازي بك محمد بن أبي بكر ابن أيوب، معين أمير المؤمنين، رعايةً لسوابق خِدَمه وخِدَم أسلافه وآبائه، عن وفور اجتبائه، وكمال ازدلافه، وإنافةً من ذروة القرب إلى محل كريم، واختصاصاً له بالإحسان الذي لا يُلقَّاهُ إلا من هو كما قال تعالى ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت، الآية ٣٥] وثوقاً بصحة ديانته التي يسلك فيها سواء سبيله، واستنامةً إلى أمانته في الخدمة التي ينصح فيها لله تعالى ولرسوله، وركوناً إلى الإنعام عليه موضوعاً بحمد الله تعالى في أحسن موضع، واقعاً به لديه في خير مستَقرٍّ ومستَوْدَع.

وأمير المؤمنين - صلوات الله عليه - لا زالت الخِيرَةُ موصوله بآرائه، والتأييد الإلٰهي مقروناً بإنفاذه وإمضائه، يستمدّ من الله عز وجل حسن الإعانة في اصطفائه الذي اقتضاه نظره الشريف واعتماده، وأدّى إليه ارتياده المقدس الإمامي واجتهاده، وحسبُ أمير المؤمنين اللهُ ونعم الوكيل.

وأمره بتقوى الله تعالى التي هي الجُنَّة الواقية، والنعمة الباقية، والملجأ المَنيع،

(١) في الأصل: والصلاة.
(٢) في صبح الأعشى: المُلاّجين.
(٣) في صبح الأعشى: الشاذين.

والعماد الرفيع، والذخيرة النافعة في السر والنجوى، والجَذوة المقتبسة من قوله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧] وأن يدّرع بشعارها، في جميع الأقوال والأفعال، ويهتدي بأنوارها، في مشكلات الأمور والأحوال، وأن يعمل بها سراً وجهراً، ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدراً، قال الله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: الآية ٥].

وأمره بتلاوة كتاب الله متدبّراً غوامض عجائبه، سالكاً سبل الرشاد والهداية في العمل به. وأغن يجعله مثالاً يتبعه ويقتفيه، ودليلاً يهتدي بمراشده الواضحة في أوامره ونواهيه، فإنه (٢٢١ ب) الثَّقَل الأعظم، وسبب الله المحكم، والدِّين[1] الذي يهدي به إلى التي هي أقوم، ضرب الله تعالى فيه لعباده جوامع الأمثال، وبيّن له بهُداه الرشد والضلال، وفرّق بدلائله الواضحة بين الحرام والحلال، فقال عز من قائل ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٣٨] وقال تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩].

وأمره بالمحافظة على مفروض الصلوات والدخول فيها على أكمل هيئة من قوانين الخشوع والإخْبَات، وأن يكون نظره في موضع نجواه[2] من الأرض، وأن يُمثّل لنفسه في ذلك موقفه بين يدي الله تعالى يوم العرض، قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون، الآية ١، ٢] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: الآية ١٠٣] وأن لا يشتغل بشاغل عن أداء فروضها الواجبة، ولا يلهو بسبب عن إقامة سُنَنها الراتبة، فإنها عماد الدين الذي نَمَتْ أعاليه، ومِهاد الشرع الذي رَسَتْ قواعده ومبانيه، قال الله تعالى ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٣٨] وقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت، الآية ٤٥].

وأمره أن يسعى إلى صلوات الجُمع والأعياد، ويقوم في ذلك بما فرضه الله تعالى عليه وعلى العباد، وأن يتوجّه إلى الجوامع والمساجد متواضعاً، ويبرز إلى المُصَلّيات الضاحية في الأعياد خاشعاً، وأن يحافظ في تشييد قواعد الإسلام على الواجب والمندوب، ويعظم باعتماد ذلك شعائرَ الله التي هي من تقوى القلوب، وأن يشمل بوافر اهتمامه واعتنائه، وكما نظره وإرعائه، بيوتَ الله التي هي محالُّ البركات، ومواطنُ العبادات، والمساجدَ التي تأكّد في تعظيمها وإجلالها حُكْمه، والبيوتَ التي أذِن اللهُ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، وأن يُرتِّب لها من الخدم من يتبتّل لإزالة أدناسها، (٢٢٢ أ)

---

(١) في صبح الأعشى: والنور الذي.

(٢) في صبح الأعشى: في موضع سجوده.

ويتصدّى لإذكاء مصابيحها في الظلام وإيناسها، ويقوم لها بما يحتاج إليه من أسباب الصلاح والعمارات، ويحضر إليها ما يليق من الفرش والكسوات.

وأمره باتباع سنة النبي ﷺ التي أوضح جَدَدَها، وثقّف أوَدَها، وأن يعتمد فيها على الأسانيد التي نقلها الثّقات، والأحاديث التي صحت بالطرق السليمة والروايات، وأن يقتضي بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي ندب ﷺ إلى التمسك بسببها، ورغّب أمته في الأخذ بها والعمل بآدابها، قال الله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية ٧] وقال سبحانه وتعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: الآية ٨٠].

وأمره بمجالسة أهل العلم والدين، وأولى الإخلاص في طاعة الله والمتقين[١] والاستشارة في عوارض الشك والالتباس، والعمل بآرائهم في التمثيل والقياس، فإن الاستشارة لهم عين الهداية، وأمْنٌ من الضلال والغَواية، وبها تُلْقَحُ عُقُم الأفهام والألباب، ويُقتَدح زناد الرّشد والصواب، قال الله تعالى في الإرشاد إلى فضلها، والأمر في التمسك بحبلها ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩].

وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في ثغوره، وأن يشملهم بحسن نظره الجميل وجميل تدبيره، مُستصلحاً نياتهم بإدامة التلطف والتعهُّد، مستوضحاً أحوالهم بمواصلة التفحُّص والتفقد، وأن يسوسهم سياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم، ويهديهم في انتظامها واتّساقها إلى الصراط المستقيم، ويحملهم على القيام بشرائط الخِدَم والتلزُّم[٢] بها بأقوى الأسباب وأمتن العِصَم، ويدعوهم إلى مصلحة التواصل والائتلاف، ويصدهم عن موجبات التخاذل والاختلاف، وأن يعتمد فيهم شرائط الحَزْم في الإعطاء والمنع، وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفع، وأن يُثيب (٢٢٢ ب) المحسن على إحسانه، ويُسبل على المسيء ما وسعه العفو واحتمله الأمرُ ذَيْلَ صفحه وامتنانه، وأن يأخذ برأي ذوي التجارِب منهم والحكمة[٣]، ويجتني بمشاورتهم في الأمر ثمرَ الشركة إذ في ذلك أمن من خطإِ الانفراد، وتزحزح عن مقام الزيغ والاستبداد.

وأمره بالتبتل بما يليه من البلاد، ويتصل بنواحيه من ثغور أولى الشرك والعناد، وأن يصرف مجامع الالتفاف[٤] إليها ويخصها بوفور الاهتمام بها والتطلع عليها، وأن يشمل ما ببلاده من الحصون والمعاقل بالإحكام والإتقان، وينتهي في أسباب مصالحها إلى غاية الوسع ونهاية الإمكان، وأن يَشْحَنَها بالمِيرة الكثيرة والذخائر، ويُمدّها من الأسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر، وأن يتخيّر حُرَّاسها من الأمناء الثُّقَاة، ويسدَّها بمن

---

(١) في صبح الأعشى: واليقين.

(٢) في صبح الأعشى: التمسك.

(٣) في صبح الأعشى: والحنكة.

(٤) في صبح الأعشى: الالتفات.

ينتخبه من الشجعان الكُماة، وأن يتأكد عليهم في استعمال التّفقاتِ الحفظة والاستظهار[1]، ويوقظهم للاحتراس من غوائل الغفلة والاغترار، وأن يكون المشارُ إليهم ممن رُبُوا في ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد، وتدرَّبوا[2] في نصب الحبائل للمشركين والأخذ عليهم بالمراصد، وأن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد، وكثرة العَدَد، والتوسعة في النفقة والعطاء، والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم في التقصير والغناء، إذ في ذلك حسم لمادّة الأطماع في بلاد الإسلام، وردٌّ لكيد المعانِدين من عبدة الأصنام، فمعلوم أن هذا الغرض أولى ما وُجِّهت إليه العنايات وصُرِفت، وأحق ما قُصِرت عليه الهممُ ووُقفتْ، فإن الله تعالى جعله من أهم الفُروض التي كرَّم فيها القيام بحقه، وأكبر الواجبات التي كتب [العمل] بها على خلقه، فقال سبحانه وتعالى هادياً في ذلك إلى سبيل الرشاد، ومحرّضاً لعباده على قيامهم بفروض الجهاد ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا (٢٢٣أ) مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة، الآيتان ١٢٠، ١٢١] وقال تعالى ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٩١] وقال النبي ﷺ: «**مَن نزل منزلاً يُخيف فيه المشركين ويُخيفونه كان له كأجر ساجد لا يرفعُ رأسه إلى يوم القيامة، وأجر قائم لا يقعد إلى يوم القيامة، وأجر صائم لا يُفطر**». وقال عليه السلام: «**غَدْوَةٌ في سبيل الله أوروْحةٌ خيرٌ مما طلعت عليه الشمس**». هذا قوله ﷺ في حقّ من سمع هذه المقالة فوقف لديها، فكيف بمن كان كما قال عليه السلام: «ألاَ أخبركم بخير الناس؟ ممسكٌ بعنان فرسه كلما سَمِع هَيْعةً طار إليها».

وأمره باقتفاء أوامر الله تعالى في رعاياه، والاهتداء إلى رعاية العدل والإنصاف والإحسان بمراشده الواضحة ووصاياه، وأن يسلك في السياسة سبل الصلاح، ويشملهم بلين الكَنَف وخَفض الجناح، ويمدّ ظلَّ رعايته على مسلمهم ومعاهَدِهم، ويُزحزح الأقذاء والشوائب عن مناهلهم في العدل ومواردهم، فينظر في مصالحهم نظراً يُساوي فيه بين الضعيف والقويّ، ويقوم بأَوَدِهم قياماً يهتدي به ويهديهم فيه إلى الصراط السَّوِيّ، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل، الآية ٩٠].

وأمره باعتبار أسباب الاستظهار والأَمَنة، واستقصاء الطاعة المستطاعة والقدرة

---

(١) في صبح الأعشى: في استعمال أسباب الحفظة والاستظهار.

(٢) في الأصل: ممن يربو في ممارسة الحروب على مكافأة الشدائد ويدرأ في نصب....

الممكنة، في المساعدة على قضاء تَفَثِ حُجّاج بيت الله الحرام، وزوّار نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وأن يُمِدّهم بالإعانة في ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ المرام، ويحرسهم من التخطُّف والأذى في (٢٢٣ ب) حالتي الظَّعن والمُقام، فإن الحج أحد أركان الدين المشيّدة، وفروضه الواجبة المؤكدة، قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: الآية ٩٧] .

وأمره بتقوية أيدي العاملين بحكم الشرع في الرعايا، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام والقضايا، والعمل بأقوالهم في ما يثبت لذوي الاستحقاق، والشدّ على أيديهم فيما يرونه من المنع والإطلاق، وأنه متى تأخر أحد الخصمين عن إجابة داعي الحُكْم، أو تقاعس في ذلك لما يلزم من الأداءِ والغُرْم، جذبه بعنان القَسْر إلى مجلس الشَّرع، واضطره بقوّة الإنصاف إلى الأداء بعد المنع، وأن يتوخى عُمّال الوقوف التي تقرَّب المتقرِّبون بها، واستمسكوا في ثواب الله بمتين حبلها، وأن يُمِدّهم بجميل المعاونة والمساعدة، وحسن المؤازرة والمعاضدة، في الأسباب التي تؤذن بالعِمارة والاستنماء، وتعود عليها بالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء، قال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: الآية ٢] .

وأمره أن يتخير من أولى الكِفاية[١] والنزاهة من يستخلصه للخِدَم والأعمال، والقيام بالواجب من أداء الأمانة والحراسة والتمييز لبيت المال، وأن يكونوا من ذوي الاضطلاع بشرائط الخِدَم المعينة وأمورها، والمهتدين إلى مسالك صلاحها وتدبيرها، وأن يتقدم إليهم بأخذ الحقوق من وجوهها المُتَيَقَّنَة، وجبايتها في أوقاتها المُعيّنة، إذ ذاك من لوازم مصالح الجند ووفور الاستظهار، وموجبات قوة الشوكة له بكثير الأعوان والأنصار، وأسباب الحِيطَة[٢] التي تُحمي بها البلاد والأمصار، ويأمرهم بالجري في الطُّسُوقِ[٣] والشروط على النمط المعتاد، والقيام في مصالح الأعمال على أقدام الجِدّ والاجتهاد، وإلى العاملين على الصّدقات بأخذ الزَّكَوات على مشروع السُّنَن المَهْيَع، وقصد الصّراط المُتَّبَع، من غير عدول في ذلك عن المنهاج الشرعيّ، أو تساهل في تبديل (٢٢٤ أ) حكمها المفروض وقانونها المَرْعِيّ، فإذا أُخذت من أربابها، الذين[٤] يُطَهَّرون ويُزَكُّون بها، كان العمل[٥] في صرفها إلى مستحقيها بحكم الشريعة النبوية وموجبها، وإلى جُباة الجزية من أهل الذمة بالمطالبة بأدائها في أوَّل السنة، واستيفائها منهم على حسب أحوالهم بحكم العادة في الثروة

(١) في صبح الأعشى: الكفاءة.
(٢) في صبح الأعشى: الحفظة.
(٣) الطسوق جمع طسق وهو شبه الخراج له مقدار معلوم.
(٤) في الأصل: أبوابها والتصويب من صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٠٩.
(٥) في الأصل: كما في العمل.

والمَسْكنة، إجراء في ذلك على حكم الاستمرار والانتظام، ومحافظة على عظيم شعائر الإسلام.

وأمره أن يتطلع على أحوال كل من يستعمله في أمر من الأمور، ويُصرِّفه في مصلحة من مصالح الجمهور، تطلعاً يقتضي الوقوف على حقائق أماناتهم، ويوجب تهذيبهم في حركاتهم وسكناتهم، ذهاباً مع النصح لله تعالى في بَرِيَّتِه، وعملاً فيه بقول النبي ﷺ: «كُلُّكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته». وأمره أن يستصلح من ذوي الاضطلاع والغَناء من يرتّب العرض[1] والعطاء، والنفقة في الأولياء، وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة، والموسومين في المناصحة بإخلاص الطوية وإصفاء السريرة، حالينَ من الأمانة والصَّون بما يَزين، ناكبين عن مظانّ الشبه والطمع الذي يَصِمُ وَيشِين، وأن يأمرهم باتباع عادات أمثالهم في [ضبط] أسماء الرجال، تحلية الأشخاص والأشكال، واعتبار، شِيات الخيول وإثبات أعدادها، وتحريض الجند على تخيُّرها واقتناء جيادها، وبذْل الجهد في قيامهم من الكُرَاع واليَزَك والسِّلاح بما يلزمهم، والعمل بقوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الانفال: الآية ٦٠] فإذا نطقت جرائد الجند المذكورين بما أُثبت لديهم، وحقّق الاعتبارُ والعِيانُ قيامَهم بما أُوجب عليهم، أُطلِقتْ لهم المعايش والأرزاق بحسب إقراراتهم (٢٢٤ ب) وأُوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم واستحقاقاتهم، فإن هذا الحال أصل حراسة البلاد والعباد، وقيام[2] الأمر فيما أوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩].

وأمره بتفويض أمر الحسبة إلى من يكون بأمرها مضطلعاً، وللسنة النبوية في إقامة حدودها متبعاً، فيعتمد في الكشف عن أحوال العامة في تصرفاتها الواجب، ويسلك في التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسَّنَن اللاَّحِب[3]، وليهتمّ بالتطواف [في الأسواق] لاختبار المكاييل والموازين، ويقيمه في مؤاخذة المطففين وتأديبهم بما تقتضيه شريعة الدين، ويحذِّرهم من تعدي حدود الإنصاف شِدَّة نكاله، ويقابل المستحقَّ المؤاخذةِ بما يرتدع به الجمع الكثير من أمثاله، قال الله تعالى ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [الشعراء، الآيات ١٨١ ـ ١٨٣] وقال سبحانه ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا

---

(١) في الأصل: ويرتب العرض.

(٢) في الأصل: ويقام.

(٣) اللاحب: الواضح.

كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين، الآيات ١ ـ ٦].

فليتولّ الملك السيد، الكامل، المجاهد، المرابط، نصير الدين، ركن الإسلام، أثير الإمام، جمال الأنام، جلال الدولة، فخر المِلّة، عز الأُمة، سند الخلافة، تاج الملوك والسلاطين، قامع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والمتمرّدين، أمير المجاهدين، غازي بك مُعين أمير المؤمنين، ما قلده عبدُ الله وخليفته [في أرضه] القائم له بحقه الواجب وفرضه، أبو جعفر المنصور المستنصر[١] بالله أمير المؤمنين، تقليدَ مُطْمئنٌ بالإيمان، وينصح الله ولرسوله - صلوات الله عليه - وخليفته في السر والإعلان، وليشرحْ بما فُوِّض إليه من هذه الأمور صدراً، وليقُم بالواجب عليه من شكر هذا (٢٢٥ أ) الإنعام الجزيل سرًّا وجهراً، وليعمل بهذه الوصايا الشريفة الإمامية، وليَقْفُ آثار مراشدها المقدسة النبوية، وليُظهر من أثر الجِدِّ في هذا الأمر والاجتهاد، وتحقيق النظر الجميل لله والإرشاد، ما يكون دليلاً على تأييد الرأي الأشرف المقدس - أجلّه الله تعالى - في اصطناعه واستكفائِه[٢] وإصابة مواقع النجح والرشد في التفويض إلى حسن قيامه وكمال اعتنائه[٣] فليقدُرِ النعمةَ عليه في هذه الحال [حق] قدرها، وليكثر بأداء الواجب بما غلب عليه من جزيل الشكر بسرّها[٤] وليطالع مع الأوقات بما يشكل عليه من الأمور الغوامض، وليُنْهِ إلى العلوم الشريفة المقدسة - أَجَلَّها الله تعالى - ما يلتبس عليه من الشكوك والعوارض، ليَرِدَ عليه من الأمثلة ما يوضِّح له وجه الصواب في الأُمور، ويستمدّ من المراشد الشريفة التي هي شفاء لما في الصدور، بما يكون وروده عليه وتتابعه إليه نوراً على نور، إن شاء الله تعالى.

وهذه نسخة العهد الذي كُتب به للملك الظاهر بيبرس عن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسين ثاني الخلفاء بالديار المصرية من إنشاء الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان.

وهذه نسخته[٥]

الحمد لله الذي أضفى[٦] ملابس الشرف، وأظهر درره وكانت خافية بما استحكم عليا

(١) في الأصل: بن المستنصر
(٢) في الأصل: «واستكتابه».
(٣) في الأصل: وكمال عنايه.
(٤) في صبح الأعشى: وليمتر بأداء الواجب... غزير دُرِّها.
(٥) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١١٢.
(٦) في صبح الأعشى أضاف المحققون كلمة أضفى [على الإسلام].

من الصدف، وشيّد ما وهي من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف، وقيّض لنصره ملوكاً اتفق على طاعتهم من اختلف.

أحمده على نعمه التي رتعت الأعينُ منها في الروض الأُنف، والطاقة التي وقفت الشكرَ عليها فليس له عنها مُنصرف، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة توجبِ من المخاوف أمْناً، (٢٢٥ ب) وتسهل من الأمور ما كان حَزْناً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جبر من الدين وهناً. وصفيه[١] الذي أظهر من المكارم فنوناً لا فَنّاً، صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحت مناقبهم باقية لا تفنى، وأصحابه الذين أحسنوا في الدين فاستحقوا الزيادة من الحسنى.

وبعد فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره، وأحقهم أن يُصبح القلم ساجداً راكعاً في تسطير مناقبه وبِرّه، من سعى فأضحى بسعيه الجميل متقدماً، ودعا إلى طاعته فأجاب من كان منجداً ومُتهماً، وما بدت يدٌ من المكرمات إلا كان لها زنداً ومِعْصماً، ولا استباح بسيفه حمى وغيّ إلاّ أضرمه ناراً وأجراه دماً.

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولويّ السلطانيّ الملكيّ الظاهريّ الركنيّ شرفه الله تعالى وأعلاه، ذكره الديوانُ العزيز النبوي الإمامي المستنصري - أعز الله تعالى سلطانه - تنويهاً بشريف قدره، واعترافاً بصنعه الذي تنفد العبارة المُسهَبَة ولا تقوم بشكره، وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقعدتها زَمانة الزمان، وأذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان، عتب[٢] دهرها المسيء لها فأعتب، وأرضى عنها زمانها وقد كان صال عليها صولة مغضب، فأعاده لها سلماً بعد أن كان عليها حرباً، وصرف اهتمامه فرجع كل متضايق من أُمورها واسعاً رحباً، ومنح أميرَ المؤمنين عند القدوم عليه حُنُوًّا وعطفاً، وأظهر له من الولاءِ رغبة في ثواب الله ما لا يخفى، وأبدى من الاهتمام بالبيعة أمراً لو رامه غيره لامتنع عليه، ولو تمسّك بحبله متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه، لكن الله ادّخر هذه الحسنة لِيُثَقِّل بها في الميزان ثوابُه، ويُخَفِّف بها يوم القيامة حسابُهُ، فهذه مَنْقَبة أبي الله إلا أن يخلدها في صحيفة صنعه، (٢٢٦ أ) وتكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإياس من جمعه، وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع، ويعرف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع، وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية، وما يتجدد من الفتوحات غوراً ونَجْداً، وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت في المكارم فَرْداً، ولا جعل منها بلداً من

---

(١) في الأصل: ورسوله الذي.

(٢) في صبح الأعشى: واستعتب.

البلاد ولا حصناً من الحصون مستثنى، ولا جهة من الجهات تُعَدُّ في الأعلى ولا الأدنى.

فلاحِظْ أمور الأمة فقد أصبحت لها حاملاً، وخلّص نفسك من التبعات اليوم ففي غد تكون مسئولاً لا سائلاً، ودع الاغترار بالدنيا فما نال أحد منها طائلاً، وما رآها أحد بعين الحق إلا رآها خيالاً زائلاً، فالسعيد من قطع آماله الموصولة، وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير التقوى مردودة لا مقبولة، وابسط يدك بالإحسان والعدل فقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان في مواضع من القرآن، وكفَّر به عن المرء ذنوباً وآثاماً، وجعل يوماً واحداً فيه كعبادة العابد ستين عاماً، وما سلك أحد سبيل العدل والإحسان إلا واجتُنيت ثماره من أفنان، ورجع الأمر به بعد أن تداعى أركانه وهو مُشَيَّد الأركان، وتحصَّن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان[1]، وكانت أيامه في الأيام أبهى من الأعياد، وأحسن في العيون من الغُرر في أوجه الجياد، وأحلى من العقود إذا حُلِّيَ بها عَطَل الأجياد.

وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نُوَّاب وحُكّام، وأصحاب رأي من أصحاب السيوف والأقلام، فإذا استعنت[2] بأحد منهم في أمورك فنقّب عليه تنقيباً، واجعل عليه في تصرفاته رقيباً، وسَلْ (٢٢٦ ب) عن أحواله ففي القيامة تكون عنه مسئولاً وبما أجرم مطلوباً، ولا تُوَلِّ منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوباً، وأْمُرْهم بالأناة في الأمور والرفق، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق، وأن يقابلوا الضعفاء في حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطَّلق، وأن لا يعاملوا أحداً على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق، وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعية إخواناً، وأن يوسعوهم بِرًّا وإحساناً، وأن لا يستحلوا حرماتهم إذا استحلّ الزمان لهم حِرْماناً، فالمسلم أخو المسلم ولو كان عليه أميراً وسلطاناً، والسعيد من نسج وُلاته في الخير على منواله، واستنّ بسنته في تصرفاته وأحواله، وتحمل عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله.

ومما يؤمرون به أن يمحي ما أُحْدِث من سَيِّئ السنن، وجدد من المظالم التي هي من أعظم المِحَن، وأن يشتري بإبطالها المحامد رخيصة بأغلى ثمن، ومهما جنى منها من الأموال فإنما هي باقية في الذم حاصلة، وأجياد الخزائن إن أضحت بها حالية فإنما هي على الحقيقة منها عاطلة، وهل أشقى ممن احتقب إثماً، واكتسب بالمساعي الذميمة ذماً، وجعل السواد الأعظم يوم القيامة خصماً، وتحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعمال ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: الآية ١١١].

---

(١) في صبح الأعشى. وهو مشيد الأركان وتحصن به من حوادث الزمان وكانت...

(٢) في الأصل: استعنت بهم خذ منهم في أمورك فنقب عليها.

وحقيق بالمقام الشريف المولويّ السلطانيّ الملكي الظاهري الركنيّ أن لا تكون ظلامات الأنام مردودة بعدله، وطاعته تخفف ثقلاً لا طاقة لهم بحمله، فقد أضحى على الإحسان قادراً، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وإن جاء آخراً، فاحْمَدِ الله على أن وصل إلى جنابك إمم هُدًى يوجب لك مَزِيّة التقديم، ويُنَبِّه الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم، وهذه أمور يجب أن تُلاحظ وتُرعى، ويوالي عليها حمدالله فإن الحمد يَجِب (٢٢٧ أ) عليها عقلاً وشرعاً، وقد تبين [لك] أنك صرت في الأمور [أَصلاً] وصار غيرك فَرْعاً.

ومما يجب أيضاً تقديم ذكره أمرُ الجهاد الذي أضحى على الأمة فرضاً، وهو العمل الذي يرجع به مُسْوَدُّ الصحائف مُبْيَضّاً، وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم، وأعدَّ لهم عنده المقام الكريم، وخصهم بالجنة التي لا لَغْوٌ فيها ولا تَأْثيم، وقد تقدمت لك في الجهاد يدٌ بيضاء أسرعت في سواد الحُسَّاد، وعرفت منك عزمه وهي أمْضَى مِمَّا تُجِنُّه ضمائر الأغماد، واشتهرت بك مواقف في القتال هي أشهر وأشهى إلى القلوب من الأعياد، وبك صان الله حِمى الإسلام أن يُبْتَذَل، وبعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدُّول، وسيفك أثَّر في قلوب الكافرين قروحاً لا تنْدَمِل، وبك يُرجى أن يرجع مقرّ الخلافة إلى ما كان عليه في الأيام الأُوَل، فأَيقِظْ لنصرة الإسلام جفناً ما كان غافياً ولا هاجعاً، وكُنْ في مجاهدة أعداء الله إماماً متبوعاً لا تابعاً، وأيِّد كلمة التوحيد فما تجد في تأييدها إلاّ مطيعاً سامعاً، ولا تُخْلِ الثغور من اهتمام بأمرها تبتسم له الثغور، واحتفال يبدل ما دَجَا من ظلماتها بالنور، واجعل أمرها على الأمور مقدماً، وشيِّد منها كل ما غادره العدو متهدماً[1]، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، وعلى العدو داعية افتراق لا اجتماع، وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاوراً، والعدو إليه ملتفتاً ناظراً، ولا سيما ثغور الديار المصرية فإن العدوَّ وصل إليها رابحاً وراح خاسراً، واستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم عاثراً، وكذلك الأسطول الذي تُري خيلُه كالأهلَّة، وركائبه سابقة بغير سائق مُستَقِلَّة، وهو أخو الجيش السُّليماني فإن ذاك غدت الريح له حاملة، وهذا تكفلت بحمله الرياح السابلة، وإذا لحظها الطرف جارية في البحر كانت كالأعلام، وإذا شبهها قال هذه (٢٢٧ ب) ليال تُقْلِعُ بالأيام، وقد سنَّى الله لك من السعادة كلَّ مَطلَب، وآتاك من أصالة الرأي الذي يُريك المُغَيَّب، وبسط بعد القبض منك الأمل، ونَشِط بالسعادة ما كان من كَسَل، وهداك إلى مناهج الحق وما زلت مهتدياً إليها، وألزمك المراشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها، والله تعالى يُمِدُّك بأسباب نصره، ويُوزِعك شكر نِعَمه فإن النعمة تستتِمُّ بشكره[2].

---

(١) جملة «واجعل أمرها . . . متهدماً» خلا منها صبح الأعشى.

(٢) زاد بعدها في صبح الأعشى: إن شاء الله تعالى.

وهذه نسخة[1] العهد الذي كتبه القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر للملك المنصور قلاوون، عن الخليفة الإمام أبي العباس أحمد الحاكم الأول[2]:

الحمد لله الذي جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات، وفاسخة لعقود أُولى الشك والشبهات، الذي رفع بعض الخلق على بعض درجات، وأهَّل لأُمور البلاد والعباد من جاءت بخوارق تملُّكه بالذي إن لم يكن من المعجزات فمن المكرمات.

ثم الحمد لله الذي جعل الخلافة العباسية بعد القطوب حسنة الابتسام، وبعد الشحوب جميلة الاتِّسام، وبعد التشريد كلٌّ دار إسلام لها أعظمُ من دار السلام.

والحمد لله على أن أشهدها مصارع أعدائها، وأحمد لها عواقب إعادة نصرها وإبدائها، ورد تشتيتها بعد أن ظن كلّ أحد أن شعارها الأسود ما بقي منه إلا ما صانته العيون في جفونها والقلوب في سُويدائها.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان، وتتعطر بنفحاتها الأفواه والأردان، وتتلقاها ملائكة القبول فترفعها إلى أعلى مكان.

ونصلي على سيدنا محمد الذي أكرمنا الله به (٢٢٨ أ) وشرف لنا الأنساب، وأعزنا به حتى نزل فينا مُحْكَم الكتاب، صلى الله عليه وعلى آله الذين انْجَابَ الدين منهم عن أَنْجَاب، ورضي الله عن صحابته الذين هم خير صِحَاب، صلاة ورضواناً يوفَّى قائلُها أجرَه يوم الحساب، من الكثرة بغير حساب يوم الحساب.

وبعد حَمْدِ الله على أن أَحْمَدَ عواقبَ الأُمور، وأظهر للإسلام سلطاناً اشتدت به للأمة الظهور وشُفيت الصدور، وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن بالمنصور كما أقامها في ما مضى بالمنصور، واختار لإعلان دعوتها من يحي معالمها بعد العفاء ورسومها بعد الدُّثور، وجمع لها الآن ما كان جَمع عليها فيما قبل من خِلاف كلّ ناجِم، ومنحها ما كانت تبشرها بِهِ منَ الملاحم[3]، وأنفذ كلمتها في ممالك الدولة العلوية بخير سيف مشحوذ ماضي العزائم، ومازج بين طاعتها في القلوب وذكرها في الألسنة وكيف لا والمنصور هو الحاكم، وأخرج لِحِياطة الأمة المحمدية ملكاً تُقَسَّم البركات عن يمينه، وتُقْسِم السعادةُ بنور جبينه، وتُقْهَرالأعداء بفتكاته، وتُمْهَر عقائل المعاقل بأصغر راياته، ذو السعد الذي ما زال نوره يَشِفُّ حتى ظهر، ومعجزه يَرِفُّ إلى أن بهر، وجوهره ينتقل من جِيد إلى جِيد حتى علا الجبين، وسرّه يكمن في قلب بعد قلب حتى عُلم - والحمد لله - نَبأُ تمكينه في

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١١٦.

(٢) في صبح الأعشى: الحاكم بأمر الله.

(٣) غيرها المحققون في صبح الأعشى فجعلوها: «صحف الملاحم».

الأرض بعد حين، فاختاره الله على علم، واصطفاه من بين عباده بما جبله الله عليه من كرم وشجاعة وحلم، وأتى الله به الأمة المحمدية في وقت الاحتياج غَوْثاً، وفي إبّان الاستمطار غيثاً، وفي حين عَيْث الأشبال في غير الافتراس ليثاً، فوجب على من له في أعناق الأُمة المحمدية مبايعة رضوان، وعند أيمانهم مصافحة أيمان، ومن وجب له البيعة (٢٢٨ ب) باستحقاقه لميراث منصب النبوّة، ومن تَصِحُّ منه كل ولاية شرعية يؤخذ كتابها منه بقُوَّة، ومن هو خليفة الزمان والعصر، ومن بدعواته يُنزل الله عليكم معاشرَ كُماةِ الإسلام ملائكة النصر، ومن نسبه بنسب نبيكم - ﷺ - مُتَشِج، وحسبه بحسبه ممتزج، أن يفوض ما فوضه الله إليه من أمر الخلق، إلى من يقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق، وأن يوليه ولاية شرعية تصح بها الأحكام، وتنضبط أمور الإسلام، وتأتي هذه العصبة الإسلامية يوم تأتي كل أمة بإمامهم من طاعة خليفتهم هذا بخير إمام، وخرج أمر مولانا أمير المؤمنين - شرفه الله - أن يكون للمقر العالي المولويّ السلطانيّ الملكيّ المنصوريّ - أجلّه الله ونصره وأظفره وأقدره وأيده وأبّده - كلُّ ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين من حُكْم في الوجود، وفي التهائم والنجود، وفي الجيوش والجنود، وفي المدائن والخزائن، وفي الظواهر والبواطن، وفيما فتحه الله وفيما سيفتحه، وفيما كان فسد بالكفر والرجاء من الله أنه سيصلحه، وفي كل جود وَمَنّ، وفي كلّ عطاء ومَنّ[1]، وفي كل هبة وتمليك، وفي كل تفرد بالنظر في أُمور المسلمين بغير تشريك، وفي كل تعاهد وَنبْذ، وفي كل عطاء وأخذ، وفي كل عزل وتولية، وفي كل تسليم وتخلية، وفي كل إرفاق وإنفاق، وفي كل إنعام وإطلاق، وفي كل استرقاق وإعتاق، وفي كل تقليل وتكثير، وفي كل اتساع وتقتير، وفي كل تجديد وتعويض، وفي كل حَمد وتقريض ولاية عامة تامة مُحْكَمةٌ مُحَكَّمة، منضدة منظَّمة، لا يتعقَّبها نسْخ من خلفها ولا من بين يديها، ولا يعتريها فسخ يطرأُ عليها، يزيدها مرّ الأيام جِدَّة يُعاقبها حُسْنُ شَباب، ولا ينتهي على الأعوام والأحقاب، نعم يَنتهي إلى ما نصب الله للإرشاد من سنة وكتاب، وذلك من (٢٢٩ أ) شرع الله أقامه للهداية علماً، وجعله إلى اختيار الثواب سُلَّماً، فالجواب أن يعمل بجزئيات أمره وكلّياته، وأن لا يخرج أحد عن مقدماته.

والعدل، فهو الغرس المُثْمِر، والسحاب الممطر، والروض المزهر، وبه تتنزل البركات، وتخلف الهبات، وتُرْبى الصدقات، وبه عمارة الأرض، وبه تُؤَدّى السنة والفرض، فمن زرع العدل اجتنى الخير، ومن أحسن كُفِي الضرر والضَّير.

والظلم، فعاقبته وخيمة، وما يطول عمر الملك إلا بالمعدلة الرحيمة.

---

(١) هكذا أيضاً في صبح الأعشى وقال المحققون: لعل المراد: وقطع، من: منَّ الحبل: قطعه.

والرعية، فهم الوديعة عند أولى الأمر، فلا يُخصّصُ بحسن النظر منهم زيد ولا عَمْرو.

والأموال، فهي ذخائر العاقبة والمآل، والواجب أن تؤخذ بحقّها وتُنفق في مستحقها.

والجهاد برّاً وبحراً فمن كنانة الله تُفَوّق سهامُه، وتؤرّخ أيامُه، ويُنتضى حُسامُه، وتَجري مُنشآتُه في البحر كالأعلام وتُنشر أعلامه، وفي عقر دار الحرب يُحَطُّ ركابه، ويُخَطُّ كتابه، وتُرسل أرسانُه، وتجوس خلالها فُرسانُه، فيلزم منه ديدنا، وليستصحب منه فعلاً حسناً.

وجيوش الإسلام وكُماته، وأمراؤه وحُماته، فهم من قد علمت قِدَمَ هِجْرِه[1] وعِظَم نَضْرِه، وشدة باس، وقُوة مِراس، ومَا منهم إلاَّ من شهد الفتوحات والحروب، وأحسن في المحاماة عن الدين الدءُوب، وهم بقايا الدول، ونجايا[2] الملوك الأول، لا سيما أولو السعي الناجح، ومن لهم نسبةٌ صالحية إذا فخروا بها قيل لهم نعم السلف الصالح، فأوسِعْهم بِرّاً، وكن بهم بَرّاً، وهم بما يجب من خدمتك أعلم وأنت بما يجب من حرمتهم أدرى.

والثغور والحصون، فهي ذخائر الشدة، وخزائن العديد والعُدَّة، ومقاعد للقتال، وكنائن الرجال والآمال[3]، فأحسن لها التحصين، وفَوّض أمرها إلى كل قويّ أمين، وإلى كلّ ذي دِين متين، وعقل (٢٢٩ ب) رصين.

ونوّاب الممالك ونوّاب الأمصار، فأحسن لهم الاختيار، وأجمل لهم الاختبار، وتفقّد لهم الأخبار.

وأما ما سوى ذلك فهو داخل في حدود هذه الوصايا النافعة، ولولا أن الله أمرنا بالتذكير، لكانت سجايا المقرّ الأشرف السلطاني الملكيّ المنصوريّ مكتفيةً بأنوار ألْمَعِيَّته الساطعة، وزمامُ كل صلاح يجب أن يشغل به جميعَ أوقاته هو تقوى الله، قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢] فليكن ذلك نُصْبَ العين، وشغل القلب والشّفتين.

وأعداء الدين، من أرمن وفرنج وتتار، فأذقهم وبال أمرهم في كل إيراد للغزو وإصدار، وثُرْ لِأن تأخذ للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين منهم الثار، واعلم أن الله نصيرك على ظلمهم وما للظالمين من أنصار.

---

(١) الهجر الفائق، ويراد هنا التفوق.

(٢) في صبح الأعشى: وتحايا.

(٣) في صبح الأعشى: الرجاء والرجال.

وأما غيرهم من مُجاوريهم من المسلمين، فأحسن باستنقاذك منهم العلاج، وطُبَّهم باستصلاحك فبالطبِّ الملكيّ المنصوريّ ما زال ينصلح المِزاج، والله الموفق بكرمه.

تنبيه – قد ذكر محمد بن عمر المدائني أنه كان في الزمن المتقدم أنه كان يكتب للأمراء عن الخلفاء في قرطاس من نصف طومار، وتقدم في آخر البيعات وعهود الخلفاء أن المراد قطع البغدادي، وكانت الأمراء من متقلدي الممالك عنهم قائمة مقام الملوك الآن، أما الذي استقر عليه الحال فيما يكتب عن خلفاء بني العباس بالديار المصرية لملوكها ففي قطع البغدادي الكامل، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن تملك الملك المؤيد شيخ، سلطان العصر، فكتب عهد في ورق يزيد عرضه عن قطع البغدادي بقدر نصفه بقلم مختصر الطومار.

الفصل الثاني

من الباب الرابع فيما يكتب عن الخلفاء لمن دون الملوك من أرباب الوظائف والولايات، وهو على خمسة أساليب.

الأُسلوب الأَول

أن يفتتح ما يكتب بلفظ: عهد من فلان، أو: هذا ما عهد عبد الله أبو فلان الإمام الفلانيّ أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان، ويصفه بما يليق به، ثم يقال: فقلده كذا وكذا، ويذكر الوظيفة المُوَلاَّةَ، ثم يقال: أمره بكذا وأمره بكذا، إلى آخر الوصايا، ثم يقال: هذا عهد أمير المؤمنين إليك، على نحو ما تقدم في عهود الخلفاء إلى الملوك، وعلى هذا جُلُّ ما كان يكتب (٢٣٠ أ) في الدولة العباسية بالعراق من وظائف أرباب السيوف والأقلام إلا أنه في آخر الدولة كان يقع الوصف والإطراء في حق الخليفة وحق المُوَلّى أكير منه مما قبل ذلك، والأصل في هذا الأُسلوب ما كُتب به عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردة.

هذه نسخته(١)

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، لفلان حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، عهد إليه أن يتقي الله تعالى ما استطاع في أمره كله وسره وجهره.

وأمره بالجِدّ في أمر الله تعالى، ومجاهدة من تولّى عنه ورجع من الإسلام إلى أمانيّ الشيطان، بعد أن يُعْذِر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم، ويعطيهم الذي لهم ولا يُنظرهم ولا يردُّ المسلمين عن قتال

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٩٢.

عدوّهم، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقرَّ له قَبِلَ ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يُقاتَلُ من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل، وكان الله حسبه فيما استسرَّ به، ومن لم يجب إلى داعية الله قُوتل حيث كان وحيث بلغ مُرَاغَمُه[1]، لا يقبل الله من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقرَّ به قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عز وجل عليه قَتَلَ فيهم كُلَّ قِتْلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلاَّ الخُمس فإنه مُبَلِّغُنَاه، ويمنع أصحابه العجلة والفساد، وأن لا يَدخُل فيهم حَشْوٌ حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لئلا يكونوا عيوناً[2] ولئلا يُؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقصد بالمسلمين الرفق ويرفق بهم في السير والمنزل، ويتفَقَّدهم ولا يُعْجِل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين الفعل[3]. (٢٣٠ ب) وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة بحاضرة بغداد وسائر الأعمال، كُتب به عن الإمام الناصر لدين الله للقاضي محيي الدين أبي عبد الله محمد بن فَضْلان، من إنشاء عضد الدين بن الضحَّاك[4].

هذا ما عهد عبد الله وخليفته في العالمين، المفترض الطاعة على الخلق أجمعين، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن [يحيى بن] فضلان، حين سَبَرَ خلاله واستقراها، واعتبر طرائقه واستبراها، فألفاه رشيداً في مذاهبه، سديداً في أفعاله وضرائبه، موسوماً بالرصانة، حالياً بالوَرع والديانة، مبرِّزاً من العلوم في فنونها، عالماً بمفروض الشريعة المطهرة ومسنونها، مُدَّرِعاً ملابس العفاف، قد أناف على أمثاله في بوارع الأوصاف، فقلده قضاء القُضاة في مدينة السلام وجميع البلاد والأعمال، والنواحي والأمصار، شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، سكوناً إلى ما علم من حاله، واضطلاعه بالنهضة المنوطة به واستقلاله، وركوناً إلى قيامه بالواجب فيما أُسند إليه، ونهوضه بعبء ما عُوِّل في حفظ قوانينه عليه، واستنامةً إلى حُلول الاصطناع عنده، ومصادفته منه مكاناً تبَوَّأه بالاستحقاق وحده، والله تعالى يُعَضِّد أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الأمور، ويُحسن له الخِيرَة فيما يَؤُمُّه من مناظم الدِّين وصلاح الجمهور، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب.

أمره بتقوى الله تعالى في إعلانه وإسراره، وتقمُّص شعارها في إظهار أمره وإضماره، فإنها العروة الوثقى، والذُّخر الأبقى، والسعادة التي ما دونها فوز ولا فوقها مَرْقى، وهي حيلة الأبرار، وسِيما الأخيار، والمنهج الواضح، والمتجر الرابح، والسبيل المؤدي إلى النجاة

(١) المراغم: المهرب.
(٢) في الأصل: أعواناً.
(٣) في صبح الأعشى: ولين القول.
(٤) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٨٦.

والخلاص، يوم (٢٣١ أ) لا وَزَر ولات حين مناص، وأنفع العُدد والذخائر، وخير العتاد يوم تُنشر الصحف وتُبلى السرائر، يوم تشخص الأبصار، وتَعدَم الأنصار ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم، الآية ٤٩، ٥٠] ولا ينجو من عذاب الله يومئذ إلا من كان زاده[1] التقوى، وتمسك منها بالسبب الأقوى، قال الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧] .

وأمره أن يجعل كتاب الله تعالى إماماً يهتدى بمناره، ويستصبح ببواهر أنواره، ويستضيء في ظلم المشكلات بمنير مصباحه، ويقف عند حدود محظوره ومباحه، ويتخذه مثالاً يحتذيه، ودليلاً يتبع أثره فيهديه، ويعمل به في قضاياه وأحكامه، ويقتدي بأوامره في نقضه وإبرامه، فإنه دليل الهدى ورائدُه، وسائق النجح وقائده، ومعدن العلم ومنبعه، ومنجم الرشاد ومطلعه، وأحد الثقلين اللَّذَيْن جعلهما[2] رسول الله ﷺ في الأمة، والذِّكْرُ الذي جعله الله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة، [فقال عز من قائل ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: الآية ٨٩] .

وأمره باتباع[3] الآثار النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه، والاهتداء بشموسها التي تنجلي به دُجُنَّةُ كل مشكل وظلامُه، والاقتداءِ بسنة الشريعة المتبوعة، وتَصفُّح الأخبار المسموعة، والعمل منها بما قامت أدلة صحته من جميع جهاته، فاستحكمت الثقة بنَقَلتِه عنه - عليه السلام - ورُواتِه، وسَلِمت أسانيده من قَدْح، ورجاله من ظِنَّةٍ وجَرْح، فإنها التالية للقرآن المجيد في وجوب العمل بأوامره، والانتهاء بروادعه وزواجره، وهو عليه الصلاة والسلام الصادق الأمين، الذي ما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، وقد قرن الله [سبحانه] طاعته بطاعته، (٢٣١ ب) والعمل بكتابه والأخذ بسنته، فقال عز من قائل ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: الآية ٧] .

وأمره بمجالسة العلماء، ومباحثة الفقهاء، ومشاركتهم في الأمور المشكلة، وعوارض الحكومات المعضلة، ليستبين سبل الصواب، ويَعْرَى الحُكم من ملابس الشُّبَه والارتياب، ويخلص من خطإ الانفراد وغوائل الاستبداد، فالمشورة باليُمْن مقرونة، والسلامة في مطاويها مضمونة، وقد أمر الله تعالى بها نبيه ﷺ مع شرف منزلته، وكمال عصمته، وتأييده بروحه وملائكته، فقال سبحانه ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩] .

---

(١) في الأصل: رداه.
(٢) في صبح الأعشى: خلفهما.
(٣) في صبح الأعشى: «بانتزاع» وفسر بالهامش بمعنى التمثل.

وأمره بفتح بابه، ورفع حجابه، وأن يجلس للخصوم جلوساً عاماً، وينظر في أُمورهم نظراً حسناً تامّاً، مساوياً بينهم في نظره ولحْظِه، وإصغائه ولفظه، مُحترزاً من ذي اللَّسَن وجرأة جنانه، مُتَأنّياً بذي الحصر عند إقامة برهانه، فربما كان أحد الخصمين ألحنَ بحجته، والآخر ضعيفاً عن مقاومته، هذا مقام الفحص[1] والاستفهام، والتثبت في إمضاء الأحكام، ليسلم من خديعة محتال، وكيد مغتال، مائلاً في جميع ذلك مع الواجب [سالكاً طريق العدل اللاحب] غير فارق في إمضاء الحكم بين القوي والضعيف، والمشروف والشريف، والمالك والمملوك، والغني والصعلوك، قال الله تعالى ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء: الآية ١٣٥] وقال تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: الآية ٤٤].

وأمره بتصفح أحوال الشهود، المسموعة أقوالهم في الحقوق والحدود، المرجوع إلى أمانتهم، المعمول بشهادتهم، الذين بهم تُقام الحجج وتُدحض، وتُبرم الأحكام وتنقض، وتُثبت الدعاوى وتُبطل، وتُمضَى القضايا وتُسجّل، مجتهداً في البحث عن طرائقهم وأحوالهم، وانتقاد[2] تصاريفهم وأفعالهم واستشفاف سجاياهم وعرفان (٢٣٢ أ) مزاياهم، مخصّصاً بالتمييز من كان حميد الخِلال، مرضيّ الفِعال، راجعاً إلى ورع ودين، متمسكاً من الأمانة والنزاهة بالسبب المتين، قال الله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: الآية ٢].

وأمره بالنظر في أُمور اليتامى وأموالهم، ومراعاة شئونهم وأحوالهم، وأن يرتب بسبب اتّساق مصالحهم الثّقاتِ الأعِفّاء، والأُمناء الأتقياء، ممن ظهرت ديانته، وحسُنت سيرته، واشتهر باللطف والعفاف، والتنزُّه عن الطمع والإسفاف [ويأمرهم بحفظها من خلل يتخللها، ويد خائنة تدخلها، وليكن عليهم حَدِبًا، وفي فرط الحنوّ أبا، وخلفاً من آبائهم في الإشفاق] عليهم، وحسن الالتفات إليهم، فإنه عنهم مسئول، والعذر عند الله تعالى في إهمالهم غير مقبول، وأن يأذن لهم في الإنفاق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير، ولا تضييق ولا تبذير، فإذا بلغ أحدهم النكاح، وآنس منه أمارات الرشد والصلاح، دفع ماله إليه، وأشهد بقبضه عليه، على الوجه المنصوص، غير منقوص ولا منغوص، ممتثلاً أمر الله تعالى في قوله سبحانه ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: الآية ٦].

وأمره بتزويج الأيامى اللواتي لا أولياء لهن من أكفائهن، بمهور أمثالهن، وأن يشمل ذوات الغنى والفقر منهن بعدله، ويتحرَّى لهن المصلحة في عقده وَحلّه.

(١) في الأصل: الخفض.

(٢) في الأصل: وتنفيذ.

وأمره أن يستنيب فيما بعُد عنه من البلاد ودنا، وقرب منه ونأى، كلّ ذي علم واستبصار، وتيقُّظ في الحكم واستظهار، ونزاهة شائعة، وأوصاف لأدوات الاستحقاق جامعة، ممن يتحقق نهوضه بذلك واضطلاعه، ويؤمن استنزاله[1] وانخداعه، وأن يعهد إليهم في ذلك بمثل ما عُهد إليه فلا يألوهم تنبيهاً وتذكيراً، وإرشاداً وتبصيراً، قال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: الآية ٢] .

وأمره بإمضاء ما أمضاه مَنْ قبله مِنَ الحُكّام، من القضايا والأحكام، غير متعقّب (٢٣٢ ب) أحكامهم بنقض ولا تبديل، ولا تغيير ولا تأويل، إذا كانت جائزة في بعض الأقوال، مُمضاة على وجه من وجوه الاحتمال، غير خارقة للإجماع، عارية من ملابس الابتداع، وإن كان ذلك منافياً لمذهبه، جارياً على خلاف معتقده[2] قال الله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: الآية ٤٥] .

وأمره أن يتخذ كاتباً قيّماً بشروط القضايا والسّجلاّت، عارفاً بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات، ويتداخلها من النقص والتلبيسات، متحرّزاً في كل حال، متنزهاً عن ذميم الأفعال، وأن يتخير حاجباً نَقِيَّ الجَيْب، مأمون المشهد والغَيْب، مُستشعراً للتقوى، في السر والنجوى، سالكاً للطريقة المُثلى، غير متجهّم للناس، ولا معتمد ما ينافي بسط الوجه والإيناس، فإنه وُصْلتهم إليه، ووجهُهِ المشهود قبل الدخول عليه، فلينتخِبْه من بين أصحابه، ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه.

وأمره بتسلّم ديوان القضاء والحُكم، والاستظهار على ما في خزائنه بالإثبات والختم، والاحتياط على ما به من المال والسجلات، والحجج والمحاضر والولايات[3] والقبُوض[4] والوثائق والأثبات والكفالات، بمحضر من [العدول] الأمناء الثقات، وأن يرتب لذلك خازناً يؤدي الأمانة فيه، ويتوخّى ما تُوجبه الديانة وتَقتضيه.

وأمره بمراعاة [أمر] الحسبة فإنها من أكبر المصالح وأهَمِّها، وأجمعها لمنافع الخلق وأعَمِّها، وأدعاها إلى تحصين أموالهم، وانتظام أحوالهم، وأن يأمر المستنابَ فيها باعتبار سائر المبيعات، وما فيها من الأقوات، وغيرها في عامة الأوقات، وتحقيق أسباب الزيادة والنقصان في الأسعار، والتصدي لذلك على الدوام والاستمرار، وأن يُجرى الأمرَ فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة، والموجبات الشائعة الظاهرة، واعتبار الموازين والمكاييل، وإعادة

---

(١) في صبح الأعشى: استزلاله.

(٢) في صبح الأعشى بدل هذه الجملة ما يأتي: فقد سبق حكم الحاكم به.

(٣) في صبح الأعشى: والوكالات.

(٤) في الأصل: والتفويض.

الزائد والناقص منها إلى التسوية والتعديل، فإن اطّلع لأحد (٢٣٣ أ) من المتعاملين على خيانة في ذلك وفعل ذميم، أو تطفيف عَدَل فيه[١] عن الوزن بالقِسطاس المستقيم، ناله من التأديب، وأسباب التهذيب، بما يكون له رادعاً، ولغيره زاجراً وازعاً، قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[المطففين، الآيات ١ - ٦].

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عند الله تعالى عليك، قد أولاك من صنوف النعم والآلاء، وجزيل النعم والحِباء، ما يوجب عليك الاعتراف بقدره، واستيزاع شكره، ووقف بك على محجّة الرشاد، وهداك منهج الحق وسَنَن السداد، ولم يأْلُك تثقيفاً وتبصيراً، وتنبيهاً وتذكيراً، فتأملْ ذلك متدبراً، وقف عند حدود أوامره ونواهيه مستبصراً، واعمل به في كل ما تأتيه وَتَذَرُه، وتُورده وتُصدره، وكن للمَخِيلة في ارتيادك مُحَقِّقاً، والمعتقد فيك مصدِّقاً، تفُزْ من خير الدارين بِمُعَلَّى القِدَاح، وإحماد السُّرى عند الصباح، وحسب أمير المؤمنين اللهُ ونعم الوكيل إن شاء الله تعالى.

وهذه نسخة عهد بتقليد المظالم بمدينة السلام[٢]

كتب به أبو إسحاق الصابي عن المطيع لله إلى الحسين ابن موسى العلوي وهو:

هذا ما عهد عبد الله الفضلُ الإمامُ المطيع لله أمير المؤمنين، إلى الحسين بن موسى العلوي، حين اجتمع فيه شرف الأعراق، والأخلاق، وتكامل فيه يمن النقائب والضرائب، وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية والغناء، ورشاد المقاصد والأنحاء، في سالف ما ولأّه إياه من أعماله الثقيلة التي لم يزل فيها محمود المقام، (٢٣٣ ب) مستمراً على النظام، مصيب النقض والإبرام، سديد الإسداء والإلحام، زائداً على الزَّائدين، راجحاً على الموازين، فائتاً المحاذين[٣] مبرّزاً على المُبارين، فقلده النظر في المظالم بمدينة السلام وسوادها وأعمالها، وما يجري معها، ثقةً بعلمه ودينه، واعتماداً على بصيرته ويقينه، وسكوناً إلى أن الأيام قد زادته تحليماً وتهذيباً، والسّنّ[٤] قد تناهت به تحكيماً وتجريباً، وأن صنيعة أمير المؤمنين مستقرة منه عند أكرم أكفائها، وأشرف أوليائها، برَحمه الماسَّة الدانية، وخدمته الشامخة الغالية[٥] ومعرفته الثاقبة الداعية إلى التفويض إليه، الباعثة على التعويل عليه، وأمير المؤمنين يستمد الله في ذلك أحسن ما عوّده من هداية وتسديد، ومعونة وتأييد، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب.

---

(١) في الأصل: عدل به فيه.
(٢) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٤٣.
(٣) في الأصل: المحادرين.
(٤) في الأصل: والسير.
(٥) في صبح الأعشى: وحرمته الشامخة العالية.

أمره بتقوى الله التي هي الجُنَّة الحصينة، والعصمة المتينة، والسبب المتصل يوم انقطاع الأسباب، والزاد المبلغ إلى دار الثواب، وأن يَستشعرها فيما يُسرّ ويعلن، ويعتمدها فيما يُظهر ويبطن، ويجعلها إمامه الذي ينحوه، ورائده الذي يقفوه، إذ هي شيمة الأبرار والأخيار، وكان أولَى من تعلق بعَلائقها، وتمسَّك بدقائقها، لمَفْخَرِه الكريم، ومنصبه الصميم، واستظلاله مع أمير المؤمنين بدوحة رسول الله ﷺ التي يَكْتَنَّانِ في فنائها، ويأويان إلى أفيائها، وحقيق على من كان منها منزعه، وإليها مرجعه، أن يكون طيباً زكيّاً، طاهراً نقيّاً، عفيفاً في قوله وفعله، نظيفاً في سره وجهره، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٣].

وأمره بتلاوة القرآن، وتأمُّلِ ما فيه من البرهان، وأن يجعله نُصْباً لناظره، ومألفاً لخاطره، فيأخذ به ويُعطي، ويأتمر به وينتهي، (٢٣٤ أ) فإنه الحجة الواضحة، والمحجة اللائحة، والمعجزة الباهرة، والبَيِّنة العادلة، والدليل الذي من اتبعه سَلِمَ ونجا، ومن صَدَفَ عنه هلك وَهَوى، قال الله عزَّ من قائل ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: الآية ٤١، ٤٢].

وأمره أن يجلس للخصوم جلوساً عامّاً، ويقبل عليهم إقبالاً تامّاً، ويتصفح ما يرفع إليه من ظلاماتهم، ويُنعم النظر في أسباب مُحادثاتهم، فما كان طريقه طريق المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العدول ردّه إلى المتولي للحُكم، وما كان طريقه طريق الغصوب المحتاج فيها إلى الكشف والفحص، والاستشفاف والبحث، نظر فيه نظر صاحب المظالم، وانتزع الحق ممن غصب عليه، واستخلصه ممن امتدت له يد التعدّي والتغرر إليه، وأعاده إلى مستحقه، وأقرّه عند مستوجبه، غير مراقب كبيراً لكِبرِه، ولا خاصًّا لخصوصه، ولا شريفاً لشرفه، ولا متسلطاً لسلطانه، بل يقدّم أمر الله جل ذكره في كل ما يأتي ويذر، ويتوخى رضاه فيما يُورِد ويُصْدِر، ويكون على الضعيف المُحِقّ حَدِباً ورءُوفاً حتى يتصبر[1] وينتصف، وعلى القوي المبطل شديداً غليظاً حتى ينقاد ويُذْعِن، قال الله جل وعــز ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: الآية ٢٦].

وأمره بأن يفتح بابه، ويُسَهِّل حُجّابه، ويبسط وجهه، ويُلين كَنَفه، ويَصبر على الخصوم الناقصين في بيانهم حتى تظهر حجتهم، ويُنعم النظر في أقوال أهل اللسن والبيان منهم حتى يعلمَ مَغَبّتَهم[2]، فربما استظهر العِرِّيض المُبطل بفضل بيانه، على العاجز المُحِقّ

(١) في صبح الأعشى: ينتصر.

(٢) في صبح الأعشى: مصيبتهم.

لِعِيّ لسانه، وهنالك يجب أن يتبع التصفُّح على القولين، والاستبطال[1] للأمرين، ليؤمَن أن يزول الحق عن (٢٣٤ ب) سَنَنه، وَيَزْوَرّ الحُكْم عن طريقه، قال الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات، الآية ٦].

وأمره بأن لا يَرُدَّ للقُضاة حكماً بمضونه، ولا سِجِلاً يُنَفِّذونه، ولا يُعقِّب ذلك بفسخ، ولا يَطْرُق عليه بنقض[2]، بل يكون لهم موافقاً مؤازراً، ولأحكامهم عاضداً ناصراً، إذ كان الحق واحداً وإن اختلفت المذاهب إليه، فإذا وجد القضية قد سبقَتْ، والحكومة قد وَقَعت، فليس هناك شك يُوقَف عنده، ولا ريب يُحتاج إلى الكشف عنه، وإذا وجد الأمر مشتبهاً، والحقّ ملتبساً، والتغرُّرَ مستعملاً، والتغلب مستجازاً، نظر فيه نظر الناصر لحق المحقين، الداحض لباطل المبطلين، المُقوّي لأيدي المستضعفين، الآخذ على أيدي المعتدين، قال الله عز وجل ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النساء: الآية ١٣٥] .

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاورة القضاة والفقهاء، ومباحثة الرَّبَّانيِّين والعلماء، فإن اشتبه عليه أمر استرشدهم، وإن عزب عنه صواب استدلّ عليه بهم، فإنهم أزِمَّة الأحكام، وإليهم مرجع الحُكَّام، وإذا اقتدى بهم في المشكلات، وعمل بأقوالهم في المعضلات، أمِنَ من زلّة العاثر، وغلطة المُستَاثِر، وكان خليقاً بالأصالة في رأيه، والإصابة في أبحاثه، وقد أمر الله تقدّست أسماؤه بالمشاورة فعرف الناس فضلها، وأسلكهم سُبُلَها، بقوله لرسوله ﷺ وعلى آله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩] .

وأمره أن يكتب لمن تَوَجَّب له حق من الحقوق إلى صاحب الكُوفة بالشدّ على يده والتمكن له منه، (٢٣٥ أ) وقبض الأيدي عن منازعته، وحَسْم الأطماع في معارضته[3] إذ هو مندوب لتنفيذ أحكامه، ومأمور بإمضاء قضاياه، ومتى أخذ[4] أحدٌ من الخصوم إلى محَاربة[5] في حق قد حكم عليه به، أخذ على يده وكفه عن عُدوانه، وردّه إلى حكم الله الذي لا يُعْدَل عنه، قال الله عز وجل ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٩] .

---

(١) في صبح الأعشى: والاستظهار.
(٢) في صبح الأعشى: ولا يُطَرِّق عليه النقض.
(٣) في الأصل. وحتم الاطلاع في معاوضته.
(٤) في الأصل: أخر.
(٥) في صبح الأعشى: إلى مكاذبة.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عليك قد أرشدك وذكّرك، وهداك وبصّرك، فكن إليه منتهياً، وبه مقتدياً، واستعن بالله يُعِنْك، واستكْفِه يَكْفِك. وكتب الناصح أبو الطاهر في تاريخ كذا.

وهذه نسخة عهد(١)

بنقابة الطالبيين بمدينة السلام، وسائر الأعمال والأمصار، كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله للشريف أبي الحسن محمد بن الحُسين العلوي الموسوي، مضافاً إليها النظر في المساجد وعماراتها واستخلافه لوالده الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى على النظر في المظالم والحج بالناس [في سنة ثمانين وثلاثمائة] وهي:

هذا ما عهد عبدُ الله عبدُ الكريم، الإمام الطائع لله أمير المؤمنين، إلى محمد بن الحسين بن موسى العلوي، حين وصله به الأنساب، وقرنته لديه الأسباب، وظهرت دلالة عقله وأمانته(٢)، ووضحت مخايل فضله ونجابته، ومهّد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة ما مهد عند أمير المؤمنين من المحل المكين، ووصَفه به من الحلم الرزين، وأشار به(٣) من رفع المنزلة، وتقديم الرتبة، والتأهيل لولاية الأعمال، وتحمّل الأعباء والأثقال، وحيث رَغّبه فيه، سابقة الحُسين أبيه، في الخدمة والنصيحة، والمشايعة الصحيحة، والمواقف المحمودة، (٢٣٥ ب) والمقامات المشهودة، التي طابت بها أخباره، وحسنت فيها آثاره، وكان محمد متخلقاً بخلائقه، وذاهباً على طرائقه، علماً وديانة، وورعاً وصيانة، وعفة وأمانة، وشهامة وصرامة، وتفرُّداً بالحظ الجزيل من الفضل والأدب(٤) الجَزْل، والتوجُّه في الأهل، والإيفاء في المناقب على لِدَاته وأتْرابه، والإبرار على قُرَنائِه وأضرابه، فقلّده ما كان داخلاً في أعمال أبيه، من نقابة نقباء الطالبيِّين بمدينة السلام، وسائر الأعمال والأمصار، شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، واختصه بذلك جَذْباً بضَبْعه، وإنافة بقدره، وقضاء لحق رحمه، وترفيهاً لأبيه، وإسعافاً له بإيثاره فيه، إلى ما أمر أميرُ المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم، وتسيير الحَجيج في أوان المواسم، والله يُعَرِّف أمير المؤمنين الخِيرَة فيما أمر ودبَّر، وحُسْنَ العاقبة فيما قضى وأمضى، وما توفيق أمير المؤمنين إلاّ بالله عليه يتوكل وإليه ينيب.

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين، وسيما الصالحين، وعصمةُ عباد الله

---

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ٢٤٧.

(٢) في صبح الأعشى: ولبابته.

(٣) في الأصل: وأشار به فيه.

(٤) في صبح الأعشى: من الفضل الجميل والأدب الجزل.

أجمعين، وأن يعتقدها سراً وجهراً، ويعتمدها قولاً وفعلاً، فيأخذ بها ويعطي، ويَريش وَيَبْري، ويأتي ويذر، ويورد ويُصدر، فإنها السبب المتين، والمعقل الحصين، والزاد النافع يوم الحساب، وَالمسلك المفضِي إلى دار الثواب، وقد حض الله أولياءه عليها، وهداهم في محكم كتابه إليها، فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢] وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: الآية ١١٩].

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظباً، وتصفُّحه مداوماً ملازماً، والرجوع إلى أحكامه فيما أحلّ وحرّم، ونقض وأبرم، وأثابَ وعاقب، وباعد وقارب، فقد صحح الله برهانه [وحُجَّته]، وأوضح منهاجه وَمَحَجَّتَه، فجعله فجراً في الظلمات طالعاً، ونوراً في المشكلات ساطعاً، (٢٣٦ أ) فمن أخذ به سلم ونجا، ومن عدل عنه هلك وهوى، قال الله عز وجل ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت الآية ٤١، ٤٢].

وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات، وتتطلّع إليه النزوات، وأن يضبطها ضبط الحليم، ويكفُّها كفَّ الحكيم، ويجعل عقله سلطاناً عليها، وتمييزه آمراً ناهياً لها، فلا يجعل لها عذراً إلى صَبوة ولا هفوة، ولا يطلق منها عناناً عند ثورة ولا فورة، فإنها أمارة بالسوء، منصبَّة إلى الغيّ، فالحازم يتَّهمها عند تحرُّك وطره وأربه، واهتياج غيظه وغضبه، ولا يدع أن يَغُضَّها بالشكيم[1] ويعركها عرك الأديم، ويقودها إلى مصالحها بالخزائم[2] ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم، كيما يَعِزُّ بتهذيبها وتأديبها، ويجلُّ برياضتها وتقويمها، والمفرّط في أمره تطمح به إذا طمحت، ويجمح معها أنّى جمحت، ولا يلبث أن توردِه حيث لا صدر، وتُلجئه إلى أن يعتذر، وتقيمه مقام النادم الواجم، وتتنَكَّبُ به سبل الراشد المسالم.

وأحق من تحلّى بالمحاسن، وتصدّى لاكتساب المحامد، من ضرب بمثل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف، ومنصبه المُنيف، واجتمع معه في ذُؤابة العِتْرة الطاهرة، واستظلَّ بأوراق الدوحة الفاخرة، فذاك الذي تتضاعف له المآثر إن آثرها، والمناقب إن أَسَفَّ إليها، ولا سيما من كان مندوباً لسياسة غيره، ومُرَشحاً للتقليد على أهله، إذ ليس يفي بإصلاح من وُلّي عليه، من لا يفي بإصلاح ما بين جنبيه، وكان من أعظم الهُجْنة أن يأمر ولا يأتمر، ويَزجر ولا يَزدجر، قال الله عز وجل ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: الآية ٤٤].

---

(١) في الأمل كالسليم.

(٢) في الأصل «الشكائم» وقد اخترنا ما ورد في صبح الأعشى.

وأمره بتصفُّح أحوال من وُلّي عليهم، واستقراء مذاهبهم، والبحث عن طرائقهم[1] ودخائلهم، وأن يعرف لمن تقدمت قَدَمُه منهم، وتظاهر فضلُه (٢٣٦ ب) فيهم، مَنْزِلَتَه، ويُوفيه حقه ورتبته، وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي تُوجِبها أسبابهم[2] وأقدارهم، وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم، فإن ذلك يَلزمه لسببين: أحدهما يخصُّه وهو النسبُ بينه وبينهم، والآخر يعمُّه والمسلمين جميعاً، وهو قول الله جل ثناؤه ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: الآية ٢٣] فالمودة لهم، والإعظام لأكابرهم، والإقبال على أصاغرهم، متضاعف الوجوب عليه، ومتأكد اللزوم له، ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا، أو جُذْعان لم يقْرَحوا، مُجْرِين إلى ما يُزرى بأنسابهم، ويغضُّ من أحسابهم، عَذَلهم ونبَّههم، ونهاهم ووعظهم، فإن نزعوا وأقلعوا فذاك لمراد بهم، والمقصود إليه فيهم، وإن أصرّوا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يَكفُّ ويردع، فإن نفع وإلاَّ تجاوزه إلى ما يُوجع ويلذع، في غير تطرق لأعراضهم[3] ولا انتهاك لأحسابهم، فإن الغرض فيهم الصيانة لا الإهانة، والإدالة لا الإذالة، وإذا وجبت عليهم الحقوق، أو تعلقت بهم دواعي الخصوم، قادهم إلى الإغفاء بما يصح منها ويجب، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتبه ويلتبس، ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها، بعد أن تثبت الجرائم وتصحّ، وتبين وتتّضح، وتتجرد عن الشك والشبهة، وتتجلى من الظن والتهمة، فإن الذي يُستحب في حدود الله أن تُدْرَأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة، وأن تُمضي عليهم مع قيام الدليل والبيّنة، قال الله عز وجل ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٩].

وأمره بحياطة هذا النسب الأطهر، والشرف الأفخر، عن أن يدَّعيه الأدعياء، ويدخل فيه الدُّخلاء ومن انتمى إليه كاذباً، وانتحله باطلاً، ولم يُوجد له بيت في الشجرة، ولا مصداق عند النسَّابين المهرة، أوْقَع به من العقوبة ما يستحقه (٢٣٧ أ) ووسمه بما يُعلم به كذبه وفسقه، وشَهره شُهرةً ينكشف بها غِشّه ولَبْسُه، وينزع بها غيره من تُسَوِّل له مثلَ ذلك نفسُه، وأن يُحصِن الفروج عن مناكحة من ليس لها كُفُؤًا، ولا مشاركها في شرفها وفخرها، حتى لا يطمع في المرأة الحسيبة النسيبة إلاَّ من كان مِثْلاً لها مساوياً، ونظيراً مُوازياً، فقد قال الله [تعالى] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٣].

وأمره بمراعاة متبتّلي أهله ومتهجّديهم، وصُلحائهم ومُجاوريهم، وأراملهم

(١) في صبح الأعشى: عن بواطنهم.
(٢) في صبح الأعشى: أنسابهم.
(٣) في الأصل: تطرف لأصاغرهم.

وأصاغرهم، حتى يسُدَّ الخَلَّة من أحوالهم، ويُدِرَّ الموادَّ عليهم، وتتعادل أقساطهم فيما يصل إليه من وجوه أموالهم، وأن يزوّج الأيامى، ويربّي اليتامى، ويُلزمهم المكاتب ليتلقنوا القرآن، ويعرفوا فرائض [الإسلام و] الإيمان، ويتأدبوا بالآداب، اللائقة بذوي الأحساب، فإن شرف الأعراق، محتاج إلى شرف الأخلاق، ولا حمد لمن شَرُف نسبه، وسَخُف أدبُه، إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعي ولا طلب، ولا اجتهاد ولا دَأَب[1] بل بصُنع من الله عز وجل له، ومزيد في المِنّة عليه، وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطيّة، والاعتداد بما فيها من المزيّة، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب، والترفع عن الرذائل والمثالب.

وأمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم، والأخذ للمظلوم من الظالم، وأن يجلس للمترافِعين إليه جلوساً عامّاً، ويتأمّل ظلاماتهم تأمّلاً تامّاً، فما كان منها متعلقاً بالحاكم ردّه إليه، ليَحمل الخصومَ عليه، وما كان طريقه طريق الغَشْم والظُّلم، والتغلب والغصب، قبض عنه اليد المُبطلة، وأثبت فيه اليد المستحِقّة، وتَحرَّى في قضاياه أن تكون موافقة للعدل، ومجانبة للخذْل (٢٣٧ ب) فإن غايتَي الحاكم وصاحب المظالم واحدة، وهي إقامة الحق ونُصرته، وإبانته وإنارته، وإنما يختلف سبيلها في النظر، إذ الحاكم يعمل على ما ثبت وظهر، وصاحب المظالم يفحص عما غَمَض واستتر، وليس له مع ذلك أن يَرُدَّ لحاكم حكومة، ولا يُعِلّ له قضية، ولا يتعقب ما يُنفذه ويُمضيه، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه، والله يهديه ويُسدده، ويوفّقه ويرشده.

وأمره أن يُسيِّر حجيج [بيت] الله إلى مقصدهم، ويحميهم في بَدْأتهم وعودتهم، ويرتّبهم في مسيرهم ومسلكهم، ويرعاهم في آناء ليلهم ونهارهم، حتى لا تنالهم شدة، ولا تصل إليهم مضرّة وأن يرعاهم في المنازل[2] ويوردهم المناهل، ويناوب بينهم في النَّهل والعلل، ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء، مجتهداً في الصيانة لهم، ومُعذِراً في[3] الذبّ عنهم، ومتلوّماً على متأخّرهم ومتخلفهم، ومُنهِضاً لضعيفهم ومهيضهم، فإنهم حجاج بيت الله الحرام، وزوّار قبر الرسول عليه السلام، قد هجروا الأوطان، وفارقوا الأهل والإخوان، وتجشّموا المغارم الثقال، وتعسّفوا السهول والجبال، يُلَبُّون دعاء الله عزَّ اسمه، ويطيعون أمره، ويُؤَدُّون فرضه، ويرجون ثوابه، وحقيق على المسلم المؤمن أن يَحرسهم

(١) في الأصل: أرب.

(٢) في صبح الأعشى: وأن يريحهم في المنازل.

(٣) في الأصل: ومغدياً في الذب.

متبرّعاً، ويحوطهم متطوعاً، فكيف من تولّى ذلك وضَمِنه، وتقلّده واعتنقه، قال الله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: الآية ٩٧] .

وأمره أن يراعي أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها، وأقطارها وأكنافها، وأن يَجْبِيَ أموال وُقُوفها، ويستقصي جميع حقوقها، وأن يَلُمَّ شَعثَها، ويسدّ خَللها، بما يتحصل من هذه الوجوه قِبلَه، حتى لا يتعطّل رَسْمٌ جرى فيها، ولا تنقص عادةٌ كانت لها، وأن يُثبت اسم أمير المؤمنين على ما يعمُره منها، ويذكر اسمه بعده بأنَّ عُمْرانها جرى على يده، وصلاحها، (٢٣٨ أ) أدّاهُ قول أمير المؤمنين إلى فعله، فقد فسَّح له أمير المؤمنين بذلك تنويهاً باسمه وإشادة بذكره، وأن يولي [ذلك] من قِبَله مَن حَسُنَت أمانته، وظهرت عفته وصيانته، فقد قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: الآية ١٨] .

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال، في الأمصار الدانية والنائية، والبلاد القريبة والبعيدة، من يثق به من صلحاء الرجال، ذوي الوفاء والاستقلال، وأن يعهد إليهم مثل الذي عُهد إليه، ويعتمد عليهم في مثل ما اعتمد عليه، ويستقْرِي مع ذلك آثارهم، ويتعرّف أخبارهم، فمن وجده محموداً أقرَّه ولم يُزِله، ومن وجده مذموماً صرفه ولم يُمْهِله، واعتاض منه من تُرتجى الأمانة عنده، وتكون الثقة معهودة منه، وأن يختار لكتابته وحجبته والتصرّف فيما قرب منه وبعد عنه مَنْ يَزينه ولا يَشينه، وينصح له لا يغُشُّه، ويجمّله ولا يُهَجِّنه، من الطبقة المعروفة بالظَّلَف، المصونة عن النَّطَف(١)، ويجعل لهم من الأرزاق الكافية، والأجرة الوافية، ما يصدّهم عن المكاسب الذميمة، والمآكل الوخيمة، فليس تجب عليهم الحُجة إلاَّ مع إعطاء الحاجة، قال الله تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم: الآيات ٣٩ - ٤١] .

وأمره بأن يكتُب لمن يقوم ببيِّنته عنده، وتنكشف حجته له، إلى أصحاب المعاقل(٢) بالشدّ على يديه، وإيصال حقه إليه، وحسم الطمع الكاذب فيه، وقبض اليد الظالمة عنه، إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه، والوقوف عند رسمه وحدّه.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته لك وعليك، قد أنار فيه سبيلك، وأوضح دليلك، وهداك وأرشدك، وجعلك على بينة من أمرك، فاعمل به ولا تخالفه، وانته إليه ولا تتجاوزه، وإن عرض لك أمر يُعجزك الوفاء به، ويشتبه عليك وجهُ (٢٣٨ ب) الخروج منه،

---

(١) الظلف من معانيه الترفع عن الدنايا، والنطف: العيب.

(٢) في صبح الأعشى: المعاون. هذا والمعاون يراد بها السلطات كرجال الإدارة والشرطة.

أنهيته إلى أمير المؤمنين مبادراً، وكنت إلى ما أمرك به صائراً، إن شاء الله تعالى. مستهل رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة[1].

وهذه نسخة عهد بتقليد الصلاة بحاضرة بغداد. كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله لعلي بن أحمد بن الفضل الهاشمي في ربيع الأول سنة أربع وستين وثلاثمائة وهي:

هذا ما عهد عبدالله ووليه عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين لعلي بن أحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمي، حين قلده جميع ما كان يتقلده عبد الواحد بن الفضل من الصلاة بجانبي مدينة السلام، وما يتصل بها من الأعمال، بسقي[2] الفرات والنهروانات وسائر ما كان داخلاً في تقليده من النواحي والأمصار القريبة والبعيدة، وطريق خراسان، وقرر أمره[3] سكوناً إلى دينه وأمانته وثقة بنزاهته وصيانته، وصلة لرحمه ونسبه، ورجاءً لاستقلاله ووفائه، وتقريراً لاضطلاعه وغنائه، وأمير المؤمنين يسأل حسن تسْديده في ذلك في جميع آرائه التي يَرْتئيها، وعزائمه التي يُمضيها، وأن يقرنها بالصلاح، ويتولاها بالنجاح، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب.

أمره بتقوى الله في سره وجهره، والمراقبة له في قوله وفعله، وأن يجعل ذلك خُلُقاً له ودَيْدناً، ويتخذه منهاجاً وسبباً، ويتحلّى له بالسكينة والوقار، فإنهما شعار الأخيار الأبرار، الذين هم[4] حقيق بأن يُتقبَّل فعالهم، ويُحتذَى مثالُهم، بما أسهم الله فيه من النسب الشريف، وأهَّله من المفخر المُنِيف، الذي استحق به أمير المؤمنين ما فوّضَ إليه، واعتمد فيه عليه، فإن الله جل ذكره حَضَّ الناس على التقوى، ووعدهم عليها القُربة والزُّلفى، وإنها لَحَرِيَّةٌ بالمؤمنين، خليقة بعباد الله الصالحين، ولا سيما من رَقَى المنابر تمطّياً لها، وافترعها خطيباً عليها (٢٣٩ أ) وكان إلى الله داعياً، وعن عباده مناجياً، وإذا اطلع الله جل وعَزَّ منه على نقاء الصدر، وسلامة السرّ، واستقامة الدين، وصحة اليقين، قبل صلاته واستجاب دعاءه، وأنهضه بما اسْتُكْفِيه، وأعانه على أداء الأمانة فيه، وجمع بينه وبين من صلّى خلفه، وقفا أثره، في فائض رحمته، وسابغ مغفرته، وأحلّه محلة عباده الصدّيقين، وأوليائه الصالحين، والله تعالى يقول وقوله الحق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢] .

---

(١) في صبح الأعشى: «وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة» وفي الأصل: رمضان سنة ثمان وثلاثمائة.

(٢) في الأصل: بشقي، هذا وسقي الفرات كور ببغداد منها الأنبار وهيت. انظر معجم البلدان: الفرات.

(٣) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(٤) في الأصل: الذين هو.

وأمره أن يسعى إلى ذكر الله عند وجوب الصلاة، ويَدْخلها في حقائق الأوقات، ويقيمها على حدودها وشروطها، ويستوفيها على الواجب من مفروضها ومسنونها، مُرَتِّلاً لقرآنه، مترسِّلاً في تلاوته، جامعاً بين نيَّته ولفظه، محترساً من مطامح فكره ولحظه، متجنِّباً لجرائر غفلته وسهوه، متحرِّزاً من عوارض هُجْره ولَغوه، مستظهراً على نفسه في طهارة جوارحه، وتهذيب ما بين جوانحه، فإن أفضل التأهُّب للصلاة ما استوى باطنه وعاليه[1]، وتوازن غائبه وشاهده، وليس بالطاهر عند الله من أفاض الماءَ على أطرافه، وجعل النجاسة حشو شِغافه، ولكنه الجامع بين الأمرين، والفائز بكلتا الحُسنَيين، وأحق من قصد ذلك ونَحَاه، واعتمده وتوَخَّاه، من اتخذه المسلمون إماماً، وقدموه أماماً، وصار بينهم وبين الله وسيطاً، وعلى ما فوضوه إليه من الصلاة بهم أميناً، قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ [الجمعة: الآية ٩] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: الآية ١٠٣] وقال تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥].

وأمره أن يقيم الدعوة على منابر حضرة أمير المؤمنين له خاصة، وأن يقيمها على منابر باقي الأعمال النازحة (٢٣٩ ب) عن مقرّه له، ثم لحامل الأعباءِ عنه، والوسيط بين جماعة الأولياء، وبين عز الدولة أبي المنصور أحمد بن معزّ الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين، ولولاة الأعمال بعده، الذين يدعى لهم على منابر ما يتقلدونه منها، على العادة الجارية فيها، وإن هذه الدعوة لازمة، والسنة فيها مؤكدة، وهي فرع مطَّرد على أصل الطاعة الواجبة على المسلمين جميعاً، إذ يقول جلّ اسمه لهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: الآية ٥٩].

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحُجَّته عليك، فاعمل به منتهياً إلى حدوده، ومتبعاً لرسومه، ومتأدباً بآدابه، وسالكاً على منهاجه، واستعِنْ بالله يُعِنْك ويُسَدِّدْك، واستهده يَهْدِك ويُرْشدك، إن شاءَ الله تعالى.

وهذه نسخة عهد بنظر الأوقاف بحاضرة بغداد وسوادها

كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائع لحسين بن موسى العلويّ[2].

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين، إلى الحسين بن موسى العلويّ، حين طابت منه العناصر، ووصلته بأمير المؤمنين الأواصر، جمع إلى شرف

---

(١) الكلمة أيضاً محتملة: وغالبه. ولعلها أيضاً محرفة عن كلمة تتفق مع السجع بعدها.

(٢) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٥٩.

الأعراق الذي ورثه، شرّفَ الخُلُق الذي اكتسبه، ووضحت آثار دينه وأمانته، وبانت أدلة فضله وكفايته، في جميع ما أسنده أمير المؤمنين إليه من الأعمال، وحمّله إياه من الأثقال، فأضاف إلى ما كان ولاّه من النظر في الوقوف التي كانت يدُ فلان فيها الوقوفَ بالحضرة وسوادها، ثقةً بسداده، وسكوناً إلى رشاده، وعِلْماً بأنه يعرف حقّ الصنيعة، ويرعى ما يُسْتَحْفَظُه من (٢٤٠ أ) الوديعة، ويجري في المنهل الذي أحمدَه أمير المؤمنين منه في كل ما فُوِّض ووُكل إليه، والله يُمِدّ أمير المؤمنين بصواب الرأي فيما نحاه وتوخّاه، ويؤمّنه من عاقبة الندم فيما قضاه وأمضاه، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب.

أمره بتقوى الله التي هي عماد الدين، وشعار المؤمنين، وأن يعتقدها في سره ونجواه، ويجعلها الذخيرة لأولاه وأخراه، ويتجنب المواقع المُوبِيَة[1] ويتوقّى الموارد المردية، ويغض طرفه عن المطامح[2] المُغوية، ويذهب بنفسه عن المطارح المُخزية، فإنه أحق من فعل ذاك وآثره، وأولى من اعتمده واستشعره، بنسبه الشريف، ومفخره المنيف، وعادته المشهورة، وشاكلته المأثورة، وتلاوة كتاب الله الذي هو والعِتْرَةُ[3] الثقلان المخلَّفاه في الأمة، وقد جمعته وأحدهما الأنساب، وجمعنا[4] والثاني عصمة أولى الألباب، وتوجهت حجّةُ الله عليه بما يرجع من هذه الفضائل إليه، وأنه غُصن من دوحة أمير المؤمنين، التي تحدّاها الله بالإنذار قبل الخلائق أجمعين، إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٤] وقد حضّ تبارك وتعالى على التقوى، ووعد عباده عليها الزلفى، فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: الآية ١١٩].

وأمره بالاشتمال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف، مستنفداً طَوْقه في عمارتها، مستفرغاً وُسْعه في مصلحتها، دائباً في استغلالها وتثميرها، مجتهداً في تدبيرها وتوفيرها، وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذي يُخرج منه للنفقة على حفظ أصله، واستدرار حَلَبه، والمُؤْنة الراتبة للقوّام عليه، والحفظة له، إلى أربابه الذي يعود ذلك عليهم في وجوهها التي سُبِّل لها، ووُقف عليها، واضعاً جميع ذلك مواضعه، مُوقِعاً له (٢٤٠ ب) مواقعه، خارجاً إلى الله من الحق فيه، مؤدّياً الأمانة إليه، وأن يشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم، ويكتب البراءات عليهم بما يستوفونه من أموالهم، ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينفقه من أموال هذه الوقوف على مصالحه، ويصرفه منها إلى أهلها، ويخرجه منها في حقوقها وأبواب بِرِّها، وسائر سبلها ووجوهها، سالكاً في

(١) في صبح الأعشى: المونية.
(٢) في صبح الأعشى: المطامع.
(٣) في صبح الأعشى: وعترة رسول الله.
(٤) في صبح الأعشى: وقد جمعته وآخرهما الأنساب وجمعته.

ذلك مذهبه المعروف في أداء الأمانة واستعمال الظَّلف والنزاهة، مُعَقِباً على من كان ناظراً فيها من الخونة الذين لم يَرْعَوا عهداً ولم يحفظوا حقاً، ولم يَتَصَوَّنوا عن سُحْتِ[1] المطاعم، وظلم المآثم.

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد، مشهور بالرشاد، معلوم منه نصيحة الأصحاب، والضبط للحساب، وتفويض ديوان الوقوف وتدبيره إليه، وتوصِيته بصيانة ما يشتمل، عليه من أصول الأعمال وفروعها، وقليل الحُجج وكثيرها، وأن يحتاط لأربابها في حفظ رسومها ومعاملاتها، وحراسة طُسُوقها ومُقاسماتها، حتى لا يستمرّ عليها حَيْفٌ يَبْقَى أثرُه، ولا يتغير فيها رسم يُخاف ضررُه، وأن يُنصف الأكَرة فيها والمزارعين، وسائر المخالِطين والمعامِلين، ولا يجشِّمهم حَيْفا، ولا يسومهم خَسْفاً، ولا يُغضى لهم عن حق، ولا يسمح لهم بواجب، خلا ما عَادَةُ السماحةِ به بزيادة عماراتهم، وتآلف نيّاتهم، واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم، فإنه مؤتمن في ذلك كله أمانة عليه، وأن[2] يؤديها ويخرج من الحق فيها.

وأمره باختيار خازن خصيف، قَؤُوم أمين، يخزُن حُجج هذه الوقوف وسجِلاَّتها، وسائر دفاترها وحُسْباناتها، فإنها ودائع أربابها عنده، وواجب أن يحتاط عليها جهده، فمتى شكّ في شرط من الشروط، أوْ حَدٌّ من الحدود، أو عارَضَ مُعارِض، أو شاغب مشاغب، في أيام نَظرِه وأيام مَنْ عسى أن تنتقل (٢٤١ أ) ولاية هذه الوقوف إليه، وبناط تدبيرها به، دَفَع ما يحدث من ذلك بهذه الحجج التي هي معادن[3] البرهان، وقواعد البنيان، وإليها المرجع في كل بَيِّنة تُبصر[4] وتقام، وشبهة تُدْحض وتُضام.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، ووثيقته الحاصلة في يديك، فاتَّبع آثار أوامره، وازدجر عن نواهيه وزواجره، واستمسك به تنجُ وتسلَمْ، واعمل به تَفُزْ وتغنم، واسترشد الله يرشدك، واستهده يهدك، واستعن به ينصرك، وفوِّض إليه يَعْصِمْك، إن شاء الله تعالى.

الأسلوب الثاني

أن يفتتح ما يكتب بلفظ أما بعد. ثم الذي كان في الزمن القديم أن يكتب: أما بعد فإن كذا. ويؤتي على مقصد الولاية إلى آخره، ثم انتهى الحال في الدولة العباسية بالعراق إلى أن يقال: أما بعد فالحمد لله، ويؤتى بخطبة مناسبة للحال، ثم يؤتى على مقصد الولاية.

---

(١) في الأصل ولم يتصودوا عن سخب.

(٢) في صبح الأعشى أمانة، وعليه أن يؤديها.

(٣) في صبح الأعشى: معارف البرهان.

(٤) في صبح الأعشى: تنصر.

والأصل في ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولّى أبا موسى الأشعري القضاء كتب له كتاباً افتتحه بأما بعد.

وهذه نسخته على ما أَورده صاحب «العقد»(١)

أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة، وسُنة متَّبعة، فافْهم إذَا أُدْلِيَ إليك، وأنْفُذْ إذا تبيَّن لك، فإنه لا ينفع تكلُّم بحقٍّ لا نفاذ له.

آسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عونك، البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلحُ جائز بين المسلمين، إلاَّ صلحاً أحلَّ حراماً أو حرم حلالاً، لا يمنَعْكَ قضاء قضيتَه بالأمس فراجعت فيه اليومَ عقلَك (٢٤١ ب) وهُدِيتَ فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

الفهمَ الفهمَ فيما تلجلج في صدرك، مما ليس في كتاب ولا سُنَّة، ثم اعرف الأشباه والأمثال، وقِسِ الأمور عند ذلك بنظائرها، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً يَنتهي إليه، فإن أحضَر بيِّنة أخذت له بحقه، وإلا استحللت القضية عليه، فإنه أنفى للشك، وأجلى للعمى.

المسلمون عُدول بعضهم على بعض، إلا مجلوداً حَدًّا أو مُجرَّباً عليه شهادة زور، ظَنِيناً في ولاءٍ أو نسب، فإن الله يتولى السرائر، ويدرأُ بالبينات والأيمان.

إياك والقلقَ والضجر والتأذِّي بالخصوم، والتنكُّرَ عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يُعظم اللهُ به الأجر، ويحسن عليه الذُخر والجزاء، فمن صحّت نيّته، وأقبل على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه(٢) الله، فما ظنُّك بثواب الله(٣) في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام.

قلت: ووقع في بعض المصنفات ابتداء هذا العهد بقوله.

من عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس، سلام عليك، أما بعد. وهو الذي استند إليه من كتب في بعض المذاهب السابقة في عهود الملوك عن الخلفاءِ: من عبدالله فلانٍ إلى فلانٍ، ووقع في «مسند» البزّار أن أوله: اعلم أنَّ القضاء فريضة محكمة.

مع تغيير بعض الألفاظ وتقديم بعض وتأخير بعض.

---

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٩٣ والعقد الفريد جـ ١٠ ص ٣٣.

(٢) في الأصل «حابه» والتصويب من صبح الأعشى.

(٣) في الأصل: في ثواب الله.

وعلى الافتتاح بأما بعد: كتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية لبعض أمراء السرايا.

أما بعد فإن أمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجلِف الجافي الأعرابي المُتَكَسِّع[1] في حيرة الجهالة، وظلم الفتنة، ومهاوي الهلكة، ورَعَاعِه الذين عاثوا (٢٤٢ أ) في الأرض فساداً، وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافاً، وبدلوا نعمة الله كفراً، واستحلوا[2] سِلْمه جهلاً، أحب أن يعهد إليك.

إلى آخر ما أتى به منه، وهو عهد طويل جداً، ضربت عن ذكره لإطالته، وقد ذكرته بجملته في كتابي «صبح الأعشى في كتابة الإنشا»[3]. وعلى ذلك كانت عهود الوزراء من خلفاء بني العباس في العراق.

وهذه نسخة عهد بالوزارة[4]

كتب به الإمام المسترشد بالله لبعض وزرائه وهي:

أما بعد، فالحمد لله المنفرد بكبريائه، المتفضل على أوليائه، مجزل النعماء، وكاشف الغَمَّاء، ومسبغ العطاء، ومُسبل الغِطاء، ومُسني الحباء، ومُسدي الآلاء، الذي لا تَؤوده الأعباء، ولا تَكيده الأعداء، ولا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به الأفهام، ولا تُدركه الأبصار، ولا تتخيّله الأفكار، ولا تهزمه الأعوام بتواليها، ولا تُعجزه الخُطوب إذا ادلهمّت لياليها، عالم هواجس الفِكَر، وخالق كل شيء بِقَدر، مُصرّف الأقدار على مَشيئته ومُجريها، ومانح مواهبه من أضحى بيد الشكر يَمْتريها، حمداً يَصُوب حَيَاه، ويَعذب جَناه، وتتهلل أسرَّة الإخلاص من مطاويه، ويستدعي المَزيد من آلائه ويَقتضيه.

والحمد لله الذي استخلص محمداً ﷺ من زَكِيّ الأصلاب، وانتخبه من أشرف الأنساب، وبعثه إلى الخليقة رسولاً، وجعله إلى منهج النجاة دليلاً، وقد بَدَأَ الشرك بَوارَ الذُّلّ وقضاه[5]، وشهر عَضْب العزّ وانتضاه، والأمم عن طاعة الرحمن عازفة، وعلى عبادة الأوثان عاكفة، فلم يزل بأمر ربه صادعاً، وعن التمسك بعُرا الضلال الواهية وازعاً، وإلى ركوب محجَّة الهدي داعياً، وعلى قدم الاجتهاد في إبادة[6] الغَواية (٢٤٢ ب) ساعياً، حتى

---

(١) تكسع في ضلاله: ذهب، مثل تسكع.

(٢) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٩٥ أضيفت: «واستحلوا [دماء أهل] سلمه «وذلك نقلاً عن كتاب مفتاح الأفكار ص ٢٣٠.

(٣) انظر صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٩٥.

(٤) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٣٧.

(٥) الجملة في صبح الأعشى خالية من النقط غير واضحة.

(٦) في الأصل: إنارة الغواية.

أصبح نور الحق منيراً مشرقاً، وعُوده بعد الذبول أخضر مُورقاً، ومضى الباطل مولياً أدبارَه، ومستصحباً تَتْبيره وبَوَارَه، وقضى ﷺ بعد أن مَهَّدَ من الإيمان قواعده، وأحكم أَسَاسَه ووطائده، وأوضح سبل الفوز لمن اقتفاها، ولحَبَ طريقها بعد ما دثرت صُوَاهَا، فصلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وصحبه الأكرمين، صلاة مُتصِلاً سَحُّ غمامِها، مسفراً صُبح دوامِها.

والحمد لله على أن صار لأمير المؤمنين من أدب[1] النبوة ما هو أجدر بحيازة فَخْره، وأولى بفيض غَدْرِه[2]، ووطّأ له من الخلافة المعظمة مِهاداً أَحْفزته نحوه حَوافز ارتياحه، وجذبته إليه أزمة راعه واكتباحه[3] إلى أن أدرك من ذلك مُناه، وألقى الاستقرارُ الذي لا يَرِيمُ عصاه، وعضّد دولته بالتأييد من سائر أنحائه ومراميه، وأغراضه ومغازيه، حتى فاقت الدول المتقادمة إشراقاً، وأعطتها الحوادث من التغير عهداً وفيًّا وميثاقاً، وأصبحت أيامه أدامها الله حالية بالعدل أجيادُها، جائلة[4] في ميادين النضارة جِيادُها، وراح الظلم دارسةً أطلالُه، مقلَّصاً سرباله، قد أنجمَ سحابُه، وزُمَّت للرحلة رِكابُه، فيما يستمر منها أمرٌ إلا كان صُنْعُ الله سبحانه مُؤيِّده، والتوفيق مصاحبه أَنَّى يَمَّمَ ومُسَدِّدَه، وهو يَسْتَوْزِعه جلَت عظمته[5] شكر هذه النعمة، ويستزيده بالتحدث به من آلائه الجَمَّة، ويستمدّ منه المعونة في كل أرب قصده وأمَّه، وشحذ لانتحائه عزْمه، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب.

ولما كانت الوزارة قُطْب الأُمور الذي عليه مدارُها، وإليه إيرادها وعنه إصدارها، وخلا منصبُها ممن كان[6] يكون لها أهلاً، وينظم من جماله لها شملاً[7] أجال أميرُ المؤمنين فيمن يختار لذلك فكره، وأنعم لأهل الاصطفاء لهذه (٢٤٣ أ) المنزلة نظره، حتى صرّح مَحْضُ رأيه عن زُبدة اختيارك، وهداهُ صائب تدبيره إلى اقتراحك وإيثارك، فألقى إليك المقاليد، وعوَّل في دولته القاهرة على تدبيرك السديد، وناط بك من أمر الوزارة ما لم يُلْفِ له سواك مستحِقاً، ولا لمتَسنِّم استيجابه مُتَرَقِّي[8]، عِلْماً بما تبديه كفايتُك المشهورة، وإيالتُك المخبورة، من تقويم ما أعجز مِياده، وصلاح ما استشرى فسادُه، واستقامة كلّ حال وَهي عِمَادُها، وأَصْلَدَ[9] على كثرة الاقتداح زِنادُها، وتثبيتاً لما تبتسم

---

(١) في صبح الأعشى: أن حاز لأمير المؤمنين من إرث النبوة.

(٢) في صبح الأعشى: بحيازة مجده وأولى بفيض عده.

(٣) في صبح الأعشى: والتياحه.

(٤) في صبح الأعشى: جالية.

(٥) في صبح الأعشى: من كان يكون.

(٦) في الأصل: عصمته.

(٧) في صبح الأعشى: من شماله شملاً.

(٨) في صبح الأعشى: ولا لنسيم استيجابه مسترقاً.

(٩) في صبح الأعشى: وأصلت.

عنه الأيام من آثار نظرك المُعربة عن احتوائك على دلائل الجزالة، واستيلائك على مخايل الأصالة، اللذين تُنال بهما غايات المعالي، وتُفرَع الذُّرَا والأعالي.

ثم إن أمير المؤمنين بمقتضى هذه الدعاوى اللازمة، وحُرُمات جَدُّك وأبيك السالفة المتقادمة، التي استحصَدتْ في الدار العزيزة قُوَى أمْرَاسها، وأدنَتْ[1] منك الآن ثمرة غراسها، رأى أن يُشَيِّد هذه العارفة التي تأرَّج لديك نسيمها، وبدتْ على أعناق نحرك رُسُومُهَا، وجادتْ رِباعَك شآبيبُها، وضَفَتْ عليك جلابيبُها، بما يزيد أزرَك اشتداداً، وباع أمَلِك طولاً وامتداداً، فأدناك من شريف حضرته مناجياً، ومنحك من مزايا الأيَّام ما يكسبك ذِكْراً في الأعقاب سارياً، وعلى الأحقاب باقياً، وأفاض عليك من الملابس الفاخرة ما حزت به أوصاف الجمال، وجمع لك أباديد الآمال، وقلّدك من الفخر ما يدوم على مَرِّ الزمان وَيَبْقَى[2]، وأمطاك صهوة سابح يَشأى الرِّياح سَبْقاً، ووسمك بكذا وكذا - في ضمن التأهيل للتكنية - إبانةً عن جميل معتقده فيك، ورعاية لوسائلك المُحكَمةِ المَرائر وأواخيك.

وأمرك بتقوى الله التي هي أحصن المعاقل، وأعذب المناهل، وأنفع الذخائر، يوم (٢٤٣ ب) تُبْلَى السرائر، وأن تستشعرها فيما تبديه وتُخفيه، وتذره وتأتيه، فإنها أفضل الأعمال وأوجبُهَا [وأوضح المسالك إلى الفوز برضا الله وألحبُها]، وأجلبُ الأشياءِ للسعادة الباقية، وأجناها لقطوف الخيرات[3] الدانية، عالماً بما في ذلك من نفع تتكامل أقسامه، وتتفتح عن نَوْر الصَّلاح الجامِعِ أكمامه[4].

قال الله جلّت آلاؤه، وتقدَّست أسماؤه ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣] وقال تعالى حاضًّا على تقواه، ومُخبراً عمّا خصَّ به مُتَّقيه وحَبَاه، وكفى بذلك رائداً[5] إليها، وباعثاً عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: الآية ٤] .

وأمرك أن تتوخى المقاصد السليمة وتأتِيَها، وتتوقَّى[6] الموارد الوخيمة وتَجْتَوِيَها، وأن تَشْفَعَ[7] بالحزم أفعالك، وتجعل كتاب الله تعالى إمامك الذي تهتدي به ومِثَالَك، وأن

---

(١) في الأصل: أنراسها وأذنت.
(٢) هذه الجملة في صبح الأعشى مقتضبة مضطربة.
(٣) في صبح الأعشى: لقطوف الجنان الدانية.
(٤) في الأصل: الجامعة كمامه.
(٥) في صبح الأعشى: داعياً إليها.
(٦) في صبح الأعشى: وتتوخم.
(٧) في صبح الأعشى: وأن تتبع.

تكُفَّ من نفسك عند جِماحها وإبائِها، وتَصُدَّها عن متابعة أهوائِها، وتَثْنِي عنداخْتِدَام سَوْرة الغضب عِنانَها، وتُشعرها من حميد الخلائق ما يوافق إسرارُها فيه إعلانَها، فإنها لم تزل إلى منزلة السُّوءِ المُرْدية داعية، وعن سلوك مناهج الخير المُنْجِية ناهية، قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: الآية ٥٣] .

وأمرك أن تُنجز[1] للخدمة بين يديك من بَلَوْت أخباره، واستشْفَفْتَ أسراره، فعلمته جامعاً أدوات الكِفاية، مَوْسوماً بالأمانة والدِّراية، وعركَتْه رَحَا التجارِب عَرْكَ الثِّفَال، وحلب الدهرَ أشطره على تصاريف الأحوال، ليكون أمر ما تولاّه على منهج الاستقامة جارياً، وعن ملابس الخلل والارتياب عارياً، فلا يَضَع في مزلقةٍ قَدَماً، ولا يأتي ما يقرع سِنَّهُ لأجله نَدَماً، وأن تمنح رعايا أمير المؤمنين من بِشْرِكَ ما يعقل شوارد الأهواء، ويَلْوِي إليه بأعناق نوافرها اللاتي اعتصمن بالجماح والإباء، مازجاً ذلك بشِدَّةٍ (٢٤٤ أ) تستولي حُمَيَّا رهبتِها على القلوب، وتفُلُّ مرهفات بأسها صَرْفَ الخطوب، من غير إفراط في إستدامة ذلك يضيق بها على الطالب وَسِيعُ مَذْهَبِهِ، ويغريها اتصالُه باستشعار وَغر الخَطَإِ واستيطاء مَرْكبِه.

وأمرك أن تُعذب موارد الإحسان لمن أحْمدتَ بلاءه، وتحققت غَناءه، واستحسنت أثره، وارتضيت عِيَانَه وخبره، وتُسدل أسمال الهوان على من بَلَوْت فعله ذميماً، وألفيته بِعِراص الإساءة مُقيماً، وإلى رِباعها الموحشة مستأنساً مستديماً، كَيْلاً لكل امرئٍ بصاعه، واتّباعاً لما أمر الله تعالى باتِّباعه، وتجنُّباً للإهمالِ الجاعلِ المُحسِنَ والمُسِيءَ سَوَاءً، والمعيدِهِما في موقف الجزاء أكفاء، فإن في ذلك تزهيداً لذوي الحُسنى في الإحسان، وتتابعاً لأهل الإساءة في العدوان، ولولا ما فرضه الله تعالى على المؤمنين من إيجاب الحُجَّة، والفَكَاك من رِبقة الاجتهاد ببلاغ المعذرة، لثنَى عِنان الإطالة مقتصراً، واكتفى ببعض القول مُختصراً، ثقة بامتناع سدادك وَنُهَاك، أن رآك صواب الفعل حيث نَهاك، واستنامة إلى ما خوَّلك الله من الرأي الثاقب، المطَّلع من خصائص البديهة على مُحتَجِب العواقب.

فارتَبِطْ يا فلان هذه النُّعمى التي جادت دِيَمُها مغانِيَكَ، وحقَّقت الأيامُ بمكانها أمانِيَّكَ، بشكر ينطِقُ به لسان الاعتراف، فيؤَمِّن وَحْشِيَّ النِّعم من النِّفار والانحراف، واسْلُكْ في جمال السيرة والاقتداء بهذه الأوامر المتينة[2] المذكورة جَدَداً يُغْرِي بحمدك الألسنة، ويعرب عن كونك من الَّذِين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه، والله يُصدِّق مَخِيلَةَ

---

(١) في صبح الأعشى: تتخير.

(٢) في صبح الأعشى: المبينة.

أمير المؤمنين فيك، ويُوزِعك شُكْرَ ما أولاك ويُوليك، ويجعل الصواب غرضاً لِنِبال عزائمه، ويَذود عن دولته القاهرة كتائبَ الخطوب بصوارم السَّعْد ولهاذِمِه، ويصل أيامه الزاهرةَ بالخلود، ويبسط على أقاصي الأرض ظِلَّه الممدود، ما (٢٤٤ ب) استهلَّ جَفْنُ الغيث المِدرار، وابتسمت ثغور النُّوَّار، إن شاء الله تعالى.

الأسلوب الثالث

أن يفتتح ما يكتب بخطبة مبتدأة بالحمد لله، وهو أسلوب نادر الوقوع فيما كُتب به عن الخلفاء، لم يُعرف منه إلا ما تقدم ذكره من عهد الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بمملكة الديار المصرية، على ما تقدم في عهود الخلفاء للملوك في الفصل الأول من هذا الباب، إلاَّ أنه كان قد استقرَّ عليه اصطلاح الفاطميين بالديار المصرية.

وعليه أورد علي بنُ خلف مثل ما يُكتب عنهم في الولايات، وتبعهم ملوك الديار المصرية من بني أيوب، فَمَن بعدهم على ذلك، على ما هو معروف في ذلك.

ولما استقلَّ الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس بالخلافة والسلطنة جميعاً، عند القبض على الناصر فرج، كتب عنه كما كان يكتَب عن الملوك قبله، لم يختلف الحال في ذلك إلاَّ[1] في الألقاب السلطانية، فكان يقال: فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولويّ الإماميّ النبويّ المستعينيّ، ثم بطل ذلك بانتقال السلطنة عنه، ورجع الأمر في ما يكتب إلى السلطان إلاَّ في الأمور الخاصة بالخلافة.

وهذه نسخة تفويض شريف

كتب به عن الإمام المعتضد بالله خليفة العصر الموضوع له هذا الكتاب، بتفويض نظر الجامع الجديد بمصر للمقرّ الناصريّ محمد بن البارزي كاتب السر الشريف بالممالك الإسلامية، من إنشاءِ الشيخ الإمام علاَّمة الدهر تَقيّ الدين بن حجَّة. وهي:

الحمد لله الذي جعل التفويض العباسي متصلاً بمحمد، ونفَّذ (٢٤٥ أ) أحكام الخلافة الدَّاوُودية قديماً وحديثاً إلى أن تسلسل حديثها المُسند، وعضَّد الإسلام والمسلمين بمعتضدٍ ما قام في نُصرة بيتِهِ إلاَّ من هو مُؤيَّد، نحمده على أن أتحفنا من هذا البيت بكل أمين على الأمة ورشيد، ونشكره على أن أقام له بعد أبي مسلم أبا النَّصر فأمسى وهو بأركان الشَّرف مَشِيد.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تجمع بين حسن النظر والشهادة،

---

(١) في الأصل: لا في الألقاب.

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هو جامعُ شَمْل هذه الأمة وقبلتها وسراجها المنير للعبادة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسَّكوا بطيب أثره، وتبصَّروا بحسن نظره، صلاةً تُعْلي منارَ الشهادتين في جوامع الكلم بَرَكَتُها، وتعلو في جوامع الأمصار بمحمَّد كَلِمَتُها، ما سجع على أفنانِ المنابر ساجع وغرَّد، وأعلن تحت العلمين[1] العباسية بقرب المعتضد من مُحمد، وسلّم تسليماً.

وبعد، فإن سَجايا الكرم في آل بيت النبيّ ما برحت لعقود المنائح خُلاصَة، وكيف لا وهو الذي أنزل بأكنافه ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: الآية ٩] لا سيما بنو العباس فإن شجرتهم التي أصلها ثابت وفرعها في السماءِ نعم الخَلَف، وما منهم إلاَّ واثق بالله ومتوكل على الله ومعتضد به وهذا غاية الشَّرف، فمن أخذ عنهم حديثاً في أمر بيت من بيوت الله فقد ظفر بحُسْنِ نظرٍ وفضْلٍ جامع، فإن البيت والحديث لهم بغير منازع، فلا مَعْبَدٌ إلاَّ وله الطَّرَب عند جَسِّ عيدان المنابر بأوصافهم المشهورة، ولا خائف من عصاة الأمة إلاَّ دَاسَ بساط الطاعة في جوامعهم ودخل تحت أعلامهم المنشورة، فمن قصد القُرْب إليه فقد فاز بأعظم قُرْبة، لا سيما إن نَهَل من سقايتهم نَهْلَةً فإنه لم يجد بعدها في المناهل منهلاً مستعذباً للمحبَّة، وكان الجناب الكريم العالي (٢٤٥ ب) القاضويّ الكبيريّ السفيريّ الناصريّ محمد بن البارزيّ الجهميّ الشافعيّ صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الشريفة المحروسة الإسلامية - ضاعف الله تعالى نعمته - هو الركن السامي في قواعد بيتنا الشريف، والمنتصب لرفع علمه العباسي حتى تَفَيَّأَ كلُّ قائل بظلّه الوَريف، والملاحَظ بعين سِرّه الذي هو في نسبنا أبدع من بديع النسيب، والسرّ المحمديّ ما برح لبني العباس فيه حظٌّ ونصيب، والمساعد بعد عمارة بيتنا في عمارة بيت الله الذي صار بحُسنِ نظره قريرَ العَيْنَ، ولقد أبدع في إنشاءِ نظمها حتى تحقَّق الناس أنه أعظم من إنشاء نَظْمِ البَيْتَين.

فلذلك رسم بالأمر الشريف العاليّ المولويّ الإماميّ المعتضديّ، لازالت تفاويضه الشريفة العباسية محروسة بالأسرار المحمدية، أن يُفَوَّض إلى المشار إليه نظرُ الجامع الجديد بمصر المحروسة ووَقْفِه المنسوبِ إلى السلطان الشهيد الملك الناصر بَقَّى الله تعالى عهده، عِلْماً أنه إن شَمِل نظره الجامعَ المصريَّ فقد مدَّ الله هذا النظرَ في سائر الأمصار، ويعلم أنه يصير بحسن مهاجره لمُوقفه الناصريِّ من أعظم الأنصارِ، ويحق لهذا الجامع أن يقول: ما برحتُ بمصر متمسكاً من محمد بالآثار، ولقد هام البيتُ العتيق إلى رُؤيَةِ هذا البيتِ الجديد الذي هو بالمدينة الآهلة بالجناب المحمديِّ ودارِ الخلافة، وَوَدَّ الأقصى أن

---

(١) هكذا في الأصل.

يكون الأدنى إليه ليطالع تفسيره الذي يجعل من البحر اغترافه، وتمنى الأمويّ أن يطير بأجنحة النَّسْرِ لِيُزوِّجه بعروسه العالية المنار، واستصغر تنكزُ نفسَه عن مقابلة الناصر وأحكم الحاكم وقصَّر طولون عن السبق في هذا المضمار، وقال الأزهر: هذا بنور النظر المحمدي أزهر، وقال الأقمر هذا بالطلعة البارِزِيَّة أقمر، فَلْيتَلَقَّ حديث هذا التفويض عن (٢٤٦ أ) أبي الفتح عن أبي النصر ويَتبَرَّك بسنده العالي، ويُمْلِي ما أخذه من شواهد المحبة عن المعتضد عن المؤيَّد لا عن القالي، وليُباشِرْ ذلك على ما عهد من أدواته التي ما نُسبت إلى غير الكمال، فإن الخَلَل لم ينظر إليه بعينه من خِلال، والوصايا كثيرة ولكنه بحمد الله أبو عُذْرتها، وابنُ بجْدتها وجُهَيْنَة أخبارها، وكاتب أسرارها، والله تعالى يمدُّ فروعَ أُصوله حتى تستظل الأمة بظل هذه الشجرة، ويفتح له أبواب الخير بأبي الفتح فإن أبواب العلم لديه مُحَرَّرة، ويديم على بيوت الله بالممالك الإسلامية نظره، والاعتمادُ على الخطّ الشريف أعلاه، حجّة بمقتضاه، إن شاءَ الله تعالى.

الأُسلوب الرابع

أن يفتتح ما يكتب بلفظ: أحق، أو: أولى، أو نحو ذلك، وبذلك كان يُكتب في تواقيع صغار الولايات.

وهذه نسخة[1] توقيع من ذلك

كتب به عن الإمام الناصر لدين الله للقاضي محيي الدين ابن فَضْلان بتدريس المدرسة النظامية ببغداد، في سنة أربعَ عشرَة وستمائة وهي:

أحق من أُفيضت عليه مَجَاسِدُ النِّعم، وجُذِب بِضَبْعِه إلى مقام التنويه وتقدُّم القَدَم، من أسفر في أَقْضِية الفضائل صباحُه، وانتشر في العالم علمه وأزهر مِصْباحُه.

ولما كان الأجلُّ الأوحد العالم، محيي الدين، حُجَّة الإسلام، رئيس الأصحاب، مفتي الفريقين، مُفيد العلوم، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فَضْلان أدام الله رفعته، ممن نَظَم فرائدَ المحامدِ عِقْدُهُ النَّضِيد، وأوى من العلم والعمل إلى ركن شديد، وثبّتْ قدمُه من الديانة على مُسْتَثْبَتٍ راسخ وقرار مَهِيد، رُئّي (٢٤٦ ب) التعويل في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية إليه، ثقة باضطلاعه واستقلاله، وتبريزه في حَلَبات الاستباق على نظرائه وأمثاله، وأسند إليه أدام الله رفعته النظرَ في أوقاف المدرسة المذكورة بأجمعها، واعتماد ما شرطه الواقفُ في مصارفها وسُبلها، سُكوناً إلى كفايته، وركوناً إلى سداده وأمانته.

---

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩٢.

ورسم له تقديم تقوى الله تعالى التي ما زال مُنتهجاً لطرائقها، مستمسكاً بعِصَمِها ووثائقها، وأن يشرح صدره للمتعلمين، ولا يأخذه ضُجْرَة من المستفيدين، ولا تَعْدُوَ عيناه عن الطالبين، ولا يتبرَّم بالمبالغة في تفهيم المُبتدي، ولا يغفل عن تذكير المُنْتهي، فإنه إذا احتمل هذه المشقّة، وأعطى كل تلميذ حقه، كان الله تعالى كفيلاً بمعونته، بحسب ما يعلمه من حرصه عليهم وإخلاص نيَّته، وليكن بسائر المتفقهة مُعْتنياً رفيقاً، وعليهم حَدِباً شفيقاً، يُفرّع لهم من الفقه ما وضَح وتَسهَّل، ويبيّن لهم ما التبس من غوامضه وأشكل، حتى تَستنير قلوبهم بأضواءِ علوم الدين، وتنطلق ألسنتهم فيها باللفظ الفصيح المُبين، وتظهر آثار بركاته في مراشده وتَبِين، ولْتَتَوَفّرْ همَّتُه في عِمارة الوقف واستِنْمائها، والتوفر على كل ما عاد بتزايُدها وزَكائِها، بحيث يتَّضح مكان نظره فيها، ويبلغ الغاية الموفية على من تقدَّم ويُوفيها، ولا يستعين إلا بمن يُؤدّي الأمانة ويُوفِّيها، ويقوم بشرائط الاستحفاظ ويَكْفيها، وهو أدام الله رفعته يَجْري من عوائد المدّرسين والمتولّين على أوفى معهود، ويرقى[1] فيه إلى أبعد مُرتقى ومقام محمود، وأذن له في تناول إيجاب التدريس، ونظر الوقوف المذكورة أُسوةَ مَنْ تقدَّمه في التدريس والنظر في الموقوف، على كل ما شرطه الواقف في كل وِرْد وصَدَر، واعتمادِ كلّ ما حَدَّ له في ذلك ومثَّله من غير تجاوز.

(٢٤٧ أ) الأُسلوب الخامس

أن يفتح ما يكتب بلفظ: هذا كتاب، ثم يقال: أما بعد فالحمد لله، ويؤتى بخطبة مناسبة للحال، وربما أتى فيها بثلاث تحميدات، ثم أتى على المقصود إلى آخره.

وعلى ذلك كان يكتب لزعماءِ أهل الذمة من البطاركة ونحوهم.

وهذه نسخة توقيع من ذلك[2]

كتب به أمين الدولتين ابن مُوصَلاَيا عن القائم بأمر الله لعبد يَسوع[3] الجاثَلِيق الفَطْرك[4] بمدينة السلام وسائر البلدان في ربيع الأول سنة سبع وستين وأربع مائة وهي:

هذا كتاب أمر بكتبه عبدُ الله أبو جعفر عبدُ الله الإمام القائم بأمر الله أميرُ المؤمنين لعبد يسوع الجاثليق الفَطْرك.

أما بعد فالحمد لله الواحد بغير ثان، القديم لا عن وجود زمان، الذي قَصُرت صنيعة

---

(١) في صبح الأعشى: ويسامي به.
(٢) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩٤.
(٣) كتب في صبح الأعشى: عبد يشوع.
(٤) في كتب اللغة: البطرك.

الأوهام، عن إدراكه وحارَتْ، وضلّت صنيعة الأفهام، عن بلوغ مدى صفاته وحالَتْ، المتنزّه عن الولد والصاحبة، العاجزة عن إحاطة العلم به دلائل العقول الصافية الصائبة، ذي المشيئة الحالية بالمَضاءِ، والقدرة الجارية عليها تصاريف القدر والقضاء، والعظمة الغنيّة عن العون والظهير، المتعالي بها عن الكُفءِ والنظير، والعزة المكتفية عن العَضُد والنصير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١] .

والحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً وارتضاه، وشام به عَضْب الحق على الباطل وانتضاه، وأرسل محمداً ﷺ منقذاً من إشراك الضُلة، وكاشفاً عن الإيمان ما غمره من الإشراك وأظَلَّه، وبعثه مَاحِياً أثر الكفر عن القلوب والأسماع، وناحياً في اتّباع ما جَدَّ في البِدار (٢٤٧ ب) إليه والإسراع، وأدْلى ما حمله أحسن الإدلاء[1]، وداوى بمعجزة النبوة من النفوس مُعضل الداء، ولم يزل لأعلام الهُدى مبيناً، ولحبائل الغَيِّ حاسِماً مُبيناً، إلى أن خَلَص الحق وَصَفَا، وغدا الدينُ من أضداده مُنتصفاً، واتضح للحائر سَنَنُ الرَّشَد، وانقاد الأبيُّ باللِّين والأشَدّ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المنتَخَبين، وخلفائه الأئمة الراشدين، وسلَّم تسليماً .

والحمد لله الذي استخلص أميرَ المؤمنين من أزكى الدوحة والأُرومة، وأحلَّه من عِز الإمامةِ ذِرْوةً للمجد غيرَ مَرومة، وأصَار إليه من تُراث النبوة ما حَواه بالاستحقاق والوجوب، وأصاب به من مرامي الصلاة ما حُمِيتْ شموسُه من الأفول والوُجوب، وأولاه من شرف الخلافة ما استقدم به الفخر فَلَبَّى، واستخدم معه الدهرَ فيما تَأَبَّى، ومنح أيّامه من ظهور العدل فيها وانتشاره، ولَقَاح حَوائل[2] الإنصاف فيها ووضْع عِشَارِه، ما فضل به العصورَ الخالية، وظلَّت السِّيَرُ متضمنة من ذكرها ما كانت من مثله عاريةً خالية، وهو يستديمه سبحانه المعونةَ على ما يُقَرِّب لديه ويُزلِفُ عنده، ويستمدُّه التوفيقَ الذي يغدو لعزائمه الميمونةَ أوفى العَضُدِ والعُدَّة، وما توفيق أمير المؤمنين إلاَّ بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وأمير المؤمنين مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص رعاياه بأكنافه الذي يَمُدُّ عليهم رُوَاقها، ويردُّ بها إلى أغصان صلاحهم أوراقَها، ويُلْقى على أجيادهم عقودَهَا، ويقي رِياح ائتلافهم رُكودَها، يرى أن يُولِيَ أُولى الاستقامة من أهل ذمَّته ضُروب الرأفة وصُنوفَها، وأقسام العاطفة الدافعة عنهم حوادث الغيرِ وصُرُوفَها، بمقتضى عُهودهم القويَّةِ القُوَى، وذِمَّتهم التي يلزم أن يُحافِظ عليها أهلُ العدل والتقوى، ويَعْتمدهم من الصَّوْنِ[3]

---

(١) هو كذلك في صبح الأعشى، وصوَّب: وأدى... الأداء.

(٢) في صبح الأعشى: «حوامل» هذا والحوائل جمع حائل وهي كل أنثى لا تحمل.

(٣) في صبح الأعشى: الضرر.

الغامر، (٢٤٨ أ) والإجمام المضاهي الآنفُ منه الغابرُ بما قنص[١] يد الضيم وكَفَّه، ويُفيض عليهم من الملاحظة كلَّ ما حسم الضير دونهم وَكفَّه[٢]، وأن يَحْتويهم[٣] من الحِياطة بما يحْرُس رسومهم المستمرّة من أسباب الاختلال، ويُجْرِيهم فيها على ما سنَّه السلف الصالح معهم من مألوف السجايا والخلال.

ولَمَّا أُنهي إلى حضرة أمير المؤمنين تميزُك عن نظرائك، وتحلِّيك من السَّداد بما يستوجب معه أمثالُك المبالغةَ في وصفك وإطرائك، وتخصُّصك بالأنحاء التي فُتَّ فيها شَأْوَ أقرانك، وأفذتَ بها ما قصَّر معه مُساجلك من أبناء جنسك أن يَعْدِلَك في ميزانك، وما عليه أهلُ نِحْلتك من حاجتهم إلى جاثلِيقٍ كافلٍ بأمورهم، كافٍ في سياسة جُمهورهم، مستقلٍّ بما يلزم القيامُ به، غيرُ مُقِلٍّ بما يَتَعَيَّن مثله في أدوات مَنْصبه، وأن كُلاًّ ممن يُرْجَع إليه منهم لمَّا تصفَّح أحوالَ متقدِّمي دينهم واستشَفّ، وأعمل الفكر في اختيار الأرجح منهم والأشَفّ، واتفقوا من بعدُ على إجالة الرأي الذي أفاضوا بينهم قِدَاحه، وراضُوا به زَنْد الاجتهاد إلى أن يُوري حين راموا اقتداحه، فلم يصادفوا مَنْهو بالرياسة عليهم أحقّ وأحْرى، وللشروطِ الموجبةِ التقديمَ فيهم أجمع وأحْوى، وعن أموال وقوفهم أعفّ وأورع، ومن نفسه لداعي التحرّي فيها أطوع وأتبع، منك، اختاروك لهم راعياً، ولما يشدُّ نظامهم ملاحظاً مراعياً، وسألوا إمضاء نصِّهم عليك والإذن فيه، وإجراء الأمر فيما يخصك أسَدَّ مَجاريه، وترتيبَك فيما أُهِّلْتَ له وحُمِّلْتَ ثِقْله، واختصاصك على من تقدّمك من الأضراب بمزيد من الإرعاء والإيجاب، وحَمْلَك وأهلَ نحْلتك على الشروط المعتادة، والرسوم التي إمضاءُ الشريعة لها أوْفَى الشهادة، رأى أمير المؤمنين الإجابَة إلى ما وُجِّهَتْ إليه فيه الرغبة، واستخارة الله تعالى (٢٤٨ ب) في كل عَزم يُطلِق شَبَاهُ ويُمْضِي غَرْبَه، مقتدياً فيما أسداه إليك وأسناه من النعمة[٤] لديك، بأفعال الأئمة الماضين، والخلفاء الراشدين، صلوات الله عليهم أجمعين، مع أمثالك من الجَثالقة الذين سبقوا، وفي مَقامك اتَّسقوا، وأوعز بترتيبك جاثَلِيقا لنُسْطور النصارى بمدينة السلام وسائر البلاد والأصقاع وزعيماً لهم وللروم واليَعاقبة طُرّاً، ولكلٍّ من تحويه ديار الإسلام من هاتين الطائفتين ممن بها يستقرّ وإليها يَطْرَأ، وجعل أمرك فيهم ممتثلاً، وموضعك من الرياسة عليهم مُتَأثِّلاً، وأن تنفرد بالتقدُّم على هذه الطوائف أجمع، ليكون قولك فيما يجيزه الشرعُ الشريفُ فيهم يُقْبل وإليك في أحوالهم يُرْجع، وأن تتميّزَ بأُهبة الزعامة في مجامع النصارى ومُصَلَّياتهم عامّة، من غير أن يَشْركك فيها أو يشاكلك في النسبة الدالة عليها مَطْرَان أو أُسْقُف للروم أو اليعاقبة، لتغدُوَ شواهدُ

(١) في صبح الأعشى: بما يقبض.
(٢) جملة: «ويفيض عليهم. . . وكفه» غير موجودة في صبح الأعشى.
(٣) في صبح الأعشى: وأن يحبوهم.
(٤) في صبح الأعشى: أنعمه.

ولايتك بالأوامر الإمامية بادية للسامع والناظر، وآثار قصورهم عن هذه الرتبة التي لم يبلغوها كافَّة للمجادل منهم والمُناظر، ومُنِعوا بأسرهم عن مساواتك في كل أمر هو من شروط الزعامة ورسومها، والتزيِّي بما هو من علاماتها وَوُسومها، إذ لا سبيل لأحدهم أن يَمُدَّ في مباراتك باعه، ولا أن يخرُجَ عن المُوجب عليه من الطاعة لك والتِّباعة، وحملك في ذلك على ما يدلُّ عليه المنشور المنشأُ لمن تقدّمك، الممضي لك ولكلّ[1] من يأتي بعدك، المُجدِّد بما حواه ذكْر ما نطقتْ به المناشيرُ المقرَّرة في أيام الخلفاء الراشدين، صلوات الله عليهم أجمعين، لمن تقدَّمك في مقامك، وأحرز سَبْق مَغْزاك ومرامِك، من كون المنصوب في الجَثْلَقة إليه الزعامة على ما تضُمُّه ديار الإسلام من هذه الفِرَق جَمْعاً، والمنصوص عليه في التقدم الذي ليس لغيره من رياضِهِ مَرْعى، (٢٤٩ أ) وتقدَّم أميرُ المؤمنين بحياطتك وأهلِ نِحْلتك في نفوسكم وأموالكم وبِيَعِكُم، وديارِكم ومقار صلواتكم وحراسة أمواتكم[2]، واعتمادكم بأقسام الكلاءة على أجمل الرسم معكم، وأن تُحْمَوْا من نَقْضِ سُنَّةٍ رَضِيَّةٍ قُرِّرت لكم، ودَحْضِ وَتيرة حَميدة اسْتُعمِلت في فَرْضكم، وأن تُقْبض الجِزْية من رجالكم ذوي القدرة على أدائها بحسب ما جرت به عادتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم دفعة واحدة في السنة، وتُجْرَوْا في ذلك على السَّجِيَّة التي تناقَلَها الرُّواة وتداولَتْها الألسِنة، من غير تَثْنِية ولا تكرير، ولا تَرْنيق لمنهل المَعْدَلَة عندكم ولا تكدير، وأن تُحْبَى بالشَّدِّ دائماً وتقويةِ يدك على من نَصَبْتَه في أُمورهم ناظراً ولشملهم ناظماً، ويُفْسح لك في فصل ما شَجَر بينهم على سبيل الوَسَاطة، لتقصد في ذلك ما يَحْسِم دواعيَ الخُلْف ويَطْوِي بِساطه، وأنْ تُمْضِي تثقيفك لهم وأمرَكَ فيهم، أُسوَة ما جرى عليه الأمر مع من كان قَبْلَك يليهم، لتُحْسِن معه السيرةَ العادلة[3] عليهم بحِفْظ السَّوَام، المطابقة للشروط السائغة في دين الإسلام.

وأمر بإنشاءِ هذا الكتاب مشتمِلاً على ما خصَّك به، وأمضى أنْ تُعامل بمُوجبه، فقابِلْ نعمةَ أمير المؤمنين عندك بما تستوجبه من شكر تَبلغ فيه المَدَى الأقصى، وبِشْرٍ لا يُوجِدُ التصفُّح له عندك قُصوراً ولا نَقْصاً، وواظب على الاعتراف بما أُوليته من كلّ ما جَمَّلك، وصدَّقَ ظنَّك وأملك، واستَزِد الإنعامَ بطاعة تَطْوِي عليها الجوانح، وأدعية لأيامه تُتْبِع الغاديَ منها بالرائح، وتجنَّب التقصير فيما بك عُدِق،[4] وإليك وُكِلَ وعليك عُلِّق، واحتفظ بهذا الكتاب جُنَّة تمنع عنك رَيْب الدهر وَغِيَرَه، وحُجَّة تَحْمِل فيها على ما يَحْمِي ما مُنِحْته

---

(١) في الأصل ولعمل من يأتي.

(٢) في صبح الأعشى: أموالكم.

(٣) وضح هامش في صبح الأعشى نصه: لعله العائدة. تأمل.

(٤) عدق يده: أدخلها في نواحي البئر أو الحوض نحوهما كأنه يطلب شيئاً. وكأنه يراد هنا تجنب التقصير فيما طلب أن يكون فيك.

من كُلٍّ ما شَعَّثَه وغَبَّرَه، وليعمَلْ بهذا المِثال كافة المطارنة والأساقفة والقِسِّيسين، والنصارى أجمعين، وليعتمدوا (٢٤٩ ب) من اتباعه كُلَّ ما يستحقه تقديمُك على الجماعة، ولْيَثِقُوا بما يغمرهم من المعاطف[1] الحاميةِ يربَهُمْ من التفريق والإضاعة، إن شاء الله تعالى.

تنبيه: قد ذكر محمد بن عمر المدائني أنه كان يكتب للأمراء في قرطاس من نصف طومار وللعمال والكُتَّاب في قرطاس من ثلث طومار، وللتُّجَّار وأشباههم في قرطاس من ربع طومار، وللحُسَّابِ والمُسَّاح في قرطاس من سُدس طومار، وقد تقدم أن المراد بالطومار قَطْع البغدادي الكامل، ولا يخفى أن المناسب لقطع النصف قلم الثلث الخفيف، ولقطع الثلث قلم الكوفة، ولما دون ذلك قلم الرّقاع.

(١) في صبح الأعشى: العاطفة.

الباب الخامس

فيما كان يكتب عن الخلفاء من الإقطاعات وتحويل السنين وإلزام أهل الذمة الشرائط اللازمة لهم وفي [ثلاثة فصول].

الفصل الأوَل

فيما كان يكتب عنهم من الإقطاعات، وقد كان عاداتهم فيه أن يُكتب: هذا كتابٌ من عبد الله فلان الإمام الفلانيّ. ويأتي على المقصد إلى آخره من إقطاع استغلال، وهو الذي يؤخذ فيه خراج الأرض وَرَقبتها باقية لبيت المال، أو إقطاع تمليك، وهو أن يملك الأرض ويقرر عليه قَطِيعة تؤخذ منها لبيت المال، وتسمى هذه: المقاطعة.

والأصل في ذلك ما رواه الحافظ بن عساكر في «تاريخ الشام» بسنده إلى أبي قائد[1] الداريّ أن النبي ﷺ أعطاه أرضاً بفلسطين، وكتب له بها كتاباً في قطعة من أدَم، وهو، بعد البسملة: هذا ذِكْرُ ما وَهَبَ محمد رسول الله للدَّارِيِّين إذا أعطاه الله الأرض. وَهَب لهم بيت عَيْنون وحَبْرُون وبيت إبراهيم بمن فيهن لهم أبداً.

شهد عبّاسُ بن عبد المطلب وجُهَيم[2] بن قيس وشُرَحْبِيل ابن حَسَنة. وكَتَب. فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كتب لهم بذلك كتاباً.

ونسخته[3]

هذا ما أنطى محمدٌ رسول الله ﷺ تميمَ الداريَّ وأصحابه، إني أنطيتكم عينون[4] وحَبْرُون. (٢٥٠ أ) والرطوم وبيت إبراهيم برُمَّتهم وجميع ما فيهم، نَطِيَّةَ بَتٍّ ونفَّذْتُ وسلَّمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبدَ الأبَدِ، فمن آذاهم فيها آذاه الله.

---

(١) في صبح الأعشى: بسنده إلى زياد بن فائد عن أبيه فائد عن جده زياد ابن أبي هند عن أبي هند الداري.... انظر صبح الأعشى جـ ٢٣ ص ١١٨.

(٢) في صبح الأعشى: جهم «وفي الهامش نقلاً عن السيرة الحلبية ص ٢٩٦ جـ ٣ خزيمة». وانظر الإصابة: جهم بن قيس... أبو خزيمة ويقال له جهيم بالتصغير.

(٣) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٢٠.

(٤) كتب في الأصل: عين.

شهد أبو بكر بن أبي قحافة، وعُمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعليُّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان [وكتب].

وفي رواية: إنما كتب أولاً: هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لتميم بن أوس الداري، إن له قية حبْرا وبيت عينون[1] قَرْيَتَها كُلَّها، سهلَها وجبلَها ماءَها وحَرْثها[2] وأنباطَها وبَقَرها ولعَقِبه من بعده، لا يُحَاقُّه فيها أحد، ولا يَلِجُه عليهم أحدٌ بِظُلم، فمن طلبهم[3] أو أخذ من أحدهم شيئاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [وكتب عليّ].

وروى الحافظ ابن منده نَحوهُ[4]، فصار ذلك أسلوباً ينسجُ على منواله.

قلت: ويقال: إن الرقعة موجودة عند التميمِيِّين ببلد الخليل[5] إلى الآن في رقعة أدم.

وهذه نسخة مقاطعة[6]

كتب بها أبو إسحاق الصابي عن المطيع لله بإقطاعِ أرضٍ إقطاعَ تمليك وهي:

هذا كتاب من عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين لفلان بن فلان.

إنك رفعت قِصَّتك تذكر حال ضَيعَتِك المعروفة بكذا وكذا [من رُستاق كذا وكذا] من طَسُّوج كذا وكذا، وأنها أرض رَقيقةٌ قد نزل عليها[7] الخراب، وانغلق أكثرها بالسَّدِّ والدغَل، وأنَّ مِثْلها لا [تتسع يد الليالي للإنفاق عليه وقلب بالصله (؟) واستخراج سدوده وقفل أرضه ولا] يرغب الأكرة في ازدراعه والمعاملةِ فيه، وإن أمير المؤمنين مقاطِعُك[8] عن هذه الضيعة على كذا وكذا من الوَرِق المُرْسل في كلّ سنة، على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية، مقاطعةً مُؤَبَّدة، ماضية مُقررة نافذة، يُستخرج مالها في أول المحرَّم من كل سنة، ولا تُتبع بنقض ولا يتأول فيها مُتَأَوِّل، . ولا تُعتَرض في مستأنِف الأيام ما اجتهدت في عمارتها وتكلفت الإنفاق عليها (٢٥٠ ب)، واستخراج سدودها، وتَنقية[9] أراضيها واحتفار سواقيها واجتلاب الأكرة إليها، وإطلاق البذور والتقاوى فيها، وإرغاب المزارعين بتخفيف

---

(١) في الأصل: «عينوا» والتصويب من صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٢١.

(٢) في صبح الأعشى: وحرّتها.

(٣) في صبح الأعشى: فمن ظلمهم.

(٤) انظر نصه في صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٢٢.

(٥) في صبح الأعشى: خدام حرم الخليل.

(٦) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٢٣ ـ ١٣١.

(٧) في صبح الأعشى: قد توالى عليها.

(٨) في الأصل: وإنه يأمر المؤمنين بمقاطعتك..

(٩) في صبح الأعشى: وقفل.

طُسُوقها [بحق الرقبة] ومقاسماتها، وكان في ذلك توفيرٌ لحقّ بيت المال وصلاح [ظاهر] لا يختلّ.

وسألتَ أمير المؤمنين الأمرَ بذلك والتقدم به والإسجال لك به، وإثباته في ديوان السواد ودواوين الحضرة وديوان الناحية، وتصييرَه ماضياً لك ولعَقِبك وأعقابهم [ومن لعل هذه الضيعة أو شيئاً منها ينتقل إليه ببيع أو ميراث أو صدقة أو غير ذلك من ضروب الانتقال] فإن أمير المؤمنين بإيثاره الفلاح[1] واعتماده أسبابه، ورغبته فيما عاد بالتوفير على بيت المال، والعمارة والتَّرفيه للرعية، أمرنا بالنظر فيما ذكرته، واستقصاء البحث عنه، ومعرفة وجه التدبير، وسبيل الحظ فيه، والعمل بما يوافق الرشد في جميعه، فرُجع إلى الديوان في تعرُّف ما حَكَيْته من أحوال هذه الضَّيعة، فأنفذَ منه رجلاً مختاراً ثقةً مأموناً من أهل الخبرة بأُمور السواد وأعمال الخراج، قد عرف أميرُ المؤمنين أمانته وديانته، وحكمه[2] ومعرفته، وأمره بالمصير إلى هذه الناحية وجمع[3] أهلها من الأدِلاَّء والأكَرة والمزارعين [وثقات الأمناء] والمجاورين والوقوف على هذه الأقرحة، وإيقاع المساحة عليها وكشف أحوال غامرها وعامرها، والمَسير على حدودها، وأخذ أقوالهم وآرائهم في وجه صَلاَحِ وعمارةِ قَراحٍ قَراحٍ منها، وما يوجبه صواب التدبير فيما التمستَه من المقاطعة بالمبلغ الذي بَذَلْته، وذكرتَ أنه زائد على الارتفاع، والكِتابِ بجميع ذلك إلى الديوان ليُوقَف عليه ويُنْهي إلى أمير المؤمنين لينظر فيه، فما صحَّ عنده منه أمضاه، وما رأى الاستظهار على نظر الناظر فيه استظهر فيما يَرى منه، حتى يقف على حقيقته، وَيَرْسُم بما يُعْمَل عليه.

فذكر ذلك الناظرُ أنه وقف على هذه الضيعة، وعلى سائر أقْرِحتها وحدودها، وطافها[4] بمشهد من أهل الخبرة بأحوالها (٢٥١ أ) من ثقات الأدِلاَّء [والمجاورين] والأكرة والمزارعين [والأمناء] الذين يرجع إلى أقوالهم [ويُعمل عليها] فوجد مساحة بطون الأقرحة المزدرعة من جميعها، دون سَواقيها وبُرورها وتِلالها ومُستنقعاتها وما لا يُعتمد من أرضها، بالجَرِيب الهاشميّ الذي تُمسح به الأرض في هذه الناحية كذا وكذا جَرِيباً، منها قراح كذا وكذا[5] وقراح كذا وكذا، ومنها [الحصن و] البيوت والساحات [والقراحات] والخزّانات، ووجد حالها في الخراب والانسداد وتكدّر[6] العمارة والحاجة إلى عظيم

(١) في صبح الأعشى: الصلاح.
(٢) في صبح الأعشى: وعلمه.
(٣) في الأصل وجميع.
(٤) في صبح الأعشى: ونطاقها.
(٥) في صبح الأعشى: منها جميع القراح المعروف بكذا وكذا.
(٦) في صبح الأعشى: وتعذر العمارة.

المعرفة ومفرط النفقة[1]، على ما حكيتَه وشكوتَه، ونظر في مقدار أصل [هذه الخزانات من] هذه الضيعة وما يجب عليها وكيفية[2] الحال في ذلك.

ونظر أمير المؤمنين فيما رفعه هذا المؤتمن المُنْفَذ من الديوان، واستظهر فيه بما يراه من الاستظهار، ووجب عنده من الاحتياط، فوجد ما رفعه صحيحاً صحَّةً عرفها أمير المؤمنين وعَلِمها، وقامت في نفسه وثبتت عنده، ورأى إيقاع المقاطعة التي التمسْتَها على حقّ بيت المال في هذه الضَّيعة، فقاطعك عنه في كلّ سنة هلاليّة، على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية، على كذا وكذا، درهماً صحاحاً مرسلة بغير كسر[3]، ولا حَقّ خَرْب ولا جَهْبَذة، ولا محاسبة ولا زيادة، ولا شيء من جميع المُؤن وسائر التوابع[4] والرسوم، تُؤدَّى في أول المحرم كلّ سنة حسب ما تؤدَّى المقاطعة، مقاطعةً ماضيةً مُؤبَّدة، نافذة ثابتة، على مُضِيّ الأيام، وكرور[5] الأعوام، لا تُنقض ولا تُفسخ ولا تُتْبع، ولا يُتَأَوَّل فيها، ولا يُعتبر[6]، على أن يكون هذا المال، وهو من الوَرَقِ المرسلِ كذا وكذا في كل سنة، مُؤَدًّى في بيتِ المال، ومصحَّحاً عند من تُورَد عليه في هذه الناحية أموالُ خراجهم ومقاطعاتِهم وجباياتِهم، لا يُحْتَلُّ فيها بآفة[7] تلحق الغلات سماويّة ولا أرضية، ولا بتعطُّل أرض ولا بقُصورِ عمارة، ولا نُقصان رَيْع، ولا بانحطاط سعر، ولا بتأخّر قَطْر، ولا تشرُّب علة[8] ولا (٢٥١ ب) حَرَق ولا سَرَق[9]، ولا بغير ذلك من الآفات بوجه من الوجوه، ولا بسبب من الأسباب، ولا يحتَجُّ في ذلك بحجة يحتج بها [التُّناء و][10] المزارعون وأرباب الخراج في الالتواء بما عليهم، وعلى أن لا يدخل عليك في هذه الماقطعة يدُ ماسِح ولا مُخَمِّن ولا حازِر [ولا مقدِّم ولا أمين ولا حاظر] ولا ناظر [ولا] متتبع [ولا متعرف لحال زراعة وعمارة] ولا كاشف لأمر زرع وغلة، ماضياً ذلك لك ولعقبك من بعدك، وأعقابهم وذريتك وذريتهم[11] أبداً ما تناسلوا، ولمن عسى أن تنتقل

---

(١) في صبح الأعشى عظيم المئونة ومفرط النفقة.

(٢) في صبح الأعشى: وكشف الحال.

(٣) بعدها في صبح الأعشى كلمة غير واضحة في أصله عليها استفهام وهذه الكلمة لا توجد في كتابنا هذا. وصور تهافيه «ولاكعانه».

(٤) في صبح الأعشى: وسابق التواقيع.

(٥) في صبح الأعشى: ولزوم الأعوام.

(٦) في صبح الأعشى: «ولا تغيّر» وهو الأقرب للصواب.

(٧) في الأصل: لا تقبل فيها آفة.

(٨) في صبح الأعشى: ولا بشرب غله.

(٩) في صبح الأعشى: شرق.

(١٠) زيادة الكلمة من صبح الأعشى وقد وضع عليها علامة استفهام فيه. والتناء هم سكان البلد.

(١١) في صبح الأعشى ورثتك وورثتهم.

هذه الأقرحة أو شيء منها إليه بإرث أو بيع أو هبة، أو نَحْل أو صدقة أو وقف أو مُناقلة أو إجازة أو مُهايأة أو تمليك أو إقرار، أو بغير ذلك من الأسباب التي تنتقل بها الأملاك من يد إلى يد ولا يُنقَض ذلك ولا شيء منه، ولا يُغيَّر ولا يُفسخ ولا يُزَال ولا يُبَدَّل، ولا يُعَقَّب ولا يُعتَرَض فيه بسبب زيادة عِمارة ولا ارتفاع سعر ولا وُفور غَلَّة ولا زَكَاءِ رَيْع ولا إحياء مَوَات، ولا إعمال[١] مُعَطَّل ولا عمارة خراب، ولا استخراج غامر، ولا صلاح سرب[٢] ولا استحداث غَلاَّت لم يجر الرسم باستحداثها وزراعتها، ولا يُعَدُّ ولا يُمْسَح ما عسى أن يُغرس بهذه الأقرحة من النخل وأصناف الشجر المعدود والكُروم، ولا يَتَأَوَّل عليك فيما لعلَّ أصلَ المساحة أن تزيد به فيما تُعَمِّره وتستخرجه من [الجبابين و][٣] المُسْتَنقعات ومواضع المشارب المستغنى عنها، إذ كان أمير المؤمنين قد عرف جميع ذلك، وجعل ما يجب على كل شيء منه عند وجوبه داخلاً في هذه المقاطعة وجارياً معها[٤].

وأمر أمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب في الدواوين، وإقراره في يدك حُجَّةً لك ولعقبك من بعدك وأعقابهم وورثتك وورثتهم، وثيقةً في أيديكم، وفي يد من عسى أن تنتقل هذه الضيعة أو الأقرحة أو شيء منها إليه بضرب من ضُروب الانتقال التي ذُكرت في هذا الكتاب، والتي لم تُذكر فيه، وأن لا يخلفوا إيراداً من بعده[٥]، ولا يَتَأَوَّلُ عليكم مُتَأَوِّل فيه.

فمن وقف (٢٥٢ أ) على هذا الكتاب أو قرأه أو قُرئ عليه، من جميع الأمراء وولاة العهود والوزراء والكتاب والعمال والمُشرفين والمتصرفين والمباشرين[٦] في أمور الخراج، وأصحاب السيوف على اختلاف طبقاتهم، وتبايُن منازلهم وأعمالهم، فليمتثل ما أمر به أميرُ المؤمنين ولْيُنفِّذ لفلانِ بنِ فلان، وورثته وورثتِهم، وعقبه وأعقابهم، ولمن تنتقل هذه الأقرحة أو شيء منها إليه، هذه المقاطعة، من غير مراجعة فيها، ولا استئمار عليها، ولا تكليف أحد ممن يقوم بأمرها إيرادَ حُجَّة بعد هذا الكتاب بها، وليعمل بمثل ذلك من وقف على نُسخة من نُسَخ هذا الكتاب في ديوان من دواوين الحضرة وأعمالها أو الناحية، ولْيُقَرَّ في يد فلان بن فلان ويد من يُورده ويحتجُّ به، ممن يقوم مقامه، إن شاء الله تعالى.

تنبيه - قد تقدم عن محمد بن عمر المدائني أنه كان يكتب للأمراء في قرطاس من نصف طومار، وأن المراد نصف قطع البغدادي، ومقتضى ذلك أن إقطاعاتهم كانت تكتب

---

(١) في صبح الأعشى: ولا اعتمال.

(٢) في صبح الأعشى: شِرْب.

(٣) فسرت الجبابين في صبح الأعشى بأنها الصحارى.

(٤) بعد هذا في صبح الأعشى زيادة طويلة مقدارها فيه ثلاث صفحات من ص ١٢٧ جـ ١٣ إلى ص ١٣٠.

(٥) في صبح الأعشى: وأن لا تكلفوا إيراد [حجة] من بعده.

(٦) في صبح الأعشى: والناظرين في الخراج.

في هذا القطع، ومَنْ دونهم من الجند كُلٌّ منهم بحسب رتبته.

الفصل الثاني

من الباب الخامس فيما كان[1] يكتب في تحويل السنين الخراجية عن الخلفاء، وهو أن يكتب بنقل السنة الشمسية إلى السنة الهِلالية بالاسم دون الحقيقة، توفيقاً بينهما، وإزالةً للشبهة في أمرهما، وذلك أن أيام السنة الشمسية في المدة التي تقطع الشمسُ الفلكَ فيها مرّة واحدة حسب ما تُوجبه حركتُها في ميلها في الجنوب والشمال ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم بالتقريب، وأيام السنة الهلالية في المدة التي يقطع القمرُ الفلَك فيها اثنتي عشرة دفعة ثلاثمائة وأربعةٌ وخمسون يوماً وسدس يوم، فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوماً وسدس يوم، وتكون زيادة السنين الشمسية على السنين الهلالية في كل ثلاث سنين شهراً واحداً وثلاثة أيام ونصف يوم تقريباً، وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة بالتقريب، فإذا تمادى الزمان زاد تفاوُت ما بين السنين حتى يكون كل ثلاثمائية سنة (٢٥٢ ب) شمسية ثلاثَمائة وتسعَ سنين هلالية، وعليه حَمل بعضُ المفسرين قوله تعالى ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا ۝٢٥﴾ [الكهف: الآية ٢٥] وربما كان استحقاق الخراج في أول سنة من السنين العربية، ثم تراخى الحال فيها إلى أن صار استحقاقه في أواخرها، ثم تراخى حتى يصير في السنة الثانية، فيصير الخراج منسوباً للسنة السابقة واستحقاقه في السنة اللاحقة، فيحتاج حينئذ إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التي بعدها، حتى انتهت الحال في جباية الخراج سنة إحدى وأربعين ومائتين في خلافة المتوكل خراج كل سنة يجبى في السنة التي بعدها، فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة، أولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة المأمون، فاجتمع من [هذا] المتأخير فيها أيامُ سنة شمسية كاملة وهي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وزيادة الكسر. وتَهَيَّأ إدراك غلاّت سنة إحدى وأربعين ومائتين في صدر سنة اثنتين وأربعين [ومائتين] فأمر المتوكل بإلغاء ذكر سنة إحدى وأربعين ومائتين إذ كانت قد انقضت ونُسب الخراج إلى سنة ثنتين وأربعين ومائتين، وأمر إبراهيم بنَ العبّاس فكتب كتاباً عنه بذلك، وهو أول كتاب كُتب في هذا المعنى، ولم أقف على نسخته.

وجرى العمل بعد المتوكل على ذلك سنة بعد سنة، إلى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة، آخرُهُنَّ انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين، فجرى فيها خَبْطٌ بين الكُتَّاب، وبقي الأمر إلى سنة ثمان وسبعين ومائتين في خلافة المعتضد، فعُرِّف ما كان من فعل المتوكل من نقل

(١) انظر صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٥٤.

سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين، فأمر بنقل سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين، وكان هذا النقل بعد مُضيّ أربع سنين من استحقاقه، وكُتب بذلك كتابٌ[1] عن المعتضد وخُلِّد في الدواوين.

ونسخته[2] (٢٥٣ أ) أما بعد، فإن أولَى ما صرف إليه أميرُ المؤمنين عنايته، وأعمل فيه فكره ورويَّته، وشغل فيه تَفَقُّدَه[3] ورعايته، أمْرُ الفَيءِالذي خصه الله به، وألزمه جمعه وتوفيره، وحياطته وتكثيره، وجعله عماد الدين وقوام[4] أمر المسلمين، وفيما يُصرف منه أعطيات الأولياء والجنود، ومن يستعمل به فيه لتحصين البَيْضة والذَّبُّ عن الحريم، وحجّ البيت، وجهاد العدو، وسدّ الثغور، وأمْن السبيل، وحقن الدماء، وصلاح ذات البين، وأمير المؤمنين يسأل اللهَ راغباً إليه، ومتوكلاً عليه، أن يُحسن عَوْنه على ما حمَّله منه، ويديم توفيقه [إلى ما أرضاه]، وإرشاده إلى ما يقْضي بالخير عنه وله.

وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجري عليه أمرُ جِباية هذا الفيء في خلافة آبائه الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم، فوجده على حسب ما كان يُدْرك من الغَلاَّت والثِّمار في كل سنة أوَّلاً على مجاري [شهور] سِنِي الشمسِ في النجوم التي يَحِلُّ مالُ كلِّ صنف منها فيها، ووجد شهور السنة الشمسية تتأخَّر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً ورُبعاً وزيادةً عليه، ويكون إدراكُ الغلاَّت والثمار في كلّ سنة بحسب تأخُّرها.

فلا تزال السنونَ تمضي على ذاك سنة بعد سنة، حتى تنقضي منها ثلاث وثلاثون سنة، ويكون عَدَدُ الأيام المتأخرة منها أيامَ سنة شمسية كاملة، وهي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربعُ يوم وزيادةٌ عليه، فحينئذ [يَتَهَيَّأُ] بمشيئة ا وقدرته إدراك الغَلاّت التي تجري عليها الضرائبُ والطُّسُوق في استقبال المُحَرَّم من سِنِي الأهِلَّة، ويجب مع ذلك إلغاءُ ذِكْر السنة الخارجة، إذ كانت قد انقضَتْ، ونِسْبَتُها إلى السنة التي أدركتِ الغَلاَّتُ والثمارُ فيها، وإنه وجد ذلك قد كان وقع في أيام أمير المؤمنين المتوكّل على الله رحمةُ اللهِ عليه عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة (٢٥٣ ب) آخرتُهن سنة إحدى وأربعين ومائتين، فاسْتَغْنى عن ذلك، وأمر بإلغائه، ونسبه إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين، فجرت المكاتباتُ والحُسبانات وسائر الأعمال بعد ذلك سنةً بعد سنة، إلى أن مضت[5] ثلاثة وثلاثون سنة آخرتهنّ انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين [ووجب إنشاء الكتب بإلغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين][6] ونسبتها إلى سنة خمس وسبعين ومائتين، فذهب ذلك على كُتّاب أمير المؤمنين

---

(١) في الأصل: كتاباً.
(٢) صبح الأعشى جـ ١٣ صفحة ٦٣.
(٣) في الأصل: مفتقدة.
(٤) في الأصل: وقيام.
(٥) في الأصل: بقيت.

المعتمد على الله، وتأخر الأمر فيه أربع سنين، إلى أن أمر أمير المؤمنين المعتضدُ بالله [رحمه الله] في [سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنَةِ ثمان وسبعين ومائتين إلى] سنة تسع وسبعين ومائتين، فجرى الأمر على ذلك، إلى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي كان يجب نقلها فيها، وهي سنة خمس وسبعين ومائتين، وآخرتهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلاثمائة، ووجب افتتاح [خراج] ما تجري عليه الضرائب والطسُوق في أولها. مِنْ صواب التدبير واستقامة الأعمال واسْتعمال ما يَخِفُّ على الرعية معامَلَتُها به نَقْلُ سنة الخراج لسنة سبع وثلاثمائة إلى سنة ثمان وثلاثمائة، فرأى أمير المؤمنين - لما يُلْزِم به نفسَه ويأخذها[1] به من العناية بهذا الفيء، وحِياطة، أسبابه، وإجرائها مجاريها، وسلوك سبيل آبائه الراشدين رحمة الله عليهم فيها - أن يُكْتب إليك وإلى سائر العمال بالنواحي بالعمل على ذلك، ويكون ما يَصْدر [إليكم] من الكتب وتُصْدِرونه عنكم وتجري عليه [أعمالكم و] رُفوعكم وحُسباناتكم وسائرُ مناظراتكم على هذا النَّقْل.

فاعلم ذلك من رَأْيِ أمير المؤمنين، واعمل به، مستشعراً فيه وفي كل ما تمضيه تقوى الله وطاعته، ومستعملاً ثِقات الأعوان وكفاتهم[2] مُشرفاً عليهم ومقوِّماً لهم، واكتب بما يكون منك في ذلك، إن شاءَ الله تعالى.

ولم يزل الأمر جارياً على ذلك في كل ثلاث وثلاثين سنةً تُنْقلُ سنةٌ. إلى آخر الدولة العباسية بالعراق.

قلت: أما الديار المصرية فقد ذكر صاحب «المنهاج (٢٥٤ أ) في صنعة الخراج» أن أول نقل[3] السنين فيه كان في سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية.

وكُتب فيها كتاب من إنشاء القاضي الفاضل[4]، وهي مستمرة على النقل في كل ثلاث وثلاثين سنة إلى زماننا هذا يكتب بها عن السلطان.

الفصل الثالث

من الباب الخامس فيما كان يكتب عن الخلفاء في إلزام أهل الذمة ما يلزمهم بشريطة عقد الذمة وأخذهم بذلك.

---

(١) هذه الزيادة أيضاً خلا منها أصل صبح الأعشى وزادها محققوه من المقريزي جـ ١ ص ٢٧٧ وقالوا إنها لازمة لاستقامة الكلام.

(٢) في صبح الأعشى: لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به.

(٣) في الأصل: ثقات أعوان كفاتهم.

(٤) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٦٠.

(٥) انظر صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٧١.

وأول ما كُتب بذلك في خلافة المتوكل على الله بن [المعتصم بن] هارون الرشيد وذلك[1] أنه حج فسمع رجلاً يدعو عليه، فهمَّ بقتله، فقال له الرجل: والله يا أمير المؤمنين ما قلتُ ما قلت إلاَّ وقد أيقنتُ بالقتل، فاسمع مقالي ثم مُرْ بقتلي، فقال: قل، فشكَا إليه استطالةَ كُتَّابِ أهل الذمة على المسلمين، في كلام طويل، فخرج أمرُ أمير المؤمنين المتوكل بأن يلبس النصارى واليهود ثياب العَسَلِيّ وأن لا يُمكَّنُوا من لُبْس البياض كي لا يتشبهوا بالمسلمين، وأن تكون رُكُبهُم خَشَباً، وأن تهدم بِيَعُهم المُستجدَّة وأن تُطْلَق عليهم الجِزية، ولا يُفْسح لهم في دخول حمّامات [خدمها من] المسلمين، وأن تفرد لهم حَمَّامات [خدمها] من أهل الذمة، وأن لا يتسخدموا مسلماً في حوائجهم، وأفردهم بِمَنْ يَحْتَسِب عليهم، وأمر أن يُكتب بذلك كلّه كتاباً فكُتب.

وهذه نسخته[2]

أما بعد فإن الله تعالى اصطفى الإسلام ديناً، فشرّفه وكرَّمه، وأناره ونَضَّرَه وأظهره، وفضله، وأكمله فهو الدين الذي لا يَقْبَل غيرَه، قال الله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: الآية ٨٥] بعث به صفيَّه وخِيرته من خلقه محمداً ﷺ، جعلَه خاتَم النبيين، وإمام المتقين، وسيّد المرسلين ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: الآية ٧٠] وأنزل كتاباً عزيزاً ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: الآية ٤٢] أسعد به أُمَّته وجعلهم خيرَ أُمَة أخرجت لِلنَّاسِ يأْمُرون بالمعروفِ وَيَنْهَوْن عن المُنْكَرِ ويُؤمنون بالله ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١١٠] وأهان الشِّرك وأهله وَوضعهم وَصغَّرهم، وقمعهم وخَذَلهم وتبرَّأ منهم، وَضَرَبَ عَلَيْهِم الذِّلَةَ والمَسْكَنة وقال ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: الآية ٢٩] واطَّلع[3] على قلوبهم وخُبْثِ سرائرهم وضمائرهم، فَنهى عن ائتمانهم والثقةِ بهم، لعَدَاوتهم للمسلمين، وغِشِّهم وبغْضائهم فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١١٨] وقال [تعالى] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا

(١) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٦٦.
(٢) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٦٧.
(٣) في الأصل: وطبع.

مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: الآية ١٤٤] وقال تعالى ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ﴾ [آل عمران: الآية ٢٨] وقال تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: الآية ٥١].

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأي لهم ولا رَوِيّة يستعينون بأهل الذِّمَّة في أفعالهم، ويتَّخذونهم بطانة من دون المسلمين، ويُسَلِّطونهم على الرعيَّة فَيَعْسِفُونهم وَيَبْسُطون أيدِيهم إلى ظُلمهم وغِشّهم والعُدوانِ عليهم، فأعظَمَ أميرُ المؤمنين ذلك، وأنكره وأكبرَه، وتبرَّأ منه، وأحب التقرُّب إلى الله تعالى بِحَسْمِه والنَّهي عنه، ورأى أن يَكتُب إلى عماله (٢٥٥ أ) على الكُوَر والأمصار، وولاة الثغور والأجناد، في ترك استعمالهم [لأهل] الذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم، والإشراك لهم في أُمورهم[١] وأماناتهم، وما قلّدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه، إذ جعل في المسلمين الثِّقةَ في الدين، والأمانة على إخوانهم المؤمنين، وحُسْنَ الرعاية لما استرعاهم، والكِفاية لما اسْتُكْفوا، والقيام بما حُمِّلوا. بما أغنى عن الاستعانة من[٢] المشركين بالله، المكذِّبين برسله، الجاحدين لآياته، الجاعلين معه إلٰهاً آخرَ إلٰه إلاَّ هو وحده لا شريك له.

ورجَا أميرُ المؤمنين - بما ألهمه الله من ذلك وقذف في قلبه - جزيل الثواب، وكريم المآب، والله تعالى يعين أمير المؤمنين على نِيّته على تَعْزيز الإسلام وأهله، وإذلالِ الشِّرْك وحِزْبه.

فَلْتَعْلَمْ هذا من رأي أمير المؤمنين ولاتستَعِنْ[٣] بأحد من المشركين وأنزِلْ أهل الذمة منازلهم التي أنزلهم الله بها، واقرأ كتابَ أميرِ المؤمنين على أهلِ أعمالك وأشِعْهُ فيهم ولا يَعْلَمْ أميرُ المؤمنين أنك استعنتَ ولا أحدٌ من عُمَّالك وأعوانك بأحد من أهل الذمة في عمل الإسلام.

قلت: ثم لم يزل الخلفاء بعد المتوكل يتداولون كتابة مثل ذلك في كل زمن ويُشدِّدون فيه حتى أن المقتدر بالله في سنة خمس وتسعين ومائتين عَزل كُتَّاب النصاري وعُمَّالهم، وأمر بأن لا يُستعان بأحد من أهل الذمة، وَقَتَل بعضَ النصارى وكتب إلى عماله بها.

نسخته[٤]

عوائدُ الله عند أمير المؤمنين تومي على عَادة[٥] رضاه، ونهاية أمانيه، وليس أحدٌ

---

(١) لا توجد هذه اللفظة في صبح الأعشى.
(٢) كذا هي أيضاً في أصل صبح الأعشى وزاد المحققون: [بأحد] من المشركين.
(٣) في صبح الأعشى: فلتعلم هذا ولا تستعن. (٤) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩.
(٥) في صبح الأعشى: على غاية رضاه.

يُظْهِر عصيانه إلاّ جعله الله عظةً للأنام، وبَادَرَهُ بِعاجل الاصطلام، والله عزيز ذو انتقام، فمن نَكَثَ وطغى وبغى، وخالف أمير المؤمنين، وخالف محمداً ﷺ، وسَعَى في إفساد دولة (٢٥٥ ب) أمير المؤمنين، عاجَلَه أميرُ المؤمنين بسطوته، وطهَّر من رجسه دَوْلَته، والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وقد أمير أمير المؤمنين بترك الاستعانة بأحد من أهل الذمّة، فليحذر العمال تَجاوز أمْر أمير المؤمنين ونواهيه.

وكذلك[١] وقع في زمن الآمر الفاطمي بالديار المصرية، أمر بِكِتَابِ كِتابٍ عنه بإلباس أهل الذمة الغِيَار وإنزالهم بالمنزلة التي أمر الله تعالى أن ينزلوا بها من الذل والصغار، وأمر أن لا يُولَّوْا شيئاً من أعمال الإسلام، وأن ينشأ في ذلك كتابٌ يقف عليه الخاص والعام، فكُتب.

وأوله: الحمد لله المعبود في أرضه وسمائه، والمُجيب دعاء من يَدْعوه بأسمائه.

وهو كتاب طويل[٢] قص عليهم فيه كلّ نكال.

وعلى ذلك جرى ملوك الديار المصرية، إلى أن كان آخر ما كُتب بمثل ذلك عن الملكِ الصالحِ صالحِ بنِ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وخمسين وسبع مائة[٣].

(١) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٦٩.

(٢) انظره في صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٧٠.

(٣) في الأصل: وخمسمائة والتصويب من صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٧٨ وانظر فيه نص الخطاب.

الباب السادس

في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد بالخلافة، والكتب الصادرة إلى الخلفاء وولاة العهد من الملوك ونحوهم، وفيه فصلان:

الفصل الأوَل

في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد.

أما الكتب الصادرة عن الخلفاء

فللكتاب في المكاتبات العامة فيها أربعة مذاهب:

(٢٥٦ أ) المذهب الأوَل

أن يفتتح الكتاب بلفظ: أما بعد، وربما أتى فيه بعد البعدية بالتحميد، إذا كان الكتاب مما يدل على نعمة ظاهرة من فتح أو غيزه، وقد يَنتهي التحميد إلى ثُلُثه، وقد يُقْصر فيه على تحميدة واحدة، وربما أهمل التحميد ووقع الافتتاح بأما بعد فإن أمير المؤمنين.

والأصل في ذلك أن النبي صلى الله عليهم وسلم كان يفتتح كتبه بأما بعد، كما كتب ﷺ إلى نصارى نجران[١].

[بسم الله الرحمن الرحيم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب]

أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عِبادة العباد، وأدعوكم إلى وِلاية الله من وِلاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم[٢] فقد آذنتكم بحرب الإسلام[٣].

وعلى ذلك

كتب[٤] أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حين حُصِر في داره إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه.

---

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣٨١.

(٢) في الأصل: فبالجزية فإن أبيتكم.

(٣) هي كذلك أيضاً في صبح الأعشى وعلق عليها بأن المناسب لها: بحرب والسلام.

(٤) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣٨٨.

أما بعد فقد بلغ السَّيل الزُّبى والحزامُ[1] الطُّبْيَيْن وطَمِع فيَّ كلُّ من كان يَضْعف عن نفسه[2]، ولم يَغْلِبْكَ مثل مُغَلّب. فأقْبِلْ إليَّ صديقاً كنت أم عَدُوًّا

فإن كُنتُ مأكولاً فكُنْ خيرَ آكلٍ   وإلاَّ فأدْرِكْني ولمَّا أُمَزَّقِ

وعلى مثل ذلك كتب[3] يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة وقد خرجوا عن طاعته:

أما بعد، فإن ﴿ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: الآية ١١] وإني واللهِ قد لَبِسْتكم فأخلقتُكم، ورفعتُكُم على رأسي، ثم على عيني، ثم على فمي، ثم على بطني، وأيم اللهِ لئن وضعتكم تحت قدمي لأطَأَنَّكُمْ وطأةً أُقِلُّ بها عددكم، وأترُككم بها أحاديث (٢٥٦ ب) تُنسخ منها أخباركم كأخبار عاد وثمود.

وعلى هذا الأسلوب

كتب عن المعتصم بالله إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأفشين على بابَك ملك الروم، وهو من الفتوح العظيمة في الإسلام.

وهذه نسخته[4]

أما بعد، فالحمد لله الذي جعل العاقبةَ لدينه، والعصمةَ لأوليائه، والعزّ لمن نصره، والفُلجَ لمن أطاعه، والحقَّ لمن عرف حقه، وجعل دائرة السوءِ على من عصاه وصدف عنه، ورغب عن ربوبيته، وابتغى إلّهاً غيره، لا إلّه إلا الله وحده[5] لا شريك له، يحمده أميرُ المؤمنين حمْدَ من لا يعبد غيرَه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفوض أمره إلا إليه، ولا يرجو الخير إلا من عنده، والمزيد إلا من سعة فضله، ولا يستعين في أحواله كلها إلا به، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، وصفوته من عباده، الذي ارتضاه لنبوته، وابتعثه بوحيه، واختصه بكرامته، فأرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. والحمد لله الذي توجه لأمير المؤمنين بصنعه، فيسَّر له أمره، وصدّق له ظنَّه، وأنجح له طِلبَتَه وأنفذ له حيلته، وبلّغ له بغيته[6] وأدرك المسلمون بثأرهم على يده، وقتل عدوهم، وأسكن روعهم، ورحم فاقتهم، وآنس وحشتهم، فأصبحوا آمنين مطمئنين

(١) هي كذلك أيضاً في أصل صبح الأعشى وأضيف إليه [وجاوز] الحزام.
(٢) زيد على أصل صبح الأعشى [عن الدفع] عن نفسه.
(٣) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣٩٠.
(٤) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٠٠.
(٥) في صبح الأعشى: لا إله إلا هو وحده...
(٦) في صبح الأعشى: وبلّغ له محبّته.

مقيمين في ديارهم، متمكنين من أوطانهم، بعد القتل والحرق[1] والتشريد وطول العناء، وتتابع البلاء، مَنًّا من الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به، وصنعاً له فيما وفقه لطلبه، وكرامة زادها فيما أجرى على يده. فالحمد لله كثيراً كما هو أهله، ويرغب إلى الله في تمام نِعَمِه ودوام صنعه، وسعة (٢٥٧ أ) ما عنده بمنّه ولطفه. ولا يعلم أمير المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين وَتَكنُّفِهم إياه من أقطاره، والضغائن التي في قلوبهم على أهله، وما يترصدونه من العداوة، وينطوون عليه من المكايدة، إذ كان هو الظاهرَ عليهم، والآخذ منهم - عدوًّا كان أعظم بلية، ولا أجَلَّ خَطْباً، ولا أشد طلباً[2] ولا أبلغ مكايدة، ولا أرمي بمكروه، من هؤلاء الكفرة الذين يغزوهم المسلمون، فيستعلون عليهم، ويضعون أيديَهم حيث شاءوا منهم، ولا يقبلون لهم صلحاً، ولا يميلون معهم إلى موادعة، وإن كانت لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال يكون من فترات وُلاة الثغور أدنى دولة من دولات الظفر وخُلْسةً من خُلس الحرب، كان مالهم[3] من خوف العاقبة في ذلك مُنَغِّصاً لما تعجّلوا من سروره، وما يتوقعون [من] الدوائر بَعْدُ تكدُّراً[4] لما وصل إليهم من فرحة.

فأما اللعين بابَك وكفرته، فإنهم كانوا يَغْزُون أكثر مما يُغْزَوْنَ، وينالون أكثر مما يُنال منهم، وهم المنحرفون عن الموادعة، المتوحّشون عن المراسلة، ومَنْ أُديلوا من تتابع الدول، ولم يتجافوا[5] عاقبة تدركهم، ولا دائرة تدور عليهم، وكان مما وطّأ ذلك ومكنه لهم أنهم قوم ابتدءُوا أمرهم على حالٍ تشاغلٍ من السلطان، وتتابع من الفتن، واضطراب من الحبل، فاستقبلوا أمرهم بِعزَّة من أنفسهم، وضعف واستشارة[6] ممن باراهم، فأَجْلوا من حولهم لتخلص البلاد لهم، [ثم أخربوا البلاد] ليعِزّ مطلبُهم وتشتد المؤونة وتعظم الكُلْفة، ويَقْوَوْا في ذات أيديهم، فلم يتواف[7] إليهم قواد السلطان إلا وقد توافت إليهم القوة من كل جانب، فاستفحل أمرهم، وعظمت شوكتهم، واشتدت ضراوتهم، واستجمع لهم كيدهم، وكثر عددهم واعتدادهم، وتمكنت المصيبة[8] في صدور الناس منهم، وتحقق في نفوسهم أن كل ما يَعِدُهم الكافر ويمنّيهم أخذٌ باليد (٢٥٧ ب) [وكان الذي بقي عندهم منه كالذي مضى، وبدون هذا ما يُخْتَدَع الأريب] ويُستزل العاقل ويُعتقل الفطن، فكيف من لا فكرةَ له، ولا رويةَ عنده؟

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النِّعم ومنافستهم على ما في أيديهم،

(١) في صبح الأعشى: الخوف.
(٢) في صبح الأعشى: ولا أشد كلباً.
(٣) في صبح الأعشى: كان بمالهم...
(٤) في صبح الأعشى: ولم يخافوا.
(٥) في صبح الأعشى: مكدراً لما وصل.
(٦) في صبح الأعشى: واستثارة.
(٧) في الأصل: فلم يتواق...
(٨) في صبح الأعشى: وتمكنت الهيبة...

وتَقَطُّعِهم حسرات في إثر ما خُصُّوا به، وأنهم إلا يكونهوا يرون أنفسهم أحق بذلك، فإنهم يرون أنفسهم فيه سواء.

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفْضِيَ إليه الخلافة مادًّا عنقه، موجِّهاً همته إلى أن يولِّيه الله أمر هؤلاء الكفرة ويملكه حربهم، ويجعله المقارع[1] لهم عن دينه والمناجز لهم عن حقه، فلم يكن يألوا في ذلك حرصاً وطلباً واحتفالاً[2]، فكان أمير المؤمنين رضي الله عنه يأبى ذلك لضنّه به، وصيانته بقربه، مع الأمر الذي أعده الله وآثره به، ورأى أن شيئاً لا يَفِي بِقِوام الدين وصلاح الأمر.

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته، وأطلق الأمر في يده، لم يكن شيء أحبَّ إليه ولا آخذَ بقلبه من المعاجلة للكافر وكفرته، فأعزه الله وأعانه الله، فلله الحمد على ذلك وتيسُّرِه، فأعد من أمواله أحصرها[3]، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب وأنهضهم بالمعضلات، ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آبائه - صلوات الله عليهم - أحسنهم طاعة، وأشدهم نكاية، وأكثرهم عدة، ثم أتبع الأموال بالأموال، والرجال بالرجال، من خاصة مواليه وعدد غلمانه، وقبل ذلك ما اتّكَلَ عليه من صنع الله جل وعز، ووجَّه إليه من رغبته[4] فكيف رأى الكافرُ اللعينُ وأصحابُه الملاعينُ؟ أغلم يُكذب اللهُ ظنونَهم، ويَشْفِ صدور أوليائه منهم، فقتلوهم كيف شاءوا في كل موطن ومعترك، ما دامت عند أنفسهم مقاومة.

فلما ونوا وقلوا[5] وكرهوا الموت، صاروا لا يتراءَوْن إلا في رؤوس الجبال ومضايق الطرق وخلف الأودية ومن وراءِ الأنهار، وحيث لا تنالهم الخيل، حبا للمطاولة[6] وانتظاراً للدوائر، فكادهم الله عند ذلك وهو خير (٢٥٨ أ) الكائدين، واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أنفسهم، فجعلوا اعتصامهم لِحَيْنٍ لهم، وصنع لأوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى، فجمعهم وحصرهم كي لا تبقى منهم بقية، ولا يُترجى لهم عاقبة، ولا يكونَ الدين إلا لله، ولا العاقبة إلا لأوليائه، ولا التَّعْس والنَّكْس إلا لمن خذله.

فلما حَصرهم الله تعالى وحبسهم[7] ودانتْهم مصارعُهم، سلطهم الله عليهم كَيَدِ

(١) في الأصل: القارع.
(٢) في صبح الأعشى: حرصاً وطلباً واحتيالاً.
(٣) في صبح الأعشى: فأعد من أمواله أخطرها.
(٤) في صبح الأعشى: ووجه إليه من رعيته.
(٥) في صبح الأعشى: فلما زلوا وقلوا.
(٦) في صبح الأعشى: حصنا للمطاولة...
(٧) في صبح الأعشى: وحبسهم عليهم.

واحدة، يختطفونهم بسيوفهم، وينتظمونهم برماحهم، فلا يجدون ملجأ ولا مهرباً، ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وخدمهم[1] وصير الدار دارهم والمَحِلَّة مَحِلَّتَهم، والأموال قَسْماً بينهم، والأهل إماء وعبيداً لهم، وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء وأعطاهم من الرحمة والثواب، وما أعد لأولئك من الخزي والعقاب، وصار الكافر بابك لا في من قُتل فيسلم من ذلك الغلبة، ولا فيمن نجا فعاين في الحياة بعضَ العوَض، ولا فيمن أُصيب فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه، ولكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسَدّ مذاهبه، وتركه مُلَدَّداً بين الذل والخوف، والغصَّة والحسرة، حتى إذا ذاق طعمَ ذلك كله وفهمه، وعرف بموقع المصيبة، وظن مع ذلك كله أنه على طريق من النجاة، فأضرب اللهُ وَجهه، وأعمى بصره، وسد سبيله، وأخذ بسمعه وبصره، وحازه إلى من لا يرقّ له، ولا يرثى لمصرعه، فامتثل ما أمر به الأفْشِين (حيدر بن طاووس) مولى أمير المؤمنين في أمره فبثَّ له الحبائل، ووضع عليه الأرصاد، ونصب له الأشراك حتى أظفره الله به أسيره ذليلاً مُوثَقاً في الحديد، يراه في تلك الحالة من كاد يراه ربًّا، ويرى الدائرةَ عليه مَنْ كان يظنُّ أنها ستكون له.

فالحمد لله الذي أعز دينه، وأظهر حجته، ونصر أولياءه وأهلك أعداءه، حمداً يُقْضَى به الحق وتتم به النعمة، (٢٥٨ ب) وتتصل به الزيادة.

والحمدُ لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقّق ظنه وأنجح سعيه، وحاز له هذا الفتح وذُخره وشرفه، وجعله خالصاً لتمامه، وكمله بأكمل الصُّنع وأحسن الكفاية، ولم ير يوماً[2] فيه يقذى عينه، ولا خلا من سرور يراه، وبشارة تَتجدَّد له عنه، فما يدري أميرُ المؤمنين ما مُتّع فيه من الأمل، أو ما خُتم له من الظفر، فالحمد لله أولاً، والحمد لله على عطاياه التي لا تُحصى، ونعمه التي لا تنسى[3].

المذهب الثاني

فيما يكتب عن الخلفاءِ من الكتب أن يفتتح الكتاب بلفظ: من فلان إلى فلان.

والأصل في ذلك أن معظم كتب النبي ﷺ الصادرة عنه كانت على هذا النمط.

كما كتب[4] عنه ﷺ إلى هرقل ملك الروم: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتّبع الهدى.

أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَم، أَسْلِمْ يُؤْتك اللهُ أجرَك مرتَين، فإن

(١) في صبح الأعشى: وحرمهم.
(٢) في صبح الأعشى: ولم ير بؤساً فيه ما يقذي عينه.
(٣) زاد في صبح الأعشى بعده: «إن شاء الله تعالى».
(٤) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣٧٦.

تولّيت فإنّ عليك إثْمَ الأريسيِّين و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤] .

وكان أبو بكر رضي الله عنه في خلافته يُكتَبَ عنه: من أبي بكر خليفة رسول الله، ثم الباقي من نِسْبَةِ ما يُكتب عن النبي ﷺ.

ثم كُتب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول خلافته: من عمر خليفة رسول الله ﷺ، إلى أن لُقب بأمير المؤمنين فكتب (٢٥٩ أ) من عمر أمير المؤمنين، فلزمها مَن بعده من الخلفاء إلى أن كانت خلافة المأمون، فزاد بعد التحميد: وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، فتبعه من بعده مِن الخلفاء على ذلك، ثم يؤتي بالبعدية ويدعى للخليفة مثل: أطال الله بقاءك، ونحوه، ثم يؤتي على المقصود، وكان ﷺ يكتب في كتبه إلى أصحابه بعدَ مِنْ محمد رسول الله: سلامٌ عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

وهذه نسخة كتاب كُتب به عن أبي بكر الصديق[1] رضي الله عنه إلى أهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ وهي:

من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بَلَغَهُ كتابي هذا من عامَّة وخاصة، أقام على الإسلام أو رجع عنه:

سلام على من اتبع الهدي، ولم يرجع بعد الهدي إلى الضلالة والعَمَى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلَه إلا هو، وأشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأقر بما جاء به [وأكَفِّرُ مَنْ أَبَى وأجاهده][2].

أما بعد، فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠﴾ [يس: الآية ٧٠] يهدي الله للحق من أجا إليه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم توفى رسول الله ﷺ، وقد نَفَّذَ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزمر: الآية ٣٠] وقال ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ [الانبياء الآية ٣٤] وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن (٢٥٩ب) قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۚ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد

---

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣٨٤.

(٢) الزيادة في صبح الأعشى نقلاً عن «العبر» أما أصله فلا توجد فيه.

مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد، حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه بحِزبه. وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاء به نبيكم، وأن تهتدوا بهديه، وأن تعتصموا بدين الله، فإنه من لم يهده الله ضل، ومن لم يعافه مبتلي، وكل من لم ينصره مخذول، فمن هداه الله كان مهديّاً، ومن أضله كان ضالاً: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: الآية ١٧] ولم يُقبل منه في الدنيا عمل حتى يُقِرَّ به، ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بَلَغني رجوعُ من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [الكهف: الآية ٥٠] . وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: الآية ٦] ، وإني أنفذتُ إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألاّ يُعاجِلَ أحداً ولا يقتله[1] حتى يدعوه إلى ما عند الله[2]، فمن استجاب له وأقر وكفّ وعمل صالحاً قَبِلَ منه وأعانه عليه، ومن أبي أمرتُه أن يقاتلَه على ذلك، ولا يُبْقِيَ على أحد منهم قَدَرَ عليه، وأن يحرقهم بالنيران، ويقتلهم كل قِتْلة، ويسبى النساء والذَّراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن آمن فهو خير له، ومن تركه فلن يُعْجِزَ الله، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعيةُ الأذانُ، (٢٦٠ أ) فإن أذَّن المسلمون فأذَّنوا كُفُّوا عنهم، وإن لم يُؤَذِّنوا سَلُوهم[3] عَمّا عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرُّوا قَبِلَ منهم وحملهم على ما ينبغي لهم.

وهذه نسخة كتاب[4]

كتب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص وقد بلغه فاشيةُ مال فشت له وهو يومئذ أمير مصر وهي:

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص، سلام عليك.

أما بعد فإنه قد بلغني أنه فشتْ لك فاشيةٌ من خيل وإبل وبقر وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك ولا مال لك، فاكتُبْ إليَّ من أين أصلُ هذا المال.

(١) في صبح الأعشى: وألا يقاتل أحداً ولا يقتله.

(٢) في صبح الأعشى: حتى يدعوه إلى داعية الله.

(٣) زاد محققو صبح الأعشى نقلاً عن الطبري: وإن لم يؤذنوا [عاجلوهم وإن أذنوا] سلوهم.

(٤) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣٨٦.

وهذه نسخة كتاب من ذلك[1]

كتب به عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف وقد بلغه أنه تعرض لأنس بن مالك رضي الله عنه وهي:

من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف: أما بعد فإنك عَبْد قد علت بك الأمور فطغيت، وعلوت فيها حتى جُزت حدّ قدرك، وعَدَوْت طَوْرك، وأيمُ اللهِ لأغْمِزَنَّك كعض غَمَزَات الليوثِ الثعالِبَ، ولأركُضَنَّكَ ركضة تدخل منها في وَجْعَاء أمُك، اذكر مكاسب آبائك في الطائف، إذ كانوا ينقلون الحجارة على أعناقهم، وحفرون الآبار والمَنَاهر بأيديهم، قد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدَّناءة واللُّؤم والضَّراعة، وقد بلغ أميرَ المؤمنين من استطالتك على[2] أنس بن مالك، جُرْأَةً منك على أمير المؤمنين، وغِرَّة بمعرفةِ غِيَرِه ونَقِمَاته وسَطَواته على من خالف سبيله وعمد إلى غير محجَّته، ونزل عند سخطه[3] وأظنك أردت أن تَرُوزَه بها فتعلم ما عنده (٢٦٠ ب) من التغيير والتنكير فيها، فإن سُوِّغْتَها نَصَبْت[4] قُدُماً، وإن غُصِّصْتَها[5] ولَّيت دُبراً، أيها العبد الأخفش العينين، الأصكُّ الرِّجلين، الممسوح الجاعِرَتين، ولن يخفى على أمير المسلمين[6] نبؤك، و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: الآية ٦٧]

وهذه نسخة كتاب على هذه الطريقة[7]

كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع إلى صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه، عند قبضه على كردويه الكردي، شاكراً همته في ذلك، في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، وهي:

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار ابن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين.

سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إلّه إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ.

---

(١) صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٨٩.

(٢) في صبح الأعشى: من استطالة منك.

(٣) في صبح الأعشى: عند سخطته.

(٤) في صبح الأعشى: مضيت قدماً.

(٥) في صبح الأعشى: غصصت بها.

(٦) كذا هي في الأصل وفي صبح الأعشى: عن أمير المؤمنين.

(٧) صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٩٦.

أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بوأك المنزلة العليا، وأنالك من أُثْرَتِهِ الغاية القصوى، وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القَدْر والمحلّ، والموضع الأرفع الأجَلّ، فإنه يوجب لك عند ذلك[1] أثراً يكون لك في الخدمة، ومَقاماً حميداً[2] تَقُومه في حماية البَيْضة، إنعاماً بتظاهُرِه، وإكراماً بتتابعه وتواترِه[3]، والله يؤيدك من توفيقه وتسديده، ويمدك بمعونته وتأييده، ويَخير لأمير المؤمنين فيما رأيه مستمر عليه من مَزيدك وتمكينك، والإبقاء بك وتعظيمك، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب.

وقد عرفْتَ - أدام الله عزك - ما كان من أمر كردويه كافر نعمة أمير المؤمنين ونعمتك، وجاحد صنعه وصنيعك، في الوثبة التي وثبها، والكبيرة التي ارتكبها، وتقديره[4] (٢٦١ أ) أن ينتهز الفرصة التي لم يمكنه الله منها، بل كان [من] وراء [ذلك] دفعه ورده عنها، ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله نارها، وأتبعه عارها وشنارها، حتى انهزم والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة على أقبح أحوال الذلة والقِلّة، بعد القتل الذريع، والإثخان الوجيع.

فالحمد لله على هذه النعمة التي جلَّ موقعها، وبان على الخاصة والعامة أثرها، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرُها، والحديث بها، وهو المسئول عن إقامتها وإدامتها برحمته.

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم، والمقام المجيد الكريم، بخلع تامة، ودابتين ومركبين ذهباً من مراكبه، وسيف وطوق وسوار مرصع، فتلقَّ ذلك بالشكر عليه والاعتداد بنعمته فيه، والبس خِلع أمير المؤمنين وتكرِمته، وسر من بابه على حملاته، وأظهر ما حباك به لأهل حضرته، ليُعِزَّ بذلك وليّه ووليك، ويذل عدوّه وعدوّك [إن شاء الله تعالى] والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وعلى نحو من هذه الطريقة[5]

كُتب عن الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ثاني خلفاء بني العباس بالديار المصرية إلى الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يوسف

(١) في صبح الأعشى: فإنه يوجب لك عند بذلك....
(٢) في صبح الأعشى: ومقامَ حمده تقومه....
(٣) في صبح الأعشى. إنعاماً يظاهره، وإكراماً يتابعه ويواتره.
(٤) في صبح الأعشى: وتقريره.
(٥) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٢١.

صاحب اليمن من ملوك بني رَسول في الدولة الناصرية محمد ابن قلاوون في سنة سبع وسبعمائة حين منع صاحب اليمن الهدية التي جرت العادة بحملها من ملوك اليمن إلى ملوك الديار المصرية، يهدده فيه، ويطلبه بالقيام معه في المساعدة له على التتار بمال يبعث به إليه، مصدراً بآية من القرآن متبعاً للتصدير بخطبة، وهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ (٢٦١ب) وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: الآية ٥٩].

من عبد الله ووليه أبي الربيع سليمان.

أما بعدَ حَمْدِ الله مانح القلوب السليمة هداها، ومرشدِ العقول إلى أمر مَعادها ومَبْداها، وموفِّق من اختاره إلى محجة صواب لا يضل سالكها، ولا تُظْلِمُ عند اختلاف الأمور العظام مسالكُها، وملهم من اصطفاه لابتغاء[1] آثار السنن النبوية، والعمل بموجبات القواعد الشرعية، والانتظام في سلك من طوّقتْه الخلافة عقودَها، وأفاضت على سُدّته الجليلة بُرُودَها، وملّكَتْه أقاصِيَ البلاد، وأناطته[2] بأحكامه السديدة أُمورَ العباد، وسارت تحت خوافق[3] أعلامه أعلام الملوك والأكاسرة، وشُيِّدت بأحكامه مناجح الدنيا ومصالح الآخرة، وتبختر كل منبر من ذكره في ثوب من السيادة مُعْلَم، وتهللت من ألقابه الشريفة أسارير كل دينار ودرهم.

يحمده أمير المؤمنين على أن جعل أُمور الخلافة ببني العباس منوطة، وجعلها كلمة باقية في عَقِبِه إل يوم القيامةِ مَحوطة، ويصلي على ابن عمه محمد الذي أخمد الله بمبعثه ما ثار من الفتن، وأطفأ برسالته ما اضطرم من نار الإحنِ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حموا حمى الخلافة وذادوا عن مواردها، وعمدوا إلى تشييد[4] المعالم الدينية فأقاموها على قواعدها، صلاةً دائمة الغُدُوِّ والرواح، متصلاً أَوَّلُها بطرة الليل وآخرها بجبين الصباح، هذا وإن الدين الذي فرض الله على الكافة الانضمام إلى شَعبه، وأَطْلَعَ فيه شموس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب في غربه، جعل الله حكمه بأمرنا منوطاً، وفي سِلْك أحكامنا مخروطاً، وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفاً طال نِجاده، وكثر أعوانه وأنجاده، وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية فإلى حرمنا تُجْبَى ثمراتُها، ويرجع[5] إلى ديواننا العزيز (٢٦٢ أ) نفيُها وإثباتها، يخلف الأسد في غابِهِ إن مضى شبله، ويُلْفَيَ في الخُبْرِ والخَبَرِ مثلُه.

---

(١) في صبح الأعشى: وملهم من اصطفاه لاقتفاء....

(٢) في صبح الأعشى: وأناطت بأحكامه....

(٣) في الأصل: خواص.

(٤) في صبح الأعشى: وعمدوا إلى تمهيد المعالم....

(٥) في صبح الأعشى: ويرفع إلى ديواننا العزيز....

ولما أفاض اللهُ تعالى علينا حُلَّةَ الخلافة، وجعل محلنا الشريف محل الرحمة والرأفة، وأقعدنا على سُدّة خلافة طالما أشرقت بالخلائف من آبائنا، وابتهجت بالسادة الغطاريف من أسلافنا، وألبسنا خلعة من سواد السؤدد مصبوغة، ومن سواد العيون وسويداء القلوب مصوغة، أمضينا على سدتنا الشريفة أمر الخاص والعام، وقلّدنا كل إقليم من أعمالنا من يصلح لسياسته على الدوام، واستكفينا بالكُفاة من عمالنا على أعمالنا، واتخذنا مصر دار مُقامنا، وبها سُدَّة مقامنا، لما كانت في هذا العصر قبةَ الإسلام وفيئة الإمام، وثانية دار السلام، تعين علينا أن نتصفح جرائد أعمالنا، ونتأمل نظام عمالنا، مكاناً مكاناً، وزماناً زماناً، فتصفحناها فوجدنا قطر اليمن خالياً من ولايتنا في هذا الزمن، عرّفنا هذا الأمر من اتخذناه للممالك الإسلامية عيناً وقلباً، وصدراً ولُبّاً، وفوضنا إليه أمر الممالك الإسلامية فقام فيها مقاماً أقعد الأضداد، وأحسن في ترتيب ممالكها نهاية الإصدار وغاية الإيراد، وهو السلطان الأجَلّ، السيد الملك الناصر المبجل، لازالت أسباب المصالح على يديه جارية، وسحابة الإحسان من أفق راحته سارية، فلم يُعِدْ جواباً لما ذكرناه، ولا عذراً عما أبديناه، إلا بتجهيز شرذمة من جحافله المشهورة، وتعيين أناس من فوارسه المذكورة، يقتحمون الأهوال، ولا يعبأون بتغييرات الأحوال، يرون الموت مغنماً إن صادفوه، وشَبا المُرهف مكتسباً إن صافحوه، لا يشربون سوى الدماءِ مدامة[1]، ولا يلبسون غير السرابيل[2] عِمامة، ولا يعرفون طرباً إلا ما أصدره صليل الحسام من (٢٦٢ ب) غِنا، ولا ينزلون قفراً إلا ونبت ساعة نزولهم من قَنا. ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجعنا رأينا الشريف، فاقتضى أن يكاتب مَن بسطَ يده في ممالكها، واحتاط على جميع مسالكها، واتخذ أهلها خَوَلاً، وأبدى في خلال ديارها من عدم سياسة خللاً، برز مرسومنا الشريف النبوي أن يكاتب من قعد على تخت مملكتها، وتصرف في جميع أُمور دولتها، فطولع بأنه ولد السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر الذي له شبهة تمسك بأذيال المواقف المستعصمية، وهو مستصحب الحال على زعمه، أوَ ما علم الفرق بين الأحياء والأموات؟ أوَ ما تحقق الحال التي بين النفي والإثبات؟، أصدرناها إلى الرحاب التعزِّيَّة، والمعالم اليمنية، تشعر من تولى عنها فاستبدّ، وتولَّى كِبره فلم يعرج على أحد، أن أمر اليمن ما برحت نوابنا تحكم فيه بالولاية الصحيحة[3]، والتفويضات التي هي غير جريحة، وما زالت تحمل إلى بيت المال المعمور ما تمشى به الجمال رويداً[4]، وتقذفه بطون

---

(١) في صبح الأعشى: لا يشربون سوى المدام مدامة (والمدام: المطر الدائم).

(٢) في صبح الأعشى: ولا يلبسون غير الترائك عمامة.

(٣) في صبح الأعشى: تحكم فيه بالآية الصحيحة.

(٤) في صبح الأعشى: تمشي به الجمال مشياً وئيداً.

الجواري إلى ظهور اليعملات وليداً، ويطالعنا بأمر مصالحه ومفاسده، وبحال دياره ومعاهده، ولك أسوة بوالدك فلان، هلا اقتفيت ما سنه من آثاره، ونقلت ما دونته أيدي الزمن من أخباره.

واتصل بمواقفنا الشريفة أمور صدرت منك.

منها - وهي العظمى التي ترتب عليها ما ترتب - قطع الميرة عن البيت الحرام، وقد علمت أنه واد غير ذي زرع، ولا يحل لأحد أن يتطرق إليه بمنع.

ومنها انصبابك إلى تفريغ مال بيت المال في شِرَى[1] لهو الحديث، ونقض العهود القديمة بما تبديه من حديث.

ومنها تعطيل أجياد المنابر من عقود اسمنا، وخلوّ تلك الأماكن من أمور عقدنا وحلنا، ولو أوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطال، ولاتسعت فيه دائرة المقال، (٢٦٣ أ) رسمْنا بها والسيف يود لو سبق القلمَ حَدُّه، والعلَمُ المنصور يود ما فات العلم واهتز بتلك الروابي قَدُّه، والكتائب المنصورة تختار لو بَدَرَتْ عنوانَ الكتاب، وأهل العزم والحزم يودون إليك إعمال الرُكاب، والجواري المنشآت قد تكونت من ليل ونهار، وبرزت كَصُوَرِ الأفيلة لكنها على وجه الماءِ كالأطيار، وما عمدنا إلى مكاتبتك إلا للإنذار، ولا احتجنا إلى مخاطبتك إلا للإعذار، فأقلع عما أنت بصدده من الخيلاءِ والإعجاب، وانتظم في سلك من استخلفناه فأخذ بيمينه ما أُعطي من كتاب، وصُنْ بالطاعة من زعمتَ أنهم مقيمون تحت لواءِ عَلَمك، ومنتظمون في سلك أوامر كَلِمك، وداخلون تحت طاعة قلمك، فلسنا نشنّ الغارات على من نطق بالشهادتين لسانُه وقلبُه، وامتثل أوامرَ الله المطاعةَ عقلُه ولبُّه، ودان بما يجب من الديانة، وتقلّد عقود الصلاح والْتَحَف مطارفَ الأمانة، ولسنا ممن يأمر بتجريد سيف إلا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا، فأصدرنا مرسومنا هذا إليه يقص عليه من أنباء حلمنا ما أطال مدة دولته، وشيّد قواعد صولته، ونستدعي منه رسولاً إلى مواقفنا الشريفة، ورحاب ممالكنا المُنيفة، لينوب عنه في قبول الولاية مَنابَ نفسه، ولْيجْنِ بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غَرَسَ شجرَ طاعتها - وَمِن سعادة المرءِ أن يجني ثمار غرسه - بعد أن يُصحبه من ذخائر الأموال ما كَثُرَ قيمةً وخَفَّ حَمْلاً، وتعالى رتبةً وحسن مِثْلاً، واشْرُط على نفسك في كل سنة قطيعة ترفعها إلى بيت المال، وإياك ثم إياك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال، ورتِّبْ جيشاً مقيماً تحت علم السلطان الأجل الملك الناصر للقاء العدو المخذول التتار، ألحق الله أولَهم بالهلاك وآخرهم بالبوار، وقد علمتَ (٢٦٣ ب) تفاصيلَ أحوالهم المشهورة، وتواريخ سيرهم المذكورة، فاحرص على أن يَخُصّك من هذا المشرب

(١) في صبح الأعشى: في شراء لهو الحديث...

السائغ أَوْفَرُ نصيب، وأن تكون ممن جهَّز جيشاً في سبيل الله فرمى بسهم فله أجرٌ مُصيباً كان أو غيرَ مُصيب، ليعود رسولُك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملاً أعلامنا[1] المنصورة، شاكراً بِرَّ مواقفنا المبرورة، وإن آلَ حالك إلى[2] أن استمرَّيْتَ على غيِّك، واسْتَمْرَيْت مرعى بَغْيك، فقد منعناك التصرف في البلاد، والنظر في أحكام العباد، حتى تَطأ خيلُنا العتاق مُشْمَخِرَّاتِ حُصونك، وتُعجِّل حينئذ ساعةَ مَنُونِك، وما أعلمناك غيرَ ما عَلِمه قَلْبُك، ولا فَهَّمناك غير ما حَدَسَه لُبُّك، ولا تكن كالصغير يَزيده كثرةُ التحريك نَوْماً، ولا ممن غَرَّه الإمهال يوماً فيوماً. أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه، موفقاً إن شاء الله تعالى.

وعلى نحو من هذه الطريقة في الابتداء

كان يكتب عن الإمام المستعين بالله أبي الفضل العباس ابن المتوكل على الله حين استقلّ بالخلافة والسلطنة، مع زيادة في ألقاب الخليفة، وإثبات ألقاب المكتوب إليه التي يُكتَب إليه بها في المكاتبات السلطانية. فكان يكتب عنه لمن رتبته المَقَرُّ الكريم: من عبد الله ووليّه الإمامِ المستعين بالله أبي الفضل أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، وخليفة رب العالمين، المُفْتَرَضِ طاعتهُ على سائر الخلائق أجمعين، أعزَّ الله ببقائه الدين، وأمتع به الإسلام والمسلمين، إلى المَقَرِّ الكريم، أو: إلى الجناب الكريم، أو الجناب العالي، أو: المجلس العالي، أو: المجلس السامي أو: مجلس الأمير، بالألقاب التي يُكتب بها عن السلطان من ديوان الإنشاء الآن، وكذلك في سائر الرتب.

(٢٦٤ أ) المذهب الثالث

مما يكتب عن الخلفاء أن يفتح الكتاب بخطبة، ثم يؤتى بِبَعْدِيَّة و[3]، منها إلى مقصد الكتاب.

وعلى ذلك كُتِب عن الإمام الحاكم بأمر الله

أبي العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان إلى السلطان الملكَ الناصر أحمد بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون مُسْتَدْعًى من الكَرَك إلى الديار المصرية لتقليده السلطنة، بعد خلع أخيه الأشرف كُجُك بن الناصر محمد بن قلاوون، وإمساك الأمير قُوصُون ومن معه من الأمراء، من إنشاء المَقَرِّ الشهابي بن فضل الله تغمده الله برحمته.

---

(١) في صبح الأعشى: حاملاً أهلة أعلامنا.

(٢) في صبح الأعشى: وإن أبي حالك إلا أن.

(٣) هنا فراغ صغير لعله أيضاً: و[يخلص] منها.

وهذه نسخته[1] مصدرة بآية من القرآن

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: الآية ٢٠] .

فالحمدُ لله الذي أسبغ نِعمه الظاهرة والباطنة، وألف قلوب أوليائه المُتَّفقة والمُتباينة، وأخذ بنواصي أعدائه الكاذبة المائنة[2]، وأعلى جَدَّ هذه الدولة القاهرة، وأطلع في أسنَّة العوالي نُجومَها الزاهرة، وحرَّك لها العزائم فلمكتْ والأمورُ - بحمد الله - ساكنة، والبلاد واطنةٌ لله آمنة[3]، والرعايا في مَظانِّها[4] قاطنة، والسيوف في أغمادها مثل النيران في قلوب حُسَّادها كامنة، وأقام أهلَ الطاعة بالفرض، واستوفى منهم القَرْض[5] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا (٢٦٤ب) الْأَرْضَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٤] وأعز أنصار المقام العالي وأعز نصره، وأعد لعدوه حصره، وأتى بدولته الغراء تسمو شموسُها، وتثمر غُروسُها [وتظهر في حلل الصباح المشرق عروسها][6] وتجيء منه بخير راع للرعية يسوسها، وبشره بالملك والدوام، [وسره بما اجتمع له من طاعة الأنام، وأقدمه على كرسي مُلْكِه تُظلُّه الغمام][7] وأراه يوم أعدائه وكان لا يظن أن يرى في المنام، ولا يزال مؤيد الهمم، مؤكد الذِّمَم، مجدد البيعة على رقاب الأمم، ولا برحت أيامه المقبلة مقبلة بالنعم، خضر الأكناف على رغم من كاد وغيظ من رَغِم، ولا فتئت عهود سلفه الشريفة تُنشأ له كما كانت، ورعاياه تَدين له بما دانت، وجنوده تفديه من النفوس بأعز ما ذخرت وما صانت، وسعادة سلطانه تكشف الغُمم، وتنشر الرِّمم[8]، وتعيد إلى أنوف أهل الأَنَفة الشَّمم، وتحفظ على ما بقي[9] لأوليائه من بياض الوجوه وسواد اللِّمَم.

سَطَّرها وأصدرها وقد حُقِّقت بعوائد الله الظنون، وصَدَّقت الخواطرَ العيون، وأنجز الله وعده، وأتم سعده، وجمع على مقامه الكريم قلوب أوليائه، وفَرَّقَ فِرَقَ عدوه بإجابة ندائه[10]، ووطّد لرقيه المنابر، ورجّل لتلقيه[11] العساكر، وهيّأ لِمقَاتل أعدائه في أيدي

---

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٢٦.

(٢) في صبح الأعشى: أعدائه المراجعة والبائنة.

(٣) في صبح الأعشى: والبلاد - والمِنَّة لله - آمنة. وهو أحسن.

(٤) في صبح الأعشى: في مكانها.

(٥) في صبح الأعشى: واستوفي بهم القرض.

(٦) الزيادة من صبح الأعشى.

(٧) الزيادة من صبح الأعشى.

(٨) في صبح الأعشى وتنشر الذمم.

(٩) في صبح الأعشى: وتحفظ ما بقي.

(١٠) في صبح الأعشى: وأباته بدائه.

(١١) في صبح الأعشى: ورجّل لترقيه العساكر.

أوليائه السيوف البواتر، وأخفق[1] قوصون وأمسك، ونُهب ماله واستهلك، وهدمت أبنيته، وخُرِّبت دياره، وقلِعت آثاره، وأخليت خزائنه، [وأخرجت من بطون الأرض دفائنه، وما منعت عنه تلك الربائب][2] التي ظنها قساور، ولا ناضلت تلك القسى التي طبعها أساور، ولا أغنى عنه ذلك المال الذي ذهب، ولا ذلك الجوهر الذي كان عَرَضاً لمن نهب، وأعيد إلى المهد ذلك الطفل الذي أكل الدنيا باسمه، وقهر أبناءها بحكمه، وموه به على الناس، وأخلى له الغاب وما خرج من الكِناس، وغالب به الغَلَب حتى وطئ الراب، وداس الأعقاب، وخادع وذَلَّهُ الشيطان بغروره، ودلس عليه عاقبة أموره، فاعْتَدَّ بعتاده، واغترّ بعناده[3] واغتر بأن الأرض له وما علم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، فأمسك ومعه رؤوس من أشياعه، وحَصِرت بالخوف (٢٦٥ أ) نفوس أتباعه، ومنهم الطنبغا، وقد أحاد به العِلم الشريف بكيفية وصوله وحقيقة الخبر، وما قاساه في طريقه من العِبَر، وداس عليه حتى وصل من وخز الإبر، وكذلك من جاءَ معه، وخلّف وراءه الحق وتبعه، بعد الهزيمة التي ألجأهم إليها خوف العساكر المنصورة التي قعدت لهم على الطريق، وأخذت عليهم بمدارج أنفاسهم في فم المضيق، وعُبئت لهم صفوف الرجال، وأعدت لهم حتوف الآجال، وحيرتهم في سعة الفجاج، وأرتهم بوارق الموت في سحب العَجاج، ثم لم يصلوا إلا وهم أشلاء ممزقة، وأعضاء مفرقة، قد فنى تحتهم الظهر، وفنى[4] بيومهم الدهر، وساقتهم سعادة سلطان المقام العالي إلى شقاوتهم وهم رقود، وعُبئت لهم الخيل والخلع إلا أنها ملابس الذل وهي القيود، فأُخذوا جميعاً هم ومن كانوا على موالاته، وفارقوا الجماعة لمواتاته، وحُملوا إلى المجلس[5] النائي المكان، وأُودعوا أحياءً في ملحدة إلا أنهم كالأموات، وقد فاتوا[6] المقصد إلا أنهم ما أمنوا الفوات، ووكُل بحفظهم إلى أن يُشَرَّف سرير الملك بقعود مقامه وعقود أيامه الحوالي، وسعود زمانه التي أزهرت بطلوعها الليالي[7].

وهذا النصر إنما تهيأت - ولله الحمد - أسبابه، وهذا الفتح إنما فتحت بمشيئة الله أبوابه، بِمِنَّة الله تعالى ونية المقام العالي لا بمنة أحد، ولا بشدة بأس من أقر[8]، ولا يأس من جحد[9]، وما قضى الله تعالى به من سعادة هذه الأيام. ومضى به القدر السابق وعلى

---

(١) في صبح الأعشى: وأخذ توصون....
(٢) الزيادة من صبح الأعشى.
(٣) في صبح الأعشى: واعتز بقياده.
(٤) في صبح الأعشى: وفني بيومهم الدهر.
(٥) في صبح الأعشى: وحملوا إلى الحبس النائي...
(٦) في صبح الأعشى: وقد نالوا المقصد...
(٧) في صبح الأعشى: وسعود زمانه الذي لا يحتم بالنجوم إلا خدم الليالي.
(٨) في صبح الأعشى: ولا بمنة بأس من أقدر.
(٩) في صبح الأعشى: ولا يأس من حجر.

الله التمام، وبمظافرة الجَناب الكريم السيفي، قطلوبغا الفخري الساقي الناصري، أدام الله نصرته بهذه العصابة المؤيدة، وبمضاء عزائمه التي ما ونت، وقضاء قواضبه التي ما انثنت، وبمؤازرة من التفَّ عليه من أكابر الأُمراءِ، وبما أجمعوا عليه من مظافرة الآراء، ونزولهم على التيه لا يضر بهم من خذلهم[١]، ولا يهينهم من بذلهم، ولا يبالون (٢٦٥ ب) بعساكر دمشق المقيمة على حلب ومن مال إليهم، وتمالأ معهم عليهم، ومن انضاف إليهم من جنود البلاد، وجيوش العناد، ولا لواهم ما كان يَبْعَثُ إليهم ذلك الخائنُ من وعيده، ولا ولآهم ما كاد يخطف أبصارهم من تهديده، ولا بَالَوْا بما تألب[٢] به عليهم جند الشام من كل أوب، وصب عليهم سيوله من كل صوب، وخادعهم بالرسائل التي ما تزيدهم عليه إلا إباء، ولا تشككهم أن السيف أصدق منه إنباء، حتى ولّى لا تنفعه الخدع، ولا تنصره البدع، فما أسعدته تلك الجموع التي جمعها، ولا أجابته تلك الخيول[٣] التي سار عليها إلى مكمن أجله، ولا وَقَتْهُ تلك السيوف التي لم يظهر له من بوارقها إلا حمرة خجله، حتى أُخذ مع طاغيته بل طاغوته بمصر ذلك الأخذَ الوبيل، وقُذف به إلى مهوى هلكِه سَيْلُ ذلك السبيل، وقام من بالديار المصرية قيام رجل واحد، وتظافروا على إزالة ذلك الكافر النعمة الجاحد، ولم يبق من الأُمراءِ إلا من بذل الجهد، وجمع قلوب الرعية والجند، وفعل في الخدمة الشريفة ما لم يكن منه بد، حتى حُمِد الأمر، وخَمد الجمر، وتواترت الكت بما عمت به البشرى، من إقامة البيعة باسمه الكريم، وأنه لم يبق إلا من أعطى اليمين وأُعطِي الثمين[٤]، وأتم الحَلِفَ إتماماً لا يغدر معه يمين[٥]، وأُقيمت له السّكّة والخطبة ورفع على المنابر اسمه وتهلل بهوجه النقود، وظهر على أسارير الوجود، وضُربت البشائر، وَنهبتِ المسرَّاتُ السرائر، وتشوقت أولياءُ هذه الدولة القاهرة - أدام الله سلطانها - إلى حضور ملكها، وسُفُور الصباح لإذهاب ما أبقته عقائب[٦] تلك الليلة من حَلَكِها، والمقام العالي ما يزداد عِلْماً، ولا يُزاد عزماً، وهو أدرى بما في التأخير، وبما في بعده من الضرر (٢٦٦ أ) الكثير، ومثله لا يُعلَّم، ومنه يُتَعلَّم، فهو أعلم بما يجب من مسابقة قدومه للبشير، وما يتعين من معاجلته لامتطاء جواديه ظهر الحصان[٧] وبطن السرير، فالله الله. في تعجيل حفظ هذا السوام

---

(١) في الأعشى: على النية لا يضرهم.
(٢) في صبح الأعشى: ولا بالوا بما ألب عليهم من جند....
(٣) في صبح الأعشى: الجنود.
(٤) في صبح الأعشى: وأنه لم يبق منهم إلا من أعطَى اليمين وأعطي اليمين.
(٥) في صبح الأعشى: لا يقد معه ثمين.
(٦) في صبح الأعشى: عقابيل تلك الليلة....
(٧) في صبح الأعشى: وما سيعن من معالجته لامتطاء جواديه ظهر الخمال....

المشرَّد، وضم هذا الشمل المشتت ونظم هذ اعقد المبدد، وجمع كلمة الإسلام التي طالما افترقت، وانتجاع عارض هذه النعمة التي أبرقت، وسرعة المسير فإن صبيحة اليوم المبارك الذي يُعرف من أوله قد أشرقت، فما قي ما به يعتذر[1]، ولا سوى مقدمه السعيد ينتظر.

وقد كتبناها ويدنا ممدودة لمبايعته، وقلوب الخلق [كلها] مستعدة لمتابعته، وكرسي الملك قد أُزلف إليه مقعده، ومؤمِّل الظَّفَر قد أُنجز له مَوْعِدُه، والدهر مطاوعه والزمان مُسْعِده، وطوائف أوليائه ليوم لقائه ترصده، [والعهد له قد كُتب] ولواء الملك عليه قد نُصب، والمنبر باسمه عليه قد خُطب، والدينار والدرهم هذا وهذا له قد ضُرب، ولم يبق إلا أن يَقْتَرب، وترى العيونُ منه ما تَرتقب، ويجلس على السرير، ويُزْمِع المُبشِّر ويَعزم على المسير، وتتزين الأقاليم، ويتبين لتسيير شهابه ما كان يقرأ له في التقاديم[2]. لازال جيب ملكه على الأقطار مزوراً، وذيل فخاره على السماء مجروراً، وجَدُّ وَلِيِّه مُقبلاً[3] وقلبه مسروراً، ومقدمه يحوز له من إرث آبائه نعماً جمة ومُلكاً كبيراً، إن شاء الله تعالى.

المذهب الرابع

مما يكتب به عن الخلفاء أن يفتتح الكتاب بالسلام، بأن يُكتب: سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يَخُصُّ: المَقَرَّ الكريم، أو: الجناب الكريم، أو غير ذلك من الألقاب (٢٦٦ ب) التي يكتب بها عن السلطان، ويُؤتى على تلك الألقاب إلى آخرها، ثم يقال: ويُبدي لعلمه، أو: يوضح لعلمه، على حسب ما تقتضيه تلك المكاتبة في السلطانيات.

وعلى ذلك كانت كُتب الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان وولده الإمام المستعين بالله في أول ولايته، ولم يكن فيه من المكاتبات الجليلة ما يُدَوَّن فأذكره.

وأما الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة

فقد قال أبو جعفر النحاس في كتابِهِ «صِناعة الكتاب» بعد أن ذكر أن صورة ما يكتب به عن الخليفة: من عبدالله أبي فلانٍ فلانٍ الإمام الفلانيِّ إلى فلانٍ، أتبع ذلك بأن قال: وليس أحد من الرؤساء يكاتب عنه بالتصدير إلاّ الإمام وولي العهد، ولم يزد على ذلك.

والتصدير على ما فسّره ابن حاجب النعمان في كتابه، «ذخيرة الكتاب»، هو: من عبد الله بَي فلانٍ إلى آخره على ما تقدم، وقد قال النحّاس في الكلام على العنوان: إنه

---

(١) في صبح الأعشى: فما بقي ما به يقتدر.
(٢) في صبح الأعشى: التقاويم.
(٣) في صبح الأعشى: وحبل وليه متصلاً.

يُحذفُ من الكتاب عن ولي العهد لفظُ أمير المؤمنين، ويقال فيه: ولي العهد، ومقتضى ذلك أن المكاتبة عن ولي العهد كالمكاتبة عن الخليفة إلاَّ أنه لا يقال فيه: وليُّ العهد الإمامُ، ويقام لفظُ وليّ العهد فيه مُقام أمير المؤمنين.

فيكتب فيه: من عبدالله ابن فلانٍ فلانٍ الواثق بالله مثلاً - وليّ عهد المسلمين، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يُصلي على محمد عبده ورسوله، أما بعد، فإن كذا ويُؤتى على المقصد إلى آخر الكتاب، على نحو ما تقدم في الكتابة عن الخليفة.

تنبيه: قد تقدم عن محمد بن عمر المدائني أنه كان يُكتب عن الخلفاء للإمراء في قرطاس نصف طومار وللعمال والكتاب في قرطاس من ثلث طومار، وللتجار وأشباههم في قرطاس من ربع طومار، وللحُسَّاب والمُسَّاح في قرطاس من سدس طومار، وتقدم بيان أن المراد بالطومار قطع البغدادي الكامل.

أما الذي استقر عليه الحال فيما يكتب به عن خلفاء بني العباس بالديار المصرية إلى ملوكها فقد ذكر صاحب «الدر الملتقط»، عن المقرّ الشهابي بن فضل الله أنه كتب الكتاب الصادر عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان إلى الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون عند استدعائه للسلطنة من الكرك على ما تقدم ذكره في هذا الفصل، كُتب في قطع البغدادي الكامل، فا يجْرِ الأمر على ذلك.

(٢٦٧ أ) الفصل الثاني

من الباب السادس في الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معناهم إلى الخلفاء وولاة العهد بالخلافة.

أَما الكتب الصادرة إِلى الخلفاء
فللكاتب فيها[١] ستة أَساليب
الأسلوب الأول

وهو أقدمها اصطلاحاً أن يفتتح الكتاب بلفظ: لفلان من فلان، ثم يصدر بالسلام والتحميدِ وسؤالِ الصلاة على النبي ﷺ، ثم يقال: أما بعد فإن كذا، ويختم بالسلام ونحوه، على نحو ما تقدم في المكاتبات عن الخلفاء، لا يختلف ذلك في شيء إلاَّ في تقديم اسم المكتوب إليه على المكتوب عنه.

---

(١) في الأصل: فيه.

والأصل في ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتبون في غالب كتبهم إلى النبي ﷺ: لمحمد رسول الله.

كما كتب[1] إليه خالدُ بنُ الوليد رضي الله عنه بإسلام بني الحارث بن كعب حين وجَّهه إليهم:

لمحمد النبي ﷺ [رسول الله] من خالد ابن الوليد. السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو.

أما بعد يا رسول الله، صلَّى الله عليك، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أُقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلتُ منهم وعلَّمتهم مَعَالِم (٢٦٧ ب) الإسلام ثلاثة أيام وكتاب الله وسنَّة نبيّه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدمت إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمر رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم رُكْباناً:[2] يا بني الحارث أسلِموا تَسْلَموا، فأسلَمُوا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهُرِهم، آمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأُعلمهم مَعَالم الإسلام، وسُنَّة النبي، حتى يَكتب إليَّ رسولُ الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

وعلى نحو من ذلك كتب إليه ﷺ

النجاشيُّ ملكُ الحبشة والمُقوقس صاحب مصر أيضاً في رواية ذكرها ابنُ عبد الحكم، وقد ذكرت كتابيهما في «صبح الأعشى في كتابة الإنشا»[3].

ثم لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولُقّب أمير المؤمنين، وزاد في أول كتبه الصادرة عنه لفظ عبد الله، قبل اسمه، فكان يكتب: من عبد الله عمر أمير المؤمنين، على ما تقدم ذكره في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء، اعتمدُوا مثل ذلك في المكاتبة إليه أيضاً.

كما كتب[4] عمرو بن العاص لأمير المؤمنين عمر ن الخطاب رضي الله عنه في جواب الكتاب الوارد من أمير المؤمنين عليه يذكر فيه بأنه بلغه فاشيةُ مالٍ فشتْ له.

لعبد الله عمر أمير المؤمنين، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

---

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٦٥.

(٢) في صبح الأعشى: «كتاباً» وبالهامش نقلاً عن «مفتاح الأفكار» ص ٦٦: وبعثت فيهم ركباناً قالوا: يا بني الحارث.

(٣) انظر الجزء السادس ص ٤٦٦، ٤٦٧ من صبح الأعشى.

(٤) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٧٧

أما بعد، فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه فاشيةَ مالٍ فشَتْ لي، وأنه يَعْرِفني قبل ذلك ولا مال لي، وإني أعلم أمير المؤمنين أني ببلدٍ السِّعرُ فيه رخيص، وأني أعالج من الزراعة ما يعالجه الناس، وفي رزق (٢٦٨ أ) أمير المؤمنين سعة، واللهِ لو رأيت خيانتك حلالاً ما خُنتك.

في كلام آخر[١]. وجرى الناس بعد ذلك على هذا الأسلوب في الدولة الأموية وأول الدولة العباسية.

كما كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان[٢]

في جواب كتابه إليه بتوبيخه له بسبب تعرُّضه لأنس بن مالك رضي الله عنه، على ما تقدم ذكره:

لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، فإني أحمد[٣] إليه الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه، وشلا حظه[٤] وحاطه ولا أعدمناه، فقد وصلني كتاب أمير المؤمنين أطال الله بَقَاه، وجعلني من كل مكروه فِداه، يذكر شتمي وتوبيخي بِآبائي، وتغييري بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين، أتمَّ الله نعمته عليه وإحسانه إليه، ويذكر أميرُ المؤمنين استطالةً من على أنس بن مالك، وأميرُ المؤمنين أحقُّ من أقال عَثْرتي، وعفا عن ذنبي، وأمهلني ولم يُعْجِلني عند هفوتي، للذي جُبِل عليه من كريم طباعه، وما قلَّده اللهُ من أمور عباده، فرأيُ أمير المؤمنين أصلحه الله في تسكين رُوعِي وإفراج كُربتي، فقد مُلِئت رعباً وفَرقاً من سَطَواته، وقحمات نِقْماته، وأميرُ المؤمنين - أقاله اللهُ العثراتِ، وتجاوز له عن السيئات، وضاعف له الحسنات، وأعلى له الدرجات - أحقُّ من صفح وعفا وتغمَّد وأبقى، ولم يُشمِت بي عَدُوًّا مُكِبّاً، ولا حسوداً مُضِبّاً، ولم يُجرِّعني غُصصاً، والذي وصفَ أميرُ المؤمنين من صَنيعته إليّ، وتقويمه[٥] بما أسند من عمله إليَّ، وأوطأني رقاب رعيَّته، فصادقٌ فيه مَجْزِيٌّ عليه بالشكر، والتوسُّلُ مني إليه بالوِلاية، والتقرُّب له بالكِفاية، (٢٦٨ ب) وقد خضعت عند كتاب أمير المؤمنين، فإن رأي - طوّقني الله شكره، وأعانني علىتأدية حقه، وبلّغني إليَّ ما فيه موافقة مرضاته، ومدَّ

---

(١) بعده في صبح الأعشى: فاقصر ايها الرجل فإن لنا أحساباً هي خير من العمل لك إن رجعنا إليها عشنا بها. ولعمري إن عندك من لا يذم معيشة ولا تذم له، فإن كان ذلك فلم يفتح قفلك ولم يشركك في عملك.

(٢) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٧٨.

(٣) جملة «فإني أحمد.... أما بعد أصلح الله» ساقطة من صبح الأعشى.

(٤) في الأصل: وسلا بحظه وفي صبح الأعشى: وسهل حظه، هذا: وشلاه رفعه.

(٥) في صبح الأعشى: وتنويهه بما أسند.

في أجله - أن يأمر بالكتاب إلى من رضاه، وسلامة صدره، ما يُؤَمِّنني به من سفك دمي، ويردُّ ما شَرَدَ من نومي، ويَطمئنُّ به قلبي، فعل، فقد وَرد عَليَّ أمرٌ جليل خَطْبُهُ، عظيم أمْره، شديد كَرْبُه، أسأل الله أن لا يسخط أمير المؤمنين عليّ، وأن يُنيله في حزمه وعزمه، وسياسته وفراسته، ومواليه وحشمه، وعمّاله وصنائعه، ما يُحْمَدُ به حسنُ رأيه، إنه وليّ أمير المؤمنين، والذابُّ عن سلطانه، والصانعُ له في أمره، والسلام.

ولما زاد المأمون في الكتب الصادرة عنه بعد التحميد: وأسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله، أُلحقت في الكتب المكتوبة إلى الخليفة أيضاً، ويؤتى بعد البَعْدِيَّة بالدعاءِ للخليفة بما يناسبه من طول البقاءِ ونحوه.

والذي[1] استقرّ عليه الحال بعد ذلك في الدولة العباسية في العراق على ما ذكره قُدامة في كتاب «الخراج» أن يُكتب: لعبدِ الله فلانٍ أبي فلانٍ - باسمه وكنيته ونَعْته، ثم يقال: - أميرِ المؤمنين، سلامٌ على أمير المؤمنين، فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ.

أمّا بعدُ، أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام عزه وتأييده، وكَرامته وحِراسته، وأتمَّ نعمته عليه، وزاد في إحسانه إليه، وفَضْلِه عنده، وجميلِ بَلائه لديه، وجزيل عطائه له.

قال في «صناعة الكتاب» ثم يقال: أما بعد، فإن كذا وكذا، حتى يأتي على المعاني التي يحتاج إليها، وتكون المكاتبة: وقد فعل عبدُ أمير المؤمنين كَذا [فإذا زادت حاله لم يقل عبد أمير المؤمنين] فإذا بلغ إلى الدعاء ترك فضاءً وكتب: أتم الله على أمير المؤمنين نعمته، وهنَّأه كرامَته[2]، وألبسه عفوه وعافيته[3]، وأمْنه وسلامته (٢٦٩ أ) والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. واعلم أنه إن كان الكتاب في معنى حدوث نعمة من فتح أو غيره أتى بعد البعدية بخطبة مفتتحة بالحمد، وربما زيد على ذلك إلى ثلاث تحميدات، ويكون خطاب الخليفة: بأمير المؤمنين، وتعبير المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الإفراد، ويختم الكتاب بالإنهاء وما في معناه.

وهذه نسخة[4] كتاب كتب به أَبو إِسحاق الصابي

عن عز الدولة بن معز الدولة بن بويه الديلمي، إلى المطيع لله عند وصوله الموصل وانهزام أبي تغلب بن حمدان عنها في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة يوضح لك هذه الطريقة ويبين سبلها. وهو

---

(١) انظر صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٨١.

(٢) في صبح الأعشى: نعمته وهناءه وكرامته.

(٣) في الأصل: وعاقبته.

(٤) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٨٢.

لعبد الله الفضل [الإمام][1] المطيع لله أمير المؤمنين، من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فإني أحمد إلى أمير المؤمنين اللهَ الذي لا إلّه إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والتوفيق والتسديد، والعلو والقدرة، والظهور والنصرة. والحمد لله العلي العظيم، الأزلي القديم، المنفرد بالكبرياء والملكوت، المتوحد بالعظمة والجبروت، الذي لا تَحُده الصفات، ولا تَحُوزه الجهات، ولا تحصُره قرارة مكان، ولا يغيره مرور زمان، ولا تتمثله العيون بنواظرها، ولا تتخيله القلوب بخواطرها، فاطر السموات وما تُظِلّ، وخالق الأرض وما تُقِلّ، الذي دل بلطيف صنعته، على جميل[2] حكمته، وبين بجَليّ برهانه، على خفي وحدانيته[3]، واستغنى بالقدرة عن الأعوان، واستقلّ بالعزة على الأقران[4]، البعيد عن كل معادل ومضارع، الممتنع عن كل مطاول ومقارع، الدائم الذي لا يزول ولا يحول، العادل الذي لا يظلم ولا يجور، الكريم الذي لا يضن ولا يبخل، الحليم الذي لا (٢٦٩ ب) يعجل ولا يجهل، ذلكم الله وبكم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ [غافر: الآية ٦٥]، مُنْزل الرحمة على كل ولي توكل عليه، وفوض إليه، وائتمر بأوامره، وازدجر بزواجره، ومُحِلّ النقمة بكل عدو صد عن سبيله وَسنَنِه، وصدف عن فرائضه وسُنَنِه، وحاد في مكسب يده ومسعاة قدمه، وخائنة عينه وخافية صدره، وهو رائع رتعة النِّعَم السائمة، في أكلاء النعم السابغة، وجاهل جهلها بشكر آلائها، ذاهل ذهولها عن طرق استيفائها، فلا يَلبث أن يُنْزعَ سرابيلَها صاغراً، ويُتَعرّى منها حاسراً، ويجعل الله كيده في تضليل، ويورده شر المورد الوبيل، إن الله لا يصلح عمل المفسدين، ولا يَهدي كيد الخائنين.

والحمد لله الذي اصطفى للنبوة أحق عباده بحمل أعبائها، وارتداء ردائها، محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعظَّم خَطَرَه وكرم، فصدع بالرسالة، وبالغ في الدلالة، ودعى إلى الهداية، ونَجَّى من الغواية، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم، إلى طاعة الرحمن الرحيم، وأعلقهم بحبال خالقهم ورازقهم، وعصمة محييهم ومميتهم، بعد انتحال الأكاذيب والأباطيل، واستشعار المحالات والأضاليل، والتهوّك في الاعتقادات الذابّة[5]

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى نقلاً عن مختارات الصابي.

(٢) في صبح الأعشى: على جليل حكمته.

(٣) في صبح الأعشى: عن خفي وجدانه.

(٤) في صبح الأعشى: واستعلى بالعزة عن الأقران.

(٥) في صبح الأعشى: الذائدة عن النعيم.

عن النعيم، إلى العذاب الأليم، فصلى الله عليه مِنْ ناطقٍ بالحق، ومنقذ للخلق، وناصح للرب، ومُؤَدٍّ للفرض، صلاة زاكية نامية، رائحة غادية، تزيد على اختلاف الليل والنهار، وتعاقبِ الأعوام والأدوار.

والحمد لله الذي انتخب[1] أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه][2] من ذلك السِّنْخِ الشريف، والعنصر المنيف، والعترة الثابت أصلها، الممتد ظلها، الطيب جناها، الممنوع حماها، وحاز له مواريث آبائه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين، واختصه من بينهم بتطاول أمد الخلافة، واستحصاف (٢٧٠ أ) حبلهافي يده، ووفقه لإصابة الغرض من كل مرمى يرميه، ومقصد ينتحيه، وهو - جل ثناؤه - الحقيق بإتمام ذلك عليه، والزيادة فيه لديه، وأحمده سبحانه حمداً أبتديه ثم أعيده، وأكرره وأستزيده، على أنْ أَهَّلَ ركنَ الدولة أبا علي، وعضد الدولة أبا شجاع، مولياً أمير المؤمنين، وأَهَّلني للأثْرة عنده التي نَدَدْنا فيها الأكفاء[3]، وفُتْنَا فيها القُرناء، وتقطعت دونها أنفاس المنافسين، وتضرمت عليها أحشاء الحاسدين، وإن أولاني في كل مَغْزًى في خدمة أمير المؤمنين أغزوه، ومَنْحى أنحوه وثَأْيٍ أرْأَبه، وَشَعْث أَلُمّه [وعدو أرغمه]، وزائغ أقومه، أفضل ما أولاه عباده السليمة غُيوبهم، النقية جيوبهم، المأمونة ضمائرهم، المشحوذة بصائرهم، من تمكين يده، وتثبيت قدمه، ونصرة رأيه، وإعلاء كلمته، وتقريب بغيته، وإنالة أُمنيته، وكذلك يكون مَنْ إلى ولاء أمير المؤمنين اعتزاؤه، وبشعاره اعتزازه، وعن زناده قدحه، وفي طاعته كدحه، والله وليٌّ [بإدامة] ما خوَّلنيه من هذه المنقبة، وسوّغنيه من هذه الموهبة، وأن يتوحد[4] أمير المؤمنين في جميع خدمه الذابين عن حوزته، المنتمين إلى دعوته، بيمن الطائر، وسعَادة الطالع، ونجاح المطلب، وإدراك الأرب، وفي أعدائه الغامطين لنعمته، الناقضين مواثيق بيعته، بإضراع الخد، وإتعاس الجد، وإخفاق الأمل، وإحباط العمل، بقدرته.

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه][5] ينكر قديماً من فضل الله بن ناصر الدولة أحوالاً حقيقاً مثلها بالإنكار، ومستحقاً من ارتكبها الإعراض، وأنا أذهب في حفظ غيبه، وإجمال محضره، وتمحُّل حجته وتلفيقها وتألف معاذيره وتنميقها، مذهبي الذي أعمر[6] به كلَّ من جرى [مجراهُ] من ناشئ في دولته، ومغتذٍ (٢٧٠ ب) بنعمته، ومنتسب

---

(١) في صبح الأعشى: انتجب أمير المؤمنين.
(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلاً عن مختارات الصابي.
(٣) في صبح الأعشى: التي بذذنا فيها الأكفاء.
(٤) في صبح الأعشى: وأن يتوجه أمير المؤمنين....
(٥) الزيادة في صبح الأعشى عن المختارات.
(٦) في صبح الأعشى: مذهبي الذي أعِمُّ به.

إلى ولايته، ومشهور بصنيعته، وأقدر أن أستصلحه لأمير المؤمنين، [أطال الله بقاءه] وأصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد، ومناهج السداد، وهو يريني أن قد قبل وارعوى، وأبصر واهتدى، حتى رغبت إلى أمير المؤمنين فيما شفّعني متفضلاً فيه، من تقليده أعمال أبيه، والقناعة منه في الضمان بميسور بذله، وإيثاره به على من هو فوقه من كبراءِ إخوته وأهله.

فلما بلغ هذه الحال، ألَظَّ بالمال، وخاس بالعهد، وطرَّق لفسخ العقد، وأجرى إلى أمورٍ[1] كرهتها، ونفد الصبر مني عليها، وخفت نَ أستمر على الإغضاء عنها والمسامحة فيها، فيطلع الله مني على إضاعه الاحتياط في أمر قلدني أمير المؤمنين زمامه، وضمنني دركه، وإرخاء لبب رجل قَبل في الاعتماد عليه رأي، وعوّل في أخذه بما يلزمه على نظري واستيفائي - فتناولته بأطراف العدل مُلَوِّحاً، ثم بأثباجه مفصحاً مصرِّحاً.

ورسمتُ لعبد أمير المؤمنين الناصح أبي طاهر أن يحل[2] به وبوسطائه وسفرائه في حال، ويدخل عليهم من طريق المشورة والرفق في أُخرى، وينتقل معه بين الخشونة التي يقفو فيها أثرى، واللين الذي لا يجوز أن يحسه مني، تقديراً لانثنائه، وزوال التوائه، ففعل ذلك على رسمه في التأني لكل فاسد حتى يصلح، ولكل آبٍ حتى يسمح، ولم يَدَع التناهي في رعظه، والتمادي في نصحه، وتعريفه سوء عاقبة اللجاج، ومغبة الإحراج، وهو يزيد طمعاً في الأموال وشرها، وعَمّى في الرأي وَعَمها، إلى أن كاد أمرنا معه يخرج عن حدّ الانتظار، إلى حدّ الرضى بالإصرار، فاستألفت ادِّراعَ الحزم، وامتطاء العزم، ونهضت إلى أعمال المَوْصِل وعندي أنه يغنيني عن الإتمام، ويتلقّاني بالإعتاب وينقاد إلى المراد، ويتجنّب طرق العناد.

فحين عرف (٢٧١ أ) خبر مَسيري، وجِدّي فيه وتشميري، برز بروز المخالف، المكاشف، وتجرَّدَ تجرد المُواقِع المُواقِف، وهو مع ذاك إذا ازددت منه قرباً ازداد مني رعباً، وإذا دلفت إليه ذراعاً، نكص عني باعاً.

وتوافت إلى حضرتي وجوهُ القبائل من عقيل وشيبان وغيرهما في الجمع الكثيف من [صعاليكهما، والعدد الكثير من] صناديدهما، داخلين في الطاعة، متصرِّفين في عوارض الخدمة.

فلما شارفتُ الحَدِيثةَ انتقضت عزائم صبره، وتقوضت دعائم أمره، وبطلت أمانيه ووساوسه، واضمحلت خواطره وهواجسه، واضطرب عليه من ثقاته وغلمانه من كان بهم

(١) في صبح الأعشى: إليّ أموراً.
(٢) في صبح الأعشى: أن يُجِدَّ به.

يعتضد، وعليهم يعتمد، وبدأوا بخذلانه والأخذ لنفوسهم، ومفارقته والطلب لحظوظهم، وحصل منهم بحضرتي إلى هذه الغاية زهاء خمسمائة رجل ذوي خيل مختارة، وأسلحة شاكية، فصادفوا عندي ما أمَّلوا من فائض الإحسان، وغامر الامتنان، وذكروا عمن وراءهم من نظرائهم التَّنَزِّيَ إلى الانجذاب، والحرص على الاستئمان، وأنهم يَرِدون ولا يتأخرون، ويبادرون ولا يتلوَّمون.

ولما رأى ذلك لم يملك نفسه أنْ مضى هارباً على طريق سنجار، منكشفاً عن هذه الديار، قانعاً من تلك الآمال الخائبة، والظنون الكاذبة، بسلامة حُشاشة هي رهينة غيِّها، وصريعة بغيها.

وكان انهزامه بعد أن فعل الفعل السخيف، وكاد بالكيد الضعيف[1]، بأن أغرق سفن الموصل وعُرُوبَها[2]، وأحرق جسرها، واستذمَّ[3] إلى أهلها، وتزود منهم اللعن المُطيف به أين يَمَّم، الكائن معه حيث خيَّم.

ودخلتُها يومي هذا - أيد الله أمير المؤمنين - دخولَ الغانم الظافر، المستعلي الظاهر، فسكّنتُ من نفوس سكانها، وشرحتُ صدور قُطّانها، وأعلمتهم ما أمرني به أمير المؤمنين - [أدام الله عزه]، وأعلى الله أمره - من (٢٧١ ب) تأنيس وحشتهم، ونظم ألفتهم، وضمّ نَشرِهم، ولمّ شعثِهم، وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعُلَقهم، وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم، وكثر منهم الثناء والدعاء، والله سامع ما رفعوا ومجيب ما سألوا، وأجلَتْ حالُ هذا الجاهل -[4] أيد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمة، وأذل هضيمة، وأسوإ رأي، وأنكر إخساء[5]، لأنه لم يلقني لقاءَ الباخع بالطاعة، المعتذر من سالف التفريط والإضاعة، ولا لقاء المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة، المحقق لزعمه في الثبات للمدافعة، ولا كان في هذين الأمرين بالبر التقي، ولا الفاجر الغوِيّ[6]، بل جمع بين نقيصة شقاشقه وغدره، وفضيحة جبنه وخوره، متنكباً للصلاح، عادلاً عن الصواب، قد ذهب عنه الرشاد، وضربت بينه وبينه الأسداد، وأنزله الله منزلة مثله ممن أساءَ حفظ الوديعة، وجوار الصنيعة، واستوجب نزعهما منه، وتحويلهما عنه، وتأملت - أيد الله مولانا أمير

(١) في صبح الأعشى: وكادنا الكيد الضعيف.
(٢) العروب نوع من السفن الرواكد كان في دجلة «هامش صبح الأعشى».
(٣) استذم: فعل ما يُذمُّ عليه. «هامش صبح الأعشى».
(٤) في الأصل: وأجلت حال هذا الحال.
(٥) في صبح الأعشى: وأسوأ رأي، وأنكر اختيار.
(٦) في الأصل الفاجر القوي.

المؤمنين - أمره على التجريب، وتصفحته بالتقليب[1]، فإذا هو الرجل الذي أطاع أبوه فيه هوى أمه، وعصى دواعِيَ رأيه وحزمه، وقدّمه من ولده على من هو آنس رشداً، وأكبر سناً، وأثبت جأشاً، وأجرأ جناناً، وأشجع قلباً، وأوسع صدراً، وأجْدَر بمخايل النجابة، وشمائل اللَّبابة، فلما اجتمعت له أسباب القدرة والثروة، وأمكنته مناهز الغِرَّة والفرصة، وثب عليه وثبة السِّرحان، في ثلة الضان، وجزاه جزاء أُم عامر بمجيرها، إذ فرّته أنيابها وأظافرها، واجتمع وأخوه من الأم، المرتضع معه لبان الإثم، المكني أبا البركات - وليس بأب لها، ولا جَرَى[2] لشيء منها - على أن نشَزا عنه وعقّاه، وقبضا عليه وأوثقاه، وأقرّاه من قلعتهما بحيث تُقَرّ العتاة، وتُعَاقَب الجناة، ثم أتبعا ذلك باستحلال دمه، وإفاضة مهجته، غير راعييْن[3] فيه حق (٢٧٢ أ) الأبوة، ولا حانِيَيْنِ عليه حنو البنوة، ولا متذمِّمَيْن من الإقدام على مثله ممن تقدمت عند سلطانه قَدَمهُ، وتوكدت أواصره وعِصَمهُ، ولا راحِمَيْن له من ضعف شيخوخته، ووهل كِبْرته[4] ولا مصغييْن إلى وصية الله إياهما به، التي نصها في محكم كتابه، وكررها في آيه وبيناته إذ يقول ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: الآية ١٤] وإذ يقول ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: الآيتان ٢٣، ٢٤] فبأي وجه يلقى الله قاتل والد حدب قد أمر ألا ينهره؟ وبأي لسان ينطق يوم يسألُ عما استجازه فيه وفعله؟ وتالله لو أن بمكانه عدوًّا لهما قد قارضهما الذحُول[5]، وقارعهما عن النفوس، لقبح بهما أن يَلْؤُما ذلك اللؤمَ عند الظفر به، وأن يركبا تلك الخطة الشنعاء في الأخذ بناصيته، ولم يرض «فضل الله» ما أتاه إليه حتى استوفى حدود قطع الرحم، بأن تتبع أكابر إخوته السالكين خلاف سبيله، المستبرئين إلى الله من عظيم ما اكتسب، ووخيم ما احتقب، لما غضبوا لأبيهم، وامتعضوا من المستحل فيه وفيهم، فقبض على محمد بن ناصر الدولة حيلة وغيلة، وغدراً ومكيدة، ونابذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار الله له فيها، بأن أصاره من فناء أمير المؤمنين إلى الجانب العزيز، والحِرْز الحريز، وأن أجرى الله على يده الحرب الواقعة بينه وبين المعروف بكنيته أبي البركات، التي لقّاه الله فيها نحْسَه، وأتلف نفسه، وصرعه بعقوقه وبغيه، ووقّعه بعاره وخزيه، ومع ذلك لا يتعظ، ولا ينزع ولا يقلع ولا يزدجر، إصراراً على الجرائر التي

(١) في الأصل: أمره بالتجريب، وتصفحته على التقليب.
(٢) في صبح الأعشى: ولا حريّ بشيء.
(٣) في الأصل: غير راعين فيه. . . ولا حانين.
(٤) في صبح الأعشى: وذهل كبرته.
(٥) في الأصل: قارصهما الدخول.

الله عنها حسيبه، وبها طليبه، والدنيا والآخرة (٢٧٢ ب) مرصدّتان له بالجزاء المحقوق عليه، والعقاب المسبوق[1] إليه، وأعظم من هذا كله - أيد الله أمير المؤمنين - خَطْباً، وأوعر مسلكاً ولَحْبَا، أنّ من شرائط العهد الذي كان عهد إليه، والعقد الذي عقد له، والضمان المخفَّف مبلغه عنه، المأخوذ عفوه منه أن يتناهى في ضبط الثغور وجهاد الروم، وحفظ الأطراف، ورم الأكناف، فما وَفَى بشيء من ذلك، بل عدل عنه إلى الاستئثار بالأموال واقتطافها، وإحرازها في مكامنها وقلاعها، والضنّ بها دون الإخراج في وجوهها، والوضع لها في حقوقها، وأن تراخى في أمرِ عظيم الروم مُهملاً، واطَّرح الفكر فيه مُغفلاً، حتى هجم في الديار، وأثَّر الآثار، ونكى القلوب، وأبكى العيون، وصَدَع الأكباد وأحرَّ الصدور، فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارئ لكتاب الله إذ يقول ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: الآية ١١١] بل صدف عن ذكر الله لاهياً، وعدل عن كتابه ساهياً، واستفسخه ذلك البيع والعقد، وتنجّزه الوعيد لا الوعد، ولاطف طاغية الروم وهاداه، وأماره[2] وأعطاه، وصانعه بمال المسلمين الذين يلزمه، إن سلم دينه وصح يقينه، أن ينفقه في مرابضهم[3]، ويذب به عن حريمهم، لا أن يعكسه عن جهته، ويلفته عن وجهه، بالنقل إلى عدوهم، وإدخال الوهن بذلك عليهم، وقاد إليه من الخيل العِتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان، ونجدة للطاغية على السلطان، وكان فيما أتحفه به الخمر التي حَظرَ الله عليه أن يشربها ويسقيها، وتعبّده بأن يجتنبها (٢٧٣ أ) ويجتويها، وصلبان ذهب صاغها له وتقرب بها إليه تقرباً قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة، وأدناه من الجهالة والضلالة، حتى كأنه عامل من عماله، أو بطريق من بطارقته.

فأما فشله عن مكافحته، ولهجه بملاطفته، فضد الذي أمره الله به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٣] . وأما ما نقله من الخيل عن ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم، فنقيض قوله عز وجل ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠] .

وأما إهداؤه الخمر والصلبان، فخلافٌ عليه تبارك اسمه إذ يقول ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ

(١) في صبح الأعشى: والعقاب المسوق إليه.
(٢) في صبح الأعشى: وماره، هذا وماره وأماره بمعنى واحد هو تقديم الميرة.
(٣) في صبح الأعشى: أن ينفقه في مرابطهم.

﴿وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٌ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: الآية ٩٠] كل ذلك عناداً لرب العالمين، وطمساً لأعلام الدين، وضنًّا بما تحامى عليه من ذلك الحطام، المجموع من الحرام، المُثَمَّر من الآثام، المقتطع من فيء الإسلام، [وقد فعل الآن بي وبالعسكر التي معي ومن نضُمُّ من أولياء أمير المؤمنين][١] الذين هم إخوته وصحبه، إن كان مؤمناً، وأنصاره وحزبه إن كان موقناً، من توعير المسالك وتفريق[٢] العروب، وتضييق الأقوات، واستهلاك الأزواد، ليوصل إلينا الضر، ويلحق بنا الجهد، فِعْلَ العدو المبين، المخالف في الدين، فهل يجتمع في [أحد من المساوي - أيد الله أمير المؤمنين - ما اجتمع في][٣] هذا الناد العائد، والشاذ الشارد؟ وهل يُطمع من مثله في حق يقضيه، أو فرض يؤديه، أو عهد يرعاه، أو ذمام يحفظه، وهو لله عاص، ولإمامه مخالف، ولوالده قاتل، ولرحمه قاطع؟ كلا والله! بل هو الحقيق بأن تثنى إليه الأعنة، وتشرع نحوه الأسنة، وتنصب له الأرصاد، وتشحذ له السيوف الحداد، ليقطع الله بها دابره، ويجبّ غاربه، ويصرعه مصرع[٤] الأثيم المُليم، المستحق للعذاب الأليم، أو يفيء إلى الحق، إفاءة الداخل فيه بعد (٢٧٣ ب) خروجه، العائد إليه بعد مروقه، التائب المنيب، النازل المستقيل، فيكون حكمه شبيهاً بحكم الراجع عن الرِّدَّة، المحمول على ظاهر الشريعة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والحمد لله الذي هدانا لمراشدنا، ووقف بنا على السبل المُنجية لنا، والمقاصد المفضية إلى رضاه، المُعيذة[٥] من سُطاه.

والحمد لله الذي أعز أمير المؤمنين بالنصر، وأعطاه لِواء القَهْر، وجعل أولياءه العالين الظاهرين، وأعداءه السافلين الهابطين، وهنَّأه اللهُ هذا الفتحَ ولا أخلاه من أشكال له تقفوه وتَتْبعه، وأمثال تتلوه وتَشفعه، وَاصِلاً فيها إلى ما وصل فيه إليه من حيازته مُهَنَّأً، لم يُسفك فيه دم، ولم ينْتهك فيه محرم، ولم يُنَل جَهد، ولم يَمْسَسْ نَصَب.

أنهيت إلى أمير المؤمنين ذلك ليضيف صنع الله [له] فيه، إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه، وليجدِّد من شكره جلّ وعلا ما يكون داعياً إلى الإدامة والمزيد، مقتضياً للعون والتأييد، إن شاء الله تعالى.

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى.
(٢) في صبح الأعشى: وتغريق الغروب.
(٣) الزيادة في صبح الأعشى نقلت عن مختارات رسائل الصابي أما في الأصل فساقطة وترك لها فيه فراغ صغير وكذلك كانت غير موجودة في أصول صبح الأعشى.
(٤) في الأصل: ويصرعه المصرع الأثيم.
(٥) في صبح الأعشى: البعيدة.

الأسلوب الثاني

مما يكتب به إلى الخلفاء أن يفتتح الكتاب بخطبة مفتتحة بالحمد لله، وربما كرر الحمد إلى ثلاث، ويقع ذلك في الكتب التي تظهر فيها النعمة كالفتوح ونحوها

وهذه نسخة من ذلك[1]

كتب بها العماد الأصفهاني عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الإمام الناصر لدين الله بفتح طَبريّة وعكّا وما معهما من سواحل الشام، مصدرة بآية من كتاب الله تعالى، وهي: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٥].

(٢٧٤ أ) الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد، على نصرة هذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد، وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على مثلها كرائم الصحائف، ولم يجادَل عن مثلها في المواقف، في الأيام الإمامية الناصرية زادها الله غرراً وأوضاحاً، ووالي البشائر إليها[2] بالفتوح غُدُوًّا ورواحاً، ومكن سيوفها في كل مَارِق، من كلّ كافر ومارق، ولا أخلاها من سِيرة سَرِيَّةٍ تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق، وأطال أيدي أوليائها لتحمي بالحقيقة حِمَى الحقائق، وأنجزها الحقَّ وقذف بها على الباطل الزاهق، وملكها هواديَ المغارب ومراميَ المشارق، ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابح، وسيوفها للبلاد مفاتح، وأطراف أسنتها لدماءِ الأعداءِ نوازح.

والحمد لله الذي نصر [سلطان] الديوان العزيز وأيده، وأظفر جنده الغالب وأنجده، وجلا به جلابيب الظلماء وجدد جدده، وجعل بعد عسر يسراً، وقد أحدث الله بعد ذلك أمراً، وهون الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع عليه صبراً، وخوطب الدين بقوله ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [طه: الآية ٣٧] فالأولى في عصر النبي والصحابة، والأخرى هذه التي عَتَق فيها من رق الكآبة، فهو قد أصبح حُرًّا، فالزمان كهيئته استدار، والحق ببهجته قد استنار، والكفر رد ما كان عنده من المستعار، وغُسِل ثوب الليل بما فجّر الفجر منها أنهار النهار، وأتى الله بنيان الكفر من القواعد، وشفى غليل صدور المؤمنين برقراق الموارد ذات البوارد[3]، أنزل ملائكة لم تظهر للعيون اللاحظة، ولم تخف عن القلوب الحافظة، عَزَّت غُزَاةُ الإسلام بمسوَّميها[4] وترادف نصره بمُرْدَفيها، وأُخذت القرى وهي ظالمة فترى مترفيها

---

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٥١٧.

(٢) في صبح الأعشى: ووالى البشائر فيها. . . .

(٣) في صبح الأعشى: برقراق ماء الموردات البوارد.

(٤) في صبح الأعشى: عزت سيما الإسلام بمسوَّمها.

كأنْ لم تُرَ[1] فيها، فكم أقدم بها حيزوم، وركض فأتبعه (٢٧٤ ب) سحابُ عجاجٍ مَرْكُوم، وضرب فإذا ضربه كتابُ جراحٍ مرقوم، وإلا فإن الحروب إنما عقدت سجالاً، وإنما جمعت رجالاً، وإنما دعت خفافاً وثقالاً، فإما سيوف تقاتل سيوفاً، أو زحوف تقاتل زحوفاً، فيكون حد الحديد بيد مذكراً ويد مؤنثاً، وهو أن السيف في اليد الموحَّدة، يغني بالضربة الموحَّدة، وفي اليد المثلَّثة لا يُغني بالضرب مثلَّثاً، وذلك أنه في فئتين التقتا، وعدوتين لغير مودة اعتنقتا، وإن هذه النصرة إن رويت عن ملائكة الله فما جحدت كراماتهم، وإن رويت عن البشر فقد عرفت قبلها مقاماتهم، فما كان سيف يتقيظ من جفنه قبل أن ينبه الصريخ، ولا كان ضرب يُطير الهامَ قبل ضرب يراه الناظر ويسمع المُصيخ، فكم ضربة[2] كأنها هجره الموت وبها التاريخ، وكم طعنة تخرّ لها هِضاب الحديد وهي[3] شماريخ.

والحمد لله الذي أعاد الإسلام جديداً ثوبه، حديداً حبله، مبيضًا نصره، مخضرًا نصله، متسعاً فضله، مجتمعاً شمله، والخادم يشرح من نبإ هذا الفتح العظيم، والنصر الكريم، ما يشرح صدور المؤمنين، ويمنح الحبور لكافة المسلمين، ويكرر البشرى بما أنعم الله به - من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر إلى يوم الخميس منسلخه - وتلك سبع ليال وثمانية أيام حُسُوماً سخرها الله على الكفار ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: الآية ٧] ورايتها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية، فيوم الخميس الأول فتحت طبرية وفاض رِي النصر من بُحيرتها، ووقفت على جِسْرِها الفرنجُ بقلقها وَحَيْرَتِها[4]، وفي يوم الجمعة والسبت كُسِر الفرنج الكسرة التي مالهم بعدهم قائمة، وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أَخْذَ القرى وهي ظالمة، وفي الخميس منسلخ الشهر فُتحت عكًّا بالأمان، وأُقيمت بها أعلام الإيمان، (٢٧٥ أ) وهي أم البلاد، وأختِ إرم ذات العماد، وأصبحت كأن لم تَغْنَ بالكفر ولم تفتقر من الإسلام، إذ بلغ المسلمون من أعدائهم المراد.[5]

وقد أصدر هذه المطالعة وصليب الصَّلبُوت مأسورٌ، وقلب ملك الكفر الأسير جيشُه المكسورُ مكسور، والحديد الكافر الذي كان في يد الكفر يضرب وجه الإسلام، قد صار حديداً مسلماً يفرق خطوات الكفر عن الإقدام، وأنصار الصلبوت وكباره، وكل مَن المعموديةُ عُمْدته والدير داره، قد أحاطت به يد القبضة، وأخذ رهناً فلا تقبل فيه القناطير

---

(١) في صبح الأعشى: فترى مترفيها كأن لم تؤوَ فيها.
(٢) في صبح الأعشى: فكم قرية كأنها....
(٣) في صبح الأعشى: ولها شماريخ. وفي الأصل وكم طعنة تجر.
(٤) في صبح الأعشى: وقفت على جسرها الفرنج فقضت نحبها بحيرتها.
(٥) جملة: «إذ بلغ...» ليست في صبح الأعشى.

المقنطرة من الذهب والفضة، وطَبَرِيَّة قد رُفعت أعلام الإسلام عليها، ونكصت من عَكّا مِلّة الكفرِ على عقبيها، وعُمِّرت إلى أن شهدت يوم الإسلام وهو خير يوميها، بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير، وقد غُسل من بلاد الإسلام بدماءِ الشرك ما كان يتخلّلها فلا ضرر ولا ضَير، وقد صارت البِيَع مساجدَ[1] بها من آمن بالله واليوم الآخر، وصارت المناحِر مواقفَ لخطباء المنابر، واهتزت أرضها لوقوف المسلمين فيها وطالما ارتجّت لموقف الكافر، والبأس الإماميّ الناصريّ قد أمضى فتكاته على يد الخادم حتى بالدمى[2] في الكنائس، وإن عِزَّ أول الإسلام بِحَطّ تاج فارس[3]، فكم حطت سيوفه في هذا اليوم من تاج فارس.

فأما القتلى والأُسارَى فإنها تزيد على ثلاثين ألفاً.

وأما فرسان الداوِيّة[4] والاستبارية فقد أمضى حكم الله فيهم وقطع بهم سيوف نار الجحيم، ووصّل الراحل منهم إلى الشقاء المُقيم، وقتل بابرنس كافر الكفار[5] [ومشيد النار، من يده في الإسلام كما كانت يد الكليم،][6] وعجل بجسده إلى السيف، وبروحه الخبيثة إلى النار[7] وافترت النصرة عن ثغر عكا بحمد الله الذي يَسَّرَ فتحَها، وتسلّمنها الملّة الإسلامية بالأمان وعَرَفت في هذه الصفقة ربْحَها. وأما طبرية فاقتسرتها[8] يد الحرب فأَنْهَرَت الحربُ جُرْحَها.

فالحمد لله حمداً لا تُضْرَب عليه (٢٧٥ ب) الحدود، ولا تُزَكَّى بَأزكى منه العقود، وكأنه بالبيت المقدس وقد دَنَا لأقصى من أقصاه، وبلَّغ الله فيه الأمل الذي علم أن لن يُحْصِيَه وأحاط بأجلّه وأقصاه[9]، لكل أجل كتاب، وأجلُ العدوِّ هذه الكتائب الجامعة، ولكل عمل ثواب، وثواب من جُزِي بطاعته[10] جنات نعيمه الواسعة، والله المشكور على ما وهب، والمسئول في إدامة ما استيقظ من حَدِّ الإسلام وهبّ.

وقد توجه من جانبه الأمير رشيد الدين دام تأييده في إهداء هذه البشرى نيابة عن الخادم، ووصف ما يسَّره الله لأوليائه من العزائم[11]، والبلاد والمعاقل التي فُتِحت هي:

---

(١) في صبح الأعشى: مساجدهم بها.
(٢) في صبح الأعشى: قد أمضى مشكاته على يد الخادم حتى بالدَّنيّ في الكنائس.
(٣) في صبح الأعشى: بحط تاريخ فارس.
(٤) في صبح الأعشى: وأما فرسان الديوية.
(٥) في صبح الأعشى: وقتك بافرنس كافر الكفار. (٦) الزيادة من صبح الأعشى.
(٧) جملة «وعجل بجسده.... إلى النار» غير موجودة في صبح الأعشى.
(٨) في صبح الأعشى: فافترتها.
(٩) في صبح الأعشى: الذي علم أن يحصيه.
(١٠) في صبح الأعشى: وثواب من هدي بطاعته.....
(١١) في الأصل ووصف بالنصرة لأوليائه.

«طبَرِيَّة، عكا، الناصرة، صَفُّورية، قَيْسَارِيّة، نابُلُس، حَيْفَا، مَعْلَيَا، القزلة، الطُّور، الشَّقِيف» وقلاعٌ بين هذه كثيرة. والولدُ المظَفَّرُ تقيُّ الدين بصُور وحِصنِ تِبْنِين. والأخ العادل سيفُ الدين نصره الله قد أركب بالوصول[1] مَنْ عنده من العساكر، فنزل في طريقه على غَزَّة وعَسْقلان، ويُجهِّز مراكب الأُصطول المنصور فيكثر عددها، ويُسَيِّرها إلى ثغر عكّا المحروس ويشحنها بالرجال، ويوفر سلاحها وعُدَدها، والنهوض إلى القدس فهذا أوان فتحه، ولقد دام عليه ليل الضلال، وقد آن أن يستقر فيه الهدى مشكور الإحسان، إن شاء الله تعالى.

الأسلوب الثالث

مما يكتب للخلفاء أن يفتتح الكتاب بالتصلية على الخليفة على مذهب من يُجَوِّز من الفقهاء الصلاةَ على غير الأنبياء عليهم السلام إلا بطريق التبعية.

وهذه نسخة كتاب من ذلك[2]

كتب به القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني عن السلطان صلاح الدين (٢٧٦ أ) يوسف بن أيوب أيضاً في البشرى بفتح بلد من بلاد النُّوبة وانهزام ملكها بعساكره وهي:

صلوات الله التي أعدَّها لأوليائه وذَخَرها، وتحياته التي قذف بشهبها شياطين أعدائه ودَحَرها، وبركاته التي دعا بها كلٌّ موحد فأجاب، وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانْجابَ عن أنجاب، وزكاته[3] التي هي للمؤمنين سَكَن، وسلامه الذي لا يعتري الموقنين في ترديده حَصَرٌ ولاَ لكَن، على مولانا أمير المؤمنين عاقد ألوية الإيمان، وصاحب دَوْر الزمان، وساحب ذيل الإحسان، وغالب حزب الشيطان، الذي زلزلت إمامتُه قدمَ الباطل، وحلَّت خلافتُه ترائبَ الدهر العاطل، واقتضَت سيوفُه ديونَ الدِّين من كل غريم ماطل، وأمضتْ غَرْب كلّ عزم للحق مفلول وأطلعت غارب[4] كل نجم آفل، وشفعت يقظات استغفاره إلى غافر ذنب كلّ غافل، وعلى آبائه الغايةِ والمفزع، والملاذ في وقت الفزع، والقائمين بحقوق الله إذ قعد الناس، والحاكمين بعدل الله إذ عُدِم القِسْطاس، والمستضيئين بأنوار الإلهام المؤرَّثة من الوحي إذا عجز الاقتباس، والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس، خُزّانِ الحِكَم وحفاظها، ومعاني النِّعَم وألفاظها، وأعلام العلوم المنشورة إلى يوم القيامة، وكَالِئي السُّروح المنتشرة من كلاءته بيد الإمامة، ومن لا ينفُذُ سهم عمل إلا إذا

---

(١) في صبح الأعشى: قد أوفت (؟) بالوصول مِنْ عندهِ مَنْ عندي من العساكر.

(٢) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٥١٢.

(٣) في الأصل وبركاته.

(٤) في الأصل: وأطلقت غارب كل هدي.

شُجن[١] بموالاتهم، ولا يتألّق صبح هداية إلا إذا استصبح الساري بدلالاتهم.

المملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنازله، ومرابع المجد ومعاقله، ومحابس[٢] الجود، ومحالّ السجود، ومختلف أنباء الرحمة المنزّلة، ومرسى أطواد البسيطة المتزلزلة، ومُفترٍّ مباسم الإمامة، ومَجَرّ مَسَاحِب الكرامة، ومكان جنوح أجنحة الملائك، ومُشتجر مناسك المناسك، حيث يدخلون (٢٧٦ ب) من كل باب مُسلّمين، وتتبعهم ملوك[٣] الأرض مُستسلمين، ومشاهد الإسلام كيوم أنزل فيه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: الآية ٣]. وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: الآية ١٢٣] ويناجيها بلسان جلّى الإخلاص الصادق عقيدته، ونَشّط الولاء السابق عقيلته، وأرهف الإيمان الناصح مضاربه، وفَسَّحَ المعتَقَدُ الناصح مذاهبَه، فأعرب عن خاطر لم يخطُر فيه لغير الولاء خَطْرة، وقلبِ أعانه على ورد الولاء صفاءُ[٤] المصافاة فيه فِطْرة، ويُخبر [أنه ما وهنَ] عما أوجبته آلاؤه ولا وَهيَ، ولا انثنى عزمه عن أن يقف حيث أظلّت سِدرةُ المُنتهي ووضحت الآياتُ لأولى النهى، والله سبحانه يزيل عنه في شرف المثول عوائقَ القدر وموانِعه، ويكشف له عن قناع الأنوار التي ليست هِمتُّهُ بما دون نظرها قانعة، وكان توجّه منصوراً بجيش دعائه، قبل جيش لوائه، وبعسكر إقباله، قبل عسكر قتاله، وبنصال سلطانه، قبل نِصَال أجفانه، لا جرم أنَّ كتائب الرعب سارت أمام الكتائب، وقواضبَ الحذر غُمِّضَت في جفونها عُيونُ القواضب، وسار أولياءُ أمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أمة، وتداعوا بلسان النعمة، وتصرفوا بيد الخدمة، وصالوا بسيف العزمة، متواخية نياتهم في الإقدام، متألفة طوياتهم في طاعة الإمام، كالبنيان المرصوص انتظاماً، وكالغاب المُشْجِر أعلاماً، وكالنهار الساطع حديداً وهَّاجاً، وكالليل السابل[٥] عَجَاجاً عَجَّاجاً، وكالنهر المتدافع أصحاباً، وكالمُشْط المُطَّرد اصطحاباً، والأرض تَرْحَل بِرَحْلهم لما ترفعه الحوافر من غيومها، والسماء تَنْزِل بنزولهم لما تضعه الذوابل من نجومها، فما انتشرت رياضها المزهرة، وغياضها المُشجرة، إلا دلّت على أن السحاب الذي سقاهم كريم، والإنعام الذي غمَرهم عظيم، والدنيا التي وسعتهم من عزمتهم تَظْعَن وتُقيم (٢٧٧ أ) ولما علم العدوُّ أن الخطب المظنون قد صرّح خِطَابه، والأمل المخدوع قد صَفِر وِطابه، راسلَ ورأى سَلَّ السيوف يُغْمِدُه، ومَا كَر وما كَرَّ لعلمه أن الحتف يَغمِدُه، واندفع هارباً هائباً، وخضع كاذباً كاذباً، فمضى المملوك قُدُماً، وحمَّله ظُلمَه ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ [طه: الآية ١١١]

(١) في صبح الأعشى: شحذ.

(٢) في صبح الأعشى: ومجالس.

(٣) في الأصل: ملائكة.

(٤) أضيف في صبح الأعشى من المحققين: الولاء [أن] صفاء.

(٥) في صبح الأعشى: الشامل.

وأجابه بأنه إن وطئ البساط برجله وإلا وطئه برأسه، وإن قدم[1] على المملوك بأمله وإلا أقدمه ببأسه، وإن لم يُظهر أثر التوبة وإلاَّ أقام عليه الحدَّ بسكرة الموت من كأسه، فلم يخرج من مراوغة تحتها مُغاورة، ومُكاسرة وراءها مكاشرة فاستخار الله في طَلَبِه، وانتهز فيه فرصة شغل قبه بِرِيَبِه، ولم يَغُرَّه ما أُمْلِي له في البلاد من تَقَلُّبه، وسار ولم يزل مُقتحماً، وتقدّم أول العسكر مُحتَدِماً، وإذَا الدار قد ترحَّل منها أهلها فبانوا، وظعنوا من ساحتها فكأنهم ما كانوا، ولم يبق إلا مواقد نيران رَحَلت قلوبهم بضرامها [وَأثافيّ دُهْم أعجلت المهابةُ ما رَدَّ سَغَبهم عن طعامها] وغِربان بَيْنٍ كأنها في الديار ما قُطع من رؤوس بني حَامِها، وعوَافِي طيرٍ كانت تنتظر من أشلائهم فِطْر صيامِها، وعادت الرسل المُنَفَّذةُ لاقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم، ذاكرة أنهم لَبِسوا الليل جِدَاداً على النعمة التي خُلعت، وغسَلُوا بماء الصبح أطماع نفس كانت قد تطلّعت، وأنهم طلعوا الأوعارَ أوعالاً، والعِقَاب عِقْباناً، وكانوا لمَهابط الأودية سيولاً ولأعالي الشجر قضباناً.

فرأى المملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أَجَله، والعزم منهم قد نال أمله، والفتك بهم قد أعمل مُنْصُلَه، وأن سيوف عساكر أمير المؤمنين منزّهة عن أن تُريق إلاَّ دماء أكفائِها من الأبطال، وأن تَلْقَى إلاَّ وجوهَ أنظارها من الرّجال، وأن المذكورين نَمْلٌ حطمه سليمانُ عليه السلام وجنوده، وَرمْل أطارَه العاصفُ الذي يُسْحِفُهُ[2] ويقوده، وأصدر هذه الخدمة والبلادُ من بُعُوثهم[3] عارية، والكلمة بانخفاضهم [غالية] عالية، ويد الله على أعدائه عادية، وأنفُس المخاذيل في وثاق (٢٧٧ ب) مهابته العالية عانية، ورأى المملوك أن يرتّب بعده الأميرَ فلاناً ليبذُل الأمانات لسوقة أهل البلاد ومزارعيها، ويَفْصِل المحاكمات بين متابعي السلطنة ومطاوعيها، ويُفَسِّح مجال الإحسان لمعاودي المواطن[4] ومُرَاجعيها، فيعمُرَ من البلاد ما قد شَغَر، ويشعر بالأمنة مَنْ لا شَعَر، فإنَّ مُقَام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من طلعها، وتردُّ جِرْية البحر عن موقعها، مما يضُرُّ بالغلال ويَنْسِفها، ويُجحف بالرعايا ويَعْسِفها.

فالحمد لله الذي جعل النصر لائذاً بِأعطاف اعتزامه، وأنامِل الرعب السائر إلى الأعداءِ محرِّكةً عَذَبات أعلامه، والعساكر المناضلة بسلاح ولائه، تغني بأسمائها عن مرهفاتها، والكتائب المقاتلة بشعار علائه[5]، تقرأ كتب النصر من حماتها، إن شاء الله تعالى[6].

---

(١) في الأصل: أقدر.

(٢) يسحفه يذهب به: أسحفت الريح السحاب وسحفته ذهبت به، وفي الأصل: يستحفه.

(٣) في صبح الأعشى: معرتهم.

(٤) في الأصل: الوطن.

(٥) في الأصل: أعلامه.

(٦) هذه الجملة غير موجودة في صبح الأعشى.

الأُسلوب الرابع

مما يكتب به إلى الخلفاء أن يفتتح الكتاب بالسلام على الخليفة، قال ابنُ شيت في «معالم الكتابة» وعليه العمل في زماننا، وكان في أواخر الدولة الأيوبية.

وهذه نسخة كتاب من ذلك[1]

كتب به القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة ببغداد يعتذر فيه عن تأخير الكتب، ويذكر خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك النصرانية من الروم والفرنج وهي:

سلام الله الأطيب، وبركاته التي يستدرّها الحُضَّر والغُيَّب، وزَكواته التي ترفع أولياءَه إلى الدَّرَج، ونعمه التي لم تجعَلْ على أهل الطاعة في الدين من حَرَج، على مولانا سيد الخلق، وسَادِّ الخَرْق، ومُسدِّد أهل الحَق، ولابس الشعار الأطهر سواداً، ومستحق الطاعة التي أسعد الله (٢٧٨ أ) من خصه بها [بَدْءًا ومعاداً]، ومولى الأُمة الذي تشابه يوم نداه وبأسه إن ركض جُوداً أغو جواداً، وواحد الدهر الذي لا يُثَنَّى، وإليه القلوب تُثْنى، ولا يقبل الله جمعاً لا يكون بولائه جمع سلامة لا جمع تكسير، ولا استقبال قبلة ممن لا تكون محبته في قلبه تقيم واسمه في عمله إلى الله يسير، مولانا أمير المؤمنين، وعلى آبائه المالئي الأرض عدلاً، المِلاء أهلاً[2] فضلاً، والضاربين فَيْصلاً والقائلين فصْلاً، ومن تقول الجنة لأهلها بهم أهلاً، المخصوصين بالعناية الإلهية، الحاكمين فكلُّ أُمة بطاعتهم مأمورة وعن معصيتهم منْهِيّة، والمشرِّفي الأسارير على أسِرَّة الشرف فكم ملأت البَهْوَ مناظرهم البَهِيّة.

المملوك يخدم الحرم الشريف باحترامه، والفناء الكريم بإعظامه، والبساط المُقَبَّل بطول استلامه، والسِّتر الذي أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه. ويُنْهِي أنه آخِر الخَدَم عن أن ينتظم الأوقاتَ المُتجدِّدة، ويقتضب الحالات المتجرِّدة، والرسلِ عن أن تتوارد دِرَاكاً، وتتوالّى وِشاكاً، والإنهاءات عن أن تثبت بالمقامات الشريفة النبوية، ومجالس العَرْض العلية، ما انتهت إليه الأقدار، وما أفضى إليه من كثير المناجح وقليل الأعذار، فإن أدب الأمساك[3] عن المطالعة كالصوم لا يُفَضُّ ختامه، ولا يُحلُّ نِظامه، إلا بُعَيْدَ يَطْلُع هلاله مُبشِّراً، ويُبَثُّ خبره في الآفاق مُعطِّراً، فلو أن متكلّفاً أفطر قبل موعده، وورد الماء قبل مورده، لكان مُفسداً لعقده، ناكثاً لعهده.

---

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٥١٥.

(٢) في الأصل: المملبي أهلها.

(٣) في صبح الأعشى: أدب الأمالي.

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبار بجانبه مُشتبهة، والحقائق لديه غير مُتوَجِّهة، فإنَّ طاغيتَي الكفر بقُسطنطينية وصِقِلِّية كانا قد أوقَدا للحرب ناراً، ورفعا لها أوزاراً، واتخذا لها أسطولاً جارياً وعسكراً جرّاراً، وتباريّا ولم يزد الله الظالمين إلاَّ تَبَاراً، وكَتَبا إلى الفرنج بعد انهزامهم بالنجدة والنُّصْرة، وتضمَّنا لهم الخروج والكَرَّة، ويَصفان (٢٧٨ ب) ما استعدَّا به بمالا يعبَّر إلا بالكثرة، واستطارت الشناعة وتداولتها الألسن، وخرجت من الأفواه حتى لقد كادت تدخل فيما رأته الأعين، وورد إلى المملوك رسُول من طاغية القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قَدَماً، وأكثرهم مالاً مُنْتَمي، يعرض عليه مُوادَعة يكون بها عسكرهُ مُودَعاً، ويكون له بها مَفْزَعاً، ولصاحب صِقِلِّيَّة الذي زعم أنه أصْلٌ للشرِّ يكون الشرُّ منه مُفَرَّعاً، فلم يَهِنْ ولم يُجب إلى السلم، ولم يَزَعْه أن عسكره خذله الله مُبَارٌ في البَرِّ وفي اليَمِّ. إن شاء الله تعالى.

الأسلوب الخامس

بما يكتب به إلى الخلفاء أن تُفتتح المكاتبة بالدعاء بشيء من متعلقات الخلافة في الجملة.

وهذه نسخة(١) كتاب من ذلك

كُتب به إلى ديوان الخلافة ببغداد عن بعض ملوك بني أيوب(٢) اعتذاراً عن التقصير في وصف إنعام صدر له عن الخليفة، وهو:

أسعد الله عظماء الأملاك بالانتساب إلى الخدمة الشريفة النبوية، وأوزعهم ما أمرهم به من طاعتها. وخلّد مُلْك الديوان العزيز النبويّ ما دامت الأفلاك قائمة، والنجوم ناجمة، ونقَع بغمائمها غُلَل الآمال الحائمة، وفسَّر بمكارمها حُلُم الأمانيّ الحالمة، ورَتق بتدبيراتها المعصومة فُتوق النُّوَب المتعاظمة، وأظهر على أيدي أوليائها معجزات نَصْرِها، وصرَّف الأيام والليالي بين المرضِيَّين لله نَهْيِها وأمرِها، وأودع بركات السماء والأرض بمُودَعها ومستقرِّها.

المملوك وإن كان قد يسَّر الله له - مذ أُطلِقت عذَبَةُ لسانه - خدمةَ الدولة العباسية، فتفسَّح في وسيع مآثرها، وتخيّر من بديع جواهرها، وامْتَاح من نَمِير زواخرها، فإنه لا يعتذر عن الحَصَر الذي اعتراه في وَصْف المُنعَم عليه به من الخطاب الشريف، الذي (٢٧٩ أ) لولا أن عِصْمة الموالاة تُثبِّت قلبه(٣) الخافق، وتُسدِّد لسانه الناطق، لَمَا تعاطَى وصفَ ما

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٥٠٤.

(٢) في صبح الأعشى: كتب به القاضي الفاضل عن الملك الناصر صلاح الدين.

(٣) في الأصل: ولأه.

أعطاه من كتابه المرقوم، وسبق إليه من سحابه المركوم، فإنه مما يشفُ عنه الأمل ناكصاً وهو كَسِير، ويَنقلب دونه البصر خاسئاً وهو حَسير، إلا أن الإنعام الشريف يبدأ الأولياء بما لو وكَلَهم إلى أمانِيِّهم لتهيَّبتْ أن تتعاطى خُطبته، ولو فوَّضه إلى طلبتهم لنكلت عن أن تترقى هَضْبته[1]، ولا غرو أن للسحاب أن يصافح قطرُه الثَّرى، وللفجر أن يشرق على غير[2] الكرى والسرى.

فالحمد لله الذي قرَّبَ على المملوك منال الآمال، وثبت قوى[3] فؤاده لما لا تستقلّ بحمله صُمُّ الجبال، ويستنيب عن جهر الشكر بسِرّ الأدعية، ويقتصر على ما يُفضي به إلى المحاريب وإن لم يقصر عما يفيضه[4] في الأندية، ويطالع بأن مملوكَ الخدمةِ وابن مملوكها أخذ الكتاب بقوة، وشمَّر لخدمته تشمير خلافة لا تشهير بنوة[5]، وتلقاه تلَقِّيَ أبيه الأوَّلِ الكلمات، ورأى إطلاع اللهِ لأمير المؤمنين على ما في ضميره من طاعته إحدى المعجزات والكرامات، وسمع المشافهة خاشعاً متصدّعاً، واشتمل عليها بفهمه سامياً طرفه متطلعاً.

ولقد أشبه هذا الكتاب الكريم بيعة أُخذت عليه، مد لها يده آخذاً بكلتا يديه[6].

والمملوك يرجو بل يتحقق أن هذا العبد المشار إليه سَيُوفِي على سابقه من عبيد الدولة العباسية في الزمان، ويكون بمشيئة الله أسبق منهم بالإحسان.

وقد صدرت خِدمتان من جهته وبعدهما تصدُرُ الخِدَم، ولا يَألُو جَهْداً في الخدمتين مباشراً بيده السيف مستنيباً عنها للقلم[7]، وله نُصرة باقية في الولاء وهو غَنِيٌّ عن النظير[8]، وسريرة بادية في الطاعة هو إليها أسكن منه إلى كلّ مشير.

يعود المملوك إلى ما [لا] يزال يفتتح به الصلوات المفروضة، ويختتم به الخَتَمات المعروضة، من الدعاء الصالح الذي إن أغنى الله وَلِيَّهُ عنه فقد أحوج ذوي العقائد (٢٧٩ ب) السليمة إليه، لأنه مُزَكٍّ لأعمالهم، بل متمّم لإسلامهم، وكيف لا يَدْعُون لِمَن يُدْعَوْنَ به يوم يُدْعَى كُلُّ أناس بإمامهم.

فيقول: جمع الله لأمير المؤمنين طاعة خلقه، وأذل رقاب الباطل بسيف حقه، وجعل الله ما هو قبضتُه في الأخرى قبضةَ أمير المؤمنين في الأولى من الأرض التي هي موطوءة

(١) في صبح الأعشى: . . . أنت تتعاطى حظيته، ولو فوضه إلى راحتهم لنكلت عن أن تترقى نصيته.
(٢) في صبح الأعشى: أن يشرق نوره على عين الكرى والسرى.
(٣) في صبح الأعشى: وثبت حصاة.
(٤) في صبح الأعشى: عما يقصه.
(٥) كذا في الأصل. وفي صبح الأعشى: وشمر لخدمة أشرف خلافة لأشرف نبوة.
(٦) في الأصل: بكلتي يديه.
(٧) في صبح الأعشى: ومستنيباً عنها العلم.
(٨) في صبح الأعشى: النصير.

كالسماءِ ذات العُلا، وأدام نعمه على هذه الأُمة بإمامته، وأظهر كارمة نبيه عليه السلام بما يُظاهره من كرامته، وعجّل لمن لا يقوم بفرض ولائه[1] إقامة قيامته، وردّ بسيوفه التي لا تُردُّ ما الإسلام ممطول به من ظُلامته، وأقام به مناهج الدين لأهله، وأظهره بمظاهرته على الدِّين كلِّه، حتى يلقى الله وما خلّف في الدنيا كافراً، ولا ضميراً إلا بالتوحيد عامراً، ولا بلداً إلا وقد بات بالإسلام آهلاً، وقد أصبح منه الكفر دائراً[2].

الأُسلوب السادس

أن يفتتح الكتاب بالدعاء لديوان الخلافة، وعليه الاصطلاح الآن، قال في «التعريف» وكان سببُ مخاطبتهم الديوان الخضعانَ عن مخاطبة الخليفة.

ورسمه[3] على ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف» أن يقال: أدام الله أيام الديوان العزيز المولويّ السيديّ الإمامي الفلانيّ، ثم يؤتى بالدعاء المعطوف، والصدر بالتعظيم المألوف، وقد يفتتح بغير هذا الدعاء، مثل: أدام الله سلطان الديوان العزيز، وخلد الله سلطان الديوان العزيز، أو أيام الديوان العزيز، وما أشبه ذلك مما يقتضي العز والدوام.

والصدر نحو: العبد، أو المملوك، أو الخادم، يقبِّل الأرض أو العتبات أو مواطئ المواقف، أو غير ذلك.

ويختم الكتاب تارة بالدعاء، وتارة: بـ«طالَعَ»، أو «أنهى» أو غيرهما مما فيه معنى الإنهاء؛ ويخاطب الخليفة (٢٨٠ أ) في أثناء الكتاب بالديوان العزيز وبالمواقف المقدّسة أو المشرفة، والأبواب الشريفة، والباب العزيز، والمقام الأشرف، والجانب الأعلى أو الشريف، وبأمير المؤمنين، مجرَّدة عن سيدنا ومولانا، ومرة غير مجرّدة، مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة.

وأما خطاب المكتوب عنه فاختلف بحسب من كُتِب [عنه]، فكتَبَ بعض ملوك بني أيوب بالديار المصرية والممالك الشامية: الخادم، وبعضهم: المملوك، وبعضهم العبد، وبعضهم: أقل المماليك، وبعضهم: أقل العبيد. وكان علاء الدين خُوارزم شاه صاحب خُوارزم وما معها يكتب: الخادم المِطْواع، وتبعه ابنه جلال الدين على ذلك، وكانت أُمُّ جلال الدين تكتب: الأَمَة الداعية. قال في «التعريف»: والملوك والسوقة في ذلك لا تختلف.

---

(١) في صبح الأعشى: ولايته.

(٢) بعده في صبح الأعشى: إن شاء الله تعالى.

(٣) انظر صبح الأعشى جـ ٧ ص ١١٩.

وهذه نسخة كتاب من ذلك[1]

كتب به المقَرُّ الشهابيّ بن فضل الله، إلى الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان، أحد الخلفاء العباسية بالديار المصرية، عن رماة البندق بالشام جواباً عما ورد عليه من كتابهم، وهو يومئذ الحاكم في رماية البندق في أمر ناصر الدين بن الجِمْصيّ[2] أحد الرماة. وهي:

أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز المولويّ السيديّ النبويّ الإماميّ الحاكميّ، ونصر به جَمْع الإيمان، وبشر بأيامه الزمان، ومتّعه بالملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بما ورثه من سليمان.

ولا زال يخضع لمقامه كل جليل، ويُعرف لأيامه كلُّ وجه جميل، ويعترف لشرفه كلُّ معترف بالتفضيل، ولا كان إلاَّ كرمه المأمول، ودعاؤه المقبول، وعدوّه المصروع ووليه المحمول، ولا برِحت طاعته يُعقد عليها كلُّ جمع، (٢٨٠ ب) ومراسمه يُنصِت إليها كل سَمْع، وطوائف الذين كذبوا عليه لا تتلى عليهم آياته إلاَّ تَولَّوْا وأعينهم تفيض من الدمْع.

المماليك يقبّلون الأرض بالأبواب العالية التي هي خُطَّة شرفهم، ومكان تعبد القدماء منهم ومن سَلَفِهم، ويلوذون بذلك المقام، ويعوذون بذلك الحرَم الذي لا يبعُد نسبه من البيت الحرام، ويؤمّلون ذلك الكرم الذي ما منهم إلا من سَعِد به طائره، وجاءته به في وجه الصباح أشائره[3]، وفي وجه العِشاء بشائره، فنالوا به أقصى المرام، وقضوا به من العمر ما إذا قالوا يا سعْدُ لا يعنون به إلا ذلك الإمام، وينتهون إلى ما ورد به المرسوم الشريف الذي ما من المماليك إلا مَنْ مَتَّ إليه بقديم عبودِيَّته ورِقِّه، وسارع إلى طائره الميمون وحماه[4] بسبقه، وفتح له عينه وظن أنه حالم[5]، وامتثلوا أمره وكيف لا تمتثل الرُّماة أمر الحاكم، ولا سيما ابنُ عم سيدنا رسول الله ﷺ الإمام الحاكم، وأجلُّوه عن رفعه إلى العين إذ كانت تلك منزلة الحاجب[6]، وقدموا إليه خفوق قلوبهم الطائرة وما علموا أنْ كانوا قاموا بالواجب، ووقفوا على أحكام حاكمه فمآ شَكُّوا أن زمان هذا الفَنّ بزمان ناصره[7] في بغداد قد عاد، وأن مثاله المتمثِّل في سواد الحدق مما حكَتْه أيامه

---

(١) صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٣٠.

(٢) يكتب في الأصل دائماً: «الحمصر» وأثبت ما في صبح الأعشى

(٣) أشائره لعلها جمع إشارة أي إشاراته.

(٤) في صبح الأعشى: وحمله.

(٥) في الأصل: حايم وفي صبح الأعشى: حاكم.

(٦) في صبح الأعشى: على العين إذ كانت تلك بمنزلة الحاجب.

(٧) في صبح الأعشى: بزمان ناصره.

العباسية من شِعار السواد، وعلموا ما رسم به في معنى محمد بن الحمصيّ الذي ما نَوَّرت الليلةَ الظلماء أكاريخُه، ولا بعُدت في الإقعاد له تواريخُه، بل أخمدت دموع ندمه نيرانَه المشتعلة، وأصبح به لا يحمل القوس في يده إلا أنه مَشغله، وما كان أنهاه إلى الديوان العزيز مما لم تذكر الخواطر الشريفةُ بأنه فيه المفتري[1] وأنه صاحب القوس إلاَّ أن مَالَه سعادة المُشترِي، وأنه موَّه تمويه الجاحد، وتلوَّن مثل قوس قُزح وإلاَّ فقوس البندق لونٌ واحد، ودَلَّى بغروره، وَعَرض المَحضر الذي حمله على تغريره، وذلك في غَيْبة الأمير (٢٨١ أ) بهاء الدين البُندقدار الحاكميّ، الذي لو كان حاضراً لنَبَّأ بخبره، وأحسن بالإعلام بسوء محضره، وتحيّل لأخذ الخط الشريف الذي لو عقل لكان[2] حجة عليه، ومؤكداً لإبطال رميه وقوسه وبندقه في يديه، لما تضمَّنه الخط الشريف [المقيَّد اللفظ] المكتتب على المصطلح، الساحب ذيل فخاره على المُقْتَرَح، الذي هدى إلى الخير، وبدأ به ما وُهب من الملك السليمانيّ الذي أُوتي من كل شيء وعُلِّم منطق الطير، فإنه لم يُكتب له إلاَّ بأن يرمي على الوجه المرضِيّ بساعده، واستيفاء[3] شروط البندق والخروج من جميع الأشكال عملاً بقواعده، ويُعلِم أنه إنما رعى حقّ قُدْمته ولا [فعل] في الباب العزيز ما يجب من التحلّي بشعار الصدق في خدمته وأنه خالف عادةَ الأدب، وأخطأ في الكل لكنه نَدَب، وذلك بعد أن عمل له جميعُ رماة البندق، وسُئل فأجاب بأنه سالم من كُلّ إشكال يُشكل، وأنه بعد أن أقعد رَمَى وحَمَل وحُمِل، فشهد عليه السادة الأمراء ولاةُ العهد إخوة أمير المؤمنين ومن حضر، وكتبوا خطوطهم في المحضر، وما حصل الآن عند عرض قصة المماليك بالمواقف المقدّسة، ووضوح قضِيَّته المدنّسة، من التعجُّب من اعتراف المماليك لكونهم رموا معه بعد أن رأوا الخطّ الشريف وهو لفظ مُقَيَّد، وأمرٌ أيِّد به رأيُ الإمام الحاكم بأمر الله المسترشد بالله والمُؤَيَّد، وكل ما أمر به أميرُ المؤمنين لا مَعْدِلَ عن طُرُقه، ولا جدال إلاَّ به إذا أُلزم كلُّ أحد طائِرَه في عُنُقه، وأمير المؤمنين بحر لا يُورد إلاَّ عن علمه[4]، وهو الحاكم ولا رادَّ لحُكمه، وإنما ابن الحمصيّ المذكور عَدِم السّداد، وخالف جاريَ العادة في الحِمَّص فإنه هو الذي سُلِق في الافتراء بألسنة حِداد، ولم يُوقفِ المماليك من الخط الشريف إلاَّ على بعضه، ولا أراهم من بَرقه المتهلّل غير وَمْضِه. والذي أوقفهم عليه منه أن يَرْمِي محمدُ بن الحمصيّ ويُرمى معه، وكلمة أمير المؤمنين (٢٨١ ب) مُستَمعَة، ومراسيمه مُتَّبعة،

(١) في صبح الأعشى: قبة المفتري.
(٢) في صبح الأعشى: سقط كلام من أول قوله «لو كان حاضراً» إلى قوله «لكان حجة» ونصه فيه: لو كان حاضراً لكان حجه عليه.
(٣) في صبح الأعشى: المرضى واستيفاء.
(٤) في صبح الأعشى: لا يرد إلا من علمه.

وإذا تقدم كان الناس[١] تبعه، غير أن المذكور بَدَتْ منه أمور قطع بها الأمير صارم الدين صارُوجا الحاكم البُنْدُقدار في حقه، وأقعده عن قُدْمته التي كان يَمُتُّ فيها بِسَبْقه، وانتقل عنه غلمانُه، وثقل عليه زمانُه، ونودي عليه في جمع كبير يزيد على تسعين قَوْساً، وجُرح لِخطإٍ بندقه جرحاً لا يُؤَسّى، ثم بعد مدّة سنين توسّل بولد الأمير المرحوم سيف الدين تنكز إلى أبيه، وتوصّل به إلى مراميه، فأمر أن يُرمى معه وهدَّد المخالف[٢] بالضرب، ولم يَرْمِ معه أحد برضاه إلاّ خوف أن تُوقد نارُ الحرب، فلما مضت تلك الأيام، وانقضت تلك الأحلام، جمع مملوكُ الأبواب العالية الأميرُ علاءُ الدين بن الأبو بكري الحاكم في البندق الآنَ مِنْ رُماة البندق جمعاً كثيراً، واهتم به اهتماماً كبيراً، وذكر أمر المذكور، وأحضر محضره المسطور، ولم يكن عليه تعويل، ولا في حكم الحاكم المُقدَّم[٣] تعليل، ولا عند هذا الحاكم الذي ادّعَى له وادّعي عنده تجوز الأباطيل، وتحقّق أن الحق فيما حكم عليه فتُبع، وترجَّح أنْ لا يقام منه من أُقعِد ولا يُوصل منه ما قُطِع، فنفَّذ حكم الحاكم المتقدّم، واستمرّ بقعوده المتحتِّم، ووافقه على هذا سائر الرماة بالبلاد الشامية وحُكّامها، ومن يُرْجَع إليه في الرماية وأحكامها، وبطلت قُدْمَةُ المذكور التي ذهب فيها عمرُه ضائعاً، وزمانه الذي إذا اشتريت منه ساعة بالعمر لم يكن نافعاً.

ولما ورد الآن هذا المرسوم الشريف زاده الله شرفاً قبَّلوا الأرض لديه، وأوقفوا عليه حاكمهم المُسمَّى فوقف له وعليه، وجمع له جمعاً لم يَدَع من الرُّماة مُعْتَبراً ولا من يُلْقِم القَوْسَ وتَرَا، ولا من إذا قَعَد كالعَيْن جَرَى ما جَرَى، ثم قرأ عليهم ما تضمَّن، ودَعَوْا لأمير المؤمنين ولم يبق منهم إلاَّ من دَعَا وأمَّن، وتضاعف سرورهم بحكمه الذي رفع الخَلَل، وقطع الجَدَل، وقالوا لا عَدِمْنا أيام هذا الحاكم الذي أنصف (٢٨٢ أ) والإمام الذي عَدَل، وبقي ابن الحمصيّ مُثْلَة، ونودي عليه إنه مَنْ رمى معه كان مُخطئاً مِثْله، وَوَقَرتْ هذه المناداة في كل مَسْمَع، وقرَّت استقراراً انْفَصل عليه المَجْمع[٤]، وذلك بما فُهم من أمير المؤمنين وبنصِّ كتابه المبين، وبما قضى الله به على لسان خليفته الحاكم واللهُ أحكمُ الحاكمين، وطالعوا بها وأنْهَوْا صورةَ الحال، وجمعوا في إمضائه الآمال، لا زالت سعادة أمير المؤمنين مُنزَّهةً عن الشُّبَه، بعيدةً عن الشُّبْه[٥] آخذة من خير الدارين كلَّ اثنين في وَجْه، حتى تَخْصُل كل رمية من كَثَب، ولا يَرْمي في كل لعبة[٦] إلا كل مُضْطَحب ما غَبَّ

---

(١) في الأصل: الرأس.

(٢) في الأصل: وهودا يحالف.

(٣) في صبح الأعشى: المتقدم.

(٤) في صبح الأعشى: استقرار الفضل عليه المجمع.

(٥) في صبح الأعشى: سعادة أمير المؤمنين منزهة عن الشبه، آخذة.

(٦) في صبح الأعشى: «كل أمنة» وفي الأصل الكلمة غير منقوطة.

في السماء المِرْزَم، ووقع العُقاب على ثَنِيَّتِهِ يَقْرَع سِنَّه ويتندَّم، وعلا النَّسرُ الطائر والواقع على آثاره وسائرُ طيور النُّجوم والحُوَّم، إن شاء الله تعالى.

قلت: وهذا الكتاب أنشأه المقرّ الشهابي بن فضل الله المقدّم ذكره بناء على مذهبه في أن المكاتبة إلى الخليفة تكون بالدّعاء للديوان العزيز من الملك والسوقة لا يختلف، وفيه نظر، بل الذي ينبغي أن يُفتتح الكتابة إليه بتقبيل الأرض، على ما يكتب به للملوك، إذ الملوك نُوَّابه وأتباعه ولا أعلى منه رتبة.

وأما الكتب إلى ولاة العهد بالخلافة[1]

فقال أبو جعفر النحاس في «صناعة الكتاب»: ويكون التصدير في المكاتبة إلى وليّ العهد على ما تقدَّم في المكاتبة إلى الخلفاء مع تغيير الأسماء، يعني أنه لا يقال فيه الإمام ولا أمير المؤمنين، بل ولي عهد المسلمين، وفي التصدير مع السلام: وبركاته، في أول الكتاب وآخره، وفي ولي العهد بحذف «وبركاته» من التصدير، فكانوا يكتبون لولي العهد: لعبد الله أبي فلانٍ فلانٍ وليّ عهد المسلمين، سلامٌ على وَليِّ عهد المسلمين ورحمة الله (٢٨٢ ب) فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ، أما بعد، أطال الله بقاء ولي عهد المسلمين. ويأتي على المقصد على ما تقدم في الكتب إلى الخليفة، ثم يختمه بقوله: والسلام على وليّ عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته.

أما على المصطلح المستقر عليه الحال فقد ذكر المقرّ الشهابي بن فضل الله في كتابه «التعريف» أنه يكتب إلى ولي العهد بالخلافة ما صورته: ضاعف الله تعالى جلال الجانب الشريف المولويّ السيديّ النبويّ الفلانيّ. ثم يُدعى له، قال صاحب «التثقيف»: والخطابُ له بمولانا وليّ العهد ونحو ذلك، والتعبير عن المكتوب عنه: بالخادم يقبل العتبات الشريفة، أو اليد الشريفة، ونحو ذلك. والعلامة إليه: الخادم. على نسبة ما في الصدر، والعنوان عن نظير الألقاب التي في الصدر. قال في «التثقيف»: وهذا على عادة من تقدم الملوك، أما في زماننا وقبله بمُدّة مديدة فإنه لم يكتب إلى وليّ عهد

قلت: ومما يجب التنبيه عليه قطع الورق الذي يُكتب فيه إلى الخليفة، لا شك في أنه كان يكتب للخليفة ووليّ العهد حين كانت الخلافة بالعراق في قطع البغدادي بقلم مختصر الطومار على ما يظهر، أو في ثلثي القطع البغدادي على ما ذكره محمد بن عمر المدائني حيث كانت بيعاتهم وعهودهم تكتب في ذلك، أما الآن حيث صارت عهودهم وبيعاتهم تكتب في قطع الشامي الكامل بقلم الثلث الخفيف فإنه ينبغي أن يكون الكُتُب إليهم على هذا النمط، تأسِّياً بما اعتمدوه في ذلك، وإلا فالواجب الكتابة في البغدادي الكامل، على ما كان الأمر عليه في الزمن القديم.

---

(١) انظر صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٥٦ وجـ ٧ ص ١٣٤.

الباب السابع

(٢٨٣ أ) في ذكر أوائلَ منسوبةٍ إلى الخلفاء، وغرائبَ ومُلَحٍ وأعاجيبَ تتعلق بهم، وفيه فصلان:

الفصل الأَول

في ذكر نبذة من الأوائل المنسوبة إليهم:

أوّل من بويع الخلافة أبو بكر الصديق بعد وفاة النبي ﷺ، وقد مر ذكر ذلك في الباب الأول في الكلام على الطرق التي تنعقد بها الخلافة، وهو أول خليفة ولي وأبوه حيٌّ، فقيل لأبيه أبي قُحافة: استُخْلِف أبو بكر، قال: أقرَّت بذلك بنو قُصَيّ، قيل: نعم، قال: يفعل الله ما يشاء. وبقي أبو قحافة بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر وأيام، ثم توفي في المحرم سنة أَربع عشرة،

وهو أول من عَهد بالخلافة، عَهِد بها لعمر بن الخطاب، وقد مر ذكره في الباب الأول أيضاً،

وهو أَول من جمع القرآن حين قُتِل القُرَّاءُ باليمامة في حرب مُسيلمة الكذاب، وسمَّاه مصحفاً، وكان قبل ذلك مكتوباً في عُسُب النخل أو أكتاف الإبل ونحوها.

[أول خليفة سمي بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو أول من فتح الفتوح وأول من مصر الأمصار][١] وهو أول من دوّن الدواوين في الإسلام، قال القضاعي: دوَّنها في سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين. قال الماوردي[٢]: واختلف في سبب وضعه فقيل: إن أبا هريرة رضي الله عنه قَدِم عليه بمال من البحرين فقال: ماذا جئت به؟ قال: خمسمائة

---

(١) في الأصل سقط وزدت ما اقتبسته من تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٣ وكتاب محاضرة الأوائل ص ٨٠. هذ وفي تاريخ الخلفاء أيضاً أنه أول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات وأول من احتبس صدقة في الإسلام وأول من أخذ زكاة الخيل وأول من قال: أطال الله بقاءك وأول من قال: أيدك الله وأول من استقضى القضاة في الأمصار. وفي كتاب محاضرة الأوائل: أو من رتب الناس والجنود شرقاً وغرباً، وسير الأعلام ورتب الألوية وسير الجيوش شرقاً وغرباً وفرض الفرائض وعرف العرفاء.

(٢) انظر صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية ١٧٥.

ألف درهم، فاستكثره عمر وقال: أتدري ما تقول؟ قال نعم، مائة ألف خمس مرات، فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عيه ثم قال: أيها الناس قد جاءَ مال كثير، فإن شئتم كِلْنا لكم كَيْلا، وإن شئتم عَدَدْنا لكم عَدًّا، فقال رجل: يا أمير المؤمنين قد رأيتُ الأعاجم يُدَوِّنون دِيواناً لهم، فَدَوِّن لنا أنت ديواناً. فأمر بوضع الدواوين، وقيل: بل بعث (٢٨٣ ب) عمر رضي الله عنه بعثا وعنده الهرمزان، فقال لعمر: قد أعطيت أهل هذا البَعْث الأموال، فإن تخلَّف منهم رجلٌ أخلَّ بمكانه من أين يعلم صاحبُه. فأثبت لهم ديواناً، فسأله عن الديوان ففسره له، فأمر بوضع الديوان. وقيل: إن عمر استشار المسلمين في أمر المال فقال عَليٌّ: نَقْسِم كلَّ سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تُمسك منه شيئاً، فقال عثمان أرى مالاً كثيراً، وإن لم تُحْصِ الناس حتى تعلم من أخذ ممن لم يأخذ انتشر الأمر، فقال خالد بن الوليد: قد كنتُ بالشام فرأيت ملوكها دوَّنوا ديواناً وجنَّدوا جنوداً، فدَوِّنْ ديواناً وجَنِّد جنوداً، فأخذ بقوله.

وهو أول من أرخ بعام الهجرة، قال في «ذخيرة الكتاب»: لما أراد وضع التاريخ جمع الناس للمشروة، فقال بعضهم: نؤرخ بمبعث النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل بوفاته، وقال بعضهم: بل بهجرته من مكة إلى المدينة لأنها أول ظهور الإسلام، فصوَّبه عمر وأجمع رأيُهم عليه، وكانت الهجرة في شهر ربيع الأول بعد عشر من النبوة، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، فاختلفوا في الشهر الذي يبدؤون به، فأشار بعضهم بالبَدَاءَة برمضان لشرفه، فقال عمر: بل بالمحرم، لأنه مُنْصَرَف الناس من حجهم، فرجع القَهقري ثمانيةً وستين يوماً، وهي القدر الذي مضى من أول المحرم إلى اثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول، وابتداءُ التاريخ من أول المحرم لتلك السنة.

قال أبو هلال العسكري: أراد بذلك اجتماع الأشهر الحرم في سنة واحدة.

وهو أول من اتخذ بيت مال، فيما ذكره العسكريُّ عن قتادة.

وهو أول من سنَّ قيام شهر رمضان وجمع الناس على إمام واحد في التراويح، وذلك في سنة أربعَ عشرة.

وهو أول من عَسَّ بالليل.

وهو أول من عاقب شاعراً على الهجاء، عاقب الحطيئة حين هجا (٢٨٤ أ) الزِّبرقان بن بدر، بأن حبسه في بئر ثم أخرجه وطلب شَفْرة يُوهمه أنه يريد قَطْعَ لسانه تخويفاً له ليكف عن الهجاء.

وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين، وكان أبو بكر رضي الله عنه قبل ذلك يجلد فيه أربعين.

وهو أول من حرم المُتعة بالنساء، وهي أن تُنكح المرأة على شيء إلى أجل، وكانت مباحة قبل ذلك.

وهو أول من نهى عن بيع أُمّهات الأولاد وهِبَتِهن وجَعْلِهِنّ ميراثاً.

وهو أول من مَسحَ سوادَ العراق على يد عثمان بن حُنَيْف، وهو من أرض الموصل إلى عَبَّادان طولا، وذلك مائة وخمسة وعشرون فرسخا، ومن عَقَبة حُلْوَان إلى القادسية عرضاً، وذلك ثمانون فرسخا[١]، وبلغت جُرْبَانه ستةً وثلاثين ألف ألف جريب[٢].

وهو أول من صالح العمال على مال يأخذه منهم، وكان من ذلك أنه شاطر عمرّو بن العاص مالَه وهو أميرُ مصر يومئذ.

وهو أول من حمل الطعام من مصر في بحر أَيْلَة إلى المدينة حين أقحطوا في عام الرَّمادة، والأمير على مصر يومئذ عمرو بن العاص، قال القضاعي: حفر خليج القاهرة من الفسطاط إلى السويس في ثمانية أشهر، وجرت فيه السفن بالطعام من عامه، فكان ينقل منها إلى السفن ببحر القُلْزُم فيحمل منها إلى المدينة.

وهو أول من أعال الفرائض، فيما ذكره العسكري عن ابن عباس، وكان ابن عباس ينكر القول، ولم يظهر ذلك إلاّ بعد موت عمر، فقيل له: هَلاً قلت ذلك في زمن عمر؟ قال: كان رجلاً مَهيباً فهِبته.

وهو أول من اتخذ الدُّرَّة وحملها ليعذب بها الجناة، وكانت من الهيبة بحيث قال الشَّعْبِيّ: إن درة عمر لأهيبُ من سيف الحجَّاج.

أول خليفة وَلي وأُمُّه في قيد الحياة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم موسى وهارون ابنَا المهديّ، ثم المعتضد ثم المطيع

وهو أول من أقطع القطائع (٢٨٤ ب) بالأرضين. من الخلفاء، قال العسكري: فعل ذلك اقتداء بالنبي ﷺ.

وهو أوَّل من حمى الحمي لإبل الصدقة ونحوها.

وهو أول من خفض صوته بالتكبير في الصلاة، فيما ذكره العسكري عن عاصم بن أبي محكن.

---

(١) في معجم البلدان: وحدّ السواد من حديثة الموصل طولاً إلى عبادان ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً فيكون طوله مائة وستين فرسخا وأما العراق في العرف فطوله يقصر عن طول السواد وعرضه مستوعب لعرض السواد. . . . فيكون طوله مائة وخمسة وعشرين فرسخا يقصر عن طول السواد بخمسة وثلاين فرسخا وعرضه كالسواد ثمانون فرسخا. انظر «السواد».

(٢) انظر حسابه بالجريب في معجم البلدان «السواد».

وهو أول من خَلَّق المسجد.

وهو أول من ارتقى إلى مقام النبي ﷺ على المنبر، إذ كان أبو بكر قد نزل عنه درجة، ثم جاء عمر فنزل عنه أخرى، فلما جاء عثمان رَقِيَ إلى حيث كان يرْقى النبيّ ﷺ، فقال سلمان: اليوم وُلد الشرّ، وقد ذكر ذلك بعضُ الخلفاء فأنكره، فقال له بعض الحاضرين: اشْكُره يا أمير المؤمنين، فلولا ذلك لكنتَ اليوم تخطب في بئر.

وهو أول من أُرتِج عليه في الخُطبة فقال: أيها الناس إن اللذين تقدَّماني كانا يُعِدَّان لهذا الموقف كلاماً، وأنتم إلى إمام عادل أحوجُ منكم إلى إمام قائِل، وستأتيكم الخطبة على وجهها، ثم نزل.

وهو أول من قدّم الخطبة قبل الصلاة في العيدين حين رأى كثيراً من الناس يذهبون قبل سماع الخطبة، وكان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان في أول خلافته يصلون ثم يخطبون كما هو الآن.

وهو أول من فوض إلى الناس إخراج زكواتهم بأنفسهم من غير دفعها إلى الإمام.

وهو أول من اتخذ صاحب شُرطة.

قال الثعالبي في «لطائف المعارف»: وهو أول من قيل: تَنَحَّ عن الطريق عند سير الخليفة.

أول من بايع عليًّا رضي الله عنه بالخلافة طلحة، وكانت يده شلاء، فقال حبيب بن ذُؤَيب: أول من بايعه أشلُّ فما أظن هذا الأمر يتم، وقيل: أول من بايعه الأشتر النَّخَعي.

وهو أول خليفة وقع في زمنه قتال بين أهل القبلة، وذلك في وقعة الجَمَل.

وهو أول من اتّخذ بيتاً يُطرح فيه القِصَص (٢٨٥ أ) حتى كتبوا شتمه وألقوه فيه، فتركه، ثم اتخذه المهدي أيام خلافته.

وهو أول من فرق بين البينة في شهادة الخصوم.

أول من اتخذ ديوان الخاتَم معاوية، جعل ديواناً لختم كُتبه التي تكتب عنه، وكان سبب ذلك فيما ذكره الثعالبي أن عَمْرو بن الزُّبير قدم عليه، فأمر له بمائة ألف درهم، وكتب له بذلك كتاباً إلى زياد بالعراق، ففضَّ عمروٌ الكتابَ وجعل المائة مائتين، فلما اطلع معاوية على ذلك اتخذ ديوان الخاتم.

أول من بايع لولده معاوية بن أبي سفيان، بايع لابنه يزيد بالخلافة بعده.

وهو أول من وضع البريد في الإسلام، نقله عن ملوك الفرس، وأحكمه بعد ذلك عبد الملك بن مروان.

وهو أول من سمى الغالية غالية، شمها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأله عنها، فوصفها له، فقال: إنها غالية. ويقال: إنه شمها من مالك بن أسماء بن خارجة، وكانت أخته هند أول من صنعتها، وأنكر الجاحظ ذلك كله وقال: إنَّا نجد في أشعار الجاهلية ذكر الغالية، وربما قيل: إنها أتت العرب من جهة الحبشة.

وهو أول من عمل المقصورة في الجامع ليصلِّيَ فيها، قيل: إنه رأى على مِنبره كلباً فاتخذها، وقيل: أول من اتخذها مروان بن الحكم، اتخذها من حجارة منقوشة، وجعل لها كُوًى، خوفاً على نفسه، وقيل: أول من اتخذها عثمان رضي الله عنه، خوفاً أن يصيبه ما أصاب عمر.

وهو أول من خطب جالساً حين كَثُر شَحْمه وعظُم بطنُه.

وهو أول خليفة عبث به رعيته واجترأت عليه، حتى قام إليه رجل فقال: لِيُخْبِرْنا أميرُ المؤمنين مَنْ كان زوج أُمِّه قبل أبي سفيان: فقال: حفص بن المغيرة، ثم كلم ذلك الرجلُ عمرَو بنَ الزُّبير، فأغلظ عليه في كلامه، فأمر به فضُرب حتى مات، فبلغ ذلك معاوية فلامه، فقيل: إنه القائل لك كذا، فقال: إذن قَتَلْتُهُ وأنا أحقُّ مَنْ وَدَاه.

وهو أول من أمر بإقراء السلام (٢٨٥ ب) على الخلفاء، وأقره عمر بن عبد العزيز.

وهو أول من استلحق في الإسلام، استلحق زياداً عَمَلاً بقول أبيه أبي سفيان لولا أن يُنْبِرِقَ عُمَرُ إهابي لعَرَّفت أن زياداً قريبُ النسب مني، أنا غرسته في رحم أُمِّه.

وهو أولُ من اتخذ الخصيان لخاص خِدْمته.

أول من أخرج المنبر إلى الصحراء في العيد مروانُ بن الحَكَم.

وهو أول من أخذ الجار بالجار، فيما ذكره العسكري، أخذ فتًى بأبيه فجلده وتمثل بقول الشاعر:

جانِيك مَنْ يَجْنِي عليكَ وَقَدْ تُعْدِي الصِّحَاحَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ

فقال الفتى: ما هكذا قال الله تعالى بل قال ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الانعام: الآية ١٦٤] فرقَّ له وخلاَّه.

ويحكي مثلُ ذلك عن الحجاج بن يوسف.

أول من نهى عن الكلام بحضرة الخليفة عبدُ الملك ابن مروان، وكان الناس قبل ذلك يُراجعون الخليفة فيما يقول ويعترضون عليه فيما يفعل، وأكثر ما كان ذلك على عثمان.

وهو أول من ضرب الدراهم في الإسلام وكتب في أولها ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

[الإخلاص: الآية ١] سنة خمس وسبعين، وجعل كل عشرة منها وزن سبع مثاقيل، فاستمر هذا الوزن إلى الآن، وإنما كان قبل ذلك الدراهم المشخصة، ثم ضربها الحجاج ونقش عليها ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝﴾ [الإخلاص الآية ١، ٢] ونهى أن يَطْبع أحدٌ غيرَه، فطبع سهير اليهودي دراهمه السُّهيرية من فضة خالصة، وجعل فيها ذهباً، فأمر الحجاج بقتله، فقال: انْظُر فإن لم تكن أجود من دراهمك فاقتلني، فوجدها [أجود] منها، فأمر بقتله لجُرأته على ضَرْبها، قال: فإني أعرض عليك أمراً فإن رأيته أصلح للمسلمين من قتلي فأعْفني، قال: هاته، فوضع الأوزان وزْنَ ألفٍ وخَمْسِ مائة وثلاثِمائة إلى وزْنِ رُبع قيراط، فجعلها حديداً، ونقشها، وجاء بها إلى الحجاج، فأعجبه وعفا عنه، وكان الناس قبل ذلك يأخذون الدرهمَ الوازِنَ فيزنون به غيره، وأكثر ذلك يؤخذ عدداً.

وهو أول من نقل الديوان من الفارسية بالعراق ومن الرومية (٢٨٦ أ) بالشام إلى العربية. وهو أول من رفع يده على المنبر، وهو أول خليفة بَخِل حتى كان يقال له: رَشْحُ الحجر، لبخله، كما تقدم في ترجمته، يقال إن بعض أَخصَّائه لامه يوماً على ذلك فقال: أما سمعت قول القائل: أجِعْ كلبَك يتبَعْك؟ فقال: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يُلَوِّح له غيرك بكِسْرة فيتركك ويتبعه؟

أول من اتخذ البيمارستان للمرضى في الإسلام الوليد بن عبد الملك، بني بيمارستانا بدمشق وسَبَّلَه على المرضى، أما مصر فأول من اتخذه بها أحمد بن طولون، بناه بالفسطاط، وهو باق إلى الآن، ثم اتخذ السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بيمارستانا بالقاهرة في قاعة من قاعات القصر أُخْبِرَ أنه لا يدخلها النمل، وهو باق إلى الآن ثم اتخذ المنصور قلاوون البيمارستان الكبير، بين القصرين، فأنسى ذِكْر ما كان قبله.

وهو أول من أجرى الرواتب على القُرَّاء والعميان وأصحاب العاهات.

وهو أول خليفة أقام ناموس المُلْك ومنع من دعاء الخليفة باسمه ومراجعته في الكلام، وقام بذلك خطيباً فقال: أيها الناس إنكم كنتم تُكلِّمون من قبلي من الخلفاء بكلام الأكْفَاء، تقولون يا معاوية، يا يزيد، وإني أعطي اللهَ عهداً يأخذني بالوفاء به لا يُكلِّمني أحد بمثل ذلك إلاَّ أتلفتُ نفسه، ثم إن رجلاً قال له بعد ذلك: اتق الله يا وليد فإ الكبرياء للهِ. فأمر به فَوُطِئ بالأقدام، فأيقظ الناسَ ذلك.

أول خليفة اتخذ الأتراك أبو جعفر المنصور، اتخذ حَمَّاداً التركيَّ، ثم اتخذ المهدي بعده مُباركاً التركيّ وغيره.

وهو أول خليفة جمع لعاملٍ بين الحَرْث والخَراج، جمع بينهما لخالد بن برمك بفارس.

أول خليفة زاد في الكتب: وأسأله أن يصلي على محمد وآله، هارونُ الرشيدُ[1] كما تقدم في المكاتبات (٢٨٦ ب) قالوا: وكان ذلك من أفضل مناقبه.

وهو أول خليفة جلس في المصائب على البساط دون أنماط تحته حين نُعِي إليه إبراهيم بن صالح بن عليّ، وصار إلى داره وقال: لا يَحْسُن بأحد أن يجلس في دار حبيب من أهله على نَمط ولا نُمْرُقة، فاستنَّ بنو العباس ذلك في المصائب.

أول من دُعِيَ بنعْتِه على المنبر محمدٌ الأمين فقيل[2] اللهم وأصلِحْ عبدك وخليفتك عبدَ الله محمداً الأمينَ. ولم يُذْكر قَبْله نَعْتُ أحد من الخلفاء على منبر.

أول من أخَّر النَّيروز المتوكلُ، وقد مرّ القول عليه في الكلام على نقل السنة.

وهو أول من أمر بتغيير زِيِّ أهل الذّمة، وقد مر القول على ذلك في بابه أيضاً.

الفصل الثاني

في ذكر غرائب وملح وأعاجيب تتعلق بالخلفاء غرائب تتعلق بولاية الخلافة من ولي الخلافة في حياة أبيه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وليها وأبوه حيّ.

الطائع لله انخلع له أبوه المطيع منها حين ضعف وعجز عن القيام بها وولي مكانه، وعاش أبوه بعد ذلك أربعين يوماً ثم مات.

من ولي الخلافة وله أخ أسنُّ منه[3].

أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وليها وأخوه عَقِيل أسن منه بعشرين سنة.

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وليها وأخوه عبد الله أسن منه.

هشام بن عبد الملك وليها وأخوه مَسْلمة أسنُّ منه.

يزيد بن الوليد وأخوه إبراهيم، ولياها وأخوهما العباس وغيره من إخوتهما أسن منهما

---

(١) الذي تقدم في ذلك هو المأمون وكذلك هو في صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٨١.

(٢) في الأصل: من دعا.... فقال: والتصويب مما سبق في الأصل عند ذكره لترتيب الخلافة.

(٣) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي:

هذا من الخلفاء. وأما من غيرهم فإن موسى بن عبيدة الذي يروي عنه الحديث كان أخوه عبد الله أسن منه بثمانين سنة وهو من أغرب الغرائب وأعجب العجائب وأعجب منه في التقارب أن عمرو بن العاص كان بينه وبين ابنه عبد الله ثلاث عشرة سنة. ومهم الاتفاقيات؟؟

أبو العباس السفاح وليها وأخوه أبو جعفر المنصور أسن منه بسنين وأعقل منه.
هارون الرشيد وليها وأخوه (٢٨٧ أ) محمد [بن] المهدي أسن منه
محمد الأمين وليها وأخوه المأمون أسن منه بستة أشهر وأعقل منه.
الواثق بالله وليها وأخوه محمد والد المستعين أسن منه.
المتوكل على الله وليها وأخوه أحمد أسن منه.
المعتز بالله وليها وأكثر إخوته أسن منه.
القاهر بالله وليها وأخوه هارون أسن منه.
المطيع لله وليها وأخوه العباس وغيره من إخوته أسن منه.
الطائع لله وليها وأخوه عبد العزيز أسن منه.
من ولي الخلافة من الإخوة:
أربعة إخوة وَلُوا الخلافة: هم الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، بنو عبد الملك بن مروان، لا يعرف ذلك لِسِواهم.
ثلاثة إخوة ولوا الخلافة، هم الأمين والمأمون والمعتصم بنو هارون الرشيد.
والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل.
والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد.
والراضي والمقتفي والمطيع بنو المقتدر.
وأما أخوان وليا الخلافة فكثير، منهم يزيد وإبراهيم ابنا الوليد.
والسفاح والمنصور ابنا محمد
والهادي والرشيد ابنا المهدي.
والواثق والمتوكل ابنا المعتصم، وغيرهم.
من ولي صبياً:
جعفر بن المقتدر ولي ولم يستكمل إحدى عشرة سنة.
معاوية بن يزيد ولي وله تسع عشرة سنة.
من ولي مُسِنًّا قد جاوز الستين:
أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولي وله إحدى وستون سنة.
عبدالله بن الزبير ولي وله أربع وستون سنة.

مروان بن الحكم ولي وله إحدى وستون سنة.

اتفاقية عجيبة في خلع الخلفاء

قال الصولي: الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد أن يُخلع. النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن خلع.

ثم معاوية، ويزيد، ومعاوية، ومروان، وعبد الملك وعبد الله بن الزبير فخلع.

ثم لم يكن في الدولة الأموية من يكمل الستة فكان منهم يزيد بن الوليد (٢٨٧ ب)، ثم إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد وهو آخرهم.

ثم أتى الله تعالى بالدولة العباسية

فكان منهم السفاح، والمنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، والأمين فخلع.

ثم المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر والمستعين فخلع.

ثم المعتز، والمهتدي، والمعتمد، والمعتضد، والمكتفي، والمقتدر، فخلع في فتنة ابن المعتز ثمَّ ردَّ.

قال صاحب «رأس مال النديم»: ثم القاهر ثم الراضي ثم المقتفي، ثم المكتفي، ثم المطيع، ثم الطائع فخلع.

قال الصلاح الصفدي: ثم القادر ثم القائم ثم المقتدي ثم المستظهر ثم المسترشد ثم الراشد فخلع.

ثم المقتفي ثم المستنجد ثم المستضيء ثم الناصر ثم الظاهر ثم المستعصم فخلع، وقتل أيام هولاكو ملك التتار.

قلت: ثم بويع المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بالديار المصرية في الدولة الظاهرية بيبرس، وجهزه الملك الظاهر إلى بغداد ليقتلعها من التتر فقتله التتر قبل وصوله إليها، فهو في الحقيقة من خلفاء العراق وإن بويع له بمصر، ثم بويع بعده بالديار المصرية الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين، واستقرَّ بها قدمهُ، فهو في الحقيقة أول خلفائها، ثم كان بعده بها ابنه المستكفي سليمان، ثم الحاكم الثاني أحمد بن المستكفي، ثم ابنه الثاني الواثق إبراهيم، ثم ابنه الثالث المعْتضد أبو بكر، ثم المتوكل محمد بن المعتضد أبي بكر فخلع، ثم أُعيد، ثم خلع، ثم أُعيد، ثم كان بعده ابنه الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس ابن المتوكل، ثم ابنه الثاني الإمام الأعظم المعتضد بالله أبو الفتح داود خليفة العصر، خلد الله أيامه، والله أعلم بمن يكون السادس فيخلع.

ملح ونوادر تتعلق بالخلفاء

ثمانية كانوا موجودين في زمن واحد ولي كل منهم الخلافة وهم.

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، والحسن، ومعاوية وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، (٢٨٨ أ) كلهم كانوا موجودين عند وفاة النبي ﷺ، وقد ولي كل منهم الخلافة.

أحد عشر كانوا في زمن واحد ولي كل منهم الخلافة وهم:

الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر ابن عبد العزز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام ابن عبد الملك، والوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد، وأبو العباس السفاح، وأبو جعفر المنصور، كانوا موجودين في آخر أيام الوليد بن عبد الملك، وقد ولوا الخلافة.

خليفة أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة هو:

مروان بن الحكم.

وأولاده العشرة.

عبد الملك، ومعاوية، وعبد العزيز، وبشر، وعمر، ومحمد، وعبيد الله، وعبدالله، وأيوب، وداود.

وإخوته العشرة[1]

عثمان الأكبر، وعثمان الأصغر، والحارث، وعبد الرحمن، وصالح، وأبان، ويحيى، وحبيب، وعمرو.

وأولاد إخوته العشرة[2]

عبد الواحد، وعبد الملك، وعبد العزيز، وسعيد، أولاد [. . . .][3] الحكم، وحرب، وعثمان، وعمر، أولاد الحارث بن الحكم، ويوسف وسليمان ويحيى أولاد عبد الرحمن بن الحكم.

---

(١) في نسب قريش ص ١٥٩ أن الحكم بن أبي العاصي ولد أحداً وعشرين رجلاً ونسوة.

(٢) في نسب قريش ١٦٩-١٧١ أولاد الحارث بن الحكم: عبد الملك وعبد العزيز وعبد الواحد وعبد ربه وعثمان وأبو بكر. وولد عبد الرحمن بن الحكم [حرب وأبان وغيرهما] وأبو بكر وعمرو وسلمة وحبيب. وولد حبيب بن الحكم: أم عبد الله. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٧٩ ولد الحكم بن أبي العاصي.

(٣) لعله عثمان بن الحكم وانظر الهامش قبله.

خليفة جرت أحواله على شهر رمضان.

هو عبد الملك بن مروان، كان يقول: وُلدت في شهر رمضان وفُطمت في شهر رمضان وأُعذِرْت في شهر رمضان، وخَتمت القرآن في شهر رمضان، وبلغت الحلم في شهر رمضان، وأتتني الخلافة في شهر رمضان، وأخشى أن أموت في شهر رمضان. فلما دخل شوال وأمِنَ، مات.

أربعة خلفاء تزوجوا إلى رجل واحد هم:

الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، ويزيد ابن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك. تزوّج[1] الأربعة بنات عبد الله بن عمرو بن عثمان، فتزوج الوليد بنته عبدة، وسليمان بنته عائشة، ويزيد بنته أم سعيد، وهشام بنته رُقية، ولا يعرف مثل ذلك.

خليفة ركب البريد

لا يُعرف ذلك إلاّ لموسى الهادي، كان غائباً بجُرجان، فلما مات أبوه المهديّ كتب إليه أخوه الرشيد بالخبر، وأخذ البيعة له بالخلافة، ورجّه مع الرسول (٢٨٨ ب) الخاتمَ والبُرْدة والقضيب، فبلغ جُرْجان في ثمانية أيام، ووافى موسى بغداد على البريد بعد ثلاثة عشر يوماً من موت المهدي.

خليفة سلَّم عليه بالخلافة عمُّه وعمُّ أبيه وعمُّ جده هو:

الرشيد، سلم عليه عمه سليمان بن المنصور، ثم العباس ابن محمد عم أبيه المهدي، ثم عبد الصمد بن علي عم جده أبي جعفر.

خليفة سلم عليه سبعة من أهل بيته كلهم ابن خليفة هو:

المتوكل، سلم عليه محمد بن الواثق، وأحمد بن المعتصم، وموسى بن المأمون، وعبدالله بن الأمين، وأبو أحمد بن الرشيد، والعباس بن الهادي، ومنصور ابن المهدي.

خليفة قبَّل يد خليفة ثم قبَّل ذلك الخليفةُ يده، هو:

المعتصم، وقف لإبراهيم بن المهدي أيام خلافته، ثم نزل فقبَّل يده، ثم أدنَى منه ابنَه هارونَ فقبَّل يده وقال: يا أمير المؤمنين، عبدُك هارون ابني. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما استُخْلِف المعتصم، وكان إبراهيم قد خُلِع فقبَّل يده وقال: يا أمير المؤمنين عبدُك هبةُ الله ابني، فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم حكى المعتصم هذه الحكاية لعليِّ بن الجُنَيد، فلامه على عدم إنصافه لإبراهيم بن المهدي وقال: إبراهيم إنما أمر لابنك هارون بعشرة آلاف درهم وفي يده بغداد فقط، وأنت في يدك الدنيا، فقال: صدقت، وأمر لهبة الله بن

(١) في الأصل: تزوجوا. وهي على لغة ضعيفة.

إبراهيم بعشرة آلاف دينار. قال الصولي ولا يُعرف خليفة قبَّل يدَ خليفة، ثم قبَّل ذلك الخليفةُ يده إلاَّ في هذين.

خليفة جرت أموره كلها على ثمانية، هو:

المعتصم، لأنه الثامن من ولد العباس[1]، والثامن من خلفاء بني العباس، والثامن من أولاد الرشيد، وولد سنة ثمان وسبعين ومائة، ومات وعمره ثمان وأربعون سنة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وخلّف ثمانية بنين وثمان بنات، وخلّف العَيْن ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية وعشرين ألف ألف درهم وثماني عشر ألف دابّة، وفتوحه ثمانية، وتوفي لثمان بقين من ربيع الأول. إلى غير ذلك من عدد (٢٨٩ أ) الثمانية، أمور قدَّرها الله تعالى له.

خليفة تنقل في خمس طبقات هو:

إبراهيم بن المهدي، كان في طبقة أبناء الخلفاء، ثم صار خليفة، ثم صار في طبقة النُّدماء، ثم صار في طبقة المُغَنِّين، ثم صار في مشيخة بني هاشم.

خليفة كانت خلافته يوماً أو بعض يوم هو:.

عبد الله بن المعتز، وقد تقدَّم ذكره.

خليفة قَتَل ابنَه هو:

سليمان بن عبد الملك، قتل ابنه أيوب صَبْراً.

خليفة قتل أباه هو:

المنتصر، قتل أباه المتوكل بأن قيَّض له غلمانه من الترك فقتلوه.

خليفة قتل أخاه هو:

المعتز، قتل أخواه المُؤيَّد بعد أن خلعه من العهد

خليفة قتل عمه هو:

أبو جعفر المنصور، قتل عمه عبدالله بن علي.

أما من قتل ابن أخيه فكثير، كالمعصم قتل العباس ابن أخيه المأمون بالمرازب.

خليفة ليس له عقب، هو:

معاوية بن يزيد بن معاوية.

---

(١) أي أنه المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. فهم ثمانية.

خليفة انقطع عقبه هو:

أبو العباس السفاح.

خليفة جاوز سنهُ التسعين هو:

القادر بالله، بلغ ثلاثاً وتسعين سنة.

خليفة لم يبلغ عمره عشرين سنة هو.

معاوية بن يزيد بن معاوية.

امرأة زوجها خليفة وابنها خليفة وزوج ابنتها خليفة هي:

فاطمة بنت رسول الله ﷺ، زوجها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وابنها الحسن السبط، وزوج ابنتها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، زوجُ بنتها أمِّ كلثوم بنتِ عليّ.

ثلاث نسوة لا رابعة لهن ولدت كلُّ واحدة منهن خليفتين وهن:

ولأّده بنت العباس العَبْسِيَّة زوجة عبد الملك بن مروان، ولدت له الوليد وسليمان، كل منهما ولي الخلافة.

وشاهريد بنت فيروز بن يزدجرد، زوجة الوليد بن عبد الملك، ولدت له يزيد وإبراهيم، كل مهما ولي الخلافة.

والخَيزُران زوجة المهديّ، ولدت له موسى الهادي وهارون الرشيد، ولي كل منهما الخلافة.

امرأة لها اثنا عشر محرماً كل منهم خليفة هي:

عاتكة بنت يزيد بن معاوية، يزيد أبوها. معاوية جدها، معاوية بن يزيد أخوها، عبد الملك بن مروان زوجها، مروان بن الحكم حَمُوها، يزيد بن (٢٨٩ ب) عبد الملك ابنها، الوليد وسليمان وهشام بنو زوجها، إبراهيم ويزيد ابنا الوليدِ ابنا ابنِ زوجها.

ونحوها، فاطمة بنت عبد الملك، أبوها عبد الملك، وجدها لأبيها مروان، وإخوتها الوليد وسليمان ويزيد وهشام أولاد عبد الملك، وبنو عمها الوليد بن يزيد ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد، وزوجها عمر بن عبد العزيز، وجدها لأبيها يزيد بن معاوية، وأبو جدها معاوية بن أبي سفيان، وعمها معاوية بن يزيد بن معاوية.

وقريب منها في بني العباس، زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، جدها المنصور، وأخو جدها السفاح، وزوجها الرشيد، وعمها المهدي، وابنها الأمين، وابنا زوجها المأمون والمعتصم، وابنا ابن زوجها الواثق والمتوكل.

أم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها هي:

أم خالد بنت أبي هشام أمُّ معاوية بن يزيد، تزوجت بعد موت زوجها[1] مروانَ بنَ الحكم.

امرأة تزوجها ثلاثة خلفاء هي:

عبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية، تزوجها الوليد وهشام بن عبد الملك ومروان بن محمد.

ليلةٌ وُلد فيها خليفة ومات خليفة وولي خليفة هي:

ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائتين، وُلد بها المأمون، ومات الهادي، واستُخلف الرشيد.

أَعاجيب في سَعَةِ أَموال الخلفاء

رأيت في بعض التواريخ أن يزيد بن عبد الملك بن مروان كان قماشه يحمل على ستمائة جمل، وأنه خلف عشرة آلاف قميص لنفسه. ولْيُقَسْ على ذلك باقي أمواله. هذا والخلافة بعدُ لم تبلغ حدَّ العظمة.

وحكى الثعالبيُّ أن أبا جعفر المنصور مات عن تِسعِ مائة ألف ألف درهم، وخمسين ألف ألف درهم.

وحكى الصولي أن الرشيد خلف مائة ألف ألف دينار.

وحكى غيره أن الرشيد خلّف من الأموال ما لم يُخَلِّف أحدٌ مثله منذ كانت الدنيا، وذلك أنه خلف من الأثاث والعَيْن والجَوهر والوَرق والدَّوابّ ما قيمته مائة ألف ألف وخمسة وعشرين ألفاً خارجاً عن الضِّياع والعَقَار.

(٢٩٠ أ) وحكى إبراهيم بن نوح أن الذي خلفه المكتفي مما جمعه المعتضد ومن بعده مائة ألف ألف دينار، والجوهر والطيب وما يجري مجراه عشرون ألف ألف دينار، والكسوة والفرش عشرون ألف ألف دينار، والكُراع والسلاح والغلمان عشرون ألف ألف دينار، والضياع والعقار والأملاك عشرون ألف ألف دينار، وكان فيما أُحصِي من المتاع المخلَّف عن المكتفي من الثياب المَرْوَزيّة والخراسانية ثلاثة وستون ألف ثوب، ومن المُلاء ألف ملاءة، ومن العمائم المروزية ثلاثة عشر ألف عمامة، ومن الثياب المروزية المقصورة أربعة آلاف ثوب خارجاً عن الخام، ومن الحُلل الوَشْي اليمانيّ المعدَّة والمنسوجة بالذهب

(١) في الأصل: موت ابنها. هذا وقد تزوجت هي في حياة ابنها.

ألف ألف وثمان مائة حُلّة، ومن البطائن التي تُحمل من كرمان في أنابيب قصب فارس مما لم يُعْهد مثله ثمانية عشر ألف أنبوبة، بيعت كل أنبوبة منها بدينارين، وما أُحصي في خزائن الفرش من البُسط الأرمينية وغيرها ثمانية عشر ألف بساط.

وعقد المأمون في يوم واحد لأخيه المعتصم على المغرب وأمر له بخمسمائة ألف دينار، ولابنه العباس على الثغور والعواصم وأمر له بخمسمائة ألف دينار، ولعبد الله بن طاهر على الجَبل ومحاربة بَابَك وأمر له بثلاثمائة ألف دينار، ثم أمر لسائر القوّاد بسبعمائة ألف دينار، فكان جملة ما فرَّقه في ذلك اليوم ألفي ألف دينار، فقال عمرو بن الفرج الرُّخَّجِي: هذا يوم فُرّق فيه من المال ما لم يُفَرّق مثله مذ كانت الدنيا.

وقد مرَّ أن المعتصم خلف ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية وعشرين ألف دينار، وثمانية عشر ألف دابةً خارجاً عما عدا ذلك من الأموال.

ويقال: إن المقتدر خلف نَيِّفاً وستين ألف ألف دينار بتكرير الألف مرتين، وذلك مما جمعه الرشيد ومَنْ بعده.

ولما عُمِلت دعوةُ المأمون حين تَزَوَّج بوران بنت الحسن ابن سهل أقام أبوها للمأمون ولجميع قواده وأصحابه بفَمِ الصِّلْح أنزالهم أربعين يوماً، واحتفل بما لم يُرَ مثلُه نفاسةً وكثرة.

قال المبرّد: سمعت الحسن بن بغا يقول: كنا نُجْرِي أيام مُقام المأمون عند (٢٩٠ ب) الحسن على ستة وعشرين ألف ملاّح، ولما كانت ليلة البِناء وجُلِيت بورانُ على المأمون فُرِش حصيرٌ من ذهب، وجِيء بمِكْتَل مُرَصّع فيه دُرٌّ كبارٌ فنُثِرت على مَنْ حضر من النساء، وفيهن أُمُّ جعفر وحَمْدونة بنت الرشيد، فما مسَّ مَنْ حضر من الدُّرِّ شيئاً، فقال المأمون: شَرِّفْنَ أبا محمد وأكرمْنها، فمدَّت كلُّ واحدة يدها فأخذت دُرَّة، وبقيت سائرُ الدرر تَلُوح على حصير الذهب، فقال المأمون: قاتل الله الحسن بنَ هانئ، كأنه قد رأى هذا حيث يقول:

كأنَّ صُغْرَى وكُبرى من فواقِعها ... حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذَّهَبِ

وكان في المجلس شمعة عنبر فيها مائتا رطل، فضجَّ المأمونُ من دُخانها، فعملت له مُثُلٌ من الشمعِ فكان الليل مدّة مُقامه مثل النهار، ولما كانت دعوة القوّاد نُثرت عليهم رقاعٌ فيها أسماء ضِياع، فمن وقعتْ في يده رقعةٌ بضَيْعة أشهد له الحسنُ بها، ويقال: إنه أنفق في هذه الدعوة أربعة آلاف ألف دينار، فلما أراد المأمون أن يَصعد أمر له بألف ألف دينار، وأقطعه الصِّلْح، وعَتَبه على احتفاله ذلك الاحتفال، وحَمْلِه على نفسه، فقال له: يا أمير المؤمنين، أيُظَنُّ ذلك من مال سَهْلٍ؟ واللهِ ما هو إلاّ مالُك رُدَّ إليك، وأردت أن يُفَضِّل اللهُ أيامك ونكاحك كما فضَّلك على جميع خلقه.

فانظرْ إلى هذه الدعوة وما كان فيها وهي نَغْبَةٌ في بحر الخلافة.

ولما أعذر المتوكل ابنَه المعتزّ جلس بعد فراغ القواد والأكابر من الأكل، فقُدِّمت بين يديه مرافع ذهب مرصعة بالجوهر، وعليها أمثلة من العنبر والمسك والنَّدّ المعجون على جميع الصور، وجُعلت بساطاً ممدوداً، وأُحضر القواد والجلساء وأصحاب المراتب فوُضعت بين أيديهم صوانٍ من ذهب مرصعة بأصناف الجوهر من الجانبين وبين السماطين فُرجة، وجاء الفرَّاشون بزنابيل قد غُشِّيت بالأدَم مملوءة دراهم ودنانير نصفين، نُصَّتْ في الفرجة التي بين السماطين حتى ارتفعت على الصواني، وأمر الحاضرون أن يشربوا (٢٩١ أ) ويأخذ كل واحد ممن يأكل ويشرب من تلك الدراهم والدنانير بثلاث حَفنات ما حملت يديه، وكلَّما خَف موضع صُبَّ عليه من تلك الزنابيل حتى يُرَدَّ إلى حالته، ووقف غلمان في آخر المجلس وقالوا: إن أمير المؤمنين يقول لكم: ليأخذْ من شاء ما شاء. فمدَّ الناس أيديهم إلى المال فأخذوه، وكان الرجل يُثقله ما معه فيخرج به ويسلمه إلى غلمانه ويرجع إلى مكانه، ولما انقضى[1] المجلس خلع على الناس ألف خلعة، وحُملوا على ألف مركب بالذهب والفضة، وأعتق ألف نسمة.

وحكى العسكري في كتابه «الأوائل» عن أحمد بن حمدون قال: عملت أم المستعين قلاَّية لم يبق شيء حسن إلاَّ جعلته فيها، وأنفقت عليها مائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار، وسألت ابنها المستعين أن يقف عليها، قال أحمد: فقال لي ولأُتْرُجَّة الهاشميّ: اذهبا وانظرا إليها وصِفاها لي، فمضينا فرأيناها، فما رأينا في الدنيا شيئاً حسناً إلا وقد عمل فيها، ومَدَدْت أنا يدي إلى غزال من ذهب مُلِئ عنبراً، عيناه حَبَّتا جوهر، وعليه سَرْج ولجام وركاب من ذهب، فأخذته ووضعته في كُمِّي، وجئنا فوصفنا له حسنها، فقال له أُتْرُجَّة: إنه سُرق منها، وغمز به عليَّ، فقلت: يا سيدي، ألامُ على مثل هذا؟ فقال: ارجع فخذ ما أطقْتَ حَمْلَه مما تريده، فقال أترجة: وأنا معه؟ قال: وأنت معه، فمضينا فملأنا أكمامنا وخِفافنا، وفتحنا أَقْبِيَتَنا وجعلنا تحتها ما قدرنا عليه، وعقدنا أطراف الشفاشح فوق ذلك، وأقبلنا نمشي مَشْيَ الحَبَالى، فلما رآنا ضحك، فقال له الجلساء: فنحن ما ذنبنا؟ قال: قوموا أنتم أيضاً، وقال المغنّون مثل ذلك، فأذن لهم، وجاءَ فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ما معهم ويضحك، فنظر يزيدُ المُهلَّبي إلى سطل من ذهب مملوء مِسكاً، فأخذه وخرج، فقال: إلى أين؟ قال: إلى الحَمَّام، فضحك وأمر الأطباء والخدم والفرَّاشين فانتهبوا الباقي، فوجّهت إليه أمه تقول: سَرَّ الله أميرَ المؤمنين في جميع أفعاله، كنت (٢٩١ ب) أحب أن تراها قبل أن تُفَرِّقها، فقال، يعاد مثلها، فأُعيد مثلها في مدة شهرين.

---

(١) لعلها محرفة أيضاً عن: انفض.

إلى غير ذلك من حكايات أموالهم التي لا يأخذها حصر ولا تدخل تحت حَدّ.

ولله خزائن السموات والأرض.

قال الثعالبي: وكان يقال: لبني العباس في المال فاتحةٌ وواسطةٌ، وخاتمةٌ، فالفاتحة المنصور، والواسطة المأمون، والخاتمة المُعتضد، يقال: إن ما جمعه السَّفَّاح إلى الرشيد فرّقه الأمين.

اعتبارٌ وعظة في موت عظماء الخلفاء الذين ملكوا الأرض ودوَّخوا البلاد، وأحاطوا بالأقاليم والأقطار، وحُمِل إليهم أموالهم.

قال أحمد بن أبي دُوَاد: لقد شددت لَحْيَي المأمون والمعتصم والواثق بيدي، فما تهيّأ لي في القيام على واحد منهم عند تلك الحالة وجود خرقة أشد بها لَحْيَيْه، وإنما كان مُعَوَّلي على الدراريع التي تكون معي أخرق منها.

ولما مات المكتفي شُغِل الناس عن مواراته بأمر المقتدر المستخْلَف بعده، فاجتاز به صاحب خزانة الكسوة، فوجد على وجهه ردَاء قصب فأخذه، وقال: هذا أُطالب به، فاجتاز به بعض خدمه فبكى لمّا رآه مكشوفاً، فأخذ منديلاً كان على رأسه فنشره على وجهه، ولما نُقل إلى دار الغُسل والتكفين لم تُوجد مِجْمرة يُبَخّر فيها، فأُخِذَتْ غَضَارةٌ من غضائر الخزف الأحمر فبُخّر فيها الموضع، وكان مما خلّفه أُلوفٌ من مجامر الذهب والفضة، وقد مرَّ ذِكْر ما خلَّفه في الكلام على سعة أموال الخلفاء قبل هذا.

ولله أبو نواس حيث يقول:

إذا اختبرَ الدُّنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ　　لَهُ عَنْ عَدُوٍّ في ثيابِ صَديقِ

عِبْرة، قال الصولي: حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال: لما ولي المعتز لم يَمض إلاَّ مدة حتى أحضِر الناسُ وأخرِجَ المُؤَيَّد فقيل: اشهدوا أنه دُعيَ فأجاب، وليس به أثر، ثم مضت أشهر، فأحضِرَ الناسُ وأخرج المُستعينُ فقال: إن مَنِيَّته أتت عليه وها هو لا أثر فيه، فاشهدوا. ثم مضت مُدَيدة (٢٩٢ أ) واستخلف المهتدي، فأُخرج المعتزُّ ميتاً وقيل: اشهدوا أنه قد مات حَتْف أنفه ولا أثرَ بِه، ثم لم تكمل السنةُ حتى استُخلف المعتمدُ فأُخرج المهتدِي ميتاً وقيل: اشهدوا أنه قد مات حَتْف أنفه من جراحته، فتعجَّب الناس من تلاحقهم في مدة يسيرة.

مثلها، لما اشتدت عِلَّة الواثق دخل أيتاخ لينظر إليه هل مات أم لا، فلما دنا منه نظر إليه الواثق بمُؤخِر عينيه، ففزع أيتاخ وجزع، وخرج القهقري، فسقط على وجهه هيبة منه فاندقَّت يده وانكسر سيفه، فلم يمض إلاَّ ساعة حتى مات الواثقُ فعُدِل به إلى بيت ليُغسل فيه، فجاءت فأرة فأكلَت عينه التي نظر بها إلى أيتاخ، فعجب الناس من أكل فأرة عيناً فَزِع

من لَحْظها أيتاخ حتى تراجع وسقط على سيفه فانكسر، وذلك في بعض يوم.

نظيرها، لما جِيءَ برأس مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى عبدالله بن علي أمر بعزله، فجاءت هِرَّة فقطعَت لسانه وجعلت تَمضغه، فقال عبدُ الله بن عليّ أو غيرُه: لو لم يُرِنَا الدهرُ من عجائبه إلاَّ لسانَ مروانَ في فم هذه لكَفَانا. وكان مروان قبل ذلك قد عرض[1] في ظهر الجِيرَة سبعين ألف عربيّ على سبعين ألف فَرَس، ثم قال: إذا انقضت المُدَّة لم تنفع العُدَّة.

تعقيب، قد تقدم في الكلام على تراجم خلفاء بني العباس بالديار المصرية أنه مذ نقلت الخلافة إلى الديار المصرية رَادَف خلفاؤها الخلفاء الماضِين في ألقاب الخلافة، فتلقَّب أحمد بن الظاهر أول من بويع بها بالمستنصر، وتلقّب أحمد بن الحسين بعده بالحاكم، وتلقّب ابنه بعده بالمستكفي، ثم تلقب بنو المستكفي بالحاكم والواثق والمعتضد، على ما تقدّم بيانه في تراجمهم، وهذا إنما كان ينبغي إذا لم يتأتَّ الإتيان بألقاب جديدة مُقتضبة، وذلك أمر غير مُمتنع، فكان من حَقِّهم أن يقتضبوا لكل واحد لقبا غير ما تقدم.

وقد ذَكر في «نقط العروس» ألقاباً تصلح للخلافة (٢٩٢ ب) لم يتلقب بها أحد، فعدَّ منها: المُعَوِّل على الله، المُؤَمِّل لله، الراغب إلى الله، الساعي لله، المحيي لدين الله، المستجيش بالله، المُؤْثر للحق في الله، المُرْتَقِب في الله، المراقب لله، المتعزز بالله، المستعِدُّ بالله، المسدَّد بالله، السَّدِيد بالله، الشديد بالله، المُستهدي بالله، المُستعصم بالله، العاضد لحق الله، المعان بالله، الكافي في الله، المظهر لدين الله، الحامي في الله، المُختمي في الله، الراجي لله، المرتَجِي لله، المكتفي بالله، المُرْضِي لأمر الله، المُسْلِم لله، المستسلم لله، المُحامي في الله، المُرشد إلى الله، المحافظ في الله، المحفوظ بالله، العائذ بالله، اللائذ بالله، الصادع عن الله، المستند إلى الله، الذَّابّ عن دين الله. وهذه لم يتسمَّ بها أحد من الخلفاء إلى الآن، وعدَّ منها المستكفي بالله، الحافظ لدين الله، والمستعلي بالله، وهذه قد تُلُقِّب بها بعد زمانه، فالمستكفي تلقَّب بها بعضُ خلفاء بني العباس، والحافظ لدين الله، والمستعلي بالله تلقب بهما بعض الخلفاء الفاطميين بمصر، على أن المتتبِّع لو تتبع ذلك لأتى منه بالقدر الكبير. والله أعلم.

---

(١) في الأصل اعرض.

الخاتمة

فيما يختص بالإمام الأعظم المعتضد بالله خليفة العصر الموضوع له هذا الكتاب

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في نسبه

هو الإمام الأعظم المعتضد بالله أبو الفتح داود بن الإمام المتوكل على الله أبي عبدالله محمد بن المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الأمير الحسين بن الأمير أبي بكر بن الأمير علي المعروف بالقبّيّ بن الأمير حسن ابن الراشد بالله أبي جعفر المنصور بن المسترشد بالله أبي منصور الفضل بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي محمد عبدالله بن ذخيرة الدين وليّ عهد المسلمين محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبدالله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن (٢٩٣ أ) الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الأمير الموفّق طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد ابن الرشيد أبي محمد هارون بن المَهدي أبي عبد الله محمد ابن المنصور أبي جعفر بن محمد الكامل بن عليّ السَّجَّاد بن عبد الله حَبْر الأُمّة بن العباس عم النبي ﷺ ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب ابن مُرَّة بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أُدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام بن تارح وهو آزر بن ناحور ابن شاروح بن راغو بن فالغ بن عابر بن أرفخشد بن سام ابن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلح بن خنوخ وهو إدريس عليه السلام بن برد بن مهليل بن قبنن بن يانش ابن شيث بن آدم عليه السلام.

هذا ما ذكره ابن إسحاق[1] في «سيرته»، وفي كثير من التواريخ ما يخالف في بعض هذه الأسماء فيقال في نابت نبت وفي لامك لملك، وفي خنوخ أخنوخ بألف في أوله، وفي مهليل مهلاييل، وفي فينن قينان، وفي يانش أنوش، والمتفق عليه إلى عدنان، وفيما وراء ذلك إلى آدم اختلاف كثير.

قلت: وعلى هذا النسب يكون من أمير المؤمنين إلى آدم عليه السلام خمسة وسبعون أباً.

منه إلى العباس عم النبي ﷺ تسعة وعشرون أبا، ومن العباس إلى آدم عليه السلام ستة وأربعون أباً، ويكون نسبه الشريف قد اشتمل على ثمانية عشر خليفة، منهم أربعة خلفاء بمصر، وهم المتوكل والمعتضد والمستكفي والحاكم، وثلاثة عشر خليفة بالعراق، وهم الراشد والمسترشد والمستظهر والمقتدي والقائم والقادر والمقتدر والمعتضد والمتوكل والمعتصم والرشيد والمهدي والمنصور، وصحابيّان وهما العباس عم النبي ﷺ وابنُه حبْرُ الأمة عبدالله (٢٩٣ ب) وستة أنبياء وهم إسماعيل وإبراهيم ونوح وإدريس وشيث وآدم عليهم السلام. ويلتقي مع النبي ﷺ في هاشم[2] وكذلك مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويلتقي مع أبي بكر الصديق في مُرَّة بن كعب، ومع أمير[3] المؤمنين عمر بن الخطاب في كعب بن مُرَّة، ومع أمير المؤمنين عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان وسائر خلفاء بني أُمية في عبد مناف، ومع عبد الله بن الزُّبير في قُصَيٍّ بن كلاب. وأكْرِمْ به من نَسبٍ طاب أصلُه وزكتْ فروعُه.

الفصل الثاني

في ذكر طرف من مناقبه وأوصافه.

هو أجلُّ من نطقت بمفاخره الأقلام، وحُبِّر في وصفه الكلام. وأجملَ اللسانُ في محاسنه البثّ، وأعمل البيانُ نُجُب الأقلام في رَقْم محامِدِه الحَثّ، وأتى بِشِيمه التي كم عِطْفِ هَزَّته، وكم جوادِ فَخَارٍ لَزَّته، وكم عِزٌ أسمعته، وسامع أعزَّته، وَمَهارِقَ عادتْ بتسطير مناقبه حِبْرًا، وجَمٌ فضائِلَ كانت لذلك مبتدأ وَخَبَراً.

فَهي الشِّيَمُ التي لو تجسدت ... لكانتْ لِوَجْهِ الدهر عَيْناً وحَاجِبَا

---

(١) أي في امتداد النسب من عبد المطلب إلى آدم أو من عدنان إلى آدم.

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي: هذا خطأ بل يلتقي في عبد المطلب بن هاشم ولعل في النسخة خطأ وصوابه: في عبد المطلب بن هاشم.

(٣) في الأصل: وفي أمير المؤمنين.

من بخلافته فخر العصر، ومن لا تُدرك معاليه بإحصاء ولا حَصْر، ومن أتت صفاته من كلِّ فضل بالجَمْع إذا أتى غيرُها بالقَصْر، ومن غدا بابُه الشريفُ محَطَّ رِحال الآمال، ومَلْقَى عصا الترحال[1]، وسبيلَ غَيْث الجدَا، ومَطلعَ نَجْم الهُدَى، وَمَحلَّ مَحَلِّ الحُبَا[2] وموطن الجُود والحِبَا، لا تَعِنُّ له فرصةُ خير إلاَّ انتهزها، ولا شاردةُ مثوبةٍ إلاَّ أحرزها، ولا مساءَةٌ إلاَّ حجَبَها[3] ولا مَبَرَّة إلا أبرزها، فلا لسانٌ عن ذِكْر محاسنه عَشَا، ولا مَلِك إلاَّ ومِن بابه أوْ بابِ آبائه الخلفاء الراشدين انْتَشَى، فهو على الحقيقة إمام الدين وخليفة الإسلام، والإمام الذي اتصل نسبه بالأئمة فهو (٢٩٤ أ) الإمامُ بنُ الإمام بن الإمام، ما تكلّم إلاَّ أتى بكل مُعجب مُعْجِز، ولا تحدَّث فأوجزَ إلاَّ وَدَّ المُحَدَّثُ أنه لم يُوجِزْ، فلو كان الفصلُ رايةً لكان عَرَابَتَها، أو وجهاً لكان وسامَتَها، كم حَلَّى من جِيد، وأعاد بمسرة الإحسان إلى الخلق مِنْ عِيد، وأجرى من صَدَقَات، ونَحَل أبكار المعالي من صَدُقات، وأضحى لأولي الرتب ببابه الشريف ازدحام، ولثغر الرجاء برحابه ابتسام، فالمال في وجوه المعروف يصرفه، وفي المَبَرَّات يُفْنيه وفي القُرُبات يُتلِفُه.

فـصَـيَّـرَ الـشَّـطْـرَ إنـعـامـاً ومَـوْهِـبـةً وصَـيَّـر الـشَّـطْـر أَحْـبَـاسـاً وَأَوْقَـافَـا

فساحتُه، التي يَأْوِي إليها الظاعنُ ولا يَظعن عنها المُقِيم، وبرُّه، الذي غدا للسائل المُنِيلَ وفي دَعَتِه المُنِيم، فمنْهل بابه العذبُ كثير الزحام، ومسلكه العَالُ للطلاَّب سهْلُ الاقتحام، وأفضاله مُتَّسقةُ الفرائد، وبِرُّه يانعُ الروضِ للرَّائد، فلجَبْهة الخلافة منه غُرَر، ولِأُفقِها من طلعته الميمونة نجم يُرِبي على القمر، فكل رداء يرتديه جميل، وكلُّ أوصافه لها إلى حسن الثناء سبيل، حاجات المضطَرِّين تُوافيه فيَقضيها، وساعاتُ يومه في اصطناع المعروف يَقضيها، ورِحابُه الفسيحة مُستجْمَع الرائح من الناس والغادي، وملجَأ الحاضر والبادي.

لـمُـلْـتَـمِـسـي الـحـاجـاتِ جَـمْـعٌ بـبـابِـه فـهـذا لـه شـأنٌ وهـذا لـه شَـأْنُ
فـلـلـبـائـس الـنُّـعْـمـى ولـلـمُـعْـدِم الـغِـنَـى ولـلـظـاعـن الـمَـأْوى ولـلـخـائـف الأَمْـنُ

فلا راحةٌ تخلو من رَاحةِ جُوده، ولا ساحةُ أمل تُقْفِر من وُفوده، ولا مُنْقَطِعٌ إلاَّ وله منه صِلَةٌ وعائِد، ولا سائلٌ إلاَّ أُجْرِي من عطائه على أجمل العوائد، قطوفُ الأجور لديه دانية، ومعروفُه المعروفُ يَسْرِي إلى كافة الآنام سِرًّا وعَلاَنية، فلم يأتِ أحد بمثل إيثاره،

---

(١) في الأصل: «الآمال» وهو تكرار والمشهور ألقى عصا الترحال.
(٢) محل الأولى بمعنى المكان ومحل الثانية من حل الشيء وفكه.
(٣) لعلها أيضاً: حجزها.

ولم يستطع في الخير سُلوكَ آثاره، فالرُّواة (٢٩٤ ب) تتحدث بأخباره، والحُداة تترنّم بأسماره، والأُمَّةُ تُلقى عصا تسيارها لديه، وتُهْرَعُ من كُلِّ فجٍّ إليه، فتجد مآثِرَه لا تُحْصَى عجائبُها، ولا تُعَدُّ فرائدها وغرائبها، وأني تُحْصَرُ مآثره وهل تُحصر البحار بمقال، وأو يُحْصَى وافرُ كَرَمه وهل تُحصى الرِّمال.

وقَــدْ وجَــدْتَ مــكــانَ الــقَــوْلِ ذا سَــعَــةٍ   وإن وَجَــدْتَ لــســانــاً قَــائــلاً فَــقُــلِ

والمسؤولُ من الله تعالى أن يُديم أيامه دواماً لا يَنْقُصَه اختزال، ويُمدَّ رُواقَ دولته مَدًّا لا يعتريه زوال، ويجعل مَذْحَه الظاعنَ وشَخْصَه المُقيم، ويمنحه في هذه الدار النِّعمة وفي الدار الآخرة النعيم، إنه وَليُّ ذلك والقادِرُ عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفهـارس

فهرس موضوعات الكتاب

فهرس الآيات القرآنية

النساء	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾	٣٦
المائدة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾	٣٦ ـ ٣٧
النحل	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾	٧٢
القصص	وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾	٧٦
القدر	إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾	٨٢
الرعد	وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾	٩٥
الجن	عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾	١٢٦
الأعراف	وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾	١٢٨
الكهف	وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾	١٥٠
النمل	إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾	١٩٤
الأحزاب	وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾	٢٠٩
النساء	أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾	٢٥٥
القارعة	وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾	٢٥٥
الروم	الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾	٢٥٥
يس	إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾	٢٥٥

الإخلاص	قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢)	٢٦١ ـ ٢٦٢
النحل	إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)	٢٦٧
الفتح	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)	٢٦٧
الفتح	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)	٢٧٦
الرعد	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)	٢٧٨
الأنبياء	كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)	٢٧٨
الأنبياء	وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ (٣٤)	٢٧٩
النساء	ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)	٢٧٩
يوسف	وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٣)	٢٩١
النحل	وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١)	٢٩٣
الحج	ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٤١)	٢٩٣
الإسراء	مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)	٢٩٤
الرحمن	هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ (٦٠)	٢٩٦
الفتح	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)	٢٩٧
النور	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٥٥)	٢٩٧ ـ ٢٩٨
ص	يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦)	٢٩٨
الشعراء	إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)	٣٠٠
فصلت	لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)	٣٠٢

الأنفال	إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾	٣٠٢
ص	يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾	٣٠٣
الحجر	فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾	٣٠٣
الإسراء	وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾	٣٠٦
الأحقاف	قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾	٣٠٦
الأنعام	قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾	٣٠٦
النساء	مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾	٣٠٦
آل عمران	مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾	٣٠٦
يونس	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾	٣٠٩
الأعراف	وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾	٣١١
البقرة	وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾	٣١٢
الطلاق	فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾	٣٠٢
الفرقان	وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾	٣١٣
الأعراف	قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾	٣١٣
الذاريات	وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾	٣١٣

النحل	إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (١٢٨)	٣١٦
هود	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (١٨)	٣١٦
آل عمران	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠٢)	٣٢١
التوبة	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١١٩)	٣٢١
البقرة	أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٤٤)	٣٢١
فصلت	لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤٢) ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (٤٣)	٣٢٢
النساء	فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (١٠٣)	٣٢٢
العنكبوت	اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون (٤٥)	٣٢٢
الجمعة	يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٩)	٣٢٢
التوبة	إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (١٨)	٣٢٢ ـ ٣٢٣
آل عمران	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩)	٣٢٣
المائدة	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد (١)	٣٢٤
الفتح	إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (١٠)	٣٢٤
البقرة	الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (٢٢٩)	٣٢٤
آل عمران	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (١١٠)	٣٢٥
مريم	فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩)	٣٢٥

المائدة	إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾	٣٢٥
النساء	إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾	٣٢٥
ص	يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾	٣٢٦
المائدة	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾	٣٢٦
الأعراف	وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾	٣٢٧
النجم	وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾	٣٢٧
التوبة	إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾	٣٢٨
الإسراء	وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾	٣٢٨
الأنفال	وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾	٣٢٩
المطففين	وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾	٣٢٩
التوبة	لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾	٣٣١
فصلت	لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾	٣٣١
البقرة	وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾	٣٣٢
الفتح	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾	٣٣٢

الأحزاب	وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾	٣٣٣
المنافقون	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾	٣٣٣
المائدة	وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾	٣٣٣
النور	فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾	٣٣٣
الرعد	أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾	٣٣٣
التوبة	قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾	٣٣٤
الزخرفة	وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾	٣٣٤
يوسف	وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾	٣٣٥
الإسراء	وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾	٣٣٥
البقرة	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾	٣٣٦
النساء	وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾	٣٣٦
البقرة	فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾	٣٣٩
الفتح	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾	٣٤٠
النساء	إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾	٣٤٠
الإسراء	سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾	٣٤٠

الفتح	إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾	٣٤١
الحج	ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾	٣٤٤
الرحمٰن	هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾	٣٤٤
التوبة	ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾	٣٤٤
الطلاق	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾	٣٤٥
الحشر	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾	٣٥٠
فصلت	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾	٣٥١
النساء	فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا	٣٥١
التوبة	إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾	٣٥١
الأعراف	خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾	٣٥١
آل عمران	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾	٣٥٢
النحل	إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾	٣٥٢
لقمان	يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾	٣٥٢
التوبة	ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾	٣٥٢
الأنفال	وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾	٣٥٣

النحل	وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١)	٣٥٣
المؤمنون	أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠)	٣٥٣
النمل	قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)	٣٥٣
الشورى	فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)	٣٥٥
الأحزاب	وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦)	٣٥٥
النحل	أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)	٣٥٥
النساء	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)	٣٥٧
فصلت	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)	٣٥٧
البقرة	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)	٣٥٨
الطلاق	ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا	٣٥٨
آل عمران	هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)	٣٥٨
ص	كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)	٣٥٨
النساء	فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا	٣٥٨
البقرة	حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)	٣٥٨
العنكبوت	اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)	٣٥٨
الحشر	مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	٣٥٩
النساء	مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)	٣٥٩
آل عمران	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)	٣٥٩

التوبة	مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾	٣٦٠
البقرة	وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾	٣٦٠
النحل	إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾	٣٦٠
آل عمران	فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾	٣٦١
المائدة	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾	٣٦١
الأنفال	وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾	٣٦٢
العنكبوت	وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾	٣٦٢
الشعراء	أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾	٣٦٢
المطففين	وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾	٣٦٢ ـ ٣٦٣
طه	وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾	٣٦٥
آل عمران	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾	٣٦٩
إبراهيم	وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾	٣٧٢
النحل	وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ	

لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ٣٧٢

الحشر مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ٣٧٢
وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ
ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

آل عمران فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ٣٧٢
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

النساء يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٣٧٣
ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟
ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا
﴿١٣٥﴾

المائدة إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ٣٧٣
لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟
عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا
قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

الطلاق فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ ٣٧٣
عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾

النساء وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ ٣٧٣
وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ
فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
حَسِيبًا ﴿٦﴾

المائدة يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٣٧٤
ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ
فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن
تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

المائدة وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ ٣٧٤
بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن
تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

المطففين وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو
وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

	يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)	٣٧٥
الأحزاب	وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)	٣٧٦
فصلت	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)	٣٧٦
ص	يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)	٣٧٦
النساء	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)	٣٧٧
آل عمران	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)	٣٧٧
البقرة	الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)	٣٧٧
آل عمران	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)	٣٧٩
التوبة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)	٣٧٩
فصلت	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)	٣٧٩
البقرة	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤)	٣٧٩
الشورى	ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)	٣٨٠
البقرة	الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)	٣٨٠
الأحزاب	وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ	

يس	لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾	٤٠٨
فصلت	لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾	٤٠٨
آل عمران	كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾	٤٠٨
التوبة	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾	٤٠٨
آل عمران	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾	٤٠٨
النساء	لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾	٤٠٩
آل عمران	لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾	٤٠٩
المائدة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾	٤٠٩
آل عمران	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾	٤٠٦
يس	لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾	٤١٦
الزمر	إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾	٤١٦
الأنبياء	وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾	٤١٦
الكهف	وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾	٤١٧
الكهف	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾	٤١٧
فاطر	إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾	٤١٧
الأنعام	لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾	٤١٨

النساء	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾	٤٢٠
لقمان	أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾	٤٢٤
التوبة	يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾	٤٢٤
غافر	هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾	٤٣٢
لقمان	وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾	٤٣٦
الإسراء	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾	٤٣٦
التوبة	إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾	٤٣٧
التوبة	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾	٤٣٧
الأنفال	وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾	٤٣٧
المائدة	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾	٤٣٧ _ ٤٣٨
الأنبياء	وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾	٤٣٩
طه	وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾	٤٣٩
الحاقة	سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾	٤٤٠

المائدة	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾	٤٤٣
التوبة	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾	٤٤٣
طه	وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾	٤٤٣
الأنعام	قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾	٤٥٧
الإخلاص	قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾	٤٥٧
الإخلاص	قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾	٤٥٨

حديث شريف

فهرس القوافي

في ثاني	أمّ الأشرفِ	الكامل	٢٣٧
يا إمام الهدى	الفخار الأثيلُ	الخفيف	١٩٨
مولاي إن	حقٌّ عَلي	البسيط	١٩١
الجاى قال	بالأشرف الكرمْ	المديد	٢٣٨
ألاَ صِلْ	أحق العالمينا	الوافر	٢٧٤
الجاى ذاك	الوشاهْ	السريع	٢٣٧
كأن صغرى	من الذَّهَب	البسيط	٤٦٧
جانيك	مباركُ الجُرْبِ	الكامل	٤٥٧
وإنك لا	هو أسعدُ	الطويل	٣١٩
ولو أنّ	إليك المنبرُ	الكامل	٣٤٢
قَصَيَّر الشطر	وأورقافَا	البسيط	٤٧٣
إذا اختبر	ثياب صديق	الطويل	٤٦٩
فإن كنت	ولمّا أُمزَّقِ	الطويل	-
وقد وجدت	قائلاً فقُلِ	البسيط	٤٧٤
لملتمس الحاجات	له شأنُ	الطويل	٤٧٣
أبوك خليفة	ذاك الكمالُ	الوافر	-
فلا هو	عن الدين شاغلُهْ	الطويل	-
تعوّد بسط	أناملُهْ	الطويل	-

مثَلان:

أجِعْ كلبك يتبعك ص٦٤
ناقل التمر إلى هجر

نصف بيت

وأيــن الــثُّــريَّـــا مـــن يـــد الـــمـــتـــنـــاول ٢٠

شطر بيت

لكانت لوجه الدهر عيناً وحاجبا ٣٧٨

فهرس الكتب التي ذكرها المؤلف

فهرس الأعلام

ـ ب ـ

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

فهرس الأماكن

ـ ب ـ

ـ ت ـ

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

أيام ووقائع

الطرائف والنوادر وكتب بعهود وغيرها

فهرس المراجع

ابن خلّكان وفيات الأعيان: المطبعة الميمنية.

إتحاف فضلاء البشر: المطبعة الميمنية، ١٣١٧.

الأحكام السلطانية: مطبعة السعادة، ١٣٢٧.

الاستيعاب بهامش الإصابة، ١٣٢٨.

الإصابة: مطبعة السعادة، ١٣٢٨.

الأغاني: طبع دار الكتب ودار الثقافة ببيروت.

إنباه الرواة: طبع دار الكتب.

تاريخ الخلفاء: المطبعة الميمنية، ١٣٠٥.

تاريخ الطبري: طبع أوربا بريل، ١٨٩٣.

تاريخ أبي الفداء: طبع الآستانة، ١٢٨٦ واسطنبول، ١٢٨٠.

جمهرة أنساب العرب: دار المعارف.

حياة الحيوان: مطبعة المعاهد، ١٣٥٣.

ديوان الأفوه الأودى (الطرائف الأدبية): مطبعة التأليف، ١٩٣٧.

ديوان الشريف الرضي: مطبعة نخبة الأخبار، ١٣٠٦.

ديوان كثير: طبع الجزائر، ١٩٢٨.

ديوان المتنبي: مطبعة التأليف والترجمة والنشر.

سنن الترمذي: مطبعة الصاوي، ١٣٥٣.

سنن أبي داود: المطبعة الكستلية، ١٢٨٠.

سنن النسائي: المطبعة المصرية.

السيرة لابن هاشم: مطبعة بولاق، ١٢٩٥.

شذرات الذهب: القدسي، ١٣٥١.

شرح أشعار الهذليين: نشر دار العروبة، ١٩٦٣.

صبح الأعشى: مطبعة دار الكتب.

صحيح مسلم: المطبعة المصرية، ١٣٤٩.
العقد الفريد: مطبعة بولاق، ١٢٩٣.
عيون الأخبار: مطبعة دار الكتب.
فتوح البلدان: مطبعة بريل، ١٨٦٦.
فوات الوفيات: مطبعة السعادة، ١٩٥١.
الكامل لابن الأثير: المطبعة الأميرية ببولاق، ١٢٩٠.
الكشاف للزمخشري: المطبعة الأميرية، ١٣١٨.
المثل السائر: مطبعة حجازي، ١٣٥٤.
مجمع الأمثال: المطبعة العامرة الخيرية، ١٣١٠.
محاضرة الأوائل: المطبعة العامرة الشرفية، ١٣٢٥.
مروج الذهب: مطبعة بولاق، ١٢٨٣.
مسند الإمام أحمد: المطبعة الميمنية، ١٣١٣.
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: مطبعة الجامعة، ١٩٥١.
معجم البلدان: مطبعة ليبرج، ١٨٦٦.
مفاتيح العلوم: مطبعة بريل، ١٨٩٥.
المنتظم: طبع حيدر آباد، ١٣٥٧.
المنتقى: طبع ليبرج، ١٨٥٩.
النجوم الزاهرة: مطبعة دار الكتب.
نسب قريش: دار المعارف.
النهاية لابن الأثير: المطبعة العثمانية، ١٣١١.
الوزراء للصابي: مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٥٨.
الولاة والقضاة: طبع بيروت، ١٩٠٨.